فواكه العلوم
في طاعة الحي القيوم

تأليف العلامة

الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن محمد بن خميس الخراسيني النزوي

(عاش في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر الهجري)

الجزء الأول

تحقيق وتعليق

د/ محمد بن صالح ناصر أ/ يحيى بن عمر البواجيني

الطبعة الاولى

مسقط ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م

فواكه العلوم
في طاعة الحي القيوم

تأليف العلامة

الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن محمد بن خميس الخراسيني الأزدي

(عاش في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر الهجري)

الجـــزء الأول

تحقيق وتعليق

د/ محمد بن صالح ناصر أ/ مهنى بن عمر التراجيني

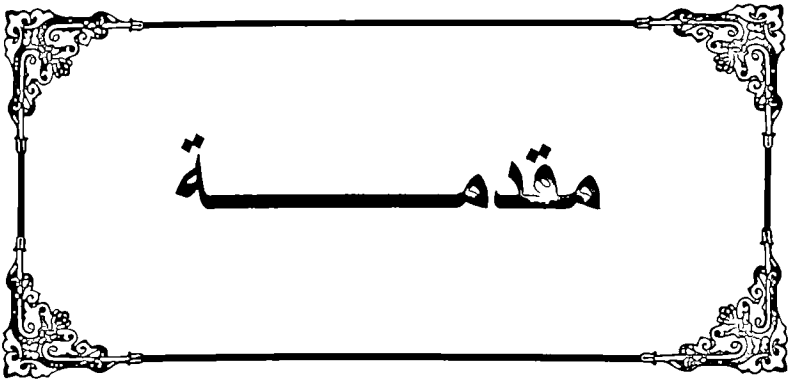
الطبعـــة الاولى

مسقط ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

امرأتان ولكن يجوز ان يحج المرأة عن الرجل والمشي اذا حلف بالمشي الى بيت الحرام وشق
فيه يجوز ان يحج وهذا ان يحج المرأة عنه وجوز وا ان يحج المرأة عن المرأة والرجل يحج عن المرأة
احتالي المسلم وهذا ما حفظته من آثار المسلمين رحمهم الله والله اعلم وقلت لو احرم اذا وسم غير
بالنار بعلة او غير علة كان الموسوم محلا او محرما ايلزم احدا منهما دم ام لا وما وجدت
في آثار المسلمين عن ابي سعيد رحمه الله ان المحرم لا يضره قتله الحلال اذا قتل في بدنه ما يجب له والمباح
من الدواب وقص ظفر واحد انه لا يخرج من الاقلاف واكل الموسوم محرما غير علة باد وبغير
الموسوم لغذاء وان كان غير علة فلا يخرج من اقوال المسلمين رحمهم الله وقلت لو احرم اذا احرم
بعمرة في غير اشهر الحج ودخل مكة وطاف وسعى وحلق احرامه ثم سار الى المدينة او غيرها ورجع الى
مكة في اشهر الحج يجزيه احرامه المتقدم على الاقوال لانه يقول ليس في السنة الا عمرة واحدة
متر لنا ذلك وقال ان عليه هدي المتعة على ما حفظته من آثار المسلمين والله اعلم قلت لو المحرم
اذا رمى صيدا عمدا وخطأ عليه في ذلك جزاء ام عليه في العمد فقط قال اما على الخطأ فلا يلزمه
شيء على ما بحثنا في ذلك واما على العمد عليه دم والله اعلم قلت لو رمى صائما كذا ناسيا صومه
بعضاء الطواف افضل ام لا قال لم اعلم انه نص في احد شيأ ولا لم احد فلا يلزمه
شيء قلت لو والمرأة تحائض اذا حاضت بعد ما طافت طواف الزيارة وخافت ان تقتل
وتحتبس وتحرم ام ليس عليها الحرام ام تحرم كما هي وتقضي جميع تفثها الا زيارة البيت فقط قال
نعم جائز للمرأة الحائض ان تقضي جميع تفثها الا زيارة البيت فلا تجزيها الا بعد ان تطهر الحيض
والله اعلم قلت لو يجوز حرم مكة اذا اصاب احد منه شيأ خطأ اعليه كفارة في الخطأ ام ليس عليه
الا في العمد ام يكون حكمه حكم الصيد فيه الجزاء في الخطأ والعمد ام لا قال ان يجزيه اذا اخذ
منه احد شيأ او قطعه فعليه الكفارة ان كان عمدا وخطأ ولا يحل قطع يجزيه ولا اعلم صيدا
يحل ولا يحرم والله اعلم قلت لو والبيت العتيق اخرب وهدم ايكون ثابتا وفيه ما يؤكل
ويدعه عليه على الكفاية ام لا يعلى اهل مكة خاصة قال لم احفظ وجوب ذلك وانما حفظت
من آثار المسلمين ان المسلم اذا طهر وامكنه ستر نفسها لم يكشف البيت وقال لم اسمع في هذا
حفظته والله اعلم قلت لو وهل يجزيهم الصلاة بصلاة الامام في المسجد الحرام اذا كان الامام
سترة الكعبة والمأموم غير الكعبة مقابلا للامام لا يجزيه الا وراء الامام على حال قال
وجدت في آثار المسلمين في الامام يؤم الناس في المسجد الحرام فانه يحل مقام ابراهيم بينه وبين
الكعبة ثم يصف

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط


مقدمـــــة

يعد هذا المؤلف من أهم المطولات في التراث العماني اذ يحوي بين صفحاته التي قاربت ثلاثة آلاف صفحة، معلومات قيمة في العقيدة، والفقه، والأدب، والتاريخ، والأمثال، والحكم، والطب، تبرز الوجه النير لفترة من فترات تاريخ عمان، ألا وهي فترة الأئمة اليعاربة، ولاسيما في أوج قوتها وازدهارها ابان حكم مؤسسها الامام ناصر بن مرشد، ومن جاء بعده من الأئمة، أي : القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

ونود قبل الدخول في اجزاء هذا الكتاب ومحتوياته تلك أن نقف قليلا عند مؤلفه عبدالله بن محمد بن عامر الخراسيني النزوي.

مؤلف الكتاب :

هو عبدالله بن محمد بن عامر بن محمد بن خنبش الخراسيني النزوي، فهو ينسب الى خراسين، وهي محلة من مدينة نزوى.

لانجد في كتب التراجم أو السير العمانية مايشير من قريب أو من بعيد إلى هذا المؤلف، ولعله كان من غير المعروفين، كما تدل على ذلك بعض الاشارات في كتابه هذا، وكما يدل على ذلك اغفال المؤلفين له، الا ماذكره الشيخ السالمي في كتابه «تحفة الأعيان» لكتابه «فواكه العلوم» الذي أخذ عنه بعض المعلومات المتعلقة بدولة اليعاربة، ولكنه لم يتعرض لذكر المؤلف نفسه.

ومن هنا فان المعلومات التي سنقدمها هنا عن المؤلف هي حصيلة استنتاج واستنباط واستنطاق للأحداث وبعض الأخبار التي وجدناها في كتابه «فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم» فهي اذا تحتمل الصواب، كما تحتمل الخطأ ولكل مجتهد نصيب .

عاش الشيخ عبدالله في العهد الأول من دولة اليعاربة، وبالتحديد ابان حكم الامام الثاني لهذه الدولة الامام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي الذي تولى الامامة فور وفاة الامام ناصر بن مرشد سنة ١٠٥٠هـ وظل في الحكم حتى سنة ١٠٩٠ هـ على قول صاحب «تحفة الأعيان» ، فالمدة التي حكمها هذا الامام هي أربعون سنة .

ومن المؤكد أن العلامة الخراسيني عايش حكم هذا الامام من بدايته الى نهايته، كما تدل على ذلك نصوص كثيرة وردت في «فواكه العلوم»، ولكننا لانملك معلومات محددة عن سنة ميلاده، أيكون قد أدرك الامام سلطان بن

سيف وهو شاب في العشرين، أم كهل في الثلاثين، الذي لانشك فيه هو أنه لايمكن أن يكون أقل من ذلك، لأنه لايعقل أن يكلف بتاليف كتاب وهو أقل من العشرين، وقد حملنا على هذا التقدير افتقارنا إلى معلومات تحدد ذلك بالضبط.

ويبدو أن المؤلف لم يصل من الشهرة مايجعله مرموقا بين عُلماء عصره، ولاسيما في مرحلة عرفت بكثرة العلماء، وفي مكان اشتهر باقبال الناس فيه على العلم، فنزوى وضواحيها مثل إزكي، ومنح وماجاورها، عرفت في عهد اليعاربة نشاطا علميا منقطع النظير.

ونحن نورد هذا الرأي بكل تحفظ، فقد تكشف الأيام آثارا علمية أخرى تعرف بهذا العالم غير المشهور، ولكن عدم تعرض أصحاب التراجم والسير الى ذكره جعلنا نذهب إلى هذا الرأي، ثم إن المؤلف طالما أورد في كتابه مايشير إلى أن وضعيته الإجتماعية كانت متواضعة، فهل كانت هذه الوضعية مصاحبة له في بداية حياته العلمية، وهي الفترة التي ألف فيها «فواكه العلوم» ثم مالبث أن عرف بعدها ، الشهرة والمجد؟؟ لا ندري.

يقول في مقدمة «فواكه العلوم» محرضا إخوانه على الاقبال على كتابه : «الله الله إخواني ! ارغبوا في كتابي هذا، ولاتستصغروه من صغيركم، ولاتستحقروه من فقيركم، ولاتعرضوا عنه إعراض الشنآن، ولا تصاموا عنه تصامم الثملان، وأصلحوا ماكان فيه من الألحان، لأن صاحبكم قليل العلم كثير النسيان» (١) .

ومما يجعلنا في شك من احتمال خمول ذكره، وقلة علمه، واستصغار نفسه، مادلت عليه الكلمة الأخيرة في كتابه «فواكه العلوم» حيث نجد مايلي : «تاليف الشيخ الفقيه العالم العلامة عبدالله بن محمد بن عامر بن محمد بن خنبش النزوي رضيه الله».

حياته :

ذكر الخراسيني من دواعي تاليفه هذا الكتاب، إجابة دعوة الشيخ الوالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله) وبعد تقريظ طويل لهذا الوالي الذي ذكره كثيرا في كتابه، ونقل فيه أغلب ماجمعه

---

(١) فواكه العلوم ، الجزء الأول . (مخطوط) ص ١٤.

من فتاو، بل نكاد نقول إن المادة الأساسية للأجزاء الثلاثة من الكتاب، إنما هي أجوبة فقهيه، وعقدية راسل بها العُلماء والفقهاء الشيخ عامر بن محمد ابن مسعود، فيقول عن هذا السبب :

«وقد دعاني هو أن اؤلف هذا الكتاب، حتى سقاني راح الراحة والرأفة لتاليفه في دولة امام قد ركب صهوت الصبر، وجلب.....».

ثم يقول : «ان هذا الامام المذكور هو الامام المؤيد سلطان بن سيف بن مالك اليعربي أعزه الله ، ونصره على أعدائه» (٢).

فهو حين تاليفه «فواكه العلوم» كان يتكلم عن شيخه هذا ويترحم عليه مما يدل على أنه ابان تاليفه الكتاب كان قد انتقل الى رحمة الله، أجاءت استجابته لطلب بعد وفاته مباشرة أم بعد مدة، ليس بين أيدينا مانستطيع به أن نحدد الوقت الذي بدأ فيه تاليف كتابه هذا ، الا انه يبدو لنا ـ والله أعلم ـ أنه بدأ العمل أو على الأقل جمع مادته العلمية ابان حياته، لانه كان يذكره بالخير حيث يقول عنه : «انه كريم الطبع، خاضع القلب، محسن لاخوانه»، وانه وفر له الامكانات المادية ليتفرغ لتاليف كتابه .

ولكن السؤال الذي طرحناه في البداية وهو أجاءه التكليف بذلك فور تولي الامام سلطان بن سيف أم بعد فترة في حكمه مما يكون مناسبا مع سنه وعلمه وتجربته بحيث يغدو عندها شابا ناضج العقل ان لم يكن كهلا ؟

ولنا من مادة الكتاب مايعضد هذا الرأي إذ نجد ضمن فصوله ونقوله خطبة له في الجهاد تاييدا للامام سلطان بن سيف يقول في آخرها: «فتاجروا في الله اخواني يرزقكم الله فضلا وربحا لاينقطع أمده، ولا ينقضي عدده، ولايخلف سؤدده، وشدوا عضد امام قد جعله الله حجة للأنام، ومصباحا للظلام، براهين الخير فيه معلومة، ومعادن الضير منه معدومة، وهو الملك المالك البريء من المهالك، امام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك» (٣) .

ومن المؤكد مما جاء في «فواكه العلوم» أن المؤلف عاش مدة طويلة بعد وفاة الامام سلطان بن سيف، المتوفي سنة (١٠٩٠ هـ) أو (١٠٩١هـ).

دليل ذلك أنه كان حينما يتكلم عن الامام سلطان يترحم عليه ويدعو له بالرحمة والغفران، كما يدل على ذلك نقله عن جملة من العلماء كانوا من الطلاب الذين تخرجوا أو درسوا في حصن جبرين الذي بني في عهد بلعرب

(٢) فواكه العلوم ، الجزء الأول . (مخطوط) ص ٧.
(٣) فواكه العلوم ، ج ٣ .ت: د./ محمد صالح ناصر، و أ./ مهنى التيواجيني ، ص ٢٩٧.

ابن سلطان بن سيف ، الذي تولى الامامة بعد أبيه سنة ١٠٩٠ هـ أو ١٠٩١ هـ ، وكان من أبرز من درس بحصن جبرين الشيخ خلف بن سنان الغافري (٤) ، والشيخ محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان وغيرهما من العلماء، وهما ممن ورد ذكرهما كثيرا في كتابه هذا، وكان يعقل على اسميهما بدعاء الترحم عليهما، أيعني ذلك أنهما انتقلا إلى رحمة الله قبل المؤلف ؟ أم ان هذا من زيادات الناسخ ؟ نحن الى الرأي الثاني أميل .

ومهما يكن من أمر فان الأدلة كلها تشير الى أن المؤلف عبدالله بن محمد ابن عامر الخراسيني قد عمر طويلا، بناء على أن الخراسيني أدرك عهد الامام سلطان، المتوفي سنة ١٠٥٠ هـ ولابد أن يكون حينها شابا في العشرين أو الثلاثين، وهي السن التي تؤهله للتاليف كما سبق أن ذكرنا، ومعنى ذلك أن يكون ميلاده حوالي (١٠٣٠ هـ) أو (١٠٢٠ هـ) ووفاته كانت حوالي (١١٠١ هـ) أو (١١١٠ هـ)، فيكون قد عمر حوالي ثمانين أو تسعين سنة، والله أعلم بالحقيقة .

حياته العلمية :

لايوجد لدينا من أخبار المؤلف مانستطيع معه معرفة تفاصيل جزئية أو دقيقة عن نشأته العلمية، مكانها، ونوعها ، وتطورها، ولكن نستطيع أن نصل الى تصور عام عن ذلك من خلال استنطاق الحياة العلمية العامة في عصر الامام سلطان بن سيف، الذي اشتهر بقوته وعدالته، واشتهر عهده باستقراره ورخائه، وعرف بكثرة العلماء والفقهاء، كما تدل على ذلك الآثار العلمية التي ألفت في هذه المرحلة، ومن أشهرها «منهج الطالبين وبلوغ الراغبين» للعلامة الشيخ خميس بن سعيد بن مسعود الشقصي الرستاقي، الذي أدرك امامة سلطان بن سيف، ونقدر أن الخراسيني كان قد تشرف بالتتلمذ له لأن الشيخ كان مايزال حيا الى مابعد سنة ١٠٦٠ هـ يدل على ذلك ماجاء في «فواكه العلوم» من تقدير خاص لهذا الشيخ ، فالخراسيني حين يذكره يقول: «شيخنا وبركتنا، قاضي المسلمين (٥)»، ولكن من المؤكد أيضا أن الشيخ الشقصي يكون قد توفى حين ألف الخراسيني كتابه، لأنه عندما يورد ذكره يعقبه بالترحم عليه، وهذا يجعلنا نرجح أن الكتاب ألف مابين ١٠٦٠ هـ و ١٠٨٤ هـ

---

(٤) في تقريظ للشيخ الفقيه خلف بن سنان الغافري لفواكه العلوم ، يقول :
غدا مكملا تحبيره عام رابع *** الثمانين مع ألف ، مؤلفه الحبر

(٥) ينظر ، فواكه العلوم ، ج ٣ ، ص ٣٠١.

وقد وصف صاحب «كشف الغمة» الحياة العلمية والأمنية والفكرية ابان فترة حكم الامام سلطان بن سيف ، بقوله:

«قام بالعدل ، وشمر وجاهد في ذات الله وماقصر، ونصب الحرب لمن بقي من النصارى بمسكد، وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم، وفتحها له، ولم يزل يجاهدهم أين مايجدهم في بر وبحر، فاستفتح كثيرا من بلدانهم، وخرب كثيرا من مراكبهم، وغنم كثيرا من أموالهم، فقيل : انما بنى القلعة التي بنزوى من غنيمة الديو (موقع على ساحل الهند الغربي) وقد لبث في بنائها اثنتى عشرة سنة، وأحدث فلج البركة الذي بين أزكي ونزوى، وهو الى ازكي أقرب.

ووجد في زمنه كثير من الفقهاء ، وجمع مالا واعتمرت عمان من دولته وزهرت واستراحت الرعية في عصره، وشكرت، ورخصت الأسعار، وصلحت الأثمار، وكان متواضعا لرعيته، ولم يكن محتجبا عنهم، وكان يخرج في الطرق بغير عسكر، ويجلس مع الناس ويحدثهم، ويسلم على الكبير والصغير والحر والعبد، ولم يزل قائما مشمرا، رحمه الله وغفر له...» (٦).

هذا الجو الحضاري الأمني المتميز بالرخاء ، والأمان ، والعدالة، والقوة، عامل ولاشك قوي لازدهار العلم والمعرفة، وليس أدل على ذلك من أن «فواكه العلوم» باجزائه الثلاثة يكتظ بذكر العلماء الأجلاء المنسوبين في الأغلب الأعم الى نزوى وضواحيها، وما من شك في أن الخراسيني قد جلس اليهم واستفاد من معارفهم، وما من شك أيضا أن هذه الحركة العلمية هي التي أنتجت كثيرا من الآثار الفكرية بعضها وصل الينا وبعضها لم يصل وأغلبها مايزال طي المخطوطات الى أن يجد الهمم العالية التي تخرجه من الرفوف والأقبية والصناديق.

في هذه البيئة العلمية تعلم، واطلع على آثار أدبية ولغوية متنوعة، كما تدل على ذلك مصادر معرفته، فهو ينقل كثيرا عن الحريري، والمتنبي، والمعري، وابن دريد، والنابغة، وامرىء القيس، ولبيد، وعلي بن أبي طالب.

وشروحه اللغوية والأدبية تدل على تضلع راسخ في اللغة والأدب، والخراسيني كما يدل على ذلك كتابه، لم يبق منحصرا في اطار ما أباحته له الساحة العلمية في عمان، بل تعدى ذلك الى الاستفادة من الفكر الاباضي

(٦) كشف الغمة، ت: أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٦٦.

المغربي، فنقل كثيرا عن «قناطر الخيرات» للشيخ اسماعيل الجيطالي، ويبدو تاثره بهذا الكتاب بالذات واضحا، كما سنوضح ذلك حين التحدث عن منهجه في الكتاب، لقد عرفت نزوى نتيجة لهذا الاستقرار في ظل الحاكمين القويين ناصر بن مرشد، وسلطان بن سيف، نشاطا علميا واضحا معتمدا على آثار السلف الصالح، ومتفتحا على موارد جديدة من الثقافة العربية الاسلامية، وماكان ليكون غير ذلك في ظل امام عرف بالزهد، والعلم، والورع، والتقوى ، مثل الامام ناصر بن مرشد.

فكره :

يظهر لنا العلامة الخراسيني من خلال كتابه، فقيها واسع الاطلاع على مؤلفات المذهب متاصلا فيه عقيدة وفقها، كان فخورا بعقيدته، فهو لايتردد في التصريح بها، والرد على تاويلات المخالفين في تفسيرهم لبعض النصوص من القرآن والسنة .

ومن الملاحظ ما في فكر الخراسيني من تصديق بالأساطير ، والاسرائيليات التي أورد عددا غير قليل منها في كتابه، أما في سياق تفسير آية قرآنية، قصة داود عليه السلام (ج٢/٧٢)، وقصة سيدنا نوح وحكاية السفينة التي لم يلتزم فيها بما جاء في القرآن (ج٢/٣١٩)، وقصة سيدنا يوسف مع غلامي السجن (ج٢/٣٠٥)، ومعرفة أهل اليمن للزراعة (ج ٢/ ٣٤٠)، وقصة خلق آدم، وبداية الخليقة (ج١/١٥)، وغير ذلك كثير، فهو يوردها على أنها قصص وأحداث تاريخية واقعية، مما يوحي بان العقلية السائدة في زمنه تراثية مغرقه في التراثية، تنظر الى كتابات الأقدمين بشيء من القداسة التي ترتفع عن النقد والتمحيص، ومن شان هذا أن يجعل الكاتب أو المؤلف مجرد راو لايميز أحيانا بين الغث والسمين، انطلاقا من هذا المفهوم للتراث، ولاشك أن الخراسيني ليس مسؤولا عن ذلك، فهو ابن زمنه وبيئته، يتاثر بما حوله سلبا وايجابا، فقد قل في عصور الجمود العلماء الذين يملكون جرأة النقد، وعرض كل الأفكار على محك العقل مهما يكن مصدرها، باستثناء القرآن والسنة.

وماكان الفكر الاباضي كذلك في عهوده الأولى، ولاسيما في عهد المؤسسين الأوائل الذين كانوا ينكرون انكارا تاما الخرافة والأسطورة، ولعل ذلك من تاثير ماوقع عن توقف للنشاط الفكري في عهد النباهنة، عند اضطراب

الأحوال الاجتماعية والسياسية في عمان.

والحق ان الخراسيني كان في كتابه كله مثالا للعالم المتواضع الذي لايدعي ولايغتر، فهو لايتردد أن ينصح القاريء بان لاياخذ من كلامه الا ماكان موافقا للحق، وهو عندما يشك في نسبة الصواب في رأي ما، وعندما لايطمئن الى اجتهاده فيه، يقول دون تردد أو مواربة: «وهذا مني على الظن لا على التحقيق ، فان كان موافقا، والا فجزى الله خيرا من ينكره علي، ويصلحه لاني ضعيف البصيرة».

هذا التواضع خصيصة تلازم الأمانة العلمية التي اتصف بها، فهو كان دائم الاحالة الى مصادر معرفته شفوية كانت، أم كتابية، يذكر اسم الكتاب والمؤلف، أو يذكر الراوي والمحدث، وإذا نقل حديثا دون سند، قال انما رويته بالمعنى، لا باللفظ، وكثيرا ما فعل ذلك .

ان هذه الخصائص تقدم انطباعا عن أخلاق الرجل وفكره ومستواه العلمي الذي بلغ فيه شانا رفيعا ولاشك.

آثاره العلمية :

لا نعرف الشيء الكثير عن عطاء العلامة الخراسيني الفكري غير هذا المؤلف الضخم الذي بين أيدينا، ولكننا نلحظ الى أن ثمة اشارات في مؤلفه الى أن له مشاريع علمية أخرى، فقد تحدث عن نيته في تاليف كتاب عن علماء عمان، وكتابا في علم الأسرار، وكتابا عن كرامات الشيخ سليمان بن محمد؟(٧). كما عثرنا على مخطوطة له بعنوان (منثورة الأشياخ) ولكنها غير تامة .

وقد ذكر الشيخ السالمي في «تحفة الأعيان» أن للعلامة الخراسيني كتابا اختصر فيه «المصنف» هذه الموسوعة الجامعة للعلوم الشرعية، وقد ألفه العلامة أبو بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي، من علماء نزوى في القرن السادس الهجري، وقد نشرته وزارة التراث القومي والثقافة في واحد وأربعين مجلدا، ومن المؤسف اننا لانعرف شيئا عن مصير هذا المختصر، فقد كان بالامكان أن يضيء لنا ماغمض في هذا الجانب، ويمكن أن يسهم في معرفة تفاصيل أخرى عن علم الخراسيني وفكره وعصره، ولعل هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الخراسيني ـ ان وجدت ـ ستصوب أو تخطيء كثيرا من النتائج

(٧) لا ندري أأنجز هذه الأعمال أم لا؟ والبحث رهين بالاجابة في المستقبل عن ذلك، ولاندري من يقصد بسليمان بن محمد، ولعله سليمان بن محمد بن مداد بن عبدالله ، من أفاضل العلماء في عصر المؤلف . (انظر ملحق التراجم).

التي توصلنا اليها من هذه الدراسة، اذ من الحيف أن نقيم فكره وعلمه من خلال كتاب واحد لم يكن له فيه من عمل سوى الجمع والتعليق، ذلك أن الدراسة الموضوعية تحتم علينا أن نساير الرجل في تدرجه العلمي حتى تكون الدراسة أقرب الى الانصاف والتقييم الصحيح.

على أننا نقول ماكان للخراسيني أن يقدم على تلخيص «المصنف» أو يتطلع الى التاريخ لعلماء عمان لو لم يكن يملك القدرة على ذلك، فاختصار الكتب ولاسيما المطولات ليس بالأمر الهين، والتاريخ للأشخاص والأحداث واستخراج العبر من كل ذلك لايملكه كل مؤلف.

ولا نشك في أن البحث والدراسة ستكشف عن نتائج أخرى بحول الله، فقد ياتي من الباحثين من يتعمق عمل الخراسيني في «فواكه العلوم» ويتوصل الى نتائج اضافية اخرى .

الكتاب

دواعي التأليف :

جاء في مقدمة الجزء الأول من كتاب «فواكه العلوم» أن السبب الذي دعى الخراسيني لتاليف هذا الكتاب الضخم دعوة من لايستطيع له ردا، وهو الشيخ الوالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري النزوى، وقد كان هذا الوالي أحد العلماء المرموقين الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري وبالتحديد في عهد الامام سلطان بن سيف بن مالك، الامام الثاني لدولة اليعاربة، وهذا العالم من أهل محلة سعال بمدينة نزوى، واليها ينسب، وفيها نشا وتهيا للمشاركة في مجريات الأحداث السياسية والفكرية تحت حكم اليعاربة، فكان واليا على بعض النواحي، وذكر من عماله راشد بن عمر، ولعله تولى ولاية طيوي وماحولها، حسب ماجاء في «فواكه البستان».

وقد عاصر الشيخ عامر جملة من علماء عصره ومشاهير رجاله، وكان أكثر ارتباطا بالعلامة محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان، أحد علماء نزوى، فقد كانا يتناظران، ويتحاوران، ويتراسلان حول القضايا المتعلقة بشؤون المجتمع، ومسائل القضاء، وادارة الولاية التي أسندت اليه (٨).

والواقع ان الخراسيني يبدو معجبا شديد الاعجاب، بل كثير التقدير والاحترام لهذا الوالي الذي كان السبب لتاليف هذا الكتاب ، حيث يقول :

(٨) ينظر فواكه العلوم، الجزء الثاني ، ص ٤٤٩.

«ان الوالي (رحمه الله) امرني أن أؤلف هذا الكتاب من جوابات الأشياخ (رحمهم الله) ».

وهذه الجوابات أو المراسلات بين الأشياخ كانت من الكثرة والفائدة، أن دفعت الوالي ليحرص على جمعها في كتاب، ويبدو أنها كانت متفرقة هنا وهناك، متناثرة في نواحي متعددة من عمان، كما صرح بذلك في المقدمة (٩).

ويبدو أيضا من خلال المقدمة أن هذا الوالي قد وفر الامكانات المادية التي تسمح له ليتفرغ الى التاليف كما يقول : «الله الله في قراءة كتابي هذا لاني طال، والله ماأصبحت أسيم على تصنيفه ضوامر الضمير، لفواكه الفكر ... اني أتعبت نفسي في تصنيف هذا الكتاب، وتاليفه في خلوة من الناس متحذرا عن حسد أهل هذا الزمان (١٠).

ولعله صادف عراقيل من بعض الناس حسدوه على الثقة التي حازها من الإمام الذي ارتضيه ليقوم بمهمة تاليف هذا العمل الضخم، حيث يدعو الله أن يسكن غليان غلهم بزمهرير مقة الإمام والاسلام .

وقد كرر المؤلف في المقدمة أن هذا التشريف الذي حصل عليه منة من الله وفضل منه لأنه ليس من أهل التصنيف والتاليف، ولا ندري أكان هذا تواضعا من المؤلف أم أن ذلك حق وصدق، اذ يغدو هذا العمل التاليفي عمله الوحيد أو على الأقل تجربته البكر في هذا الميدان، يقول :

«الحمد لله على ماوهب لي من ذهب أفضل المذاهب، وأقعدني على درجة أبلغ المراتب، أي أعطاني ورزقني من خالف الأديان مذهبا محبوبيا اباضيا، وهبيا محمديا، حنيفيا، وأقعدني في خدمة امام المسلمين (رحمه الله) وأنا لست من أهل التصنيف والتاليف(١١).

الى جانب ماذكره من تلبية دعوة الشيخ الوالي عامر بن محمد، فان هناك دوافع ذاتية ولاشك تقف وراء تحمل كل هذه المشقة، من ذلك رغبته في المحافظة على هذا التراث العلمي من فكر العلماء، وفتاويهم، ومراسلاتهم من الضياع، ومنها أيضا تطلعه الى مجادلة من يدعون العلم ويجادلون في آيات الله بغير سلطان «فمع قلة علمي لابد لي أن أقول الحق لأجادل الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان» كما يقول(١٢).

---

(٩) يراجع المخطوطة ، الجزء الأول ، ص ٩ .
(١٠) ينظر فواكه العلوم ، الجزء الأول (مخطوط) ، ص ١٠ ـ ١٣ .
(١١) ينظر فواكه العلوم ، الجزء الأول ، (مخطوط) ، ص ١٠ ـ ١٣ .
(١٢) ينظر فواكه العلوم ، الجزء الأول .

المنهج والأسلوب :

يقول المؤلف في بداية الجزء الأول عن منهجه :

«أما بعد : ولما أن وجدت هذه المسائل متفرقة ورقة ورقة، وهي من املاء اشياخنا (رحمهم الله) فيها أحكام وأديان، فاسرعت الى جمعها خوفا أن تذهب هباء، وأسست كل باب لشيء من الكلام ليكون فتحا له وقوة لسلوك قارئه، وأتيت فيه من الآيات الواضحات، والتفاسير الموضحات والمقاري البينات ، والأخبار المعجبات، والمسائل الشرعيات من غير جوابات الأشياخ من الصرف والنحو والأمثال العربية، وشيئا من الطب، ومقاري القرآن وتفسيره، من أجل ذلك سميته «فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم»، ليتفكه قارؤه من كل فن من العلم، ويرعى من كل يانع، ويذوق من فواكهه كل طعم، وماأردت بذلك الا تنشيطا لقارئه، وطربا لسالكه، فالواجب على القاريء أن يقرأه كله، ولايقرأ شيئا دون شيء لأنه في الحديث : «خذوا من كل شيء أحسنه».

ونحن حين النظر في الكتاب بأجزائه الثلاثة نلحظ أنه مقسم أساسا الى مايسميه «منثورات»، كل منثورة تحتوي على باب معين من أبواب العقيدة أو الفقه أو ماأشبه.

احتوى الجزء الأول على اثنتي عشرة منثورة وهي على التوالي :

* المنثورة الأولى في خلق آدم عليه السلام ..... ص ٢٥.
* المنثورة الثانية في طلب العلم وشيء من كلام العرب ، وتفسير القرآن ... ص ٥٧.
* المنثورة الثالثة في التوحيد ومايجوز من ذلك وما لايجوز ... ص ٨٣.
* المنثورة الرابعة في الولاية والبراءة وغير ذلك ... ص ١٤٨.
* المنثورة الخامسة في الزهد وشيء من الأخبار العربية، والحجج الذكية .... ص ٢٤٣.
* المنثورة السادسة في الطهارة والغسل من الجنابة، وفي الوضوء وما يجوز من ذلك .... ص ٣٢٤.
* المنثورة السابعة في الصلاة وأحكامها ، وتفسير آيات القرآن، والكلام

العربي والأخبار، وغير ذلك .... ص ٣٥١.

* المنثورة الثامنة في الصلاة على الموتى وتكفينهم ومواراتهم .... ص ٤٥٤.
* المنثورة التاسعة في الآذان والخطب وغيره من الأخبار والتفاسير القرآنية .... ص ٤٦٥.
* المنثورة العاشرة في الزكاة وغيرها ومايجوز من ذلك ومالايجوز .... ص ٥١٥.
* المنثورة الحادية عشرة في الصوم ، ومايجوز من ذلك ومالايجوز .... ص ٥٨٦.
* المنثورة الثانية عشرة في الحج وغيره، ومالايجوز من ذلك .... ص ٦٢٣.

واحتوى الجزء الثاني على خمس ، وهي التالية :

* المنثورة الرابعة عشرة في الدعاوي والأحكام وغير ذلك مما يجوز ص٧٠.
* المنثورة الخامسة عشرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الكلام العربي ..... ص ١٣٢.
* المنثورة السادسة عشرة في البيوعات والرهن وغير ذلك من الأمثال العربية .... ص ١٨٥.
* المنثورة السابعة عشرة في أحكام الرموم، والأيتام، والعمارات، والطرق، والمشاركة في العمارة، والاجارات، وغير ذلك من الكلام العربي .... ص ٢٧٩.
* المنثورة الثامنة عشرة في الاجارات والمزارعة وغير ذلك من الكلام العربي .... ص ٣٣٥.

ويحتوي الجزء الثالث على مايلي :

* المنثورة التاسعة عشرة في النكاح ومايجوز منه ومالايجوز وفي تزويج الأحرار والمماليك وقضاء الصدقات ومعاشرة الأزواج وأحكام الغائب والمفقود .... ص ٧.
* المنثورة العشرون في الطلاق والظهار والايلاء ومايجوز من ذلك وما لايجوز .... ص ٨١.

* المنثورة الحادية والعشرون في صفة المواريث .... ص ١٤٩.
* المنثورة الثانية والعشرون في الوصايا وغير ذلك .... ص ٢١٥.
* المنثورة الثالثة والعشرون في أحكام الامامة والولاه ... ص ٢٦١.
* كتاب الحدود الأكيده والقوانين السديدة للمملكة السعيدة والسلطنة الرشيدة المبنية قواعدها على نصوص الشريعة .... ص ٣٣٣.
* المنثورة الرابعة والعشرون في الحدود والقصاص وغير ذلك من الكلام العربي .... ص ٣٥٣.

والواقع أن النسخة التي بين أيدينا وهي الوحيدة فيما نعلم لا تشتمل على عناوين المنثورات، اذ كثيرا ماتبدأ المنثورة بموضوع الباب دون عنوان، فقد بدأ موضوع الصوم مباشرة بعد البسملة هكذا : «الحمدلله الذي جعل الصوم جنة من العذاب».

أما الطريقة التي يعرض بها مادته العلمية فهي كالتالي :

يعنون للمنثورة ملاحظا أن يشمل العنوان أغلب محاورها الأساسية، ثم يبسمل ويستعين بالله ويحمده، ثم يتخلص تخلصا سليما وبأسلوب أدبي الى الموضوع، وينصرف بعد التوطئه والتقديم لمنثورته، وبيان أهمية ما سيتوسع فيه، منطلقا من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة التي ينتقيها انتقاء سليما حتى تتماشى مع موضوعه، ولكن هذا الانتقاء ليس معناه التحري الدقيق في اختيار الأحاديث الصحيحة اذ كثيرا مانلحظ حشده لأحاديث ضعيفة تشيع فيها الاسرائيليات أحيانا، وقد يؤيد موضوعه أو يوشحه باخبار وقصص بعضها مقبول عقليا، وبعضها أسطوري خيالي لا يتقبلها العقل السليم، وقد يعكس هذا ماشاع في عصور الانحطاط من سذاجة فكرية وتسليم بالمأثور في الكتب القديمة دون تمحيص أو نقد.

وهو يعمد الى الفصل بين جزئيات الموضوع الواحد بكلمة «فصل» يميز بها بين المسائل المتقاربة، التي تمثل كل مجموعة منها فقرة أو جزئية تختلف طولا وقصرا على غير أساس موضوعي، وانما هو الخضوع للاستطراد والاطناب والتفريع، مما يجعله يضطر في أحيان كثيرة الى القول: «وهناك أخبار أخرى أو روايات أخرى تركتها خوف الاطالة»، أو يقول: «تركت تفسيره لئلا يطول الكتاب»، أو يقول: «تركت بقية الرواية لضيق القرطاس»، وما أشبه هذه العبارات التي يكتظ بها الكتاب.

وهذه الطريقة تدل على أن المؤلف قد ينساق وراء جزئية معينة بالشرح، أو بالتفصيل، أو الاستدلال، أو الاستشهاد، ناسيا أحيانا جوهر الموضوع أو أساس القضية التي هي في صدد شرحها، ثم يتفطن وقد جمح به القلم ، وغاص به الفكر، وتفرع التدليل والتاويل، فيورد أمثال تلك العبارة لتكون ملخصا للرجوع الى الموضوع الأساسي للمنثورة.

وقد يستطرد المؤلف في شرحه بايراد بيت من الشعر يستشهد به دليلا على قاعدة نحوية أو صرفية أو بلاغية، أو تفسيراً لمفردة لغوية ثم ينطلق من التعليق على هذا البيت نفسه الى شرح آخر متفرع، حتى أن القاريء ينسى أحيانا الموضوع الأصلي الذي من أجله ساق الاستشهاد.

والواقع أن هذا الأسلوب قد يكون متعمدا من المؤلف لينفي السام والملل من نفس القاريء الذي قد يصيبه شيء من ذلك مع هذه الموضوعات الجادة ذات الطبيعة الصارمة، «ليتفكه قارئه من كل فن من العلم، ويرعى من كل يانع ويذوق من فواكه كل طعم، ومااردت بذلك الا تنشيطا لقارئه، وطربا لسالكه (١٣)..»

ولم يكن هذا الأسلوب بدعا في أساليب التاليف، بل هو منهج معروف عند المؤلفين العرب القدامى، وأفضل من عرف به من بينهم الجاحظ.

ثم يواصل عرض المادة العلمية للكتاب في اطار سؤال وجواب، وهي المادة الأساسية كما ذكرنا، بل كما ذكر ذلك بنفسه في المقدمة، وهو يذكر في جل الحالات اسم السائل والمسؤول، وأغلبهم من علماء عصره، أو عاشوا مابين القرن التاسع والثاني عشر الهجريين.

وطريقته في ذلك أن يورد السؤال ثم الجواب على النحو التالي :

ومن جواب الشيخ (فلان) (رحمه الله) الى الشيخ (فلان) أو الوالي (فلان)، ثم يورد نص السؤال كما هو مذكور في تلك الرسالة أو ذلك الجواب دون تدخل فيما يبدو، لأن أسلوب الرسائل يختلف قوة وضعفا، مما يدل على أن المؤلف لايتدخل في تحوير أو تعديل كلماتها.

واذا تكررت الرسائل في الموضوع ذاته بين السائل والمسؤول عينهما، اكتفى بعبارة : «ومنه اليه (رحمهما الله) تفاديا لتكرار أسمهما مرة أخرى، لكن اذا تغاير السائل والمسؤول ذكرهما باسميهما.

الا انه أحيانا لايذكر السائل بتاتا، ويكتفي بذكر صاحب الجواب أو

(١٣) الجزء الأول ، ص ٧ ، (مخطوط).

الفتوى.

وقد يكتفي بذكر السائل ، ويسكت عن المجيب .

ويبدأ الفصل أحيانا بقوله : قلت له : ثم يورد نص السؤال، ويبدأ الجواب بكلمة «قال»، أيعني هذا أن النص ورد على هذا النحو في تلك الرسائل التي جمعها، أم ان المؤلف هو الذي قام بالسؤال فتلقى الجواب مباشرة عن طريق المقابلة والحوار بينه وبين مستفتيه من العلماء والمشايخ.

والأمثلة الواردة عن طريق المراسلة قد تكون أحيانا غامضة مما يجعل المسؤول عاجزا عن فهم المراد، فيحاول أن يفترض المقصود، ثم يجيب على أساس فهمه للسؤال.

ان اعتماد التاليف أساسا على أجوبة المشايخ في المسائل الفقهية غالبا لايعني أن المؤلف ليس له من دور في الكتاب سوى النقل والتنسيق كما قد توهم بذلك مقدمته، كلا فان المؤلف والحق يقال قد بذل مجهودا معتبرا في التحليل والشرح، وشخصيته العلمية بدت واضحة من خلال تلك الشروح التي تدل دلالة قاطعة على مستواه المعرفي المرموق، ولايغرن القاريء ماجاء في تضاعيف كتابه من حين الى آخر من اعتذار بقلة العلم وعدم المعرفة وكثرة النسيان، فتلك طبيعة معروفة لدى العلماء العمانيين، يعرف عنهم تواضعهم الشديد الذي يصل أحيانا غمط الحق، وقد يصدقهم من لايعرف تلك الطبيعة فيهم.

ومجهود المؤلف يتجلى بصفة خاصة في مقدماته الرصينة لكل منثورة ببيان أهمية الموضوع ، ومحاولة عرض جزئياته عرضا يوضح ماغمض فيه للقاريء العادي، وهو يتدخل من حين إلى آخر بالشرح اللغوي، والتعليق بالتخطئة والتصويب عندما يرى ضرورة ذلك، وقد يقف مطولا عند مسالة تتعلق بالنحو أو الصرف أو القراءة أو العقيدة ويستعين في ابداء رأيه بما اطلع عليه من تفاسير، وأحاديث ، وقد يؤيد رأيه بحادثة أو واقعة تاريخية، وهو لايترك الفرصة تفلت من يديه عندما تتعلق المسالة موضع الشرح بالعقيدة مبينا رأي المذهب الاباضي فيها موضحا مافي الرأي الآخر من وهم أو خطا، ولكن ذلك يتم عنده أبدا بادب جم وأسلوب علمي موضوعي.

غير أن المؤلف قد ينساق أحيانا وراء الاسرائيليات في سياق استدلاله بآية قرآنية أو شرح حديث نبوي شريف، كما فعل ذلك في منثورة الأحكام

والدعاوي (١٤) ، حيث ذكر ماجاء في القرآن الكريم في شان سيدنا داود عليه السلام وقضائه بين المتنازعين، فاستطرد متحدثا، وجاء بقصة وقوعه في حب امرأة بارعة الجمال كانت زوجة لأحد الجنود، فيورد ماكان من أحداث القصة التي نسجها خيال القصاص وعقليتهم الأسطورية .

ويستطيع القاريء الكريم أن يتبين موقفه هذا من خلال ماجاء في الجزء الأول حين تحدث عن خلق آدم، فاورد أساطير عجيبة غريبة، هي من رواسب الفكر المسلم بالاسرائيليات، المنبهر باخبار القصاص وخرافاتهم.

ولسنا نلوم المؤلف على ذلك اطلاقا، فهو يصور مرحلة من مراحل الفكر العربي والاسلامي كان الناس فيها يصدقون ـ لطيبة أنفسهم ـ بكل ما يسمعون، وينبهرون ـ لقلة تجاربهم، وضيق أفقهم ـ بكل مايتناقلون، وليس عجيبا أن يقع الخراسيني في هذا المحذور، وقد وقع قبله علماء فطاحل من أمثال الطبري، وابن هشام، وابن اسحاق، وابن الأثير، وغيرهم ....

على أن ذلك لايعني ضعف شخصية المؤلف، وعدم تمحيصه للأخبار والروايات تلك، فان شخصية المؤلف واضحة جلية، ولاسيما من خلال بعض المنثورات التي تسمح له موضوعاتها بابداء الرأي والتعقيب، والاتيان بالأمثال والحكم، وقد وضح هذا الاتجاه منه في المنثورة الثانية التي يحث فيها على طلب العلم وفضله ويتوهج اسلوبه بالحرارة والصدق، والايمان حين يكون الموضوع متعلقا بالعقيدة أو الوطن من ذلك خطبته في الجهاد ودعوته الى تاييد الامام سلطان بن سيف، ومن ذلك أيضا «كتاب الحدود الأكيدة، والقوانين السديدة للمملكة السعيدة، والسلطنة الرشيدة (١٥)».

ولعل أطول فصل من تاليف صاحب الكتاب كله، هو ماكتبه في آخر المنثورة التاسعة عشرة (١٦)، حيث تعرض لظاهرة اجتماعية جديدة وآفة سلوكية خطيرة، وهي التدخين، اذ من المعلوم أن العلماء اختلفوا في حكمها مابين من اعتبره منكرا من المناكر المحرمة، وبهذا الرأي يأخذ الاباضية، ومن اعتبره من المباحات المسكوت في حكمها، على أن أغلب العلماء والفقهاء المعاصرين رجعوا الى قول الاباضية بعد أن أكد العلم والطب الحديث صواب نظرتهم.

---

(١٤) يراجع الجزء الثاني من فواكه العلوم .
(١٥) ينظر الجزء الثالث من فواكه العلوم .
(١٦) يراجع الجزء الثاني ، ص ١٦٥ .

وقد أشار المؤلف الى أنها من القضايا الواردة على عمان، وانها كانت موضوع نقاش في بلاد فارس، وهو يشير الى التدخين بكل أنواعه كما يذكرها (التتن ، الرشية ، التمباك، البنج، الأفيون) وبما أن هذه الظاهرة جديدة في المجتمع فانه رغب في ان يطلع الناس عليها ويعرفوا حكم الشرع فيها، فنوقشت واختلفت الآراء في شانها بين مبيح ومحرم، وكان صاحب الكتاب من الذين يرون التحريم أولى وأسلم، وانها من المناكر التي يجب أن تحارب، وقد بذل مافي وسعه للاتيان بالأدلة الشرعية عقلية ونقلية، ليدلل على صحة رأيه وبطلان رأي المبيحين، ولم يترك دليلا يفيد التحريم صراحة أو ضمنا الا أتى به ، وقد أوقعه هذا الحرص في الاتيان بأحاديث ضعيفة، دون أن يحاول نقد شيء منها، ولعلنا نلتمس العذر للمؤلف في أن حرصه على مقاومة هذه الآفة هو الذي دفعه الى الحماسة دون أن يرى وجوب نقد النصوص (١٧).

وبما أن الكتاب يعتمد في الأساس الرسائل التي يتوجه بها المستفتون الى المشايخ، فانه كان حريصا على ايرادها كما عثر عليها دون أن يتدخل في صيغتها ، فجاءت في الأغلب الأعم ضعيفة الأسلوب، واهية التركيب، تشيع في مطاويها المفردات المحلية العمانية، فتجاوزت في كثير من الأحيان التركيبة اللغوية العربية السليمة، من حيث التقديم والتاخير، وعدم مطابقة الفعل لفاعله، وغير ذلك .

وكل من قرأ الكتاب سيصدم بهذه الظاهرة التي قد تبدو لمن لايتانى ويتفحص أنها من أسلوب المؤلف، وهي في الحقيقة ليست كذلك، لأن المؤلف انما نقل ماجاء في تلك الرسائل بكل أمانة وصدق، وهو معذور، ولهذا السبب فان القاريء الحديث ولاسيما ان كان غير عماني يحتاج الى قاموس لغوي عماني، يشرح له تلك المفردات العمانية، وقد حاولنا جهدنا أن نشرح الكثير منها في الهوامش، الا ماخفي علينا أو لم نتوصل الى فهم معناه.

ولانشك اطلاقا في مقدرة الكاتب وتضلعه في اللغة العربية ، بحيث يغدو أسلوبه أحيانا وعرا لاينقاد الا بالرجوع الى القواميس اللغوية، وقد وضح ذلك عنده في ديباجة الكتاب، ولعل المؤلف بحكم اعجابه الكبير بالحريري، وكثرة نقوله عنه تاثر بهذا الأسلوب الذي عرف به الحريري الذي كان يرمي في مقاماته الى اظهار المقدرة اللغوية، والبراعة اللفظية.

وبحكم التصور للأسلوب العربي في تلك الظروف فان المؤلف يمكن ان

(١٧) المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ومابعدها.

يدرج ضمن المدرسة البديعية التي تعني كثيرا بالمحسنات البديعية، وأظهر مايدل على هذا الاقتناع البياني، اعتماده في مقدماته على السجع، والالتزام بالترادف الصوتي، وتوشية الكلام بالجناس، والطباق، والتورية ومأشبه.

وقد دفعه الاعجاب بهذه الأساليب التي انتشرت وذاعت في عصور الانحطاط الأدبي والفكري ، بان ياتي ببعض هذه النماذج، فنشر خطبة خالية من الحروف المعجمة كلها من بدايتها الى نهايتها (١٨) .

ويقدم خطبة خالية من الحروف الشفوية لمن ابتلى بشقوق الشفة (١٩).

كما يقدم خطبة لمن تالم بحلقه، خالية من حروف الحلق (٢٠).

وأخرى منزوعة الألف والمد (٢١).

وهذا الجهد العظيم إن دل على شيء فانما يدل على التضلع الفائق في أعماق اللغة العربية، وامتلاك رصيد ضخم من ألفاظها وكلماتها، كما تدل أيضا على أعنات، ونصب وتكليف لا مبرر له، ويبقى كل ذلك صورة من صور الفكر والثقافة في تلك الفترة .

مصادره العلمية :

المصادر التي اعتمدها الخراسيني في تاليف «فواكه العلوم» متنوعة متعددة فهي مصادر كتابية، وأخرى شفوية، والكتابية مثل الرسائل، والكتب، والوثائق، والخطب، والوصايا، ومنها المؤلفات القديمة والمعاصرة له.

فقد ذكرمن بين مصادره كما ذكرنا ذلك سابقا روايات ونقولا عن مشايخ عاصر أكثرهم أو عاصر من عاصرهم، وأغلبها فتاوي وأحكام، ومراسلات بين المشايخ أنفسهم أو بين المشايخ ومن يطلب منهم الفتوى من عامة الناس .

ومن أهم مصادره مراسلات قيمة بين الاباضية المشارقة واخوانهم المغاربة، وأهمها رسائل الامام ناصر بن مرشد الى الاباضية المغاربة ردا على رسائلهم التي وردت منهم (٢٢) .

---

(١٨) الجزء الأول ، المخطوط ، ص ١٦٨ .

(١٩) م س ، ص ١٦١ .

(٢٠) م س ، ص ٣٦٣ .

(٢١) م س ، ص ٣٦٥ .

(٢٢) منها رسالة كتبها الشيخ خميس الشقصي باذن الامام ناصر بن مرشد وأخرى كتبها الشيخ الفقيه محمد بن أحمد الخراسيني النزوي بأمر من الامام ناصر بن مرشد . ينظر الجزء الأول (مخطوط) ص ١٢٤، وفي هذا الجزء رسائل أخرى هامة توضح العلاقة المتينة بين المغاربة والمشارقة، كما توضح اهتماماتهم ومشاغلهم الفكرية والعقدية والحضارية بصفة عامة.

وتوجد من ضمن وثائقه فتاوي الامام ناصر بن مرشد وفتاوي مشايخ عصره، ورسالة الامام ناصر بن مرشد الى ولده سلطان بن سيف، وهي في غاية الأهمية، ورسالة الامام الى ولاته (٢٣) ، ويأتي على رأس مصادره العلمية كتاب الله العزيز الذي يبدو من كثرة استشهاده به، حفظه الجيد له، واطلاعه على تفسيره.

أما الكتب التي اعتمدها فهي كثيرة نذكر من بينها «جامع ابن بركة» (ق٤) الذي ينقل عنه كثيرا، و«جامع ابن جعفر» (ق٣)، و«بيان الشرع» وكتاب «الضياء» ، و«المصنف» ، و«خزانة الأخيار»، ، و«منهج الطالبين» للشيخ الشقصي، ويبدو أنه كان من مشايخه، ومن كتب الاباضية المغاربة «قناطر الخيرات» للشيخ اسماعيل الجيطالي، و«عقيدة التوحيد» لعمرو بن جميع.

ويبدو لي أن الخراسيني قد تأثر الى أبعد حدود التأثر بـ «قناطر الخيرات»، فنراه ينقل عنه كثيرا، وأحيانا يكون النقل فصولا كامله، كما فعل ذلك في منثورة العلم بالجزء الأول .

ولانستبعد أن يكون منهج الكتاب المقسم الى «منثورات» منهج ماخوذ عن الجيطالي في كتابه «قناطر الخيرات» حيث قسم كتابه الى قناطر، قنطرة العلم، قنطرة الصلاة، قنطرة الصوم، قنطرة الحج، وغير ذلك، وهو حين يتحدث عن الجيطالي ، يتحدث عنه باعجاب كبير.

ولم يكتف المؤلف بمصادر الفقه والعقيدة والتفسير والحديث وحدها، بل نجده كثير النقل عن مصادر اللغة والأدب، فقد ذكر من مصادره الخليل ابن أحمد الفراهيدي، وابن دريد، ولا سيما في مقصورته التي طالما استشهد بها، وأورد من شعر الحريري الشيء الكثير، كما نقل عن المتنبي، والمعري، وغيرهما من الشعراء المرموقين.

كما كان يستشهد بشعر المعاصرين له مثل : سعيد بن غانم بن سرحان، وأحمد بن النضر، اللذين يستشهد كثيرا بشعرهما.

ولايستنكف أن ياخذ المعرفة من كتب التصوف والرقائق من غير المذهب الأباضي، فكان كثير الاستشهاد بحجة الاسلام الغزالي، وذكر من كتب السنة، الموطأ، والترمذي، والنسائي، والبخاري، ومجمع الزوائد للهيثمي، مما يدل على تنوع ثقافة المؤلف، وسعة أفقه المعرفي، وتفتح فكره على فكر غيره، ولو

(٢٣) المصدر السابق ، ص ١٦٧.

ممن يفترض فيهم الخلاف.

والى جانب المصادر الكتابية نجد مصادر شفوية وأغلبهم من علماء وفقهاء عصره، حيث يجلس اليهم ويستفتيهم، من هؤلاء مشايخ في الفقه، واللغة، والتاريخ، وغير ذلك، كما كان ينقل كثيرا من المعلومات الطبية عن من يسميه الشيخ الرضي الطبيب علي بن عامر العقري، ولذا يعتبر الكتاب مصدرا هاما في التداوي بالأعشاب، ونرى المؤلف يهتبل الفرص ليحدث قراءه عما استفاده من أصحاب العلم والتجربة في هذا الميدان .

ولعل من المفيد هنا أن نذكر أهم العلماء الذين اعتمدهم في مادة كتابه، ولاسيما في الجانب الفقهي الذي هو الأساس الذي من أجله بني الكتاب :

١) عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي .
٢) محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي .
٣) صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني المعولي النزوي .
٤) الامام ناصر بن مرشد (مؤسس دولة اليعاربة).
٥) خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي.
٦) سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي.

هؤلاء هم العلماء المعاصرون للمؤلف الذي استفاد من علمهم وفتاويهم في مادة الكتاب.

وصف المخطوطة :

بعد البحث الطويل ، والاستقصاء في التحري بالمكتبات العامة والخاصة لم نعثر من هذا المؤلف الا على نسخة وحيدة تقع في ثلاثة مجلدات، وهي النسخة الوحيدة التي يملكها معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي، وقد كان حريصا على العثور على نسخ أخرى للمقارنة والضبط ونقد النص، ولكن دون جدوى، مما أضطر معه الى اعتماد هذه النسخة الفريدة أساسا للتحقيق وعليها المعول.

يقع المجلد الأول في (٥٣٦) صفحة من القطع الكبير، تحتوي كل صفحة على خمسة وعشرين سطرا في الأغلب الأعم، نسخت بخط النسخ العماني الجميل، وعلى الرغم من جمال الخط الا أنه متداخل يصعب فهمه أحيانا، مما أضطررنا معه الى الاجتهاد في فك بعض غوامضه ومبهماته، وبعض الكلمات تخلو من الاعجام تمام وهو ماجعل فهم النص صعبا في حالات كثيرة، ففتح

بابا واسعا للاجتهاد ، وقد أضطررنا وحالة المخطوطة بهذا الوضع أن نعيد نسخها كلها بخط مقروء يسهل على المحققين والطابعين عملهم، وقد أخذت عملية النسخ هذه وقتا طويلا لصعوبة قراءة النص قراءة سليمة.

ولم نعثر على بداية المخطوط، فالنسخة الوحيدة التي بين أيدينا مخرومة من أولها ، ولم نستطيع أن نحدد عدد الورقات المخرومة، ولكن الذي نتيقن منه هو أن المخروم شيء قليل قد لايتعدى ثلاث أو خمس ورقات، لأن البداية الحقيقية للمخطوط موجودة، وذلك حيث ذكر المؤلف الدواعي والأسباب التي دفعت به الى تاليف «فواكه العلوم» ثم ان البسملة وكلمة أما بعد: الواردة في آخر ورقة (١٣) من المخطوط تدل قطعا على أن مامضى من الكلام انما هو ديباجة ومدخل الى الكتاب، ومن هنا نقول مطمئنين انه لم يضع من المخطوط سوى أوراق قليلة جدا.

ولهذا السبب رأينا أن نبدأ التحقيق والنشر من كلمة «أما بعد» مباشرة، على أنها هي البداية الحقيقية لموضوعات الكتاب .

ونشير هنا الى أن أوراقا أخرى تكون قد ضاعت من آخر الجزء الأول الذي هو في موضوع الحج، وسيلحظ القاريء الكريم أن آخر الجزء الأول جاء مقطوعا، ولانستطيع أن نحدد الورقات الضائعة من آخر الكتاب ولكنها قد لاتتعدى ورقات قليلة لأن موضوع الحج يكاد يكون معالجا من كل جوانبه، واذا راعينا التقسيم الذي اختاره المؤلف فان الحج يكون هو نهاية الجزء الأول، وهي نهاية طبيعية لفقه العبادات الذي خصص له المؤلف هذا الجزء.

أما المجلد الثاني فيقع في (٦٥٤) صفحة من القطع الكبير، ويقع المجلد الثالث في (١٠٠٩) صفحات .

ويبدو أن ناسخ المجلد الثاني والثالث هو غير ناسخ المجلد الأول، فان خط المجلد الأول أقدم في طريقة اعجامه، وتنظيم فقراته، بينما خط المجلدين الأخيرين أكثر وضوحا، وأشد تنظيما، ولكنه أكثر أخطاء.

ولم نجد في آخر الجزء الأول، والثاني مايدل على اسم الناسخ، وتاريخ النسخ، اللهم الا ماجاء في آخر الجزء الثالث الذي جاءت عبارته كالآتي :

«تم الكتاب المسمى فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، تاليف الفقيه العالم العلامة عبدالله بن محمد بن

عامر بن محمد بن خنبش النزوي رضيه الله».

ثم العبارة التالية :

«بسم الله الرحمن الرحيم، ليعلم الواقف على كتابي هذا من المسلمين والمسلمات أن من وجد به عيبا، أو خللا فليصلحه ويسده، لأن مؤلفه قليل العلم، كثير النسيان، فجزى الله خيرا من أصلح عيبه، وأزال ريبه، والحمد لله حق حمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم عليه وعليهم أجمعين آمين، اللهم آمين، تم الكتاب ضحى الثلاثاء ثاني شعبان من شهور سنة ثلاث سنين وستين سنة ومائة سنة والف سنة من الهجرة الاسلامية (١١٦٣ هـ) وذلك على يد الخادم الأقل لله عز وجل الفقير المقر بذنبه والتقصير، خميس بن سالم بن أحمد بن داود بن فارس المنصوري، ونسخه للشيخ الثقة العدل الوالي الوفي عبدالله بن مسعود بن عبدالله الرزيقي، رزقه الله به حفظه والعمل بما فيه من الخير والصواب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم».

وفي جانب الورقةمن اليمين : كتب العبارة التالية :

«تم معروضا على نسخته التي نسخ منها على حسب الطاقة والامكان، نهار السبت، وكان من شعبان سنة ١١٦٣هـ».

وعلى هذا فان تاريخ هذه المخطوطة ليس ببعيد العهد عن عصر المؤلف، فقد لايتجاوز نصف قرن الا قليلا، اذ نقدر أن وفاة الخراسيني مؤلف «فواكه العلوم» قد يكون حوالي (١١٠٠هـ)، فقد ألف الكتاب بعد وفاة الامام سلطان ابن سيف، كما تدل على ذلك المقدمة، ووفاة الامام سلطان كانت سنة (١٠٩٠هـ) أو سنة (١٠٩١هـ).

منهجنا في التحقيق :

أشرنا سابقا الى أن أول عمل قمنا به هو اعادة نسخ المجلد الأول اعادة كاملة لتداخل الخط وصعوبته على القراءة، وكان هذا فرصة لترقيم النص وترتيبه وتنظيمه بما يتماشى والاخراج العصري بوضع النقط، والفواصل، وعلامات الاستفهام والتعجب، وعلامات التنصيص، وغير ذلك مما هو معروف في الترقيم.

كما أعدنا تنظيم فقرات النص بما يتماشى مع جزئياته ومباحثه، اذ من المعروف أن الكتابات القديمة لاتهتم اطلاقا بهذا الجانب، فليس ثمة الا عنوان

«المنثورة» ثم يتوالى النص من بدايته الى نهايته دون تقسيم الى فقرات، بل حتى الى فصول، فكلمة فصل قد تاتي داخل الجملة في بداية السطر أو في وسطه أو في آخره، ثم انصب عملنا في تحقيق النص على مايلي :

١) تصحيح ما في النص من أخطاء املائية، وهي كثيرة جدا، مما يدل على ضعف الاهتمام بهذا الجانب عند الناسخ للمخطوطة .
أما الأخطاء النحوية أو الصرفية أو اللغوية التي سلم منها أسلوب المؤلف، وتتعلق أكثرها بالرسائل التي كان ينقلها فيما يبدو دون تصحيح، وهذا من حقه، هذه الأخطاء كنا نتركها في النص كما هي، ونصوبها في الهامش.

٢) تخريج الآيات القرآنية بذكراسم السورة ، ورقم الآية، فعلى الرغم من أن المؤلف يبدو حافظا لكتاب الله، مطلعا على القراءات، وعالما بالتفسير، الا أنه كان يكتفي بذكر الآية على النحو المعروف في الكتب التراثية.

٣) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وقد تطلب ذلك منا وقتا طويلا وجهدا كبيرا، لأن المؤلف كان ياتي بالحديث في أغلب الأحيان بمعناه، ويكاد يخلوا الكتاب خلوا تاما من ذكر السند، فكنا نخرج الحديث في الهامش اذا كان من الأحاديث الواردة في الصحاح، أما الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فكنا نسكت عنها، وكنا نشير أحيانا الى الأحاديث التي يبدو عليها مسحة من الاسرائيليات، وكنا لانسلك هذا المسلك الا حين التاكد من عدم ورود الحديث في الصحاح المعتمدة في السنة.

٤) تخريج الأبيات الشعرية التي يجهل قائلها، فان المؤلف كثيرا مايقول : «قال الشاعر» أو يورد البيت ضمن التدليل على رأي لغوي، دون ذكر الشاعر أو المصدر، فكنا والحالة هذه نجتهد في البحث في المصادر، فنعرف بقائل البيت، فان عجزنا عن ادراكه، ذكرنا في الهامش أن القائل غير معروف، أو مجهول.

٥) التعريف بالكلمات الصعبة ، وقد كثر ورودها عند المؤلف ، ولاسيما في مقدمات منثوراته، ويبدو أن المؤلف كان مغرما بتتبع الغريب، فكنا نبحث عن أصل الكلمة في المعاجم والقواميس ونورد شرحها موجزا في الهامش.

٦) التعريف بالمصطلحات الفقهية، وكذا بالكلمات المستخدمة باللهجة المحلية

العمانيـة، وهي كثيرة الورود في الرسائل والأجوبة المتبادلة بين المشايخ ومـستفتيهم من العلماء والعامة على السواء، وقد استعنا في هذا الصدد بخبرة وعلم أصـحـاب الاخـتصاص من العمانيين، ولعلنا سنورد قائمة لها في آخر الكتاب .

٧) لم نعرف بالأعلام في الهامش، وانما فضلنا أن يكون ذلك في ملحق خاص بالكتـاب، فامـام تكرار ذكر الأعلام في الكتاب عشرات المرات اضطررنا الى هـذه الطريقـة التي نعترف أنها ليـست منهـجـيـة، ولكننا اضطررنا الى اتبـاعـهـا تفـاديا لتكرار التعريف بالعلم كلما ورد أسمه، أو الاحالة الى الصـفحة التي عرف بها كل مرة، على أنه ينبغي أن نشير هنا ـ وهذا من حق القـاريء علينا ـ الى أننا لم نعـرف بكل الأعلام الواردة اسماؤهم في الكتاب، اذ المشهور ليس في حاجة الى ذلك، من جهة، كما نعترف باننا لم نهـتـد الى مـعـرفـة الـكـثـير مـن هـذه الأسماء، رغـم البـحث الطويل، والاستقصاء في كتب السير العمانية والتراجم، وهذه عقبة كاداء تصادف كـل المـتـصـديـن لـلـكـتـابة في التـاريخ العماني، اذ الملاحظ أن المؤلفين العمانيين القدامى كانو يهملون هذا الجانب اهمالا يكاد يكون تاما، ولعل البـاحـثين المعـاصرين من الشباب الجامعيين سيستدركون هذا الفراغ في التراث العماني.

٨) نـعـترف هـنـا أن هذا الكتـاب الضـخم لاتتم الاسـتـفـادة الكاملة منه الا بفـهـارس مـفـصلة في آخره، تسهل للقاريء الوصول الى مادته العلمية بايسر طريق، ولقد قمنا فعلا بفهرست الجزء الثالث الذي بدأ به العمل، ولكن صـادفـتنا مـشـاكل تقنيـة فارجانا فـهرسة كل أجزاء الكتاب مع التراجم في ملحق مستقل .

هذا ولايسعنا في نهاية هذه المقدمة الا أن نقدم شكرنا الجزيل لكل من مد الينا يد المساعدة لانجاز هذا العمل المتواضع على أحسن وجه، ونخص بالذكر طلبـة مـعـهـد القـضـاء الشرعي والوعظ والارشاد بروي، كما نحيي جمعية التراث الميـزابية بجنوب الجزائر على مشاركتها الفعالة في انجاز قسم كبير من هذا العمل فهرسة وتصحيحا.

ولا ننسى في الأخير أن نحيي همة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البـوسـعـيدي، الذي أشرف على انجاز هذا العمل على أحسن وجه خدمة منه

للتراث الإسلامي بعامة، والعماني منه بخاصة، اذ ماتزال مكتبته العامرة بالسيب ملتقى للباحثين وملاذا للدارسين لما احتوت عليه من كنوز العلم والمعرفة.

نسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل طالب علم، وأن يغفر لنا تقصيرنا وقصورنا، انه ولي التوفيق في البداية والنهاية.

د. / محمد بن صالح ناصر أ. / مهنى بن عمر التيواجيني

مسقط في : ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ



«تقريظ»

وللشيخ خلف بن سنان بن عثيم الغافري ـ رحمه الله ـ تقريظ لكتاب «فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم» وهو قوله :

بطالع هذا السفر قد أسفر الدهر ... وطالعه فضلاً عن الحضر السفر
وفجر ينبوع الهدى بقراره ... ولاح به في مدلهم العمى فجر
فصيره مهما مشكل حل عصرة ... فوالعصر لم يسمح بشكل له العصر
صبا كل ذي فن اليه صبابة ... اذ انتظما في سلكه النظم والنثر
ولم يخل من اثنائه علم عالم ... ولا حكمة في ثنيها للحجى سحر
شعرنا به أن العلوم هي العلا ... وان شعار المبتغى الحكم الشعر
قفار النهى أضحت عماراً بدرسه ... كذاك الحيا يحيا به البلد القفر
أتستنبيء الأخبار عن كنه فضله ... هديت أم يغني ببدر الهدى الخبر
غدا مكملاً تحبيره عام أربع ... الثمانين مع الف مؤلفه الحبر
فذلك عبدالله نجل محمد ... فتى عامر ذو الطول طال له العمر
فتى لم يغادر نيل فضل فضيلة ... ولاشيم في أثناء شيمته الغدر
جزاه إله العرش من فيض فضله ... جوائز جود لم يجز مدها جزر
وعمره في دولة عمرية ... يسر بها زيد ويأسى بها عمرو
إمامة سلطان بن سيف بن مالك ... امام الهدى هاد له النهي والأمر

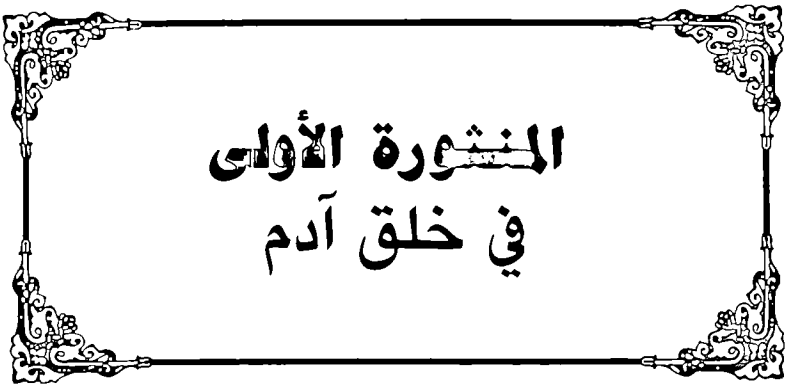
وله ـ ايضاً ـ مؤرخاً للقطعة الأخرى منه :

فتى عامر لقاك بغيتك الدهر ... ومد على رغم العداة لك العمر
تروم بديع الشعر من فكر عائم ... بأمواج شغل بحرها خضرم غمر
فدونك وفق الحال نظما كانما ... نظام الورى تبر وذا بينها صفر
يبين به تاريخ سفر «فواكه العلـ ... ـوم الذي لم يلف شبهاً له سفر
كتاب جدير أن يكون مداده ... سحيق لآلي لا دخان ولا حبر

حـوى من حـسـينات العلوم لبابها ... فـلـم يـرنـا مـثـلاً له الحـر والقـر
مـتـى مـادجت جوز الخـطوب وأظلمت ... جـلاها له صـبح وأوضـحـها فجر
وان يـسـام الـتـالي لبـعض فنونه ... يـنـشطه فن تلوه للحـجى سـحـر
وقـد أكـمـلـت تحـبـيره كـف الفنا ... مـؤلـفـه ذاك الـفـتـى الـعلم الحبر
لخـمـس لـيـال بـعـد عشرين ليلة ... لـشـعـبـان لايرجى لفـانيـهـا كـر
بـعـام ثـلاث مـع ثمانـين حـجـة ... وألف مـضى مذ هاجر المصطفى الطهر
عـلـيـه سـلام الله مـاأسـفـر السنى ... وغنت بفـضل ابن ابن مـالك السفر

حرر في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٤١٥ هـ
بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي
كتبه العبد لله سيف بن حمود بن حامد البطاشي




المنشورة الأولى
في خلق آدم

..... أما بعد : ولما أن وجدت هذه المسائل متفرقة ورقة ورقة، وهي من املاء أشياخنا (رحمهم الله) فيها أحكام وأديان، فاسرعت الى جمعها خوفا أن تذهب هباء، وأسست كل باب لشيء (١) من الكلام، ليكون فتحا له، وقوة لسلوك قارئه، وأتيت فيه من الآيات الواضحات، والتفاسير الموضحات، والمقاريء البينات، والأخبار المعجمات، والمسائل الشرعيات، من خير جوابات الأشياخ من الصرف والنحو والأمثال العربية وشيئا من الطب، ومقاريء القرآن، وتفسيره، فمن أجل ذلك سميته «فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم» ليتفكه قارئه من كل فن من العلم، ويرعى من كل يانع، ويذوق من فاكهة كل طعم، وما أردت بذلك الا تنشيطا لقارئه، وطربا لسالكه.

فالواجب على القاريء أن يقرأه كله، ولايقرأ شيئا دون شيء، لأنه في الحديث: «خذوا من كل شيء أحسنه» (٢) .

فالله الله اخواني، ارغبوا في كتابي هذا ولاتستصغروه من صغيركم، ولاتستحقروه من فقيركم، ولاتعرضوا عنه اعراض الشنآن، ولا تصاموا عنه تصامم الثملان (٣) ، واصلحوا ماكان فيه من الألحان، لأن صاحبكم قليل العلم، كثير النسيان، والله المستعان، والحمد لله حق حمده، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل في البسملة

قوله عز وجل : ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالذي وجدته أن الباء من بسم الله هو أداة تخفض مابعدها مثل من وعن ، والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ بسم الله، فاسقطت الألف من الاسم طلبا للخفة، لكثرة استعمالها وطول الباء، وقيل ليكون افتتاح كلام الله عز وجل بحرف معظم، لأنه كان عمر بن عبدالعزيز يقول لِكُتابه: «طولوا الباء، وأظهروا السين، وأفرجوا مابينهما. ودورا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل». وقيل لما

---

(١) لعله : بشيء

(٢) ورد الحديث بلفظ : «خذوا من العلم مائطيقون . . .» انظر موسوعة اطراف الحديث ٦٠٦/٤ .

(٣) الثملان : من به نشوة وطرب .

أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالا على سقوط الألف .

والاسم هو اشتقاق من السمو وهو العلو، وقيل من السمة وهي العلامة، ولعل الأول هو الأصح في هذا المعنى، وفي رواية أخرى عن عمر بن عبدالعزيز ، أن عاملا له كتب «بسم الله»، فحذف السين بين الباء والميم فعزله لذلك. وروي عن ابن عباس (رحمه الله) أنه قال : «لما نزلت ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في سورة النمل مرت الغيم الى المشرق، وسكنت الرياح، وأصغت البهائم بآذناها ورميت الشياطين من السماء، وأقسم رب العزة أن لايسمى اسمه على شيء الا شفاه، ولا على شيء الابارك الله فيه».

ولم يرن ابليس لعنه الله مثل ثلاث رنات: رن حين لعن وأخرج من ملكوت السماوات، ورن حين ولد النبي ﷺ، ورن حين نزلت فاتحة الكتاب.

الرنين الصياح ماخوذ من رنين المرأة ، وكذلك رن الديك اذا صاح، قال الشاعر :

ثم لايبرح حتى يصقع الديك برنة

وروي أن العرب كانت تكتب في أوائل كتبها قبل الاسلام باسمك اللهم ، وكان النبي عليه السلام يكتبها كذلك صدرا، فلما نزلت عليه : ﴿بِسمِ اللهِ مَجراهَا وَمُرسَاهَا﴾ (٤) ، كتب بِسمِ اللهِ ثم نزلت عليه : ﴿قُلِ ادعُواْ اللهَ أَوِ ادعُواْ الرَّحمَنَ﴾ (٥) ، الآية، فكتب بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ ، ثم نزلت : ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٦) ، فكتبها كذلك (٧) . فاستقر الأمر واستمر على افتتاح الكتب بها، وقيل : أول من كتبها سليمان بن داود عليه السلام، وهي تسعة عشر حرفا لقارئها، بكل حرف عشر حسنات، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «أول ماكتب الله في اللوح نقطة، فنظرت الى نفسها فتصاغرت وتواضعت لله عز وجل، حتى صارت همزة، فلما رأى تواضعها طولها فجعلها ألفا، ثم تلفظ بها، فقال الألف فصارت ثلاثة أحرف: ألف ولام وفاء. ثم جعل يلفظ حرفا بعد حرف على تسعة وعشرين حرفا، حتى ثبتت على الألسن على ذلك» (٨) . فجعل الألف من أول أسمائه: الله، الرحمن، الرحيم، ألا ترى أنه تدور عليه أسماؤه كلها، وجعل اللام في آخر

(٤) سورة هود : ٤١ .
(٥) سورة الاسراء : ١١٠ .
(٦) سورة النمل : ٣٠ .
(٧) أنظر الألوسي ، روح المعاني ، مباحث في البسملة .
(٨) أورده ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٤٨ ـ ٤٩ .

أسماء ملائكته كجبرائيل ، وميكائيل، واسرافيل، وعزرائيل، وغيرهم من الملائكة، وجعل الميم في أول اسم محمد عليه السلام وفي أوسطه، ثم اقسم بنفسه وبملائكته وبمحمد ﷺ، ان هذا الكتاب، وروي عن النبي ﷺ انه قال : «من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين بابا من البلاء، أولها الغم والهم واللمم» (٩) ، وروي في الحديث عن بعض العارفين أنه قال: «بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ تسعة عشر حرفا وخزنة (١٠) . تسعة عشر فيدفع الله عن المؤمنين بكل حرف من هذه التسعة عشرة حرفا واحدا من الزبانية». ويقال أن بسم الله الرحمن الرحيم أربع كلمات، والذنوب أربعة أنواع : ذنوب الليل ، وذنوب النهار، وذنوب السر، وذنوب العلانية. فمن قالها على اخلاص ونية واعتقاد خالص مع عمل خالص غفر له الأربعة أنواع من الذنوب. وقيل الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله، وقيل مجد الله. والله أعلم، تركت أكثر تفسيره خوف الاطالة.

الذكر في خلق آدم عليه السلام وذكر النطفة

ومما وجدته في أصل تربة آدم عليه السلام وطينته: فيقال أن تلك الطينة خلقت من ستة أراضين ماسوى السابعة،لأن جهنم فيها ـ على ماقيل ـ وهي من تربة مالحة، وتربة عذبة ، وتربة من حما (١١) ، وتربة حامضة، وتربة مرة، فأما التربة المرة فهي الآذان، والتربة المالحة فهي المتنان، وأما التربة العذبة فهي اللسان، وأما التربة المنتنة فهي الظهر، وأما التربة الحامضة فهي الأبطان ومانسفل من ذلك، وأما التربة الحما فما أسفل من ذلك.

فأول خلق هذه الطينة على ماوجدته في الأحاديث ، والله أعلم، أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق هذه الطينة ليخلق منها آدم عليه السلام، بعث الى الأراضين السبع ملكا من الملائكة يقال له غري فقال له : انطلق الى الأراضين فائتني منها بتراب أخلق منه خلقا. فاوحى الله الى الأرض أن تنطق، فلما انتهى

(٩) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٥/١٩.
(١٠) لعله : وخزنة جهنم .
(١١) حما : الطين الأسود المنتن.

اليـها قالت له : ماتريد ؟ قال : اني رسول رب العالمين، جئت لآخذ منك ترابا يخلق منه ربي خلقـا، فاوحى الله اليها بالاجابة. فقالت له : اني حلفت عليك باسماء الله أن لاتاخـذ مني ترابا يخلق منه ربي خلقا يعصي ربه، فانطلق الى ربه فاعلمـه، وهو بذلك أعلم، فارسل اليـهـا ملكا آخـر يقال له عزرائيل عليه السـلام، فـقـالت له: مـا تريد ؟ فقال : أريد أن آخذ منك ترابا يخلق منه ربي خلقـا، فاجـابتـه بالقـول الأول، فقال لها: أنا رسول رب العالمين، وعلي طاعة ربي، فاخـذ من الأراضين السـبع من السـوداء والحـمراء والخضراء والصفراء والأدماء (١٢) ، فـبل ذلك التراب بالماء فـصار طينا خلقه بيده، أي: بقدرته، كرامة لأدم عليه السلام، وأحسن صورته، وأظهر حجته، وجعل في ذلك الطين أربعـة أخـلاط: الحارة والباردة والرطبة واليابسة. فلبثت تلك النطفة أربعين سنة حـتى انتنت وراحت، ثم لبـثت أربعين سنة حتى صارت لازبا، ثم لبثت أربعين سنة حـتى صـارت لازبا صلصـالا، وهو الطين اليـابس كالفخار، ثم خلق الله آدم عليـه السلام من تلك الطينة، وخلق فيه النطفة. فمن حكمته عز وجل وقـدرته أنه قال للرحم عند جماع الرجل زوجته: افتحي فاك تحل فيك قدرتي وسلطاني وخلقي الذي أريد أن أخلقه، فتفتح الرحم ، فيقطر من نطفة الرجل ونطفـة المرأة قدر الحمصة ولايكون الولد الا من النطفتين جميعا، فلما وقـعـت النطفـة في الرحم، فـالذي جـاء في الحـديث أن الملك الموكل بالأرحـام يستخرجها فيضعها في كفه فيقول : يارب مخلقة أو غير مخلقة، فان قال غير مخلقـة قذفتها الأرحام. وأما ان قال مخلقة ، قال : يارب شقي أم سعيد، ذكر أم أنثى، يمـوت طفـلا، أم سـقطا، أم فطيما، أم شابا، أم كهلا، أم يرد الى أرذل العمر، أم يموت في بر، أو بحر أو حريق ، أوغريق ، أم تاكله السباع، أو يقتل بالسـيف، ويكون غنيا، أو فقيرا، وغير ذلك ولايدع شيئا من أصناف الحوائج والمهـالك التي تجـري على الانسـان الا ذكـرها، فـيـقـال له : انطلق الى اللوح المحـفـوظ فـانك تجد قصة تلك النطفة فيكتبها كما يجدها وتطأ أثرها وتاكل رزقها وتعيش الى أن يأتيها أجلها فتموت في تلك الأرض التي كتبها (١٣) .

وفي الحـديث : «أن ذلك الملك الموكل يأخذ من تراب تلك البقعة التي تدفن فيها تلك النطفة قبضة، فيرفعها مع النطفة، ثم يدخلها في الرحم»، والله أعلم.

---

(١٢) الأدمـاء : أرض أدماء، ذات لون أسمر.

(١٣) جاء بعض الرواية في قصص الأنبياء لأبن كثير ص ٣٩ ـ ٤٠ .

فصـــل

ومما سألت عنه الشيخ الطبيب علي بن عامر العقري (١٤) . (رحمه الله) ومـا وضـعـت هذا الا ليكون أصـلا في خلق الانسـان وسالتـه عن أول تكون النطفـة في الرحم وسـبب خلقـهـا وتركـيب جـوارحها وتدبير نفوسها، فكان شرحه إلى (رحمه الله) :

وأمـا مـاسـالـت عـنه، أيها الأخ، عن أول بدء خلق الولد من النطفـة في الرحم، وتكونه في بطن أمـه ومـايتولاه من التدبير في بطن أمه وبعد خروجه وتقلب أحـواله، وحـسنه وقـبـحـه، وعلمـه وحلمـه وفهمه وذكائه وورعه، وقـوته، وضـعـفـه، وشـجـاعته، وسرعة حركته، ووقاحته وطيبه، وبطشه وبطء حـركته وقلة كلامه وكثرته، وقوة الذهن وقلته، وأي عضو منه يخلق قـبل، وعن عـمل الروح الطبـيـعي والحـيـواني والنفساني، وعن محل النظر والـذكـر والعلم والفكر والحـسـاب، ومحل الخـيـالات والفكر، ومحل السـمع والـبـصر. فـاعلم أيها الأخ أن الذي حـفظتـه من الكتب، وذلك أنه اذا وقـعت الـنـطـفـة في الـرحم فـيكون أول المدبر لها من الكواكب زحل هو أولها ليـلا، يختلط ماء الرجل بماء المرأة لأجل البرد واليبس الذي هو من تاثير زحل، لأن طبع زحل بارد يابس جـامـد، فـتكون قـوة زحل على تلك النطفـة شـهرا فاذا أدخل يبرح سـعـدا ومناظرا للسـعود من أمكنة جيدة، أو من شرفه أو بيته، فيتمكن المني في الرحم. وان كان ساقطا ضعيفا فسد المني وقذفت الأرحام دما أو لبث المني زمانا، ماشاء الله، لم يختلط بماء المرأة وذلك بسبب لبث الجنين في بطن أمه سنين ، والله أعلم .

ثم من بعـد زحل يتـولى النطفـة تدبير المشتري فيحمل فيها هواء فيذهب البرد واليـابس فيختلط الماءان، ويعلق بعضه ببعض، ويصير علقة، فيختلج فـيـهـا اخـتـلاج من جوهر المشتري، وذلك بعد كمال الأربعين يوما لأن طبع المشتري حـار رطب هوائي، طبـعه الحياة وهو الوقت الذي يعتري المرأة فيه الغـثـيـان والكسل، وهذا هو الهواء الذي يسمى ريح الفهم. فاذا كان المشتري قـويا في تدبيره سـعـيدا في شرفه وفي بيته، أو مناظرا للسعود من مودة أو في أمكنة جـيـدة سالما من النحوس خاصة في أول التربية منه، كان المولود عالما فـهما حكيما ورعـا تقـيا حسن الصورة نظيفا، له طلب في العلم صاحب فهم وذهن.

(١٤) انظر ترجمته في الملحق .

وان كـان المشتري ضعيفا ساقطا، ضد ماذكر، كان المولود بليدا لايعرف شـيئا الا الأكل والشرب مثل البهائم، وهذا أدق من الروح لأنها تخالط الجسد قـبل الروح وتخرج من البـدن بعـد الروح، وفـائدتها للجنين ليـتـغذى قبل دخـول الروح البـدن، ومنزلة هذه الريح في البدن في الجسد كمنزلة الروح في الجـسـد، ومحلهـا في الفـؤاد والمعـدة، ومنهـا فـهم الفـؤاد والرؤيا الصالحة والالهام والاهتمام في قوة هذه الريح، وقد اختصرنا ذلك.

ثم من بعـد المشتري يتـولى تدبير هذه النطفـة في الشـهـر الثـالث تدبير المريخ فـيكن في هذا الشـهر تحريك الريح فتصير العلقة دما، ثم تصير العلقة مـضـغـة بعـد ثمانين يومـا، وهي من جـوهر المريخ لأن المريخ حار وطبعه الحـرارة اليـابسـة النارية، وتنتقل المضغة الى الرحم، فاذا كان المريخ في هذا الشـهر سعيدا أو مناظرا للسعود أو حر (١٥) مـودة ، أو في بيته أو في شرفه، أو في أمكنة جـيـدة كـان المولود شـجـاعـا قويا مقداما لايبالي بالحرب سفاكا للدمـاء. وان كـان المريخ سـاقطا ضعيفا كان المولود بضد ماذكرنا، وان كان المريخ محترقـا أو ببروج نارية كـان ذا بطش وطيش وغضب ووقاحة، كثير الكلام، سريع الحركة، والله أعلم .

ثم يتـولى هذه النطفـة بعد المريخ تدبير الشمس في الشهر الرابع، فتشتد المضغة وتبين وتستبين العظام وتكسا لحما وتقع فيها الروح ويسكن الحلم، وتـسـكن روح الدمـاغ وتغلب الروح على ظاهر البـدن وباطنه ويتكون خلق صـورته وهكذا، وهذا كله بقـدرة الله تعـالى وصنعه وحكمته، فيتكون في هذا المولود الروح الطبـيـعي، والروح الحيواني، والروح النفساني، وتقع الحركة في جميع جـوارحـه وأكـثـر الحـركة في رجليه لأن العمدة عليها، راكب عقبيه حـتى في أوقات يصيب بعض الحوامل حلية الطلق وتنزل ماء، وذلك اذا أعدم الغـذاء على الجنين بسـبب حال رقصه، فينتهك شيء من الحجب، فتنزل الماء، وقد أعرضنا عن كثير، والله أعلم.

ثم من بعـد الشـمس يتـولى تدبير هذا المولود الزهرة في الشـهر الخامس فـيـشـتـد اللحم ويستبين البدن وينبت الشعر، فاذا كانت الزهرة في تدبير هذا المولود قـوية سـعـيدة في بيتها أو شرفها أو مناظرة للسعود من أمكنة جيدة، كـان المولود ذا صورة حسنة وفرح وسرور وبشاشة، ويحب الترفه واستماع الملاهي، والفـرش الناعـمـة، والثـيـاب النظيـفـة، والآنيـة الحـسنة، والأمكنة

(١٥) لعله : من .

الحسنة، والنقوشات. واذا كانت الزهرة ساقطة ضعيفة كان المولود بضد ذلك ، والله أعلم.

ثم من بعد الزهرة يتولى هذا المولود عطارد في الشهر السادس فيتحرك اللسان وتستبين الأعضاء والمنافذ والتجويفات ويتسع الفضاء في نافذة وبطون عصباته وشرياناته، أعني عروق الضوارب منه، وعروق السواكن، وجداوله التي في كبده، ورئته وتجاويف قلبه ودماغه، وطرف النفس وسمعه وبصره ومناخيره، وربما ولد في الشهر فعاش ولنذكرن الذين ولدوا في الشهر السادس عن قليل .

ثم من بعد عطارد يتولى هذا المولود تدبير القمر في الشهر السابع، فيشتد المولود، ويظهر لونه وحسنه وجماله، ويتحرك في الرحم تحريكا طبيعيا ويتم خلقه، أعني مايصلح لملاقاة الهواء ضد مألفه في بطن أمه، وربما ولد في هذا الشهر فعاش، والله أعلم. وقد اختصرنا ذلك، والله أعلم .

ثم بعد القمر يعود يتولى المولود زحل فيصير بدنه باردا جامدا مثل الموت ويدل عليه من الروح الكوكب الثامن الذي هو البرج النافر من الطالع فكان الموت بأخوف مايكون المولود في الرحم في هذا الشهر، فان ولد فيه لم يعش لمخالفة البرد من قوته عليه الا أن تكون السعود قوية، ناظرة اليه من أمكنة جيدة، فان عاش المولود كان جليدا ضعيف القوة ساكنا في جميع أحواله وقد يكون المولود في الشهر الثامن، وقال قوم من الأطباء ان المولود في الشهر الثامن لايعيش لأن سبب ذلك الشهر السابع كثرة حركة الجنين في بطن أمه فاصطلح جسمه ولم يكفه الهواء النسيم في بطن أمه، فطلب الخروج، واضطرب اضطرابا شديدا، ورقص برجليه فانتهك بعض الغشاءات، ونزل بعض الماء المحيط به في المشيمة، لأن الله عز وجل جعل غشاء يؤول اليه بول الجنين وينصب اليه من الشريان ماء لتسهل حركة الجنين يمنة ويسرة ويسهل على الحامل حركة الجنين، ولولا ذلك الماء لعسر على الجنين الحركة، وثقل على الحامل الحمل، ولم يأذن الله للجنين بالخروج، فمرض من أجل اضطرابه وجهده وقلة غذائه، ثم أعان عليه جهد الطلق فزاده مرضا الى مرض وأعان عليه ضد مألفه من النسيم والفلا والتربية(١٦) فكان ذلك سبب هلاكه ، والله أعلم .

ثم من بعد زحل ، يتولى هذا المولود تدبير المشتري في الشهر التاسع

(١٦) التربية ، في القاموس المحيط ، الخنطة الحمراء .

فتحركه ريح لاخراج المولود، فاذا كان المولود ضعيفا والمحرك ضعيفا بقي الى الشهر العاشر، ويدل عليه المريخ. فاقل مايعيش المولود في هذا الشهر لافراط المريخ وطبعة قالوا ، والله أعلم ، ويبقى المولود في الحادي عشر والثاني عشر، وقيل غير ذلك، تركته خوف الاطالة .

فصل

وساذكر لك أيها الأخ الذين حملت بهم أمهاتهم أكثر من عادة الحمل، فمنهم: محمد بن عجلان، حملت به أمه أربع سنين، وجريج بن منصور بن زياد، ومحمد بن عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حملت بهم أمهم(١٧) أربع سنين، وأبو حنيفه حملت به أمه أربع سنين، وسعيد بن الحجاج حملت به أمه سنتين ، والامام مالك حملت به أمه سنة، والمسبح حملت به أمه ثلاث سنين، والضحاك سنة، والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ثمانية أشهر، والشعبي ستة أشهر، وعبدالملك بن مروان ستة أشهر، والحسن بن علي ستة أشهر. كل هؤلاء حملت بهم أمهم (١٨) ماذكرت من عدد السنين ، هذا ماوجدته، والله أعلم .

فصل

واختلف العلماء في أول مايكون من الأعضاء في الجنين فارسطوطاليس يرى أن أول مايتكون القلب، لأنه أشرف الأعضاء الرئيسة، وثبت الحياة، ومحل الروح الحيواني، ومعدن العقل ومبدأ جميع القوى. وأما أبقراط يرى أن أول مايتكون الدماغ. وأما أهل التجارب فأول ماتبين لهم الدماغ لأنه معدن الروح النفساني ومحل الحس والحركة والارادية، وبعض يرى أن أول مايتكون الكبد لأن النظام الطبيعي يوجب ذلك كله .

وأما صفة الروح وهي : الروح الطبيعي ، والروح الحيواني، والروح النفساني، وهن ثلاث: الروح النفساني وهي في الدماغ وتولد هذه الروح من الروح الحيواني الذي هو مسكن القلب، وتولد هذه الروح من الروح الطبيعي التي هي مسكنها الكبد، هذه صفة تولد الأرواح.

أعلم أن الكبد اذا طبخت الغذاء ارتقى منه بخار فعمدت الطبيعة فهديت ذلك البخار اليها فجعلته الروح الطبيعي ، وانجذب الدم الحاصل فيها قسطا، وهو أصفؤه وألطفه الى القلب، فيتغذى القلب منه ويولد من ألطفه في

(١٧) لعله : أمهاتهم
(١٨) لعله : أمهاتهم .

التجويف الأيسر من تجويفه لأن الأيمن مشغول بجذب الدم الحاصل من الكبد جسما لطيفا بخاريا، يسمى للطفه روحا حيوانيا، ويفيض، من النفس الناطقة عليه، قوة تسمى القوة الحيوانية، ولولاها لعفن البدن، وعرض له مايعرض لبدن الميت من الفساد، ثم يفيض على الروح الحيواني قوتان أخريان احدهما القوة الطبيعية والأخرى النفسانية. ثم ينجذب فيها قسط الى الدماغ، وينضح فيه نضحا جيدا جديدا، ويسمى روحا طبيعيا، حينئذ، وتظهر فيه آثار القوة، هذا على رأي الحكماء. ومن الأطباء منهم من وافق الحكماء فيما ذكرنا الا في أمر واحد وهو أنهم قالوا: القوة النفسانية تفيض على القسط المنجذب الى الدماغ، والطبيعية تفيض على القسط المنجذب الى الكبد، ومنهم من خالف الحكماء كثيرا وقال: الروح النفساني لاينجذب من القلب بل يتكون في الدماغ من الدم الحاصل فيه أولا، ولامحالة تكون القوتان قابضتين عليها في الكبد والدماغ، وهذا خلاف قول الحكماء. فاذا عرفت، أيها الطالب، هذا فتقول (١٩): الأعضاء الرئيسية هي القلب والكبد والدماغ والأنثيان. أما الأنثيان فليس هنا ذكرهما. وقد جعل الله عز وجل لهذه الأعضاء خداما، فأما القلب فتخدمه الشرايين لأنها تحمل الروح الحيواني منه فتنفذه الى سائر البدن، وأما الكبد فتخدمه الأوردة لأنها تنفذ الروح الطبيعي والدم الى سائر البدن من الكبد، ومنها الأرواح، ولاتعبأ بها النفس كما يراد بها في الكتب الالهية بل يعبأ بها جسما لطيفا بخاريا يتكون من لطافته الأخلاط وبخاريتها كتكون الأعضاء من الأرواح، هي الحاملة للقوى فذلك أصنافها كأصنافها، ولعله ماتقدم ذكره من الأرواح والأعضاء والأخلاط.

ولفظ الروح يطلق على شيئين: أحدهما النفس الناطقة كما يراد بها، في الكتب الألهية في القرآن العزيز وغيره. والثاني جسم لطيف بخاري يتكون من لطافته الأخلاط وبخاراتها لتكون الأعضاء من كثافتها، وهو الذي تعنيه الأطباء، وهو جوهر هوائي، ومسكنه القلب.

أما الروح الحيواني على صفتين: فاعلية ومنفعلة، وهي التي في القلب وبها تكون الحياة في جميع الحيوان ولولاها لعفن البدن ونتن وصار مثل بدن الميت، وانطفت الروح الحيواني والروح النفساني والقوة الفاعلة التي هي تكون حركة الانبساط، وهي استنشاق العروق الضوارب النسيم، وتوصله الى القلب في الشرايين، ويوصله الى الرئة، وهي بمنزلة الكير اذا

(١٩) لعله : فنقول .

انبسط جذب الهواء وامتلأ، واذا انقبض خرج مافيه من الهواء.

فان قيل ومافائدة النسيم المستنشق من الهواء الرقيق المحيط بالحيوان أقول: لولا ذلك لاحترق القلب، وحركة التنفس بمنزلة الترويح، فاذا انبسط جذب النسيم البارد بمنزلة التطفية، واذا انقبض رد البخار الدخاني بمنزلة التنقية. ومن العجائب أن للقلب عشرة أنفاس عدا النفس المستنشقة من الهواء الرقيق. خمس انبساط وخمس انقباض، لأن الله عز وجل خلق القلب وجعله أشرف مافي البدن، لأنه معدن الحياة، ومحل الروح الحيواني وعمل العقل، وفيه يتكون نور العقل، وهو أشرف مافي الانسان. وقد خلق الله له الرئة أبرد مافي البدن وأرطب وأنعم، وجعلها محيطة بالقلب ومقبية عليه من كل جانب. وقد خلق الله لها جداول ينفذ فيها النسيم المستنشق، فتهديه الى القلب، وتبله برشاشات من رطوباتها، لأنه عضو رئيس لايحتمل الأذى. وقد جعل الله عز وجل طبعه الحرارة.

فان قيل : ومافائدة التجاويف والجداول التي في الرئة، ففائدتها ليمكث فيها الهواء المستنشق عند حصر النفس وعند مصادفة الروائح المنتنة والدخان والغبار والحرق والعرق، لأن الانسان يحصر نفسه فتمده الرئة لئلا يحرق. واعلم أن النسيم للروح .... له (٢٠) الغذاء للجسم، والله أعلم.

وأما صفة الروح النفساني فساصفها لك هاهنا . أعلم أن القوى النفسانية وهي التي محلها الدماغ وهي تسع قوى : القوة الخيالية، والمفكرة والذاكرة ، ويقال لمجموع هذه القوى المديرة والسياسية، والرابعة القوة الارادية، وهي التي تحرك بالارادية، وقوة البصر، وقوة السمع، وقوة الشم، وقوة الذوق، وهذه خمس قوى، يقال لها الحساسة فتكون القوى ذات أجناس. القوى النفسانية جنس، القوى المديرة أعني السياسية التي هي الخيال والفكر والذكر ويقال لمجموعها الزهر. وجنس القوى التي تكون الحس والحركة الارادية وجنس القوى الحساسة التي هي السمع والبصر والشم واللمس والذوق. فاما القوى المديرة فهي التي يتميز الانسان بها عن غيره من سائر الحيوان غير الناطق، ولاسيما القوى المفكرة منها. ولكل واحد من القوى المديرة مركز : فمركز الخيال في البطنين المقدمين من بطون الدماغ، والخيال هو الذي تتصور له الأشياء التي يتوهمها ويلقيها الى الفكر. ومركز الفكر في البطن الوسط من بطون الدماغ، وهو الذي يبصر به الانسان في الأشياء الواصلة اليه من الخيال في جميع الأعمال والأشغال والصنائع وغير

(٢٠) لفظة غير مقروءة .

ذلك، فيقيسه ويتفكر فيه ويدبره ويميزه على حقائقه، فان كان مايكون بالحركة وقعت العزيمة وتتبع العزيمة حركة ماكان من الأعضاء بارادة، وان كانت من الأشياء التي تحفظ قصدا بالحفظ والذكر، اذا كان موضوع المحافظة والذاكرة صحيحة، ومركز الذكر في البطن المؤخر من بطون الدماغ، وهذا الذي يحفظ الأشياء التي عملت، فالفكر يطبعها، فتبقى في موضعها ثابتة الى وقت الحاجة الى ذلك فيخرج عند القوى التي هي العقل، وكذلك لكل قوة من القوى الحساسة مركز هو موضوعه، ومكانه لم يحتج الى معاودة هاهنا. وهذه القوة حساسة كالخدمة للقوى المدبرة فان غاية فعلها تترسم في القوى المدبرة ومركز الحركة الارادية في الأعصاب النابتة في الدماغ نفسه ومن النخاع، فياتي العقل فيعطيه الحركة الارادية بحسب الحاجة الى أي نوع من أنواع الحركة. ومن عجيب الحكمة أن الحيوان يريد أن يحرك عضوا منه، وهو لايعلم أي عضو يجب أن يحركه، ثم لايستعمل شيئا من بدنه الا ذلك العضو بعينه، ومن عجيب الحكمة أن كل عضو عدم منه الروح النفساني بقي جامدا كبدن الميت، لايحس، ولايشعر، بشيء، ولايتالم من حرارة النار ولا من حرارة الشمس، والروح الحيواني باقية فيه، لأن الحيواني لابقاء الحياة لولاها لعفن البدن ونتن، وقد نشاهد ذلك في المصروع اذا انسدت مسالك الروح النفساني، واذا انضغطت في الدماغ خر المصروع كالميت لايسمع ولايبصر ولايحس ولا يشعر بشيء ، وكذلك النائم اذا تكاثفت الرطوبة على الروح النفساني فكان لايشعر بشيء. وأما ماجاء في تفسير هذه الآية وهو قوله عز وجل : ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) ففي بعض التفاسير أن هذا تنبيه على الحكمة الالهية سبحانه هو الله الواحد القهار، لأنه قادر على مايشاء من الاحياء والاماته وغير ذلك فكما قدر على ارسال النفس بعد التوفي، فكذلك يقدر على مسكها بعد التوفي بالموت، لقوله عز وجل : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا﴾، أي أن الله عز وجل يتوفى الأنفس عند مفارقتها أبدانها، ويتوفاها حين منامها، ومعنى التوفي قبض الشيء وافناه، والنفس الروح، يعني أن تقبض الروح في حالتين : حالة النوم وحالة الموت. فاما قبضه في حال النوم فانما هو محمول أن تعمره بما يحبسه عن التصرف

(٢١) سورة الزمر : ٤٢ .

فكانه شيء مقبوض أي حاصل في القبض بمسك، ممنوع من التصرف وان كان في الجسد، لكنه يرسله اذا شاء أن يزيل الى الحابس عنه فيعود كما كان. وأما قبضه في حال الموت فانما هو أن يقبضه ويمسكه ويخرجه من مقره وهو الجسد.

والأجل المسمى انقضاء مدة الحياة وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿حِينَ مَوتِهَا﴾ على حذف المضاف والتقدير حين موت جسدها، لأن الأنفس على هذا هي الأرواح. وقال السدي: تقبض روح النائم عند نومه فتلتقي الأرواح أرواح الموتى وأرواح النيام، فيلتقي بعضها بعضا، فتسال أرواح النيام فتجلو عنها فترجع الى جسدها، وترتد أرواح الموتى أن ترجع فتحبس ولايؤذن لها في الرجوع، فذلك قوله تعالى : ﴿فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى﴾ الى الأجساد، والأخرى نفس الحياة، وهي التي اذا زالت معها الحياة فعلى هذا فالتي تتوفى عند الموت نفس الحياة، والتي تتوفى عند المنام نفس التمييز.

وعن ابن عباس (رحمه الله) أنه قال : في ابن آدم نفس وروح منهما أشعل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز ، والروح التي بها النفس والتحريك، فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ﴿فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي فيمسك الله النفس التي قضى عليها الموت أن تعود الى الجسد فلاتعود اليه، ويرسل الأخرى ، أي يرسل النفس في حال النوم ولم يقبض عليها الموت الى جسدها التي كانت فيه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي الى انقضاء مدة الحياة. وقال بعضهم: الوفاة اسم مشترك يقع على الموت، ويقع على النوم. فيقول الله سبحانه: أن تتوفى من قضى عليه الموت فيميته، ويتوفى التي لم تقض عليها الموت وهي في حال النوم فيميتها، وفي كلتا الحالتين وفاة وان اختلفتا، واحدهما الروح فيها مقبضة ممسكة في الجسد غير مرسلة اليه، والأخرى الروح فيها مرسلة الى جسدها إلى انقضاء أيام حياتها، فهما وفاتان وان اختلفت أصنافهما: واحداهما تنعدم معها الحياة والأخرى لاينعدم معها الا العقل والتمييز. فهذا ماوجدته من تفسير القرآن. والله أعلم .

وان سألت ، أيها الأخ، عن أصل تكون نور العين، فاعلم أنه قد جعله الله عز وجل يتكون من الغذاء الطيب ارتد النظر وهو من الروح النفساني. وقد

ذكرت سبب طبخ الكبد للغذاء من قبل، فساذكر هنا شيئا لم أذكره من قبل، وهو من بعد ماذكرنا من طبخ الكبد ومايصل الى القلب من الرئة الى الدماغ في عرقين يصعدان الى الدماغ ، فلما صارا الى الدماغ انقسما أقساما شتى، ثم اتصلت تلك الأقسام، وانضم بعضها الى بعض، وصار فيها غشاء شبيها بالمشيمة متنجس، ثم يتفرع من ذلك الغشاء عروق أدق مافيه وأثر مافي بطنه، ثم تنقسم تلك العروق أقساما شتى، ثم تشتبك بعضها ببعض، ويصير فيها غشاء تشبه شبكة الصياد، ولذلك سمي الغشاء الشبكي المنجس. فاما منفعة المنجس الغليظ فانه توقي الدماغ من العظم، وأن يلطف فيه تلك الروح. وأما المنجس الثاني فانه يلي الدماغ وأن يلطف فيه ذلك الروح الحيواني، وتدور في التشابك الأول ثم يلطف ويدق، ثم يهبط الى الغشاء الشبكي الذي دونه فيدور فيه حتى يلطف هناك ، ثم يهبط أيضا الى الوعائين الذين في مقدم الرأس ويمكث هنالك، ويلطف، وتبقى الطبيعة غير مايخالطه من الفضول الى المنخرين ويقال له الروح النفساني، ولهذا قال جالينوس: ان قوى النفس تابعة بمرح البدن، ثم تنفذ في العصب الأجوف الى العين نفوذا متصلا فتكون به قوة البصر، وذلك أن الطبيعة اذا أرادت استقصاء انضاج المادةتحتال لها لبثا طويل المدة في الآلات التي تنفذ فيها. وكذلك لما كان هذا النفساني يحتاج الى النضج الى ماهو أشد استقصاء، جعل له مسالك طويلة، ومنافذ ضيقة لينضج فيها باستقصاء. فان قلت: كيف تبصر بهذه الروح، فهو بان تخرج من الدماغ الى العصب وتخرج الى الهواء، كما ذكرته ، في توسط الجليدية فيتم البصر بذلك. وأما مزاج هذا النور فهو حار يابس، لأن الأصل الباعث لهذا النور الى الدماغ الروح الحيواني. فان قلت: أين موضع هذا النور الآتي الى العين؟ فموضعه على حافة الحاجب من مجمع الحاجبين. وان قلن أين موضع الذكر من الانسان ؟ فهو في مقدم الرأس، ودليله أن تضع أصبعك الخنصر على طرف الأنف، وتمد شبرك الى أن يصل الابهام وهو أعلى اليافوخ. وأما محل الكبر فهو في أعلى الرأس مائلا قليلا الى الخلف. وأما عمل الحساب هو أسفل من محل الكبر. وأما عمل الخيالات هو أسفل من عمل الحساب. وأما محل السمع والنظر هو على القحود، والله أعلم. انقضى ماكتبه الشيخ علي بن عامر العقري (رحمه الله).

فصـــل

فلما أن أكمل الله خلق هذا المولود في بطن أمه، وهو من نطفة الرجل ونطفة المرأة لأنه لايكون الا من النطفتين جميعا لقوله عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ (٢٢) ، أي نختبره بالأمر والنهي. والأمشاج الأخلاط، واحدها مشج مثل خدن وخدين. والمعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم. وقد ذكر الشيخ (رحمه الله) سبب اختلاطهما ولايحتاج الى ذكر أكثر، وأصل ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فايهما علا صاحبه كان الشبه له. فما كان من عصب أو عظم فمن نطفة الرجل، وماكان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. وأصل ماء الرجل من صلبه، وماء المرأة من ترائبها لقوله عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(٢٣) . والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر. فاذا اختلطت النطفتان ومضت لها أربعة أشهر أمر الله الملك الموكل بالأرواح فمن حكمته عز وجل بان خلق تلك النطفة علقة، ثم خلق العلقة مضغة، ثم خلق المضغة عظاما، ثم كسا العظام لحما في مشيمة كعباه عند أليتيه. وزنداه عند كعبيه، ويداه على عينيه، وذقنه على ركبتيه كالكبة المجموعة المصرورة، مناطا بسرته على سرة أمه وجعل الله عز وجل يمنه وفضله متكاين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فاما الذي عن يمينه فهو الكبد، وأما الذي عن شماله فهو الطحال، وغشا وجهه بالغشاوة وأقبل بوجهه الى ظهر أمه، وظهره الى بطنها لكيلا تؤلمه بزفرة الطعام ويؤلمها بنفسه، وجعل له رزقه وغذاءه في بطن أمه، من دم حيضها، فمن أجل ذلك لاتحيض المرأة.

وركب فيه عزوجل أربع طبائع وهي السوداء والصفراء والبلغم والدم وجعل معه أربعة أخلاط متضادة وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. فاول ماخلق الله عز وجل الحرارة، وأصلها من الحركة الكونية التي هي من قدرة الله عز وجل، وعلة الفلك في الأشياء المتحركات، ثم خلق الله طبيعة البرودة، وأصلها من السكون الكوني الذي هو من قدرة الله تعالى، وعلة الفلك والأشياء الساكنات، فهذان أول زوجين كما قال الله عز وجل : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢٤) ثم يحرك الحار على البارد، وبسر لما أودع الله فيه من الحركة المذكورة، فامتزجا فتولد من

(٢٢) سورة الانسان : ٢ .
(٢٣) سورة الطارق : ٧.
(٢٤) سورة الذاريات: ٤٩ .

الحرارة اليبوسة، وتولد عن البرودة الرطوبة، فكانت أربع طبائع مفردات في جسم واحد، وهو أول مزاج بسيط، ثم صعدت الحرارة بالرطوبة فخلق الله منها طبيعة الحياة والأفلاك العلويات، وهبطت البرودة مع اليبوسة الى أسفل ليخلق الله منها الموت والأفلاك السفليات. ثم افترقت الأجسام الموات الى أرواحها التي صعدت عنها، فادار الله الفلك الأعلى دورة ثانية فامتزجت الحرارة بالبرودة والرطوبة، فعند ذلك تولدت العناصر الأربعة، وأصل الصفراء حار يابس، أصله متولد من عناصر النار، ومسكنه من جسم الانسان المرارة. والبلغم أصله متولد من عنصر الماء الطبيعي ، ومسكنه من جسم الانسان الرئة وهو بارد رطب. والدم أصله حار رطب متولد من عنصر الهواء الطبيعي، ومسكنه من هذاالجسم الكبد، فاذا أراد الله عز وجل بخروج هذا الجنين، بعد تمام خلقه من بطن أمه الى دار التعب والغرور، دار الحزن والسرور، دار التعب والفناء، أطلق يديه ورجليه، وأوحى الى الأمعاء أن اتسعي، والى المفاصل افترقي، وأوحى الى الملك الموكل بالأرحام فاستخلصه على جناحيه، فاوقعه على الأرض، بحكمة الله عز وجل وقدرته. فلما أخرجه الله الى الدنيا، ليس له سن تطحن، ولابطش ولا قوة، حتى جعل الله رزقه في ثدي أمه لبنا خالصا سائغا عذبا مطعما شافيا مغذيا، حارا في الشتاء، باردا في الصيف، برأفة الله ولطفه، وألهمه الرضاع، وألقى الشفقة والرأفة والرحمة في قلب والديه، لايتركانه يحزن ولايبكي، فهو في رضاع أمه وتربيتها الى أن يلهمه الله الأكل من طعامه، ويشرب من مائه.

فانظر أيها المتفكر في حكمة الله وقدرته ورأفته بعبده بأن جعل أمه لاتتركه يصيح ولايجوع ولايؤلمه شيء، وجعلها تربيه أحسن التربية، وتزيل أذاه من غير سأم ولا ملل ولا كسل، الى أن يستقر قراره على الأكل والشرب، ففطمته أمه بعد ذلك، وجعلت تلطف به أحسن اللطف حتى أنبت الله من رأفته بعبده سنا ليطحن بها الأطعمة، وقوة يبطش بها، فهو في ذلك الى أن يبلغ أشده ويستوي. أيليق بهذا العبد الضعيف المعصية، والاعراض عن خالقه ؟! لا والله العظيم والبر الرحيم، ان صاحب العصيان لمسلوب العقل .

فصل

واختلفوا في بلوغ أشده (٢٥)، قال بعضهم: من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة، وقيل : من ثلاثين الى أربعين، لأنه روي في الحديث : «لم يبعث

(٢٥) اشارة الى الآية ١٥ ، سورة الأحقاف .

نبي الا على رأس الأربعين» (٢٦). وقيل غير ذلك تركته خوف الاطالة.

فلما أن بلغ هذا الجنين أشده، أحل الله عقله وهو في أفضل شيء في جسده لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ان في الجسد لمضغة فان صلحت صلح الجسد كله، وان فسدت فسد الجسد كله،ألا وهي القلب»(٢٧) ألا وهي العقل ، لأن العقل نور متصل الى الدماغ، اذ خلق الله للدماغ ثلاثة بطون، وخلق للقلب ثلاث تجويفات، وجعل العقل يتوصل في جميع ذلك. فالبطن الأول من الدماغ فيه التخيل وهو المقدم، وهو يعين على الاستنشاق ، وعلى نفض الفضل بالعطاس، وعلى توزيع الحساس(٢٨). والبطن الموسط كدهليز بينهما يقود جميع الأشياء المذكورة، والبطن المؤخر هو مبتدأ النخاع وهو يتوزع أكثر الروح المتحرك. وهنالك أفعال القوة الحافظة. وللدماغ أيضا أربعة أوعية تعرف الدماغ وعاءان في مقدمة، ووعاء في مؤخرة، ووعاء فيما بين الوعائين المؤخرين المقدمين، فالوعاء المؤخر من الأوعية هو الروح النفساني الذي به تكون الأفعال. وينحدر من الدماغ أغشية تتولد منها طبقات العين ويتحدد من جوانب الدماغ لكل عين عصبتان تكون فوقهما هذه الأغشية فتكون من ذلك الروح الناظر وعند التقاء العصبتين آلة الشم. وأما تجاويف القلب، فالأولى في أعلاه فيما غمض منه، وهو نور يسطع، وهو محل الايمان والاسلام، ومعاني الحروف هناك مشكلة ، وهي عمل القوة في اللسان، والقوة المديرة لارادة المعاني المنبعثة من النفس، ولها عين نورانية ينظر بها الى الأنوار المحسوسات، وأطوار المركبات، وحقائق الحروف وأسرارها، وعظم ماأودع الله فيها من أسرار أسمائه وحقائقه.

وأما التجويفة الثانية وهي في محل التفكير، وهو نور ساطع، وهو محل السكينة والوقار، وهو محل الخيال فيما يلقيه. ولهذا التجويف عين نورانية بها يدرك الطلب، ومنها تنبعث في الحد للطلب والشغف الى الشيء المطلوب، وهو أسرع تعلقا بالأشخاص للطافتها، ولها ينكشف عالم الملك وماحواه صنع الأعلى، وبها يقع الاستحسان للمستحسنات. والتجويفة الأخرى، وهي أرقه وألطفه، ويعبر عنها بالفؤاد، وهو محل العقل والايمان ولطائف الحكم، وهو محل الحب ومحل الحياة الطبيعية من الحرارة اللطيفة، ولهذا قيل

(٢٦) لم يرد بلفظه وله شواهد عند البخاري ومسلم ومالك .
(٢٧) حديث أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه.
(٢٨) لعله : الاحساس .

للفؤاد عين نورانية بها يدرك حقائق الملكوت وأسرار العلويات وموازين الحقائق، وهي محل الأنوار الالهيات العلويات، فتلك البصيرة التي يبصر بها لقوله عز وجل : ﴿فَإِنَّهَا لَاتَعمَى الأَبصَارُ وَلَكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٩) ، ومحل النور الأقدس، وهي محل السمع أيضا، وهي محل العقل لقوله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَاتُسمِعُ المَوتَى وَلَاتُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ (٣٠) ، لمن يرد به من موت الحس وانما أراد بهم هذا السمع الذي هو عالم الفؤاد. ومحل العقل هو محل غير روح الآخرة الذي يشير به الى التمكين، وحقيقة الجمع مااختص به التنزيل على نبينا محمد ﷺ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمَنُ وُدًّا﴾ (٣١) . أي سيحدث في قلوبهم مودة من غير تعرض منهم لأسبابها فيؤدنه بانواع الأذكار وأطوار القربات فلايتركون من أعمال القلب شيئا الا يبصرون به ولايؤدون بانفسهم الا بقطع العوائد المالوفة الى أن يحصل بها ود من الله عز وجل لينقلب حديثها نطقا، وحكمة وحركاتها ارتقاء درج العلو، فيؤدونه بالحقائق الايمانية والأسرار الشرعية والأنوار الدينية الى أن تظهر على الروح آثار الود فينتظر المعاد كشفا وما أعد الله فيه من أنواع النعيم لأوليائه والعذاب لأعدائه، فيتزايد اشتياقهم الى طلب الرجعة الى الله تعالى ولقائه، ويزهدون في جميع العلائق والمالوفات غير الله عز وجل، فاذا توجه القلب الى الله عز وجل، نظر في أسرار عجائب صنع الله عز وجل وتفكر في ذلك. فذلك قوله عز وجل : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾ (٣٢)، أي يتفكرون بحقائق القلوب وعيونه النورانية استدلالا واعتبارا فيما خلق الله عز وجل، لأن التفكر أعظم العبادات لقوله عليه السلام : «لاعبادة كالتفكر» (٣٣)، وقيل أن أرواح الوحي في كتاب الله عز وجل ثلاثة وهي : الروح الأمين، وروح القدس، وروح الأمر: فالوحي من الروح الأمين، نزل على التجويف الأول من القلب لأنها من النطق واللسان، وهي أول مراقب الوحي في التنزيل، وهو الهام الله تعالى على القلوب، وبعده روح القدس وهو نقيض مايرد في اللوح المحفوظ الى المرتبة الثانية من القلب، فينبت الايمان والنصيرة الفكرية وتظهر الأنوار الحكم

---

(٢٩) سورة الحج : ٤٦ .
(٣٠) سورة النمل : ٨٠.
(٣١) سورة مريم : ٩٦ .
(٣٢) سورة آل عمران : ١٩١ .
(٣٣) انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٣.

واللطائف الايمانية. ثم للمرتبةالثالثة وهي محل النور الأقدس وهي المذكورة من قبل .

فصـــل

أذكـر هاهنا صـفـة الروح من النكت، ارادة مني ليكون في كتابي من كل فن:

اعلم أن الروح ، بضم المهملة ، هي النفس. يقال : خرجت روح فلان، أي نفسـه، والروح ، بالضم، هي روح الأجسـاد لكل حي من الحـيـوان، يذكـر ويؤنث، وهي التي يجري فـيها الدم. والروح هو جبريل عليه السلام، وسمي روحا لأنه يأتي بما يحيي به العباد من الوحي. قال الله عز وجل : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ (٣٤). قـرأ أهل الحـجـاز وحفص بتخفيف المعجمة الوسطية، ورفع المهملة الأخيرة من الروح، وهي الحـاء والنون من الصـفة، أي نزل به جبريل عليـه السـلام بالقـرآن العظيم. وقـرأ الآخرون بتشديد المعجمة وفتح الحـاء والنون على المفـعول، أي نزل به جبريل عليه السلام لقوله عز وجل : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ (٣٥).

والروح ملك عظيم يقـوم يوم السـاعـة وحـده صـفـا، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً﴾(٣٦)، وقـال عـز وجل : ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي﴾ (٣٧)، واختلفوا في هذا الروح، فقال ابن عباس رحمـه الله: هو جبريل عليـه السـلام، وروي عن علي بن أبي طالب أنه قـال: الروح له سـبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان تسبح الله عزوجل تـلـك الألسنة، وقـيل في الحـديث: لم يخلق الله عـز وجل أعظم من الروح الا العـرش، لو أذن الله له أن يبـتلع السماوات والأرض في لقـيـمـة واحدة لفعل باذن الله عـز وجل. وصـورة خلقـه على صـورة الملائكة وصـورة وجـهه على صـورة بني آدم يقوم يوم القيامة على يمين العرش، وهو أقرب الخلق عند الله عـز وجل يوم القـيـامـة، وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين المـلائكـة سـترا مـن نـور لاحـترق أهل السماوات من نوره. وقـيل: أن الروح القرآن، وقيل : غير ذلك ، تركته خوف الاطالة .

---

(٣٤) سورة الشعراء : ١٩٣ .
(٣٥) سورة الشعراء : ١٩٢ .
(٣٦) سورة النبأ : ٣٨.
(٣٧) سـورة الاسراء : ٨٥.

والروح النفخ سميً بذلك لأنه يخرج من الروح. قال ذو الرمة :

فقلت له ارفعها اليك وأحيها *** بروحك وافنيه لها فنية قدرا

أي أحيها بنفخك، وسمي الروح عيسى بن مريم عليه السلام روح الله، لأنها نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم عليها السلام، ونسب الروح الى الله لأنه كان بامره. ويجوز أن يسمى روحا، لأنه بكلمة كان، قال الله عز وجل له : كن فكان، وكلام الله روح، لأنه حياة الجاهل وموت الكافر، ورحمة الله روح، قال الله عز وجل : ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (٣٨)، أي برحمة منه، والروح الوحي، قال الله عز وجل : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٣٩)، أي بالوحي أو القرآن، فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل، ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد. وقيل : الروح هاهنا جبريل عليه السلام والباء بمعنى مع، والله أعلم بهذه الأقاويل. وأكثر قراءة العامة في (ينزل) بضم الباء وفتح النون بتشديد الزاي، ولعله قد قرأ بعض على ماوجدت بالتاء مكان الياء بضم التاء وفتحها وسكون النون وجر الزاي. والله أعلم بهذا. وقريء غير هذا، تركته خوف الاطالة .

وأما الروح، بفتح الراء المهملة ، فهو نسيم الريح، والروح الاستراحة مثله، بفتح المهملة. قال الله عز وجل : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (٤٠)، أي فله، استراحة، وقريء ﴿فَرَوْحٌ﴾ بالضم، أي الرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة، والريحان الرزق الطيب، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾، أي ذات نعيم، والروح بالفتح الفرج، قال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ﴾(٤١)، أي من فرج الله، وقيل: من رحمة الله، وقيل : راحة الله، ويوم روح، أي طيب، وروح من أسماء الرجال.

فصل

أذكر هاهنا طرفا من العقل :

ولما أن أكمل الله خلقة العقل وتدبيره، جعل الله له أعوانا يخدمونه وهن الحواس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس. فلولا البصر لم يطلع القلب على جميع الأشياء المذكورة المنوطة، ولا عرف العقل مصنوعات خالقه. فلما أن أكمل الله خلق الانسان بجميع جوارحه، خلق الله للقلب اللسان ليكون

---

(٣٨) سورة المجادلة : ٢٢ .
(٣٩) سورة النحل : ٢ .
(٤٠) سورة الواقعة : ٨٩ .
(٤١) سورة يوسف : ٨٧ .

ترجمانا لما يحدث في القلب من الأشياء، ليجيب عنه بما يريده. فالواجب على المرء أن يريض نفسه ويتحفظ من المعاصي بهؤلاء الحواس (٤٢)، ويعلم علما يقينا أنها منة ولطف من الله لعبده، ليس من شانها المعاصي، انما خلقها الله عز وجل كرامة منه للعبد ليطيعه بها، فلولاها لم يفضل الله عز وجل بني آدم على سائر المخلوقات، لأن هذه الحواس آلة للانسان، بها يسعد ويهلك ويناقش بماذا (٤٣)، صرفها العبد يوم القيامة، لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسئُولاً﴾ (٤٤)، فلولا تلك الحواس لم يعرف الانسان مصنوعات خالقه، ولانظر بعين الحقيقة الى حكمة الله في خلقه، لأن ابن آدم أكمل خلق الله عز وجل، لما فيهم من العجائب الدالة على العالم أمر عجيب مشكل الا وفيه مفتاح علمه (٤٥)، لأن الله عز وجل خلقه على مضاهاة العالم فهو نسخة مختصرة منه. قال الله عز وجل : ﴿لَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ فِي أَحسَنِ تَقوِيمٍ﴾ (٤٦)، أي تعديل بان خص بانتصاب القامة، وحسن الصورة، واجتماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات كذلك قال النبي عليه السلام : «أن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم» (٤٧).

واعلم أيضا أنه لاشيء من الحيوان الا واختصه الله بطبع واحد وأفرده به، وجميع تلك الطبائع والحواس في بني آدم، وفضلهم على الكل بالعقل الكامل، وانما جعل الله عز وجل لعباده العقول التي هي نور من نوره ليبصروا شواهد الحقائق، ويعرفوا بها صنع الله في جميع الخلائق حتى يشهدوا لله بما شهد به لنفسه، ويقروا لله بالوحدانية الصمدانية كما أقرت وشهدت به ملائكته وأولو العلم من الخلق لقوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلمِ قَائِمَا بِالقِسطِ﴾ (٤٨)، مقيما بالعدل في قسمه وحكمه، وانتصابه على الحال، وقيل غير ذلك تركته خوف الاطالة .

فشهادة الله لنفسه بان نزه وحدانية بنصب الدلائل الدالة عليها، وانزال الآيات الناطقة بها، وشهادة الملائكة، وشهادة أولي العلم بها، والتصديق لها، وعلم المكاشفة بشواهد الحقائق على مادلت وأخبرت عنه تعالى حتى عرفوه يقينا، انه واحد أحد فرد صمد لانظير له ولا شبيه، ولاند

(٤٢) لعل الصواب : بهذه الحواس .
(٤٣) لعل الصواب : في ماذا .
(٤٤) سورة الاسراء : ٣٦ .
(٤٥) لعل الصواب : . . . الدالة على أن العالم أمر عجيب مشكل الا أن فيه مفتاح علمه . .
(٤٦) سورة التين : ٤ .
(٤٧) أخرجه هل ١٣ ، شفا ١/ ١٨٢ .
(٤٨) سورة آل عمران : ١٨ .

له ولا وزير، لاتدركه الأبصار في الدنيا والآخرة، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، حتى جعل الله أيدي العقول تمسك أعنة النفوس، والجسم مسخر للنفس، والنفس مسخرة للعقل، والعقل مستمد من الحضرة الالهية، فعنه تصدر الحكمة التي هي رأس العلوم، وميزان العدل، ولسان الايمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، ونور الأشباح، وجند المحاسن، وميزان الحقائق، وملجا الهاوين، ومنية المشتاقين، وأمن الخائفين، وأنس المستوحشين، ومتجر الراغبين، وحظ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل، لاتندرس آثارها ولاتنطمس ربوعها، ولايهلك بعد معرفته بها لان الحكمة في نفسها اصابة الحق، فاذا وردت على القلب ثبتت الحق، وكشفت ستر الجهل، ودلت على مكامل الهدى، وجلت (٤٩) القلوب من صداها، ولن تدرك الحكمة بجد ولا اجتهاد ، ولكن بمنة الله ولطفه، وسوف يؤتها من يشاء ويحرمها من يشاء لقوله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾ (٥٠)، في الدارين ، والله أعلم بالصواب.

فصل

واختلفوا في تفسير الحكمة ، فقال بعض أهل العلم : هو اسم العقل. وقال بعض : الحكمة القرآن والاسم (٥١) والفقه. وقال بعض : النبوة. وقال بعض : هو القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وقيل : معرفة الأشياء وفهمها، والله أعلم.

فصل

واعلم أن الله عز وجل خلق الخلق على أربعة أقسام : ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم، فركب في الملائكة عقلا بلا هوى ولا شهوة، لأنهم مقدسون عن هذه الرذائل، فلهذا لم يفتروا ساعة عن تسبيح ربهم، كما قال الله عز وجل : ﴿لَايَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَستَحسِرُونَ﴾ (٥٢)، أي لايعيون. يقال : حسر واستحسر اذا تعب وعمى. وقيل : لاينقطعون عن العبادة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لَايَفتُرُونَ﴾ (٥٣)، أي لايضعفون ولايسامون ﴿لَّايَعصُونَ اللهَ مَا

(٤٩) جلت القلوب ، أي جعلتها صافية لا ران عليها .
(٥٠) سورة البقرة : ٢٦٩ .
(٥١) كذا في الأصل
(٥٢) سورة الأنبياء : ١٩ .
(٥٣) سورة الأنبياء : ٢٠ .

أَمَرهُم وَيَفعَلُونَ مَايُؤمَرُونَ﴾ (٥٤)، فالراكع منهم راكع أبدا، والساجد منهم ساجد، والقائم منهم قائم ابدا، لقوله عز وجل اخبارا عنهم : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ (٥٥)، أي لا أحد الا له مقام معلوم في العبادة والمعرفة والانتهاء الى أمر الله عز وجل، والله أعلم.

وأما البهائم والدواب والطيور وجميع ذات الأرواح فركب الله فيها شهوة بلا عقل حتى قطعت أوقاتها في البطن والفرج، ولا لها حاجة غيره.

وركب في الشياطين العقل والشهوة والهوى فغلبت شهواتهم عقولهم فقطعوا دارهم بالأخلاق المذمومة والكبائر والمعاصي من الكبر والعجب والفخر والحقد والغل والحسد وسائر الأخلاق المهلكة .

وكذلك بنو آدم ركب الله فيهم العقل والهوى والشهوة ، فلما اجتمع فيهم من عقل الملائكة، وأخلاق الشياطين، وشهوات البهائم، لم يستقيموا على صنف واحد كالملائكة والشياطين والبهائم، ولكن انقسموا أربعة أقسام. فمنهم من غلب عقله على هواه وشهوته، وقد علا العقل عليهما، فكلما وسوسا للانسان بشيء ردهما العقل لأنه أعلى منهما، فكان الانسان على هذه الصفة من عالم الملائكة كالأنبياء والأولياء والأصفياء، ولذلك لم يأنسوا الى الخلق لبعدهم عن مجالسهم.

والقسم الثاني غلبت شهواتهم وهواهم على عقلهم حتى أسرتهم واستعبدتهم. فأصبحوا يكرعون في اللذات (٥٦)، وينهمكون في الطيبات والحلال من الرزق والتنعم بالمباحات من المطاعم والملابس والمناكح، وزين لهم حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة من الأنعام والحرث (٥٧)، وهم مع ذلك قد كسبوه من الحلال وأنفقوه في المباح. فهؤلاء من عالم البهائم يتلذذون ويأكلون كما تأكل الأنعام. وانما ألحقوا بها لأنه لاتكليف على البهائم، فكذلك هذه المباحات لاحرج في الاستمتاع بها بعد أن تكون من الحلال ويكون استعمالها على الوجه غير المنهي عنه في الشرع .

وأما القسم الثالث أن يكون الغالب عليهم أحوال الشياطين من العجب والكبر والفخر وغير ذلك من الأخلاق المذمومة، فهؤلاء من عالم الشياطين.

---

(٥٤) سورة التحريم : ٦ (٥٥) سورة الصافات : ١٦٤

(٥٦) لعل الصواب : يكرعون من اللذات .

(٥٧) أصل الكلام قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ . . .﴾، سورة آل عمران : ١٤ .

والـقـسم الرابع وهو أن يجتـمع في الشـخص افـراط الشـهـوات واتبـاع الهوى والأخـلاق المذمـومة وهو مع ذلك يكتسب من غير حله وينفقه من غير حله، فـهـذا يكون آدمـيـا في صورته، وشيطانا في أخلاقه، وبهيمة في شهوته، وهو أقـبح منزلة وأخس رتبة، نعوذ بالله من عمى البصيرة، وظلم السريرة، واتخاذ الهوى الها، ومن سـوء المنقلب، ونساله الاعـانة على هدايتنا والتنوير لقلوبنا بانوار الايمان والاخـلاص والثـبـات على الطاعـة الحـقـيـقية والذكر لأهوال يوم القـصاص، والحمد لله حق حمده، ولاقوة إلا بالله.

فـبالعقول صلاح النفوس وهي رأس التدبير وهي أرفع شيء في خلقة الله تعـالى، شرفـها ورفعتها عند بارئها ، يحصل للعبد أرفع رتبة، يرتقي بها الى مـعـرفـة أسرار الملكوت الخـفـيـة عن الأبصـار، بالأبصـار المحيطة بالأفكار، فـتـعاين القلوب حقائق الغيوب، وبصحة قبول شواهد الأسرار تلج الضمائر بمـجـار الأفكار، وتطمئن النفـوس الى مـالحـقت به من العـالم المحجوب عن الأبـصـار، فـتكشف بعـيـون فكرتها شـمس المكاشـفـة لتنظر بها جـلال الله وعظمـته، فسوف تنجلي بقلب بدور العظمة، فتكشف غياهب الغفلة ودياجير القـسـوة، فـينفـجـر بها صـبـاح الصـلاح منورا بماء البرهان، فيضيء سراج اخـلاصـهـا بزيت الزهادة في قناديل اخلاص الايمان، فتحصل بذلك السعادة الأبدية، والحـجـة البرهانيـة، والجيرة المحـمدية، والله الموفق الى طريق الحق والصواب.

فصـــل

وأصل العـقل ، عقلان : عقل غريزي وعقل مكتسب. والعقل مأخوذ اسمه من العـقـال، عـقـال البـعير، يقال عقلت الشيء اذا شددته وربطته وضبطته، فسـمي بذلك تشـبـيـهـا بعقل الناقة لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته فيردعه عن مذمومات الفعال .

فصل مما وجدته في كتاب القناطر تأليف الشيخ اسماعيل بن موسى المغربي النفوسي (رحمه الله)

وفي الحـديـث عـن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ، أنه قـال : «خلق الله سـبـحـانه العقل من نور مكنون في غامض علمه، من حيث لايطلع عليه ملك مـقـرب ولانبي مـرسل، فـجـعل الزهد رأسـه، والخير سمعه، والحياء عينيه،

والرأفة قلبه، والعلم فهمه، والصبر طبعه، ثم قواه بعشرة أشياء: بالايمان، واليقين، والسكينة، والصدق، والاخلاص، والقنوع، والخشوع، والخضوع، والشكر، والتسليم، والصبر، ثم قال له : أقبل ، فاقبل، فكان اقباله اقبالا. ثم قال له : أدبر، فادبر ، فكان ادباره ادبارا. قال الله عز وجل: فوعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا قط أكرم علي منك، ولا أحسن منك، ولا أحب الي منك، بك آخذ ربك، وبك أعطى، وبك أعبد، وبك أعرف، ولك الثواب، وعليك العقاب»، قال : فخر العقل لله ساجدا، فمكث في سجوده ألفي عام، فقال له الله عز وجل: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع. فقال: اللهم سيدي بحقك على خلقك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه. فقال له: ذلك لك». وقال ﷺ : «من أوتي عقلا فقد أوتي خيرا كثيرا. فانما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه. ومن لم يكن فليس بعاقل». وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهي عنه» (٥٨). وقال تبارك وتعالى : ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾(٥٩)، أي عاقلاً، والله أعلم .

فصل

والعقل أبين الفضائل، وينبوع الأدب. والعاقل لايكون عنده كثير من النفع الا بعلم وأدب لأن بالعلم والأدب يكون كمال عقل الانسان فاذا أكمل عقله صلحت سيرته وخضعت جوارحه، وعرف نفسه، وعلم أنها أذل وأصغر من الذر (٦٠) .

وقيل العقل عشرة اجزاء، تسعة منها في الصمت، وأحدها في الهرب من الناس، وعدو المرء نفسه، وصديقه عقله، وكثير من الاختلافات في صفة العقل تركتها خوف الاطالة .

فصل

وأما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي، وذلك من كثرة التجارب فيما غبر من الزمان، وكيفية مضي الأمور مدة السنين والأعوام، وأكثر مايكون في آراء الشيوخ. وهذا العقل يزيد ان استعمل، وينقص ان أهمل، لأن قوة بقائه المعرفة، واضافة الفكرة مالم يمنعه مانع منهوى ولا غيره، لأنه لايحصل (٦١) بكثرة التجارب وممارسة الأمور. ولذلك قيل في المثل :

---

(٥٨) انظر : الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ١/٤٥٨.

(٥٩) سورة يس : ٧٠.

(٦٠) الذر : النمل الصغير جدا

(٦١) لعل الصواب : لأنه يحصل .

«التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل» وقيل: «من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله»، وقال بعض البلغاء : «كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الأيام عظة». وأنشد في ذلك الشاعر :

ألم تر أن العقل زين لأهله *** ولكن تمام العقل طول التجارب

فهذا سمي العقل المكتسب، وهو نتيجة العقل الغريزي ، والله أعلم.

فصل

وقد وصف بعض الحكماء صفة العقل الغريزي، وما كتبته الا تذكرة لمذكر وعظة لمتعظ ، وروي في الحديث عن بعض الحكماء أنه قال: «فكرت في المؤمن واحتراسه من عدوه، في سلوك منهج التقوى، ومخالفة أوامر الهوى واقتدائه بمحمد المصطفى، أن الله اذا اختص المؤمن بولايته، أكرمه بمحبته، وفهم الناس بمعرفته، وطلب معرفة ربه وعصمته، ورجاء عفوه ورحمته، فيعجز الشيطان عن التطرق اليه بدقائق حيلته ومكره وخديعته ، فدلتني الفكرة فيما اعتمدته مني أن مثل المؤمن في الدنيا كمثل مدينة وحولها سور أحاط بها، وقلبه في تلك المدينة كالقصر للملك، والايمان في قلبه كمثل الملك في ذلك القصر، وللملك سرير وهو التوحيد، وله تاج وهو المحبة، وله وزير وهو العقل، وله حاجب وهو التقوى، وله صاحب سر وهو العلم، وله نديم وهو الزهد، وله أمين وهو الذكر، وله علم وهو الأس (٦٢)، وله سراج وهو الحكمة، وله سيف وهو الحق، وله درع وهو التوكل، وله رسول وهو الصدق، وله مناد وهو الاقرار، وله سجن وهو الخوف، وله دليل وهو الفراسة، وله ثواب وهو المراقبة، وللمدينة باب وهو الصبر، وتحته حصان وهو الشكر، وله جنود ينصحونه وأصحاب لايخالفونه، فبينما هو في قصره معتكف على أمره ونهيه اذ أقبل بعض جماعته المشفقين على مملكته، وقال له: أيها الملك ان الشيطان الرجيم قد أقبل بوجهه عليك في جيش عظيم، فاحترس في قصرك واستعد في مدينتك، وانا نظنه اليك غدا واصلا، والى مدينتك نازلا، وبحربك متاهلا. فنادى في جماعته وأهل النصح من خاصته وأعاد عليهم الخطاب وطالبهم بالرأي والجواب، ثم التفت الى الوزير وهو العقل وقال له: بماذا تشير؟ فقال: نحفر حول مدينتنا خندقا من الزهد فانه لباس عدونا يصد، ولكيده يرد. فحفروا حفرة بمعاول القلق ، وأطلقوا في محاربته دموع

(٦٢) كذا في الأصل .

الأرق، فلما أحاط الخندق بالمدينة أنشد في الحال يقول شعرا:

فلما أحاطت في جـــنود وســـاوسي *** حفرت لزهدي حول قلبي خندقا
حفرناه في أرض التودد والرضـــى *** وأجريت فيه دمع عيني مدفقـا
وصابرت وجدي واعتصمت بخالقي *** فاصبحت من قيد المكاره مطلقا

فـبـينما هو كـذلك أذعنت غيرة البـاطل، وأقبل العدو بين فارس وراجل، وكـانـت جـنوده عشرة، وهي: الحـسـد، والكبر، والعـجب، والتـجبر، والغل، والمكر، والمجـادلة، والحـقـد، والغدر، والوسوسة في الصدر . ونزلت النفس في شمال المدينة وكـانت جنودها عشرة وهي : الحـرص، والشـهـوة، والرغـبـة، والقسوة، والرنع (٦٣)، والشح، والبـخل، والطمع، والأمل، والكسل. ونزل حب الدنيـا أمـام المدينة وكـانت جنوده عشرة وهي : الرياء، والتـفاخر، والتكاثر، والبطر، واللهـو، واللعب، والزور، والكذب، والغش، والخـديعـة، والتـفـريط. ونزل ابليس اللعين وراء المدينة وكانت جنوده عشرة وهي: الظلم، والخيانة، وتـرك الأمـانـة، والـكفـر، والنفـاق، والافك، والشـقـاوة، والعـداوة بين الأهل والجيران، وحب الزينة والمال، ومـعـصـيـة ذي الجـلال. فـهال الملك مارأبصر وارتاع وتحير وأنشد في الحال يقول شعرا:

اني بليت باربـع لم يخـلقوا ** الا بطـول بليـتي وعنـــائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ** كيف الخلاص وكلهم أعـدائي
لا تجـزعن لما أبـصرت حل بنا ** فحول بلدتنا القرآن يحـرسـنا
ونحـن في سـتره من كل ناحية ** فنسأل الله اذ للخـير وفـقـــنا
فـمذ عرفنـاه صـافـانا مودته ** لكـن ينـكرنا من ليس يعـرفنا
ومن يكـن ناسـيا ابليس نائبه ** ونحـن نـذكره فـالله نائـبـنا

فاجـابه وزيره ، وهو العقل ، قال : ثم أن الملك (٦٤) ياغياث المستغيثين، وأمـان الخـائفين، وناصر المكروبين، ويارجـاء المنقطعين، ويادليل المتحيرين، ويامنقـذ الهالكين، ويااله العـالمين، فـثـبت جنانه، وشد أزره وأركانه . وقال للوزير وهو العـقل: كن أنت في مـقابلة الهوى، واطلب النصر من الموتى، وقد سلمت يمين مـدينتي اليك، واعتمدت في حفظها، بعد الله عليك، فقال : أحب أن تندب إلى اخوانا يكونوا (٦٥)، لي على العدو أعوانا.

---

(٦٣) لعله : الزيغ .

(٦٤) في السـيـاق اضـطـراب ونـقص، لعل الصـواب : «ثم ان الملك ... فأجـابه وزيره وهو العقل، قال : ياغياث ...»

(٦٥) الصـواب : يكونون .

فضم اليه من جنوده عشرة وهي : محبة الخلق، والتواضع، وحسن الخلق، والتيقظ، والايثار، والنصيحة، والوفاء، والثبات، والتحبب الى الخلق، والذكر.

قال : وسلم الجانب الثاني الى حاجبه وهو التقوى، وقال له : كن في مقابلة النفس. وسلم اليه من جنوده عشرة وهي: التوكل، والعفاف، والصفا، والبذل، وغض الطرف عن المآثم، وذكر الموت، والسكينة، والقناعة، والمبادرة الى الطاعة .

قال: وسلم الجانب الثالث الى نديمه وهو الزهد، فقال له: كن أنت في مقابلة الدنيا، وضم اليه من جنوده عشرة وهي : الاخلاص، وطلب الحلال، والاقتصاد، والشكر، والخوف من عذاب الله تعالى، والتوبة، والصدق، ونصيحة الخلق، والأدب، والوفاء، ورفض هذه الدار.

قال: وسلم الجانب الآخر الى صاحب سره وهو الذكر وقال له : كن أنت في مقابلة الشيطان، وضم اليه من جنوده عشرة وهي : العدل، والأمانة، والديانة، والأمان، والاحسان، والحلم، والتواضع، والاستغفار، وترك الأضرار، والتهجد بالأسحار.

وحفظ الملك باب المدينة واستعان بحول الله وقوته، فلما استتم الملك قراره، نادى ابليس أصحابه ورجاله، فنصب على المدينة منجنيقات البهتان، وغرارات الجحود والطغيان، فقابلوها بمنجنيقات التوحيد ورايات التحميد، وزحف القوم الى الخيام ورشق جنود ابليس بالسهام، فخرج اليهم القوم من جهة الظلام، واشتغلوا مشاغل المحكمة بالأحكام، وأقاموا على أبراج المدينة حراس الزهد، وقدموا اليه بآلة التوبة، فلما بدأ ضوء الصباح وارتفع سناه ولاح، علا بينهم الصياح، فانتقصوا الصفاح وهدف الرماح (٦٦) وتدافق الكفاح، فبعد ذلك رفع الملك يده الى السماء وابتهل الى الله عز وجل في الدعاء وقال في ذلك شعرا :

قد بلغ الأمر منتهاه ** وحل بي مثل ماتراه
من لم يكن ناصري سواه ** فكيف أسلو الى سواه
يالائمي في هوى هواه ** لذنا بالمقام الذي تراه
مابال سقمي أزال جسمي ** شوقي وجسمي كما تراه

قال : ثم قال لجنوده: أبدروا اليهم فان الله ناصركم عليهم فما أنتم أقل

(٦٦) كذا في الأصل .

منهم عددا، ولا أضعف منهم مددا، وفتحت أبواب المدينة، وبادر كل قرين قرينه، فأيدهم الله بالنصر والسكينة وألقى في قلوب الأعداء الرعب والهلع والخوف والجزع، فتولوا مدبرين، ومما أملوه خائبين، وسارت جنود الملك في أثرهم مجدين، ولهلاكهم مجتهدين، فمنهم من قتلوه ومنهم من أسروه، فالتجات النفس الى حصن بالمدينة فاحاطوا بها ونازلوها وحاصروها وضايقوها، وأنشأ في هذا المعنى يقول :

أتى العقل في جيش عظيم عرمرم ** فمواقف من أهل الهوى كل محرم
ونادى حياض العسكرين كلاهما ** ألا لا اسلمي أيها النفس تسلمي
فما سلمت خوفا عليها ولا لها ** فقال التقي ياويك ثوبي وسلمي

فعند ذلك دخلت في الطاعة والتسليم، ونزلت على الرغم في حكم العزيز الحكيم .

فصل

وأصل العقل آلة لدرك العلوم ، وأشرف الفضائل ، وينبوع الآداب، وأصل التكليف، فالعلم يجري مجرى الثمر من الشجر، والنور من الشمس، والرؤية من العين، وشرف العقل مدرك بالضرورات، وكيف لايشرف ماهو وسيلة الى السعادة ؟!.

فصل

وروي عن النبي ﷺ : «لكل شيء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته» (٦٧)، أما سمعتم قول الفجار :﴿وَقَالُواْ لَو كُنَّا نَسمَعُ أَو نَعقِلُ مَاكُنَّا فِي أَصحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦٨)، أي لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله من غير بحث ولا انكار، على مالاح من صدقهم بالمعجزات والبراهين والدلالات، وتفكروا في حكمه ومعانيه تفكر المتبصرين.

فصل

واختلف العلماء في العقل، فقال بعضهم: العاقل هو المطيع لله، واحتجوا بالأمانة التي ذكرها. وقال بعضهم : الحساب على كل عاقل لأن «القلم رفع عن الصبي حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ» (٦٩) اذا عدم نوم المعصية ووقع التكليف على العقلاء، وقال بعضهم: العقل هو العلم،

(٦٧) انظر الزبيدي : أتحاف السادة المتقين ١/ ٤٥٦ .
(٦٨) سورة الملك : ١٠ .
(٦٩) أخرج الحديث الامام الربيع وغيره .

واحتجوا بهذه الآية : ﴿وَمَايَعقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾(٧٠).

فصـــل

وأمـا اذا قل هذا العـقل، وسببه نقصان جوهر الدماغ، ويبس فيه، حتى استـوت غـشـاوات فيما قيل مع الدماغ، فمنعت النور الواصل من القلب لأن للقلب تجـاويف، وللدمـاغ تجـاويف، وهي التي ذكرتها من قبل. والعقل نور مـتصل بينهما فاذا الانسان الرطوبات (٧١) أكلت تلك الغـشاوات اذا لم تكن مـسـتحكمة وهي التي منعت النور الواصل الى الدماغ، وهو نوعان: صفراوي وسوداوي.

فامـا الصـفراوي فعلامة صاحبه كثرة الهذيان بما لايشعر، والاقدام على الناس بالشر، فربما ضرب الانسان أو رجمه أو قتله.

أما السوداوي فعلامة صاحبه يكون كالخائف الوجل (٧٢) ويكون كثير الصـمت والدعـة، والخلو بنفسه في المواضع المهجورة والمقابر ونحو ذلك مع الفكر والوسـواس، وربما بكى، وربما ضـحك كـالمفجوع، وسببه زيادة خلط رديء سوداوي نخر في دماغه حتى نشفه فتنقص رطوبته، فعلاجه أن ياخذ الشـهـد منزوع الرغـوة وسـمن بقـر منقض، والصـفة أن تاخذ السمن والماء نصـفين فـتـغليه على نار لينة، وتحركه قليلا الى أن يفرغ الماء منه، وعلامته قـلـة الثـوران، وقلة الحس في فـورانه، لأنه اذا كـان به الماء له حس كـثير في فـورانه، ثم يأخـذ مع هذين النوعين حـلاب وهو أجـزاء وسنذكـر منها جزء واحـدا وهو أن تاخـذ السكر ومـثله من عـرق مـاء الورد، فـتغليه بنار لينة وتكشط رغـوته ولاتزال توقـد عليـه حـتى يذهب، ويبـقى السكر. ومنهم من يجعل الماء ثلاثة أسـهم، والسكر سـهما واحـدا. ومنهم من يطبـخه بمثله من الماء العـذب حـتى يذهب الماء، ويحط فـيـه خمسه من ماء الورد، فاذا أخذت العـسل والسـمن والحلاب المذكور، فتغليه بنار هادئة وتحركه حتى صار له قـوام كـالحلوى فيستعمله عند النوم كل ليلة فانه يرزن الرأس ويلين الدماغ ويحد البصر ويزيد في جـوهره، ويقوي الباه (٧٣)، ويشـد الأعضاء. وكذلك اذا ضربت صـفـرة البـيض في مـثلها سمنا ومثلها سكرا وطبخت واستعملت،

---

(٧٠) سـورة العنكبوت : ٤٣.
(٧١) كذا في الأصل : ويبدو في الكلام سقط .
(٧٢) الوجل : الخوف .
(٧٣) الباه : القدرة على إتيان النساء .

فانه تفعل كذلك، والله أعلم.

ويسكن في بيت ضيق من الهواء ويجعل على رأسه كبة من زبد البقر بعد أن يمرح ويدهن دماغه وجميع بدنه، وهذا في الصفراوي، والله أعلم.

وأما صاحب السوداء التي ذكرتها من قبل، فيسكن صاحبه في بيت مرتفع كالغرفة الكثيرة الضوء، ويحضر عنده الروائح الطيبة، والمطعم الدسم، وكذلك يطعم الحلوى المذكورة ويتخذ له أيضا الحلبة، وتغلى على النار أربع مرات أو خمس، كل مرة بماء جديد، ويصفى الماء الأول ثم تسحق، ويجعل عليها مثلها من دقيق الحنطة ويعمل حساء بحليب البقر وسمن وسكر، ويستعمل هذا غدوا وعشيا.

فصل

أذكر فيه طرقا من معالجات الحفظ، فينبغي لك، أيها الطالب للعلم، أن تعالج قلبك اذا كنت قليل الحفظ كثير النسيان وساذكر لك ماسالت عنه الحكيم علي بن عامر العقري، حفظه الله، في أمر النسيان، فهو يحدث من البلغم الرطب الذي يرطب مقدم الدماغ، ويمنعه من قبول مايودع فيه، بمنزلة الشمع الذائب الذي لايقبل الطابع، وهو جنسان: فمنهم من ينسى الجديد ويحفظ القديم، ومنهم بضد ذلك. فالذي يحفظ الجديد فذلك من البلغم الرطب، لأن الرطب لايثبت في الطابع من تماوجه، فينطبع فيه سريعا، وينمسخ منه سريعا. وأما الذي يذكر القديم وينسى الجديد فان ذلك من البلغم الجامد، لأن الجامد لايثبت فيه الطابع الا بعد تكرار كثير، فاذا تمكن لم ينمسخ سريعا. وقال قوم: ان مقدمة الدماغ هو محل العلم. وقال قوم: ان القلب معلق بالنياط وهو متصل بمقدم الدماغ وكان من القلب نور متصل من هذا البطن من بطون الدماغ فلحج (٧٤) فيه البلغم فنقص العلم والذهن، وهذا المرض يسمى تكثير غش. فاذا استحكم وغير العقل، فعلاجه الحقن الحادة، وبالايارجات المذكورة ويشم خصية التمساح، والغاغة (٧٥) والمسك وجوزة التجارة والبسباس والقرنفل والشقشق والدريمك وجميع المطايب: قلبي ودماغي، وكذلك الأدهان، ويتناول ثمرة شجرة الرقوم، والتعطيس بالفلفل والخردل والشنيز ويتغرغر بهما ايضا، ويوضع على رأسه خصية التمساح، واللبانة المغربية، ويغسل رأسه بالبورح الذي مع الصاع، ويطلي

(٧٤) لحج : نشب فيه ولزم .

(٧٥) الغاغة : الحبق أو الفوذنج (القاموس المحيط) من الأدوية القديمة .

حنكه بعاقر قرحا والخردل والأيارح فيقرأ وهو دواء مركب. والذي يذهب النسيان ويزيد في الحفظ الفلفل ودار فلفل والزنجبيل واللوح والسعد اذا شربت هذه الأدوية بالعسل والسكر كل صباح، فرادى ومجموعة.

صفة أخرى : يدق كل يوم مثقالين من الكندر، وتنقعان في الماء ويشربهما. صفة أخرى: ثلاثة أجزاء من الكندر وجزء من الفلفل ياكلها منهما بعدما دقا مثقالا. صفة أخرى : اهليلج من كل واحدة عشرة دراهم ويقوى فيمن يبقى برطوباته ويردهما بخمسة دراهم زنجبيل ومصطكي خمسة دراهم عود ثلاثة دراهم يدق ويعجن برطل عسل. صفة أخرى : فلفل ودار فلفل ووج ودار صيني وقرفة وسنبل من كل واحد عشرة دراهم، سنبل الطيب خمسة دراهم جوز ثلاثة زعفران وعود درهمان، مسك داتق يدق بحردة ويعجن بعسل منزوع الرغوة والشرب منه مثقال هذه عجيبة. والذي يزيد في الحفظ والذهن لخاصية النارجيل المربى والوج المربى والفلفل المربى والجوز الهندي وهو النارجيل والداريح والدجاج والطباهيج، وأن يكون غذاؤه بماء الحمص وخاصة ادامته مع قليل الخردل والحسا المتخذ من اللوز والعسل والخبز، ويسقى ماء العسل بالماء الحار بالسكنج الغسلي والحروري والبرودي، وهو دواء معمول. وكذلك يزيد في الحفظ، لحم الدجاج والجدية والخرفان ودهن اللوز والجوز. وأما الذي يضر الذهن الكزبرة الرطبة والتفاح الحامض، والهم والغم، والفكر، وجميع المسكرات، ومجالسة الشراء(٧٦) أضر شيء بالعقل والذهن. ومما يزيد في الحفظ تعاهد الدراسة والمذاكرة، ورياضة النفس، ومحادثة الاخوان وسؤالهم ، والسرور، والله أعلم. وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة. انقضى ماشرحه الشيخ علي بن عامر (رحمه الله).

فصل ذكر مايزيد في الحفظ من الكتابة

ومما يزيد في الحفظ، فعلى ماوجدته موثرا، أن هذا الدعاء اذا كتب في اناء نظيف بزعفران، ثم يوضع في الليل تحت النجوم ويشرب، وقت الصباح، بماء المطر وزمزم أو القراح ثلاثة أيام ، فانه يزيد في الحفظ، والله أعلم.

وهذا الدعاء المذكور : بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم اني أسالك ولا أسال غيرك، وأرغب اليك ، ولا أرغب الى غيرك، وأنت أهل للسائلين، ومنتهى الراغبين، وظهر اللاجئين، وأمان الخائفين، وجار المستجيرين، فتاح الخيرات،

(٧٦) كذا في الأصل .

ومقيل العثرات، ماحي السيئات، رافع الدرجات، أسالك بأفضل المسائل كلها وأعظمها وأنجحها التي لاينبغي للعباد أن يسالوك الا بها، يالله يالله يارحمن يارحيم أدعوك بأسمائك الحسنى، وأمثالك العلى، ونعمك التي لاتحصى، ياكريم أدعوك بأسمائك كلها، أحبها اليك، وأشرفها عندك منزلة، وأقربها اليك وسيلة، واسمك المخزون عندك، الجليل الأجل العظيم الأعظم، الذي تحبه وترضى عمن دعا به وتستجيب دعاءه، ولايحرم سائلك، وبكل اسم هو لك، والتوراة، والانجيل، والفرقان، وبكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمت به أحدا من خلقك، أو لايعلمه أحد من خلقك، وبكل اسم دعا به حملة عرشك، وملائكتك، وأنبياؤك، وأصفياؤك من خلقك، وبحرمة السائلين عندك، الراغبين اليك، المتعوذين بك، المتضرعين اليك، وبحرمة كل متعبد لك في بر أو بحر أو سهل أو جبل، وأدعوك دعاء من اشتدت فاقته(٧٧) وعظم جرمه، وأشرقت على الخلقة نفسه، وضعفت قوته، ومن لاينهض لشيء عمله ولايجد لفاقته ولا لدينه غافرا ولا مغيثا سواك، هربت اليك معترفا غير مستنكف ولا متكبر، لله فقير خائف مستجير، وأسالك ببابك أنت الله الذي لا اله الا أنت، الرحمن المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والأكرام. أنت الباقي وأنا الفاني، أنت المحسن وأنا المسيء، أنت الغفور وأنا المذنب، أنت الرحيم وأنا الخاطيء، أنت الخالق وأنا المخلوق، أنت الرازق وأنا المرزوق، وأنت أحق من شكوت اليه واستعنت به، وأسالك وأرجوك كم من مذنب غفرت له، وكم من مسيء عفوت عنه، وكم من فاسد أصلحته، وكم من ضال هديته، وكم من وضيع شرفته، وكم من طريد أويته، وكم من سائل قد أعطيته، وكم من جائع قد أشبعته، وكم من باك قد رحمته، وكم من ذي فتنة قد أصلحته، وكم من بلاء قد رفعته، وأنا عبدك الخاطيء المذنب، أسالك أن ترزقني حفظ كتابك، وكل علم يقربني الى طاعتك، ليستعمله بدني، وينشرح به صدري، وينطق به لساني، ولاتجعله وبالا علي، وتقربني الى ذلك، ولا قوة الا بك يارحمن أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلما وألحقني بالصالحين، لا اله الا أنت، الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه، محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(٧٧) فاقته : حاجته .

فصـــل آخـــر

روي عن النبي ﷺ أنه قـال : «يابن عباس أهدي اليك هدية، علمني بها (٧٨) جبريل عليـه السلام للحفظ، قال : قلت بلى يارسول الله. قال : تكتب في طست بزعـفـران فـاتحـة الكتـاب الى آخرها، وسورة الملك الى آخرها، وسورة الواقـعـة الى آخـرها، ثم تصب عليها ماء زمزم، أو ماء السماء، أو ماء البحر، وتـشربه على الريق، ويكون ذلك في وقت السـحـر مع ثلاث مـثـاقـيل لبـان، وعشرة مـثـاقـيل عـسل، وعشرة مثاقيل سكر، ثم تصلي بعد الشرب ركعتين، تقرأ في كل ركعة ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٧٩) خمسين مرة، ثم تصبح صائما، قال ابن عباس، لاياتي عليك أربعون يوما الا حتى تصير (٨٠) حافظا» والله أعلم بالصواب.

فصـــل

ومـن تـعـسر عليـه الحـفظ فليكتب ﴿أَلَم نَشرَح لَكَ صَـدرَكَ﴾ (٨١) الى آخرها، ويمحوها ويشربها، فانه ييسر عليه الحفظ ان شاء الله. وان أردت أن لاتـكـتـب فـاقـرأ كـل يـوم عـشر مـرات ﴿فَـفَـهَّـمنَاهَا سُليمَانَ ...﴾ الى ﴿... فَاعِلِينَ﴾(٨٢) ، يـا حي ياقـيـوم يارب مـوسى وهارون، يارب ابراهيم، يارب محمـد ﷺ أكـرمني بالفهم وارزقني العلم والعقل والحكمة بحرمة محمد ﷺ، برحمتك يأرحم الراحمين.

أيضـا للفهم والحفظ، يكتب في يوم الأحد في رقعة صغيرة بخط رفيع: لا اله الا هو الحي القـيـوم، ويبلع على الريق، وفي الأحـد الثاني ﴿اللهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَـالَـتَهُ﴾(٨٣) ويـبَـلـع كـذلـك، وفي الأحـد الـثـالـث ﴿ اللهُ لَـطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾(٨٤) ، وفي الأحـد الرابع «المص، كـهـيعص، طه» وفي الخامس «يس، حم، عـسق، حم» وفي الـسـادس «طسم، طس، الر» وفي السابع «ص، ق، ن» . ﴿إِنَّمَا أَمرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٨٥) ويكون الأول سالما من النحـوس والغم في المنازل السـعيدة ، سالما من النحوس، من فعل ذلك سبعة آحاد متوالية، يظهر له من العلم ومن الفهم مالايمكن شرحه، والله أعلم .

(٧٨) لعل الصواب : علمنيها أو علمني اياها .
(٧٩) سـورة الاخلاص : ١ .
(٨٠) لعل الأنصح : الا صرت حافظا أو حتى تصير حافظا.
(٨١) سورة الشرح : ١ .
(٨٢) سورة الأنبياء : ٧٩.
(٨٣) سورة الأنعام : ١٢٤ .
(٨٤) سـورة الشورى : ١٩ .
(٨٥) سورة يس : ٨٢ .

المنثورة الثانية

في طلب العلم وشيء من كلام العرب، وتفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطفا بامواج العلوم نيران الجهالة، وأحيى جثث الفهامة بروح بيان المقالة، وأنبت زيتون الزهادة من أموات العلوم، وأطلع سعد السعادة بسماء طاعة الحي القيوم، فحينئذ أزهرت فدافد(١) الافادة من نور أقحوان(٢) القبول، وانبتر جيد الجرائم بعوالي(٣) علوم العقول، فانسلخ ليل الملاهي بغثيان نهار الدلالات، وطخطخ (٤) ليل المهاوي بجذوة نيران الولايات، فاصبحت تنق ضفادع المظالم بجور الحقد، وتدق مقامع الحق حجارة الجحود والأد(٥) . فمع ذلك غرد عندليب العدالة بحرحار الجود والمحاسن، وتفرقت جرجور(٦) الجرائم حين لحظت أشد المصالح بجميع الأماكن، أولئك هم القوامون بهذه العلوم، أعلام قد رفعهم الله في درجات المعالي، فآنسهم بهما في مدلهمات الليالي، وقد نظروا الى الدنيا نظرة الشنآن، فاعرضوا عنها اعراض الثملان، فطاطات رأسها لخدمتهم طول الدهور والأزمان، الى أن أحدودب مطاها، وأحقوقف(٧) صلبها وهواها، ولم يميلوا اليه ميل الاستحياء، ولم ياخذوا منها حجرا للاستنجاء، وأما الذين زرعوا جوجر الحرم، بحد جد الجدال، وطمسوا عيون العلوم بسكين عدم السؤال. وتشدقوا بنوادي الفخر والاعجاب، ونصبوا راية الرياء لأولي النهي والألباب، حتى جعلوا العلوم مرقاة للمطامع، وسمعة في كل المجامع، أولئك يفتحون محجورات الالتباس، قربة لغوغاء الناس، مستترين عن أولي العلم والأكياس، فيذيعوا بالسنتهم مشرعين، ويقسموا بالله أنهم لمن المحقين، ﴿وَاللهُ يَعلَمُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾(٨) ، ﴿اتَّخَذُواْ أَيمَانَهُم جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُم سَاءَ مَاكَانُواْ يَعمَلُونَ﴾(٩) . اللهم اني أسالك من سنى شموس الهداية،

---

(١) فدافد: مفردها فدفد، وهي الفلاة والمكان الصلب الغليظ.
(٢) أقحوان : أزهار ربيعية صفراء وتكون بيضاء أيضا .
(٣) عوالي : أرفعها .
(٤) طخطخ : من طخ ، بمعنى رمي الشيء، وأبعده.
(٥) الأد : الصلب والقوة .
(٦) جرجور : جماعة .
(٧) احقوقف : الرمل أو الظهر : طال وأعوج.
(٨) سورة التوبة : ٤٢ .
(٩) سورة المنافقون : ٢ .

وتلبسني من بهاء قمر الدراية، وتسقيني من حياض الحظ السعيد، وتطعمني من أرى الرعاية والتسديد، انك تسمع دعوة المضطرين، وتوفر روعة المرتاعين، الهي فوضت أمري اليك، وألقيت عنان توكلي عليك، فارزقني العفو والعافية غير عافية ورحمة متناهية، انك سميع الدعاء ، يأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

فصل

فاما العلم فهو واحد العلوم، وهو مصدر، علم يعلم علما بكسر المهملة من الماضي وفتحها من المستقبل، وهي على ضربين: ضروري ومكتسب. فالضروري مالايمكن دفعه بشك أوشبهة، كعلم الانسان بنفسه وأحوالها ومايشاهده ونحو ذلك. والمكتسب هو كالعلم بالله عز وجل وبصفاته وماكان مفتقرا الى الاستدلال. وقيل كل العلوم ضرورية وقيل كلها مكتسبة، والله أعلم باعدل الأقاويل.

وأما بيان فضل العلم فهو في كتاب الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿يَرفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُم وَالَّذِينَ أُوتُواْ العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾(١٠) ، أي يرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، فلذلك يقتدي بالعالم في أفعاله ولايقتدي بغيره.

فصل

وفي الحديث : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»(١١) ، وأما قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾(١٢)، أي بالتوحيد، وقول لا اله الا الله، لأنهم يعلمون بقبولهم ماشهدوا بالسنتهم، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : للعلماء فوق المؤمنين سبعمائة درجة مابين الدرجتين خمسمائة درجة.

وقال تبارك وتعالى : ﴿قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لَايَعلَمُونَ﴾(١٣) . فالمعنى في هذا على ماوجدته وانه نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية (١٤) بعد نفيها باعتبار القوة العلمية على وجه أبلغ

---

(١٠) سورة المجادلة : ١١ .
(١١) أخرج الحديث الترمذي والهيثمي في موارد الظمآن ٨٠ .
(١٢) سورة الزخرف : ٨٦ .
(١٣) سورة الزمر : ٩ .
(١٤) لعل الصواب : باعتبار القوة العملية .

التقرير(١٥) وفضل العلم، وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه، أي كما لايستوي العالمون والجاهلون لايستوي القانتون والعاصون.

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَتِلكَ الأَمْثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ﴾(١٦) . الذين يتدبرون الأشياء على ماينبغي لأنه ورد في الحديث عنه عليه السلام أنه تلى هذه الآية فقال : «العاقل من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه»(١٧) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿بَل هُوَ أَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ العِلمَ﴾(١٨) ، وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾(١٩) ، قال ابن عباس رضي الله عنه : «أي يخافني، من خلقي، من علم جبروتي وعزتي وسلطاني».

وروي في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «صنع رسول الله ﷺ شيئا فرخص فيه، فتزهد قوم، فلما بلغه ﷺ خطب الناس فحمد الله، ثم قال: مابال قوم يتنزهون عن شيء أصنعه، فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية»(٢٠) . والله أعلم.

فصل

وأصل الخشية الخوف والرهبة لقوله عز وجل : ﴿وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ﴾(٢١) ، ويقال : فلان أخشى من فلان، أي أشد خوفا منه، قال غيره:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر ** للحرب دائرة على ابنني ضمضم

والخشية : الكراهية لقوله عز وجل : ﴿فَخَشِينَا أَن يُرهِقَهُمَا طُغيَاناً وَكُفراً﴾(٢٢) ، أي كرهنا، وقيل علمنا لأن الخشية العلم، وقال الشاعر :

ولقد خشيت بأن من تبع الهدى ** سكن الجنان مع النبي محمد

فصل

وروي في الخبر عن ابن عباس، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «طلب العلم أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل

---

(١٥) لعل الصواب : في التقرير .
(١٦) سورة العنكبوت : ٤٣ .
(١٧) أخرج الحديث العسقلاني في المطالب العالية ٣/ ٢١٤، حديث ٣٢٩٤.
(١٨) سورة العنكبوت : ٤٩ .
(١٩) سورة فاطر : ٢٨ .
(٢٠) أخرج الحديث بلفظ قريب ابن حنبل في المسند ٦/ ٤٥ .
(٢١) سورة الأنبياء : ٢٨.
(٢٢) سورة الكهف : ٨٠.

الله»(٢٣) ، وعندي والله أعلم أن ذلك العلم علم ما لايسع جهله، مثل علم التوحيد وأصل الدين مع أداء الفرائض: الصلاة والصيام وغير ذلك، والله أعلم.

فصل

ووجدت في كتاب «القناطر» تاليف النفوسي ـ رحمه الله ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «اذا حضرت الجنازة وحضر مجلس العالم، فاذا كانت للجنازة من يحضرها ويدفنها فان حضور مجلس العالم أفضل من حضور ألف جنازة، وعيادة ألف مريض، ومن صلاة ألف ركعة، ومن صيام ألف يوم، وصدقة ألف درهم، ومن ألف حجة ماخلا الفريضة، ومن ألف غزوة ماخلا الغزوة الفريضة .

أما علمت أن الله يطاع بالعلم، ويعرف بالعلم، فخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل، فقال رجل : فقراءة القرآن يارسول الله، فقال عليه السلام : ويحك ماقراءة القرآن بغير علم، وما الحج بغير علم، وما الجهاد بغير علم، أما بلغك أن السنة تقضي على القرآن، والقرآن لايقضي على السنة».

وروي عن النبي ﷺ : «ان العلم بالتعلم، والخير عبادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده»(٢٤) .

فصل

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «ليوم واحد من العالم الذي يعلم الناس أفضل عند الله من عبادة العابد مائة سنة»، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «ماعبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»(٢٥) .

وروي عن أبي محمد (رحمه الله) أنه قال : حفظ مسألة خير من عبادة ستين سنة، وذلك من مسائل التوحيد والذي لايسع جهله(٢٦) .

وروي عن النبي ﷺ ، أنه قال : «باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ومافيها»(٢٧) وقال عليه السلام : «باب واحد يتعلمه المؤمن خير

(٢٣) أنظر كنز العمال ، حديث رقم ٢٨٦٥٥ .
(٢٤) أخرج الحديث الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٣٩٥ حديث ٩٢٩ .
(٢٥) أخرجه الطبراني في الأوسط . (٢٦) ابن بركة : الجامع .
(٢٧) أورده الزبيدي : اتحاف ١/ ٩٧، العراقي : المغني ١/ ٩ .

من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، وأن طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار لوالديه يدخلون الجنة بغير حساب»(٢٨) . وعنه ﷺ أنه قال : «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل. وأما أهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ماجاءت به الرسل عليهم السلام»(٢٩) ، وعنه ﷺ أنه قال : «من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها حيث يقول : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾(٣٠) ، وقيل للنبي ﷺ: «أي الأعمال أفضل قال : العلم بالله عز وجل، فقيل له أي الأعمال تزيد، فقال : العلم بالله عز وجل، فقيل له نسالك عن العمل وتجيب عن العلم. فقال ﷺ: «ان قليل العمل ينفع مع العلم وأن كثير العمل لاينفع مع الجهل»(٣١).

فصل

وروي عن النبي ﷺ : «صنفان من أمتي اذا صلحا صلح الناس وهم الأمراء والفقهاء»، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وفضل العابد على سائر الناس كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «النظر الى العالم أحب الى الله من عبادة سنة». وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ياأيها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم، والمال، والملك، فاختار العلم، فاعطاه العلم والملك والمال جميعا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه بأن يهلك رواته، فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله عز وجل علماء لما يرون من كرامتهم. وعن الحسن أنه قال : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء. وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فانه يقومك ويسددك ويقدمك ويسودك كثيرا، ويصلح زينك وفسادك ويرغم عدوك وحاسدك

(٢٨) أخرج الحديث الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ١/٩٧ .
(٢٩) أخرج الحديث الفتني في تذكرة الموضوعات، والهندي في كنزل العمال ١٠٦٤٧ .
(٣٠) سورة الاسراء : ٨٥.
(٣١) رواه بمعناه الشهاب القضاعي في مسنده تحت رقم ١٠١٥ .

ويقوم عوجك وميلك، ويصلح همتك وأملك.

فصـــل

وروي في الحـديث عن النبي ﷺ أنه قـال : تعلمـوا العلم فان تعليمه لله خـشـية ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة، وبذله لأهله قـربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والوزير عند الأخـلاء، والقـريب عند القـرباء، ومنار سـبـيل الجنة، يرفع الله به أقـواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يهتدي بهم، قادة أدلة في الخير تقـتـفي آثارهم، وتوثق أعمالهم، ويحتـذى بافـعـالهم، وينتـهي الى رأيهم، وترغب الملائكة في حلتـهم، وباجنحتـها تمسحهم، وكل رطب ويابس تسـتـغـفـر لهم حـتى حـيـتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والمساء ونجـومـهـا والأرض وتخومـهـا، لأن العلم حـيـاة القلوب من العـمى، ونور الأبصـار من الظلمات، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ العبد به منازل الأحرار ومنازل الملوك والدرجـات العلى في الدنيـا والآخـرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومـدارسـتـه تعدل القيام، به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد، وبه يوحد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، هو امام والعمل تابعه، يلهمه الله السـعـداء، ويحرمـه الأشـقـيـاء، فـامتطوا اخواني مطايا الاجتهاد في ميادين التـعلم، وأفـعـمـوا مسيلات المسائل بأودية التفهم، واعتبروا اخواني بما قال عليـه السـلام، نعم العطيـة ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فينطوي عليها قلبك، فـيـحـملهـا الى أخ له مـسلم بها يعلمه اياها. تعدل عبادة سنة، ودلوا، اخواني، على الخير واقطعوا كبر الصبر لأنه جاء في الحديث عنه عليه السلام أنـه قـال: «الـدال عـلى الخير كـفـاعله»(٣٢) ، ولاتمـنـعـوا الحـكمـة أهلهـا، ولاتحـرمـوها طلابها فـيـؤول الى فـسـاد ايمانكم، ورد أعمالكم، لأنه روي في الحـديث عن النبي ﷺ أنه قال : «لاتمنعوا العلم أهله فان في ذلك فساد دينكم و إلتـبـاس بصـائركم»، ولاتكتـموا ، اخواني، علمكم، لأنه جاء في الحديث عن الـنـبـي ﷺ: «من كـتـم علما علمـه جيء به يوم القـيـامـة ملجما بلجـام من النار»(٣٣) أعـاذنا الله واياكم اخواني منها، وفي قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾(٣٤)

(٣٢) مجمع الزوائد ١/١٦٦، كنز العمال حديث ١٦٠٥٢.

(٣٣) الطبراني : المعجم الكبير ١١/ ٥، مجمع الزوائد ١/١٦٣. (٣٤) سورة البقرة : ١٥٩.

الآية، فقيل أن هذه الآية نزلت في علماء اليهود حين كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من الاحكام التي كانت في التوارة ، والله أعلم، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَاتَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم﴾ (٣٥) ، أي فلم يراعوه ولم يتلفتوا اليه، والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات، ونقيضه جعله نصب عينيه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس باليا التحتية في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ لانه غيب وبالفوقية على المخاطبة، واللام فيه جواب القسم الذي ناب عنه قوله : ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ﴾ والضمير للكتاب، والله أعلم.

فصل

فالله الله ، اخواني، في طلب العلم بالله والقرآن، أن تطلبوه لوجه الله مخلصين له الدين، وأن تروا دوام العلم وتنتقصوا من الجهل، لتنالوا درجات فضائله، وترزقوا حفظ مسائله، وأن تطهروا النفس من الأخلاق المذمومة مثل الكبر، والحقد، والاعجاب، والمباهاة، والرياء، وحب المحمدة، والحسد ، وحب الثناء، والمجادلة، وأن تصرموا (٣٦) ، حبل الطمع العاجل، لأنه روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «بني الاسلام على النظافة ظاهرا وباطنا لأن العلم عمارة القلوب وطهارة النفوس من جميع المذام (٣٧) ، وقربة الى الله في السر والاعلان» واحذروا اخواني أن يوسوس لكم الشيطان، فتتبعوه في وساويسه، وأسسوا اخواني مقام تعلمكم على أساسه، ولاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطواته فانه يامر بالفحشاء والمنكر (٣٨) وأخلصوا لله عز وجل في تعليمكم في السر والجهر، فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور (٣٩) . لئلا يتدكدك (٤٠) بكم أركان تعليمكم فتخروا مع ذلك ضعفين (٤١) ، وتصبحوا على مافعلتم نادمين، لأني وجدت أكثر أهل

---

(٣٥) سورة آل عمران : ١٨٧ .
(٣٦) تصرموا : تقطعوا
(٣٧) المذام : مفردها مذمة ، وهي النقيصة والخصلة القبيحة .
(٣٨) اشارة الى قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ﴾ ، سورة النور : ٢١.
(٣٩) اشارة الى قوله تعالى : ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَاتَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَايَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ﴾ ، سورة لقمان : ٣٣.
(٤٠) تدكدك : انهدم .
(٤١) ضعفين : كذا في الأصل .

زماننا قد نظروا جاه الجاه بعيون العلم وشربوا أمواه التمويه من ركايا السلم، أفلم يدبروا الآيات ويفهموا الدلالات، ويعلموا أنها آلة لصنع سلم السلامة، وحديقة لغرس كرم الكرامة؟! فاجتنبوا اخواني عن كل خصلة تؤدي إلى مهاوي الهلاك، وتحسم سبب الفكاك (٤٢) ، وكونوا وقرين خاضعين مهمومين لأجله، وعلى عدمه مغمومين، تبذلونه لكل طالب ، وترغبون فيه كل حاضر وغائب، ولاتخزنوه فتكتموه عن أهله لأن من خزن علما لعن أهله، ولايوجد مع غيره فهو في النار، ولاتغضبوا على مانالكم من الباساء والضراء، فتقولوا: نحن نعلم كذا وكذا، ونعرف كذا وكذا، مفتخرين به في المجالس، طالبين قربة السلاطين، لأن من كان كذلك فهو في النار، ولاتبذلوه لأهل الميسرة والغنى فتحرموه الضعفاء، وتستخدمونهم لأجل علمكم، لأن من كان كذلك فهو في النار، ولاتنصبوا أنفسكم للفتيا بالخطا والمحجورات من غير حجة ولا علم، لأن من كان كذلك فهو في النار، واياكم أن ياخذكم العجب والرياء، والطمع والكبرياء، في عرى الوفاق لأن من حصل في عرى هؤلاء فسوف تهوي به أسفل سافلين من النار، نعوذ بالله منها. والبثوا في مجالسكم وقرين سدمين (٤٣) ، وللمسائل صامتين، ولفتياها من العلماء الأخيار متفهمين، ولاتكونوا أول مفت فيها من قبل أن تغوصوا في بحر أفكار العلماء، فترجع المسائل مغموسة في أوصاب القاذورات من الخطا والزلل. ولاتجادلوا الباطل ولا تفتخروا بحفظ المسائل، واعرفوا في مجالس العلم أين مقعدكم، واقطعوا مرارة مراكم، واخضعوا لمن تعلمونه وتتعلمون منه، واستشعروا الصبر لقراءته، واسهروا أعينكم على تلاوته، وتفرغوا لحفظه ودراسته، واياكم والحسد والكبر فانهما رأس كل خطيئة، أما ترون بدو معصية ابليس، لعنه الله، من أجل الحسد والاستكبار، ولاتركنوا الى الدنيا فتخلدوا الى الأرض فانه مفتاح أفعال الكبائر، أما ترون سبب معصية بلعام ابن باعورا، ولاتكونوا كالعالم الذي يفرق حبائله في عروة الطمع، ويفرق من خيول عزوة الهلع، وينصب همته في ميادين التكاثر، ويضرب هامته في معادن الدفاتر ويضع فروة المعدمين، ويرفع قناة المنعمين، لايملك جوابا الا لمن يفعم له جرابا، ولايفتح بابا الا لمن يورده شرابا، حتى صار يفيض باجور فتواه، عقول وجود الثراء ويدرس بباتر مراه ذكر يزول بطون الثرى،

(٤٢) الفكاك : الخلاص .
(٤٣) سدمين : مهمومين .

تسيل له أودية الأحراب، فما يبتديء منها ببلة، ويعرق أديما مطاه فما يروى منها نقع غلة يسطع عليه شرح المواعظ وهو يطفئه برواجف القساوة، ويوضع بصهوة قلبه سرج العداوة وهو لايصرفه بايدي الصفاوة، يحتفي بحنيذ لذيذه من موارة تلميذه، ويظهر حلو حديثه على سر مر خبيثه، تراه يتاوه بها، وألف في حضرة الأنف من كثرة الذنوب وهو يفعم لها الذنوب، ويخفي مسائله عن أهل الفاقة لأهل الطاقة، فيسال بذلك في كتاب الله المبين وسنة النبي الأمين، فان قال : نعم، فهو ماين، وان قال: لا، فهو خائن ، يعرف شرع الاله، ولايصرف شرع الأهواء، ويحفظ المسائل، ولايجيب السائل، أيخاله أن يساله عن الحروف الملقوطة، لا الحروف المنطوقة، وعن الدراهم الهافية، لا المراهم الشافية، حتى صار حريصا بتلك الحالتين، شحيحا بنوال المسالين، لحاه الله ما أجراه عليه وأبعده ولا رده اليه، ياكل السحت وهو ينهي عنه، ويرد الناس وهو يدنو منه، فما أقبحها من بدعة، وأشنعها من شنعة، هل لايمتنع هذا الدنياوي عن ركوب هذه السفن، وطرق هذه الإتن قبل أن تنكشف عليه شموس الندم، وقدوم عدو القدم قبل شيب ليالي الفداف، وامتساح مراح الأرداف، واصفرار الصباح، وتكرار الصياح، قبل أن يضرب بندقيات المتالف، ويربط في سرادقات المسالف فهناك يبست الأوبئة للذين أخذهم الموت، وصاح عليهم صرف الزمان (٤٤) ، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (٤٥) .

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء، أو ليأكل به الأغنياء أو يستخدم به الفقراء، أو ليصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار» (٤٦). قيل عن جابر بن زيد (رحمه الله) أنه قال في قول الله عز وجل : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (٤٧) . قال : هم علماء السوء. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من أكل بعلمه جاء يوم القيامة وليس في وجهه نعرة

---

(٤٤) الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ١/ ٣٥٠.
(٤٥) سورة النساء : ١٨
(٤٦) جاء الحديث بلفظ قريب في كنز العمال ٢٩٠٣٤.
(٤٧) سورة مريم : ٦٩.

لحم، (٤٨) . وجاء عنه عليه الصلاةوالسلام: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤٩) ، وجاء في الحديث أن الله عز وجل قال: «ياداود الويل كل الويل لعالم أسكره حب الدنيا عن سلوك طريق محبتي. أولئك قطاع طريق عبادي المريدين لي، ان أدنى ماأصنع بهم أن أنزع حلاق مناجاتي من قلوبهم». وجاء في الحديث عن رجل أنه قال : «العلماء ثلاثة. عالم بالله وبامر الله، وعالم بالله ليس عالما بامر الله، وعالم بالله ليس عالما بالله، فالعالم بالله وبامر الله الذي يخشى الله ويعلم الأحكام من الحلال والحرام وجميع الحدود، فهذا العالم فضله عند الله كفضل الأنبياء، والعالم بالله الذي ليس عالما بامر الله الذي يخشى الله ولم يعلم من الحدود شيئا، فهذا هو الراكع الزاهد، الساجد في زمرة الأولياء والصديقين والشهداء، وأما الذي هو عالم بامر الله ليس عالما بالله الذي يعلم الحدود ولم يخشى الله فهذا هو من علماء السوء، لحاه الله ماأجرأه عليه».

فاطلبوا ، اخواني، العلم واسهروا أعينكم في طلبه قبل أن يرفع، ورفعه ذهاب أهله.

فصل

قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَد يَسَّرنَا القُرآنَ لِلذِّكرِ﴾ (٥٠) ، أي سهلناه، من يسر ناقته للسفر اذا رحلها، أو هيأناه للأذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاحضار وعذوبة اللفظ ﴿فَهَل مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي متعظ، أو هل من طالب عالم فيعان عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «تعليم العلم فريضة على كل حاكم». وقيل : «أوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام أن أتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد واطلب العلم حتى تنكسر العصى وينخرق النعلان». وروي عنه عليه الصلاةوالسلام أنه قال: «تعلموا العلم فان العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ العبد به منازل الأحرار، ويبلغ الأحرار منازل الملوك، ومجالسهم، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة».

ومن علماء الآخرة أن لايكون العالم يسارع في الفتوى، بل يكون متوقفا متحرزا ماوجد لذلك سبيلا، فان سئل عما يعلم تحقيقا بنص كتاب الله تعالى،

---

(٤٨) المندي : كنز العمال : ٢٩٠٣٤.
(٤٩) الزبيدي : اتحاف السادة ١/ ٥٧، كنز العمال ٢٨٩٧٧.
(٥٠) سورة القمر : ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

وبسنة رسول الله ﷺ، أو باجماع الأمة، أو بقياس جلي أفت بذلك، وان سئل عن مايشك قال لا أدري، وان سئل عما يظنه باجتهاد احتاط ودفع عن نفسه وأحال الى غيره ان كان في غيره، فهذا هو الحزم لأن تقلد الخاطر خطر للاجتهاد عظيم، لأنه جاء في الحديث عن جابر بن زيد (رحمه الله) أنه قال : لقد أدركت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يخافون اذا سئل أحدهم عن حادثة أو نازلة، ود لو أن أخاه كفاه اياها فافتاها، فاصحاب رسول الله ﷺ يخافون أن يسألوا فيجيبوا بما عندهم، وأنتم تنصبون أنفسكم للفتيا، وتسألون أن يستفتوكم، فما أظنكم تحبون السلامة لنفوسكم، ولاتخافون العقوبة من ربكم، فاتقوا الله واحذروا الفتيا، واياكم أن تقدموا ماليس لكم به علم اذا سئلتم، لأنه يوجد في الحديث : «أن الملائكة تلعن من يفتي بغير علم»، وأضعف الناس علما أعجلهم في الفتيا، لأن العالم العاقل اذا سئل عن العلم فكانما تقلع أسنانه.

فصل

وكان بعض السلف اذا سئل عن مسالة يبكي ويقول : «لم تجدوا غيري حتى اجتجتم الي؟!». وقيل كان الصحابة رضي الله عنهم، يتدافعون أربعة أشياء: «الأمانة والوصية والوديعة والفتوى»، فمثل هذا من العلماء الذين وصفهم رسول الله ﷺ أنه قال : «جلوس ساعة مع العلماء أحب الى الله عز وجل من عبادة ألف سنة، لايعصى الله فيها طرفة عين»(٥١) ، والنظر الى العالم أحب الى الله من اعتكاف سنة في بيت الله الحرام، وزيارة العلماء أحب الى الله عز وجل من زيارة سبعين حجة مقبولة، وكتب لك مادمت جالسا عند أهل العلم بكل حرف سبعين حجة وعمرة، وترفع لك درجة، وأنزل الله عليك الرحمة، وشهدت لك الملائكة، ووجبت لك الجنة يوم القيامة. وقيل الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وجاهل، فاما العالم فهو مستغن بعلمه فيزداد كل يوم بصراً وعلما، فاذا فقه أبصر واذا أبصر عمل، واذا عمل رجا، وهذه الغاية القصوى، وأما المتعلم فهو في زيادة فمثله كمثل السراج كلما كان ذهنه أصفى وفتيلته أغلظ كان أضوى وأنور، وذلك مثل المتعلم فهو في زيادة اذا كان المعلم ناصحا شفيقا، أنبت الله ذلك العلم في قلب المتعلم ويزداد علما الى علمه، واذا كان المتعلم متواضعا لمن يتعلم استوجب من الله الالهام في قلبه، وكان أقوى وأبصر، فهذه الغاية الوسطى. وأما الجاهل فيزداد كل يوم جهلا الى

(٥١) أخرج الحديث بلفظ قريب الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٣٠.

جـهله، لايتواضع فيعلم، ولايبصر في أنوار الحكمة. وقيل : أول العلم الصمت والثـاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع نشره.

فصـــل

ويعـجـبني من العلماء عـالم لبس ملبس السكينة والوقـار، وحسم كبر الحـوب والاصرار، وقطع أنوف الأنفـة عن وجـوه الجـهد للاقلاع والاستغفار ووضع عنان التـخـويف في المواعظ والتـذكـار، وعمر بيوت الابتهال في بيداء الخلوة والأسـحـار، وغـسل من خـضم الخـضـوع درن الحـسد والاستكبار، وشرب من صـافي الصـفـاوة والأفكار، وصنع قـيـد الانقـيـاد من حديد الفرح والاسـتـبـشـار، لمن يعلمه ويتعلم منه من كل عبيد وأحرار، تراه تسح هطال طوله على جدب جلسائه، ويقذف مرجان الاجادة على أصدقائه وأخلائه، ويدر درور ايمانه على هيماء اهماله. وينسكب صـوب صـلاحه على مسائل سؤاله، ويكمن شـعرة سلطان اليقظة بتابوت صدره، ويعلن سرطان الغفلة في عنوان جـهـره، فـيـعرج على ثبوت التقوى ليعرج على رضوى الرضوان، وبه يزرع زيتون الزهادة بجنان الجنان، ويؤتي ذوي القربى حقه ويهدي عرسه ورقه، ويفعم زقه من مرهم الفهم والعلم، ويعدم عرقه من صعيد الصعوبة والظلم، تراه يطفيء نيران الحنق بماء حلمـه، ويفـصل كـسـاء الكيـاسـة من كرسف اسـعـاده وفـهمه ، ويخمد جذوة الغيظ من عواصف الرمضاء، ويؤكد رحمة الهيض من شـقـاشق الضوضاء، وينبه سنا سنائه سنة الوسنان، ويفك ندا ندائه كـربة الشنآن حـتى أصبح علما لدروس أعلام العلوم، ومعلما لشرائع محكمات السر المكتـوم، لاتهب له رياح التعمد في المعاصي والخطأ، ولا يضرب سـهم التـبـهنس في أسـواق الخطا، لاهيـا من البـدع والخدائع، صابئا ببديع أحكام الشرائع، ومن يسـتنصر سـوى الله فـلا ناصر له، ومن يضلل الله فـلا هادي له، ومن يعص الله فـهو المعتدي، ومن هدى الله فهو المهتدي، ومن عاب صلصلة السأم سما في السماء، ومن تخلف عن مرحلة الاسلام ضل في مهلكات البـهماء، ومن أمـسك عنان التـوكل صفى له قلبه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ﴾(٥٢) . جـعـلـنا الله واياكم، أيها المسلمـون، ممن يشـوب بهدة فكر في حازر القهقهة، ويشرب شهد جنوده عن داء سادر الجعجعة، وممن ينطلق الى أسـواق الفـوائد قـبل أن يرفع عنه فـواق الموائد، وممن يسـتـبضع البضاعة الرابحـة، قـبل البـضـاعـة الرائجـة. فـاذكـروا ، أيها الناس، وأمـيطوا لباس

(٥٢) سورة الطلاق : ٣.

الالتباس، ولاتستقلوا كلامي هذا من صغيركم، فانه رب رهام افعوعمت من الأداني، واعشوشبت منه المجاني، وسر به كل محزون، وكشف به كل مخزون، وانظروا اليه نظر المستحسن الأديب المحب للحبيب، فاتقوا الله ، عباد الله ، وتوكلوا عليه، واقرأوا كتابي هذا ولاتعرضوا عنه اعراض الحسد والبغضاء، فاني قد بذلك كل الجهد في ترتيبه، وماتوفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أنيب.

فصل

وفي الحديث قيل : «ان تعليم الجاهل على العالم فريضة ليس بتطوع»(٥٣) ، وقيل : ان على طالب الحكمة والعلم أن يذاكر كل شخص رآه، فانه يكون عنده على أحد ثلاث خصال: أما أن يكون هو أعلم منه فيكون في ذلك موضع ربحه، واما أن يكون الشخص أعلم منه فيكون قد وافق غنيمته، واما أن يكون سواء فيكون ذلك موضع تجارته يعطي ويأخذ، اذا صدقت نيته في ذلك. والله أعلم.

فصل

وفي الحديث : «كن على مدارسة مافي قلبك أحرص منك على مافي كتبك»، وقيل أيضا: اجعل مافي كتبك رأس مالك، ومافي قلبك التفقه، وقيل: لاكنز أنفع من العلم، ولا مال أربح من الحل، ولا حسب أرفع من الأدب، وعن بعض البلغاء أنه قال: من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوه، ومن آنسه قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الأخوان. وعن النبي ﷺ أنه قال : «استودعوا العلم الأحداث اذا رضيتموهم وهم الصبيان»(٥٤) .

فصل

ومن آداب العلماء النصح لمن يعلمونه، والرفق بهم، ولايعنفوا به متعلما ولايحقروا ناشئا، ولايستصغروا صغيرا، لأنه روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «علموا ولاتعنفوا، فان المعلم خير من المعنف»(٥٥) ، والمعنف : اللائم والمعتز. قال جميل :

---

(٥٣) لم يرد بلفظه ، وله أصل في كتب السنة .
(٥٤) أخرج الحديث ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٣٣.
(٥٥) أخرج الحديث البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/ ١٣٧ .

فصـــل

ومـن آداب الـعلماء أن لايمنعـوا طالبـا ولاينفـروا راغـبـا، ولايؤيسـوا مـتـعلما، ولايلبـسوا متفهما، لأنه روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بالفقيه، قالو: بلا يارسول الله، قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله»(٥٦) ، الروح قـد مر تفسيره، وأما القنوط الاياس ومـتـعـديه أقنط الرجل الناس من رحمة الله، أي أيسـهم، واللازم منه معدوم الهمـزة وفتح معجمة الماضي وكسرها وهو النون وضمها من المستقبل وجرها وفـتـحـهـا قنوطا وقناطة فهو قنط وقانط. قال الله عز وجل : ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾(٥٧) . وقـال تـعـالى في مـوضع آخر حكاية: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾(٥٨) .

فصـــل

وينبـغي للعـالم أن يكون أوسع الناس صـدرا وأكثرهم صبرا، وأجملهم سـبـقـا، وأحسنهم خلقا، لأن المتعلمين منه، والحاملين عنه، يأخذون خلائقه، ويحتـذون طرائقـه، فيجب أن يكون لهم الى الأفعال منهاجا، ومن غي الضلال سراجـا. وعن النبي ﷺ أنه قـال : «العلم خـزائن ، ومفاتيحه السؤال»(٥٩) . فاسالوا ، رحمكم الله ، فـانه يؤجـر فـيـه أربعـة: السـائل والمسـؤول والمتبع والمجـيب لهم. ويقال : تعلموا العلم لوجه الله وللدار الآخرة، وتكلموا في العلم مـالم ينزل الفخر والمراء، فاذا نزل الفخر والمراء فكفوا عن الكلام .

فصـــل

فـالواجب على العالم أن يحترم علمه، ولايفتي بالشبهة والخطا، ويتثبت بكليـة جـهده، ويتأمل الخاص والعام وذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «الصـلاة خير موضوع فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر»(٦٠) وهذا عموم في كل وقت ، فـالخاص المعترض عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «لاصلاة بعد

(٥٦) أخرج الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٣٤.
(٥٧) سورة الحجر : ٥٥.
(٥٨) سورة الحجر : ٥٦.
(٥٩) الألباني : سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٧٨.
(٦٠) انـظر مجمع الزاوئد ٢/ ٢٤٩، كنز العمال رقم ١٨٩١٦.

صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس» (٦١) وهذا خاص في النوافل، وأما اذا نسي صلاة فله أن يصليها في هذين الوقتين، الا في وقت محجور السجود فيه، لأنه جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «من نسى منكم صلاة فليصلها حيث ذكرها فان ذلك وقتها»(٦٢) .

فصل

والعام لايعترض على الخاص، والخاص يعترض العام، وليس يكون في مثل هذا نسخا ، لأن النسخ حقيقته أن يرفع الكل.

فصل

وفي الأثر لايجوز للعالم أن يفتي بالمطلق في موضع المقيد، ولا أن يفتي بمقيد في موضوع ماهو مطلق، ولايفتي بالمجمل في موضوع المفسر، ولا الناسخ في موضوع المنسوخ، ولا المنسوخ في موضوع الناسخ، وقال المسلمون: أن المفسر يقضي على المجمل، ولايجوز العمل بالمجمل عند المفسر، فان اعترض أحد بقول المسلمين أنه جائز الأخذ باختلاف المسلمين في الفروع، فان ذلك ليس في المجمل والمفسر. والله أعلم.

فصل

ومن سأل عما سمعه من آثار المسلمين، أو حفظ من كتبهم الصحيحة، وعرف عدله جاز له أن يفتي من سجله، وأما من لايعرف عدله، ولاهو من المسلمين فلايجب فيه، وان قال وجدت في الأثر كذا وكذا، فقد قيل ليس لهم الأخذ بذلك الا أن يقول وجدت في آثار المسلمين ذلك. ومن كان من أهل العلم فاحتاج الناس اليه فسألوه عما هو به عالم فعليه أن يعرفهم ويدع الشك عنه فانه من الشيطان، وهو مذموم، والشك لايدفع اليقين، فليتركه وليقل بما علمه الله، وليعمل بما أمره الله عز وجل .

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «من قال علي مالم أقله فليتبوء

(٦١) أخرجه الأمام الربيع وغيره .
(٦٢) أخرجه الأمام الربيع وغيره.

مقعده من النار»(٦٣) . والمشهور من قوله عليه الصلاة والسلام: «من كذب علي متعمدا»(٦٤) ، وفي الخبر عن عائشة رضي الله عنها، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «ان الله عز وجل لايقبض العلم انتزاعا، ينتزعه من الناس بعد أن أتاه، لكن يقبضه بموت العلماء، لأنه كلما مات عالم ذهب بما معه من العلم، فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فان سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(٦٥) .

وينبغي للمفتي أن يتامل المسالة تاملا شافيا، كلمة بعد كلمة، وتكون عنايته بآخرها أتم من أولها، فان السؤال يتقيد بآخر الكلام، فان عرضت له كلمة غريبة سال عنها وأنقط وأعرب، وكذلك ان رأى لحنا فاحشا أو خطا فيحل معناه غير ذلك، ويصلحه، وان رأى سطرا ناقصا خط على ذلك وتممه، فربما قصد بذلك تغليط المعنى، والله أعلم .

فصل

وينبغي للمفتي اذا قرأ الرقعة المكتوب فيها أن يشاور في الجواب من بحضرته ممن يصلح لذلك، أو يقرأها عليهم، فان ذلك اقتداء بالسلف والله أعلم .

فصل

وقيل في الحديث أن ضمرة بن ضمرة (٦٦) قال للنعمان بن المنذر(٦٧): «المرء باصغريه لسانه وقلبه، ان نطق نطق ببيان، وان قاتل قاتل بجنان»، فقال له : «لله درك» الجنان بفتح المعجمة الأولى وهو القلب. وقال الشاعر في هذا المعنى :

وما المرء الا الأصغران لسانه ** ومعقوله(٦٨)والجسم خلق مصور

فصل

وينبغي للمفتي أن يختصر ولا يطيل اذا أتى على العرض، لأنه حكي عن

(٦٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن حنبل ١/ ٦٥، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٣٥ .
(٦٤) أخرجه الامام الربيع وغيره .
(٦٥) أخرج بعضه البخاري ومسلم والترمذي .
(٦٦) انظر الملحق .
(٦٧) انظر الملحق .
(٦٨) المقصود هو العقل .

بعض أمراء البصرة سئل الحسن وابن سرين عن مسالة، فاختصر الحسن وأطال ابن سرين، فلما خرجا قال الأمير أما الحسن ففقيه، وأما ابن سرين فقاص، وهو بكسر السين. وينبغي للمفتي أن يكون قلمه واحدا، لئلا تتباين أقلامه، ولايخلط خطه حرفا حرفا خوفا من التزوير عليه، وقيل التزوير في الخط المالوف والقلم المعروف أشرع مما اختلف وتباين، وينبغي أن يكون توقفه في المسالة السهلة كتوقفه في الصعبة حتى يتعود على ذلك، وكان بعض المسلمين اذا سئل عن مسالة تمعر وجهه. والتمعر هو أن يتغير وتعلوه الصفرة. ولاينبغي اذا ضاق موضع الفتوى أن يترك اثبات جوابه في رقعة أخرى لأنه يؤمن(٦٩) على الحيلة فيه.

فصل

وينبغي أن يكون جوابه موصولا بآخر سطر في رقعة آخر السؤال، ولايدع هناك فرجة. وينبغي له أن يترك الكلام غير الفتوى ساعة الفتوى، لأن ذلك مما يؤول الى الخطا. وينبغي له ان أجاب على ظهر الرقعة أن يكون جوابه في أعلاها من ظهرها لا في أسفلها، الا أن يبتديء بالجواب في أسفل الرقعة متصلا بالفتوى، فيضيق على الموضع فيتممه وراءها مما يلي أسفلها، ليصل ذلك بجوابه، والجواب على ظهرها أولى منه في أعلاها عند بسم الله الرحمن الرحيم، وان كان رقعة السؤال لا موضع فيها للجواب فينبغي للمفتي أن يجيب شفاها.

فصل

وينبغي للمفتي اذا كثرت الرقاع بحضرته، أن يقدم الأول فالأول على مايقدمه القاضي في الخصوم، وينبغي للمفتي أن يوجز في جوابه، فان الايجاز في الجواب حسن، كما سئل علي بن أبي طالب: «كيف يحاسب الله الخلق على كثرة عددهم» فقال : «كما يرزقهم على كثرة عددهم» وقيل له: «كيف بين السموات والأرض» فقال : «دعوة مستجابة»، وقيل لابن عباس رضي الله عنه: «الى أين تذهب الأرواح اذا فارقت الأجساد؟» فقال : «أين يذهب نور المصباح عند فناء الأدهان».

فصل

ومن سأل عن مسالة فاخطا طريق الصواب فيها، فلاباس أن يجيب

(٦٩) لعل الصواب : لايؤمن .

المسؤول عنها بوجه الصواب، فقد روي أن رجلا سال رسول الله ﷺ عما يلبس المحرم فقال : «لايلبس قميصا»(٧٠) فيجوز أن يكون عليه الصلاةوالسلام أراد تنبيه السائل عن غلطة في المسالة، وكان وجه السؤال أن يقول : ما الذي يلبس المحرم، لأن الأصل اباحة اللباس، والاحرام مانع، أو يكون عليه الصلاةوالسلام أجاب بما يليق بالمذكور في كتاب الله عز وجل من قوله تعالى : ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(٧١) ، فعطف عليه ولايلبس كذا، وأيضا فان مايلبسه المحرم كثير ومالايلبسه محظور، فهذا مانص عليه السلام .

فصل

وأصل الفتيا بالضم وبالكسر، وهو أضعف، وهو التعريف للشيء والابانة له، يقال أفتني، أي عرفني، وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾(٧٢) ، أي يستعرفونك وكذا قوله تعالى : ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾(٧٣) ، أي بينوا لي ماأعمل به، والفتيا ابانة مايسال عنه، أفتى الفقيه، وهو يفتي افتاء، وتقول استفتيت استفتاء، أي استعملت ماأريد علمه، وأفتيت غيري افتاء اذا بينت له ذلك، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾(٧٤) ، أي لاتسال عن أمر الفتية منهم أحدا، وقيل منهم من أصحاب الكهف ، ومنهم من أهل الكتاب.

فصل

وأول ماعلى السائل أن يسال عمن يثق به بدينه ، ويسكن الى أمانته، فاذا عرف من هو أهل للسؤال أخذه وجلله، ولين له خطابه، وتلطف له، وساله، ولايخاطبه مخاطبة العوام، ويميزه بالاعظام ويكرمه بالقيام، لأنه روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «قوموا لسيدكم»(٧٥)، يعني سعد ابن معاذ. وينبغي للسائل أن لايسال المفتي قائما، ولايجذب بثوبه، ولايومىء في وجهه بيده، لما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: «لايسال العالم قائما، ولايجذب بثوبه اذا نهض فانما العالم كالنخلة، تنتظر متى تسقط عليك من فائدة». وينبغي أن لايدع السائل الدعاء للمسؤول فانه من الجفاء، ومن سال عالما فليس من حقه أن يماريه، ولايجادله، وعليه السؤال

(٧٠) أخرجه البخاري وغيره، انظر سنن الدارمي ٢/ ٤٩ ـ ٥٠ الطبعة المحققة، دار الكتاب العربي .

(٧١) سورة البقرة : ١٩٧ .
(٧٢) سورة النساء : ١٧٦ .
(٧٣) سورة النمل : ٣٢ .
(٧٤) سورة الكهف : ٢٢ .
(٧٥) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد بن حنبل .

منه والأخذ بما يعلمه.

فصـــل

وليس يحسن بمن شذا من العلم طرفا أن يعارض به من هو أعلم منه، سيما من يعلمه، فانه الجهل الواضح.

يقال : شذا فلان من العلم وغيره مما يتعلم شيئا يشذ شذوا اذا أحسنه وهو بمعجمة الماضي مفتوحة، وضمها من المستقبل، وكذلك اذا تعلم منه قليلا قلت شذا منه شيئا قليلا.

وحسن بالسائل أن يستاذن العالم في السؤال فانه من الأدب، لأن العالم أعلم باحواله وأوقات فراغه واشتغاله.

فصـــل

والسؤال سؤالان: مامور به، ومنهي عنه، فالسؤال المامور به على ضربين، سؤال عن واجب وسؤال مندوب اليه فهو سؤال ندب. فمن اعتقد ترك السؤال عن الواجبات فهو هالك، باجماع، لأن ذلك خلاف لله ولرسوله وللمسلمين لقوله عز وجل : ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٧٦) .

وأما السؤال المنهي عنه فهو ماعفي للعباد عنه مما في البحث(٧٧) عنه ايجاب حكم أو تحريم أمر، قد كان، لولا السؤال، حلالا. قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٧٨) الآية. وقيل: خطب النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبرهم أن الله قد فرض عليهم الحج، فقام له رجل من بني أسد فقال : يارسول الله ، في كل عام؟ ثم أعاد، فقال النبي ﷺ: مايؤمنك أن أقول نعم فيجب عليكم، ثم لاتفعلوا فتكفروا، فاتركوني ماتركتكم، فنزلت هذه الآية(٧٩) . وقيل غير ذلك تركته خوف الاطالة .

وأما الذي جاء عن الشيخ أبي محمد (رحمه الله) في تفسير هذه الآية في قول أصحابنا : ﴿لَاتَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ يعني بذلك مايسع جهله، لاتسألوا عنه أنه تكلف منكم، لأنكم لم تكلفوا اياه. وقوله : ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾، عفي عنكم ، لم يكلفكم علم ذلك.

---

(٧٦) سورة الأنبياء : ٧ .

(٧٧) لعل الصواب : مما ليس في البحث عنه .

(٧٨) سورة المائدة : ١٠١ .

(٧٩) أخرج الحديث بمعناه الترمذي ٥/٢٥٦.

فصـــل

وعن النبي ﷺ : «خير خصال العلم السؤال» ويقال من رق عن العلم السؤال علمه رق علمه عن الرجال. ومن دخل بلدا وهو جاهل بأهله واحتاج الى السؤال عن نازلة به، فعليه السؤال عن العلماء من ذلك البلد المنسوبين الى الفقه والسير والعفاف والعلم، فان كان من أهل النظر والتمييز ميز بين أقاويلهم، واستدل(٨٠) على عدلها بالكتاب والسنة، وان كان ممن لاعلم له ولاتمييز معه، فعليه السؤال عنهم، وعن علمهم، وثقتهم، ثم يجتهد وينظر أيهم أكثرهم علما، وأثبتهم صلاحا، وأفضلهم ورعا فياخذ بقوله.

فصـــل

ومن أمر رجلا أن يسال له عن مسالة وهو يعلم أنها خلاف ماقال له، فاذا عرف المسالة فلايسعه أن يسال له عنها، ولايخبره بجوابها، وان قال له: اسال عن كذا وكذا، ولايدري مايريد فلاباس عليه أن يسال ، وأن اتهمه أنه يريد شيئا لاستحلال الحرام، فلا يسأل له ولايخبره بالجواب.

واختلف فيمن أراد حمل دينه، فقال قوم: فقيهان مجتمعان، وقال آخرون: يجزيه واحد، ولو كانا مجتمعين كان أحوط، وقال وهذا فيما يجيب به العالم من أهل الأحداث، وأما غير ذلك من ولاية المسلمين، والدلالة له على الحق من الحلال والحرام فالواحد يجزيه. والمستحق السؤال في الحلال والحرام هو العالم المشهور بالعلم في مصره، والمشهود له بالورع في عصره، من أهل نحلة الحق المنسوب اليه الفقه والمعرفة، فاذا كان بهذه المنزلة كان حجة للسائل وقدوة للمسائل.

ولايجوز أن يكون قدوة الا العالم الورع، فان كان ثقة فيما يفتيه، ولا ولاية له لايجوز أخذ الفتوى منه لأن الفتوى لايجوز أن تقلد الا أهل الموافقة لدين المسلمين، وكذلك الثقة في دينه، المخالف لدين المسلمين، لايجوز مايدفعه من الفتوى عن أحد من المسلمين، ولايصدق في الخبر عن رسول الله ﷺ لأنهم ينتحلون تحريف الكلام ليثبتوا مذاهبهم الفاسدة، وتناولوا فيها على مذاهب المسلمين تخطيتهم اياهم، ولأن من دينهم الذين يتقربون به الى ربهم أن لايرفعوا خبرا يوجب تصديق مخالفيهم، وتناولوا فيها على مذاهب المسلمين تخطئتهم اياهم، ولايوجب بتصويب مخالفيهم، ولايؤدوا من فتوى مخالفيهم الا مايؤدوا الى تخطيئتهم هكذا يوجد عن أبي مالك وأبي محمد

(٨٠) لعل الصواب : استدل بحذف الواو، لأنه جواب شرط .

(رحمهما الله) عن هذا، وهو في باب الأخبار بعد هذا، ان شاء الله. فان كان الدافع للخبر والفتوى على الفقيه المتبع رجل من أهل مذهب ولا ولاية له، وهو غير متهم فضله في الناس قبل منه ذلك، وصدق ووجب الفعل بقوله، اذا قال: حفظت عن فلان الفقيه، وأخبرني فلان أو سمعته بفتوى(٨١) بكذا، وكان يضبط مايرفعه ولايتهم عليه خطا وكان المخبر عنه فقيها معروفا بالفضل، ولايقبل الفتوى الا من أهل العلم والدين.

فصل

واذا كان الرافع ثقة ضابطا لنقل الفتوى جاز القبول فيه اذا كان من أهل الرأي، فان قال : «الحق في المسألة كذا وكذا، والجواب فيها كذا» فهذا مفت.

ولاتقبل الفتوى الا من أهل الولاية المنسوب اليهم الفقه، فان كان هذا الرجل معروفا بالصدق الا أنه ليس من الفقهاء وطلاب العلم، فلايجوز أن تؤخذ عنه الفتوى، لأن مثله قد نظن به أنه لايضبط عن العلماء مايسمعه من جوابهم، وخاصة مايكون من مشكلات الجواب من دقيق العلم وخفيه، ألا ترى أنهم لم يخيروا شهادة اثنين من هؤلاء على أحد من المسلمين فيما يوجب حتى يفسرا معنى الحرمة التي شهدوا بها، ولم يكلفوا ذلك العلماء، اذا شهد منهم اثنان قبلت شهادتهما، وصدقا في ذلك، وقلد الحكم فيه لتهمتهم لعلم الضعيف بالفقه، وثقتهم بعلم الفقيه، والله أعلم.

والمفتي اذا كان مخبرا للمستفتي أخبره بالاختلاف وان كان مفتيا لمن استفتاه لم يسعه الا أن يفتيه بما يقول هو به مما يراه عدلا عنده.

ولايجوز لأحد أن يسأل غير أهل العلم الذين نص الكتاب عليهم، وخص الكتاب برد السؤال اليهم، لأنه قال تبارك وتعالى : ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٨٢) ، وقال عز وجل : ﴿وَمِمَّن خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٨٣) ، فمن سأل العلماء فقد أطاع ربه وأصاب فيما أتى به، ومن سأل غيرهم فقد خالف مأمر به وضل وخسر وزال عن المحجة، ومن سأل من ليس بحجة، ومن عمل بحجة فهو سالم، والمستفتي من العالم سالم، ومن غير العالم هالك.

---

(٨١) لعل الصواب : يفتي بكذا .
(٨٢) سورة النحل : ٤٣ .
(٨٣) سورة الأعراف : ١٨١ .

فصـــل

ومن أفـتى فـخـالف فـتواه كتاب الله وسنة رسول الله محمد ﷺ واجماع الأمـة لم يسلم بفـتـواه. ومن سال من ليس بحـجـة عند الله وكـان في جوابه ضمان، فـالضمان يلزم السـائل، والمفتي آثم، وان كان المفتي بذلك عالما فافتى بما يخرج من قول الأمة ضمن، ولاياثم اذا ضمن مافتى به.

فصـــل

واذا كان المفتي من أهل الفتيا فاخطا فعليه الضمان، وان لم يكن من أهل الفـتـيـا فـلاضمان عليه، وهو سفيه من السفهاء، وقيل: المفتي يدخل بين الله وبين عباده.

فصـــل

ومما وجـدته عن أبي سـعـيد (رحمه الله)، قال أبو سعيد (٨٤) (رحمه الله) : في العـالم اذا أفتى بشيء يعلم الأصل فيه فزلت لسانه في فتياه، فخالف الحق أنه لايسع المفـتي أن يعمل بما أفتاه من الباطل ولو لم يعلم أنه باطل، ان مـات وهـو على ذلك البـاطل الذي يخالف الكتـاب والسنة والاجماع فـهـو هالك، ولااثم على العـالم في ذلك. وأما اذا كان المفتي لايعرف الأصل فتحرى في فـتياه الصواب فافتى فخالف الكتاب والسنة والاجماع، فالمفتي والمفتى كلاهما هالكان، وان وافق قولا من أقاويل المسلمين مما يجوز فيه الرأي فالمفتى سالم اذا وافق الحق، وأمـا المفـتي فـقـد قـيل فـيه باختلاف: فبعض عذره اذا وافق الحـق، وبـعض رآه آثما اذا تكلم في الاسـلام بغير علم لقـول الله سـبـحـانه وتعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعلَمُونَ﴾(٨٥) .

قلت له : فـهذا المفتى اذا أفتاه هذا العالم بالأصول فخالف الحق المجتمع عليه، هل له أن يعمل بما أفتاه العالم، ويعتقد السؤال عما يلزمه؟

قال : معي (٨٦) عليه أن لايعمل بالباطل ويعتقد السؤال عما يلزمه.

قلت له : فان عمل بما أفتى وهو معتقد السؤال، فلم يزل على ذلك يعمل بما يفـتي ويعتقد السؤال ويشك حتى مات من غير أن يصيب الحق هل تراه هالكا؟

قـال : انه اذا دان باداء مـايلزمـه في ذلك في الجملة، وتاب في الجملة من جميع مخالف فـيـه رضى الله أو جميع ذنوبه، وهو دائن بالسؤال عن جميع

(٨٤) أنظر ترجمته في الملحق .
(٨٥) سورة البقرة : ١٦٩ .
(٨٦) المجيب هنا هو الشيخ أبو سعيد الكدمي ، أي رأيه كذا .

مـايلزمـه في جملة دين الله واعـتقد السؤال، وعمل بما يفتي به على غير قصد منه الى ركـوب البـاطل الا بسـبب الفـتـيـا والظن عسى أن يكون كذلك، وهو معتقد للسؤال عما يلزمه فلا أقول أنه هالك .

قلت له : وان حسن في عقله خلاف مايفتي به وهو الى الحق أقرب الا أنه باطل في الأصل، هل عليـه أن يعـمل بما حـسن في عـقله، ويدع الفـتـيـا اذا لم يحسن في عقله عن هذا؟

قـال : مـعي ، أن ليس له أن يعـمل بالبـاطل على حـال من حـجـة عقل ولاقول معين، والله أعلم .

فصـــل

ومما وجـدته من جـواب الشـيخ الفـقـيـه صالح بن سعيد الزاملي(٨٧) (رحمه الله)، وعن الثـقـة اذا رفع مـسـائل عن أحد من علماء المسلمين، أيقبل قوله ويصدق في ذلك أم لا؟

الجـواب : ان الثقة اذا كان ممن يحفظ اذا سمع شيئا من المسائل فجائز قبول قوله ، والله أعلم .

فصـــل

ومنه (رحمه الله)، الى الشـيخ الوالي الموالي عـامـر بن محمـد بن مـسعود المعـمري السعالي النزوي (٨٨) (رحمه الله): ومـاتقـول رحمك الله في الجـاهل بامـور الدين والاعـتـقـادات، اذا سال أحـدا من العلماء عن مـسالة، وأفـتـاه المسـؤول بفتوى، فعمل السائل بها وكان قد أخطا المفتي الحق أيكون السائل آثما، وضامنا فيما فيه الضمان أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: اذا عمل بغير الحق فالاثم يلزمه، وكذلك الضمان ان فـعـل فـعـلا يجب منه عليـه الضمان، ولاعـذر له باتبـاع المفتي اذا خالف الحق، ولايجوز الا قبول الحق من المفتي، والله أعلم.

قلت له : وكـيف الجـاهل اذا كـان لايعرف اختلاف الأديان فسال بعض العلماء، أهل الخـلاف، فافـتاه بشيء من الضلال، فعمل به مع ظنه أنه يجوز له ذلك، أيهلك ذلك الرجل أم لا؟

قـال : لايجوز له أن يعـمل بالضلال ولو أفتاه عالم من علماء المسلمين، فكيف وقد أفتاه عالم من علماء أهل الخلاف.

---

(٨٧) انظر ترجمته في الملحق .

(٨٨) انظر ترجمته في الملحق .

ومن عمل بالباطل ومات عليه مصرا غير تائب منه بعينه ولافي جملته ان وجب العذر له عن التوبة منه بعينه مات هالكا أعاذنا الله من الهلاك والله ﴿بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾(٨٩).

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي(٩٠) (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري النزوي (رحمه الله): واذا جاء الأثر بجواز شيء وأنكره القلب ، يجوز الأخذ به أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا نطق الأثر بجواز شيء فلايهلك من أخذ به وذلك مثل «بيان الشرع»(٩١) ، «المصنف»(٩٢) ، «الجوامع»(٩٣) ، «الضياء»(٩٤)، وأمثالهن فجائز الأخذ والعمل بما فيهن على قول بعض المسلمين، مالم يعلم أنه مخالف للحق. وقال من قال من المسلمين: لايجوز العمل بما يجده في الأثر حتى يعلم عدله، وأما اذا أنكره القلب فلايقدم عليه الا بعد أن يعلم عدله، والله أعلم.

قال المؤلف : أما قول الشيخ فهو صادق فيما حكاه من القول الأول، ولكن ينبغي التثبت في الأخذ بما نطق به الأثر لئلا يقع الأخذ في المحرمات، ويتورط في الشبهات، ويهوى بهوة الخطيئات، لأن القلب حاكم في ذلك، فاذا أنكر شيئا من الأقوال المباحة والمحظورة فلاينبغي القدوم على المباح والامساك عن المحظور الا بعد دلالة وتفسير، وبيان الدليل على ذلك ماروي عن النبي ﷺ، أنه قال لوابصة: «استفت قلبك ياوابصة وان أفتوك وأفتوك فما حاك في صدرك فدعه، وماوافق القلب فاعمل به»(٩٥) ، فان وجد رجل شيئا في الأثر مباحا ينكره القلب فلاينبغي العمل به الا بعد معرفة عدله من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ أو اجماع الأمة وتفسير عالم فهم

---

(٨٩) سورة الشورى : ٢٧.

(٩٠) انظر ترجمته في الملحق .

(٩١) موسوعية فقهية من تأليف الشيخ محمد بن ابراهيم الكندي (ق ٥) .

(٩٢) موسوعية فقهية من تأليف الشيخ أحمد بن عبدالله الكندي (ق٦) .

(٩٣) عدة مصنفات تحمل اسم الجامع ، منها جامع ابن جعفر (ق ٣) ، وجامع ابن بركة (ق٤) ، وجامع البسيوي (ق ٤ ـ ٥) . وجامع ابن الحواري (ق ٣).

(٩٤) كتاب فقهي من تأليف الشيخ أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (ق٥ ٦).

(٩٥) أخرج الحديث الدارمي وأحمد بن حنبل .

مرضي يفسر ذلك تفسيرا بينا، يصرف شكوك القلب لأن الكتب تتغير من كاتب الى كاتب، ومن ناسخ الى ناسخ. فالمنتخب أن لايعمل بها الا بعد معرفة عدلها ، والله أعلم .

وأما ماورد بالامساك عن محظور فذلك من طريق الشهرة اذا أنكر القلب حظره أن يمسك عنه لأن الأمور على ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فكله الى الله، والمحظور بورود الأثر مشكل، والمباح والمحظور بورود الأثر أمر مشكل اذا أنكر القلب حظره واباحته. والله أعلم .

فصل

وينبغي لمعلم الصبيان أن يكون ورعا في دينه، فهما في تعليمه، متفكرا في مصالح صبيانه، ناظرا اليهم بعيونه وجنانه، فصيحا عالما باعراب القرآن، كاتبا كتابا طيبا بالبنان، كثير الفطانة في البيان، قليل الكلام مع الصبيان، جم النصيحة لهم، متفحصا عن أمورهم في مغيبهم ومحضرهم، لاينظر الى أحد دون أحد، ولايؤخر أحدا دون أحد، ولايمازح في المكتب، ولايضحك معهم، ولايتركهم سدى، ولايهملهم رعاء، ولايامرهم الا فيما يجوز له أمره، ولايخبرهم الا فيما يجوز له خبره، ولايجبرهم الا فيما يجوز له جبره، وأن يامرهم بملازمة دراستهم، وتثبيت كلمتهم، وأن يغاير بعضهم بعضا في التعليم مع الرامة(٩٦) من مضرتهم لبعضهم بعضا، وأن يترك المماراة والمجادلة وكثرة الأخبار المذمومة والأمثال الذميمة، وأن يجتهد في تعليم آدابهم، وحسن أخلاقهم، وعدم كلامهم في المكتب، وأن يتصفح كتابهم حرفا حرفا، وتعليمهم كلمة كلمة.

ومن آداب المعلم للمتعلم أن لايتطلب عليه نيلا، ولايرد عليه نيله مع ظنه بالرسالة، وأما غير ذلك فلا، بل ينظر في ذلك مايؤول من الحلال. ومن مصالح المعلم للمتعلمين أن لايطلقهم من حضرهم في المكتب جملة ولايستمع(٩٧) القرآن لهم على عجلة، بل يعلمهم متفرغا متلطفا مفهما متورعا مرعبا لامعنفا ولا معسفا مؤدبا لا مضرا، والله أعلم .

فصل

ومما سالت عنه الشيخ الفقيه النزيه الشيخ محمد بن عبدالله بن جمعه

---

(٩٦) الرامة : كذا في الأصل ، ولعل الصواب : الرأفة .
(٩٧) لعل الصواب : لايسمع .

ابن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله) فيمن جرى على يديه شيء من الدراهم لمدرسة معروفة، فوجد في نسختها أن علة كذا وكذا تدفع لمن يعلم في مدرسة كذا وكذا يسعه أن يدفعها على الاطمئنانة اذ لم يصح أنه ثقة أو غير ثقة؟ أرأيت اذا تظاهرت عليه الأمور عند بعض الناس أنه غير ثقة، وكان يعلم في تلك المدرسة، أيسعه أن يدفعها اليه على الاطمئنانة اذا رضى أهل البلد بتعليمه أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق : أما في الحكم فلا يقبل الا خط من يجوز خطه عند المسلمين، وأما اذا اطمأن قلب المبتلى بشيء فالاطمئنان حكم من أحكام دين الله عز وجل، فاذا أطمأن قلب المبتلى ، وارتفع عنه الريب، وأخذ بالاطمئنانة ، فلا أقول أنه هالك، وكذلك اذا اطمأن قلب هذا المبتلى أن هذا المعلم لايجوز في تعليمه، وهو مستقيم في التعليم، فلايضيق عليه أن يدفع اليه هذه الدراهم، والله أعلم .

وأما ماذكرته من أمر المعلم للأولاد فقلت اذا أجر أجيرا ففضل من الأجر شيء أيجوز للمعلم أن يأخذ مافضل ؟

فعلى ماوصفت اذا كان المعلم الأول قائما بمال المدرسة ومعينا للأجير الأخير بشيء على تعليمه الأولاد فجائز للمعلم الأول أخذ الفضلة من الأجر الأخير، على أكثر قول المسلمين، وقال من قال من المسلمين: ليس للمعلم الأول فضلة على كل حال. وقال من قال : له الفضلة على كل حال، وأما اذا لم يعن المعلم الأول الأجير الأخير شيئا على تعليم الأولاد فليس له فضلة على أكثر قول المسلمين. وقال من قال : له الفضلة على كل حال، وقال من قال : ليس له الفضلة على كل حال ، والله أعلم .

فصل

ومما سالت عنه الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي(٩٨) (رحمه الله) قلت له : واذا كان رجل يعلم الأولاد في مدرسة وكان لها مال لايجزئه، ففرض له أصحاب المدرسة فريضة على الشهر كذا وكذا، على كل صبي، على تعليم الآداب والخصال الحسنة، أيجوز للمعلم اذا منعه أحد أجرته أن لايعلمه شيئا أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ففي الاحسان ينبغي له أن يعلمه ولايمنع العلم أحدا، وأما أن يحجر به ليكتب له فلايلزمه من حيث الوجوب، ولايحرم

(٩٨) انظر ترجمته في الملحق .

عليه غلة مال المدرسة ، والله أعلم .



المنثورة الثالثة

في التوحيد ومايجوز من ذلك ومالايجوز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالوحدانية، وعز وتكبر ذو القدرة الالهية والحكمة، الذي كتب على نفسه الرحمة، وكشف عن عباده النقمة، يعلم بخواطر القلوب، وخفيات سرائر العيوب، وحوادث حركات السرائر، ودقائق مبديات الضمائر، الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء ﴿وَمَايَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(١)، ولاتخفى عليه خافية في ظلمات البحور ومتلاطمات الماء ﴿وَمَاتَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلَا رَطبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢)، يعلم ماكان ومايكون ومالم يكن ان لو كان كيف كان يكون، حتى أضاء كواكب التوحيد بسماء قلوب أوليائه، وجمع لؤلؤ التصديق باصداف خواطر أحبائه، وأمطر أسحب الاخلاص بجنان حزبه. وقلب قلوب القراء بقالب قربه، لا قرب مسافة ولا بعدها، بل قربه للأشياء علمه وقدر له، وكذلك قربه لجميع العباد، لكن حزبه قربهم، أي اجتباهم ورحمهم وهداهم هدى السعادة. وأما قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(٣)، روي في الحديث أن بعض الصحابة سألوا النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فقالوا : «أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟»، فانزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وذلك أنه قريب منهم بالعلم لا قرب مسافة، وقال عز وجل في آية أخرى : ﴿وَنَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾(٤)، أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد، وحبل الوريد مثل في القرب ، قال الشاعر :

والموت أدنى إلى من الوريد

والحبل العرق ، واضافته للبيان، والوريد عرقان مكتنفان بصفحتي العنق، في مقدمها ، متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه. وقيل : سمي الوريد لأن الروح ترده ، والله أعلم .

فصل

فنحن نصف ربنا كما وصف به نفسه، ونوحده كما أمر في كتابه، ودائنون لله باداء جميع الفرائق التي لايسع جهلها والتي يسع جهلها، مع

(١) سورة يونس : ٦١ .
(٢) سورة الأنعام : ٥٩.
(٣) سورة البقرة : ١٨٦ .
(٤) سورة ق : ١٦ .

ذكرها أو حضورها في جميع تلك الفرائض .

فصـــل

وأما الذي يجب علينا، ومكلفون به أن نعرف الله حق المعرفة، وأن نعبده حق العبادة، وأن نطيعه حق الطاعة، ونتقيه حق التقاوة لقوله عز وجل: ﴿يَـاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾(٥)، وذلك أن يطاع الله فلا يعصى وقيل : معناه في ذلك أن تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولاتاخذكم في الله لومة لائم، وأن تقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وأبائكم وأبنائكم، وقيل: معناه اتقوا الله حق تقواه، ومايجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم. وقيل : يطاع فلايعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولاينسى. وقيل: هو أن تنزه الطاعة عن الالتفات اليها، وعن توقع المجازاة عليها. وفي هذا الأمر تاكيد عن طاعة أهل الكتاب، وأصل : تقاه وقيه قلبت واوها المضمومة تاء والياء ألفا، والله أعلم .

فصـــل

والدليل على صحة مابيناه في هذا الباب قوله عز وجل : ﴿وَمَاخَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ مَاأُرِيدُ مِنهُم مِّن رِّزقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطعِمُونِ﴾(٦)، كذلك الواجب على الانسان، اذا بلغ الحلم، أن يعرف الله خالقه أنه ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٧) . والدليل على ذلك مايرى من عجائب خلقه، ولطيف صنعه في نفسه وغيره، وفي أرضه وسمائه، وبره وبحره ، وليله ونهاره، والشجر والحجر والجبال، والفيافي والقفار والظلمات والنور، فكل هذه الأشياء دالة على صنعه وحكمته، وكذلك مايشاهد العبد من الآيات والحكم والنعم المتواترات، والمعجزات الواضحات، كل هذه الأشياء دالة على وحدانيته، وكذلك الواجب عليه أن يعرف أن محمدا عبد الله ورسوله أرسله الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ليخرج الناس من الظلمات الى النور لقوله جل ذكره : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٨) . وقال عز وجل في آية أخرى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَى

---

(٥) سورة آل عمران : ١٠٢ .
(٦) سورة الذاريات : ٥٦، ٥٧ .
(٧) سورة الشورى : ١١
(٨) سورة ابراهيم : ١ .

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الأَرضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(٩) . وكذلك الواجب عليه أن يعلم أن ماجاء به محمد ﷺ هو الحق المبين ﴿لاَرَيبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١٠)، لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَّبِّكُم﴾(١١). فاذا عرف هذا فالواجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله لقوله عز وجل : ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾(١٢)، وقال عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرسَلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظاً﴾(١٣) ، وكذلك معرفة العدو ابليس لعنه الله لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدعُواْ حِزبَهُ لِيَكُونُواْ مِن أَصحَابِ السَّعِيرِ﴾(١٤) ، وكذلك الواجب عليه أن يعلم أن ﴿السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّرَيبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبُورِ﴾(١٥) . فاذا أقر العبد بالجملة ووحد الله، وعرفه حق المعرفة، وعبده ما استطاع، كان مسلما مؤمنا سعيدا في الدنيا والآخرة .

فصل

وأول العبادة لله معرفته . وأصل معرفته توحيده وتنزيهه عن تشبيه المخلوقات لأنه قال : ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١٦) ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بشهادة العقول وعلم المكاشفة، لأنه بمكاشفة العقول يعرف الله حق المعرفةويعبد حق العبادة، ولاتكون المعرفة الا باعتقاد خالص، وضمير صادق، ناظر شواهدا الحقيقة، متفكرا في ملكوت السماوات والأرض، لقوله عز وجل : ﴿أَوَ لَم يَنظُرواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَمَاخَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾(١٧) ، أي ينظروا في خلق السماوات ولأرض وماخلق فيهما من الأشياء، ليستدلوا على معرفةوحدانيته، وباهر معجزاته.

فصل

وقال عز وجل في موضع آخر : ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلاَفِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلكِ الَّتِي تَجرِي فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَاأَنزَلَ

(٩) سورة الشورى : ٥٢، ٥٣.
(١٠) سورة البقرة : ٢.
(١١) سورة النساء : ١٧٠.
(١٢) سورة المائدة : ٩٢ ، سورة التغابن : ١٢.
(١٣) سورة النساء : ٨٠
(١٤) سورة فاطر : ٦ .
(١٥) سورة الحج : ٧.
(١٦) سورة الشورى : ١١.
(١٧) سورة الأعراف : ١٨٥.

اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ لَأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾(١٨) ، جمع السماوات ووحد الأرض، لأن السماء طبقات مختلفة، والأرض كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها بغير عمد لقوله عز وجل : ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَهَا﴾ (١٩) ، يعني السواري، واحدها عمود مثل أديم وآدم، وعمد جمع أيضا مثل رسول ورسل، ففي العمد أصل وهو الأصح، يعني ليس لها من دونها دعامة تحملها، ولافوقها علاقة تمسكها، وقيل ترونها راجعة الى العمد، ومعناه لها عمد ولكن لايرونها، قيل : أن عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا من زمرة خضراء لأنه قيل خضرة السماء هي من خضرته ، والله أعلم.

فالواجب على العبد أن يعرف الله ويتفكر في خلق السماء، وجريان الشمس والقمر والنجوم، وكذلك الأرض مدها وبسطها وسعتها، ومايرى فيها من الأشجار والجبال والنبات والجواهر والأعراض. وأما قوله عز وجل: ﴿وَاختِلَافَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي تعاقبها في الذهاب والمجيء، يخلف أحدهما صاحبه، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خِلفَةً﴾ (٢٠) ، أي ذو خلف يخلف كل واحد صاحبه. ويقوم مقامه، وقيل: اختلافهما في النور والظلمة، والزيادةوالنقصان. والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم الليل على النهار لأنه أقدم، قال الله عز وجل : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيلُ نَسلَخُ مِنهُ النَّهَارَ﴾(٢١)، قال في موضع آخر : ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيلِ﴾(٢٢)، يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة، ويجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة، وأما ليل بلا الف يكون الليل منكرا كقولك القيام وقيام. ويسمى فرخ الحبارى ليلا، قال الحريري :

فان عمد الصايم أن ياكل ليلا قال شمره للقضاء ذيلا

---

(١٨) سورة البقرة : ١٦٤.
(١٩) سورة الرعد : ٢.
(٢٠) سورة الفرقان : ٦٢.
(٢١) سورة يس : ٣٧
(٢٢) سورة الزمر : ٥

فصـــل

وأمـا قـولـه عـز وجـل : ﴿وَالـفُـلـكِ الَّـتِي تَجـرِي فِي البَـحـرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾(٢٣)، وهو على ماتقدمه (٢٤) ، ومـعناه السفن، واحده وجمعه سواء، فـاذا أريد به الجمع يؤنث في الواحد ويذكر لقوله عز وجل في الواحد والتذكير ﴿إِذ أَبَقَ إِلَى الفُلكِ المَشحُونِ﴾ (٢٥) ، نزعت الهاء لأجل الواحد والتذكير، وقال في الجـمع والتانيث: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (٢٦) ، والآيـة في الـفلك تسـخيرها وجـريانها في الماء، وهي محفـوظة لاترسب تحت فـتـجـري بما ينفع الناس من ركوبها، والحمل عليها والمسافرة من بلد الى بلد للتـجارة والمكاسب، وأنواع المطالب من الله، وفضله على خلقه.

وقـولـه عـز وجل : ﴿وَمَـا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّـاءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا﴾ (٢٧) ، يعني المطر، وقـيل : أراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء في السحاب، ثم ينزله من السماء الى السحاب، ثم من السحاب الى الأرض.

وأما قوله عز وجل : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (٢٨) ، أي فرق فيها، لأن أصله بث يبث بفـتح مـعـجمة الماضي وضمها من المستقبل، قال الله عز وجل: ﴿وَمَـا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾ (٢٩) ، وبث السر اذا انتشر، وبث الغـبـار اذا هيـجـه، وبثـثت الشيء اذا فـرقـتـه، قـال الله عـز وجل : ﴿يَومَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبثُوثِ﴾ (٣٠) . الفـراش الطير التي تراها كـصـغـار البق، واحـدتها فـراشة تتهافت في النار، والمبثوث المفرق. وقيل كفوعة (٣١) الجراد، شبه الناس عند البـعث بها لأن الخلق تموج في بعـضـهم بعض من هول المحشر، كما قال عز وجل : ﴿كَأَنَّهُم جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (٣٢) ، ويكون البث الحـزن، قال الله عز وجل ، قـصـة عن يعـقـوب عليـه السلام : ﴿إِنَّمَا أَشكُواْ بَثِّي وَحُزنِي إِلَى اللهِ﴾ (٣٣) ، ولذلك قال الشاعر :

---

(٢٣) سورة البقرة : ١٦٤
(٢٤) لعل الصواب : على ماتقدم .
(٢٥) سورة الصافات : ١٤٠
(٢٦) سـورة يونس : ٢٢.
(٢٧) سورة البقرة : ١٦٤.
(٢٨) سورة البقرة : ١٦٤.
(٢٩) سورة الجاثية : ٤.
(٣٠) سـورة القارعة : ٤.
(٣١) الفـوعة : الخروج بكثرة ، ومنه فاعت الحشرات في المكان، أي خرجت بكثرة .
(٣٢) سورة القمر : ٧
(٣٣) سـورة يوسف : ٨٦.

أخوك الذي ان أجحفنك حلمه ** من الدهر لم يبرح بثك واجما

وقال ابن عباس : البث: الهم في تفسير هذه الآية، وقيل : البث الحاجة، وقيل: البث مأبداه، والحزن مأخفاه، لأن الحزن يتمكن في القلب، وقيل : معناهما واحد وان اختلف اللفظان لقول عدي بن زيد :

تقدمت الأديم لراهشيه (٣٤) ** وألفى قولها كذبا وحيفا

والبث الحال وقوله في البيت الذي أتيت به: أجحفتك، أي أضرتك، وواجم، أي ساكت على غيظ، قال محمد بن عبدالله المعولي (٣٥) (رحمه الله):

فلا غرو ان أصبحت في الحزن واجما ** فمن ذا الذي أمسى له غير واجم

والتصريف : وجم يجم وجوما بفتح معجمة الماضي وكسرها من المستقبل.

وأما قوله عز وجل : ﴿وَتَصرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ . قرأ حمزة والكسائي: ﴿الرِّيَحِ﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون بالألف. وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولام، اتفق القراء على توحيدها، ومافيها ألف ولام اختلفوا في جمعها وتوحيدها الا في سورة الذاريات : ﴿الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ (٣٦) . واتفقوا على توحيدها، وفي الحرف الأول (٣٧) من سورة الروم: ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾(٣٨) ، اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع، والقراء مختلفون فيها. والريح تذكر وتؤنث، وتتصرف الى الشمال والجنوب، والقبول والدبور والنكباء، وقيل: تصريفها أنها تارة تكون لينة وتارة تكون عاصفة، وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة. وقيل: أعظم جنود الله الريح والماء. سميت الريح ريحا لأنه تريح النفوس، وقيل ماهبت الريح الا لشفاء سقيم ولسقم صحيح. والبشارة في ثلاثة من الرياح: في الصبا والشمال والجنوب، أما الدبور فهي الريح العقيم لابشارة فيها. وقيل : الريح ثمانية : أربعة للرحمة وأربعة للعذاب، فالتي للرحمة: المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات، والتي للعذاب: العقيم والصرصر في البرد والعاصفة والقاصفة في البحر ﴿والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ﴾ (٣٩) ، أي الغيم المذلل، سمي

(٣٤) راهشية : الناقة الغزيرة ، وأصل الارتهاش الاضطراب .
(٣٥) انظر ترجمته في الملحق .
(٣٦) سورة الذاريات : ٤١ .
(٣٧) الحرف الأول : لعله الحزب الأول .
(٣٨) سورة الروم : ٤٦ .
(٣٩) سورة البقرة : ١٦٤ .

سحابا لأنه ينسحب، أي يسير في سرعة كأنه يسحب، أي يجري.

وقوله عز وجل : ﴿لِّأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، آيات جمع آية وانتصابها بان المتقدمة، ومعناه يتفكرون، أي ينظرون في هذه الآيات بعيون عقولهم، لأن من نظر بعين العقل ظهرت له أنوار المكاشفة في علم توحيد الله عز وجل، ويقال: عقل يعقل عقلا بفتح معجمة الماضي وكسرها من المستقبل نقيض جهل، قال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٠) ، قرأ نافع وعاصم بالمعجمة الفوقية، والآخرون بالتحتية. وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤١) ، أي مايعقل الأمثال الربانية الا العلماء الذين يعقلون عن الله. وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ، فقال : «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» (٤٢) ، ولايجوز أن يقال لله عاقلا، لأن العاقل نقيض الجاهل، ولأن ذلك يؤول الى صفة الأجسام، وكذلك البهائم لايقال لها عاقلة لأنها غير مكلفة، انما العقلاء المكلفون من الملائكة والجن والانس أجمعين.

فصل

وقد جهل من وصف الله بصفة خلقه، وكيفه، وبعضه، وجسمه لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٤٣) ، لأنه يوجد في الضياء: «من قال: كيف ؟ فقد شبهه، ومن قال : لم ؟ فقد أعله، ومن قال: الام؟ فقد ناهاه، ومن قال: من؟ فقد وقته، ومن قال : حتام؟ فقد جزأه ، ومن جزأه فقد بعضه، ومن بعضه فقد ألحد فيه، ومن ألحد فيه فقد أشرك به.

قال المؤلف : أما قوله: ومن قال : من؟ ، فق وقته، وعندي أنه من قال : من ؟ فقد شبهه وحده، لأن من تدخل على المحدود والمشبه من الأشياء ، تعالى الله عن الصفة المذمومة، فيعتبر العاقل ويتدبر، وينظر بعين الفكرة بما يفضي بالعبد الى الشرك، ومن أشرك فقد استوجب العذاب، وحرم المغفرة، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ (٤٤) ، الآية.

فصل

ويجد في الحديث عن علي بن أبي طالب أنه قال : من شبه الله فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد ناهاه، ومن ناهاه فقد أبطله، ومن أبطله

---

(٤٠) سورة البقرة : ٤٤ ، ٧٦.
(٤١) سورة العنكبوت : ٤٣.
(٤٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٤٦.
(٤٣) سورة الشورى : ١١.
(٤٤) سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦.

فقد حينه، ومن حينه فقد كيفه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا،فيجب على العبد اذا بلغ وصح عقله وزالت عنه الأحرفات في أول أحوال التكليف أن يعرف خالقه أنه واحد أحد، فرد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٤٥)، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٦) ، في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، يدرك الأصوات بلا اصغاء، ويرى الأشياء بلا الحاظ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ (٤٧) ، بلا أخبار، ولاتاخذه سنة ولانوم، لااله الا هو وحده لاشريك له، متفرد لاضد له، قديم لا أول له، مستمر الوجود لا آخر له، ليس بجسم ولا بجوهر ولا انسان، ولاتحله الجواهر ولا الأعراض، ولاتحويه الأقطار ولا الجهات، ولاتكتنفه السماوات والأرض، منزه عن الانتقال والتغير والاتصال، لاتمسه الأشياء ولايمسها، ولكنها متصلة بالقدرة الالهية والعظمة الملكوتية، ابتدأ الخلق على ارادته، ثم يميتهم ثم يعيدهم على مشيئته، وهو هين عليه، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٤٨) ، أي هين عليه، وماشيء على الله بعزيز، لأن ذلك في التصريف يجيء أفعل بمعنى فعيل. قال الوراق (٤٩) :

ان الذي سمك السماء بنى لنا ** بيتا دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة. وقيل : هو أهون عليه، أي أيسر، ووجهه أنه على طريق ضرب المثل، أي هو أهون عليه على مايقع في عقولكم، فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الأشياء (٥٠) ، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥١) ، أي له الصفة العليا، قال ابن عباس: أن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وما (٥٢) قوله عز وجل : ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٥٣) ، أي ماشيء عليه بمتعسر لقوله عز وجل : ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾، أي شديد متعسر ، والله أعلم.

---

(٤٥) سورة الاخلاص : ٣ ، ٤ .
(٤٦) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(٤٧) سورة لقمان : ٣٤.
(٤٨) سورة الروم : ٢٧.
(٤٩) انظر ترجمته في الملحق .
(٥٠) لعل الصواب : الأشاء .
(٥١) سورة الروم : ٢٧.
(٥٢) لعل الصواب : أما .
(٥٣) سورة ابراهيم : ٢٠.

فصـــل

والتكليف على معنيين، فمعنى تجوز اضافته الى الله تعالى عز وجل، ومعنى لايجوز. فالذي يجوز هو الأمر، وهو تكليفه عباده عز وجل أوامره ونواهيه وفرائضه وطاعته حسب طاقتهم لقوله عز وجل : ﴿لَايُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلاَّ وُسعَهَا﴾ (٥٤) ، أي لايؤاخذها ولايطالبها الا بطاقتها، لأن أصل الوسع الطاقة، وقد أتيت باصله في غير هذا الموضع ، كما قال الشاعر :

ماكلف الله نفسا فوق طاقتها ** ولاتجود يد الا بما تجد

لأن اليد تجود بما عندها، وأما بما عند غيرها فلا، وكذلك يقال على من هذا الأمر تكلفه، قال زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ** ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

السأم : الملل، قال الله عز وجل : ﴿لَّايَسأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الخَيرِ﴾(٥٥)، والتكاليف : المشاق وهي جمع مشقة، والكلفة بضم المهملة الأولى هو اسم من التكلف، والمعنى أنه لايجوز انزال المكلف حاجته بالمكلف، وهذا غير جائز على الله أن يكون تكليفه لحاجة له الى تكليفهم، اذ كان الله غنيا عما خلق والكل اليه محتاج مفتقر لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ (٥٦) ، وفي صحف موسى عليه السلام: «يابني آدم ماخلقتكم لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستانس بكم من وحشة، ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه، بل خلقتكم لتعبدون طويلا، وتسبحون بكرة وأصيلا». وفي القرآن العظيم: ﴿وَمَاخَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ مَاأُرِيدُ مِنهُم مِّن رِّزقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ (٥٧) .

فصـــل

واختلفوا في التوحيد، فقيل ان التوحيد، هو الوصف لله، والتسمية له بانه تعالى واحد أحد، لا ولد له ولا والد، ولاشريك له ولا مساعد. لا خلاف بين أهل اللغة أن من وصف شيئا واحدا وأفرده بالتسمية له فقد وحده. ومعنى التسمية للمسلمين موحدون، أي يثبتون معبودهم واحد، والله أعلم.

---

(٥٤) سورة البقرة : ٢٨٦.
(٥٥) سورة فصلت : ٤٩.
(٥٦) سورة فاطر : ١٥.
(٥٧) سورة الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨.

فصـــل

والتـوحـيـد الايمان بالله لاشريك له، والتوحيد الاقرار بالله، والتسمية له بـالـوحـدانـيـة سـبـحـانـه هـو الله لا الـه الا هو ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(٥٨)، فـاحـذر أيها العـبد أن تصف الله بغير ماوصف به نفسه، فان خطر بقلبك أن الله كـذا وكـذا، وصفته كذا وكذا، فاعلم أن ذلك الحاد، وضلالة من الخاطر، وذلك وسوسة من الشيطان لعنه الله، وأنه خلاف ماخطر بقلبك، فـلا تغترر بكثرة الوسواس الذميمة والخواطر المذمومة.

فصـــل

وأمـا الالحـاد، في اللغـة، الانحـراف عن الشيء والعـدول عنه الى ناحية، ومنه سـمي لحد القبر، لأنه عدل به عن ناحية القصد الى ناحية القبر. قال الله عـز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾(٥٩)، أي يمـيلون، وقيل: يكذبون. وقـال الله عـز وجـل : ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (٦٠) . قـرأ حمزة بفـتح المعـجمة الأولى والمهملة الثالثة ووافقه الكسائي، وقرأ الباقون بضمها، وهي الأولى وكسر الثـالثـة، لأنه يقـال: ألحـد يلحـد الحادا، ولحد يلحد لحدا ولحـودا، بفتح مهملة الماضي والمستقبل، وهو اذا مال عن الشيء، وقيل الالحاد العـدول عن الحق خـاصـة وادخال ماليس منه فيه. ومعنى الالحاد في أسماء الله عـز وجل، أن المشركين عدلوا باسماء الله عز وجل عما هو عليه فسموا بها أوثانهم، فـزادوا ونقـصوا فاستقوا اللات من الله والعزى من العزيز وناة من المنان، وقـيل : الالحاد تسميته بما لم يسم به، فما لم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ .

فصـــل

وجملتـه أن أسماء الله على التـوقيف، فان يسمى جوادا ولايسمى سخياً، ويسمى عالما ولايسمى عاقلا، ويسمى رحيما ولايسمى رفيقا.

فصـــل

قـال الله عـز وجل : ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (٦١) ، أي يجازيهم على خـداعـهم، وقـال تبارك وتعالى : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ (٦٢) . ومكر الله المجـاراة، وقيل :

(٥٨) سورة الجمعة : ١ .
(٥٩) سورة فصلت : ٤٠ .
(٦٠) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٦١) سورة النساء : ١٤٢ .
(٦٢) سورة آل عمران : ٥٤ .

استدراجه لهم لقوله عز وجل : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦٣) ، فلا يجوز البتة بان نسمي الله خادعا ولا مكارا، لأنه لايجوز أن يوصف بالنقائص، ولا بالمعايب، تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فنحن نصفه بما وصف به نفسه، وندعوه كما أمر في كتابه، ولانعبد الا اياه، لا اله الا هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٤) .

فصل

ومن الأثر، الدليل على قدم الله عز وجل كونه قبل الحدث، لأن معنى الحدث مالم يكن ثم كان، ومعنى القديم ماكان بغير تكوين، فهو الله سبحانه ولاشيء معه، ثم كون الأشياء، فلو لم يكن قديما لكان محدثا مفتقرا الى محدث يحدثه، وافتقر محدثه الى محدث آخر، وتسلسل ذلك الى غير غاية ولانهاية، وما تسلسل لم يتحصل، ومنتة الى محدث قديم وذلك المطلوب، الله هو صانع الأشياء وبارئها ومحدثها موجدها ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٥) .

فصل

ومما وجدته مؤثرا، والدليل الواضح على أن لانهاية لوجود الله عز وجل ودوامه وذلك لو انعدم لكان لايخلو أما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم هو غيره. فلو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه، فكما يحتاج حدث الموجود الى سبب فكذلك يحتاج حدث العدم الى سبب، وباطل أن ينعدم بمعدم هو غير. لأن ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه، وقد ثبت ماقدمناه لأنه قديم لا أول لوجوده، وكان وجوده في العدم وحده ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث بمضادته القديم حتى ينقطع وجوده باولى من القديم في مضادته الحادث يدفع وجوده، بل الدفع أهون من القطع، والعدم أقوى من الحادث فثبت أنه لا آخر لوجوده، ولانهاية لدوامه، ولا غاية لأزليته، خلق الأشياء من لاشيء، وصرفها وقدرها على مشيئته، ثم خلق من الأشياء ، وهو الأول الأزلي قبل الأشياء، سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

فصل

وكذلك الدليل على أن الله عز وجل لم يكلف العباد فوق طاقتهم، قوله عز

---

(٦٣) سورة الأعراف : ١٨٢ . سورة القلم : ٤٤.
(٦٤) سورة التغابن : ١٨ .
(٦٥) سورة الحديد : ٣.

وجل: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ مَااستَطَعتُم﴾ (٦٦) ، وقوله عز وجل : ﴿وَمَاجَعَلَ عَلَيكُم فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾ (٦٧) ، أي ضيق، معناه أن المؤمن لايبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم، وبعضها بانواع الكفارات، فليس في الدين مالا يجد العبد مخرجا من توبته اذا تاب وأخلص لله عز وجل، فلو ثبت تكليف العباد مالاطاقة لهم لألزمهم الله عز وجل أمره حين أمرهم تبارك وتعالى وهو قوله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (٦٨) ، فلما عجزوا أن يتقوه حق التقوى خفف الله عنهم بقوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ مَااستَطَعتُم﴾ (٦٩) ، لأن الانسان لايقدر أن يتقي الله حق التقوى، فوالله لو قام ليله ونهاره، مصليا وصائما، ولم يعص الله طرفة عين لما بلغ عشر معشار لذة أكلة واحدة، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر ولكان على هذا المعنى جميع الخلق الى الهلاك، ولكن الله علم من عباده أنهم لايقدرون أن يتقوا حق التقوى فخفف عليهم ورحمهم، انه أرحم الراحمين.

فصل

ومثل التكليف الذي يقع على الانسان وهو مكلف، وتقوم عليه الحجة من طريق العقل، ولايسعه جهل ذلك، مثل مايراه من خلق نفسه وجوارحه، وكذلك خلق السماوات والأرض والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، واختلاف جميع الأحوال. ويجب عليه كف ماقبح في عقله مثل قتل الحيوان وأكل لحومها لأن ايلام الحيوان وقتل ذوات الأرواح قبح في العقل، ولولا جواز ذلك في حكم الشريعة لما حسن في عقله أن ياكل ذوات الأرواح ويقتلها، ولكن لاحظ للعقول من نص الشريعة بتحليله، وعليه اذا رأى رجلا يقتل ذوات الأرواح أن ينكر عليه، لأن ذلك الفعل في العقول جور ما لم تقم عليه الحجة ببيان حلال ذلك، ألا ترى أن موسى عليه السلام حين أنكر على الخضر عليه السلام من قتله للنفس حين قال له: ﴿أَقَتَلتَ نَفساً زَكِيَّةَ﴾ ، قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﴿زَاكِيَّةَ﴾، أي قتلت نفسا لم تستحق القتل ﴿لَّقَد جِئتَ شَيئاً نُّكراً﴾ (٧٠) ، أي منكرا، قرأ نافع وأبو يعقوب وغيرهم بضم الكاف. فلو علم موسى عليه السلام أنه حلال له قتله لما أنكر عن اتيان الحلال، ولكنه لما جهل سبب ذلك أنكر عليه لأنه لايسعه أن يسكت عنه بان

---

(٦٦) سورة التغابن : ١٦.
(٦٧) سورة الحج : ٧٨.
(٦٨) سورة آل عمران : ١٠٢.
(٦٩) سورة التغابن : ١٦.
(٧٠) سورة الكهف : ٧٤.

يقتل نفسا بغير سبب، خاصة قتل صبي لم تجر عليه احكام، ولاتكتب عليه أقلام، ولايجوز قتله أبدا، ولايؤاخذ بما قتل أبوه، ولا مافعل غيره ولاتكسب كل نفس الا على رقبتها، لقوله عز وجل :﴿وَلَاتَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ إِلَّا عَلَيهَا وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرجِعُكُم﴾ (٧١) .

فصل

ووجدت عن أبي المؤثر (٧٢) (رحمه الله) وهو أول الكلام من هذا الفصل أنه قال : من عرف الله أنه واحد فقد عرفه تبارك وتعالى، لأن الانسان لايكون موحدا الا باتيان هذه الكلمات وهي الايمان بالله أنه اله واحد أحد ﴿لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ﴿لَّاتُدرِكُهُ الأَبصَارُ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾، و ﴿لَايُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسأَلُونَ﴾(٧٣) ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله ﴿بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ (٧٤) ، وأن ماجاء به محمد فهو الحق المبين ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارَيبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبُورِ﴾ (٧٥) ، وأن يكون راضيا بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبالكعبة قبلة، وملة ابراهيم عليه السلام ملة، وبمحمد ﷺ نبيا، وأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وأن يتوكل على الله، لقوله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ﴾(٧٦) ، أي كافيه، وأن يفوض أمره اليه، ليوقيه موبقات الأعمال وسوء المنقلب، لقوله عز وجل قصة عن الرجل المؤمن الذي هو من آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرُ بِالعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذَابِ﴾ (٧٧) ، أي الغرق في الدنيا، والنار في الآخرة.

ولايتم ايمانه بمقالة اللسان الا حتى يكون بقلبه مخلصا لله في جميع أفعاله، ومظهرا قلبه ولباسه من المعاصي والأنجاس، وأول ذلك من المعاصي الحسد لأن الأمراض في القلب، ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، لقوله

(٧١) سورة الأنعام : ١٦٤.
(٧٢) انظر ترجمته في الملحق .
(٧٣) سورة الأنبياء : ٢٣.
(٧٤) سورة التوبة : ٣٣، سورة الصف : ٩.
(٧٥) سورة الحج : ٧.
(٧٦) سورة الطلاق : ٣.
(٧٧) سورة غافر : ٤٥.

عـز وجل: ﴿ثُمَّ قُلنَا لِلمَـلَائِكَةِ اسـجُـدُواْ لِأَدَمَ فَـسَـجَدُواْ إِلَّا إِبلِيسَ لَم يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٧٨) ، وكـثير من هذا من دلائل الحـسـد، سأذكره في باب الزهد، لأني لم أقصد بذكره هنا، والله أعلم .

فصـــل

ويـكره في الدعـاء أن يقـول : اللهم أني أسالك باسمائك الحـسنى، ولكن يقـال : أدعـوك باسمائك الحـسنى، وقـد صح صواب قولنا من كتاب الله عز وجل لقـوله تعـالى : ﴿وَلِلهِ الأَسمَاءُ الحُسنَى فَـادعُوهُ بِهَا﴾ (٧٩) ، فـالواجب اجـراء الشيء على عـمـومـه الا أن يخص بذلك خاص بغيره عن حكمه الأول، وذلك أن رجـلا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: ان محمـدا ﷺ وأصـحـابه يزعـمـون أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فانزل الله عـز وجل : ﴿وَلِلهِ الأَسمَاءُ الحُـسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَائِهِ﴾ (٨٠) ، ولو جـاز أن يقـال غير ذلك لوردت الآية كـذلك، والله أعلم .

فصـــل

وروي عن النبي ﷺ أنه قـال : ان لله تسـعـا وتسـعين اسما فمن علمها دخل الجنة» (٨١) ، وهـذه هي : هو الله الذي لا اله الا هو ، الرحمن، الرحـيم، الملك، القـدوس، السـلام، المؤمن المهـيـمن، العـزيز، الجـبار، المتكبر، الخالق، البـاريء، المصـور، الغـفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، البـاسط، الخـافض، الرافع، المعـز، المذل، السـمـيع، البـصير، الحكم، العـدل، اللطيف، الخـبير، الحليم، العظيم، الغـفـور، الشكور، العلي، الكبير، الحـفيظ، المقـيت، الحـسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجـيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبـدي، المعـيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القـادر، المقـتـدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التـواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والاكرام، المقسط، الجـامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي،

---

(٧٨) سورة الأعراف : ١١ .
(٧٩) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٨٠) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٨١) أخـرجـه البخاري ومسلم والترمذي وابن حنبل .

الوارث، الرشيد، الصبور، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ، فهذه جملة الأسماء وقد كتبتها كما وجدتها .

فصل

وسأذكر من تفسيرها على حد الطاقة والامكان على ماوجدته من الكتب. الأول هو الله: فاما الله فاصله الاله فحذفت الهمزة وأدغمت أحد اللامين في الأخرى، والمعنى أنه لاتحق العبادة الا له ولاتنبغي الا له، والعرب تسمي كل ماكانوا يعبدون، ويرون عبادته حقا الهاً، وقيل انه اسم سمى الله به نفسه على الاختصاص، كما قال الله عز وجل : ﴿هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٨٢) ، أي هل تعلم أحدا في البر والبحر اسمه الله ؟

وهذا الذي يميل اليه أصحابنا، ومعنى الله الخالق لكل شيء، ويقال: الله تعالى لم يزل الها، فان قال قائل: أهو اله لمن يخلق، قيل له: ليس بمتعد الى مفعول لأنه هو الاله من قبل ومن بعد، لأنه يحق له العبادة فاذا خلق من تجب عليه عبادته قيل له هو اله لهم، وهو اله من قبل أن يخلق شيئا من الأشياء، لأن هذا الوصف لايحق الا له على الصفة الحقيقية، ولاتحق العبادة الا له، ولو كان الها من أجل العبادة، لأن كل من كان معبودا يجب أن يسمى آلهة على الحقيقة: فالأصنام والشمس والقمر والبحر والعجل وغيرها من سائر المعبودات، ولكان هؤلاء المذكورات قد شاركت الاله في اسمه، فلما بطل هذا صح أن الاله لم يكن الها من أجل أنه معبود، وانما هو اله لأنه لاتحق العبادة الا له، واسم الاله لايجوز الا له فصح ووجب أنه لم يزل الها من قبل أن يخلق أحدا، وانما هو اله عظيم قبل كل شيء، وبعد كل شيء، ولو لم يعبده أحد، والله أعلم .

وقيل : انه مشتق من أله يأله، ووله يوله، بكسر لام الماضي وفتحه من المستقبل، يقال من ذلك : وله العبد اليه، أي تعلق نفسه بالرغبة اليه وانتظار الفرج من عنده، قالوا: ومنه يقال : فلان تاله اذا تنسك وتعبد، والمتاله من العباد الذي ظهرت عبادة الله أو تشبه بالعبادة، وقيل : غير ذلك، تركته خوف الاطالة .

وأما التشديد الذي على اسم الله عز وجل ، في كل هذه الوجوه، فانها لتواتر الفعل، والعرب تفعل ذلك اذا تواترت الفعل، كما تاتي وتغدى لأنها فعلة بعد فعله على الكرور. وقال بعضهم: الألف واللام للتعريف انما دخلا

(٨٢) سورة مريم : ٦٥ .

من باب الاعراب، وكانت مجردة قبل التعريف لام اضافة وهاء كناية يشار بها الى غائب، لأن الله شاهد غائب لم يزل بكل مكان عالما لايعرف عنه شيء في الأرض ولا في السماوات، وغائب عن النظر بالعين تعالى عما لايليق به علوا كبيرا، فاذا اجتمع لام اضافة ولام تعريف فاشتبه بحرفين من جنس واحد فادغمت العرب بالتشديد أحد اللامين في الأخرى .

وعن الأشعري في قوله عز وجل: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٨٣) ، فمعناه لايستحق صفات المدح على الكمال الا هو، والله أعلم.

﴿الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ، وأما الرحمن الرحيم، قيل : أنهما وقعا على وزن فعلان وفعيل، ونظر (٨٤) من الكلام ندمان ونديم، وقيل : معنى الرحمن لجميع الخلق في الدنيا والآخرة، والرحيم بالمؤمنين خاصة، وقيل: هما اسمان لطيفان من أسماء الله تعالى، وقيل: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، ولايجوز بمخلوق أن يسمى بالرحمن، وقدم الرحمن على الرحيم لأنه اسم خاص، والرحيم اسم مشترك، ويقال: رجل رحيم، ولايقال: رحمن. وقيل عن عطاء قولا جيدا، وذلك أنه قال : كان الرحمن اسما لله، فلما اشترك أضيف أليه الرحيم ليكونا له دون كل أحد، ومعنى هذا القول أنه الرحمن اسم لله عز وجل، فلما تسمى به مسيلمة الكذاب أضيف اليه الرحيم ليكون الرحمن الرحيم يجتمعان له عز وجل لالغيره. والدليل على أنه تعالى رحيم قصده للتخفيف في أوامر التكليف. وقيل الرحمن ذو الرحمة وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، والرحيم ذو الرحمة التي خص بها المؤمنين، خصهم بالهداية والتوفيق في الدنيا، والثواب والدرجات في العقبى. ويوصف الله عز وجل بانه راحم لعباده، ومعناه منعم على عباده وناظر ومحسن اليهم. وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا رَحمَةً لِّلعَالَمِينَ﴾ (٨٥) ، فارساله للنبي ﷺ هو نعمة منه على عباده، وهو رحمة لهم لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحمَةٌ لِّلمُؤمِنِينَ﴾(٨٦) والقرار نعمة من الله ، فان قيل : أليس هي الرحمة رقة القلب؟

يقال له : لا ، لأن رقة القلب ليس هي من فعل الراحم، والرحمة فعل

(٨٣) سورة الحشر : ٢٢.
(٨٤) لعل الصواب : ونظيره .
(٨٥) سورة الأنبياء : ١٠٧.
(٨٦) سورة النمل : ٧٧.

الراحم، وذلك أن الرقيق القلب ربما حمل نفسه على قتل من يرق له قلبه، وانما يوهم (٨٧) قوم أن الرحمة هي رقة القلب وسموا من كل رقيق القلب رحيما، لكثرة ماتوجد الرحمة من رقيق القلب، كما سمي قوم الشهوة محبة، لكثرة ماتوجد المحبة مع الشهوة، والشهوة في الحقيقة خلاف المحبة.

ولايوصف الله كصفة الخلائق من التعطف والرقة. تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

واعلم أن الرحمن الرحيم هما اسمان جليلان عظيمان، والذكر بهما شريف، يقول للرحم: أنا الرحمن وأنت الرحم فمن وصلك وصلته. ومن قطعك قطعته. واذا نظرت وتحققت تجد هذين الاسمين الكريمين في ﴿الم﴾، ﴿الر﴾، وفي الحواميم السبع. قيل : ان اسم الله الأعظم هو الرحمن الرحيم لأن هذا الاسم دعا به أيوب عليه السلام حيث قال : ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٨) .

واعلم أن الرحمن الرحيم من نقشهما يوم الجمعة آخر ساعة من النهار في خاتم وتختم به فانه لايرى مايكرهه أبدا. ومن أكثر من ذكرهما كان ملطوفا به في جميع الأمور، ولهما شرح عظيم يطول وصفه، تركته خوف الاطالة .

الرب : وأما الرب فينقسم على ثلاثة (٨٩) اقسام، يكون الرب المالك، كقولك رب الدار، والرب السيد، كقوله عز وجل : ﴿فَيَسقِي رَبَّهُ خَمراً﴾(٩٠) ، أي سيده، قال الأعشى :

أم غاب ربك فاعترتك خصاصة ** فلعل ربك أن يعود مؤيدا

والرب المصلح للشيء، والرب المدبر، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحبَارُ﴾ (٩١) ، سموا ربانيين لقيامهم بتدبير أمور الناس، والمرأة ربة البيت لأنها تديره. والفعل منه رب يرب بضم راء المستقبل، والله أعلم.

ومثله في التصريف السقاء اذا أصلح بالرب. وربيت فلانا، أي كنت فوقه مدبرا، والله أعلم. ولايقال للمخلوق هو الرب بالألف واللام على الحقيقة كما يقال لله عز وجل لأنه رب كل شيء ومالكه، ولاتضاف الى شيء فيخص به

(٨٧) لعل الصواب: يتوهم .
(٨٨) سورة الأنبياء : ٨٣.
(٨٩) لعل الصواب : الى ثلاثة.
(٩٠) سورة يوسف : ٤١.
(٩١) سورة المائدة : ٤٤..

دون غيره، وأما المخلوق فيضاف الى شيء خاص لأنه لايملك غيره، فلايكون ربا على الحقيقة. وجائز أن يقال: الله رب الأرباب، لأن الرب هو الملك وهاهنا أرباب مالكون على الحقيقة، والله مالك لهذه الأرباب. ويقال: لم يزل الله ربا للأشياء، ويقال لم يزل الله ربا لأنه لم يزل قادرا ومالكا، والباريء عز وجل هو ربنا على الحقيقة كما كان مالكا على الحقيقة، والله أعلم.

الملك والمالك والمليك : وأما الملك والمالك والمليك قد جاء بذلك القرآن العظيم، وهي كلها مشتقة من الملك، ويوصف بهؤلاء الانسان ويقال لله: لم يزل مالكا للأشياء كما أنه لم يزل قادرا عليها، ومعنى الملك والمالك هو الله الذي له الملك، وحقيقة الملك القدرة على الخلق والاختراع، والباريء لم يزل مالكا، والله أعلم .

الواحد الأحد : وأما الواحد الأحد في اللغة الذي لاينقسم في وجود ولا وهم، وهو المتفرد الذي لاثاني له، ولايقال في لفظه واحدان، وقيل: انه انما قيل له واحد لأنه عز وجل قبل الخلائق متوحد بالأزل، لاثاني معه، ثم خلق الخلق محتاجين بعضهم الى بعض، وتوحد هو بالمغني عن الجميع لأنه كان قبل كل شيء، فأوليته دلت على وحدانيته لأنه كان قبل كل شيء، ثم خلق الأشياء على مشيئته وارادته، والأحد هو أسم أكمل من الواحد، ألا ترى لو قلت : فلان لايقول له واحد لجاز في المعنى أن يقوم له ثلاثة أو اثنان فما فوقهما، واذا قلت : لايقول له أحد فقد نفيت أنه لايقوم له أحد ولا أثنان ولا أكثر، والله أعلم .

السلام : وأما السلام فهو قريب من القدوس، وقيل: السلامة به ومنه واسم من أسماء الله تعالى ، ومنه سمي الرجل عبدالسلام، فسمى نفسه بالسلام مما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان والفناء والموت والزوال والتغيير، وقيل: وصف الله نفسه بانه السلام المؤمن المهيمن، والسلام هو المصدر المعقول فوصف بذلك نفسه على جهة التوسع وارادته هو المسلم السلامة تناله من قبله، فلما كان يعقل عند وصفه وصف نفسه بانه السلام ماأراد من كون السلامة من قبله جاز أن يصف نفسه بذلك على جهة التوسع والسلام، والسلامة من التسليم والأمان، يقال : سلام عليكم، أي أمان مما تخافونه، والله أعلم .

المؤمن: وأما المؤمن ، قال الكلبي (٩٢): أمن من أطاعه من عذابه الذي

(٩٢) انظر ترجمته في الملحق .

لايخاف ظلمه، وقيل: المؤمن أن يؤمن من الجور ومنه الأمن، وقيل: المؤمن الأمين على الأشياء، وقيل: وصف نفسه بذلك أنه أمن العباد من أن يضيع لأحد منهم عنده حقا أو أن يعاقب أحدا منهم بغير حق.

تعريف المهيمن : وأما المهيمن ، قال بعض المفسرين، هو الشاهد من قوله تعالى : ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (٩٣) ، أي شاهدا، وقيل: المهيمن الشهيد، وقال الحسن ﴿وَمُهَيْمِناً﴾، قال : مصدقا لهذه الكتب وأمينا عليها، وقال قوم من أهل اللغة: مهيمن اسم مبني من أمين ومؤتمن، قال : وهو في الأصل مؤتمن فقلبت الهمزة هاء لقرب مخرجها، كما نقلت في أرقت الماء وأهرقته، وهيهات وأيهات، وهياك وأياك، فابدلوا من الهمزة هاء، فسمي نفسه عز وجل مهيمنا لأنه الشهيد على كل شيء، مطلع على ضمائرها ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٩٤) ، وهو الحافظ عليهم، الدافع عنهم.

الصمد : أما الصمد ، فقيل : انه السيد، وقيل : الصمد الذي تصمد اليه الحوائج. وقيل : الصمد الذي لاياكل الطعام، وقيل: الصمد السيد وهو معروف في لغة العرب الذي ليس فوقه سيد ، كما قال الشاعر :

علوته بحسامي ثم قلت له ** خذها حذيف فانت السيد الصمد

ويقال : الصمد الذي يصمد اليه الناس والعباد في حوائجهم كلها، يصمد، أي يقصد وهو بفتح ميم الماضي وضمه في المستقبل، والصمد على معنيين: أحدهما بمعنى السيد الذي ليس فوقه سيد، فاذا كان على هذا المعنى فجائز أن يقال : لم يزل الله صمدا لأن هذا من صفات ذاته، ومعنى آخر فيما قيل: ان الصمد الذي يصمد اليه في الحوائج فاذا كان على هذا المعنى لم يجز أن يقال : لم يزل صمدا، لأن هذا من حدوث القصد اليه من العباد، والله أعلم.

الفرد : وأما الفرد هو الواحد ، كما يقال : جعلته فردا، أي واحدا، والله تعالى هو الفرد، وقد تفرد بالأمر دون خلقه وسمي فردا لأنه لايختلط بالأشياء ولايمازجها، بل هو مستغن عنها متفرد عنها بالبقاء ويكون معناه لم يزل كائنا واحدا، ولايجوز أن يقال : وحيدا وفريدا لأن معنى ذلك التوحيد ، والله أعلم .

الوتر : فأما الوتر ففيه لغتان بفتح المهملة وكسرها، فالوتر بمعنى الفرد، والشفع بمعنى الزوج، وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿وَالشَّفْعِ

(٩٣) سورة المائدة : ٤٨.
(٩٤) سورة سبأ : ٣.

﴿وَالوَترِ﴾(٩٥) ، فالوتر هو الله تعالى والشفع الخلق، فالله تعالى لاشفع له من شكل أو ضد، والأشكال والأضداد هي شفع لبعضها بعض، والله تعالى فرد وتر، لابمعنى عدد، كما يقال: للواحد فرد وللاثنين زوج، وللثلاثة فرد وللأربعة زوج، فقيل لله: فرد بمعنى الفردية وليس متوجها كتوجه الواحد بالوحدانية فاجتمعت في الواحد بمعنى الوحديةوالفردية لأن الواحد اسم لايلزم الا الواحد، والفرد اسم يلزم الواحد والثلاثة والخمسة فهذه أفراد كلها اشتركت في اسم الفردية، وتفرد الواحد بالوحدانية، واختص بها ولم يشركه في هذا الاسم شيء من الأعداد، والله أعلم.

ويوصف الله تعالى بانه بار لعباده، لأن بره وفضله قد عمهم بفضله، ولايقال ماأبراه لخلقه.

الأول والآخر : فاما الأول والآخر ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، يقول الله: أما الأول فلم يكن لي سابق من خلقي، وأما الآخر فليس لي غاية ولانهاية، فقيل له: الأول عز وجل لأنه لم يزل قبل كل شيء وكانت الأشياء بعده محدثة فدل باوليته أنه لايزال، لأن الذي لا أول له لا آخر له، فلما ثبت أن الأشياء محدثة، وأنه المبتدع لها، لم يزل قبلها ولايزال بعدها، دل أنه هو الذي ابتدعها، لم يزل قبلها ولايزال بعدها، هو الأول الذي لم يزل قبلها والآخر الذي يكون بعدها أبدا، فقيل له : الأول والآخر. ولايقال: لم يزل آخرا، ولكن يقال : لم يزل ولاشيء، وكذلك يقال : الأول والآخر لم يزل، والله أعلم .

الوكيل : فاما الوكيل فهو الكافي لقوله عز وجل : ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾(٩٦) ، أي كافيا، وقيل الوكيل: الكفيل بالأرزاق ويقال لله تعالى : بانه وكيل علينا بمعنى أنه متولي أمورنا، والقائم بحفظنا وتصريفنا، ولايجوز أن يقال: انه وكيل لنا، كما يقال: وكيل علينا، ومعنى وكيل لنا لاقامتنا اياه في ذلك ولأنه أقام بامرنا فمن أجل ذلك لايجوز أن يقال له: وكيلا لخلقه، ولكن يقال له: وكيلا على خلقه، لقوله عز وجل: ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾(٩٧) ، وجائز أن يوصف الله عز وجل بانه قوي على الحقيقة.

المقيت : وأما المقيت ، قيل : أنه هو المقتدر ، وقيل : الحفيظ، وقيل: المقيت الخالق للأقوات، وجائز أن يقال : يامقيت ، لأنه وصف به نفسه، والله

---

(٩٥) سورة الفجر : ٣.
(٩٦) سورة الاسراء : ٢.
(٩٧) سورة هود : ١٢ .

أعلم .

الغافر والغفور والغفار : فاما الغافر والغفور والغفار ثلاث لغات وهو من المغفرة، المغفرة الستر كانه تعالى ستر ذنوب العباد، فانه يقال: الغافر بالاضافة، ولايجوز أن يقال : لم يزل غفورا، ولكن يقال : لم يزل الله وهو الغفور وهو الغافر لأن هذا من صفات فعله، ولا يجوز أن يقال: فيها لم يزل، لأنه من وصفه بها، كذلك فقد أوجب قدم الفعل والله تعالى لم يزل واحدا ثم أحدث الأشياء.

المجيب : فاما المجيب، فمعناه يجيب من دعاه، لقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُونِي أَستَجِب لَكُم﴾(٩٨) ، ادعُوني موحدين أَستَجِب لَكُم ماوعدتكم من الجنة.

الشكور : وأما الشكور ، فهو بمعنى الشاكر وبمعنى المشكور، وكذلك الحميد بمعنى المحمود، وبمعنى حامد، وحمدا لله هو الثناء بصفاته الحسنى، وشكره الثناء عليه بنعمه، يقال: حمدت الرجل اذا اثنيت عليه بصفاته، ومن شكر فقد حمد، لأن الشكر يجمع الحمد والشكر جميعا، وكان الله سمى نفسه، لأن يرضى من عباده بالقليل من العبادة. والله تعالى وصف نفسه بانه شكور على جهة التوسع والمجاز في الكلام، فنحن نصفه بذلك ما وصف به نفسه، فان قال قائل: لم زعمتم أن ذلك مجاز قيل له: لأن الشكر انما هو شكر النعمة التي كانت للمشكور على الشاكر، فلما لم يكن للعباد على الله نعمة لم يجز أن يكون شاكرا لهم على الحقيقة، ولكن لما كان مجاز بالمطيعين على طاعتهم جعل مجازاته على هذه الطاعات شكرا منه لهم على المجاز. والشكور من الناس الذي يشكر بالقليل من العطاء، وكذلك يقال لمن قدر عليه الرزق: أشكر الله، أي اقنع بالقليل، والله أعلم.

الواسع : وأما الواسع، المحيط بكل شيء، وقيل: الواسع الغني كما يقال: أعطى من سعته، أي من غناه، قال الله عز وجل: ﴿لِيُنفِق ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(٩٩) ، أي ذو غنى من غناه، وقيل: يقال الله الواسع لأنه وسع على عباده في دينه ولم يضطرهم الى مايعجزون عن أدائه، وقيل: أن يسع علمه كل شيء لقوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلماً﴾(١٠٠) ، والله أعلم.

---

(٩٨) سورة غافر : ٦٠ .
(٩٩) سورة الطلاق : ٧ .
(١٠٠) سورة طه : ٩٨ .

المجيد والماجد : وأما الماجد والمجيد ، هما على وزن فاعل وفعيل ، وهما ماخوذان من المجد ، والمجد للجلالة والعظمة، وقد يوصف الانسان بالمجد، فيقال: ماجد، ولا يقال: مجيد لأن الماجد هو الفاعل بالاكتساب، والمجد والمجيد هو معدن المجد، ولايقال للانسان كذلك.

ومثله حكم وحاكم، فالحاكم هو الذي يفصل الحكمة والحكم معدنها، وقيل: مجيد، أي كريم عزيز، وأما قوله تعالى : ﴿بَل هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾(١٠١)، معناه كريم عزيز. وماجد ومجيد هما من صفات الله عز وجل الذاتية، وقيل: الماجد الفعال الذي يستحق صاحبها الثناء الجميل ، والمجيد هو الكريم العظيم، قال الله عز وجل : ﴿ذُو العَرشِ المَجِيدُ﴾(١٠٢)، فالرفع نعت لله عز وجل والجر للعرش العظيم لأن أصل المجد انتهاء الغاية في الكرم والشرف، كما يقال: مجد الرجل مجدا، بضم المعجمية من الماضي والمضارع، والله أعلم.

وأما الكفيل ، فمعناه أنه تكفل بارزاق العباد، وقيل : يقال الله كفيل، معناه أنه كفل لعباده أن يثيبهم على طاعته. وأما تصريف الفعل منه بفتح المعجمة من الماضي وضمها من المستقبل، وكذلك كفالة المال عن الغير بمعنى الضمانة، فهو كفيل على العيال، بمعنى النفقة عليها فهو كافل، قال الله عز وجل: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(١٠٣) ، وبتشديد المعجمة على قراءة بعض القراء، أي ضمنها الله عز وجل زكريا، تركت مايجانسه خوف الاطالة، والله أعلم .

الباعث : وأما الباعث، فهو المثير في كلام العرب كما يقول : بعثت البعير اذا أثرته وأنهضته من مكانه، وقيل لله تعالى : الباعث لأنه يبعث الخلائق بعد الموت، أي يثيرهم من القبور وينهضهم من مضاجعهم، قال الله عز وجل حكاية عنهم : ﴿قَالُواْ يَاوَيلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرسَلُونَ﴾(١٠٤) ، وقيل : من فوائد هذا الاسم اذا رسم في حرف مربع حرفي(١٠٥) في قطعة من نحاس يوم الأحد مع طلوع الشمس وأغمر بماء طاهر وشربه من به الفالج (١٠٦) ، والسكتة (١٠٧) مائة مرة بريء باذن الله عز

---

(١٠١) سورة البروج : ٢١.
(١٠٢) سورة البروج : ١٥ .
(١٠٣) سورة آل عمران : ٣٧ .
(١٠٤) سورة يس : ٥٢.
(١٠٥) الخط غير واضح في الأصل .
(١٠٦) الفالج : داء .
(١٠٧) السكتة : كذا في الأصل ، والمعنى غير بين .

وجل. وكذلك من زرع زرعا يوم الأربعاء فقال : سبحان الباعث الوارث سبحان الوارث الباعث. ثلاث مرات، فان الله يبلغه نوال ذلك الزرع ويكون زرعا حسنا مباركا سالما من الآفات باذن الله عز وجل، هذا مع الاخلاص وصدق النية.

الرؤوف : وأما الرؤوف، باربعة وجوه، الأول كذلك باثبات المهملتين وضمهما، والثاني باثبات المهملة الأولى وضمهما، وهي الهمزة وحذف الثانية وهي الواو، والثالث بحذفهما أعني المهملتين، وجزم المهملة المثبتةوهي الألف فنقول : رأف وبكسرها فنقول : رأف، والقياس في ذلك فعل مثلثة المهملة الوسطية ماخلا الفتح وبزيادة الواو مع الضم وعدم الألف، ومعنى الرؤوف شديد الرحمة وهي الرأفة، والفعل من ذلك بفتح مهملة الماضي مع عدم تحريك الألف وضمه من المستقبل لأن الرأفة هي الرحمة وبضم الهمزتين من الفعلين اذا صار رؤوفا، والله أعلم.

الديان : وأما الديان، فهو من الدين وهو الطاعة، لأن الخلق كلهم دانوا وتذللوا لعظمته، كما يقال: دان له، أي أطاعه، وقيل في صفة الله عز وجل: ديان يوم الدين، أي اليه حساب الخلائق يوم الحساب، والديان الذي يلي المجازاة وهو قادر عليها، فيجازي كلا على استحقاقه، فهو عز وجل ديان يوم الدين، لأنه يجازيهم بأعمالهم، والله أعلم.

المنان : فأما المنان، فهو المعطي، قال : لقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ﴾(١٠٨) ، أي يعطيهم من فضله. والمنان على وزن فعال بتشديد المهملة، وكلما جاء على هذا الوزن فمن شانه أن يفعل ذلك، والمنان من شانه المن بالاعطاء، وقيل : المنان هو المنعم على عباده، لأن المنة من الله هي النعمة، والله أعلم .

الحنان : وأما الحنان، فكره أصحابنا أن يصفوا الله كذلك، لأن الحنان مأخوذ من حنين القلب الى الشيء، والله عز وجل لايجوز أن يوصف كذلك، وقد فسره قومنا بأن الحنان المتعطف بالرحمة. ووقف ابن عباس رضي الله عنه عن تفسيره، وأما قوله عز وجل: ﴿وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا﴾(١٠٩) ، أي رحمة منا، أو رحمة وتعطفا في قلبه على أبويه، وغيرهما على الحكم، وأما فعله حن يحن حنانا اذا ترحم، وحن حنينا اذا اشتاق، وكذلك حنين الناقة في أثر ولدها، كل هذه بكسر المهملة من المستقبل، والله أعلم. وأما السيد فقد كرهه أصحابنا.

(١٠٨) سورة ابراهيم : ١١ . (١٠٩) سورة مريم : ١٣ .

فالق الحب : وأما فالق الحب، وشققه ليخرج نباته، يقال : فلق الصبح اذا فجره، يقال : فلق الشيء فلقا اذا شقه، وكذلك فلق الفجر وهو بفتح المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل، والله أعلم.

ذو الطول: وأما ذو الطول، ذو الفضل والعطية، لأن الطول الفضل والعطية والاحسان والعظمة، ولايوصف الله عز وجل بضم الطاء لأن ذلك ضد العرض، والله عز وجل تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الوهاب : وأما الوهاب ، قال الله عز وجل : ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾(١١٠) ، فمعنى الوهاب الذي يهب الكثير، الجواد الذي لايتخفى عطاياه، الغني عن الأشياء كلها، تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الظاهر : وأما الظاهر ، الذي يظهر صنعه، كما يدل البناء على الباني، والظهير المعين، قال الله عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾(١١١) ، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾(١١٢) ، وقيل: معنى الظاهر أي الظاهر وجود دلائله، والباطن حقيقة ذاته، فلا تكتنهها العقول، وقيل: الظاهر الغالب على كل شيء، والباطن: العالم بباطنه، وقيل: الظاهر القادر القاهر، ومعنى الباطن أنه حفي عن أن تدركه الخلائق بكيفية أو تحيط به أوهامهم، أو تبلغه صفاتهم، أو تدركه عقولهم، والله أعلم.

البارىء: وأما البارىء ، فهو الموجد للأشياء برءا من التفاوت، ويقال: برأ الله الخلق، أي سواه بعلم وحكمة. وقيل: خلق الخلق فقدره ثم برأه فسواه فعدله، والبرىء التسوية، يقال: بري القلم اذا سواه، وأعط القوس بارئها، أي مسويها، والبرية الخلق ، والبارىء الخالق، والخالق المقتدر، كما قال تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١١٣) ، أي أحسن المقدرين تقديرا. وأما التصريف للأفعال، يقال : برأ الله الخلق، أي خلقهم وهو بفتح مهملة الماضي والمستقبل مع الهمزة، والله أعلم. ومثله اذا بريء من مرضه وهو لغة في بري بكسر مهملة الماضي مع الهمزة، وكذلك اذا بريء من الدين. وأما تسوية القلم بفتح مهملة الماضي وكسرها من المستقبل مع عدم الهمز، والله أعلم .

---

(١١٠) سورة ص : ٩.
(١١١) سورة التحريم : ٤.
(١١٢) سورة سبأ : ٢٢ .
(١١٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

المصور : وأما المصور ، هو المحدث لأنواع التركيب، يقال: صور يصور تصويرا اذا أحسنها، قال الله عز وجل: ﴿وَصَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صُوَرَكُم﴾(١١٤) ، والباريء المصور من صفات الله الفعلية.

الحليم : وأما الحليم، فيكون بمعنى صفة ذاتية وفعلية، فالذاتية بمعنى عليم لقوله عز وجل : ﴿فَبَشَّرنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(١١٥) ، والفعل من تاخر العقوبة وهو بضم المهملة من الماضي والمستقبل، وبنصب مهملة الماضي وضمه من المستقبل من حلم النايم، فلايقال : لم يزل الله حليما، اذا كان على معنى الفعل، والله أعلم .

القديم : وأما القديم ، فهو من صفاته الذاتية، وهو قديم بنفسه، أزلي قبل كل شيء، لا اله الا هو ﴿لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾(١١٦) ، فوجب له هذا الوصف لتقدمه، وكل شيء متقدم من الأشياء فواجب له هذا الاسم اذا بولغ له الوصف بالتقدم، غير أن سائر الأشياء اذا سميت بهذا الاسم فانه يعني قديم الى نهاية وغاية وأول، والله سبحانه قديم لا الى أول ولا الى غاية، وأما قوله عز وجل: ﴿حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ القَدِيمِ﴾(١١٧) ، يعني أنه المتقدم ومنه قوله عز وجل : ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفكٌ قَدِيمٌ﴾(١١٨) ، وكذلك يقال : هذا بناء قديم انما أراد بذلك التقديم، فلما بولغ في الوصف ، قالوا : هذا قديم، وردوا ذلك الى غاية ونهاية، مع وصفهم له أنه محدث في الأصل، والله تعالى قديم لا الى غاية ولا الى نهاية، عز وجل ﴿لَهُ الحَمدُ فِي الأُولَى وَالأَخِرَةِ وَلَهُ الحُكمُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾(١١٩) ، والفعل من القدم بضم المهملتين من الماضي والمستقبل، وبمعنى المقدمة بفتح مهملة الماضي وضمها من المستقبل، والى الأمر بزيادة همزة، والله أعلم .

سبوح : وأما سبوح، فهو مبني على فعول من قولك ، سبحان الله ، وكل اسم على فعول فاوله مفتوح الا هذين الاسمين سبوح قدوس، فانه يضم أولهما، ومعنى القدوس ماخوذ من التقديس وهو قريب من التسبيح في المعنى، فمن قدس الله تعالى فقد نزهه وأخلص له الوحدانية، لأن التقديس التطهير من قوله عز وجل : ﴿الأَرضَ المُقَدَّسَةَ﴾(١٢٠) ، أي المطهرة. وسمي

---

(١١٤) سورة غافر : ٦٤.
(١١٥) سورة الصافات : ١٠١.
(١١٦) سورة التغابن : ١ .
(١١٧) سورة يس : ٣٩ .
(١١٨) سورة الأحقاف : ١١ .
(١١٩) سورة القصص : ٧٠ .
(١٢٠) سورة المائدة : ٢١ .

روح القدس، لأنه ينزل على كل شيء طاهر، ويطهر كل من نزل عليه. وسمي البيت المقدس، أي المطهر، فكذلك القدوس الطاهر المنزه عن الأشباه والأمثال، تعالى علوا كبيرا.

الحي : وأما الحي ، فهو الدايم الذي لاتدركه طوارق الفناء، ولا تبليه الدهور، ولايغيره تقلب الأمور، فهو الحي على الحقيقة الذي له الحياة الدائمة، الذي لم يزل حيا عز وجل، يحيي ويميت وهو حي لايموت، بيده الخير وهو على كشيء قدير.

القيوم : وأما القيوم ، فهو الدائم القائم بتدبير الخلق، نقول: قام بالأمر اذا حفظه. وقيل: القيوم العالم من قولهم فلان يقوم بالكتاب، أي هو عالم به، وقيل: القيوم الموجود الذي لايزوله. وأصل قيوم قيووم فابدلت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، ووجدت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: القيوم الأول الذي لم يكن قبله شيء، وهو بالعبرانية شراهيا، وذلك أن موسى صلوات الله على نبينا محمد وعليه وسلم لما بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل، فقال : «يارب اذا سئلت عنك قيل لي : من أرسلك ياموسى، فما الذي أقول لهم؟ فاوحى الله اليه أن قل لهم: أرسلني هيا شراهيا، يقول بعثني الأول الذي لابدء له، وهو الحي القيوم لا اله الا هو»، سبحانه وتعالى علوا كبيرا .

الجبار : وأما الجبار ، فهو المتعالي ، وهو من صفات الأزل، قال الله عز وجل: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾(١٢١) ، وقيل : الجبار الذي حفظ خلقه على ماأراد وجبرها لهم، وقيل: الجبار المصلح أمور عباده وكانه أقام القلوب وأثبتها على مافطرها عليه من معرفته والاقرار به.

ومن الضياء : «وسمى الله نفسه جبارا لأنه ارتفع عن أن يناله شيء أو يدركه بصفة أو حد، فهو الجبار على الحقيقة الذي فات أيدي المتناولين»، كتبت هذا كما وجدته الا أني وقع في نفسي من الكلام الأخير ، الا أني أقول : الجبار الذي عجزت الخليقة أن تصفه بخواطر الأوهام، وقصرت عن أن تدركه بصوادر الافهام، الرفيع المتعالي عن أن تنظره لحظات الأبصار، الغزير أن يقوم بحر تكييفه وسر الأفكار، وليس هو برفع الحلول والأمكنة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والجبار في اللغة على معاني شتى، فمن ذلك النخل الذي فاقت اليد من

(١٢١) سورة الحشر : ٢٣ .

رفعها، وبالهاء مع عدم الألف النخلة الطويلة، والناقة اذا كانت عظيمة سمينة، والجمع جبابير، والجبار العظيم الجسم، لقوله عز وجل قصة عن بني اسرائيل : ﴿قَالُواْ يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوماً جَبَّارِينَ﴾(١٢٢) ، أي متغلبين، عظيمة أجسامهم لاتابى مقاومتهم، لأن الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره، وهو الذي يجبر الناس على مايريده، والجبار المسلط لقوله عز وجل : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ﴾(١٢٣) ، أي بمسلط، والجبار المتكبر عن عبادة الله عز وجل، لقوله تعالى قصة عن عيسى صلوات الله عليه وعلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿وَلَم يَجعَلنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾(١٢٤) ، أي لم يجعلني متكبرا عن عبادته، والجبار القتال، لقوله عز وجل قصة عن نبيه هود على نبينا وعليه السلام: ﴿وَإِذَا بَطَشتُم بَطَشتُم جَبَّارِينَ﴾(١٢٥) ، أي قتالين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا تاديب ولانظر في العاقبة، والله أعلم .

القاهر والقهار : وأما القاهر والقهار، معناه أنه مالك للأشياء مقتدر عليها، وأنها لاتطيق الامتناع منه مما يريد انفاذه فيها، فان قال قائل: أتزعمون أن الله لم يزل قاهرا، وأن هذا الوصف وجب لله لذاته؟

قيل له : نعم .

فان قال : أفتزعمون أن الله لم يزل قاهرا للأشياء قبل أن يخلقها؟

قيل له : نعم ، لأنه لم يزل مقتدرا عليها، فاقتداره على مايوجد وعلى مالايوجد هو قهره، والله أعلم .

وقيل القاهر والقهار وهو العالي على كل الأشياء، لأن القهر الغلبة والعلو وهو بفتح المهملة من الماضي والمستقبل، والله أعلم. وقيل: من وضع هذا الاسم وهو القاهر في مربع مكسر لايحمله إنسان في مخاصمة الا قهر هو خصمه وغلبه لقول الله عز وجل .

اللطيف : وأما اللطيف ، قيل : هو العالم الذي لاتخفى عليه خافية، واللطيف من العباد الرقيق النظر، يقال : لطف يلطف لطفا ولطافة، ولطف الله بعباده لطفا اذا رفق بهم، وهو بضم المهملتين من الماضي والمستقبل، وسمى الله نفسه لطيفا لأنه لطيف في صنعه، فلم يدع شيئا من لطف صنعه الا خلقه بحكمته وقدرته، لأن الوصف له بانه لطيف، بمعنى أنه منعم، لأنه عز وجل لطيف الصنع والتدبير، لأن تدبيره لطيف لاتعرفه العباد للطفه،

---

(١٢٢) سورة المائدة : ٢٢ .
(١٢٣) سورة ق : ٤٥ .
(١٢٤) سورة مريم : ٣٢ .
(١٢٥) سورة الشعراء : ١٣٠ .

وقد وصف الله نفسه بانه لطيف خبير لأن النعمة في اللغة تسمى لطفا. وما أسرع هذا الاسم بتفريج الكرب في أوقات الشدائد، لا يذكره من يجد مايؤلمه في نفسه من أمر عظيم هاله، ومثل ذلك في تخليه وأقبل(١٢٦) على الذكر وهوي لاحظ تلك الكيفية الا شاهدها كيف تنحل وتضمحل فلا يقوم من مقامه، ولايبقي شيء يرهبه الا زال، وفيه أسرار بديعة، وأمور جليلة من تسبيحات جبريل عليه السلام، والله أعلم .

الخبير : وأما الخبير ، هو العالم بالشيء، يقال : فلان يخبر هذا الأمر، أي يعلمه، قال الله عز وجل : ﴿فَسأَل بِهِ خَبِيرًا﴾(١٢٧) ، أي عليما. قال الشاعر :

وقولي ان جهلت فسائليهم ** كفى قوما بصاحبهم خبيرا

وفعله يقال : خبرت الرجل خبرا وخبره، أي اختبرته، وهو بفتح معجمة الماضي وضمه من المستقبل، وبكسر معجمة الماضي وفتحها من المستقبل، مثل أن يقال : خبرت هذا الأمر، أي علمته، لأن الخابر والخبير العالم، وخبر المكان فهو خبر، وبهمزة اذا أعلمه بالأمر، ومثله بالتشديد مع عدم الهمزة ، والله أعلم .

وقد قيل من خاصية هذا الاسم اذا رسم بخاتم حديد يوم الجمعة وتلا الاسم ونام الرجل، أخبر في منامه مايطلب، والله أعلم.

الباسط: وأما الباسط، فهو الموسع على خلقه بالرزق والنعمة، وكذلك الجواد في لغة العرب هو الذي يتفضل على من لايستحق، ويعطي من لايستوجب، الذي لاتحصى عطاياه، ولاتعد مننه ونعمه، فان قيل: أليست الفرس توصف بانها الجواد؟

قيل له : من أجل أنها كثيرة الغدو، ولايجوز أن يوصف الله عز وجل على هذا المعنى أبدا، ولايجوز أن يقال: لم يزل جوادا، لأن الجود من أفضاله وأنعامه على عباده، وذلك فعل منه، ولايجوز أن يكون لم يزل معه موصوفا بذلك ، والله أعلم .

ومن كتب هذين الاسمين وهما الجواد والباسط وحملهما لم يقع عليه بصر أحد الا أحبه، وانبسط له بحكم الغلبة، وخاصية هذين الاسمين صحيحة على اليقين ، والله أعلم .

وأسماء الله كثيرة تركت ذكر تفسيرها وفضائلها خوف الاطالة، وما

---

(١٢٦) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : ولا أقبل.
(١٢٧) سورة الفرقان : ٥٩ .

التـوفـيق الا بالله عليـه توكلت واليـه أنيب، وانا أسـتـغـفـر الله من الزيادة والنقـصان، والحمد لله حق حمد. ، ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

فصـــل

فتنقسم هذه الأسماء على قسمين : وهي صفات ذاتية وفعلية .

فامـا الذاتيـة : فهي الله، الرحمن، الرحيم، الحي، القيوم، الملك، القدوس، السـلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الـقـاهـر، القـادر، الحليم، العليم، الغني، الكريم، الخـبير، الرؤوف، القـديم، الدايم، الرب، فهذه الأسماء وماكان مثلها من أسماء الذات .

وأمـا الأسماء الفـعليـة فـهي مـثل : الخالق ، البارىء، المصور، الرزاق، المحيي، المميت، الباعث، المجازي، وماكان مثلها من الصفات.

فصـــل

والايمان بجـملتـها بتفسيرها، ولاتنازع بين أهل العلم والنظر أن صفات الذات مـالم يزل الموصوف بهما تاويلها، وصفات الفعل وجوبها والفعل معا. فـاذا اشـتبه عليك من الأسماء أهي فعلية أم ذاتية؟ فادخل الألف واللام فانك تصيب الصيغة ان شاء الله، وذلك ان تقول: لم يزد الاله، ولم يزل الرب، ولم يـزل العـالم، ولم يزل هو الخـالق والرازق، وغيره من الأسماء، فـاذا أدخلت الألف واللام في هذه الأسماء والصـفات الذاتية والصفات الفعلية فانت تصيب ان شاء الله .

فصـــل

وأسماء الله عز وجل وصفاته من ذاته، وصفات ذاته قديمة، ولايجوز أن يقـال: هي ، هو ، ولاهي غيره، ولا هو غيرها، ولايبعض منها، ولاتبعض منه، ولم يزل موصوفا بها. والصفات الفعلية فهي غيره وهي محدثة.

والاسم عـبـارة عن صـفـة الله، وهو من المتكلم به محدث، وكـذلك صفة الـواصـف محدثة لأن اللفظ محدث، وهو غير الله والموصـوف قـديم لم يزل ، والمعنى بالصفة والموصوف ، وهو لم يزل، وهو الله .

وصـفـاته على مـاذكـرنا من الفعلية والذاتية. فمعرفة صفات الذات أنه تعـالى يوصف بها ولايوصف بضـدها، وصـفات الفعل يوصف بها ويوصف بضـدها. وصـفـات الذات نحـو قـولك: لم يزل حاكما وقادرا وقديرا وسميعا وبصيرا وحيا وقاهرا، فهذه لايجوز أن يوصف بضدها، ألا ترى أنك تقول: لم

يزل عالما، ولايجوز أن تقول : وقد كان غير عالم ثم علم، وتقول: لم يزل قادرا، ولاتقول: وقد كان غير قادر ثم قدر، فما كان صفات(١٢٨) ذاته فيوصف بها، ولايوصف بضدها، وصفات الفعل يوصف بها، ويوصف بضدها. ألا ترى أنك تقول : خلق ولم يخلق، وتقول : خالق وقد كان غير خالق ثم خلق، وتقول : رزق وقد كان غير رازق، وأعطى ولم يعط، وأطعم ولم يطعم، وانما يجب له الوصف بهذا، وماكان مثله من صفات الفعل بعد الفعل، ولايوصف بشيء من ذلك قبل أن يفعله، وكل صفة ذات يقال فيها: لم يزل، كقولك: لم يزل عالما وقادرا وسميعا وبصيرا. وكل صفة فعل، فغير جائز أن يقال : لم يزل خالقا وبارئا ومصورا ورازقا، فهذه لاتجوز لأن هذه الصفات فعلية .

فصل

فاذا وصف بها، فقلت : لم يزل أوجب قدم الفعل، والله تعالى لم يزل واحدا ثم أحدث الأشياء فهي محدثة، فلذلك لم يجز أن يقال فيها: فلم يزل موصوفا بها اذا كانت في المعنى توجب قدم الفعل، والله تعالى لم يزل أولا قبل كل شيء ثم أحدث الأشياء، فلايجوز أن يقال: لم يزل خالقا مع القول بانه قد كان تعالى غير خالق ثم خلق، فاثبت بالصفتين جميعا، والله تعالى الموفق للصواب.

فصل

ووجدت عن أبي محمد (رحمه الله) أنه قال : لايجوز أن يقال : علمه غيره ولا هو، فهو العالم بكل شيء وعلمه بكل مكان لا على أن معنى علمه سوى ذاته ولاذاته سوى علمه، بل المعنى في ذلك أنه هو العالم بكل مكان، وماجاء به القرآن من صفاته عز وجل فجائز أن يطلق بها من الأفعال وغيرها ولايجوز الا ماحسن وصح عن النبي ﷺ، أنه أجازه، ومالم يجيء به القرآن فلايجوز، وقال قوم: لايجوز في أسماء الله وصفاته الا مافي القرآن فقط.

فصل

واذا لم نجد الأمة تصفه تعالى بصفته، ولاهو وصف نفسه بها، ولاوصفه بها النبي ﷺ، لم يكن لنا أن نصفه الا بما وصف به نفسه جل وعلا علوا كبيرا.

فصل

ولايجوز أن يوصف الله عز وجل الا بما نجد الناس قد توسعوا في

(١٢٨) لعل الصواب : فما كان من صفات ذاته ، فانه يوصف بها .

اللغات في صفته عز وجل. وكل صفة وصف الله تعالى بها نفسه مما لها في اللغة المعاني الكثيرة فالحقها به ما وافق صفاته تعالى لنفسه في كتابه من صحيح التوحيد فان جاز منه شيء فعلى مجاز اللغة لا على الحقيقة ومنها مالم يجز عليه سبحانه أصلا.

فصل

وقد جهل قوم طريق الحق في ذلك لما جاء في صفاته تعالى في القرآن محتملا للمعاني الكثيرة من طريق اللغة وذلك مثل قوله عز وجل : ﴿تَعلَمُ مَافِي نَفسِي وَلَا أَعلَمُ مَافِي نَفسِكَ﴾(١٢٩) ، ومثله : ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ﴾(١٣٠) ، ومثله : ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَى عَينِي﴾(١٣١) ، ، ومثله: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت﴾(١٣٢) ، ومثله : : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾(١٣٣) ، ومثله : ﴿يَدُ اللهِ فَوقَ أَيدِيهِم﴾(١٣٤) ، ومثله: ﴿بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ﴾(١٣٥) ، ومثله : ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١٣٦) ، فلجهل الجاهلين شبهوه بخلقه تعالى لذكره النفس والوجه واليد والعين والقبضة واليمين وغير ذلك. والحق غير ماذهبوا اليه وساذكر تفسير هذه المعاني، بجهد طاقتي ان شاء الله تعالى .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿تَعلَمُ مَافِي نَفسِي وَلَا أَعلَمُ مَافِي نَفسِكَ﴾(١٣٧) ، قيل في التفسير : تعلم مافي غيبي ولا أعلم مافي غيبك، وقيل : تعلم سري ولا أعلم سرك، ويجوز تعلم ماعندي ولا أعلم ماعندك الا ماعلمتني من أمرك وحلمك، والعند، هاهنا، الحكم، هذا ماعندي، يريد هذا في حكمي ويجوز أن يقال : هكذا في علمي. وأما قوله عز وجل : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ﴾(١٣٨) ، أي عقوبته.

(١٢٩) سورة المائدة : ١١٦.
(١٣٠) سورة القصص : ٨٨ .
(١٣١) سورة طه : ٣٩ .
(١٣٢) سورة الرعد : ٣٣ .
(١٣٣) سورة النور : ٣٥ .
(١٣٤) سورة الفتح : ١٠ .
(١٣٥) سورة المائدة : ٦٤.
(١٣٦) سورة الزمر : ٦٧.
(١٣٧) سورة المائدة : ١١٦ .
(١٣٨) سورة آل عمران : ٢٨ .

وقيل : ويحذركم إياه أن يعاقبكم أن عصيتموه. وأما قوله عز وجل : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(١٣٩) على ذاته، لا على شيء سواه، ومثله قوله عز وجل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾(١٤٠) ، أي لذاتكم ولكم، لا لغيركم. والنفس المنفوسة عن الله منفية. والنفس بعد هذا على وجوه كثيرة: فمنها تكون النفس القوة، كما تقول : ماله نفس، أي ماله قوة. والنفس المنفوسة لقوله عز وجل : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(١٤١) ، ومنها مايراد به التوكيد كقولهم هذا الحق نفسه، يريد هذا هو الحق. وتقول: لقيته بنفسي، أي لقيته. وكذلك قال الله عز وجل قصة عن موسى عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي﴾(١٤٢)، أي ظلمت، لاغير ذلك، والنفس الرأي والارادة، كقولهم نفس فلان في كذا وكذا، أي ارادته فيه، والنفس الضمير وقلب الانسان، والنفس العين، يقال : أصابته نفس، أي عين، والنفس الدم لما ورد في الحديث عن ابراهيم النخعي أنه قال: «كل شيء ليست له نفس سائلة انه لاينجس الماء اذا مات فيه»(١٤٣) ، أي كل شيء ليس له دم، ومنه سميت النفساء لسيلان دمها، قال الله عز وجل : ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾(١٤٤) ، يعني نفس القاتل بنفس المقتول، والله أعلم بتاويل كتابه. وأما الفعل من نفاس المرأة وأصله ولادة المرأة، يقال: نفست نفاسا وأنفست فهي نفساء ومنفوسة وهو بفتح معجمة الماضي والمستقبل وبضم المعجمتين من الشيء المنفوس، يقال : نفس الشيء نفاسة فهو نفيس، أي جيد مرغوب فيه. وقرأ له بعضهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(١٤٥)، بفتح الفاء، أي من أفضلكم وأكثركم طاعة لله عز وجل ، والله أعلم بالصواب.

فصل

والمعنى الثاني الذي ضلت به الجهلة ـ أبعدهم الله من رحمته ـ وهو قوله عز وجل : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾(١٤٦) ، أي الا هو، لا كما قالته الجهلة : ان الوجه كوجه غيره من الأشياء، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَيَبْقَى

(١٣٩) سورة الأنعام : ١٢ .
(١٤٠) سورة الاسراء : ٧ .
(١٤١) سورة آل عمران : ١٨٥ ، سورة الأنبياء : ٣٥. سورة العنكبوت : ٥٧ .
(١٤٢) سورة القصص : ١٦ .
(١٤٣) انظر قلعة جي : موسوعة فقه ابراهيم النخعي ٢/ ٨٦٥.
(١٤٤) سورة المائدة : ٤٥ .
(١٤٥) سورة التوبة : ١٢٨ .
(١٤٦) سورة القصص : ٨٨ .

وَجهُ رَبِّكَ﴾(١٤٧) ، أي لأنه تعالى حي لايفنى، باق لا يبلى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأما قوله عز وجل : ﴿فَثَمَّ وَجهُ اللهِ﴾(١٤٨) ، أي فثم الله، لأن الله عز وجل لم يزل عالما بكل مكان لايحد، ولايبعض، ولايجسم، حي قيوم، أزلي دائم، لايفنى ولايبلى، لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وقيل: معناه فثم رضى الله لأن «ثم» بمعنى هنالك، وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللهِ﴾(١٤٩) ، أي لطلب ثواب الله. وقيل: لطلب رضى الله، والله أعلم.

ولايجوز أن يوصف الله عز وجل بأن له وجها كوجوه الخلائق، لا جوارح كسائر الجوارح، جل وعز عن ذلك علوا كبيرا. وقد شاهدت بعض الملحدين ـ قبحهم الله ولعنهم ـ يزعمون أن لله رأسا فيقسمون به، تعالى الله عما تقوله الملحدة علوا كبيرا. لأنه ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، لايشبه بالأجسام، ولايوصف بجوارح الأنام، ولا غيرها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والوجه من دون ذلك ينقسم على وجوه كثيرة: أحدها أن يراد به الشيء نفسه كقولك هذا وجه الأمر، ووجه الرأي، ووجه القوم والمتاع، واذا أخبرته عن الشيء بعينه، واني لأكره أن أرد وجهك، أي أردك لأنه عني بوجهه دون جسده. وتقول: كيف وجه العمل في هذا؟ أي كيف السبيل الى التوصل اليه، ويقال : لفلان وجه في شرفه، يراد به الانبساط ببلده والقدرة عند قومه، ويقال : فلان من وجوه قومه، أي من عظمائهم، ووجه الانسان وغيره معروف، وجمعه وجوه وأوجه. وقيل : الوجه القلب والعمل، لقوله تبارك وتعالى قصة عن ابراهيم الخليل صلوات الله عليه : ﴿وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ حَنِيفاً﴾(١٥٠) ، أي وجهت عملي، ومنه قال الشاعر :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه ** رب العباد اليه الوجه والعمل

والوجه : الضرب من الأمور ، يقال : هو ينقسم على وجوه، أي على ضروب كثيرة ، والله أعلم .

---

(١٤٧) سورة الرحمن : ٢٧ .
(١٤٨) سورة البقرة : ١١٥ .
(١٤٩) سورة الانسان : ٩ .
(١٥٠) سورة الأنعام : ٧٩ .

فصل

والمعنى الثالث الذي ضلت بتفسيره الملحدة وهو قوله عز وجل : ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَى عَينِي﴾(١٥١) ، أي بعلمي وحفظي، وكذلك قال الله عز وجل : ﴿تَجرِي بِأَعيُنِنَا﴾(١٥٢) ، أي بحفظنا وعلمنا ، وأما العين الجارحية فهي منفية عن الله عز وجل، ولايجوز أن يقال أنه ينظر بعين، لأنه يدرك الأشياء بدون اصغاء، ويراها بلا الحاظ ﴿يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَاتُخفِي الصُّدُورُ﴾(١٥٣) .

وأما دون ذلك، فالعين تنقسم على وجوه شتى، فالعين التي ينظر بها الانسان فهي معروفة، وجمعها أعين وعيون. قال الله عز وجل : ﴿وَالعَينَ بِالعَينِ﴾(١٥٤) ، قرأ الكسائي العين بالرفع وسائر المعطوفات عليها أيضا عطفا على الموضع، والباقون بالنصب، الا قوله : ﴿وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، رفعه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على الابتداء، والباقون ينصبونه على العطف، واختار أبو عبيدة قراءة الكسائي. والعين النهر وجمعه عيون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(١٥٥) ، قرأ نافع وأبو بكر بضم العين، وهو رأي أبي عبيدة، وقرأ الباقون بكسرها. والعين الثقب في المزادة، وعين المركبة، النقرة التي فيها، وعين الميزان معروفة، والعين مطر يدوم أياما لايقلع، يقال: أصابتنا عين غزيرة، وعين الشمس معروفة، والعين النقد من الدراهم، والعين الدنانير، ونفس كل شيء عينه، يقال هذه دراهمك بعينها، أي بذاتها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من وجد عين ماله فهو أحق به»(١٥٦) ،وعين كل شيء خياره، وأعيان القوم أشرافهم، ويقال : لأولاد الرجل والحرابر، بنوا أعيان، وعيون البقر جنس من العنب بالشام، والعين حرف من الحروف المهملة، وهو من الحروف الأرضيات، وطبعها التراب، وهي : الدال، والحاء، واللام، والعين، والراء المهملات، والخاء والغين المعجمتان، ويجمعه: «دحلعرخغ». فهذه الحروف الأرضيات اذا كتبت بالمسك والكافور وماء اللسان وهي لسان الجمل بعرفة يوم السبت، أو يوم الربوع، حين طلوع الشمس، وغسلت وشربت تدفع الرطوبات التي تسيل في الفم في النوم، وتقطع الدم والجراح

(١٥١) سورة طه : ٣٩ .
(١٥٢) سورة القمر : ١٤ .
(١٥٣) سورة غافر : ١٩ .
(١٥٤) سورة المائدة : ٤٥ .
(١٥٥) سورة الحجر : ٤٥ ، سورة الذاريات : ١٥ .
(١٥٦) أخرجه ابن حنبل بمعناه ، انظر المسند ٥/ ١٢ .

والحيض المفرد، وتذهب النسيان وتجلب الثبات والحفظ والصبر، وتحفظ اللون وتقوي الجسم، وتنقي البدن من الرطوبات والزيادة، وهي في الطبع باردة يابسة ، والله أعلم .

فصل

ومما تخبطت به (١٥٧) ، الملحدة في تفسيره، وهو قوله عز وجل : ﴿بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ﴾(١٥٨) ، فاليد هاهنا المنة، فمعناه بل منتاه مبسوطتان في الدنيا والآخرة، وقيل : نعمتاه في الدين والدنيا، وقيل : النعمة الظاهرة والباطنة، واليد القوة لقوله تعالى : ﴿يَدُ اللهِ فَوقَ أَيدِيهِم﴾(١٥٩) ، وفي آية أخرى : ﴿أُولِي الأَيدِي وَالأَبصَارِ﴾(١٦٠) ، أي القوة في العبادة والبصر في الدين، وأما اليد الجارحية فهي منفية عن الله عز وجل، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وبعد ذلك تنصرف اليد على وجوه كثيرة، وقد أتيت بها في غير هذا الباب، ولايحتاج أن أكرر تعبيرها هنا، والله أعلم .

فصل

ومما تخبطت به الملحدة في تفسيره قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١٦١) ، معناه قدرته، لا كالجوارح التي تكون في يد الخلائق، وتكون اليمين القوة لقوله عز وجل : ﴿لَأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ﴾(١٦٢) ، أي بقوة منا عليه، واليمين الحلف ولجمع أيمان لقوله تعالى : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم﴾(١٦٣) ، وانما سمي القسم يمينا لأنهم كانوا اذا تحالفوايضع كل واحد يده اليمنى على الآخرى، يقال : يمين الله لأفعلن بالنصب على حذف حرف القسم كما يقال : لأفعلن والله، ويجوز يمين الله بالرفع على الابتداء، والخبر محذوف، تقديره يمين الله علي أو لازمة لي. قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ❊❊ ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

ويقولون في القسم أيمن الله، فقال بعضهم: أيمن ألف وصل، وقال بعضهم: هي ألف قطع، جمع يمين، ويقولون: أيم الله بفتح المهملة الأولى محذوفة النون، كما حذفت من لم يكن في قوله : لم يكن، واليمين خلاف الشمال، قال الله عز وجل : ﴿ذَاتَ اليَمِينِ﴾(١٦٤) ، ومنها مايراد به الشيء

(١٥٧) لعل الصواب : فيه .
(١٥٨) سورة المائدة : ٦٤ .
(١٥٩) سورة الفتح : ١٠ .
(١٦٠) سورة ص : ٤٥ .
(١٦١) سورة الزمر : ٦٧ .
(١٦٢) سورة الحاقة : ٤٥ .
(١٦٣) سورة البقرة : ٢٢٥ ، سورة المائدة : ٨٩ .
(١٦٤) سورة الكهف : ١٧ ، ١٨ .

نفسه، كقولك: هذا ملك يميني، أي ملكي ، واليمين تكون بمعنى الرفعة، يقال: فلان عندنا باليمين، يعنون بالمنزلة الرفيعة، ومثله كثير تركته خوف الاطالة

فصـــل

ومما ضلت به الملحدة في تفسيره قوله عز وجل : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾(١٦٥) ، معناه الهادي، يهدي من في السماوات والأرض، لأن الهدى والحق نور، والضلال والباطل ظلمات، لأن(١٦٦) ، لا تكون الا ضوءا مستنيرا لأن القرآن نور، والحق نور، وانما سمى الله عز وجل نفسه نورا على المجاز دون الحقيقة بل توسعا ومجازا، اذا كان النور محدثا وعرضا، والله عز وجل لايشبه المحدثات والأجسام : ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١٦٧).

فصـــل

ومما ضلت به الملحدة في تفسيره : ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت﴾(١٦٨) ، معناه حافظها ورازقها وعالم بها، ومجازيها بما جنت، وجوابه محذوف، تقديره كمن ليست بقائم، بل عاجز عن نفسه، والله أعلم. وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة، وقد أتيت من تفسير هذه الوجوه ماسهل لي، والله الموفق الى الطريق الحق والصواب.

فصـــل

فان قال قائل : ما الدليل على أن الله لايشبه الأشياء ولاتشبهه؟ قيل له : لايخلو من أن يشبهها من جميع الجهات أو بعضها، فان أشبهها من جميع كل الجهات كان حكمه كحكمها، وان أشبهها من بعض كل الجهات كان مشبها لها، حيث أشبهها، تعالى الله عن ذلك علوا كثيرا.

فصـــل

فان قال قائل : فاذا علم العبد أن العالم محدث، وأن الله أحدثه، فكيف يعلم أنه لايشبهه شيء منها ولايشبهها؟

قيل له : يعلم مايشاهد من المحدثات فيما بينا أن كل صنعة لاتشبه

---

(١٦٥) سورة النور : ٣٥ .
(١٦٦) لعل المراد : لأنه .
(١٦٧) سورة الشورى : ١١ .
(١٦٨) سورة الرعد : ٣٣ .

صانعها ، كالكتابة لاتشبه الكاتب، والبناء لايشبه الباني، فاذا علم ذلك استدل بما ظهر له من ذلك على ماغاب عنه، فعلم أن الباريء عز وجل لاتشبهه الأشياء، ولاتشاكله، ولا تماثله، وقد قال الله عز وجل : ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾(١٦٩) ، أي ليس هو كشيء من الأشياء، فنفسه ذاته، وذاته اثباته، لأنه تعالى ليس بذي جسم، ولاذي طول، ولا عرض، لأنه تعالى لو كان جسما من الأجسام لكان طويلا عريضا عميقا، لايخلو من الحدود والنهاية والأعراض(١٧٠) ، فهذه صفة الجسم، ولولا ذلك لم يكن جسما، وكانت جواهر(١٧١) ، ومن كان لايخلو من الحركة والسكون والنهاية والحدود والمكان ، كان محدثا مخلوقا اذا لم يقدر على أن لايكون محدودا ذا نهاية وافضاء، من الحركة والسكون والتاليف والأبعاض، تعالى عن جميع ذلك علوا كبيرا.

فصل

ولايجوز أن يوصف الله بانه عرض ولاجوهر، لأن العرض لايقوم بنفسه وانما يقوم بغيره، وهي الجواهر والأجسام، فليس خالق الأجسام بجسم ولا عرض، لأنه لو كان جسما لكان بنو آدم يخلقون على قدر قوتهم من الأجسام، فلما استحال ذلك أن خالق الأجسام ليس بجسم، لأنه لو كان خالق الأجسام جسما أو جثة لكان لايخلو من أن يقدر أن يزيد في جسمه وجثته.

فان قال قائل : يقدر على ذلك ، قلنا له: فقد تغير عما كان عليه من قبل، وكانت زيادته في الجسم محدودة، لأنه لايكون جسم يحتاج الى زيادة الا محدودا، وينتقل حال النقصان الى الزيادة، ومن حال التغير الى الزيادات والزوال والنقصان فهو محدث مع أن زيادة الجسم في الكبر والعظم لابد لها من نهاية. ومن كان ذا نهاية وبداية فهو مخلوق مقسور على تلك النهاية والحدود، تعالى عن ذلك، وان كان لايقدر أن يزيد في جسمه أو جثته فهو عاجز، والعاجز ليس باله عظيم على كل شيء قدير، مع أن الهواء الذي تزيد فيه تلك الجثة لايخلو من أن يكون هو أو غيره، فهذا من المحال لاتمكن الصفة به اذا حدث لله صفة لاتعرف لأن زيادة الجسم لايكون الا بفضاء

---

(١٦٩) سورة الشورى : ١١ .

(١٧٠) الأعراض جمع مفردها عرض وهو : الممكن الموجود في الموضوع .

(١٧١) الجواهر مفردها جوهر وهو : الممكن الموجود في موضوع. وهو الذات والحقيقة والماهية.

وهواء متسعين عظيمين ممتدين قد استويا أعظم امتدادا من الجسم، لأنه لايمكن زيادة شيء من الأجسام الا بما كان أوسع منه محلا، وأكثر طولا وعرضا، كالبنيان لايستوي الا بمكان أعظم منه اتساعا، فهذا لايليق ولايمكن في صفة الله عز وجل، تعالى الله عن جميع ذلك علوا كبيرا .

فصل

فان قال قائل : كيف هو ؟

قلنا له : لا كيفية له تحد ، لأن قولك كيف اشارة منك الى كاي شيء هو، ومن قال كاي شيء هو فقد طلب له مثلا وعيانا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولايجوز أن يوصف ويذكر بحيث، لأن من وصفه وذكره بحيث فقد أثبت له طولا واستمكانا، تعالى الله عن ذلك، ومن وصفه بلم فقد ساله عن فعله، الله لايسال عما يفعل، لقوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(١٧٢) ، ولايجوز أن يقال : غاب الله عن العيون، ولكن يقال : العيون غابت عن نظره، وكذلك لايجوز أن يقال : لم يزل الها مطلقا الا بقول : لم يزل الها لما لو(١٧٣) سيكون ، والله أعلم .

فصل

فان قال قائل : أين هو ؟

قلنا له : لايجوز أن تدخل الأينية عليه، لأن الأينية سؤال عن المكان، والله تعالى لاينتقل من مكان الى مكان، كما زعمت الملحدة ـ قبحهم الله ـ انهم زعموا أن الله يقعد على كرسي في الجنة ومعه عصى من نور، فيقول : لكل واحد من المذنبين أنت عملت كذا وكذا من الخطيئات، اذهب الى الجنة فقد غفرت لك، أتيت بالمعنى لا اللفظ بعينه، لعن الله من كان اعتقاده في توحيده كذلك لعنا كبيرا، لأن الله عز وجل أزلي أولي، لم يزل ولامكان له، ثم خلق المكان فكان المكان بعد أن لم يكن مكان لهذه الأجسام، تعالى الله أن تحمله الأشياء أو أن تحيط به أو تماثله أو تشبهه علوا كبيرا .

فصل

فان قال قائل : ماتنكر أن يكون الباريء جسما لا كالأجسام ؟

قيل : ان الأجسام المعقولة المسماه مع أهل اللغة : انه ماكان على هذه الصفة المعقولة معهم في الطول والعرض والعمق، وقولك : جسم لا

---

(١٧٢) سورة الأنبياء : ٢٣ .

(١٧٣) كذا في الأصل ، والظاهر أن اسقاط «لو» أولى بالسياق .

كالأجسام، فقد نفيت عنه معنى الجسمية، وذكرته بما لايعقل في المشاهد فيما بيننا ومايعرف في اللغة، كانك تقول : جسم وليس بجسم، فهذا محال ونقض، ولو جاز أن يكون جسما لا كالأجسام، لجاز أن يكون انسانا لا كالناس في الجسمية والطول والعرض والعمق والتاليف والحركة والسكون، فلما فسد ذلك فسد قولك جسم لا كالأجسام.

فان قلت : فجوهر هو ؟

قلنا : ان الجوهر متغير يحيط به الهواء، محتاج الى القرار، والمكان متحرك ابدا، ومن كانت به هذه الصفة لم يكن باله عظيم على كل شيء قدير، لأن الجوهر لايخلوا من المكان، وقبول الأعراض، والله تعالى لايوصف بانه جوهر ولا عرض، جل وتعالى علوا كبيرا.

فصل

وجائز أن يقال : أن الله علما معناه أنه هو عالم بالأشياء، وكذلك يقال: ان لله قدرة معناه القادر على كل الأشياء، ولايقال: ان لله علما وقدرة هما غيره، ولو كان يجوز ذلك لحسن أن يقال : ياعلم اغفر لي، ولكنه لايجوز هذا، والله أعلم .

فصل

وكذلك علمه أزلي لأن علمه وارادته ومشيئته، كل ذلك ليس شيء منه بمخلوق، بل ذاتي قديم، لم يزل الله موصوفا بجميع صفاته الذاتية وأسمائه الذاتية من غير أن يقال : ان عنده شيئا خالدا كخلوده، باقيا معه كبقائه، أوليا كاوليته، وانما الباريء لم يزل بجميع صفاته الذاتية وأسمائه الذاتية لأن الله عز وجل لم يخلق مشيئته وارادته وقدرته وعلمه، فلو كانت هذه الصفات محدثة لوقع التسلسل الى غير غاية، فلما فسد ذلك علمنا أن هذه الصفات ليست بمخلوقة، لأنه لايمكن أن تكون هذه الصفات محدثة، لأنه لو كان كذلك لكان قبل حدوث هذه الصفات معدوما منها، ومن كان معدوما من هذه الصفات فليس باله عظيم على كل شيء قدير، فلما بطل ذلك علمنا أنه هو، انما الاله هو العالم القادر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فالفعل انما هو معلوم بالعلم، ففسد أن يخلق علمه اذ كان الفعل، انما هو معلوم بالعلم وأنه عز وجل عالم بنفسه لابعلم هو غيره، وأما قوله عز وجل : ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾(١٧٤)، أي وهو العالم به ولو كان عالما بعلم، حيا بحياة، وقادرا

(١٧٤) سورة النساء : ١٦٦

بقدرة، ومريدا بارادة، وفاعلا بقوة عرضية هي غيره، والله جل وتعالى عن ذلك وأن يوصف علوا كبيرا .

فصل

وجل وتعالى ربنا أن يجبر أحدا على طاعة ولا معصية ، ولكنه قد علم من يعمل منهم بطاعته، ومن يعمل بمعصيته من قبل أن يخلقهم، فاراد انفاذ ماعلم كما علم، من غير أن يكون العلم ساق العباد لعلة الى ما عملوا من المعاصي، ولكن سولت لهم أنفسهم، وزين لهم الشيطان حتى كان منهم ماعلم الله.

فصل

ووجدت عن أبي محمد (رحمه الله) قيل له : فيقدر من علم منه المعصية أن يعمل خلاف ماعلم الله ؟

قال : لا .

قيل له : فاذا مجبور ؟

قال : ليس بمجبور، وانما قلنا : انه لايقدر على فعل ماعلم الله أنه لايفعله لتشاغله بفعل ما أمر به أو نهي عنه، لأن الله عز وجل لم يجبر أحدا ولم يفوض اليه الأمر كما زعم أهل الخلاف بقولهم: ان المشيئة مفوضة، وعسى أن تتاولوا هذه الآية، وهو قوله عز وجل : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(١٧٥) ، فليس هذا بتفويض الأمور الى العباد، ولكنه تهديد من الله تعالى ، ألا تراه قال بعد ذلك : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، يقول الله عز وجل قد بينت لكم سبيل النجاة وسبيل الهلاك ووعدت وتوعدت، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾ عند ذلك، ﴿وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فلا حجة لكم، لأنه تعالى عليم حكيم، لايفعل الا بحكمة، فلو فوض اليهم الأمور لم يعذب أحدا منهم، لأنه تعالى كيف يعذب أحدا على فعل قد فوض اليه فعل ذلك الفعل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والحجة قد ثبتت على أنه لم يفوض اليهم الأمور، ولم يتركهم سدى من كتاب الله عز وجل ، وهو قوله : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(١٧٦) ، وقال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾(١٧٧) ، لأن العابث ليس باله عظيم حكيم أن يخلق خلقا عبثا ويتركهم

(١٧٥) سورة الكهف : ٢٩ .
(١٧٦) سورة القيامة : ٣٦ .
(١٧٧) سورة المؤمنون : ١١٥ .

سدى هملا يضر بعضهم بعضا، فهذا ليس من الحكمة، والله عزيز جليل أن يفعل ذلك ، والله أعلم.

فصل

وأما القدر هو الخلق ، لقوله عز وجل : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(١٧٨) ، فقدره وهياه لما أراد من الخصائص والأفعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة الى غير ذلك. والقدر هو الخلق كما تقول قدر الله، أي خلق الله. والمقدور هو من فعل الانسان، والمقادير هي من الله، والتقدير هو تقدير الشيء، ويجب الايمان بالعدل(١٧٩) ، خيره وشره حلوه ومره، والله تعالى لايعذب على القدر، وانما يعذب على المقدور الذي هو أفعال العباد الذين ان فعلوا خيرا حمدوا عليه، وان فعلوا شرا عوقبوا به، والمقدور فعلهم، والله أعلم .

فصل

وأما القضاء فهو على وجوه: قضاء خلق، وقضاء حكم، وقضاء أمر، وقضاء اخبار واعلام، وقضاء علم .

فأما قضاء الخلق قوله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَومَينِ﴾(١٨٠)، أي خلقهن، وتقول قضيت الأمر اذا فرغت منه، وقضاء الحكم قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(١٨١) ، أي أمر ربك. وقضاء الخبر قوله تعالى : ﴿وَقَضَينَا إِلَى بَنِي إِسرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾(١٨٢) ، أي أخبرناهم وأعلمناهم. وقضاء العلم بأن علم أن فعل المعاصي قبيح والطاعة حسن. وقضاء كتاب، كتب أن أهل المعاصي سيعصون، لأن الله تعالى خلق الطاعةوالمعصية وقدرهما وقضاهما لا من قبل ذلك، ولا من بعد، فليس لله شريك فيما قضى وقدر، ولم يؤت العبد من قبل خلق الله وقدره وقضائه، ولكن أوتي من قبل اكتسابه للمعصية ومخالفته للأمر وايجاد الحجة عليه، ولم يزل الله مريدا لذلك، فالطاعة ارادة رضاء، ومحبة وعلم ومشيئة، والمعصية ارادة علم ومشيئة، لا ارادة أمر ولا رضاء ولا محبة .

(١٧٨) سورة الفرقان : ٢ .
(١٧٩) الصواب : بالقدر .
(١٨٠) سورة فصلت : ١٢
(١٨١) سورة الاسراء ٢٣.
(١٨٢) سورة الاسراء : ٤.

وأما القائلون : ان العبد مخترع لأفعاله فقولهم باطل، لأنه جعلوا أنفسهم شركاء لله في الخلق، والله يقول : ﴿هَل مِن خَالِقٍ غَيرُ اللهِ﴾(١٨٣) ، وقال تعالى : ﴿خَلَقُواْ كَخَلقِهِ﴾(١٨٤) ، يعيرهم بذلك، فكيف يكون أحد من خلقه خالقا كخلقه، تعالى الله عن تشبيه أحد من الخلق والاختراع، مع أن الخالق من شرطه أن يكون عالما بتفاصيل ماخلق، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(١٨٥) . فالعبد لو سئل عن أعداد حركته في ليله ونهاره ماعلم ذلك، وقد يتحرك مع سهوه الحركة(١٨٦) ، فكيف يكون عالمها وهو ساه عنها، فلا يكون خالقا من كان ساهيا لاهيا عن مخلوقاته، وهو في حال فعلها ناس لتدبير الذي تريده، ولايقدر يذكر(١٨٧) ليرجع الى سبيل قصده الذي أراد أن يعمله فكيف يكون خالقا لأفعاله ويفعل الأشياء على أنها صواب في خطا(١٨٨) فلا يشعر بها، فلا يكون خالقا لأفعاله من كان كذلك، ولكن أفعال العبد من الله خلق، ومن العباد كسب وعمل، والله خالق كسبهم، فيحال(١٨٩) ما يكسبون لا قبل ذلك ولا بعد، فهذا قول المسلم، والله أعلم.

فصل

وقد أجمعت الأمة من أهل الاستقامة بأن قالوا : ان الله تبارك وتعالى خلق الطاعة والمعصية، وأمر ونهى ، وعلم من يعمل بالطاعة ، ومن يعمل بالمعصية، فقد علم الله عز وجل كما علم، وأن الله عز وجل ماأجبر أحدا على طاعة ولا معصية، ولكن أمر بالطاعة وأمر بها وأحبها ورضيها، فمن عمل بها فبعلم المنان عليه بها، ونهى عن المعصية وأبغضها وكرهها، فمن عمل بها فبعلم الله، والله الحجة عليه.

والدليل على خلق الأعمال من كتاب الله قوله عز وجل : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(١٩٠) ، أي خلقنا كل شيء مقدرا مركبا على مقتضى الحكمة، أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه، «وكل شيء» منصور بفعل يفسره مابعده، وقريء بالرفع على الإبتداء ، وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقنا خبرا لا نعتا

(١٨٣) سورة فاطر : ٣ .
(١٨٤) سورة الرعد : ١٦ .
(١٨٥) سورة الملك : ١٤ .
(١٨٦) لعل الصواب : سهوه عن الحركة .
(١٨٧) كذا في الأصل .
(١٨٨) كذا في الأصل : والصواب : وهي خطأ.
(١٨٩) كذا في الأصل ، والصواب : في حال .
(١٩٠) سورة القمر : ٤٩ .

ليطابق المشهور في الدلالة على كل شيء بقدر، واختير النصب هاهنا مع الاضمار لما فيه من النصوص على المقصود، والله أعلم .

فصل

وأما الدليل على خلق الأفعال ، فهو قوله عز وجل : ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّن عِندِهِ أَو بِأَيدِينَا﴾(١٩١) ، فثبت أن الله يصيب الكافرين بايدي المؤمنين، فيكون فعل المؤمنين بالكفار من القتل والجراحة مصيبة أصابهم الله بها، فاضاف ذلك الى الله أنه أصابهم بها على أيدي المؤمنين أصابته اياهم تلك المصيبة وهو فعل المؤمنين ، قدر أن الأفعال من الله خلق، ومن العباد عمل. وكذلك جاء الدليل عن النبي ﷺ على خلق الأفعال قوله عليه السلام : «ماخلق الله خلقا أحب اليه من العتاق ولا أبغض اليه من الطلاق»(١٩٢) ، وقال عليه السلام : «ان الله خلق كل صانع وصنعته»(١٩٣) ، وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة، والله أعلم.

فصل

فاتقوا الله ، اخواني، واغمصوا في العلم أبصاركم، وأنفذوا(١٩٤) عليه أعماركم، واحفظوه جهركم واسراركم، وادعوا ربكم خوفا وطمعا لعلكم تفلحون، ولاتفتروا من ذكر الله والدعاء اليه لأن الدعاء مخ العبادة، وقد أمر الله عز وجل عباده أن يدعوه لقوله عز وجل : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُونِي أَستَجِب لَكُم﴾(١٩٥) ، وقال تعالى : ﴿ادعُواْ رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفيَةً﴾(١٩٦) ، أي في خفض وسكون وتذلل واستكانة ﴿وَخُفيَةً﴾، أي سرا، لأنه قيل : مابين الجهر والسر سبعون ضعفا، وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء الخفي، وكذلك ذكر الله نبيه زكريا عليه(١٩٧) : ﴿إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾(١٩٨) . والمعنى ادعوا الله بالتذلل والخضوع والسكون في حاجتكم من أمر الآخرة، ولاتعتدوا (١٩٩) على

---

(١٩١) سورة التوبة : ٥٢ .
(١٩٢) انظر الزيلعي : نصب الراية ٣/ ٢٣٥ .
(١٩٣) انظر الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٨١ .
(١٩٤) كذا في الأصل ، لعل المراد : انفوا .
(١٩٥) سورة غافر : ٦٠ .
(١٩٦) سورة الأعراف : ٥٥ .
(١٩٧) لعل الصواب : عليه السلام .
(١٩٨) سورة مريم : ٣ .
(١٩٩) الصواب : لاتدعوا على .

مؤمن ولا على مؤمنة بالشر أن تقول : اللهم العنه واخزه، أو نحو ذلك عدوانا : ﴿إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٢٠٠) ، والدعاء فرض اذا خرج ذلك الدعاء فيما أمر به العبد، ولم يدخل مالايجوز ، والله أعلم .

فصل

واختلف في الدعاء ، فبعض جوزه على الشريطة، ولم يجزه آخرون. والمستحب في الدعاء أن يكون على وجه التضرع اليه، وأن يقضي ماهو خير له. فاذا سالت ربك فلا تقل : ان شئت يارب فعلت لي كذا وكذا، ولكن اعزم في المسالة، وتضرع اليه، وجد في الطلب، وقل : اللهم يسر لي كذا وكذا، واعطني كذا وكذا، واجعل لي في كذا وكذا خيرا في ديني ومعاشي، لأنه يوجد في الحديث المنقول عن الرسول ﷺ أنه قال : «لايدع أحدكم الا وهو موقن بالاجابة»، وكرهوا أن يقال : ان كان خيرا لي كذا وكذا فاعطني، وكرهوا رفع الصوت في الدعاء، وقيل : اذا كان على غير معنى التحديد فجائز اذا كان على صدق النية، واستحب أصحابنا أن لايحدث الدعائي(٢٠١) في دعائه حالا من رفع اليدين ولا من خفضهما، وكذلك أن لايرفع الأصوات سوى عرفة للرواية الواردة عن النبي ﷺ قال حين غزى خيبر وأشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء، فقال النبي ﷺ : «انكم لم تدعوا أصم ولا غائبا بل تدعون سميعا قريبا»(٢٠٢) ، ولايجوز أن يقال(٢٠٣) الداعي، على الاطلاق : اللهم لاتعرض عني، ولا يقال(٢٠٤) : اعتمادنا بعد الله على فلان، الا أن يقول : اعتمادنا على فلان بعد توكلنا على الله.

فصل

ومن كان عديما من الأولاد فله أن يدعو الله ليرزقه ولدا يحمي ماله عن ورثته. وجائز أن يقال : اللهم ارزقني مثل من مال(٢٠٥) فلان أو زوجة فلان، اذا كان معناه من فلان بالثمن على وجه الحلال، وكذلك اذا كان معناه ارزقني زوجة صالحة مثل زوجة فلان، وأما أن تمنى على غير هذا المعنى حسدا لفلان فلايجوز، الا اذا كان المحسود كافرا، فعسى أن لايكره، والله أعلم.

(٢٠٠) سورة البقرة : ١٩٠ ، سورة المائدة : ٨٧.
(٢٠١) الصواب : الداعي .
(٢٠٢) أخرجه البخاري في المغازي ٣٨، والترمذي في الدعوات ٥٧ .
(٢٠٣) لعل الصواب . يقول .
(٢٠٤) لعل الصواب : يقول .
(٢٠٥) كذا في الأصل .

ولايجوز أن يقال : ان حلمك أضر بنا، ولا أن تقول : اللهم ارحم من في النار، ولا أن تقول: اللهم أحي لي من أمت، قبل يوم القيامة، ولا أن تقول: اللهم هب لي ملكا مثل ملك سليمان بن داود (عليهما السلام)، ولا أن تقول : اللهم لاتمتني أبدا، ولا أن تقول : اللهم لاتجر علي، ولا أن تقول : اللهم لاتضرني بشيء، ولا أن تقول : اللهم لاتظلمني، لأن الله عز وجل ﴿لَايَظْلِمُ النَّاسَ شَيئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾(٢٠٦) ، ولا يجوز أن يقال : يامن احتجب بقدرته عن أعين الناظرين، لأن القدرة ليست هي غيره، ولا هو متواري بالحجب، لأن الأبصار قصرت عن ادراكه، والله أعلم. ولايقال يابرهان، ولا حنان، لأن ذلك ماخوذ من حنين الناقة على ولدها، ولايقال: ياجبار الجبابرة على الاطلاق، الا اذا عني به قوي الجبابرة الممتنعين وقاهرهم. وقيل : لا يقال : يامن ارتدى بالفخر والكبرياء، ولايجوز أن يقال: يارب باسمك الأعظم أفعل كذا وكذا، ولايجوز أن يقال : بحق قدرتك، ولا بحق عزتك، أو بحق وجهك، أو بحق أسمائك لأنك تجعل قدرته وعزته غيره، لأن أسماءه الذاتية وصفاته الذاتية لا هي هو، ولا هي غيره، فاذا قلت بحق قدرتك وعزتك، فكانك سالته ببعضه، وتجعل للقدرة حقا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولايجوز أن يقال أسالك بلا اله الا أنت، ولابحق لا اله الا انت، ومن قال بأسمائك وصفاتك ففيه اختلاف، والله أعلم.

فصل

واختلف أيضا فيمن ساله بافعاله، وجائز أن يسال باسمائه، وكره بعض ذلك. ومن سال الله بصفات فعله ففيه اختلاف، ولايجوز أن يقال ياساكن السماء لأن الله عز وجل لايجري عليه السكون ولا النزول من مكان الى مكان، وقد سمعت بعض الملحدة ومخالفينا أنهم زعموا أن الله ينزل الى سماء الدنيا في يوم الأثنين، قلت : لحاك الله! كيف يكون نزوله على وجه، وقد قال: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٢٠٧) ، فقال لي، وأنا واياه بالشحر (٢٠٨) : تنزل قدرته الى سماء الدنيا. قلت له: قاتلك الله! أرأيت قبل نزول قدرته الى سماء الدنيا هي مستوية بنفسها من غير قدرة الله عز وجل، أم كيف ذلك؟ فانقطع كلامه، ولم يفه بكلمة، ولو زاد ذلك الملحد لزدته، لأنه

---

(٢٠٦) سورة يونس : ٤٤ .
(٢٠٧) سورة الشورى : ١١
(٢٠٨) الشحر : اسم منطقة .

جل ربي أن يقاس بشيء، أو أن يكيف ويقدر على شيء: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الدنيا والآخرة : ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢٠٩) .

فصـــل

في ذكر مازعموا أن النزول في ليلة الأثنين، وقد أسندوا رواية في ذلك عن النبي ﷺ أنه قال ، بزعمهم: «ان الله ينزل الى سماء الدنيا ليلة الأثنين»(٢١٠) . فان كان قال الرسول ﷺ هذا الكلام، فقد فسروه بغير تفسيره، فيمكن أن يكون المعنى في ذلك ، أن الله ينزل ملائكة في ليلة الاثنين لما يشاء ويريد من أمور خلقه، كما تقول: نزل الأمير على باب المدينة، أو سار على بلد كذا، أي سير عسكره لا هو على الحقيقة، ويؤيد ذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا﴾(٢١١) ، أي جاء أمر ربك، ومثله كثير في القرآن، تركته خوف الاطالة، فان كان قال الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الحديث، فلا معنى له غير هذا، والله أعلم .

فصـــل

وزعمت الملحدة ـ أبعدهم الله من رحمته ـ أن الله يرى يوم القيامة على صورة البدر، وزخرفوا في تاويل هذه الآية : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢١٢) ، فالصواب في ذلك غير مانقلوه واعتقدوه، أما الأول فمن النضارة والبهاء والحسن، والثاني منتظرة الى رحمة ربها، أي راجية رحمة ربها، كما قال عز وجل : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(٢١٣) ، أو أن النظر هاهنا نظر قلبي لا لحظي، كما قال عز وجل : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٢١٤) ،وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾(٢١٥) ، فكذلك : ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي تنظر ثواب ربها، أي تعرفه حق المعرفة بقلبها. وقد جرى بيني وبين ملحد اليمامة(٢١٦) من الجهلة جدال كثير في ذلك المعنى، وذلك حين وجد عندي تكذيب من زعم بالرؤية فاغتاظ من ذلك، فقلت له بأي جهة، وفي أي مكان، وعلى أي صورة، فانقطع كلامه

---

(٢٠٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(٢١٠) أورده الكثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٣/ ٣٣٦.
(٢١١) سورة الفجر : ٢٢ .
(٢١٢) سورة القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢١٣) سورة الاسراء : ٥٧.
(٢١٤) سورة يونس : ١٠١.
(٢١٥) سورة الفيل : ١.
(٢١٦) اليمامة : موضع من بلاد العرب على ساحل الخليج العربي .

وتحير، الا أنه قال : عن الشافعي. ولم تكن حجته الاتقليدا للأفاكين: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢١٧) ، وكثير ماتجادلنا واياه في هذا المعنى، تركته خوف الاطالة .

فصل

ولايجوز أن يوصف الله تعالى بأن له خاطرا يخطر كما سمعت بعض الملحدة باليمن ـ لعنهم الله ـ عند تحيتهم، يقول الرجل: خاطرك سيدي، فيجبه الملعون: خاطر الله ورسوله. فهذا كفر، قد كفروا به وضلوا، وكذلك من كفرهم سمعتهم يقسمون بحياة الله عز وجل، فهذا لايجوز لأن الله عز وجل حي بلا روح، ليست الحياة غيره ولا هو غيرها، ولا خاطر يخطر له، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فصل

ومما وجدته في تاليف مشائخنا من أهل المغرب (رحمهم الله)، وأما قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، يعني وجوه يومئذ مشرقة مضيئة، كستها نضرة النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي الى كرامة ربها وبدائع صنعه ناظرة، على أنه نظر العبر، أي تنظر مشاهدة ماكان وعد لها في الدنيا، هذا قول بعض أصحابنا. وقال بعضهم: معنى منتظرة كرامة ربها وثوابه وفضله، فيكون النظر بمعنى الانتظار، قال الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل(٢١٨) (رحمه الله): يقال لمن زعم أن الله يرى يوم القيامة لايخلو من أن يرى في جميع الأمكنة أو في مكان دون مكان، فان قال: في جميع الأمكنة، فقد أتى بالمحال الذي لايعقل، وجعل البصر يشاهد المشرق والمغرب في حالة واحدة. وان قال: في مكان دون مكان، فقد جعله محدودا محاطا به، قال الشيخ أبو نوح (رحمه الله): يقال لمن زعم أن الله يرى يوم القيامة بالعين، فكيف ترونه؟ ذا لون أم غير ذي لون؟ فان قالوا : ذا لون، فقد صرحوا بالجسمانية ولوازمها من الأعراض، لأن اللون لايقوم الا في الجسم، والتلون عرض حال في الجسم، فان قالوا: يرى وهو غير ذي لون قيل كذلك أيضا تستمع الأذن غير الصوت، وتشم الأنف غير الرائحة، ويذوق الفم غير الفم(٢١٩) .

---

(٢١٧) سورة التوبة : ٣٠ ، سورة المنافقون : ٤ .

(٢١٨) أنظر ترجمته في الملحق .

(٢١٩) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : غير الطعم .

وقد تمسك المشبهة بالحديث المسنود عن النبي ﷺ، وهو حديث جابر ابن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله ﷺ: «انكم سترون ربكم لاتضامون في رؤيته كما لاتضامون في القمر ليلة البدر»(٢٢٠) ، في عدة من الأحاديث التي يروونها على هذا النسق، ومعنى لاتضامون، أي لاتشكون، فانا نقول: ان صح هذا الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام فمعناه عندنا أن اسم الرؤية يطلق ويراد به العلم، قال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾(٢٢١) ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾(٢٢٢) ، وقال تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾(٢٢٣) ، قال الكميت بن زيد :

رأيت الله اذ سمى نزارا ** وأسكنهم بمكة قاطنينا

قال الشيخ أبو نوح (رحمه الله) في كتابه يقال لهم: ان احتجوا بهذه الرواية، ان كانت صحيحة فمعناه تعلمون أن لكم ربا لاتشكون في العلم به، كما لاتشكون في أن القمر قمر، وهذه اشارة الى زيادة المعرفة واليقين بالله عز وجل، اذا صفت القلوب وتمهرت(٢٢٤) بالشراب الطهور، والى هذا كان يذهب الغزالي أبو حامد، في الاقتصاد. قال الشيخ أبو نوح (رحمه الله) يقال لهم: والرواية تحمل على ظاهرها، أو لها تفسير؟ فان قالوا: على ظاهرها، قيل لهم: فربكم اذا مدور كالقمر، وهو أيضا متحيز في جهة واحدة، لأنكم لاترون القمر الا في المشرق، أو المغرب، أو في وسط السماء، لا غيره. وان قالوا: الرواية لها تفسير، فليسوا أولى من غيرهم بالتفسير، فيسال القوم لم حضروا(٢٢٥) لفظ الرؤية في الحديث الى المشاهدة بالبصر دون العلم؟ فلا نجد عندهم فيه جوابا، لأن المحتمل لا تقوم به حجة وهو ساقط من يد المحتج، ومما نسالهم أنا نقول لهم : أخبرونا عن هذه الرؤية، أهي بحاسة البصر دون العين الجارحية المعروفة التي تدرك الألوان؟ أم بحاسة أخرى غيرها؟ أم يرى بغير حاسة؟ فان قالوا: بهذه الحاسة، قلنا : لاترونه الا بجهة منكم، أما فوقا واما أسفل، واما مقابلا، والمرئي لابد أن يكون بجهة من الرائي، وهذا جلي واضح.

(٢٢٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٣٣٣.
(٢٢١) سورة الفيل : ١ .
(٢٢٢) سورة الفرقان : ٤٥ .
(٢٢٣) سورة الأنبياء : ٣٠ .
(٢٢٤) تمهرت : المراد هنا تطهرت .
(٢٢٥) كذا في الأصل .

وان قالوا: يرى بحاسة أخرى غير حاسة البصر، قلنا: لاتخلوا هذه الحاسة أن تكون في معنى البصر، مدركة للالوان كما كان البصر يدركها، أو تكون على خلاف ذلك، فان كانت في معنى البصر فهي المسالة الأولى بعينها، وان قالو: هذه الحاسة مخالفة لمعنى البصر مصادرة لها، قلنا: نراكم أردتم اثبات الرؤية بابطالها، واحتججتم للرؤية بحجة زوالها، وقولكم: شبيه بقول من قال: شممت رائحة المسك باذني، وذقت مرارة هذا الشيء بانفي. فان قالوا: يرى بغير حاسة فاعلم أن القوم عولوا على الاعتذار بعد العثار، ورجعوا الى تاويل اصحابنا في معنى الرواية، وهو أن تكون الرؤية بمعنى العلم، لكنهم كابروا وهولوا وطولوا. ومما نسال عنه القوم أنا نقول: أخبرونا عن قوله تعالى : ﴿لَّاتُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾(٢٢٦) ، هذه مدحة امتدح الله عز وجل بها أم لا؟ فان قالوا: لا، فقد جاحدوا وصاروا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ظُلماً وَعُلُوّاً﴾(٢٢٧) ، وان قالوا : هذه مدحة امتدح بها، قلنا: هذه المدحة ثابتة له في الدنيا والآخرة، أم في الدنيا خاصة؟ فان قالوا، في الدنيا خاصة، فقد جعلوا مدائح الله سبحانه تزول عنه في الآخرة، فنقول: يلزمكم من هذا أن يكون قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾، أيضا في الدنيا خاصة، لأن الآية جاءت مجيئا عاما، وتكون على قولكم جميع مدائح الله عز وجل يجوز زوالها عنه في الآخرة، مثل قوله تعالى : ﴿لَاتَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ﴾(٢٢٨) ، ومثل قوله : ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾(٢٢٩) ، وكذلك سائر المدائح لأن هذه مدحة، وتلك مدحة. وان قالوا: الزوال في هذه خاصة فلا حجة لهم، وان قالوا: مدائح الله سبحانه ثابتة له في الدنيا والآخرة، فهو مانقول، وهو الحق والصواب، وبطل ماصاروا اليه ان شاء الله.

واعلم أن القوم لابد لهم في الرؤية من أحد وجهين، فان سلموا من هذا وقعوا في هذا ولابد، وهو أقطع مانناظرهم به في هذه المسالة، لأنا نقول: أخبرونا عن رؤيتكم اياه، أهو في مكان واحد، فيكون محدودا محاطا به، وأنتم اذا أعظم منه، لأن المحيط أعظم من المحاط به، أو يكون في جميع

(٢٢٦) سورة الأنعام : ١٠٣.
(٢٢٧) سورة النمل : ١٤.
(٢٢٨) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٢٢٩) سورة الشورى : ١١ .

الأمكنة، فيكون مارأيتم منه بالمشرق غير مارأيتم منه بالمغرب، ومارأيتم منه فوقا غير مارأيتم منه سفلا، فيكون مبعضا مجزءا، أو تكون أبصاركم تشاهد المشرق والمغرب في حالة واحدة، وهذا هو الخروج من المعقول الى المحال، فهاهنا ان شاء الله تصير حجتكم : ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٢٣٠) .

فصل

ومن تاليفهم - أعني أهل المغرب - (رحمهم الله) واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢٣١) ، فقال أكثرهم : معناه : والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فتكون الكناية على هذا التقدير راجعة الى الكلم الطيب. وقالوا: الكلم الطيب بلا عمل صالح كسحاب بلا مطر، فمن قال طيبا وعمل صالحا قبل منه، ومن قال طيبا وعمل غير صالح رد عليه، ولايقبل الكلم الطيب الا بالعمل الصالح، وهذا ماعليه أكثر المفسرين. والمعنى في ذلك اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، فمعنى الصعود هنا ليس الانتقال من سفل الى علو، انما معناه الانتهاء، أي ينتهي الكلم الطيب وهو شهادة أن لا اله الا الله الى الله سبحانه الى المكان الذي لايتولى الحكم فيه الا الله سبحانه، يعني يوم القيامة، وهذا كما تقول: ارتفع أمرهم الى القاضي أي انتهى اليه، والله أعلم، انقضى ما كتبته في شرح المغاربة (رحمهم الله).

ومن كتاب «النور» تاليف الشيخ عثمان بن عبدالله الأصم العقري (رحمه الله): زعم أهل الضلال والجهل أن الباريء عز وجل على سبيل القعود والاستقرار على العرش، وأن العرش عن مقاعد الباريء الا بقدر(٢٣٢) عرض أصبعين، وأنه يجالسهم يوم القيامة على كرسي القضاء، اذا أراد أن يحاسب خلقه، جلس على الكرسي، وكذبوا على الله عز وجل، حيث وصفوا الله تعالى بالحدود، والنهاية، والأقطار، وبعد المسافة، وقد بينا فساد ذلك فيما تقدم .

فالاستواء على معان : فمنها استواء الشيء على ماهو، ومنها استواء التدبير، ومنها استواء الملك، فلما أن كان من صفته عز وجل أنه غير محدود

---

(٢٣٠) سورة النور : ٣٩.
(٢٣١) سورة فاطر : ١٠.
(٢٣٢) كذا التعبير في الأصل .

ولا شبيه بخلقه كاستواء الشيء على الشيء، مثل استواء الملك على السرير، دل ذلك أن استواء الباريء تعالى على العرش بالملك والتدبير والقدرة، ذل له العرش، واستوى له عز وجل كل شيء، وذل وأذعن، فليس ممتنع منه عز وجل، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾(٢٣٣) ، فاستواؤه الى السماء بالملك والتدبير لا بانه يتحول من مكان الى مكان، وقيل : استوى على العرش، أي استولى على العرش بالملك والتدبير والقهر، وقد استولى على جميع العالم لهذا المعنى، وخص العرش بذلك تشريفا بذكره، كما قالوا في النعمان بن المنذر ـ ملك الخورنق والسدير ـ وقد ملك العراقين جميعا، وقالوا : الخليفة ملك العرب، وقد ملكو العجم أيضا ، قال الشاعر :

قد استوى بشير على العراق ** بغير سيف ولا دم مهراق

يعني قد استولى على العراق، وقهر أهلها، لأن بشيرا لم يقعد على العراق كلها، وانما قعد في منزله، فاراد الله عز وجل بالاستواء، الاخبار عن عظمته وقدرته فوق الأشياء بالقهر والسلطان والقدرة والملك.

وقال بعض : استوى على العرش، أي علا على العرش، وانما خلق الله العرش وهو الغني عن القرار والمكان، تعبد بعض الملائكة بحمله، وتعبد بعضها بالطواف حوله، كما تعبدنا بالطواف حول الكعبة، فالكعبة بيته، وهو الغني عن السكون في البيوت، والعرش عرشه وهو الغني عن القعود على العرش.

وقيل : ان العرش هو العلم، والكرسي هو العلم. وقوله : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(٢٣٤) ، أي وسع علمه.

وقيل : ان الكرسي هو العرش ، وقيل : الكرسي خلق من خلق الله أعظم من السماوات والأرض، والله غني عن العرش والكرسي، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد بن زامل الخراسيني (رحمه الله) الى من ساله من المسلمين، أسالك سيدي عن الجنة والنار، اذا كان يوم القيامة، وحشر كل شيء، كما قال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾(٢٣٥) ، تفني الجنة والنار أم لا ؟

---

(٢٣٣) سورة فصلت : ١١ .

(٢٣٤) سورة البقرة : ٢٥٥.

(٢٣٥) سورة القصص : ٨٨ .

الجـواب وبالله التـوفيق : أما الجنة والنار فمختلف فيهما : نقول : انهما خلقتـا، فـعلى قـول من يقـول : ان الخلق كله يفنى، فـانهما يفنيان مع فناء الخلق ويعـادان، وعلى قـول من يقـول : انهما لم يخلقا، فعلى هذا لم يلحقهما الفناء ، والله أعلم .

مـسالة : ومن جـواب الشـيخ الزاهد الفـقـيـه سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني النزوي (٢٣٦) (رحمه الله) الى الشـيخ محمد بن عبدالله المسروري الريامي(٢٣٧) ، وأسال سـيـدي في أفـضل العلوم للطلب من التوحيد والفقه في الدين بين لنا ذلك ؟

الجـواب : ينبـغي للانسـان أن ياخـذ من كل فن مـايحتـاج اليـه، لقول الشاعر:

تفنن وخذ من كل فن فانما * * يفوق الفتى من كل فن له علم

واعلم أن الانسـان اذا وحـد الله سبحانه أنه واحد أحد، فرد صمد، بريء من الصـاحـبـة والولد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢٣٨) ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢٣٩) ، و ﴿ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾(٢٤٠) واليـوم الآخـر والبـعث والحسـاب والجـنـة والـنـار ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(٢٤١) ، وصـدق بالقضاء والقدر كله خيره وشره وحله ومره، وماقدر عليـه لايخطئه، وما قدر له لايفوته، وان المقدورات الا واسطة من الله، وخلقه لايقدر على شيء حسب تسخير القلم بيد الكاتب، وصدق بما جاء به محمد ﷺ أنه حق من عند الله مجمـلا ومفسرا، فهذا يكفيه عندي من التوحيد في الجملة، ويتـعلم من العلوم مـالايسع جـهله منهـا، ويعـتقد السؤال عن ذلك، ويدين لله باداء جميع مـاألزمـه الله تعـالى من جميع الفـرائض، ماعلم من ذلك ومالم يعلم، مـتى علم منه ماجهله يوما، ويدين لله بالتوبة من جميع ماخالف فيه أمر الله من أمره ونهيه مما لزمته التوبة ، علمه أو جهله ، الى المـمات ان شاء الله، والله أعلم .

---

(٢٣٦) انظر ترجمته في الملحق .
(٢٣٧) أنظر ترجمته في الملحق .
(٢٣٨) سـورة الشورى : ١١ .
(٢٣٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(٢٤٠) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢٤١) سورة الحج : ٧ .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقـيـه العـالم النزيه صـالح بن سـعـيد الزاملي الخـراسـيني النزوي (رحمه الله) الى الشـيخ محمـد بن عـبـدالله بن مـبـارك المسروري الريامي ، وأسالك سـيـدي، وجدت في الأثر يقول : المؤمن لايقدر أن يكفـر، والكافـر لايقـدر أن يؤمن، اذا كـان سابقا في علم الله عز وجل؟ أنعم لي برد .

الجـواب : فـاعـلـم يـاأخـي أن لهـذا الكلام تفـسيرا جـاء عن المسلمين، وتفـسيره أن المؤمن لايقـدر أن يكفر لاشتغاله بايمانه عن الكفر، لأنه لايمكن أن يكون مـؤمنا كـافـرا في حالة واحدة، وكذلك الكافر لايقدر على الايمان، وان أضرب لك في ذلك مـثـلا من القـاعد والقائم، ألا ترى اذا قمت في نفسك أنك لو أردت القـعـود لقـدرت فـيما أعطاك الله من القوة عليه فلم تقعد، فصرت بهذا الحال مشتغلا بالقيام لم تقدر على القعود، لأنك عاجز أن تكون قائما قاعدا في حـالة واحدة، وكذلك عاجز أن تكون مؤمنا كافرا في حالة واحدة، والله أعلم .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله) الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مـسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله) وهل للرجل أن يقول في دعائه: يامشكور يامذخور؟

الجواب وبالله التوفيق : وجدت في جزء «بيان الشرع» أن الشكور، يعني الشـاكـر وبمـعـنى مشكور. والشكور المثيب عباده على أعمالهم، وأما مذخور، فلم أحفظه.

قلت له : وهل يقرأ الجنب «بسم الله رحمن الدنيا والآخرة»؟

قـال : ان الجنب جـائز أن يذكـر الله عز وجل ، الا قراءة القرآن، وأما مع الخـوف من الجن وغيرهم فـجائز قراءة الآية والآيتين، وأما الذي ذكرته فغير محظور.

قلت له : ومن كـان يعـضـد بحـرز من الأسماء أعليـه تركـه مع جماع زوجته؟

قال : نعم ، لأن ذلك يؤول مع عدم الطهارة ، والله أعلم .

فصـــل

ومن جـواب الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السـمدي النزوي (رحمه الله) الى من ساله من المسلمين، وذكرت أن أوضح لك مـعنى الرحمن، فـالوارد بالتـفسير مـعناه العاطف على جميع خلقه كافرهم ومـؤمنهم، والرحـيم بالمؤمنين خـاصـة بالهداية والتـوفيق، وأما الجنب فقد اخـتلف في قـراءته الآية والآيتين بتانس بهما، وقيل: لايبدأ بالآية ولايختمها، وأمـا قـولك في مشكور، فالوارد بالتفسير أن الشكور بمعنى الشاكر، وبمعنى مـشكور، فـان كان كذا فقد خرج الدعاء به، وأما مذخور فلم أحفظ فيه شيئا لاني سـمـعت شـيـخي وسـيدي صالح بن سعيد الزاملي (رحمه الله) يقول : لاتصـفـه الا بما وصف به نفسه، ولاتسميه الا بما سمى به نفسه، جل ربنا وعز، وهو أعلم بالكلية من الأشياء، والله أعلم.

فصـــل

ومن جوابه (رحمه الله) وسالته عن قول القائل : الهي لاتضلني كضلال الضلال، واهدني هدى المهتدين، لانه ورد بالقرآن المعجز : ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ﴾ (٢٤٢) .

قـال : بما ذكـرته اخـتـلاف ، وأمـا قولك : ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَـاءُ﴾، أي يضل من يشـاء عن الثـواب، اذا ضل بسوء اختياره، وقول: عن زيادة اللطف، وقـيل: الا ضـلال العـقـاب، وأمـا هدى السـعـادة فهو الثواب والجنة، وهدى البـيان، فمثل قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَينَاهُم فَاستَحَبُّواْ العَمَى عَلَى الهُدَى﴾ (٢٤٣) ، والله أعلم بتاويل كتابه.

فصـــل

ومن رقـعـة وجـدتها من جـواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سـعيد الزاملي الخراسيني (رحمه الله) وهل يجوز أن يعطى أحد من المشركين كتابا فيه اسم الله عز وجل، أو شيئا من القرآن ليعلقه؟

قال : اذا لم يمس الكتاب فغير حرج ذلك ، والله أعلم .

---

(٢٤٢) سورة فاطر : ٨.

(٢٤٣) سورة فصلت : ١٧ .

ومن شرح شرحه المؤلف حين جرى التجادل في فطرة(١) القرآن بنزوى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المتعال عن قياس ماتقيسه ألباب المتشكمين، العزيز عن الأينية والكيفية مما تخترعه أوهام المتوهمين، الجليل عن التجسم والتبعيض والتحديد مما تظن به ظنون المتعسفين، المتكبر عن الأمثال والأشباه مما تتفيهق به أفواه المتفتنين، الذي عظمت أوصافه عن تكييف خواطر المكيفين، وجلت صفات ذاته عن الحدوث مما تثبته ألسن المتحدثين. أحمده على ماأوضح لنا براهين الحجج الحقيقة، وضحضح(٢) لنا زواجر الحجة الصديقية، وثبت لنا أنوار الكلمة النوارنية، وأرسى بقلوبنا أطواد الدلالة الفرقانية، وأشكره على مارفع لنا نبراس الهدى بمشكاة الشهادة الالهية، والرسالة النبوية الهلالية، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، شهادة تصدع صم الدلائل الشيطانية، وتجذع أنوف الطرائق البهتانية، وتشفع من القلوب الوساوس الافكية، والخواطر الكفرية، فتقر بالقلوب سلسال السيرة المحمدية، وتمكن بمحباتها لآلي الملة السمحية، حتى تشعشعت بارجائها كواكب النحلة الدينية، وسلسلت جيود اسلامها بسلسلة الكلمة التوحيدية، وتمسكت بأسباب العروة البرهانية، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهداية القرآنية، والطريقة الرضوانية، حتى زلزل صلى الله عليه وسلم الشوامخ الشرية، بالروائح الروحية، وعصف جثمانها بصرصر الصرة(٣) الخفية، ودرس الأساطير الأصنامية بالفصاحة الوحيية، وأسس القواعد الدينية بصفوان الدعوة الربانية، حتى غرد صفاصف(٤) الصفارة(٥) الصدقية، بأركان الأيكة الحدسية، وضحكت من نوره ﷺ حمائل الخلقة الخليلية، من شؤبوب(٦) تهتان(٧) القواعد القدسية، وأثارت مبشرات بشره عليه السلام السحائب الصحيية، بأفق الموافقة الخلية، صلى الله عليه

(١) فطرة القرآن : لعل المراد بذلك حسب مضمون المقاله : خلق القرآن من فطر الله الشيء خلقه.
(٢) ضحضح : بين وأوضح .
(٣) الصرة : في أصل اللغة هي شدة البرد وكذلك الصرصر: كل ماهو شديد الصوت والبرد.
(٤) صفاصف : في القاموس : الصفاصفة هو العصفور .
(٥) الصفارة : جاء في القاموس، الصافر كل ذي صوت من الطير. لعله مفرد الصفارة .
(٦) شؤبوب : في الحقيقة ، هي الدفعة من المطر، وهو حد كل شيء وشدة دفعه وأول مايظهر من الحسن ..
(٧) تهتان : مصدر هتن ، يقال هتنت السماء تهتن ، انصبت، نزل المطر ساعة ثم نفتر ثم تعود .

وعلى آله أهل الحرفة الزيتية، والفرقة الفضلية، ما انفلق بجمل الجملة الحرمية، ومحو شفق المشقة الجحدية.

أما بعد ، ولما أن رأيت شقشقة الخوض تهدر بتكييف فطرة القرآن، ورجفة التعسف تنذاف بميدان البهتان، وصواهل المجادلة ببهماء الامتحان، وعباب التشكع(٨) يضطرب بفداء العميان، فصرت أجذ هديرها ببواتر الحجج البينات، وأسكن حركاتها بالدلائل المبينات، وأعرقب سيرها بمدافع الأنوار الساطعات، وأقر اضطرابها بأودية البراهين النيرات، رجاء الثواب من فاطر السماوات، وخوفا من الخوض في الضلالات، وفرارا عن الحلول في زواخر الغوايات، فمن وجد من المسلمين به عيبا فليرده، أو خللا فليسده، لأني فقير حقير، عاجز عن هذا وأقل منه، والحمد لله حق حمده، ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

فصل

وقد سبق ماسبق ذكره ، والمناظرة في أمره، مافي عصر أحد من الخلفاء المتقدمين، وهو المامون بن هارون الرشيد حتى قالوا ماقالوا فمن ذلك مارفع في الحديث المنقول عن السلف أن أحمد بن داود(٩) امتحن العلماء والفقهاء في زمن من بعصره من الخلفاء وسعى في حبسهم، وتنكيلهم وسفك دمائهم، واخراجهم من أموالهم وأهليهم وأوطانهم، حتى أصابهم من الضر مالم يصب غيرهم، ليجبرهم على القول أن القرآن مخلوق، حتى أوتى الخليفة شيخ من أذنه من الشام مقيدا من أجل المحنة، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشبية(١٠) ، فلما رآه الخليفة استحى منه ورق له، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه وسلم عليه الشيخ فاحسن، ودعا فابلغ وأوجز، فقال له الخليفة : اجلس فجلس، فقال له: ناظر ابن أبي داود على ماينا ظرك عليه، فقال له الشيخ: ياأمير المؤمنين ان ابن أبي داود يضعف ويعجز عن مناظرتي، فغضب الخليفة عليه، فصار له مكان الرقة غضبا عليه، فقال له الشيخ، هون عليك مابك، واذن لابن أبي داود في المناظرة. فقال له الخليفة: مادعوتك الا للمناظرة، فقال الشيخ: ياأمير المؤمنين أريد أن تحفظ علي وعليه مانقول: فقال : أفعل ان شاء الله.

---

(٨) التشكع : لعله من شكع المريض ، أي كثر أنينه، والرجل غضب .

(٩) أنظر ترجمته في الملحق .

(١٠) لعله : حسن الشيبة .

فـقـال الشـيـخ : ياأحمد أسالك عن مقالتك هذه أهي مقالة واجبة في باب الدين، داخلة فيه فلايكمل الدين لأحد حتى يقول بمقالتك هذه؟

قال : نعم .

قال الشيخ : أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله رسولا لعباده هل ستر عليه شيئا مما أمر الله به من أمر دينهم؟

فقال : لا.

قال الشيخ : أفدعا رسول الله ﷺ الأمة الى مقالتك هذه ؟

فسكت أبن أبي داود.

فقال الشيخ : تكلم . فسكت.

فالتفت الشيخ الى الخليفة فقال : ياأمير المؤمنين هذه واحدة.

فقال له : نعم ، واحدة .

قـال الـشـيـخ : ياأحمد أخبرني عن الله عـز وجل حين أنزل القـرآن على رسـوله محمـد ﷺ فـقـال : ﴿اليَـومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِيناً﴾(١١) ، هل كـان الله الصـادق في اتمام دينه أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال بمقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي داود.

فقال الشيخ : أجب ياأحمد ، فلم يجب .

فقال الشيخ : ياأمير المؤمنين ، اثنتان .

فقال : اثنتان .

فـقـال الشـيـخ : ياأحمد أخبرني عن مقالتك هذه علمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟

فقال ابن أبي داود : علمها.

قال : أفدعى الناس اليها ؟

فسكت ابن أبي داود .

فقال الشيخ : ياأمير المؤمنين ، ثلاث .

فقال له : ثلاث .

فـقـال الشـيـخ : ياأحمد أفيسع لرسول الله ﷺ انه علمها كما زعمت ولم يطالب أمته بها؟

قال : نعم .

---

(١١) سورة المائدة : ٣ .

قال الشيخ : ويسع لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومن بعدهما من الخلائف ؟

قال ابن أبي داود : نعم .

فاعرض الشيخ عن أبي داود وأقبل على الخليفة وقال : ياأمير المؤمنين، قدمت القول بأن أبي داود يضعف عن المناظرة.

فقال له الخليفة : ان لم يتسع لنا من الامساك عن المقالة ماوسع لرسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) والخلائف من بعدهم فلا وسع الله علينا، ثم أمر الخليفة بنزع القيد عن الشيخ، فلما نزع منه، ضرب الشيخ بيده الى القيد لياخذه فجاذبه الحداد عليه، فقال الخليفة : دع الشيخ ياخذه فاخذه فوضعه في كمه.

فقال الخليفة : ياشيخ ، لم جاذبت الحداد عليه ؟

فقال : اني نويت أن أتقدم الى من أوصي اليه أن اذا مت أن يجعله بيني وبين كعبي حتى أخاصم به هذا الظالم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، وأقول: يارب سل عبدك هذا لم قيدني، وروع أهلي، وولدي، واخواني، من غير شيء أوجب ذلك علي، وبكى الشيخ وبكى الخليفة، ثم سأل الخليفة أن يجعله في حل وسعة مما قاله.

فقال الشيخ : ياأمير المؤمنين ، قد جعلتك في اكرام للرسول ﷺ اذ كنت أنت من أهله .

فقال الخليفة : اليك حاجة ؟

فقال الشيخ : ان كانت ممكنة فعلت ؟

فقال : تقيم معنا ننتفع منك وتنتفع منا .

فقال الشيخ : ان ردك اياي الى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم انفع لك من مقامي عندك، لأني اذا وصلت الى أهلي وولدي واخواني كففت عنك دعاءهم عليك، لأني خلفتهم على ذلك، واستاذنه في الخروج، فاذن له وسلم عليه وخرج، وسقط ابن أبي داود من عين الخليفة، ولم يمتحن أحدا من العلماء بعد ذلك بمقالته، ورجع عن قوله أن القرآن مخلوق، والله أعلم وبه التوفيق .

فهذا ماوردت به الأخبار، واتصلت به الآثار، وقد وسع الامساك عن ذلك الأئمة الأخيار، فكيف نحن هؤلاء الضعفاء الأذلاء لم يسعنا ذلك؟! الا أنه لما

طال التجادل في ذلك، وكثر الخوض والامتحان فيه، لم نعذر أنفسنا باقامة أدلة قاطعة، وأنوار ساطعة، وحجة بالغة، وبراهين واضحة، وذكر تطمئن به القلوب، وتكشف به الكروب، والحمد لله حق حمده، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

والحجة الواضحة، والدلالة الرائقة، أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على محمد ﷺ من قوله عز وجل : ﴿أَوَحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾(١٢) وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾(١٣) ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ﴾(١٤) . ومن الحجج التي زادتنا ايضاحا على أن القرآن من علم الله عز وجل من قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾(١٥) ، وذلك من تعليم العالم لمن يعلمه، لا من لفظ القراءة لمن يقرئه، فعلمنا أنه أراد هاهنا معاني القرآن وحروفه وتلاوته، فلما ثبت ذلك من تعليم العالم لم يعلمه، فالعالم لا يعلم الا من علمه واحطاته بالذي يعلم به المتعلم، فلو كان القرآن من غير علم الله لما وصله الله بالتعلم ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾(١٦) . والصواب في ذلك أن علمه من خفيات الأمور، أو أمور الدين والأحكام، وخفيات الأمور، وأمور الدين والأحكام لايعلم عن أحد الا من الله عز وجل، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام لايعلم شيئا من ذلك حتى علمه الله، ولانعلم أن الله أنزل قرآنا على نبيه غير هذا البتة، فلما ثبت ذلك علمنا أن القرآن من علم الله عز وجل، وقد قال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾(١٧) ، أن يعلموا. وأي علم أفضل وأخص من القرآن؟ وأي امريء أولى بمشيئته عز وجل من نبيه محمد عليه الصلاة والسلام من أن يجعله محيطا بشيء من علمه؟! ولا تكون احاطة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بشيء من علم الله عز وجل الا من وحييه وتنزيله، وهو الكتاب العزيز الذي : ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٨) ، لأنه يستخرج منه جميع العلوم بالأشياء، من العلم بالله عز وجل وبامره وحلاله وحرامه، ويستخرج منه علم الفلك والأسماء والطب والرياضيات والطلسمات، فلولا

(١٢) سورة يوسف : ٣ .
(١٣) سورة الاسراء : ١٠٦ .
(١٤) سورة البقرة : ٧٥ .
(١٥) سورة الأعلى : ٦ .
(١٦) سورة النساء : ١١٣ .
(١٧) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(١٨) سورة فصلت : ٤٢ .

القرآن وغيره من الكتب المنزلة، لما علم امرؤ حرفا واحدا من العلم، ولانعلم أحدا علم علما من غير الكتب المنزلة، فلو كان علم الله مايحاط بشيء منه لما ورد الاستثناء في قوله تعالى : ﴿وَلَايُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّن عِلمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾، وقال في موضع آخر : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾(١٩) ، وغير ذلك من الأدلة الحقيقية أعرضت عنها خوف الاطالة .

فلما ثبت أن القرآن من علم الله عز وجل ليتعلموا منه، ومادبته ليتادبوا به، علمنا أن الله عز وجل لم يزل عالما، ولم يزل متكلما، وأن علمه وكلامه من صفاته الذاتية وانهما ليسا بمحدثين، مع عدم الجوارح من الكلام والعلم والسمع والبصر وأنه حي بلا روح - عز وجل - له الحمد وله الملك لا اله الا هو رب العرش العظيم. فلما علمنا أن علمه وكلامه من صفاته الذاتية، وأنه لم يزل الموصوف بها، علمنا أنهما ليسا بمخلوقين، فمن قال غير ذلك فعليه اقامة الدليل، فان احتج محتج بأن قال : فاذا أثبتم ذلك فقد أثبتم كلام الله قديما مع الله، فاذا تحققتم ذلك فقد أثبتم اثنين قديمين لم يزالا. قلنا: ليس الأمر كذلك، لأن كلام الله من صفاته الذاتية، وصفاته الذاتية لم تزل، والله لم يزل الموصوف بها، لا هي هو، ولا هو غيرها، كما أن علمه من صفاته الذاتية، لا هو هو ، ولا هو غيره، كذلك يدرك الأشياء بلا اخبار، ويراها بلا حدقة ولا الحاظ، ويسمع الأصوات بلا اصغاء، ليست هذه الصفات هي هو، ولا هو غيرها، بل تلك صفات ذاتية لم تزل والله لم يزل الموصوف بها، كما أن الانسان يعلم ويسمع ويبصر ويتكلم، لايسمى هو انسانا وعلمه انسانا وبصره انسانا وسمعه انسانا، بل يسمى انسانا واحدا، وهذه الصفات تسمى غيره، بل هو الموصوف بها، فلما بطل ذلك علمنا أن صفات الله الذاتية لاتسمى هي هو، ولا هو غيرها، تعالى أن يوصف بصفات المخلوقين، وأن يشبه بهم، أو أن يوصف بالصفات المذمومة علوا كبيرا .

فصل

وان قلتم : ان كلام الله مخلوق من قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً﴾(٢٠) ، والجعل من الله لايكون الا بمعنى الخلق من قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلنَا فِي الأَرضِ رَوَاسِيَ﴾(٢١) ، وأمثاله، وكذلك قوله تعالى قصة عن ابراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ أَمِناً﴾(٢٢) ، أي أخلق الأمر في

(١٩) سورة آل عمران : ٧ .
(٢٠) سورة الزخرف : ٣ .
(٢١) سورة الأنبياء : ٣١ .
(٢٢) سورة ابراهيم : ٣٥ .

هذاالبلد، وفي موضع آخر : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾(٢٣) ، معناه خالق فيك صفة الامامة، وفي موضع : ﴿رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ﴾(٢٤) ، معناه اخلق لي الاستطاعة لاقامة الصلاة، فالجعل من الله لايكون الا بمعنى الخلق، وأما اذا كان من الخليقة فهو من التصيير والتسمية وغيره، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلُواْ المَلاَئِكَةَ﴾(٢٥) ، ﴿وَيَجعَلُونَ لِلهِ البَنَاتِ﴾(٢٦)، أي يسمون. ومن التصيير قوله تعالى : ﴿وَلاَتَجعَلُواْ اللهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم﴾(٢٧) ، وغير ذلك من الوجوه جمة .

قلنا له : الآن يعصف بعواصف حججنا قتام أصولكم، وينسف برواجف برهاننا شواهق(٢٨) محصولكم، وتزلزل بصواعق ايضاحنا دكادك أوصالكم، ويطسم بجهام جهدنا مرابع أصالكم، فالصواب في الجعل من الله غير مافسرتموه، والحق غير ماأردتموه، فمعنى قوله لابراهيم عليه السلام : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، من قول الحاكم لحكامه اني جعلتكم حكاما، أي صيرتكم حكاما تحكون بين الناس بالقسط لا غير ذلك، وأما قولك أن ابراهيم عليه السلام سأل ربه أن يخلق له الأمر في هذا البلد، فالأمر مخلوق من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يحتاج الى الخلق ثانية، لأن الأمن ضد الخوف، وقد خلقها الله تعالى قبل سؤال ابراهيم عليه السلام، ولكن المعنى في ذلك سأل ربه أن يصير البيت ذا أمن، أو أمناء أهله، فلا نعلم غير ذلك. وأما قولكم ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أن يخلق له استطاعة لاقامة الصلاة، أليس قد خلقه الله يقوم ويقعد؟ ويقرأ ويعقل؟ فهذه من آلات الاستطاعة لاقامة الصلاة فيه مخلوقة من قبل سؤاله، بل سأل أن يصيره مستطيعا لاقامة الصلاة ويخفف عليه تاديتها.

وان قلتم ان الجعل من الله لايكون الا بمعنى الخلق، فما قولكم قوله تعالى : ﴿وَجَعَلنَاهُم أَئِمَّةً يَدعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(٢٩) ؟ فان قلتم : ان الجعل هنا بمعنى الخلق، فقد خالفتم التاويل وضللتم عن سواء السبيل، لأنكم اذا أثبتم

---

(٢٣) سورة البقرة : ١٢٤ .
(٢٤) سورة ابراهيم : ٤٠.
(٢٥) سورة الزخرف : ١٩ .
(٢٦) سورة النحل : ٥٧.
(٢٧) سورة البقرة : ٢٢٤ .
(٢٨) شواهق : العوالي والمرتفع من الشيء . والتعبير في النص مجازي.
(٢٩) سورة القصص : ٤١.

ذلك، فقد وصفتم الله عز وجل أنه يجبر على المعاصي ويعذب عليها، ولكان ردا لقوله عز وجل : ﴿فِطرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا﴾(٣٠) ، ومعناه خلقة الله التي خلق الناس عليها وهو الدين الاسلامي، ولكان ردا لقول النبي ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»(٣١) ، وقد ازددنا يقينا بما قاله ﷺ بقوله تعالى : ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُواْ بَلَى شَهِدنَا أَن تَقُولُواْ يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ أَو تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعدِهِم أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبطِلُونَ﴾(٣٢) ، فلما صح أن كل مولود على الفطرة بهذه الدلالة، علمنا أن المعصيةوالسيرة الشيطانية من ذات نفس الفاعل، وهي من الله خلق ومن العباد كسب. وان قولك أيها المحتج أن الجعل بمعنى الخلق في هذه الآية باطل، لأن الله عز وجل ذكر قصتهم من قبل وذكرهم بما يفعلونه لقوله عز وجل عنهم : ﴿وَقَالَ فِرعَونُ يَاأَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيرِي﴾(٣٣) الآية، ثم وصفه وجنوده بعد ذلك بالاستكبار لقوله عز وجل: ﴿وَاستَكبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرضِ﴾(٣٤) ، فلما كفروا واستكبروا وعتوا عتوا كبيرا، صيرهم الله أئمة يدعون الى النار من قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾(٣٥) ، فان أثبت قولك هذا، فقد ضللت كضلال القدرية والمرجئة، لقول النبي ﷺ : «القدرية مجوس هذه الأمة والمرجئة يهود هذه الأمة» (٣٦) ، وورد عنه عليه السلام أنه قال : «طائفتان من أمتي لاتنالهما شفاعتي وهو(٣٧) ملعونتان على لسان سبعين نبيا قبلي وهم المرجئة والقدرية»(٣٨) .

وان قلتم : ان الجعل هاهنا بمعنى التصيير، وكذلك في قوله تعالى : ﴿فَجَعَلنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾(٣٩) ، فما بالكم أن تقولوا ذلك في قوله عز وجل :

(٣٠) سورة الروم : ٣٠ .
(٣١) أخرجه البخاري وأبو داود وغيرهما . أنظر مجمع الزوائد ٧/ ٢١٨.
(٣٢) سورةالأعراف : ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٣٣) سورة القصص : ٣٨ .
(٣٤) سورة القصص : ٣٩ .
(٣٥) سورة الصف : ٥ .
(٣٦) أخرجه أبو داود. انظر مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٥.
(٣٧) لعل الصواب : وهما .
(٣٨) أخرجه بالمعنى الطبراني في الأوسط. انظر مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٥.
(٣٩) سورة الحجر : ٧٤.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾(٤٠) ، أي صيرناه، يقرأ بالعربية كما صيرنا التوراة والانجيل يقرآن بالأعجمية .

فان قلتم لايكون الجعل في هذه الآية الا بمعنى التصيير، فقد أبطلتم قولكم في أن القرآن مخلوق بما ورد في هذه الآية، ودخلتم مع ذلك في قول أصدق القائلين : ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم وَأَيدِي المُؤمِنِينَ﴾(٤١) ، فارتدعوا عن ذلك أيها المجادلون عما جادلتم به .

وان قلتم : ان القرآن مخلوق من قوله عز وجل : ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾(٤٢) ، والقرآن شيء، قلنا في ذلك الأشياء مخلوقة، الا أن كل شيء وقع عليه شيء لأن الباريء عز وجل شيء لقوله عز وجل : ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾(٤٣) ، فالباريء عز وجل ليس بمخلوق، وأسماؤه وصفاته الذاتية ليست بمخلوقة. وكذلك ازددنا يقينا وبرهانا بان كل شيء لاتعم جميع الأشياء، من قوله تعالى في الملكة بلقيس : ﴿وَأُوتِيَت مِن كُلِّ شَيءٍ﴾(٤٤).

فلو كان يقع على كل شيء العموم لكان وقع هاهنا، لأن ملك سليمان بن داود عليه السلام أعظم من ملكها وليتها قد آتته (٤٥) ، وكذلك قال الله عز وجل في صفة الريح المسلطة على عاد : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيءٍ بِأَمرِ رَبِّهَا﴾(٤٦) ، فلو يقع بكل شيء العموم لكانت السماوات والأرضون والملائكة شيئا يقع عليه التدمير في ذلك اليوم .

فان قال : لايجوز ذلك .

قلنا له : كذلك استدللنا أن «كُلَّ شَيءٍ» لاتعم الأشياء، فلما ثبت أن كل شيء لاتعم جميع الأشياء علمنا أن كلام الله عز وجل من صفاته الذاتية، وصفاته الذاتية لم تزل، والله لم يزل الموصوف بها لا هي هو، ولاهو غيرها. تعالى الله عن حدوث صفاته الذاتية علوا كبيرا.

فصل

وان احتججتم أن كلام الله صفة فعل، وأنه خلق من خلقه، أو أنه خلق كلاماته، تكلم بالكلام المعقول، فاحتججتم بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَا

(٤٠) سورة الزخرف : ٣ .
(٤١) سورة الحشر : ٢ .
(٤٢) سورة الرعد : ١٦ ، سورة الزمر : ٦٢ .
(٤٣) سورة الأنعام : ١٩ .
(٤٤) سورة النمل : ٢٣ .
(٤٥) لعل الصواب : أوتيته .
(٤٦) سورة الأحقاف : ٢٥ .

أَرَدنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤٧) ، فعلمتم أنه يقول للأشياء «كوني» بالكلام المعقول على صفتكم هذه، فكانت بقوله لها «كوني»، فكان قوله «كُن» مخلوقا . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، انما يلفظ بالكلام المعقول من كان ذا لسان وشفتين وقلب وجوف، والباريء عز وجل ليس محتاجا الى هذه الجوارح، وهو منزه عنها لأن المحتاج ليس باله عظيم على كل شيء قدير، فلو خلق مابه تكلم، وهي كلمة «كُن» ، لكان مستغنيا بكلامه على خلق الأشياء، تعالى الله عن أن يستعين بشيء على شيء علوا كبيرا. وان قلتم: ان «كن» مخلوق تكون به الأشياء لكان «كن» قبلها، ثم «كن تكن»، «وكن تكن» تسلسلا الى غير غاية ولانهاية، وانما «كن» ارادة الهية ومشيئة ربانية، وهي اخبار عن مشيئة الله عز وجل، فاذا أراد الله أن يخلق شيئا كونه، فكان لايقول له كن فيكون، يقول: اذ ليس هنالك كلام من الباريء عز وجل وانما أخبر الله عز وجل عن سرعة كون المراد اذا شاء كونه، لا أنه يقول له : كن فيكون بقول الله تعالى . تعالى الله أن يستعين على خلق الأشياء بشيء علوا كبيرا .

فصل

وان قلتم ان القرآن مخلوق من قوله عز وجل : ﴿مَايَاتِيهِم مِّن ذِكرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحدَثٍ﴾(٤٨) ، والذكر هو القرآن، وقد وصفه الله عز وجل محدثا، والمحدث لايكون الا مخلوقا. قلنا لكم: قد جئناكم في هذه بحجج تقسم قرى(٤٩) تاويلكم، وخصومات تحسم سبب تسجيلكم، وعزائم تجذب أرواح تقولكم، وحوائج تجتاح أوصاب تقللكم. فالمعنى هاهنا غير ماتاولتموه، والصواب في هذه غير مانقلتموه، فالذكر المواعظ، أو طائفة من القرآن، أو محمد عليه الصلاة والسلام، ومعنى محدث مجدد انزاله لتقرير الذكر أو تنويع التقرير. ومعنى حدوثه انزاله من اللوح المحفوظ جملة في ليلة القدر بايدي السفرة، موضوعا ببيت العزة على ماقيل، ثم نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ شيئا بعد شيء نحو مافي عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة على ماقيل، وانما أحدثت تلاوته وحروفه المركبة، وهي ترجمان للمعاني الالهية، ليعلم بذلك النبي محمد ﷺ، لأن النبي ﷺ قبل نزول القرآن العظيم لم يعرف شيئا من العلوم الربانية، والمعاني الالهية ،

---

(٤٧) سورة النحل : ٤٠ .

(٤٨) سورة الأنبياء : ٢ .

(٤٩) قرى : كذا في الأصل ، ولعله : عرى .

حتى أحدث عليه هذا الذكر لتاديبه وتعليمه، فمعناه أنه أحدث من اللوح المحفوظ، ثم الى النبي محمد ﷺ، لا أنه أحدث بمعنى خلق، والله أعلم .

فصل

ومن «بيان الشرع» ، وان قلتم : ان مافي اللوح المحفوظ مخلوق، فقد أخطأتم التاويل، وضللتم عن سواء السبيل، لأن كلام الله قبل اللوح، وقبل القلم، وقبل الرسم في اللوح المحفوظ. فالذي احتججتم به في اللوح المحفوظ هو حجة عليكم لا لكم، وذلك أنكم قلتم: أن أول ماخلق الله القلم والدواة واللوح، فقال للقلم : أكتب، فقال القلم : وماأكتب؟ فقال : أكتب ماهو كائن الى يوم القيامة. ألا ترون أن قوله أكتب قبل الكتابة هو أمر ؟! ثم زعمتم أن القلم تكلم، فان كان ماقلتم حقا، فقد تكلم بلا لسان ولا جوف ولا شفتين، فلما قال: وما أكتب ؟ كان أمرا آخر، فقال : اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة، فهذا قبل الكتابة وهو كتابه وأمره، وأن مافي المصاحف كفاية عن اللوح المحفوظ.

فصل

ومن «الضياء» ومعنى المحدث أنه محدث التلاوة والقراءة . والمتلو والمقروء غير محدث ولا مخلوق، مثل ماتقول الله معبود ومشكور، فعبادته وشكره مخلوقان، والمعبود والمشكور غير مخلوق، فلو كان كلام الله محدثا مخلوقا لكان لايخلو من أن يحدثه في نفسه، أو يحدثه في غيره، أو يحدثه قائما بنفسه. فان يكن أحدثه في نفسه، فالباريء ليس بمحل للحوادث، تعالى الله عن ذلك، وان يكن أحدثه في غيره، كان ذلك الغير متكلما بكلام الله عز وجل، والكفار متكلمون بكلام الله عز وجل، وان يكن أحدثه قائما بنفسه، فالقرآن صفة، والصفة لاتقوم بنفسها، فصح وثبت أن كلام الله غير مخلوق، وأن الباريء عز وجل هو المتكلم، كما انه هو العالم. فاذا وجب أن الباريء هو العالم لذاته وجب أنه المتكلم لذاته، والله أعلم.

فصل

وان احتججتم أن القرآن مخلوق من قوله عز وجل : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(٥٠) ، والذي يجري عليه الذهاب فهو مخلوق، لأن صفة الله الذاتية لايجري عليها الذهاب. قلنا لكم: لايجري الذهاب على المعاني الالهية والعلوم الربانية، انما يجري الذهاب على الحروف المركبة المتلوة المقروءة من السطور والصدور. أرأيت اذا لم يتعلم أحد القرآن ولم

(٥٠) سورة الاسراء : ٨٦ .

ينسخه ولم يقرأه أحد، أيذهب معناه الذي ورد فيه من علم الله عز وجل من وعده ووعيده، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وعلم الله عز وجل بالأشياء قبل أن تكون، أن لو كانت كيف كانت تكون، وذلك ماقص عز وجل من قول أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة قبل أن يقولوا، ومن قول الخليقة يوم القيامة، وما يقال لهم قبل أن يقولوا أو يقال لهم، وبما كان من الأشياء ومالم تكن. فاذا ذهبت الحروف المركبة والآيات المتلوة، أيذهب علم الله في هذا الذي وصفته بذهاب الحروف أم لا؟

فان قلتم : نعم . فقد كفرتم وقلتم فاحشا وبهتانا مبينا. وان قلتم: لايذهب علم الله بذهاب الحروف المركبة، فقد أبطلتم قولكم بذهاب كلام الله وهو القرآن، ولزمكم الرجوع عن ذلك.

وان قلتم : ان القرآن مخلوق من قوله عز وجل : ﴿وَمَاخَلَقنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ وَمَابَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِ﴾(٥١) ، والقرآن بين السماوات والأرض، وقد وصف الله السماوات والأرض ومابينهما بالحق، قلنا لكم: كذلك صفات ذاته مكتوبة بين الدفتين، وهي بين السماوات والأرض أيجوز أن تكون صفات ذاته مخلوقة أم لا؟ فان قلتم: الا الحروف المركبة والكلمات المتلوة، ولايجوز أن يكون معناه مخلوقا، قلنا لكم: كذلك الحروف المركبة المقروءة والكلمات المتلوة من القرآن هي بين السماوات والأرض، وهي بين الدفتين في المصاحف التي بنو آدم ينطقون بها من تلاوة القرآن، وهي موسومة بقلم الله عز وجل، لايخلو منه مكان بالسماوات والأرض وماوراء ذلك من الأمكنة.

فبهتان عظيم أن نسبت علم الله عز وجل بالخلق، لأن علم الله عز وجل وكلامه من صفات ذاته، وصفات ذاته لم تزل، ولم يزل الله الموصوف بها ، لاهي هو، ولاهو غيرها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وان قلتم : القرآن مخلوق من قوله عز وجل : ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٥٢) ، فالمنزل والمحفوظ مخلوق.

قلنا : انما كان نزوله من اللوح المحفوظ، ثم الى النبي ﷺ بما ذكرناه من قبل.

وان قلتم : أين علم الله كان قبل نزول القرآن ؟

فهذا سؤالكم فاسد لايجوز، لأن الله عز وجل جليل أن تدخل عليه الأينية

(٥١) سورة الحجر : ٨٥ .

(٥٢) سورة الحجر : ٩ .

ولا الكيفية ولا التجسيم ولا التحديد ولا التبعيض، والله عالم بنفسه لابعلم هو غيره به علم، وأما نظم القرآن فهو معجز لاتيان بمثله لقوله عز وجل : ﴿قُل لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأتُواْ بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ لاَيَأتُونَ بِمِثلِهِ﴾(٥٣) .

وان قلتم : انه محفوظ من قوله عز وجل : ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فاعلموا أنه محفوظ التلاوة من الزيادة والنقصان والتحريف والالحان، بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر. وقيل: الضمير للنبي عليه السلام.

وان قلتم : انه مخلوق من قوله عز وجل : ﴿أَنزَلَهُ بِعِلمِهِ﴾(٥٤). فاعلموا أن الذي جاء في التفسير أنه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به، وهو العلم بتاليفه الخاص به على (انه)(٥٥) يعجز عنه كل بليغ، أو بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب، أو بعلمه الذي يحتاج الناس اليه في معاشهم ومعادهم ، والله أعلم .

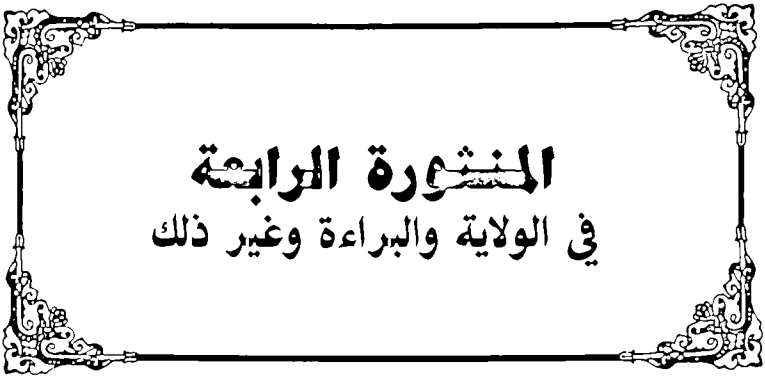
وان قلتم : ماتقولون في قول الله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَمرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيكُم﴾(٥٦) ، وقال : ﴿وَكَانَ أَمرُ اللهِ قَدَراً مَّقدُوراً﴾(٥٧) ، وفي موضع آخر: ﴿وَكَذَلِكَ أَوحَينَا إِلَيكَ رُوحاً مِّن أَمرِنَا﴾(٥٨) ، فسماه الله نورا، وسماه روحا، وسماه كلاما، وسماه قرآنا، وسماه هدى ورحمة، فزعمتم أن هذا كله يدل على أنه خالق من خلقه، وتدبير من تدبيره.

قلنا لكم : ليس لأصل حجتكم حجة ولا دلالة، وقد وصف الله نفسه بصفات مختلفة وهي صفاته الذاتية، فسمى نفسه الرحمن، وسمى نفسه العزيز وسمى نفسه العالم، وسمى نفسه القادر والقوي والعظيم وغير ذلك من الأسماء الذاتية التي وصف نفسه بها، وهو لم يزل الموصوف بها، وهي غير متباينة لا هي هو، ولاهو غيرها. فاذا سمى الله كلامه باسماء مختلفة فلا دلالة بها على خلقه، وان اختلفت لفظا، فلا يتباين ولا يتغير معناها عن القرآن، فصح وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على نبيه محمد ﷺ، وكلامه ليس بمحدث ولا مخلوق وليس في هذا دلالة ولا حجة لكم، والله

(٥٣) سورة الاسراء : ٨٨ .
(٥٤) سورة النساء : ١٦٦ .
(٥٥) ساقطة من الأصل .
(٥٦) سورة الطلاق : ٥ .
(٥٧) سورة الأحزاب : ٣٨ .
(٥٨) سورة الشورى : ٥٢ .

أعلم.

والحمد لله حق حمده وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.


المنثورة الرابعة
في الولاية والبراءة وغير ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس لينة اللين بمقد القلوب (١) ، وحملها قنوان القناعة مع حسم كبائر الحوب(٢) ، حتى سقاها بزلال الزهادة والقبول، وأوردها من رواء الرعاية وتذكار أركان العقول، فمع ذلك غردت حمام الحماية والولاية بسعفها المضيء لهواء الصدور، وطحطحت(٣) أركان الكدورات بعدما لمعت بوارق الصلاح والسفور، ونقنق(٤) هصور(٥) اصرارها محققا(٦) بعدما حملقت(٨) مقامع الفلاح تقمع، فعمد بعد ذلك المؤمنون ليلبسوا جيد صدورهم سموط الطاعة والسمع، ويجبوا من شباك الشك خيوط الخطا في الخلوات والجمع، ويقعدوا بحدائق الاحسان على سرير المسرة ليجعلوا سين المسرة بدلا من ضاد المضرة، حتى اطمانوا مع ذلك في قرار قراءة القرآن، وطاطاوا رؤوسهم لطاعة الرحمن، وتولوا بعضهم بعضا ولاية الايمان، طول الدهور والأزمان، الا أن يبدو من أحدهم حدث الكفر والطغيان، فيخلعوه بعد استتابة وبيان، ورده عن الدين والاسلام، واصرار على المكفرات والآثام، وقد أمرهم الله بعداوة من كان كذلك لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَتَتَّخِذُواْ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَولِيَاءَ﴾(٩) ، أي لاتعتمدوا عليهم، ولاتعاشروهم معاشرة الأحباب. وقال عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغلُظ عَلَيهِم﴾(١٠) ، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشرِكِينَ﴾(١١) . وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة .

فصل

وأصل الولاية والبراءة فريضتان من فرائض الله عز وجل ، ثبتتا من

---

(١) مقد القلوب : في كتب اللغة ، المقد : الطريق والمكان المستوي .
(٢) الحوب : الاثم والظلم .
(٣) طحطحت : كسرت ونفرت وبددت أهلاكا .
(٤) نقنق : غار ، وهي من نق الضفدع : صوت .
(٥) هصور : كثير الهصر ، وهوالجذب والاماله والكسر .
(٦) محققا : اسم فاعل من حقحق : سار سيرا رفيعا متعبا للظهر .
(٧) العثعثة : اللين من الأرض، ظهر كثيب لاثبات فيه .
(٨) حملقت : حملق الرجل ، فتح عينيه ونظر شديدا .
(٩) سورة المائدة : ٥١ .
(١٠) سورة التوبة : ٧٣ ، سورة التحريم : ٩.
(١١) سورة التوبة : ١ .

حكم كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه المرسل محمد ﷺ، واجماع الأمة، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(١٢) ، في الدين واتفاق الكلمة، والعون والنصرة، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(١٣) ، أي يأمرون بالايمان والطاعة وجميع أفعال الخير، وينهون عن الشرك وجميع المعاصي لأنهم يحبون ماأحب الله ويبغضون ما أبغض الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾(١٤) ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١٥) .

فتجب الولاية والرحمة من الله ومن العباد، من كان هكذا دأبه ومسلكه وجهده في كلية الطاعات، والعداوة والفرقة من كان بضد ذلك، وقد قال الله عز وجل في صفة جزاء المؤمنين : ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾(١٦) ، أي تستطيبها النفس ويطيب فيها العيش، وفي الحديث : «انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر»، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾، أي إقامة وخلود، لأنه جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها الا ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء» (١٧) ، يقول الله عز وجل : طوبى لمن دخلك. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٨) ، أي رضى الله عنكم أكبر من ذلك، لأنه روي في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال : «يقول الله عز وجل لأهل الجنة: ياأهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولوا(١٩) : رضينا حق الرضى، فيقول الله: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولوا (٢٠) : ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني ولا أسخط عليكم أبدا»(٢١) .

---

(١٢) سورة التوبة : ٧١.
(١٣) سورة التوبة : ٧١.
(١٤) سورة النحل : ٩٠.
(١٥) سورة التوبة : ٧١.
(١٦) سورة التوبة : ٧٢.
(١٧) أخرجه ابن حجر في الكاف الشاف ٧٦.
(١٨) سورة التوبة : ٧٢.
(١٩) الصواب : فيقولون .
(٢٠) الصواب : فيقولون .
(٢١) أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٦٩.

فاعتبروا، اخواني، بهذا الفوز العظيم لقوله عز وجل: (٢٢) واذكروا مناقشة الحساب يوم الفزع الأكبر، ولاتعرضوا اعراض الثملان فتنقبلوا باشد الحرمان، والله أعلم .

وأصل عدن الاقامة والخلوق، يقال: عدن فلان بالمكان عدنا اذا اقام فيه، وهو بفتح مهملة الماضية وكسرها من المستقبل، قال الأعشى:

وان تستضيفوا الى حلمه ** تضافوا الى راجح قد عدن

والثملان السكران، والله أعلم .

فصل

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَالَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾(٢٣) آمنوا، أي : صدقوا بكتاب الله وسنة نبيه محمدﷺ وبجميع الملائكةوالكتب والأنبياء والرسل، وماجاء به النبي محمد ﷺ، وجميع الأنبياء والكتب، لقوله عز وجل : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ﴾(٢٤) ، شهادة وتنصيص من الله عز وجل على صحة ايمانه والاعتداد به، وانه حازم فيه غير شاك فيه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾(٢٥) ، والله أعلم .

فصل

وقد حصن المؤمنون ايمانهم بتوحيد الله عز وجل، ومعرفته ومحبته، وهجروا أوطانهم وأهليهم وعشيرتهم الى رسول الله ﷺ بالمدينة، وجاهدوا أعداء الله حق الجهاد باموالهم وأنفسهم، لقوله عز وجل : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾(٢٦) ، أي : لم يشكوا في دينهم، ﴿وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٢٧) ، والذين آووا ونصروا هم المؤمنون من أهل المدينة. فلما ذكر المهاجرين ووصفهم بالصفات الحسنة، ذكر الأنصار واحسانهم .

(٢٢) يبدو لنا سقوط آية ، يوحي بها سياق الكلام وعبارة : لقوله عز وجل .
(٢٣) سورة الأنفال : ٧٢ .
(٢٤) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢٥) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢٦) سورة الحجرات : ١٥ .
(٢٧) سورة الحجرات : ١٥ .

فصـــل

وفي الرواية ، أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة (٢٨) ، والولاية المذكورة في قوله عز وجل : ﴿مَالَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيءٍ﴾(٢٩) ، هي ولاية التوارث، وهي منسوخة بآية المواريث، وولاية التآزر والتناصر غير منسوخة، وقرئت «وَلَايَتِهِم» بفتح الواو وكسره، وقيل: الولاية بالفتح النصرة، والكسر الامارة ، والله أعلم .

فصـــل

والولاية تنقسم على سبعة أقسام :

أولهما : ولاية ايمان ، كقوله عز وجل : ﴿وَالمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ﴾(٣٠) .

وولاية هجرة ، كقوله تعالى : ﴿مَالَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيءٍ حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ﴾(٣١) .

وولاية نصرة : كقوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَولَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾(٣٢) ، أي : ناصرهم على عدوهم ﴿وَأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَولَى لَهُم﴾(٣٣)، أي : لم ينصرهم ولم يعزهم.

وولاية معاقدة، كقوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ﴾(٣٤) ، أي: كل واحد يعين صاحبه اذا حضر، ويحفظ غيبته اذا غاب، ويجيبه اذا دعاه، ويقوم مقامه في جميع أموره.

وولاية إرث، كقوله عز وجل : ﴿وَأُوْلُواْ الأَرحَامِ بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾(٣٥) ، أي : أولى في التوارث من الغير ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾، أي: في اللوح المحفوظ.

وولاية نسب، كولاية النكاح، مثل أن الرجل ولي بناته وأمهاته وأخواته، وغير ذلك مما يكون به وليا في النكاح.

---

(٢٨) انظر موسوعة أطراف الحديث ، حرف الميم ٨/ ٦٨٦.
(٢٩) سورة الأنفال : ٧٢.
(٣٠) سورة التوبة : ٧١.
(٣١) سورة الأنفال : ٧٢.
(٣٢) سورة محمد : ١١.
(٣٣) سورة محمد : ١١ .
(٣٤) سورة الأنفال : ٧٢.
(٣٥) سورة الأنفال : ٧٥ ، سورة الأحزاب ٦.

وولاية نبوية، كقوله عز وجل : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ﴾(٣٦) ، في الأمور كلها، لأنه لا يامرهم ولا يرتضي لهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم، بخلاف النفس، فلذلك أطلق ، فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها. روي أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج، فقالوا: نستاذن آباءنا وأمهاتنا(٣٧) . فنزلت هذه الآية. وفي الخبر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مامن مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا ان شئتم : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ﴾، فايما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته، ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني به فانا مولاه»(٣٨) ، والله أعلم .

الضياع جمع ضيعة ، وهو بالفتح مخفف، والضياع جمع ضائع.

والوجه السابع من الولاية : هي ولاية ربانية ، كقوله عز وجل : ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣٩) ، أي : متولي أمورهم، لايكلهم الى غيرهم.

فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، صغيرهم يوقر كبيرهم، وكبيرهم يرحم صغيرهم ويعلمه ويربيه، ومماليكهم ينصحون سادتهم ويطيعونهم، وسادتهم يبرون مماليكهم ويواسونهم في جميع مايحتاجون اليه، ورعاياهم يطيعون أمراءهم الصالحين، وأمراؤهم يتعطفون على رعاياهم، ويامرونهم بجميع أفعال الخير، وينهون عن جميع أفعال الشر، وأغنياؤهم يواسون فقراءهم، وفقراؤهم يعينون أغنياءهم، والله أعلم .

قوله يواسونهم، أي : يعطونهم، وقوله صغيرهم يوقر كبيرهم، أي : يجلله ويعظمه، قال الله عز وجل : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٤٠) ، أي : تعظموه، وتعزروه، أي : تعينوه وتنصروه وتقووه على دينه. والورق الصمم، بفتح المهملة الأولى، قال الله عز وجل: ﴿فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾(٤١) ، وفعله يوقر وقار بكسر قاف الماضي وفتحه من المستقبل، ووقر الرجل اذا كان صاحب وقار، مثل في تصرف الفعل، والوقار بفتح الواو، الخوف من الله، والوقر بضم الواو، الحمل الثقيل.

---

(٣٦) سورة الأحزاب : ٦ .
(٣٧) انظر ماجاء في ذلك عند ابن العربي : أحكام القرآن ، (الأحزاب ٦) ٣/ ١٥٠٧ .
(٣٨) أخرجه البغوي في شرح السنة ٨/ ٣٢٤.
(٣٩) سورة البقرة : ٢٥٧.
(٤٠) سورة الفتح : ٩ .
(٤١) سورة لقمان : ٧ .

قال الله عز وجل في معنى الوقار: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾(٤٢) ، قرأ أهل الكوفة وعاصم ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف، وقرأ الآخرون بالكسر. فمن قرأه بالفتح فمعناه واقررن، أي : الزمن بيوتكن، من قولهم: قررت بالمكان أقر قرارا، يقال : أقررت أقر، هما لغتان، فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقل حركتها الى الكاف(٤٣) ، كقولهم في ظللت: ظلت، قال الله عز وجل: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾(٤٤) ، أي : تعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وقيل: تندمون على اجتهادكم فيه.

فصل

وقيل : ان الولاية على أربعة معان ، ولاية الله، وولاية رسوله، وولاية المؤمنين، وولاية المرء نفسه.

فولاية الله واجبة على جميع عباده، فعليهم أن يعرفوه ويطيعوه ويشكروه حق الشكر، وينصروا أولياءه ويعترفوا له بنعمه، وأنه ولي جميع أمرهم ومقدر لهم جميع مقدوراتهم، فهذه واجبة على كل حال ولايسع جهلها.

وأما ولاية الله للمؤمنين، فانه يهديهم للايمان، ويوفقهم للحق، وينصرهم على عدوهم، ويهديهم الى صراط مستقيم، ويدخلهم الجنة.

وأما ولاية المؤمنين لرسول الله ﷺ، فهو أن يؤمنوا به ويصدقوه فيما جاءهم به ويصلوا عليه ويحبونه ويعملون بسنته، ويدينون بدينه، فاذا تولى المؤمن الله ورسوله، والمؤمنين في الجملة على الحقيقة، فقد تولى من تجب عليه ولايته. ولاتجب على العبد ولاية أحد بعينه الا ولاية الله ورسوله، وولاية من أطاعهما في الجملة وهم المؤمنون، وولاية الله ورسوله خالصة على الحقيقة.

وولاية أهل طاعة الله ورسوله في الجملة على الحقيقة لأهل الصفة انهم أهل ولاية ، والله أعلم .

وعلى كل فان ولاية الله عز وجل لايسع أحدا جهلها، ولاجهل ولاية رسوله والمؤمنين من أهل زمانهم وغيرهم، والله أعلم .

فصل

وليس على الجميع ولاية أنبياء الله ورسله في الجملة، ولافي التفسير في أحد منهم بعينه الا من علم ذلك وعرفه، والا فلايضيق على أحد جهل أنبياء

---

(٤٢) سورة الأحزاب : ٣٣ .
(٤٣) كذا ، والصواب القاف .
(٤٤) سورة الواقعة : ٦٥ .

الله والايمان بهم وولايتهم اذا أقر بالجملة، لأن من الاقرار بالجملة والديانة بها الايمان بجميع أنبياء الله ورسله وكتبه وملائكته وجميع مأمر الله به في الجملة من قول أو عمل أو نية، فاذا أقر بذلك أجزأه عن تفسير ماهو داخل في الجملة حتى يبلغ الى علم الله ويمتحن بشيء من ذلك وتنزل به بليته.

فصل

وأما البراءة من أهل الأحداث فانها تعرف وتقوم بها الحجة من معاينة المحدث بركوب الحدث المكفر، أو الشاهدين العدلين يشهدان بالحدث الذي تجب به البراءة ممن أحدثه، أو شهرة الحدث المكفر ممن ارتكبه.

والبراءة هي التبرء من الفعل المكفر ومفارقة أهله عليه، والتخطئة بهم(٤٥) ، والانكار عليهم، والكراهية بهم(٤٦) . فالواجب على المؤمنين الاعتقاد والديانة لله عز وجل بما أمرهم به من الطاعة والعمل بها وولاية أهلها عليها، والنهي عن المنكر ومفارقة أهله عليه، والله أعلم .

فصل

وأما محبة الله لعباده، فهي ثوابه وايجاب الكرامة لأهل طاعته، وجنته في الدار الآخرة، وأما رضاه، فهو القبول لأعمالهم، وجزاؤهم عليه جنة النعيم التي لاتفنى أبدا، وأما سخطه على أعدائه فهو عقوبته وعذابه وجزاؤه على أعمالهم السيئة.

وأما الولاية، فتجب بولاية الشاهدين العدلين العالمين بأحكام الولاية.

وقيل : برفيعة العالم الواحد العادل .

وقيل : اذا سئل الواحد عن ولاية أحد بتجزيء رفيعته(٤٧) ، واذا لم يسأل فلا تجزيء.

وقيل : تجزيء ، سئل أو لم يسأل.

وأما البراءة، فلاتجب الا برفيعة الشاهدين العدلين العالمين باصول وجوب البراءة، يفسران قبل الرفيعة الحدث الذي تجب به البراءة، وأنه مصر على ذلك.

وقيل: الولاية تجب بشهرة العمل الصالح والمسارعة الى الخيرات، لقوله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(٤٨) .

---

(٤٥) لعل الصواب : وتخطئتهم .
(٤٦) لعل الصواب : كراهتهم .
(٤٧) الرفيعة : النقل والاخبار .
(٤٨) سورة التوبة : ١١ .

وقيل : ولو لم يظهر منه شيء من الأعمال الصالحات اذا عرف أنه سالم من الشرك والزنا والقتل والسرقة وأكل المحارم وركوب المعاصي، وكانت تلك الدار دار أهل الاستقامة، وكان هو موافقا لدين أهل الاستقامة، فتجب الولاية له، لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤٩) .

فصل

ولايجوز أن يتأتي على العبد حال لايتولى نفسه فيه، وعلى العبد التوبة الى الله من جميع المعاصي والاقلاع عنها في كل وقت وحين، وأن يتولى نفسه على كل حال لقوله عز وجل : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾(٥٠) ، فاوجب على جميع من خاطبه بالتعبد، أن يستغفر الله لذنبه ويتوب اليه من جميع المعاصي، لأن الاستغفار ولاية، والاستغفار باللسان، والرجوع بالقلب عن المعاصي، فتلك التوبة المجزئة، ولم ينفع(٥١) الاستغفار بلا توبة القلب ورجوع عن جميع المعاصي، ويسمى ذلك توبة الكاذبين، وربما يتوسخ وضوء المرء من أجل ذلك، لأن أصل الكذب يوسخ الوضوء وينقضه، وربما ينافق المرء منه اذا لم يتب، خاصة اذا أبطل خاصة به حقا(٥٢) ، أو أثيبته على غير أصله، فعلى العبد ان يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، لأنه متى لم يستغفر الله من جميع المعاصي ويندم عليها، كان هالكا، ومتى استغفر ربه وتاب وأخلص كان لنفسه متوليا ولربه مرضيا.

فولاية الله وولاية رسوله وولاية المؤمنين فرض واجب على العبد، وكذلك ولاية نفسه، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٥٣) ، وكذلك من صحت سعادته في كتاب الله عز وجل أو على (لسان) رسول الله ﷺ، فتلزم ولايته على الحقيقة، وكذلك من صحت شقاوته وبراءته في كتاب الله عز وجل أو على لسان رسول

(٤٩) سورة الممتحنة : ١٢ .
(٥٠) سورة هود : ٣ .
(٥١) لعل الصواب : لاينفع .
(٥٢) لعل الصواب : خاصة اذا أبطل به حقا .
(٥٣) سورة المائدة : ٥٥ ، ٥٦ .

الله ﷻ، فالبراءة منه فرض لازم. لايسع جهل هذه الولاية وهذه البراءة التي(٥٤) قد صحتا في كتاب الله أو على لسان رسول الله ﷺ.

فصل

وأما الولاية بالجملة والبراءة في الجملة، فعليه أن يتولى الله ورسوله وجميع المؤمنين والمؤمنات في الجملة، ويبرأ ممن بريء منه الله ورسوله والمسلمون في الجملة، والله أعلم بالصواب، فينظر في هذا ولايؤخذ منه الا ماوافق الحق والصواب، لانني قليل العلم في الفن وفي غيره ، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله) الى الشيخ الفقيه عبدالله بن عامر بن عبدالله بن سعيد العقري النزوي (رحمه الله)، وفيمن سمع آخر ينطق بكلمة التوحيد وهي لا اله الا الله، غير انه قطع بين النفي والاثبات. مايكون حاله عند السامع قبل أن يستتيبه كما كان معه من قبل، في الولاية أو في الوقوف؟ أرأيت ان كان هذا القول من زوج أو زوجة ولم ينكرا على بعضهما بعض، جهالة منهما، وكان منهما المعاشرة من وطء وغيره، أيحرمان على بعضهما بعض؟ كيف الحكم في ذلك ؟

الجواب ، وبالله التوفيق : ان الذي حفظناه من آثار المسلمين (رحمهم الله) أنه لايجوز أن يقطع بين النفي والاثبات، ولايجوز الوقف على ذلك، فان كان هذا الذي قطع بين النفي والاثبات متعمدا فانه ينتقض وضوؤه وايمانه، وقد لحق بالشرك في الحكم، فيراجع التوبة والندم، وان كان مخطئا أو ناسيا، فليستغفر الله ربه، لاينتقض وضوؤه على قول بعض المسلمين.

وأما اذا كان هذا الذي قطع بين النفي والاثبات وليا، ولم يعلم وليه أنه متعمد أو مخطيء أو ناسي، فانه يقف عن ولايته الى أن يتوب، على قول بعض المسلمين، اذا علم وليه أنه لايجوز أن يقطع بين النفي والاثبات، ولايجوز الوقف على ذلك، فان كان هذا الذي قطع بين النفي والاثبات متعمدا فانه ينتقض وضوؤه وايمانه، وقد لحق بالشرك في الحكم، فيراجع التوبة والندم. وان كان مخطئا أو ناسيا، فليستغفر الله ربه، ولاينتقض وضوؤه على قول بعض المسلمين.

وأما اذا كان هذا الذي قطع بين النفي والاثبات وليا، ولم يعلم وليه أنه

(٥٤) لعل الصواب : اللتين .

متعمد أو مخطيء أو ناسي، فانه يقف عن ولايته الى أن يتوب، على قول بعض المسلمين، اذا علم وليه أنه لايجوز أن يقطع بين النفي والاثبات، واذا لم يعلم وليه ذلك، وجهل الحكم في ذلك، فقد قال بعض المسلمين: انه لايجوز أن يتولاه على ماكان عليه من قبل. وقال من قال: انه جائز له أن يتولاه على ماكان عليه من قبل، لأن الله لايكلف العبد فيما لايطيقه(٥٥) .

وأما اذا كان القاطع بين النفي والاثبات من أهل الوقوف، فقد قال بعض المسلمين: انه جائز له أن يكون في الوقوف، كما كان من قبل، ولايلزم السامع أن يقول له شيء. وقال من قال: عليه أن يقول ويستتيبه، فان تاب من ذلك فهو على ماكان عليه من قبل، وان أصر بريء منه.

وأما اذا كان القاطع بين النفي والاثبات زوجا أو زوجة، وكان منهما الوطء والمعاشرة لبعضهما بعض، فلاتحرم الزوجة على زوجها، ولا يحكم بالقول من القائل الذي قطع بين النفي والاثبات أنه عمد، الا أن يصح ذلك، والله أعلم ، وبه التوفيق.

فصل

ومنه (رحمه الله) الى الشيخ الفقيه عبدالله بن عامر بن عبدالله بن سعيد العقري النزوي (رحمه الله): وأسالك سيدي عن أصل الولاية والبراءة، ووقوف الرأي ووقوف السؤال، ووقوف الدين، وبراءة الدين، وبراءة السؤال، ومايشاكل هذا الفن. فسر لولدك ذلك واشرحه مبينا، ولك الأجر العظيم.

الجواب ، وبالله التوفيق : ان مثل هذه المسالة يتسع فيها القول، والشيخ ألم من الخادم في مثل هذا وغيره، وأنا أذكر لك طرف من ذلك:

أما وقوف الدين فمثل ذلك الوقوف عن الذين لاتعلم منهم خيرا فتواليهم عليه، ولاتعلم منهم شرا فتعاديهم عليه، فهذا هو وقوف الدين.

وأما ولاية الدين فمثل ذلك اذا صحت عندك ولاية أحد بمعرفتك به أن كنت ممن يبصر الولاية والبراءة، ولاية رجل، فهذه الولاية تسمى ولاية الدين.

وأما ولاية الحقيقة فكل من صحت سعادته من كتاب الله عز وجل أو على لسان أحد من رسل الله عز وجل.

وأما براءة الدين، فاذا عاينت من ولي لك أحدث حدثا مكفرا من الكبائر،

(٥٥) لعل الصواب : ما لايطيق .

فانك تبرأ منه بالدين. وقال بعض المسلمين: انك تبرأ منه قبل أن تستتيبه، فان تاب فهو على ولايته، وان أصر برئت منه. وأما اذا فعل شيئا من الصغائر فانك لاتبرأ منه حتى تستتيبه، فان تاب فهو على ولايته، وان أصر فانك تبرأ منه، لأن الصغائر اذا أصر عليها المحدث صارت كبائر.

وأما اذا كان المحدث للكبائر غير ولي لك، فقال بعض المسلمين: لايلزمك فيه شيء، وهو على حالته، وقال بعض المسلمين: انك تستتيبه، فان تاب والا برئت منه، وأما اذا كان المحدث من أهل البراءة، فهو على البراءة كما كان من قبل.

وأما براءة الحقيقة، فكل من صحت شقوته من كتاب الله عز وجل، وعلى لسان أحد من رسل الله عز وجل.

وأما وقوف السؤال، فمثل ذلك كلما اختلف فيه أهل الحق وتنازعوا حكمه حتى يؤدي ذلك الى تخطئة لبعضهم بعض، ويبرأ بعضهم من بعض، فالواجب على الضعيف الذي لايعلم حكم مااختلفوا فيه، ولم يعرف المصيب من المخطيء، فالواجب عليه الوقوف عن جميعهم، وعليه السؤال عنهم وعن حكم مااختلفوا فيه، الى أن تقوم الحجة بصحة الحكم في ذلك، فهنا وقوف السؤال.

وأما وقوف الرأي، فمثل ذلك أن ترى وليك يعمل عملا، ولم تعلم مايبلغ به، فأردت أن تسأل عنه فنسيت الفعل ولم تذكر، فهذا الموضع مما يلزمك فيه الوقوف، وهو وقوف الرأي. ومثل ذلك أيضا اذا اختلف الضعيفان الوليان في شيء، فلك أن تتولاهما برأي، وتقف عنهما برأي، لأن الضعيف لاتقوم به حجة، وكذلك اذا اختلف الضعيف والعالم، وكان الضعيف هو المحق، والعالم هو المبطل، فلك أن تتولاهما برأي، لأن الضعيف لاتقوم به حجة، والعالم صار مبطلا، ولايجوز ابطال العالم المبطل، فاذا صار العالم مبطلا فلا تقوم به حجة.

وأما براءة الرأي، فاذا بريء أحد من وليك اللذين وصفتهما لك هاهنا، أو بريء أحد من صاحبه فانك تبرأ ممن بريء من وليك براءة رأي لابراءة دين، لأنك اذا توليت وليك برأي، ثم بريء منه أحد، فانك تبرأ ممن بريء منه برأي، واذا توليت وليك بدين، فانك تبرأ ممن بريء منه بدين.

وأما وقوف السلامة ، فهو كل وقف يسع في الدين، فإنه يسمى وقوف

السلامة.

وأما وقوف الاشكال ، فهو مثل الوقوف عن المتلاعنين والمقتتلين والمتبرئين من بعضهما بعض، ولم يعلم المحق من المبطل منهما، فلك أن تقف عنهما وقوف اشكال، وقد قال من قال من المسلمين: هما على ولايتهما، وقال من قال من المسلمين : بالبراءة منهما، وهو قول شاذ.

وأما وقوف الشك، ويسمى وقوف الضلال، وهو حرام في دين الله عز وجل، وهو أن لايتولى الرجل أحدا الا من شك كشكه أو وقف لوقوفه.

وأما براءة السؤال، فلم نحفظها، وأرجو أنها لم تكن، والله أعلم .

فصل

ومما وجدته مكتوبا بخط الشيخ الفقيه العالم النزيه درويش بن جمعه الآدمي (٥٦) (رحمه الله)، قال المؤلف : الولاية على أربعة وجوه :

فمنها ولاية الشريطة ، وهو أن يتولى العبد من تولاه الله ورسوله والمؤمنون في الجملة، فاذا اعتقد العبد ولاية الشريطة، فقد تولى جميع من الزمه الله ولايته من الملائكة والأنبياء والصالحين من الجن والانس، وهي فريضة تاركها هالك عندي.

ومنها ولاية الدين بالظاهر، وهو أن يظهر من عبد عمل صالح مما يوافق الكتاب والسنة وآثار المحقين، فتجب ولايته في الدين في حكم الظاهر على من عرفه وقامت عليه حجته، ولو كان في سريرته مشركا، لأن الله عز وجل انما تعبد عباده بأحكام الظاهر، لأن هذا المتعبد بولاية من صحت منه الموافقة لدين المسلمين في الظاهر، وهو في سريرته كافر، فانه يبرأ في الشريطة، وذلك قوله في الشريطة: أبرأ ممن برأ الله منه، فقد بريء من هذا الولي في الظاهر. وفي الجملة فقد تعبده الله في خلقه بحكمين وهما :

ولاية الظاهر ، وبراءة الجملة ، وان لم يتوله ولاية اذ قد صح عنده موافقته لدين المسلمين لسوء ظنه فيه، فهو هالك، لأنه ترك فرضا أوجبه الله عليه.

والولاية والبراءة فرضان كالصلاة، وهما كالصلاة حذو النعل بالنعل، ألا ترى أن الصلاة تخص بعضا وتسقط عن بعض، وتلزم في وقت وتسقط في وقت. فأما سقوطها، فانها تسقط عن الحائض والنفساء والصبي والمجنون، وتخص غير هؤلاء، كذلك الولاية والبراءة، انما يخص فرضها

(٥٦) انظر ترجمته في الملحق .

بعضا دون بعض، فعلى من خص فرضهما القيام به في حين لزومه، ألا ترى أنه لو رأي رجلا يطا امرأة قسرا أو غصبا، أو يقتل رجل، فعليه أن يبرأ منه في حكم الظاهر، ولو كان هذا الفاعل محقا في السريرة، وذلك اذا كانت امرأة تطلب منه الانصاف وتمتنع منه، كذلك المقتول، فان لم يخطئه ويضلله في فعله ويبرأ منه، فهو هالك في أكثر القول، والله أعلم: وخاصة اذا كان الراكب مستحلا.

ومنها ولاية الرأي، وهو أن تطلع على وليك أنه واقع معصية، ولاتدري أنت أن هذه المعصية تخرجه من الولاية أم لا، أو لم تعلم أنت أنها معصية ولا طاعة، فقال من قال : فلك أن تتولى وليك هذا بالرأي على اعتقاد الدين ان كان حدثه طاعة لله، وعلى اعتقاد براءة الشريطة ان كان حدثه هذا يخرجه من الولاية.

ومنها ولاية الحقيقة، وهي لأهل السعادة، وهو كل من شهد له كتاب من كتب الله بالجنة ، أو نبي من أنبياء الله (عليهم السلام)، كالأنبياء، وأهل الكهف، وامرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وزوجات النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) على بعض القول، فهؤلاء أهل السعادة وولايتهم الحقيقة، فافهم وجوه الاية مختصرا، وبالله التوفيق.

فصل

وكذلك البراءة على وجوه :

البراءة في الشريطة في الجملة، وهو قولك أبرأ ممن بريء الله منه ورسوله والمؤمنون، فتدخل في هذه البراءة جميع من عصى الله من الجن والأنس.

ومنها براءة الدين بالظاهر لكل من صح كفره ونفاقه وخلافه لدين المسلمين، فهذا لازم فرض البراءة منه لمن قامت عليه حجته وعرف حدثه.

ومنها براءة الرأي، وهو أن يبرأ أحد من ولي لك لعلة تتولاه بالرأي، ولم تعلم أنت أن وليك واقع كبيرة، فعليك أن تبرأ من هذا الذي بريء من وليك بالرأي حتى ياتي بشاهدين يشهدان له على وليك بكفره، وأنهما استتاباه فلم يتب، فعند ذلك تتولى هذا المتبريء.

براءة الحقيقة لكل من صح أنه من أهل النار، كابليس وقابيل وقارون وفرعون وهامان وعاد وثمود وامرأة نوح وامرأة لوط، فهؤلاء وما أشبههم

يبرأ منهم بالحقيقة، وبالله التوفيق.

والوقوف أيضا على وجوه :

وقوف دين : وهو وقوف السلامة للعالم والجاهل، وهو أن يقف ممن لم يعلم له بايمان يستحق به الولاية، ولا بكفر يستحق به البراءة، فانت واقف عنه وقوف دين، وأنت تتولاه في الشريطة ان كان وليا لله، وتبرأ منه في الشريطة ان كان لله عدوا.

ووقوف السؤال : وهو أن يكون لك وليان فيتنازعان في مسالة من الفرائض، فيقول أحدهما: القول قولي، ويقول الآخر: القول قولي، مما يخطيء بعضهما بعضا، وأنت لاتعرف عدل مما(٥٧) اختلفا فيه، فعليك أن تقف عنهما حتى تسال المسلمين، وهذا يروى عن الربيع بن حبيب (رحمه الله).

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي، الى الأخ محمد بن سعيد بن غانم النزوي(٥٨) (رحمه الله): وماتقول ياسيدي اذا شهد ضعيف وعالم على رجل بمكفرة، ولم يفسرا، ما الحكم فيه؟

الجواب : وبالله التوفيق : اذا لم يفسر الضعيف فلايقبل منه، وأما العالم فلا تفسير عليه. واذا فسر الضعيف فيما شهد به وشهد العالم، فجائز شهادتهما ، ويبرأ ممن شهدا عليه بمكفرة، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي (٥٩) (رحمه الله) الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي(٦٠) (عمر الله حاله، ورحمه الله): وصف(٦١) لي سيدي صفة وقوف الرأي، ووقوف السؤال، وبراءة الرأي؟

الجواب : وبالله التوفيق : أما وقوف الرأي فهو أن ترى من وليك الضعيف حدثا، ولم تعرف الحكم فيه، فتعرف الحكم فيه، فتقف عنه برأي، وقيل: برأي وسؤال. فعلى قول من ألزم السؤال أو لم ينفس فيه بدونه. فقال فيه بسؤال، وعلى قول من لايلزم السؤال فيه، فقال: يقف وقوف رأي، ان كان حدثه هذا يخرجه من الولاية الى العداوة فهو يبرأ منه، ولايكون وقوف الرأي

---

(٥٧) لعل الصواب : ما .

(٥٨) انظر ترجمته في الملحق .

(٥٩) انظر ترجمته في الملحق .

(٦٠) انظر ترجمته في الملحق .

(٦١) كذا في الأصل ، والصواب : صف باسقاط الواو.

الا في الولي الضعيف.

وأما براءة الرأي، فهو أن يكون لك ولي ضعيف، وقد أحدث وليك هذا حدثا ولم تعرف الحكم فيه، فيجيء آخر فيقذف لك وليك بشيء من الكفر، أو يبرأ منه أعني من وليك هذا، وتخبر أنت الذي قذفه أنه هو وليك برأي فتستتيبه فلم يتب وأصر على ذلك، فحينئذ تبرأ من الرجل الذي قذف وليك برأي لأن وليك عندك في ولاية الرأي، فتبرأ ممن قذفه برأي، والله أعلم.

قلت له : أرأيت اذا وجدت وليي يحب اظهار الثناء لنفسه والتزكية لها أأترك ولايته أم أستتيبه ؟

قال : اذا صح من وليك ذلك معك ماوصفته فيعجبني لك استتابته، فان أصر على ذلك فيعجبني لك الوقوف عن ولايته، لأن ذلك من حب المحمدة والتزكية، قال الله عز وجل : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(٦٢) ، وأخاف عليه البراءة ان صح ذلك منه، وأصر عليه ولم يتب، لأن الحمد ليس للمخلوقين، والمادح له في وجهه أخاف عليه أن يكون آثما، لقول النبي ﷺ : «احثوا في وجوه المادحين التراب»(٦٣) ، والله أعلم .

قال المؤلف : حتى التراب في وجهه، حتى حثيا بفتح معجمة الماضي وكسره من المستقبل. قالت امرأة من العرب لأمها :

لازلت أحثي التراب في وجهه جهدي ** واحمي حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أولى لو تاتينه ** من حثيك التراب على الراكب

ورد في الحديث عن النبي ﷺ : «اذا قضى أحدكم حاجته فليستنج بثلاثة أحجار، أو ثلاث حثيات من تراب»(٦٤) .

قلت له : أرأيت اذا كان يزكي نفسه بلسانه، ويظهر لها الثناء، أثبت(٦٥) على ولايته أم لا؟ وما القول فيه اذا كان يتملق بلسانه ويظهر منه غير ذلك، أو يحب استماع المذمة والغيبة لاخوانه؟

قال : قد مضى بعض ماذكرته مافيه كفاية، وان صحت منه الغيبة في بعض اخوانه، أو أحب استماعها، أو أحب من يقولها، أو تساعد على ذلك، أو

---

(٦٢) سورة النجم : ٣٢ .

(٦٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥٤٥.

(٦٤) أخرجه الدارقطني في السنن ١/ ٥٧، والزيلعي في نصب الراية ١/ ٢١٥.

(٦٥) الصواب : أيثبت .

رضي بها، أو تولى من فعلها، أو تولى من تولى من فعلها، فقيل : انه يبرأ منه قبل أن يستتاب، وقيل: انه يستتاب قبل البراءة، ويعجبني له الاستتابة له قبل البراءة على كل حال اذا كان وليا.

وأما تملق الولي بلسانه أي معناك أنه يقول بشيء من الكلام في وجه المسلم، ثم يقول في خلفه بخلافه، فهذا هو المنافق أيضا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٦٦) ، فنعوذ بالله من النار الا من تاب من ذلك وأصلح، لأن صفة المنافق أن يدخل في شيء ثم يخرج منه من وجهه آخر، وهو ماخوذ من نفق اليربوع، فيدخل من موضع ويخرج من موضع، فنعوذ بالله ممن صفته هذه الا أن يتوب من ذلك، وقد مضى في الولاية والبراءة مافيه كفاية فيمن ورد القرآن باهلاكه ان لم يتب، والله الموفق للحق والصواب.

فصل

وهذا ما سالته عنه (رحمه الله) قلت له (لعله له)(٦٧) ، صف لي شيئا من أصول الولاية والبراءة ليكون بتكابي أصلا في ذلك .

الجواب وبالله التوفيق: ان هذا قد سبق به السلف الصالح (رحمهم الله)، فالذي يوجد أن الولاية والبراءة فريضتان من فرائض الله عز وجل التي قد تعبد بها عباده ولايسع المبتلى بهما أو بشيء منهما الا القيام، أو(٦٨) بما ابتلى به بعد ولايته وبراءته في الجملة، وهووقوف الدين عن جميع العالمين، مالم يمتحن بولاية أحد، فاذا تولى من تولايه الله ورسوله والمسلمون، وبريء ممن تبرأ منه الله ورسوله والمسلمون ، فهو عندنا سالم مالم يمتحن بشيء غير هذا، وهو قول عالم الأمة جابر بن زيد(٦٩) (رحمه الله) فيما يوجد عنه أنه قال : يسع الناس جهل مادانوا بتحريمه مالم يركبوه، أو يتولوا راكبه بدين، أو يبرؤوا من العلماء اذا برئوا من راكبه برأي أو بدين، أو يقفوا عنهم، أو يبرأوا من ضعفاء المسلمين اذا برئوا من راكبه بدين أو يقفوا عنهم ، وهو عندنا الصحيح، والله أعلم .

---

(٦٦) سورة النساء : ١٤٥ .
(٦٧) التصويب من الناسخ .
(٦٨) لعل الصواب : أي .
(٦٩) انظر ترجمته في الملحق .

ومن سيرة وجدتها عن مشايخنا
من أهل المغرب من نفوسة (١) (رحمهم الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما.

الحمد لله الذي سمك السماء بغير عمد، ليس له مبتدأ ولا نهاية ولا أمد، عالم الغيب والشهادة، قضى لقوم بالسعادة، ولآخرين بالشقاوة، هو الحي لا اله الا هو، فاعبدوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين.

فصل

فاني وجدت هذه النكتة منسوخة بالبربرية في توحيد خالق البرية، فسالني من لا أرد قوله، ولا أجهل فضله أن أنقله من لسان البربرية الى لسان العربية، ليبين فضلها، ويسهل على القاريء حفظها، فاجبته الى ماطلب، وساعدته فيما رغب، والخير في ذلك أردت، وبالله التوفيق، وعليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل :

ان سأل سائل فقال : ماأصل الدين ؟

فقل: الدين هو التوحيد، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلَامُ﴾(٢) ، والاسلام لايتم الا بقول وعمل ونية .

أما القول : فشهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ولاند ولا ضد ولا قرين ولا شبيه ولا مثل له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن ماجاء به محمد حق من عند ربه.

وأما العمل : فالأتيان بجميع الفرائض.

فهذه ثلاثة أقاويل من جاء بهن تامة لم ينقص منهم شيئا كمل توحيده فيما بينه وبين الخلائق .

وأما فيما بينه وبين الله، فحتى يأتي بعشرة أقاويل :

أما الأول : فالايمان بجميع الملائكة، والأنبياء والرسل، وجميع الكتب التي أنزلت على جميعهم، والموت، والبعث، ويوم القيامة، والحساب، والجنة،

---

(١) نفوسة : احدى القبائل البربرية في الشمال الأفريقي ، والمراد بها في النص مناطق الجبل الغربي من البلاد الليبية، حيث يقطن الاباضية .

(٢) سورة آل عمران : ١٩.

والنار، وجميع ماكان، وماهو كائن، فالله هو المكون له .

فهذه عشرة أقاويل، من جاء بهن تامة لم ينقص منهن شيئا، كمل توحيده فيما بينه وبين الله والخلائق، ومن ترك واحدة منهن، فقد أشرك بالله، والشاك في شركه مشرك، والشاك في الشاك مشرك الى يوم القيامة، ومن جاء بهذه الوجوه كلها، فقد حرم دمه وماله وسباء(٣) ذريته، وذلك لما علم من التوحيد .

فان قيل لك : ماقواعد الاسلام ؟

فقل : أربعة : العلم ، والعمل ، والنية ، والورع. وأركانه أربعة: الاستسلام لأمر الله، والرضاء بقضاء الله، والتوكل على الله، والتفويض الى الله. وقواعد الكفر أربعة : الجهل، والحمية، والكبر، والحسد. وأركانه أربعة: الرهبة، والرغبة، والشهوة، والغضب. واستقامة الاسلام ثمانية : الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وكمال الدين ثلاثة : التنزيل، والسنة، والرأي.

فالتنزيل أخرجوا منه وجوها كثيرة، واختاروا منها أربعة أوجه: الاستنجاء والاختتان، والوتر، والرجم.

والرأي أخرجوا منه وجوها كثيرة، واختاروا أربعة وجوه : العقد(٤)، والامامة، والجلد في الخمر، وميراث الجدات.

قرار الدين ثلاثة: المسلم المقر الموصي بما أقر به، والمنافق المقر الخائن فيما أقر به، والمشرك الجاحد.

حرز الدين ثلاثة: ولاية من علمت منه خيرا أو براءة من علمت منه شرا، وترك المعاصي كلها ، وقيل : الموصوف(٥) فيمن لاتعرف.

حد الدين ثلاثة: معرفة مالايسع الناس جهله طرفة عين وهو التوحيد، وفعل مالايسع الناس تركه، وهو جميع الفرائض، وترك مالايسع الناس فعله وهو جميع المعاصي.

مسالك الدين أربعة : الظهور، والدفاع ، والشراء، والكتمان. فالظهور كأبي بكر وعمر، والدفاع كعبد الله بن وهب الراسبي(٦) ، والشراء كأبي بلال

---

(٣) سباء : مصدر من سبي العدو يسبيه سبيا وسباء: أسره

(٤) العقد : لعل الصواب : العهد ، والمقصود بذلك العهد بالخلافة .

(٥) الصواب : بالوقوف.

(٦) انظر ترجمته في الملحق .

مرداس بن حدير(٧) ، والكتمان كابي عبيدة مسلم بن أبي كريمة(٨) ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد (رضي الله عنهم).

ستة تجب على ابن آدم بستة: الكلفة مع البلوغ، والأمر والنهي، ومعرفة الله، ومعرفة الرسول عليه الصلاة والسلام، والمن والدلائل، والخوف والرجاء، والولاية والعداوة.

ندين لله بعشرين صلاة : ثمان منهن فرض، واثنتا عشرة منهن سنة، فالفرض : الصلوات الخمس والوتر(٩) وصلاة الجمعة والحج من استطاع اليه سبيلا(١٠) ، والسنة : ركعتان قبل صلاة الفجر ، وركعتان بعد المغرب، وصلاة العيدين، وصلاة الميت(١١) ، وقيام شهر رمضان، وصلاة الكسوف والخسوف، وصلالة الزلزلة ، وصلاة مقام ابراهيم عليه السلام، والسجدة، والصلاة على النبي عليه السلام وهي الرحمة(١٢) .

الناس على ثلاثة أوجه : مسلم ، ومنافق ، ومشرك .

والولاية على أربعة أوجه، وقيل سبعة : ولاية المسلمين جملة، من عرفناه ومن لم نعرفه، الحي منهم والميت، والانس والجن، وولاية المعصومين، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم، وأوجب لهم الجنة، فتجب علينا ولايتهم ونشهد لهم بالجنة، فهم عشرة من الرجال وعشر من النساء :

فاما الرجلا : فالأنبياء والرسل، والقسيسون والرهبان، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وقوم يونس، وسحرة فرعون، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون .

وأما النساء : فحواء (عليها السلام)، وسارة امرأة ابراهيم (عليها السلام)، ورحمية امرأة أيوب عليه السلام، وآسية امرأة فرعون (عليها السلام)، ووفية ماشطة ابنة فرعون، وحية ومية، وزليخا امرأة يوسف (عليه السلام)، ومريم بنت عمران (عليها السلام)، وخديجة رضي الله عنها.

أما الولاية في ذاتها : فالود بالجنان، والثناء باللسان، فان قيل لك : بم

(٧) انظر ترجمته في الملحق .
(٨) انظر ترجمته في الملحق .
(٩) الصحيح في المذهب أن الوتر سنة واجبة وليست بفرض .
(١٠) جعل الحج صلاة، أمر مشكل اذ هو عبادة مستقلة .
(١١) الصحيح أن الصلاة على الميت فرض كفاية وليست سنة .
(١٢) اعتبار السجدة والصلاة على النبي صلاة شرعية على الحقيقة فيه تجوز .

تجب ؟

فقل : بالعمل الصالح .

وعلى من تجب ؟

فعلى ذي الهيئة الحسنة، ولاتجب الا لمن علم منه خير وهو المستحق بها. فان قيل لك : من يثاب عليها ؟.

فقل : المتولي لمن ذكر. وقيل : يثابان معا. فمن تولى من لاتجب له الولاية فقد كفر، ومن أخرها بعد وجوبها فقد كفر.

وضد الولاية البراءة، وضد البراءة الولاية. فاذا وجبت الولاية لم تسقط الا بالبراءة، وتجب علينا ولاية أنفسنا، وذلك بالتوبة والاقلاع من الذنوب. والمسلمون انما تجب ولايتهم بالوفاء في الدين، وولاية الله عز وجل لعباده معرفته بهم ومعرفة مالهم، ومنازلهم في الجنة، وولايةالعباد لله فالقبول، وولاية الأشخاص تجب باربعة أوجه: أن تقبل الأذنان ماسمعتا، والعينان مابصرتا ويوافقهما القلب على الشريعة .

ومن لم يوال بعد هذه الوجوه كلها، فقد كفر، كفر نفاق.

وولاية البيضة ، فالسلطان العادل ، فالواجب علينا ولايته، وولاية كتابه، ووزيره، وخزانه، وجميع ماكان تحت لوائه من المسلمين، وولاية من رجع من أهل الخلاف الى أهل الصواب، اذا كان ورعا في دينه، وولاية من رجع من الشرك الى الاسلام، وولاية أطفال المسلمين. وأما أطفال المشركين والمنافقين، فالوقوف فيها. وأما أطفال عبيد المسلمين، ففيهم قولان.

والبراءة على أربعة وجوه، وقيل ستة:

براءة الكفار جملة ، من عرفناه ومن لم نعرفه، الحي منهم والميت، من الجن والانس.

وبراءة أهل الوعيد، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأوجب لهم النار، فالواجب علينا أن نبرأ منهم ونعلم أنهم من أهل النار، وأهل الوعيد هم : هامان وقارون وفرعون وثمود وامرأة نوح وامرأة لوط.

وبراءة الأشخاص، كل من رأينا منهم شرا تجب علينا براءته والقصد اليه بها.

وبراءة السلطان الجائز وكاتبه ووزيره وخازنه، وأما من كان تحت لوائه فلا، لأنهم ربما كان فيهم مسلم ولازمهم تقية على نفسه. وبراءة من

رجع عن الاسلام الى الشرك، ومن أهل الصواب الى الخلاف.

فصـــل

كل من يعلم الملل الستة ولم يعلم الحكم فيهم، فهو كمن لايعلمهم، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه، فقال عز من قائل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾(١٣).

فالحكم في المؤمنين: أخذ الصدقات من أغنيائهم، ووضعها في فقرائهم، فان كانت فيهم فئة باغية تدعى الى ترك مابه ضلوا عن سواء السبيل، فان تركوه تركوا، وان لم يفعلوا سفكت دماؤهم وبريء منهم، فان غلبت عليهم فئة المسلمين ولهم ماوى ياوون اليه ويلجاون اليه، قتل جريحهم واتبع الفار منهم، وان لم يكن لهم ماوى ياوون اليه ويلجاون اليه لم يتبع هاربهم ولم يقتل جريحهم. وأما سلاح البغاة فيرد اليهم، وقيل : تدفن. قيل : تباع ويتصدق بثمنها على الفقراء الذين شهدوا القتال، ويرون (١٤) منهم بذلك .

والحكم في أهل الكتاب : أن يدعوا الى التوحيد، فان جاءوا به، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ماعلى المسلمين، وان لم يأتوا به، فليدعوا الى الجزية بالذل والقهر بالهوان، فان استكانوا لذلك ودفعوا حرمت دماؤهم وأموالهم وسبي ذراريهم، وحل للمسلمين أكل ذبائحهم ونكاح الحرائر من نسائهم، وان لم يستكينوا لذلك ولم يعطوها حلت دماؤهم وأموالهم وسبي ذراريهم وحرم أكل ذبائحهم ونكاح الحرائر من نسائهم. ويجب على كل بالغ منهم صحيح العقل عشرة دراهم ، ويزاد على النصراني درهمان.

والحكم في المجوس : أن يدعوا الى التوحيد فان جاءوا به فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعلى المسلمين. وان لم يدعوا به، فليدعوا الى الجزية بالذل والقهر والهوان، فان استكانوا لذلك ودفعوها حرمت دماؤهم وأموالهم وسبي ذرارهم، وحرم أكل ذبائحهم ونكاح الحرائر من نسائهم سواء أعطوا الجزية أو لم يعطوها.

وأما الوثنية فانهم يقاتلون ولا يقبل منهم الا التوحيد أو القتل، وتحل دماؤهم وأموالهم وسبي ذراريهم ماخلا قريشا خاصة، فانهم يحاشون من السبي بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام .

---

(١٣) سورة الحج : ١٧ .

(١٤) لعل الصواب : ويبرؤون .

فصـــل

جملة مـاأنزل الله من الكتب على أنبيـائه مـائةكتاب وأربعة كتب: منها خمسـون على شـيث بن آدم عليـه السلام، وثلاثون على ادريس، وعشرة على ابراهيم، وعشرة على مـوسى قـبل التـوراة، وأربعـة كـتب قيمة هي : التوراة لموسى، والانجـيل لعـيسى، والزبور لداود، والقـرآن لمحمد ﷺ عليه وعليهم أجمعين .

وجملة الأنبـياء : مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفا(١٥) : فالمرسلون ثـلاثمائة وثلاثة عشر، وأهل الكافـة (١٦)منهم سـبـعـة : آدم ونوح وابراهيم ومـوسى وعـيـسى وداود ومحمـد ﷺ. وأربعـة منهم بعـثـوا بالسيف: داود ويـوشـع ومـوسى ومحمـد ﷺ. وأربعـة منهم لم يمـوتوا الى الآن: عـيـسى وادريس في السماء، والخضر والياس في الأرض.

قـال المؤلف : في هذا نظر، مـاوردت به الأخـبار عن النبي ﷺ في الخضر وعـيـسى وغيره : «لو كـانوا أحياء لزاروني، وما وسعهم الا اتباعي». وقال عليـه السلام : «لا نبي من بعدي»(١٧) ، وكـفى بالقـرآن حجة لقول الله عز وجـل : ﴿مَّاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١٨) ، فلا نبي بعد نبينا محمد ﷺ.

رجع الى السيرة : ومن له اسمان أربعة : يعقوب وهو اسرائيل، وعيسى وهـو المسـيـح ، ويـونـس وهو ذو النون، ومحمـد وهو أحمد ﷺ وعليـهم أجمعين.

ثلاثة منهم سريانيـون : آدم وشيص وادريس. الأجداد منهم ثلاثة: آدم ونوح وابراهيم عليهم السلام . شعرا (١٩) :

أولو العزم ونوح والخليل كلاهما ** وموسى وعيسى والنبي محمد

السنة على وجـهين : مـافـعله النبي ﷺ، ولم يامر به فهو نافلة، والعمل به فـضـيلة، وتركـه لاعـقـاب فـيـه، والسنة التي فعلها وأمر بها العمل بها

(١٥) التـحقيق في المسألة أن تحديد عدد الأنبياء والمرسلين مصادم للنص القرآني، لقوله تعالى في سورة غافر ـ الآية ٧٨ ـ : ﴿مِنهُم مَّن قَصَصنَا عَلَيكَ وَمِنهُم مَّن لَّم نَقصُص عَلَيكَ﴾، وأي تحديد لعددهم فهو تخصيص للآية، والتخصيص لايثبت الا بدليل ، ولا دليل هنا .

(١٦) المرسلون الى الناس جميعا .

(١٧) أخرج الحديث مسلم وأحمد .

(١٨) سـورة الأحزاب : ٤٠ .

(١٩) لعل الصواب : وقيل شعرا .

فريضة، وتركها يعاقب عليها.

الكفر على وجهين : كفر نفاق ، وكفر شرك.

النفاق على وجهين : نفاق خيانة، ونفاق تحليل وتحريم.

الشرك على وجهين : شرك جحود ، وشرك مساواة.

الايمان على وجهين : توحيد ، وغير توحيد .

التوحيد على وجهين : قول وعمل ، لايسع جهل التوحيد ولاتركه، ولا يسع جهل الشرك ولا فعله .

الالزام على وجهين: موسع ومضيق، فالموسع أول أوقات الفرائض، والمضيق آخر أوقاتها .

الأمر على وجهين : توحيد ، وغير توحيد .

ويقال : والى الله المسلمين ووالوه. ومعنى والى الله المسلمين : أوجب لهم الثواب، ووالوه: عملوا بما أمرهم به. ولايقال: والى الله نفسه. ولا: لم يوالها.

وعلينا أن نعلم أن لله جملة الملائكة، ونقصد الى جبرائيل ونواليه، ونعلم أنه رسول رب العالمين الى محمد عليه الصلاة والسلام، جاءه بالدين والقرآن والاسلام، ونواليهم بالترحم دون الاستغفار، ونوافق لهم مايوافق طبائعهم وصول الهدايا(٢٠) للمسلمين، ووصول العقاب للكافرين.

ومن دعا للملائكة بالجنة أو قال : ثوابهم الجنة، فقد كفر، ومن قال : ذكور واناث، فهو مشرك، وهل يقال لهم : رجال. وقيل : ذلك يقتل. قيل: جائز. قال الله تعالى : ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾(٢١) ، قيل: هم الملائكة. وقيل: قوم فيهم عجب. وقيل: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. وقيل: قوم أدانوا دينا من غير اسراف. وقيل : قوم خرجوا الى الجهاد من غير اذن آبائهم.

وعلينا أن نعلم أن لله جملة المسلمين ونواليهم. وقال يونس بن زكريا (رحمه الله): علينا أن نعلم أن كل جملة غير أخرى ، والملائكة جملة والانس جملة والجن جملة، ومن لم يعرف ذلك فهو مشرك، وعلينا أن نعلم أن الأنبياء كلهم آدميون، وأنهم من نسل آدم عليه السلام، فان قيل: علينا ان نعلم أن شرائعهم متفقة أو مختلفة؟ فقال : ليس علينا ذلك.

ومن قال : لا أعرف آدم عليه السلام. فهو مشرك، ومن قال : ليس من معرفته شيء، فدعه، ومن قال: لا أعرف محمدا عليه السلام، فهو مشرك، ومن

---

(٢٠) كذا في الأصل : ولعل المراد : الأجر والثواب .

(٢١) سورة الأعراف : ٤٦.

قال: ليس علي من معرفته شيء، فقد كفر ونافق.

وسمي آدم آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، وسميت حواء حواء، لأنها خلقت من ضلع آدم القصير اليسرى(٢٢) .

ويستحب معرفة أحد وعشرين ملكا: أربعة يختلفون على ابن آدم بين الليل والنهار، واثنان مزكيان لأعمال بني آدم، وثمانية حملة العرش، ومالك خازن النار، وجبرائيل وميكائيل واسرافيل واللوح المحفوظ وملك الالهام ، والله أعلم .

الأشهر الحرم أربعة: أحد فرد، وثلاثة سرد، فالفرد : رجب، والسرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، أربعة وعشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشرة أيام من ربيع الآخر.

أشهر الحج : شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة، وقيل: عشرون يوما منه. وقيل : ذو الحجة كله. الأيام المعلومات: عشرة أيام قيل يوم النحر، والمعدودات : ثلاثة أيام بعد يوم النحر. واختلف في يوم النحر، هل هو من المعلومات، أو من المعدودات؟ فقال قوم: من المعدودات. وقال قوم: من المعلومات، وقال قوم: معلوم ومعدود.

وعلينا معرفة الكبائر، وفرز مابينها: اللواتي للشرك، واللواتي للنفاق. فالكاذب على الله منافق، والمكذب بالله مشرك، الكاذب على من قال: ان الله أنزل كتابا وهو لم ينزله أو بعث نبيا وهو لم يبعثه، والمكذب بالله من قال: ان الله لم يبعث نبيا وهو مبعوث، أو أنكر ماأنزل الله من الكتب على أنبيائه.

فمن أنكر من الأنبياء واحدا، أو من الكتب حرفا فهو مشرك، والاشك في شركه ليس بمشرك ماخلا آدم ومحمدا عليهما السلام، لايسع جهل معرفتهما. فمن لم يعرفهما فهو مشرك، والشاك في شركه مشرك، والشاك في الشاك مشرك الى يوم القيامة.

وليس منا من قال : ان أسماء الله محدثة مخلوقه. ولا من قال: ان أبا بكر وعمر من الأنبياء، ولا من قال : ان مامن (٢٣) يجتمعان في سيرة واحدة. ولا من زعم أن الهجرة باقية بعد فتح مكة، ولا من قال : ان أهل القبلة في الولاية جميعا. ولا من قال: ان جميع من يحل دمه يحل ماله. ولا من قال : ان علم الديانة يدرك بغير تعليم. ولا من زعم أن الامامة ليست بواجبة، ولو

---

(٢٢) الصواب : الأيسر .

(٢٣) لعل الصواب : ان امامين .

كانت شروطها(٢٤) ، وولاية المسلمين توحيد، والأمر بها والتقرب والاستحلال توحد، والانكار لها والتخطئة والجهل شرك.

خمسة من لم يعرفها فهو كافر حقا: معرفة المعبود، والرضا بالموجود، واقامة الحدود، والصبر على المفقود، والوفاء بالعهود.

تمت السيرة التي عن أهل المغرب (رحمهم الله).



(٢٤) كذا في الأصل ، والمراد : ولو كانت شروطها متوفرة .

سيرة أخرى تعد عن الشيخ القاضي سليمان بن القاسم المغربي النفوسي (١) (رحمه الله) الى المشايخ من أهل المشرق (رحمهم الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وخليله، أما بعد ،

فاهدي سلاما قد تحلى بحلل المجد في أعلى المراتب، ويرفل في برد الفخر من أسنا المواهب، تخامره المودة الصافية، والمبرة الوافية، يهتدي به الضليل، ويشتفي به العليل، لجمع ممن (٢) يرد عليهم من الاخوان رسول الخلد، ممن يلونهم من الأخدان من ظاعن وقاطن، ممن تمسك بالحبل المتين، وسنة الأمين، سالكا للمحجة الواضحة النيرة، عادلا عن السبل الموبقة المضلة، دائبا بما دار به القرآن والسنة الاجماع، مما يشتمل على أنواع الافراد والتنزيه، قطعا نابذا لفنون الالحاد والتمويه، صدعا ممن أغنى شماع أنوارهم وسطوع مناقبهم عن تعداد أفعالهم، وذكر أخبارهم، خاليا وحاليا من أهل النحلة الاباضية، والدعوة الراسبية (٣)، كائنا ماكانوا ومحلا ماحلوا، ويعين من مست الحاجة الى تعيينه، ودعت الحاجة الى تخصيصه من الأهلة المقمرة، والأجنة المثمرة، أهل الروضة العمانية، الذين هم ذو الهمة السماكية(٤) ، سلاما سرمديا، متصلا أبديا، يروح ويغتدي عليهم مالاح ابن ذكاء نور على القلل، ومانهمر شآبيب السواري على التلل، عم الله بعاجل العذاب وآجله قاتلهم(٥) وكائدهم، وأرغم أنف شازرهم(٦) وحاسدهم .

---

(١) انظر ترجمته في الملحق .
(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : لجميع من .
(٣) الراسبيه : نسبة الى عبدالله بن وهب الراسبي، انظر ترجمته .
(٤) ذو همة سماكية : أي همة عالية علو السماك، وهو نجم مثل في العلو.
(٥) لعل الصواب : قاليهم.
(٦) لعل الصواب : شانئهم .

يمر سلامنا بأسافلها، مرتقيا لأعاليها، مر العهاد الوسمية(٧) ، والبواكر العينية(٨) ، من الجو وضنك وبهلة ونزوى والرستاق وسمائل وازكي وغيرها من البلاد والقرى، أظلهم الله بغمائم العافية، وأسبل عليهم من منحائه السلامة، وعليك بالشيخين البارعين والفطنين الناميين: الشيخ محمد ابن عمر النزوي(٩) ، والشيخ مسعود بن هاشم البهلوي(١٠) ، ومن لاذ وأنزر بهما (١١) ، اذ هما قطب الرحا، وغاية القصوى، للصلادة والصلابة في دين الله، واقامة حدوده، آمرين بالمعروف، ناهيين عن المنكر، على عدل الكتاب والسنة واجماع الأمة، دوام الأضحيان(١٢) ، ودوران الملوان(١٣) ، لا تنثني عن ذلك أعطافهما، ولايولون له أدبارهما، ساعة مافي الحالي والحالي(١٤) .

هذا ، وأقول مستلطفا مستعطفا: ان الذي أوجبه اليكم، لازلتم عن صحائح العقائد والعزائم، مارأينا من عتو الزمان وكبوه، ومآوما اليه قسط حاليه مما يدل عن مشائم آتية، اذ المعهود منه التنكيس والتعكيس، فشانه عهد خلوب ووعد عرقوب(١٥) ، ان أحسن ندم من حينه،وان أساء أصر على اساءته، لايدوم على حال، ولايخلو من محال، هذا حسا لا حدسا، وهو الذي أودع الأشجان في الأكباد، وأسهر الأجفان عن الرقاد، وكادت الأرواح أن تبين عن أجسادها، والمرضعات عن مراضعها وأولادها.

هذا ، وقد تخيم بجوره على الديار المصعبية والمحال المزابية، وأفردهم من بني الجنس قهرا واستيلاد باستسفال الأعالي، وقلبها على غير وجهها الذي خلقت، وأساسها الذي عليه بنيت وأسست، وأعقب المضض والحرض. ومآخصني فيه بالعرض نفسا لدهر، فدري الأحباب بالكسد والأصحاب بالكمد(١٦) . فالصنع منه لجون(١٧) ، والخالص من أجون(١٨) ، عياذا بالله من

---

(٧) العهاد الوسمية ، أو العهادة الوسمية : مطر الربيع الأول .

(٨) البواكر العينية : لعل الصواب : البواكر الغيثية: والباكور هو المطر في أول الوسمي، والمعجل الادراك من كل شيء.

(٩) انظر ترجمته في الملحق .

(١٠) انظر ترجمته في الملحق .

(١١) أنزر : تقلل ، وجد الشيء قليلا .

(١٢) الأضحيان : الضحى في الصيف، والضحى في النهار.

(١٣) الملوان : الليل والنهار .

(١٤) الحالي : في اللغة ، اسم فاعل من حلى، ومن النساء ذات الحلي .

(١٥) عهد خلوب ووعد عرقوب : مثل لعدم الوفاء .

(١٦) الكمد : الحزن الشديد ، تغير اللون وذهاب صفائه.

(١٧) لجون : حران ، لجن البعير لجونا.

(١٨) أجون : تغير الشيء ، أجن الماء : تغير طعمه ولونه .

سطواته، واعتصاما به من هنات عجائم(١٩) نقماته.

هذا ، وقد رثت حبالهم، وانهدت جبالهم، وقصت قوادمهم، واجتثت شفاههم، لما دارت عليه دوائر الغلابية، ومشائم صدائمة الغواشية(٢٠) ، ولله الأمر والقضاء، وبه لياذا من سؤاله الرضا، بانزواء العلم عنهم وانطوائه، بتودع حملته وانقباضها، واستيلاء الجهلة واقبالها، فالتبك الأمر وأحتلك، فصاروا في العلاجم والطلائم يختبطون، وفي مهامه الغي والردى يتحيرون، قبحه الله من عصر ماأسمجه، ومن دهر ماأخبثه، فمخادنته مخالبة، ومسايرته معاطبة، فهو أبدا مبني على الاعوجاج، وماء بحره أجاج، وعبوره ثجون(٢١) ، وصروفه شجون.

وحاصله : أنه لم يزل بنا أهل ديار بني مصعب(٢٢) . ماكرا ناكرا عابسا بائسا، ماضي الصوارم في أجسادنا، وأسعر نار الاكتئاب في أكبادنا، حتى استهتك سترنا، واستفشى شرنا، واستنقد الأسد، واستدمث الصلد(٢٣) ، واستمكن المناوي سؤله من المطلوب، واستظفر منه نبيل كل مرغوب.

هذا ، وقد ترك الذود منتشرة نافرة(٢٤) ، ومشمئزة نايرة(٢٥) ، في ليلة ماطرة ريحية، في غوضة مسبعة(٢٦) مؤذية، وقد حيل بينها وبين راعيها ببوائق العوائق(٢٧) ، وامتداد العلائق.

هذا ، وأدهى ماكان ، وأشجى مايكون ماهو متوقع ومترقبوه(٢٨) مما هو مسموع غير منكور في سالف الدهور، على عهد الرسول ﷺ من قول مسطح(٢٩) ، أفتهم قلة المطر وبيت الشعر، عياذا بالملك الخلاق، وقد فشى ذلك فينا حتى أضرح الجرح(٣٠) واستحب المزح، واشغل الخلب(٣١) الحلو، وأعقب الغث الصفو هل. وقد أمهلتم، بل أهملتم ماعليه السلف الصالح فينا

(١٩) عجائم : ابتلاءات واختبارات.
(٢٠) مشائم صدائمة الغواشية : مايؤلم من الخطوب والنوازل.
(٢١) ثجون : الغلظة والحزونة .
(٢٢) ديار بني مصعب : الاسم القديم لوادي ميزاب بجنوب الجزائر .
(٢٣) الصلد : الأرض الصلبة الشديدة .
(٢٤) نافرة : شاردة وأصلها نفر البعير اذا شرد .
(٢٥) نايره : ثائرة.
(٢٦) مسبعة : كثيرة السباع .
(٢٧) العوائق : المثبطات المهلكة .
(٢٨) لعله : مرتقب .
(٢٩) انظر ترجمته في الملحق .
(٣٠) أضرح الجرح : أفسده بعد أن كاد يندمل.
(٣١) الخلب : السحاب يبرق ويرعد ولا مطر فيه: البرق الطمع المخلف، يكون مثلا لمن يعد ويخلف.

من المعاهدة بالمكاتبة والمناصحة والمخاطبة والمشافهة، وتركتمونا سدى هائمين في أودية التضييع والتفريط دائبا دائما في تحصيل الخردقة وماتقام به الأصحاب عن معاهد ذوي الألباب.

فبينما نحن في حين الوحشة، اذ أتاح الله لنا بقدوم الحاج الشاب المكرم النزيه المعظم الحاج عمران(٣٢) علينا، فانفسح بقدومه ماقد ضاق، وابتهج لبزوغه ماقد صوح (٣٣) فانجلى به مابالعين من العشا والقذى(٣٤) ، وما بالجسد من الداء والأذى، فلما ألم بنا والحال لا حال والأيام لا أيام، أيام هوش ودهش وهواش(٣٥) واشتباك والتباك، فاستهتهنا (٣٦) واستراددنا بالحافرة(٣٧) استعصافا واستعجالا لما يفيض علينا من سحائب فضلكم وغمائم نولكم، واستشفاء لما بنا من العياء، وماحل بنا من اللوى(٣٨) ، فتجهز مسعدا مستعدا عازما على المطلوبة منه، راغبا في المرغوب فيه، مع مأودع فينا من الوحشة منه بعد الاستئناس بمطالعته، والاستكان بمجاورته ومحاورته، فابتعد والدموع منا سائلة على الخدود، والأشجان متراكمة على الكبود، بالحنين المذيب للجلامد، والبكاء المصدع للصلائد، فالله الله سادتنا نوروا بصائرنا ضياء بواصرنا(٣٩) ، ارحموا بكاءنا كما رحمنا بكاءه بتسريحه مع مأودع فينا بطيب صفي الود، نافق ناصح، عالم باسرار الطبائع، مفحص عن دخيل الدواء، يحوذ شكل داء، فانا مترقبوه من تلقائكم، ترقب الرضيع من مرضعته، ومتيقن الشفاء من علته، أغيثونا اخواننا بالعجلة فانا على شفا، باختلاف القلوب، والآراء واشتباك الأمور والتباسها، واستيلاء الأهواء واقتفائها.

هذا، وقد خيف الانفلات ان لم تعاجلوا استرداد النافرة، والمشمئزة الهائمة.

هذا، ولا أقوى ـ ان شاء الله ـ أن أقدم على اساءة الظن باهل الغبيرة(٤٠)

---

(٣٢) انظر ترجمته في الملحق .
(٣٣) صوح : تشقق وانهدم .
(٣٤) القذى : مايقع في العين مايضر بها من تراب ونحوه .
(٣٥) هواش : اضطراب .
(٣٦) استهتهنا : طلبنا الشيء بصورة متواصلة. أصله من الهتن وهو المطر الدائم فوق المطل
(٣٧) الحافرة : الخلقة الأولى والحالة الأولى :
(٣٨) اللوى : الخصاصة والحاجة .
(٣٩) بواصر : مفردها باصرة وهي العين.
(٤٠) أهل الغبيرة : لعله الغبيراء وهي بلاد عمان .

والاباء.. والسنة والعزيمة، الا ما استحسن الحال من التهديد والتشيع وقلة الوثوق بالامارة بالسوء مع مايدعو اليه الزمان من الأود والتعكيس والتنكيس، ومايسعر في الأجواف من المضض والحرض، ومايزلزل من الوجف والرجف، واستطماع الذين في قلوبهم مرض، من أهل الالحاد والزيغ.

سادتنا، هذا لازالت مايشوش عليكم، والا فقد خيف الخيف. العجلة ثم العجلة، وقال الجليل جلا جلاله : ﴿قُوا أَنفُسَكُم وَأَهلِيكُم نَاراً﴾(٤١) ، وقال أيضا ﷺ فيما يحكى عنه : «من رد لي شاردا كتبته ابزيريا»(٤٢) ، واذا قناتنا تشعبث من دوحتكم ، وعيوننا من سواحل بحوركم نبعت، وفضلكم على الغير كفضل الشمس على السها(٤٣) ، كيف لا، وقد قال ﷺ: «الصخرة لأهل عمان»، تواترا غير منكور؟ ومما ذلك الا لتحقق المذهب والعقيدة واضلاعه(٤٤) على صحة الأمر حاصلة بعد اضمار كل مسرة، واعتقاد كل مبرة، تحقيق النظر في المضمون المطلوب، والاعراض عما وراءه من الكتابة والألفاظ، بل ربما يعرب ويفصح ويستنهج السبل المشوبة بالابر، والمهايع(٤٥) المسدودة بالزبر، بالاهمال والاغفال وترك المعاهدة.

اخواننا سنة من مضى، لازلتم على الرضا.

تمت السيرة التي عن أهل المغرب (رحمهم الله).



---

(٤١) سورة التحريم : ٦ .

(٤٢) أبزيريا: جاء في القاموس، الأبزاريون: جماعة من المحدثين والحديث لم أعثر عليه بهذا اللفظ.

(٤٣) السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

(٤٤) لعل الصواب : اطلاعه .

(٤٥) المهايع : مفردها مهيع وهو الطريق الواسعة والواضحة .

جـواب أهل عمان الى أهل المغرب وغيرها من نفوسة، صادرا عن الشيخ الفقيه محمد بن أحمد الخراسيني النزوي(١) (رحمه الله) من امام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي (٢) (رضي الله عنه) :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم

إلى امـام المسلمين وقـاضيهم في الدين سليمان بن أبي القاسم(٣) (رحمه الله).

الحـمـد لله الملك الحـمـيـد، المبديء المعيد، الفعال لما يريد، منجز الوعد، ومـثـبت الوعـيـد، فكل من في السماوات والأرض له عبيد، ذي البطش الشديد، والقـول السـديد، العـالم بمـغـيـبات الضمائر ، ومايجري من تغلب الأزمنة، ودوران الدوائر، ومـاكـان ومـايكون مـا لايكون ، أن لو كان كيف صائر، كما علم من الصغائر والكبائر، مجرى الدهور ، ومدبر الأمور، ومقدر المقدور، كما شـاء وعلم، سـبـحانه الملك الغفور، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونَ﴾(٤) ، فـتـدبـرت عـنـد ذلك أرباب العـقـول، وتفكرت فـيما شـاهدته أبصـارها، وأكـدت فـيـه بعين بصائرها من خلق سماواته وأرضه ومابينهما وما فيهما من لطيف عجائب صنيعها، وليله ونهاره وجميع مايشاهدونه من آيات الله مـاتحـار فـيـهـا عقول ذوي الألباب، فعملوا عند ذلك علما يقينا مما يـنـفـي الارتـيـاب، أنما خـلـق الله ذلـك الا بالحق، ﴿لِنَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾(٥) ، ﴿لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(٦) ، يعلم مـانـاى منا ومـادنا، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ

---

(١) انظر ترجمته في الملحق .
(٢) انظر ترجمته في الملحق .
(٣) انظر ترجمته في الملحق .
(٤) سورة يس : ٨٢ .
(٥) سورة طه : ١٥ .
(٦) سورة سبأ : ٣ .

بِالحُسنَى﴾(٧) ، فكم قلب لله شاكر، ولسان ذاكر، وعين باكية بدموع واكفة(٨) ، فارقوا الأهل والأصحاب، وألفوا المحراب، قلوبهم من الله وجلة، ونار الوعيد في أكبادهم مشتعلة، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللهِ وَرِضوَاناً﴾(٩) ، ﴿أُوْلَئِكَ حِزبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ﴾(١٠) ، أوفوا بعهودهم، فانجزهم الله موعودهم، فمضوا لسبيلهم وانقلبوا الى أطيب مقيلهم، فهم في الجنات الخالدون، يحييهم الجبار بملائكته الأبرار ﴿سَلاَمٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدَّارِ﴾(١١)، أولئك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله، يعملون بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلامه. فلما أكمل الله منه دينه(١٢) ، وبين حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وجميع ماتعبد به عباده ومايتقون، قبضه اليه ﷺ، فخلف عليهم القرآن اماما اليه يرجعون، واليه ينتهون، لقول الله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَاوِيلاً﴾(١٣) .

فجميع مافي القرآن من وعده ووعيده، وحلاله وحرامه، وجميع مانطق به محكم غير منسوخ، سوى حرفين يجري عليهما النسخ: الأمر والنهي، ولايجوز على الله الانقلاب في شيء من الأشياء الا لعلمه بمنافع العباد ومصالحهم من أمره في التشديد والتخويف والتخفيف في الأمر والنهي، لما يؤول إليه من منافعهم.

فالقرآن إمامنا، وأصل ديننا، وأساس مذهبنا، نحتج به إن شاء الله على من فارقنا، فقد قامت الحجة، واتضحت المحجة ، وليس لمحتج بتاويل الضلال حجة، لأن القرآن هو الأصل والتنزيل، ومابعده من العلم تفسير له وتاويل ، ﴿لاَّ يَاتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٤) ، على نبيه محمد ﷺ بايدي السفرة الكرام، وكان ﷺ يلقنه الصحابة، فمات ﷺ وهو متلو مجموع محفوظ، لقوله تعالى : ﴿بَل هُوَ آيَاتٌ

(٧) سورة النجم : ٣١ .
(٨) واكفة : وكف الدمع ، سال قليلا قليلا .
(٩) سورة الفتح : ٢٩ .
(١٠) سورة المجادلة : ٢٢ .
(١١) سورة الرعد : ٢٤ .
(١٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : به دينه .
(١٣) سورة النساء : ٥٩ .
(١٤) سورة فصلت : ٤٢ .

بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾(١٥) .

ثم بعد النبي ﷺ، بايع المسلمون لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، لكرامته وعلو درجته وأول بصديقه(١٦) ، فسار بسيرة نبيه (رحمه الله)، ومات والمسلمون عنه راضون، وله مجامعون ومؤازرون، وهم الحجة التامة، أمناء الله على خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعلى آله.

ثم بايع المسلمون لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فاقام فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فمضى على سبيل صاحبيه، لابدل قليلا ولا غير قبيلا، فارق الدنيا والمسلمون عنه راضون، وهم حجة الله بعد نبيه محمد ﷺ، لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(١٧) .

ثم بايع المسلمون لعثمان بن عفان، لاتفاق رأي الستة النفر الذين هم أهل الشورى(١٨) ، وبايعوا لعلي بن أبي طالب بعده باجتهاد فيهما لله وللمسلمين وللقضاء السابق، فالله أعلم بما كان من أمرهما، وبما مضى من حالهما، لمغيب أمرهما، وانقطاع زمنهما، وتخفيف المحنة في البحث عما آل اليه أمرهما، ولانقطاع الوحي عنا، لأنا لانقلد ديننا الأخيار، ولانشهد بما وردت به الآثار، لأحد بجنة ولا نار، الا من شهد له رسول الله أو نبي كريم على الله، أو آية من كتاب الله، ولكن قولنا فيهم قول المسلمين، ورأينا رأيهم، ولينا وليهم، وعدونا عدوهم.

نتولى امام أهل النهروان عبدالله بن وهب الراسبي، وهم حجة الله وعلماؤنا وأئمتنا (رحمهم الله) وأهل النخيلة، ومن يدين بدينهم وسار بسيرتهم من بقية الصحابة والتابعين مثل : عبدالله بن العباس، وأبي عبيدة مسلم، والربيع بن حبيب، وجابر بن زيد، والمرادس بن حدير، وقرير، والزحاف، وعبدالله بن يحيى طالب الحق، وجعفر بن السمان(١٩) ، والمعروف بالفضل والعلم عبدالرحمن الفارسي المغربي، وأولاده عبدالوهاب، وأفلح، ومحمد بن أفلح(٢٠) ، فهؤلاء ائمتنا من أهل المغرب.

وعبدالله بن اباض، ومحبوب بن الرحيل، ومحمد بن محبوب، وسعيد

(١٥) سورة العنكبوت : ٤٩

(١٦) لعل في الكلام نقصا ، تمامه ، وأول من قام بتصديقه .

(١٧) سورة البقرة : ١٤٣.

(١٨) في الأصل الشروى : وهو تصحيف .

(١٩) الصواب : جعفر بن السماك

(٢٠) انظر ترجمة هؤلاء الأعلام في الملحق

ابن عبدالله بن محمد بن محبوب الامام، وموسى بن علي، وهاشم بن غيلان، وعزان بن الصقر، ومحمد بن هاشم، وموسى بن أبي جابر، وبشير بن المنذر، ومنير بن النير، ونبهان، فهؤلاء ائمتنا في الدين، الذين نقلوا العلم صادق عن صادق، وآخر عن أول، ولو أردنا الاطالة بذكرهم وبما ذكروه من الاحتجاج على من خالفهم بتاويل الضلال، وبما فارقوهم عليه من اقتراف ماعملوا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(٢١) ، لطال الكتاب واتسع فيه الجدال والخطاب، وقد مضى بالحجة الأولون، وكفى بالقرآن حجة، لقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾(٢٢) .

فنحن ندين لله بمفارقة أهل العمى والضلال، ونتقرب اليه بدين العلماء الأبدال(٢٣) ، نتولى الله ورسوله والمسلمين، ونبرأ ممن يبرأ منه الله ورسوله والمسلمون، ديننا دينهم، عدونا عدوهم ، ولينا وليهم، كلمتنا كلمتهم، دعوتنا واحدة، يجمعنا الكتاب والسنة والاجماع، ولانقلد ديننا الرجال، ولاندين بدين آبائنا على الضلال، بل أمرنا الله أن نكون مع الصادقين، فمنا الاجتهاد، وعلى الله توفيقنا لسبيل الرشاد، لقوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢٤)، فحسبنا الله ، وكفى كل ذي لب أن ينظر الى غريزة عقله واخلاص عمله ونيته، فان وجدهن مع الله ، فالله معه، وماتوفيقنا واياكم الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ونحن ، والحق في أيدينا غير دارس ومجهول، ونحن الفرقة الوهبية الاباضية المحبوبية وهي أقرت واستقرت الا ماكان بين المسلمين من الدعاوي ولم ينصب أحدهم بحمد الله على صاحبه دينا الى يومنا هذا، فافترقوا على ماكانوا عليه في ظاهر أمرهم ونحن ان شاء الله مع الصادقين الى يوم الدين .

وأول ماندين لله : بشهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، واحد أحد، فرد صمد، بريء من الصاحبة والولد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢٥) ، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جميع ماجاء به محمد من عند الله فهو الحق المبين مجملا ومفسرا، وندين لله بالايمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة والملائكة والجنة والنار، وأن أهل الجنة في

(٢١) سورة المجادلة : ١٨ . (٢٢) سورة العنكبوت : ٥١ .

(٢٣) الأبدال : مفردها بديل . وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ولايموت أحد حتى يقوم مكانه آخر من سائر الناس .

(٢٤) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٢٥) سورة الشورى : ١١ .

الجنة خالدون، وأهل النار خالدون، لقوله عز وجل: ﴿وَهُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢٦) ، لقوله : ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبُورِ﴾(٢٧) ، ويحاسبهم كما شاء وأراد، و﴿لَايَعزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ﴾(٢٨) ، وهو السميع العليم .

وندين لله بولاية أوليائه، وعداوة أعدائه من الانس والجن، فمن الانس من لدن آدم صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة، وندين لله باقامة الصلاة، وبكمال طهارتها، وتمام ركوعها وسجودها والاعتدال بعد الركوع، والقعود بين السجدتين الى أن نطمئن جالسين، وبايتاء الزكاة وأخذها من أهلها وحقها ووضعها في محلها ومستحقها، تجبي جباة الأئمة أعشار الثمار مما سقته السماء والأنهار، وأمثالها ونصف أعشارها مما سقته النواضح والآبار، ولانقبض صدقة الورق والماشية الا بعد حماية أهلها عاما كاملا من الظلم والعدوان، الا من طاب بذلك نفسا ودفعها للامام، فواسع للامام أخذها من غير جبر، ومن الحروث، قيل في ذلك قولان: أحدهما ، اذا حمى قبل أن ترفع من الدوس، وقيل : اذا استولى على المصر أوان الزرع، وهو على نظر الامام، والامام على نظر العلماء بالله وبايامه وبالزكاة، قيل : من جميع الحبوب. وقيل: من ذوات السنبل سواء ماسواهما من الحبوب. وقيل: من الستة الأجناس، وهي المجتمع عليها.

وندين لله بحج البيت الحرام من استطاع اليه سبيلا، وبصيام شهر رمضان بالصدق والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة الى أهلها وترك الخيانة، وبالنصيحة للمسلمين وهي أجل عرى الاسلام، وهي التي ترد بها الأنبياء على أممها، لقوله تعالى : ﴿وَنَصَحتُ لَكُم وَلَكِن لَّاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(٢٩) ، ﴿وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٣٠) ، مع ماوردت بفضلها الآثار واتصلت بفضلها الأخبار، لأنه كم من ناج بنصيحة أخيه، وأفضل ماش مشى في نصيحة أحد من المسلمين.

وندين لله : بأن نقيم الوزن بالقسط ولانخسر الميزان والمكيال، وندين لله، بالخلود في النار على الاصرار، ولو على مثقال ذرة، خالدا مخلدا أبدا لاغاية

(٢٦) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢٧) سورة الحج : ٧ .
(٢٨) سورة سبأ : ٣ .
(٢٩) سورة الأعراف : ٧٩ .
(٣٠) سورة الأعرف : ٦٨ .

ولا انقطاع. وندين لله بصلة الأرحام والجيران وبر الوالدين والقيام لليتامى بالقسط.

وندين لله بتطهير الأفئدة من الغل والحسد والرياء والعجب والنفاق والشرك والشك وسوء الظن بالمسلمين والعداوة لهم، والكبر والخيلاء وحب الدنيا، وحب الرئاسة والثناء، بل نعبد ﴿اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(٣١). وندين لله بحسن الظن في المسلمين ما أمكن لهم مخرج من وجوه الحق، فان ظهر من أحد ممن له قديم فضل مما تثقل به القلوب وتحقق عليه ذلك من تحقق من المسلمين جاءه بالنصيحة والموعظة الحسنة ولين المقال، فان قبل ذلك فالمنة علينا وعليه من الله، وان رد ذلك روجع، ولايعجل عليه، فان أصر واستكبر ترك تركا جميلا الا من أحدث في الاسلام حدثا أو آوى محدثا أو أحدث فيهم بدعة، فعلى المسلمين تغيير ذلك منه والانكار عليه واظهار بدعته في الخاص والعام ليجتنب ولايمتثل، وذلك بعد النصيحة، لأن النصيحة على المسلمين حق من الله واجب، لأن من ديننا ألا نغتنم العثرة ولا نرد التوبة والمعذرة.

وندين لله بترك الغيبة والنميمة وجميع الفواحش ماظهر منها ومابطن، وندين لله بالأمر والنهي عن المنكر وقتال الفئة الباغية بعد الحجة واظهار الدعوة. والتقدمه لانرمي بسهم ولا جندل ولا غيرهما، الا أن يصاب منهم ويمتنعوا من الرجوع واعطاء الحق الذي لزمهم، فحينئذ يجب لنا قتالهم لانغنم لهم مالا ولا نسبي لهم عيالا، ولانجيز لهم على جريح ثاوا، ولانقتل لهم مدبرا موليا تؤمن أو بته ورجعته، مالم يكن لهم مسند قائم اليه يرجعون.

ونقتل قائد البغاة ولادعوة له، ولانستحق قتل المرأة والطفل والشيخ الفاني الا من أعان البغاة منهم على ظلمهم وعدوانهم، وأما الطفل فلا يقتل على حال الا أن يقاتل المسلمين بيده، ولانولي على البلد الا مرضيا حازما قويا، وان استغنى بعلمه أو بصيرته، ولابد من المشورة، لأنها من شرائط الامامة، والا سال على مايوجد في آثار المسلمين ليكون له حجة ومخرجا ورجاء التوفيق من الله، وقد جعل الله لكل شيء فرجا ومخرجا، لقوله : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِن حَيثُ لَايَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ﴾(٣٢) ، ومن يكن الله كافيه وكافله ووثق بالله، فقد أوتي حظه، الا من

(٣١) سورة البينة : ٥ .
(٣٢) سورة الطلاق : ٢ ، ٣ .

فـر من اليـقين، وهو عليـه مدار الأمور، ومن كان اليقين قرينه والعقل أميره، فنرجو له من الله سعادة الدارين، فطوبى له ثم طوبى له وحسن مآب.

فـهـذه سيرة أئمـتنا الأولين، وسيرة امـامنا ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العـرب بن سلطان اليـعـربي الرسـتـاقي ثم النزوي (رحمة الله عليـه)، وروحـه وريحانه ومـغـفـرته ورضـوانه: عظيم شانه، كـريم مكانه، قـوي سلطانه، عـزيز وجـوده، متواترة سعوده، بالمؤمنين رؤوف رحيم، ليس بفظ ولا غليظ ، كـثير الذكـر، قليل اللغو، لايستنكف أن يمشي مع العبد والمسكين، وهو ملك في زي مـسكين، رؤوف القلب، كـثير الحـيـاء، واسع الصدر، طويل الحـزن عـظيم الرجـاء، قليل المن كـريم الوفـاء، أمين الله، كـاتم السر، كـاظم الغيظ، جليل العطاء، لين الجانب قليل الأذى، سراج الهدى عظيم الرجاء.

تراه حليما ودودا مـصـافيا كريما قائما بأمر الله موفيا بعهد الله ملتمسا رضـوان ربه، قـاطعـا للشـهـوات، غـافرا للعثرات، كاتما للمصيبات، خاشعا منيـبـا، شريف الهمـة ، حـبـيب الفـقراء، غريبا بين أهله، جميل الفطنة، تقي الأتقـيـاء، يعظم الكبير لوقاره، ويقرب الصغير لشدة افتقاره، ويشكر اليسير لـقلة اغتراره، ويرحم الفـقير لرؤية اضطراره، سـهـلا عند المصـاحـبـة، طلق الوجه عظيم الخطر، هيوب المنظر، كثير التبسم، سخي النفس، بطيء الغيظ، رزين العقل، طيب الكلام، واسع الخلق، قليل الملام، ليس بذي سب ولا نميمة ولا غـيبة ولا حسود ولا كذوب ولا حقود، وكاد أن يكون نبيا ورسولا، رحمه الله وغفر له.

سيرته شـاهرة، وسريرته أنبات عنهـا عـلانيـته الطاهرة، يدرس الآثار، ويسأل العلماء الأخـيـار، ليس بمعدوم من الحظ من كان مسيره امام المسلمين وعـالمهم في الدين، ذو الجد الأرفع والصيت والورع والعلم بالله وبايامه، بقية التـابعين وسـيد الآخرين، وهو الغاية في الفضل والكمال، وحيد عصره وكريم دهره أبا عبدالله محمد بن عمر بن أحمد بن مداد(٣٣) (رحمه الله)، ومفتي أهل عمان وعـالمهم في الحـلال والحـلام قـدوتنا في الدين مـسعود بن رمضان(٣٤) (رحمه الله)، وبقـايا المسلمين من اخـوانه الذين اصطفى وارتضى، وهم بحمد الله مـوجـودون غير مـعـدومين، والله تعـالى مـؤيده ووكـيله، وهو له حفيظ وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.

---

(٣٣) انظر ترجمته في الملحق .

(٣٤) انظر ترجمته في الملحق .

وفقنا الله واياكم، معاشر المسلمين، لما يقربنا من درجات المتقين ﴿الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾(٣٥) ، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقتَدِرٍ﴾(٣٦) ، وذلك مما يدل عندنا من كثرة اليقين، والثقة بالله رب العالمين، لانه قليل: من أصلح فيما بينه وبين الله كفاه الله شر مابينه وبين الناس، اذ هو بر رحيم، لايجبر على بيعة ولا قتال، ولاياخذ الناس بالاحن والاغتلال، ولايعاقب بقديم الزمان، ولاياخذ الا بحجة وبرهان، رحيم بالمؤمنين، أينما كانوا، وحيث كانوا، كثير السؤال (رحمه الله).

فلما وصلته كتبكم الكرام، ونظر اليها وتاملها، وعرف معانيها ، وماشكوتم من قلة الراغب في الجهاد، وعدم ذوي البصائر لسبيل الرشاد، وقلة العلماء والمتعلمين، وأهل المغرب كانوا هم أشد قوة وأكثر أموالا ورجالا، وهم الغاية التي لانهاية لها في العلم والعمل، والحث على جهاد أهل العناد، ورثة الأنبياء ومصابيح الدجى بهم نهتدي، والى رأيهم ننتهي، في البلدان مشهورون، وفي الأرض معروفون، تقوم بامثالهم الأرض، وامتلأ بذكرهم الطول والعرض.

فاصبحوا وقد اقفرت منهم الديار، ولم يبق الا ذكرهم في الدفاتر والآثار، تبكي عليهم الأرض وهوامها، وطير السماء ونجومها، ودواب البحر وحيتانها، لأن الله ينزل بهم البركات، ويرفع النقمات، ويرسل السماء عليهم مدرارا، فينبت به الزرع، ويملأ به الضرع، فتعيش دواب الأرض وهوامها، راغدة مسائمة ، ﴿أَمِنَةً مُّطمَئِنَّةً يَاتِيهَا رِزقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾(٣٧) .

فالله الله ، معاشر المسلمين، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، وشدوا بنا ظهوركم، فـ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٣٨) ، فكلنا كانتم، وشكونا الى الله ماشكوتم، فاستجاب دعوتنا، ورحم ضعفتنا، فامدنا بخليفة مرتضى، أظهر العدل، وفك المظالم، ولم يخش في الله لومة لائم، فاظهر الله كلمته، ورفع درجته، وأطاعت الجبابرة له صغرا، واستصغرت له الملوك طوعا وقسرا، فـ﴿سُبحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا

---

(٣٥) سورة النساء : ٦٩ .
(٣٦) سورة القمر : ٥٥ .
(٣٧) سور النحل : ١١٢ .
(٣٨) سورة البقرة : ٢٤٩ .

وَمَـاكُنَّا لَهُ مُقرِنِينَ﴾(٣٩) ، بعـد أن كنا مخذولين، فاصبـحنا غـالبين عـالين، والحـمـد لله رب الـعـالـمين، وصـلى الله على رسـوله النبي الأمي الكريم، وآله الطيبين الطاهرين.

فكونوا عباد الله باولئك مقتدين، وبسبيلهم مهتدين ، ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾(٤٠) ، فنحن إن شاء الله بالله غالبون، ونيتنا أن نملأ الأرض عدلا، والله مع نيات العبيد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومـاكـتـبت لكم شيئا من بعض أصول ديننا الا لتطمئن قلوبكم بنا، انا عـلى نـحلة، ﴿الَّذِينَ اتَّقَـواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحسِنُونَ﴾(٤١) ، فما وجـدتموه مـوافقا لكتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين الصالحين من الأئمة، فهو الحق من الله، فـخـذوه واعـملوا به، ومـاكـان مخالفا فهو مني ومن الشيطان فاتركوه، وردوا مكان البـاطل حـقـا، ومكان الكذب صـدقا وقسطا وعدلا، وردوا جواب خط مـاكـتـبنا به اليكم، وانسـبـوا لنا شيئا من أصول مذهبكم، لتطيب بذلك نفـوسنا ونفـوسكم، ونعلم أنا واياكم على الحق المبين. وأنا اسـتـغـفر الله لي ولكم ولجـمـيـع المسلمين، من جميع الخطا والزلل، وكل قول بلا عمل، مما دق منه وجل، من الخطأ والعـمـد من يوم احتملت الى ساعة افتراغي، أنا أستغفر الله العظيم من كل مـاكان سيئه عند الله مكروها، ولايؤخذ بما كتبته في كتابي هذا الا حـتى يعـرض على المسلمين الا من أبصر عدله، والسلام عليكم معاشر المسلمين ورحمة الله وبركاته . وتسلموا لنا على من حضركم وقدرتم عليه من مـشايخ أهل الدعوة محمودين غير معدودين، من خادكم(٤٢) الأقل، ومحبكم الأكبر سـعـيد بن أحمد بن محمد بن عبدالله النزوي(٤٣) ، بامـر امام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك (رحمه الله).

وان سالتم عن العلماء الذين هم من أهل عمان، أولهم ومـقـدمـهم الذين ذكـرناهما آنفـا الشـيخ محمد بن عمر بن أحمد بن مداد (رحمه الله)، والشيخ مـسـعـود بن رمضان (رحمه الله)، والشيخ محمد بن علي المنحي(٤٤) (رحمه الله)، والشـيـخ مـسعود بن هاشم البهلوي(٤٥) (رحمه الله)، والشـيـخ القـائم

(٣٩) سـورة الزخرف : ١٣ .
(٤٠) سورة آل عمران : ١٨٥ ، سورة الحديد : ٢٠ .
(٤١) سورة النحل : ١٢٨ .
(٤٢) كـذا في الأصل ، ولعل الصواب : خادمكم .
(٤٣) انظر ترجمته في الملحق .
(٤٤) انظر ترجمته في الملحق .
(٤٥) انظر ترجمته في الملحق .

بالحجة العالم بالمحجة خميس بن سعيد الرستاقي(٤٦) (رحمه الله)، فهؤلاء الذين عليهم المدار وأهل الدرجة العليا، ومن دونهم في العلم والمتعلمين كثير، والحمد لله حق حمده.

وغفلنا عن الشيخين الأجلين المعظمين : أحمد بن خلف، وخلف بن محمد الازكويين(٤٧) (رحمهما الله). ونذكرك أيها الخليفة المرضى في الترغيب في الوصول الينا، الى عمان ممن يرغب في الجهاد، أو لوصول الامام، فانه أهل لذلك، ولأمثاله تشد الرحال، عصمه الله ووفقه، فقد بلغنا فيكم من قطع نفسه الا لأمر الآخرة، والحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

«تمت السيرة المباركة»



(٤٦) انظر ترجمته في الملحق .
(٤٧) انظر ترجمتهما في الملحق.

جواب آخر من أهل عمان الى المشايخ من أهل المغرب صادرا عن الشيخ القاضي خميس بن سعيد الرستاقي (رحمه الله) من امام المسلمين وسراج المتقين ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي (رضي الله عنه) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موجد الأشياء بعد الاعدام ، ومخرج الثمرات من الاكمام، ومصور الأمم كما شاء في ظلمات الأرحام، العالم بخفيات خواطر الأوهام، والمتفضل على خلقه بالالطاف والانعام، مبديء الخلق ومعيدها، وخالق البرية ومبيدها، الذي جلت عظمته، وعظمت منته، ودقت حكمته، وعزت كلمته، وعلت قدرته، وعمت بركته، ووسعت كل شيء رحمته، سبحانه من ملك كريم، بر رحيم، شكور حليم، واسع عليم، أحمده حمد من أقر بوحدانيته، وشهد بازليته، وأخلص له العمل بسريرته وعلانيته، وأشكره شكر من رضى بقضيته، وصبر على بليته، واستسلم لأحكامه، واعترف بفضله وأنعامه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، الواحد القهار، الملك الجبار ، العزيز الغفار، أظهر مبتدعات مصنوعاته، وابتدع مخترعات مكنوناته، دليلا للعقلاء ليتفكروا ويشاهدوا معجزاته ويعتبروا. وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، خاتم أنبيائه وامام أوليائه، وصفوته من أصفيائه، عبده النبي ورسوله العربي، أرسله ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١) ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، صلاة موقوفة على التابيد موجبة له النصر والتاييد، مدخرة له عند ربنا العزيز الحميد، مااختلف الثقلان وتعاقب الملوان .

أما بعد ، فهذا كتاب فيه تحية وافرة وألوكة(٢) ظاهرة، ونصيحة زاهرة، من امام المسلمين ونظام المؤمنين، وبقية من تمسك بالدين، سراج الزاهدين، وعلم المجاهدين، وقدوة المجتهدين، ولي الله المامون، وعبده الميمون، الهمام الأبي والأورع الزكي، الرضي المرضى ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن أبي العرب اليعربي المسلم الوهبي، ومن معه من المسلمين، لازالت بمس فضله من بروج السعود، ولا برح ظل عدله على الخلق

---

(١) سورة التوبة : ٣٣ ، سورة الصف : ٩ .

(٢) ألوكة : مصدر ألك يألك ترسل . الألوكة هي الرسالة .

غير مفقود، بحرمة الآيات والذكر الحكيم، والنبي المصطفى الكريم، صلى الله عليه وعلى آله الى المشايخ السادة الفضلاء القادة، دعاة الناس الى طريق السعادة، أهل العلم والزهادة، القائمين بدين الله القويم، والمستقيمين على الصراط المستقيم، المستمسكين بنحلة أهل التحقيق، المخلصين بالايمان والتصديق، الدائنين لله بما جاء في كتابه، الآخذين عن رسول الله بما أفتى به، مصابيح الدجى، ومعالم الهدى، ذي(٣) الحسب الأحسب، والنسب الأنسب، والجد الأغلب، سادة العجم والعرب، اخواننا رجال بني مصعب، سلمهم الله سلامة باقية، وكلأهم حراسة وافية، وأسبل عليهم جميل ستره، واعتمدهم بعظيم عفوه، وغفره، وأمدهم بالنصر والتاييد، وقواهم بالتوفيق والتسديد بحرمة الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله أهل، الفضائل الأوفى، وسلم عليه وعليهم كثيرا .

أما بعد ، فانا نحمد الله تعالى في حالة يحمد عليها، ونستعينه الى القيام لأداء شكرها، ونسأله المزيد من فضله العظيم، ونيل ثوابه الجسيم، ونوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، ولزوم طاعته، والمسارعة لمرضاته، فانه العالم بما تخفيه السرائر، وتجنه الضمائر.

وبعد، فقد بلغتنا عنكم أخبار أبكت عيوننا، وضاعفت أحزاننا وهمومنا، حيث أخبرنا بافتراقكم واختلافكم، وشق عصاكم بعد ائتلافكم، وكنا قبل ذلك نرجو منكم الوصول والاعانة على هذا الأمر الجليل، فضاقت من أجل ذلك صدورنا وتكدرت خواطرنا رحمة لكم، وخوفا على دينكم، أن يختلسه الشيطان منكم، ويلقي بينكم العداوة والبغضاء، فانتبهوا رحمكم الله ، وابتصروا واعتبروا، واعلموا على ماأنزل الله في كتابه، حيث يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إِيمَانِكُم كَافِرِينَ وَكَيفَ تَكفُرُونَ وَأَنتُم تُتلَى عَلَيكُم آيَاتُ اللهِ وَفِيكُم رَسُولُهُ وَمَن يَعتَصِم بِاللهِ فَقَد هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ، يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ وَاعتَصِمُواْ بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَتَفَرَّقُواْ وَاذكُرُواْ نِعمَتَ اللهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً وَكُنتُم عَلَى شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾(٤) ، وقال : ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَتَنَازَعُواْ فَتَفشَلُواْ

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : ذوي .
(٤) سورة آل عمران : ١٠٠ ـ ١٠٣.

وَتَذْهَبَ رِيحُكُم وَاصبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٥) .

فقوموا بما أمركم الله به، وانزجروا عما نهاكم عنه، فانه ﴿يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعلَمُ مَاتَفعَلُونَ﴾(٦) ، وهو العالم بجميع أعمالكم، والمطلع على عقائد ضمائركم، فاتقوا الله، ثم اتقوا الله، فقد وضح السبيل، وقام الدليل، وأكمل الله الاسلام، وبين معالم الحلال والحرام، واحذروا من عدو الله ، ثم احذروا أن يكدر عليكم أمر دينكم، ويبدلكم الشك بعد يقينكم، ويسلب الرحمة من قلوبكم، ويلقي الغل في صدوركم، فانه أكثر معاناة، وأكيس مقاساة، لأهل هذه الدعوة الزهراء والنحلة الغراء، وأما سائر الملل الضالة فقد آمن عليهم وكفى مؤنتهم، فاحترزوا منه كل الاحتراز، وارغبوا الى الله في السلامة منه، واسالوا العصمة عنه(٧) ، حمانا الله واياكم من مكائده، ونجانا من اشراك مصائده.

واعلموا سادتنا أن الفرقة عذاب، وأن الاجتماع رحمة، وقد أدب الله المؤمنين وحثهم على اصلاح ذات بينهم، فقال : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقتَتَلُواْ فَأَصلِحُواْ بَينَهُمَا فَإِن بَغَت إِحدَاهُمَا عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمرِ اللهِ فَإِن فَاءَت فَأَصلِحُواْ بَينَهُمَا بِالعَدلِ وَأَقسِطُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحُواْ بَينَ أَخَوَيكُم وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾(٨) .

فان كنتم قد تآلفتم واجتمعتم وأصلحتم ذات بينكم فبرحمة من الله، ذلك الذي يسرنا منكم، وان كنتم مقيمين على اختلافكم، والحرب بينكم واقفة، ذلك نزعة من الشيطان لعنه الله، فبادروا الى الله بالتوبة، فـ ﴿إِنَّ اللهَ لَايُغَيِّرُ مَابِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم﴾(٩) . فكفوا عن الحرب، وسلموا أموركم الى الله تعالى وأولي الأمر منكم، وأولو الأمر وهم(١٠) أهل العلم على الاستقامة في الدين من الفقهاء الصالحين، وتآلفوا واجتمعوا و﴿ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١١) .

---

(٥) سورة الأنفال : ٤٦ .
(٦) سورة الشورى : ٢٥ .
(٧) كذا في الأصل : ولعل الصواب : العصمة منه .
(٨) سورة الحجرات : ٩ ، ١٠ .
(٩) سورة الرعد : ١١ .
(١٠) كذا في الأصل : والصواب حذف الواو .
(١١) سورة التوبة : ١١٩ .

فان كان لكم امام عادل مرضي، قد لزمتكم له بيعة صحيحة، وعقدة صريحة، أو صح التراضي بامامته، والاجتماع على عدالته، فواجب عليكم طاعته ونصرته، وحرام عليكم خذلانه ومعصيته من الرعية، ما استقام على الصواب، وتمسك بالسنة والكتاب، واجماع المحقين من الأصحاب، فان خالف عليه أحد من الرعية، ومال عن الحق الى الحمية، وأخذته العزة بالاثم والعصبية، فالينوا له المقال، ولاتبدأوه بالتعنيف والجدال، لعله يتذكر أو يخشى ، وخوفوه الله تعالى لعله تنفعه الذكرى، وانصحوا له فسوف يرضى، فان أبى الا نفورا واستكبارا، وجنح الى الظلم والبغي مختارا، فاغلظوا قولكم عليه، وأعيدوا نصحكم اليه، فان انزجر وأبصر واعتبر ، والا فعرفوه دعوة المسلمين، واقيموا عليه حجة المؤمنين، ونابذوه الحرب، واحسروا له عن ساعد وشمروا له عن ساق، ان وجدتم الى ذلك سبيلا حتى يفيء الى أمر الله، وان لم يكن لكم امام، فتكاتبوا وتراسلوا بالكف عن الحرب، ونادوا بالأمان في جميع أحبائكم وقريائكم(١٢) ، واسلموا أموركم الى فقهائكم وصلحائكم وأهل الفضل منكم، واعطوهم على ذلك عهدوكم ومواثيقكم، انكم تبع لهم وطوع لأمرهم، ولاتخونوهم، ولاتغروهم، ولاتخدعوهم، ولاتمكروا بهم، وليجتمع العلماء والصلحاء والفقهاء والفضلاء من كل حي وقرية من قراكم، واختاروا رجلا منكم صالحا مرضيا، ثقة عدلا وليا، جلدا قوي، عالما، أمينا مامونا، منصفا حليما، لاحسودا ولا حقودا، ولا مخلفا للوعد، ولاناقضا للعهد، محتملا للائمة، لا بخيلا ولا عجولا، لايميل الى قريب، ولايتجانف عن بعيد، ولاتاخذه في الله لومة لائم، وقدموه اماما لكم، وخليفة عليكم، وبايعوه على السمع والطاعة في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى جهاد كل فرقة باغية، وطائفة امتنعت عن الحق طاعية، وعلى انفاذ الحق في القوي والضعيف والدنيء والشريف، وأخذ الحق من الظالم الغشوم للضعيف المظلوم، وقبض الصدقات من حلها ، ووضعها في أهلها.

فاذا اجتمعتم على رجل منكم كما وصفنا، ولم يكن في الحاضرين من يفضله ويفوقه في العلم والحلم والورع والدين، فلا عذر له عنكم، واجماعكم عليه اجماع، فاحكموا عليه بالامامة، وان لم يتهيا الاجتماع من كل حي وقرية، فليس ذلك باللازم شرعا، بل استحبابا، ويكتفي بمن حضر من

(١٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : أقربائكم .

المسلمين الا أن يحضر البيعة أهل العلم والفضلاء في الدين من أهل الحل والعقد، ولو كانوا أربعين رجلا، وقيل : بالأقل تجوز البيعة، وكلما كان أكثر كان أفضل .

وان كان قتالكم عن تاويل وديانة واختلاف كلمة، وكل أحد منكم يدعي الامامة ويتسمى بها ويقول: ان الحق في يده دون الآخرين، فمن الراي عندنا أن تكفوا عن الحرب وتغضوا أبصاركم على الاحن التي مضت، وتطاوا على الدماء التي سلفت، وتكتبوا شرح صفة حربكم، وسبب اختلاف كلمتكم، وكيفية اختلافكم، من(١٣) أهل نفوسة وجربة، أو امام عمان واخوانكم منها، وانظروا رأيهم وقولهم وفتواهم في أمركم، واعملوا على رأيهم المصيب، وفتوى كل عالم أريب، فانا نرجو لكم سلامة دينكم، وتسديد أموركم، وتوفير أموالكم ونفوسكم.

وان كان قتالكم على الدنيا، وطلب الرئاسة، وحب الثناء، وفخر السياسة، فذلك من أبخس البضائع، وأسوة الصنائع، وأنجس الحظوظ، وأشام الأعمال، وأخس الآمال، وأضر شيء بدين المرء ودنياه، وأعظم حسرة في حضرته وعقباه، وقد هلك بذلك كثير من الناس من الأولين والآخرين، الا من عصمه الله، وتفضل عليه بمنه وحوله وقوته، نسال الله لنا ولكم النجاة من الفتن، ومسامحة النفوس الى اجابة دعوة الشيطان، والولوج في الظلم والعدوان، ونعوذ به، ونعتصم به، ونتوكل عليه، ونفوض جميع أمورنا اليه، ونستهديه لارشادنا وتوفيقنا وتسديدنا، انه الكريم المفضال الكبير المتعال. فينبغي لكم الرجوع على ماأنتم عليه والفرار الى الله بالكف عما زين الشيطان لكم، وسولت لكم نفوسكم اليه، والمبادرة الى الله بالتوبة النصوح، وزجر النفس الجموح، واغتنام بقية الحياة القليلة بحبس الاعتداد للنقلة الطويلة، والندم على مافات ومضى، وزال وانقضى، واخلاص العمل لله تعالى بما بقى، فان الله واسع وعليم، وارغبوا الى الله عز وجل في هدايتكم ﴿وَلَا تَيْأَسُواْ مِن رَّوحِ اللهِ إِنَّهُ لَايَيْأَسُ مِن رَّوحِ اللهِ إِلَّا القَومُ الكَافِرُونَ﴾(١٤) ، وقد صار من أمر عمان مما هو أعظم مما ابتليتم به من الفتن النازلة، والاحن والحروب والمظالم المتكانفة، والفساد والمناكر الظاهرة، وعصي الله فيها بالمجاهرة حتى كاد لايطمع أحد من المسلمين بتغيير منكر، ولا رد مظلمة،

(١٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : الى .
(١٤) سورة يوسف : ٨٧ .

وخـفي الاسلام وأهله، وظهر الفساد كله، واستبيحت المحارم، وارتكبت المآثم، واسـتـضـعف المسلمـون وصـاروا كالقابض على الجمر، لايستطيعون اخفاء بـدعـة، ولا اظـهـار شرعـة، وكـان أن تـنـطمس آثار الدين وتسـتاصله(١٥) الشـيـاطين، فلما أراد الله اظهار المسلمين ونصرة المؤمنين، أظهر الله هذا النور السـاطع، والحسـام القاطع، ذا الفضائل المشهورة، والمآثر المشكورة، والسيرة الظاهرة المبرورة، امـامنا أعـز الله نصره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وأدام دولته، ونصر صـولـتـه، وأيد سـيـادته، وحدد سعادته، وحمى به الدين، ونصر به الضعفاء والمساكين، آمين رب العالمين.

فـاجـتـمع رجـال ممن يسر الله أن يجتـمـعوا من المسلمين، وبايعوه على الـسـمـع والطاعـة، وعلى الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، ونشر الحق في القـوي والضـعـيف والدنيء والشريف، فصدقوا له، فوفقوا وانتصروا من بعد مـاظلمـوا وهم قليل في كـثير، ورمـتـهم العـرب عن قوس واحد، وأرادوا ﴿أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْـوَاهِهِم وَيَابَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَـرِهَ الكَافِرُونَ﴾(١٦) والفـاسـقـون والمنافـقـون، ففتحت لهم القلاع والحصون، ودانت لهم القبائل، وانـقـادت لهـم الملوك طائعين وكـارهين، وسكنت الحـركـات، وردت المظالم، وانتظر المظلوم، وظهـرت الدعـوة وقـامت الحـجـة، وحييت السنن، وعظمت المنن، فالحمد الله على ذلك كثيرا.

فـالله الله ، ثم الله الله ، ياقـوام الاسـلام، وياصدور الأنام، ويأمناء الله في بلاده، وخلفـاءه على عـبـاده، لاتتركـوا أيامكم تمضي ضـيـاعـا، وتجافوا عن الراحـة في الدنيـا، وأقلعـوا عنهـا اقـلاعـا، واشتروا الحـيـاة الباقية بالحياة الفانية، فعما قليل أنتم ميتون، وملاقون ماكنتم تعملون، والى احدى المنزلتين أنتم صـائرون ﴿فَـمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(١٧) .

فـهـذه نصـيـحـتنا اليكم، وذخيرتنا لديكم، ونصـحنا لكم، ولستم أحق بـالـنصح منهـا، ولكن هذه سنة الدين، ومـراسلة المؤمنين. قـال النبي ﷺ : «الدين النصيحة، الدين النصيحة»(١٨) ، ومن خـالف خـولف به، ولا يصيب

---

(١٥) في الأصل «تستاطله» وهو تصحيف .
(١٦) سورة التوبة : ٣٢ .
(١٧) سـورة المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣ .
(١٨) أنظر الدارمي في سنن : رقـائق ٤١، وهو عند البـخـاري ومـسلم والترمذي وغيرهم.

المؤمن من محن الدنيا ومصائبها الا لذنب أسلفه، فذلك كفارة له، أو رحمة من الله تفضل بها عليه ليدخرها له ليوم فقره اليها، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُم وَيَعفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(١٩) . وأرشدنا الله واياكم لأقوم المسالك، ونجانا واياكم من جميع المهالك، ومن علينا وعليكم بسلامة ديننا واخلاص نيتنا، وجعلنا واياكم من عباده المؤمنين الآمنين المطمئنين الذين ﴿لَاخَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾(٢٠) .

كتبنا لكم كتابنا هذا، ونحن في سلامة شاملة، ونعمة من الله كاملة، وكلمة المسلمين واحدة، وحجتهم عالية، ودعوتهم ظاهرة، ويدهم قاهرة، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما، ولاحول ولا قوة الا بالله العليم العظيم، والسلام عليكم وعلى كافة اخوانكم ممن شملته شفقتكم ومحبتكم، ورحمة الله وبركاته .



(١٩) سورة الشورى : ٣٠ .
(٢٠) سورة يونس : ٦٢ .

سيرة للشيخ الفقيه

سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني النزوي(١) (رحمه الله)

الى مشايخ قومنا من أهل القبلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مؤيد الدين الحنيفي بالبراهين المنيرة، ومقوي أركانه بالآيات الباهرة الظهيرة من الله ذي الآلاء والمنن الغزيرة، الظاهرة الباطنة العظيمة، العامة التامة المستقيمة، فالهمها الله السعداء من عباده المتقين، وجعلها حجة على من شاء من عباده الذين هم على خلاف اليقين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾(٢) ، أحمده حمد من شكر، وأذكره ذكرا كثيرا كما أمر، وأستجيب لدعوته مخلصا، وأومن به ايمان من أقر واعترف، وأقر بما جناه من خطاياه واقترف، فتاب الى الله توبة صحيحة غير دخيلة، شافعة مشفعة مقبولة، يرجو بها الخلاص يوم القيامة والمواقف الموجفة للقلوب المستقيمة وأسلم له تسليم من صبر، وأبرأ من دين من جحد وكفر وتكبر في نفسه فاطاعها فدنسها بالآزار فاضاعها، وأتبعها هواها فاراعها، حتى تراكمت على قلبه الذنوب، فعميت البصائر باقتراف الخطيئات والحوب، فلم تبصر من صداها مافيه فجورها وتقواها، وقد أقام الله الحجة، وبين المحجة، فلا عذر لمن سلك غير السبيل، وقد بين الله النقير والفتيل، وفي القرآن نور وشفاء، وهو يكفي عن تعليم الأئمة والخلفاء. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، الها واحدا فردا صمدا بريئا من الصاحبة والولد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٣) ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(٤) ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله البررة الكرام، وتابعيهم وتابعي تابعيهم من جملة الأئمة والأعلام .

أما بعد ، حمدا لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فاعلم أن أول علم مايلزم كل عبد عاقل على الفور توحيد ﴿اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾(٥) ، أنه خالقه، وأنه

---

(١) أنظر ترجمته في الملحق .

(٢) سورة الأنفال : ٤٢ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٥) سورة الحشر : ٢٤ .

حافظه ورازقه، وأنه واحد أحد فرد صمد، حي، قيوم، ﴿لَاتَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلَانَوْمٌ﴾(٦) ، ﴿لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾(٧) ، سميع بصير قادر لطيف خبير، رؤوف، رحمن ، رحيم عزيز، حكيم، عدل، غني، علي، ملك، جبار، متكبر، رازق، خالق، بارىء، مصور، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٨) ، يرى ولا يرى، ﴿لَّاتُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(٩) ، كما أنه عزيز، متكبر في الدنيا والآخرة، له الكبرياء وله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَا﴾(١٠) وهو بكل شيء عليم، خلق الخلق على مشيئته، وهم لما علم منهم منقادون، وعلى ماشاء وأراد يعملون، لايشبه في شيء(١١) من خلقه، محيط بخلقه، ولايحيط به خلقه، ولاتدركه الأوهام، ولايشبه بالأجسام، ولا الصور ولا الألوان، ولا الحركات، ولا السكون، ﴿إِنَّمَا أَمرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١٢) ، ﴿لَا تَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ لَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الأَرضِ﴾(١٣) ، ﴿لَايَعزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ﴾(١٤) ، وهو السميع العليم، يعرف بقدرته، ويستدل عليه بآياته ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ وَأَن عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهُم﴾(١٥) ، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾ (١٦) ، سبحانه، ﴿إِذَا أَرَادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١٧) .

واذا خطر ببالك شيء أو خاطر في الله عز وجل، وقال الخاطر، ان الله يشبه شيئا أو يشبهه شيء، فانف ذلك عن الله عز وجل، فانه يقول : ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١٨) ، وكذلك اذا دعاك الخاطر الى أن الله في

---

(٦) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٧) سورة الاخلاص : ٣ ، ٤
(٨) سورة الشورى : ١١ .
(٩) سورة الأنعام : ١٠٣.
(١٠) سورة الطلاق : ١٢ .
(١١) الأفصح أن يقول : لا يشبه شيئا من خلقه، أو لايشبه خلقه في شيء .
(١٢) سورة يس : ٨٢ .
(١٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(١٤) سورة سبأ : ٣ .
(١٥) سورة الأعراف : ١٨٥ .
(١٦) سورة الجاثية : ٦ .
(١٧) سورة يس : ٨٢ .
(١٨) سورة الشورى : ١١ .

معزل، أو قال: كيف هو؟ أو مثل ماهو؟ نور من الأنوار، أو ذو طول وعرض؟ أو هو مؤلف، أو جسم، أو مماثل للأشياء، أو مباين عنها؟ فانف ذلك عن الله عز وجل، فان هذه الأشياء التي ذكرناها وبيناها لك في كتابنا لايجوز منها شيء على الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لأن من كان فيه شيء من هذه الخصال فهو محدث، والمحدث تجري عليه من العاهات، والأمراض، والسآمة، والانقلاب، والغفلة، والنسيان، والموت، والحياة، والذل، والقهر، والعجز، وأمثال هذه مايجري عليه المحدثات، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فاجعل هذا أصلا تبني عليه فيما خطر ببالك من هذا الضرب، في تدين لله سبحانه انه ﴿لَّاتُدرِكُهُ الأَبصَارُ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ﴾(١٩) ، لأن الأبصار لا تحيط الا على شيء(٢٠) ، مصور محدود، حائل زائل، منتقل من حيز الى حيز، ولايوقع النظر الا على صورةكاملة أو على بعضها، فان قال: نظرت اليه كله، فقد حده وجعل له نهاية، وان قال : نظرت الى البعض منه، فقد جزأه وبعضه، والله لايجزأ ولا يبعض، والمنظور اليه أيضا لايكون الا حالا فوق شيء، والله تعالى لم يزل ولا مكان، وهو خالق المكان، فلما خلق المكان لم يزل غنيا عن المكان، لأن المكان محدث مخلوق، وكل محدث مخلوق يزول بمرور الأزمان، والله تعالى حي قيوم ولا مكان، انما يحتاج الى المكان الضعيف، والله تعالى ذو الملك والسلطان والعظمة والكبرياء والشان، لايحتاج الى المكان، فيكون الذي حل فيه أقوى منه والذي فوقه يكون أعلى منه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل هو الذي لاتدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، كما أنه عزيز حكيم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُ الكِبرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾(٢١) المتكبر على الحقيقة في الدنيا والآخرة، لم يزل عزيزا متكبرا، سبحانه، ولو أردنا الاكثار لطال به الكتاب، وكتابنا هذا لايحتمل الاطالة، وأقل من هذا يكفي لمن فهم العربية، لأن أكثر الناس تضل من قبل العربية، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢٢)، الأول من النضارة، والحسن، والبهاء، والاشراق في وجوههم ببشراهم بجنة الخلد والنعيم الدائم الذي لايزول، والآخرة الى رحمة ربها منتظرة، وهذا في كلام العربية مثله كثير، ولايجوز على ذلك الا هذا، ونظير ذلك ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ

(١٩) سورة الأنعام ١٠٢ .

(٢٠) لعل الصواب : لا تحيط الا بشيء مصور .

(٢١) سورة الجاثية : ٣٧ .

(٢٢) سورة القيامة : ٢٢، ٢٣ .

وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾(٢٣) ، لايمكن ذلك في العقول أبدا، بل جاء الله بالغيث معناه أتى الله الغيث، وأشباه هذا كثير في كلام العرب، انما يعرف الله بما عرف به نفسه من غير رؤية، ويوصف بما وصف به نفسه من غير رؤية، ولا يدرك ربنا بالحواس، ولايقاس بالناس، ربنا معروف بغير تشبيه، متدان في بعده لانظير له، لايتوهم في ربوبيته ولايمثل بخليقته، والتفكر في الخالق حجر حرام، لأنه بخلاف مايقع في الأوهام.

وانما التفكر في المخلوقات، لقوله عز وجل : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾(٢٤) ، فالخلق لما علم الله منهم منقادون، وعلى ماينتظم في المكنون من كتابه ماضون، لايعلمون خلافا مامنهم علم ولا غيره يريدون، فهم لا محالة الى ماعلم الله منهم صائرون، وهو قريب غير ملتزق، بعيد غير منقصي، يوحد ولايبعض، ويحقق ولا يمثل، يعرف الله بالآيات، فلا اله غيره الكبير المتعال.

فصل

وندين لله بالايمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالبعث والحساب، والجنة والنار، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّرَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(٢٥) ، ونؤمن بالقضاء والقدر كله خيره وشره وحلوه ومره، والخير والشر، والكفر والايمان من الله خلق، لقوله عز وجل : ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾(٢٦) وقال تعالى : ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم وَمَاتَعمَلُونَ﴾(٢٧) ، وهما من المخلوق اكتساب، والله خالق كسبهم، خلق الطاعة وأمر العباد بها وأحبها ورضيها ووعد الثواب عليها فعملوها بحسن اختيارهم وبتسديد من الله وتوفيق، لقوله : ﴿وَمَاتَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾(٢٨) ، ومن عمل المعصية فبسوء اختياره لنفسه غير مجبور عليها، ولامامور بها ولا مقهور، بل سولت له نفسه ، وزين له الشيطان عمله، والله خلق المعصية ونهى عنها وكرهها ولا رضيها، ولكن أراد الله تعالى أن يكون من العبد ماعلم منهم سيكون، ارادة علم لا ارادة محبة، لأنه تعالى لم يطع باقتدار من المطيع، ولم يعص بغلبة من العاصي،

(٢٣) سورة الفجر : ٢٢ .
(٢٤) سورة آل عمران : ١٩١ .
(٢٥) سورة الحج : ٧ .
(٢٦) سورة الأنعام ١٠٢ . سورة الرعد : ١٦، سورة الزمر : ٦٢، سورة غافر : ٦٢.
(٢٧) سورة الصافات : ٩٦ .
(٢٨) سورة الانسان : ٣٠ ، سورة التكوير : ٢٩.

لكنه المالك لما ملكهم عليه، والقادر لما أقدرهم عليه، فان ائتمروا بالطاعة لم يكن لهم عنها صارفا، وان ائتمروا بالمعصية وشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وان لم يفعل فليس هو الذي جبلهم على ذلك، اذ ملكهم وقواهم وجعل لهم السبيل الى أخذ مأمرهم به وترك مانهاهم عنه ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢٩) ، يعني هدى السعادة، وهدى الله الناس هدى البيان(٣٠) اجمعين. وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣١) ، فما سبق في علم الله أن سيكون فهو كائن لا محالة، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٣٢) ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٣٣) ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٣٤) ، ولكنهم ظلموا انفسهم باختيارهم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾(٣٥) ، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٣٦) ، فقد أقام الحجة وبين المحجة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٣٧).

وقيل : ان العزير سأل ربه عن القدر، فنهاه عنه فلم ينته، ثم سأل ذلك عيسى عليه السلام، فقال له : كف عن هذا ياعيسى، لقد سألنا العزير من قبلك، فكف عيسى عليه السلام .

فصل

والقدر سر الله في الأرض فلا تتكلفوه ، ومن سبقت له من الله الحسنى فلايموت الا للحسنى، ومن سبق في علم الله أنه من أهل الشقاء فلايموت الا شقيا ولو كان أزهد أهل زمانه، أعاذنا الله من الشقاء ومن ذنب لايغفر أبدا، ومن العمى بعد الهدى، وأن يجعلنا ممن سبقت له من الله السابقة الحسنى.

فصل

وندين لله بولاية أوليائه وعداوة أعدائه من لدن أبينا آدم عليه السلام الى يوم القيامة، ويكفي هذا في الجملة لمن دان به واعتقده الا أن يمتحن بولاية أو براءة في شخص بعينه، وندين لله بولاية من سبق من الأئمة في الدين المشهورين بالفضل والعلم كابن عباس، وجابر بن زيد، وأبي عبيدة

(٢٩) سورة الأنعام : ١٤٩ .
(٣٠) لعل الصواب : هدى بيان .
(٣١) سورة السجدة : ١٣ .
(٣٢) سورة الأنبياء : ٢٣ .
(٣٣) سورة الكهف : ٤٩ .
(٣٤) سورة فصلت : ٤٦ .
(٣٥) سورة الصف : ٥ .
(٣٦) سورة الكهف : ٢٩ .
(٣٧) سورة التكوير : ٢٩ .

مسلم بن أبي كريمة، والربيع بن حبيب، وعبدالله بن اباض، وعبدالرحمن بن رستم الفارسي المغربي، وعبدالله بن يحيى طالب الحق، وأبي بلال المرداس ابن حدير، رحمهم الله ورضي عنهم، وهم الذين حملوا دينهم عن الصحابة (رضي الله عنهم)، ومن حمل عنهم وسار بسيرتهم.

وندين لله أن حجة الله تقوم بكل من قام بها من أهل الفضل من قريش وغير قريش، لقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسطِ﴾(٣٨) ، ولم يقل : ياأيها الذين أمنوا من قريش إلا الذين أمنوا، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب لمن قدر عليه من الناس، وان ﴿اللهُ يَصطَفِي مِنَ المَلآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٣٩) ، ولم يخص قبيلة دون غيرها، ولو قام بذلك وقدر عليه عبد مجذوع الأنف، وكان له القدرة والطول جاز ذلك، وعلى قريش وغيرها أن تدين لله بطاعته ما أطاع الله، وقد قال النبي ﷺ: «بلال الحبشي خير من أبي جهل القرشي» وقال: «ولو ولي عليكم عبد حبشي فاسمعو له وأطيعوا»(٤٠) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولو كان سالم حيا لوليته عليكم ولم تخالجني فيه الشكوك، فان سالني ربي: لم فعلت ذلك؟ لقلت : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان سالما يحب الله من ذات قلبه في عصابة من قريش والمهاجرين والأنصار»(٤١) ، وهو مولى أبي حذيفة، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقاكُم﴾(٤٢) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «بلال الحبشي خير من أبي جهل القرشي».

وندين أن لا سباء ولا غنيمة في أهل القبلة، ولانجبر على صدقة المواشي والذهب والفضة مالم نمنع عنه أهل الظلم والعدوان، فان فعلنا ذلك فانا ظالمون معتدون الا من طاب بذلك نفسا من غير جبر ولا مطالبة، والهدية على الحكم هي السحت الحرام، وهي الرشوة على الحكم، وعلماؤنا وحكامنا لايقبلون الهدايا الا ممن كان هاديهم من قبل، وذلك في غير الحكم تنزها للعلم واجلالا له ، فتدبروا معاشر المسلمين آيات الله وأحكامه.

وندين أن من مات على ذنب من الصغائر والكبائر، فهو خالد مخلد في النار، لقوله عز وجل: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ وَمَن يَعمَل مِثقَالَ

(٣٨) سورة المائدة : ٨ .
(٣٩) سورة الحج : ٧٥ .
(٤٠) أخرجه الكثيرون بألفاظ متقاربة. أنظر موسوعة أطراف الحديث ١/ ٥٣٠.
(٤١) أخرجه الزبيدي في اتحاف المتقين ٩/ ٦١٨، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٣٢١.
(٤٢) سورة الحجرات : ١٣ .

ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(٤٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مِثقَالَ حَبَّةٍ مِّن خَرَدَلٍ أَتَينَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٤٤) ، ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحصَاهَا وَوَجَدُواْ مَاعَمِلُواْ حَاضِراً وَلَايَظلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٤٥) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾(٤٦) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصِيراً﴾(٤٧) ، وقوله : ﴿إِنَّ المُجرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَايُفَتَّرُ عَنهُم﴾(٤٨) .

فان قال قائل : ذلك في المشركين دون غيرهم، قيل له، قوله تعالى : ﴿وَأَحلَّ اللهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَاسَلَفَ وَأَمرُهُ إِلَى اللهِ وَمَن عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٤٩) ، أليس الزنا والسرقة والشهادة بالزور وقول الفجور والربا وأشباه هذا من السيئات والخطايا؟ وقد قال الله تعالى : ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَت بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥٠) ، ولم يذكر الشرك في هذه الآية .

فان قال : ان الله استثنى في كتابه : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ﴾(٥١) ، قيل له : الاستثناء من الله لا يبطل وعده ووعيده، لقوله لنبيه ﷺ : ﴿لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ﴾(٥٢) ، وقد تعلمون أنه ﷺ دخل كما وعده، وقوله : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾(٥٣) ، وقد علم الله عباده وأدخلهم على الأخلاق المرضية.

فان قال قائل : ان العفو للملوك بعد الوعيد منهم محمود. قيل له: ذلك

(٤٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨.
(٤٤) سورة الأنبياء : ٤٧ .
(٤٥) سورة الكهف : ٤٩ .
(٤٦) سورة النساء : ١٤٠ .
(٤٧) سورة النساء : ١٤٥.
(٤٨) سورة الزخرف : ٧٤ ، ٧٥.
(٤٩) سورة البقرة : ٢٧٥ .
(٥٠) سورة البقرة : ٨١.
(٥١) سورة هود : ١٠٧، ١٠٨.
(٥٢) سورة الفتح : ٢٧.
(٥٣) سورة الكهف : ٢٣ ، ٢٤ .

في غير الله محمود، وفي الله غير محمود، لأن الله لاتبدو له البدوات، لم يزل عالما بصيرا، لايتقلب في أموره كالمخلوق، لأن هذه الآية محكمة لايجوز فيها النسخ، انما النسخ في الأمر والنهي لا غيره، سبحانه العالم بما يكون، وبما لايكون، كيف كان يكون، لا يخفى عليه سبحانه، وليس من صفات الله أن يقول: خالدين ، ثم يقول : غير خالدين. فهذا قول أهل الكذب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والذي ذكرنا من الآيات في كتابنا كلها محكمة، لايجوز النسخ عليها.

وندين بتحريم الوطء في الحيض، لقوله تعالى : ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾(٥٤) ، الا حيث أباح الله، لأن أدبار النساء حرام .

وندين بتحريم اتيان الذكران من العالمين ، لقوله تعالى : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٥٥) ، وقوله : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٥٦) ، ومن تاول قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(٥٧) ، تاول ذلك في اتيان الغلمان فهو عند الله من الكاذبين الضالين المبتدعين، يشهد ببدعته الكتاب والسنة واجماع الأمة.

وندين بتضليل المطففين في المكيال، وبخس الناس أشياءهم في أمثال هذا فهو في النار خالد مخلد، الا أن يتوب الى الله ولم يصر مستكبرا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ، وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ، أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ

---

(٥٤) سورة البقرة : ٢٢٢.
(٥٥) سورة النمل : ٥٥ .
(٥٦) سورة الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٥٧) سورة المؤمنون : ٦ ، سورة المعارج : ٣٠ .

بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٥٨) ، قبل أن يشتهي التوبة ويطلب الرجوع لقوله : ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾(٥٩) ، قبل أن يحال بينك وبين ماتشتهي ، قبل تشهي المريض التوبة عند الموت، الويل لمن له الويل، ياكل ويشرب ويضحك ويسهو ويلهو، وهو في الكتاب من وقود النار. انتبهو قبل أن يقول الشيطان (٦٠) : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦١) ، قامت الحجة وظهرت المحجة وانقطع العذر، فلا عذر لمن جهلها، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾(٦٢) .

ونِدين أن الشفاعة لا يملكها أحد الا الله، لقوله : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٦٣) ، وقوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٦٤) ، ويقول : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(٦٥) ، وقوله : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾(٦٦) ، في أمثالها من الآيات. وقوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٦٧) ، ولو سبق ملك الشفاعة أحد، لسبق بها نوح عليه السلام، لقوله : ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(٦٨) ، فلو ملك الشفاعة أحد لملكها نوح ونبينا محمد عليهما السلام، ولكان لكل قريب أن يشفع لقريبه، ولبطل الوعد والوعيد وارجاء، والله يقول : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٦٩) ، في أمثالها من الآيات، وقال قصة عن القائلين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ

---

(٥٨) سورة الزمر : ٥٣ ـ ٥٩ .
(٥٩) سورة المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .
(٦٠) في العبارة التباس، فيستحسن زيادة عبارة: كما قال الله تعالى على لسانه».
(٦١) سورة ابراهيم : ٢٢ .
(٦٢) سورة الأنعام : ٣٣ .
(٦٣) سورة الزخرف : ٨٦ .
(٦٤) سورة الأنبياء : ٢٨ .
(٦٥) سورة المدثر : ٤٨ .
(٦٦) سورة النجم : ٢٦ .
(٦٧) سورة الشعراء : ٢١٤ .
(٦٨) سورة هود : ٤٥ ، ٤٦ .
(٦٩) سورة الزخرف : ٨٦ .

حَمِيمٍ﴾(٧٠) ، ولو ملك الشفاعة أحد غير الله لاستوى في المنزلة عند الله الصالح والطالح، والمصر والمتكبر على الله، يتقلبون في نعيم الجنة، والله يقول ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(٧١) ، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٧٢) ، هيهات ، هيهات، أن يرافق المصرون أنبياء الله وأولياءه في جنات الفردوس ياكلون ويشربون ويتلذذون في نعيم الجنة مثلهم، وهو محرم عليهم، حرمه الله تعالى .

وقولنا في الميزان، كما قال الله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾(٧٣) ، ليس هنالك ميزان له لسان، وله عمود، وله كفتان، وليست الأعمال أجسادا فتقبض بالأيدي فتوزن، انما ذلك عدل الله وقضاؤه، كما قيل في العرب: زن كلامك. لايريد بميزان، ولكنه يتثبت ويتدبر عند كلامه، فيتكلم بصواب لا اعوجاج فيه، ولا هزل ولا باطل. أوليس العمل بخاتمته؟ أرأيت لو عمر مائة ألف عام يعمل الفجور ويطيع ابليس الكفور في تلك الأعوام والدهور، وكان هذا عند الله سعيدا مرضيا، فتاب الى الله وأناب واستغفر ربه، فمات غير مُصْرٍ على ذنب، ولا عمل لله عملا الا التوبة والرجوع، فادركه الموت قبل أن يعمل، فعلى قولك هذا لايوزن له شيء فيبطل هذا القول، انما هو تمييزه وعدله وقضاؤه والهدى. هذا عمر في الدنيا لا عمل له غير الهوى، وله جنات الفردوس والنعيم الدائم الذي لايزول الا بتوبته ورجوعه الى ربه واعترافه بما جناه من ذنبه، وعزم على أن لايعود الى الذنب، وعلم الله منه صدق ذلك، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾(٧٤) ، ولو أن عابدا من العباد عبد الله أحقابا سنين متتابعة غير منقطعة نحو مائة ألف سنة عبادة قس بن ساعدة الايادي(٧٥) (رحمه الله)، وفي زهده كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، ولم يعص الله في هذه الأحقاب طرفة عين، فادركه العلم

(٧٠) سورة الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٧١) سورة الأعراف : ٤٠ .
(٧٢) سورة الأعراف : ٥٠ ، ٥١ .
(٧٣) سورة الأعراف : ٨ .
(٧٤) سورة الزمر : ٥٣ .
(٧٥) انظر ترجمته في الملحق .

السابق قبل موته بساعة واحدة أو أقل، فعصى الله وتبع هواه في تلك المدة، ومات مُصرا غير تائب، فما له عند الله غير الخلود في النار، ولايوزن له من الخير مثقال ذرة، على قولنا نحن .

وعلى قول من أثبت الميزان، وأن الأعمال توزن بهذا الميزان المعقول، لكان هذا المصر الناكب بعد عمله الخير في تلك السنين عند خروجه من الدنيا أفضل من التائب المعترف الباكي على ذنبه عند فراقه من الدنيا، ولبطل قوله تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ﴾(٧٦) ، وقوله تعالى : ﴿وَقَدِمنَا إِلَى مَاعَمِلُواْ مِن عَمَل فَجَعَلنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾(٧٧) ، ولكنا نعبد الله ونعمل الطاعة ونتوكل عليه، ولانامن من عذابه، ولا نيأس من رحمته وثوابه، ونكون بين المنزلتين الخوف والرجاء، لقوله تعالى : ﴿مَّايَفعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُم إِن شَكَرتُم وَآمَنتُم وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾(٧٨) ، وقوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ﴾(٧٩) ، ﴿فَلاَ يَامَنُ مَكرَ اللهِ إِلاَّ القَومُ الخَاسِرُونَ﴾(٨٠) .

وندين بالطهارة من نجاسة، واسباغ الوضوء للصلاة، لقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمتُم إِلَى الصَّلاَةِ فَاغسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامسَحُواْ بِرُؤُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ﴾(٨١) ، وقال النبي ﷺ: «تاتي أمتي يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء»(٨٢) ، وأثنى الله تعالى على قوم يتطهرون ، لقوله عز وجل : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾(٨٣) .

وندين باقامة الصلاة في وقتها وأوقاتها بتمام طهارتها واسباغ الوضوء، بالثياب الطاهرة على البقعة الطاهرة، بتمام ركوعها وسجودها وسكون الجوارح فيها، لانلتفت ، ولا نعبث، ولا نرفع رجلا ولا يدا، متواضعين لله بين خوف الرد ورجاء القبول، لانشرك بالله أحدا لا اله الا هو، لانعبد الا اياه، لقوله عز وجل : ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ

(٧٦) سورة غافر : ٣ .
(٧٧) سورة الفرقان : ٢٣ .
(٧٨) سورة النساء : ١٤٧ .
(٧٩) سورة آل عمران : ٢٨، ٣٠.
(٨٠) سورة الأعراف : ٩٩ .
(٨١) سورة المائدة : ٦ .
(٨٢) أخرجه النسائي ومالك .
(٨٣) سورة التوبة : ١٠٨ .

هُوَ سُبحَانَهُ عَمَّا يُشرِكُونَ﴾(٨٤) ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعبُدُواْ اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(٨٥) .

وندين بالزكاة أن ناخذها من حلها، ونضعها في حلها. وندين بالحج من استطاع اليه سبيلا، والاستطاعة، الزاد والراحلة وصحة البدن، وأمان الطريق.

وندين بالغسل من الجنابة من جماع وغيره باي وجه كان خروج الماء الدافق مع الشهوة واضطراب البدن تعبدا من الله عز وجل. وندين بالطهارة من النفاس والحيض بالماء الطاهر، ولو طهرت النفساء والحائض ولم تتطهر بالماء الطاهر عمدا منها، وجامعها زوجها قبل الغسل بالماء الطاهر لفسدتا على أزواجهما، على القول الذي يعمل عليه أصحابنا(٨٦) ، ولا ندين بهذا دينا نضلل من خالفنا فيه، والله الموفق لاصابة الحق والصواب.

وندين لله بغسل موتانا وتكفينهم والصلاة عليهم ومواراتهم على الكفاية، ولو ترك ذلك الكل لكفروا.

وندين بتحريم الميتة والدم من جميع الدواب البرية ذوات الدم الأصلية غير الدواب المجتلبة الدماء، ففي قول أصحابنا فيهما قولان، والتنزه والاحتياط عند المكنة أفضل، وأما القملة فميتتها ودمها وذرقها عندنا نجس حرام، ولانقدر على تخطئة من خالفنا ولا نتخذ ذلك دينا، والله أعلم. ﴿لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٨٧) ، ومن أنذر فقد أعذر، ولكن لاتغني الآيات ولا النذر عن قوم لايؤمنون، ﴿وَيلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسمَعُ أَيَاتِ اللهِ تُتلَى عَلَيهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُستَكبِراً كَأَن لَّم يَسمَعهَا فَبَشِّرهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٨٨) ، ﴿وَإِذَا تُتلَى عَلَيهِ أَيَاتُنَا وَلَّى مُستَكبِراً كَأَن لَّم يَسمَعهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيهِ وَقراً فَبَشِّرهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٨٩) ، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللهِ وَأَيَاتِهِ يُؤمِنُونَ﴾(٩٠) ، فمن قال : ان الحق في غير هذا ، فليأتنا بحجة أقوى حجة مما بينا في كتابنا هذا عن الله، نتبعه ان شاء الله، لانا نتبع ولا نقلد ولا نبتدع لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

(٨٤) سورة التوبة : ٣١ .
(٨٥) سورة البينة : ٥ .
(٨٦) تراجع المسألة عند ابن بركة : الجامع، وشرح النيل لأطفيش.
(٨٧) سورة التوبة : ١٢٨ .
(٨٨) سورة الجاثية : ٧ ، ٨.
(٨٩) سورة لقمان : ٧ .
(٩٠) سورة الجاثية : ٦ .

الصَّادِقِينَ﴾(٩١) ، وقول رسول الله ﷺ : «اقبل الحق ممن جاءك به، ورد الباطل على من جاءك به»، ولا يسعنا الا ذلك، لانقلد ديننا الآباء والأجداد ولا الكتب المأثورة بالمداد ولا من يجري على قلبه السهو والرقاد، ولامن تجري عليه الغفلة والنسيان والرقاد، الا من ذوي الرسالة أهل السعادة والرشاد، ﴿بَل هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ العِلمَ﴾(٩٢) ، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٩٣) .

فان قال : ان هذا المذهب مقطوع الأسانيد، قلنا له : نظرنا في الأسانيد، فوجدنا الأسانيد تجري منهم الغفلة، والسهو، والغلط، والنسيان، ونسيان الكاتب والكتب لكثرة انتقالها، وسرعة اعتلالها، وتصحيف نساخها، رأينا عند ذلك لايسعنا أن نقلد الكتب المنقولة من عالم الى عالم، على يد النساخ مخافة الكذب، ولكنا نقبل الحق من كتاب أو من جاء به من عالم كبير أو ضعيف صغير غير عالم ولا بصير، لأن فتوى العالم مقبول ومتروك، ومافي الكتب كذلك، لقول النبي ﷺ لوابصة : «استفت قلبك ياوابصة وان أفتوك وأفتوك»(٩٤) ، لأن العالم يجري منه السهو والزلة، ولايؤمن من ذلك من أحد الا الأنبياء صلوات الله عليهم، لأنهم معصومون.

ولكن مذهبنا عن القرآن العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٩٥) ، وما قبله العقل من عالم وغير عالم، ونرد الباطل على من جاء به عالما كان أو غير عالم، ونقبل الفتيا من العالم على اعتقاد قبول الحق منه على سبيل الاتباع لا بمعنى التقليد، ان قوله وفتواه بالحق حجة، وفي الباطل ليس بحجة، فافهموا معاشر المسلمين.

وأما الأنبياء فانا نقلدهم لأنهم أمناء الله على وحيه، معصومون مؤيدون، وقد عاتب الله نبيه محمدا ﷺ في قبول الفدية من الأساري، قوله تعالى : ﴿ مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللهُ يُرِيدُ الأَخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّولَا كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٩٦) ، وقوله عز وجل : ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتَّى يَتَبَيَّنَ

(٩١) سورة التوبة : ١١٩
(٩٢) سورة العنكبوت : ٤٩ .
(٩٣) سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢ .
(٩٤) أخرجه الدارمي وابن حنبل .
(٩٥) سورة فصلت : ٤٢ .
(٩٦) سورة الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ .

لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعلَمَ الكَاذِبِينَ﴾(٩٧) ، وفي سُورَةُ عَبَسَ وَتَوَلَّى، وفي سورة الأحزاب : ﴿وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيهِ أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللهُ مُبدِيهِ﴾(٩٨) ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينفك من حكم البشرية، انما هو بشر ﴿إِن هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحَى﴾(٩٩) ، فهذا أمين الله لو اتبعوه في قبول الفدية لعمهم الله بعقاب لولا كتاب من الله سبق، فاعتبروا ياأولي الألباب وتدبروا آيات الله، وقول الله عز وجل في أبينا آدم عليه السلام : ﴿فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزماً﴾ (١٠٠) ، فهؤلاء صفوة الله يجري عليهم النسيان، فكيف يؤمن ذلك من غيرهم؟ بل العمل على كتاب الله العزيز الذي ﴿لاَّ يَاتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٠١) ، لقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَاوِيلاً﴾(١٠٢) ، فبطل تقليل أهل الغلط والنسيان، وقد عير الله أقواما قلدوا دينهم آباءهم، قوله (١٠٣) تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدنَا أَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى أَثَارِهِم مُّقتَدُونَ﴾(١٠٤) ، وقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدنَا عَلَيهِ أَبَاءَنَا أَوَ لَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١٠٥) ، وفي أمثالها من الآيات كثير، وماترك القرآن لقائل مقالا، ولكن كلت عنه عقول الرجال، وفيه الشفاء دون الأئمة والكتب والخلفاء، فمن حمل عنه استغنى عنه واكتفى، ومن تمسك بالقرآن استغنى به عن الأسانيد واهتدى، ومن قلد دينه الكتب والأسانيد ضل واعتدى، ونحن والحق في أيدينا غير دارس ولا مجهول، فتدبروا ياأولي الألباب والعقول آيات الله ففيها هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ليس في ديننا الطاعن مطعون.

ثم أن الله تبارك وتعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوحَينَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُواْ الدِّينَ

---

(٩٧) سورة التوبة : ٤٣ .
(٩٨) سورة الأحزاب : ٣٧ .
(٩٩) سورة النجم : ٤ .
(١٠٠) سورة طه : ١١٥ .
(١٠١) سورة فصلت : ٤٢ .
(١٠٢) سورة النساء : ٥٩ .
(١٠٣) لعل الصواب : في قوله تعالى .
(١٠٤) سورة الزخرف : ٢٣ .
(١٠٥) سورة لقمان : ٢١ .

وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾(١٠٦) ، ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(١٠٧) ، ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١٠٨) ، فبين رسولنا محمد ﷺ مايذرون ومايتقون من الحلال والحرام، والمشاعر والحل والاحرام، وبين جميع الحدود وخلع من دون ربه كل معبود.

ومن الحجة أيضا في ابطال قول من قال بالتقليد: لو أن مائة ألف أو يزيدون أمثال جابر بن زيد، وعبدالله بن عباس، وأبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، وحبيب بن الربيع، وآل الرحيل رضي الله عنهم وقفوا على خنزير واجتمعوا على كلمة واحدة أن هذه الدابة حلال في دين الله، وهي صحيحة غير مقطعة، يعرفها من كان يعرفها، وقالوا: هذه الدابة عين الخنزير التي حرمها الله في كتابه، وخالفتهم في ذلك أمة مجبوبة من السودان، وقالت: هي هذه الخنزير التي حرمها الله في كتابه ، لكانت هذه الأمة المحقة، وهي حجة الله في أرضه ان كانت فقيهة في دين الله، في أكثر قول المسلمين، ومن خالف هذه الأمة المحقة، وقلد هؤلاء الذين ذكرتهم، كان مبطلا ضالا مبتدعا يشهد ببدعته الكتاب والسنة والاجماع من الأمة، وهذا في الحكم ان كانت على نية الحق، وقبول الحق والباطل من قولهم، لقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١٠٩) ، وقوله عز وجل : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(١١٠) ، في أمثالها (١١١) من الآيات.

وكذلك لو أن هؤلاء العلماء الذين ذكرتهم قالوا: ان نكاح الأخوات والأمهات من الرضاعة حلال في دين الله، وخالفتهم في ذلك الأمة، وكانت هذه الأمة فقيهة في دين الله، كانت هي حجة الله على عباده، في أكثر قول المسلمين الذين قالوا بخلاف قولها .

ومن أجاز التقليد ممن خالف فليات بحجة عن الله نتبعه ان شاء الله، لاننا نتبع ولا نقلد ولا نبتدع، لقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١١٢) ، وقد عير الله أقواما قلدوا في دينهم، قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(١١٣)،

(١٠٦) سورة الشورى : ١٣ .
(١٠٧) سورة الحج : ٧٥ .
(١٠٨) سورة النساء : ١٦٥ .
(١٠٩) سورة التوبة : ١١٩ .
(١١٠) سورة النساء : ١١٥ .
(١١١) لعل الصواب : وأمثالها .
(١١٢) سورة التوبة : ١١٩ .
(١١٣) سورة الحج : ٨ ، سورة لقمان : ٢٠ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآأَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَل نَتَّبِعُ مَاوَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١١٤) ، ولو جاز التقليد لبطل دين الله، لأن النبي ﷺ قال : «لاتجتمع أمتي على ضلال»(١١٥) ، جعلنا الله واياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

فيا عجبا كل الاعجاب ، عميت الألباب عن اصابة الصواب، أم جراءة منهم على العزيز الوهاب، أم لهم صبر على النار، أم سبقت لهم من الله السابقة الحسنى، لا والله لم يكن ذلك الا من تراكم الصدى، واستحبوا العمى والضلال على الهدى، وأغطيت القلوب من كثرة الذنوب فعميت البصائر والأبصار عن سلوك طريق الأبرار ، فمال بهم الهدى عن التقليد وسبل الغوى، وفي القرآن الشفاء والاكتفاء عن ذكر الأئمة والخلفاء، وعن رفع الأسانيد خلفا عن سلف لمن صح قلبه وصفى، وتدبر القرآن وسنن المصطفى واجماع العلماء أهل الصدق والوفا، وفي ذلك هدى لمن صح قلبه وصفا ﴿وَيلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسمَعُ ءَايَاتِ اللهِ تُتلَىٰ عَلَيهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُستَكبِراً كَأَن لَّم يَسمَعهَا فَبَشِّرهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١١٦) ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُم وَأَعمَىٰ أَبصَارَهُم أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارتَدُّواْ عَلَىٰ أَدبَارِهِم مِّن بَعدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيطَانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَملَىٰ لَهُم﴾(١١٧) ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسخَطَ اللهَ وَكَرِهُواْ رِضوَانَهُ فَأَحبَطَ أَعمَالَهُم﴾(١١٨) .

وممن حمل هذا المذهب الشيخ أبوالحسن علي بن محمد البسيوي، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة، وأبو مالك غسان بن الخضر، وأبو المؤثر الصلت بن خميس، وسعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، عن أبويه، أبي المنذر، وأبي محمد بن محبوب، عن محمد بن محبوب، عن موسى بن علي، ومن كان بعصرهم، عن موسى بن أبي جابر، وهاشم بن غيلان، وبشير بن المنذر، ومنير بن النير، وسليمان بن عثمان، ومحبوب بن الرحيل البصري، ومن كان بعصرهم من المسلمين، عن الربيع بن حبيب، عن الامام الجلندي ابن مسعود العماني، وعبدالرحمن بن رستم الفارسي امام أهل المغرب وجعفر ابن السماك، ومن كان بعصرهم من المسلمين، عن المختار بن عوف العماني،

(١١٤) سورة لقمان : ٢١ .
(١١٥) رواه ابن ماجه في الفتن .
(١١٦) سورة الجاثية : ٧ ، ٨.
(١١٧) سورة محمد : ٢٣ ـ ٢٥ .
(١١٨) سورة محمد : ٢٨ .

وعبدالله بن يحيى طالب الحق الحضرمي، وأبي الحر علي بن الحصين، وهلال ابن عطية الخراساني ومن بعصرهم، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري، وفروة بن نوفل، ووداع بن حويزة - إمام أهل النخيلة - ومن بعصرهم من المسلمين، عن عبدالله بن اباض، وعروة بن حدير، وأبي بلال المرداس بن حدير ، ومن بعصرهم من المسلمين، عن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وعبدالله بن وهب الراسبي - إمام أهل النهروان - وحرقوص الأزدي - لعله السعدي - وزيد بن صوحان العبدي، ومن بعصرهم من المسلمين، عن أبي عبدالله بن العباس، وخزيمة بن ثابت، ومحمد بن عبدالله أبي بديل بن ورقاء الخزاعيين، وعمار بن ياسر، وبلال، وصهيب، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي عبيدةبن الجراح، وأبي ذر الغفاري، وعائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، والخليفتين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وجميع المهاجرين والأنصار، رحمهم الله ورضي عنهم، عن النبي ﷺ، عن جبريل الأمين، عن رب العالمين. فليس بطاعن في ديننا مطعن، ونحن والحق في أيدينا غير دارس ولا مجهول(١١٩). والحمد لله رب العالمين.

فصل

عن النبي ﷺ أنه قال : «سيكذب علي بعدي، فما جاءكم فاعرضوه على كتاب الله فما وافق الحق فهو عني، قلته أو لم أقله، وما خالف الحق فليس عني، قلته أو لم أقله»(١٢٠). وحشاه أن يقول غير الحق .

وقال قائلون : من قال لا إله إلا الله وحدها، ولم يعمل دخل الجنة، وهذا إغفال من قائله، أليس من عرف سيده أن يعبده فيما إستعبده، يرجو منه ماوعده، وخوفا منه لما توعده؟ أخلقه سيده عبثا أو تركه سدى؟ وهو يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١٢١) ، ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٢٢)، ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(١٢٣) ، في أمثالها من الآيات ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

(١١٩) أنظر تراجم هؤلاء الأعلام في الملحق .
(١٢٠) أخرجه علي القاريء في الأسرار المرفوعة ٢٢١ .
(١٢١) سورة التوبة : ١٠٥ .
(١٢٢) سورة التوبة : ٣١ .
(١٢٣) سورة البينة : ٥ .

أَضَاعُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا﴾(١٢٤) ، ﴿وَيلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخلَدَهُ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ وَمَا أَدرَاكَ مَا الحُطَمَةُ نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيهِم مُّؤصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾(١٢٥) ، فلابد من العمل ، وإلا فليس من قول لا إله إلا الله، إذا لم يعمل (فائدة)(١٢٦) ، والله أعلم بمراده.

فصل

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأشهدهم في دين الله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأمين هذ الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، وقال : «ما اظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر الغفاري»، وقال : «من أراد أن ينظر رجلا يحب الله فلينظر الى سالم مولى أبي حذيفة»(١٢٧) ، وقال : «ليلني منكم أولو الحكم والأحلام»(١٢٨) ، وكان يصف خلفه عبدالله بن مسعود(١٢٩) ، وقال : «مالكم ولعمار يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار»(١٣٠) ، وقال له : «تقتلك الفئة الباغية»(١٣١) ، وجعل شهادة ثابت بن خزيمة(١٣٢) ، عن شهادة رجلين من المسلمين، وكان يقال لحذيفة بن اليمان سر رسول الله ﷺ، فهؤلاء الذين أخذنا ديننا عنهم وهم الأمناء عندنا فيما نقلوا من كتاب الله، وسنة رسوله، واجماع العلماء المحقين. وديننا قول وعمل ونية واتباع السنة و﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولَا أَن هَدَانَا اللهُ﴾(١٣٣) ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر وعلى آله البررة الأخيار الطيبين الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

في ذكر العلماء : أول العلماء الذين أخذ عنهم أصحابنا دينهم عبدالله بن

---

(١٢٤) سورة مريم : ٥٩ .
(١٢٥) سورة الهمزة : ١ ـ ٩ (١٢٦) مابين (.....) زيادة في الأصل ليتم المعنى .
(١٢٧) أخرجه الزبيدي : اتحاف المتقين ٦١٨/٩.
(١٢٨) أخرجه الكثيرون : انظر موسوعة أطراف الحديث ٨٨٧/٦.
(١٢٩) أنظر ترجمته في الملحق . (١٣٠) انظر مجمع الزوائد ٢٩٧/٩.
(١٣١) انظر تخريجه في مجمع الزوائد ٢٦٩/٩.
(١٣٢) الصحيح أنه خزيمة بن ثابت لا العكس ، انظر مسلم : أقضية ٢٠، والبخاري: أحكام ٣٧ .
(١٣٣) سورة الأعراف : ٤٣ .

العباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وهو الذي قال فيه جابر بن زيد (رحمه الله) حين وقف على قبره الذي دفن فيه: اليوم دفن رباني هذه الأمة، أي : عالمها. وقال أيضا: لقيت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت مابين أظهرهم الا البحر يعني ابن عباس. ويوجد أن ابن عباس عمي في آخر عمره ودفن بالطائف. وقيل : ان رسول الله ﷺ اخبره بانه سيعمى قبل أن يعمى.

ويوجد أن جابر بن زيد (رحمه الله) من قرية فرق، وهو من اليحمد من ولد عمر بن اليحمد، وهو مفتي أهل البصرة، وكان ابن عباس يقول : لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم غنما، وفي كتاب الله علما. وكان يكنى أبا الشعثاء، وتوفي سنة ثلاثة ومائة من الهجرة (١٣٤) ، وكان في مرضه يقول: أشتهي نظرة من الحسن بن أبي الحسن البصري، فجاء اليه في الليل، وكان مختفيا من الحجاج بن يوسف، وتوفي في خلافة يزيد بن عبدالملك، وكان جابر بن زيد (رحمه الله) أعور عين واحدة. وعبدالرحمن بن رستم ـ إمام أهل المغرب ـ ولم أعلم له كنية، وأبو بلال المرداس بن حدير وأصحابه، وهم أربعون رجلا خرجوا الى العراق، فدعوا الى دين الله وقاتلوا أصحاب عبيد الله بن زياد حتى استشهدوا (رحمهم الله)، ولهم خبر مشهور(١٣٥) .

وأخوه عروة بن حدير أيضا، قتله عبيد الله بن زياد، وحدير وهو بالحاء المهملة، والمرداس وعروة أمهما أدية. وقال عبدالله: كان ضمام بن السائب (رحمه الله) من الدوب(١٣٦) ، وأصله من عمان ومولده بالبصرة، وكان حاجب أيضاً من أهل عمان أصله ومولده بالبصرة، وكان الفضل بن جندب من المسلمين وأصله من عمان وكان موسرا وقيل: ان حاجبا كان هو المقيم بامور المسلمين، فاذا عناهم أمر جمع لهم السلاح، ومات وعليه خمسون الف درهم دينا، فضمنها عنه الفضل بن جندب، فقضاها عنه، وقيل بيعت في هذا الدين دار الفضل بن جندب كانت له بصحار، وهي التي تعرف بدار مسلم بن خالد. وعبدالله بن يحيى طالب الحق، امام المسلمين، من كندة،

---

(١٣٤) اختلف في تاريخ وفاة الامام جابر ، فقيل : ٩٣ هـ ، وقيل : ٩٦ هـ، وقيل : ١٠٣هـ، والأرجح هو الأول .

(١٣٥) المزيد عن ذلك ، انظر : المبرد : الكامل في اللغة والأدب .

(١٣٦) الدوب: المشهور عن ضمام بن السائب انه ينسب الى نداب، ولعله سهو أو خطأ في النص.

من حضرموت، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ : «اذا قتل الأعور اليماني، حزنت له أولياؤه، من في السماوات السبع»، وخرج معه المختر بن عوف من مجز(١٣٧) ، وقيل من حرمة (١٣٨) من باطنة عمان، وكنيته أبو حمزة، وخرج معه وبلج بن عقبة(١٣٩) من مجز، فخرجا في جيش حتى أخذا مكة والمدينة، وكان يخطب فيهما للمسلمين. وقال أبو زياد(١٤٠) : بلغنا ان المختار ابن عوف لما ظهرعلى المدينة، ودخل على قبر رسول الله ﷺ شكا له ماتفعل هذه الأمة من بعده. ثم خرجت عليهما خارجة(١٤١) من العراق ، فانهزم المسلمون، وقتل بلج بن عقبة في وادي القرى(١٤٢) ، وقيل: ان بلجا هذا كان يعد كالف فارس في القتال. وخرج المختار بن عوف الى مكة فاخذها، فهذا ماوجدت. ومن المسلمين، أبو الحر علي بن الحصين(١٤٣) وهو من الوفد الذين قدموا على عمر بن عبدالعزيز، وكان بابي الحر وجع، فطرحت له وسادة، فاتكا(١٤٤) عليها عمر بن عبدالعزيز، فذكر عمر بن عبدالعزيز عثمان بن عفان، وقال: كان عثمان خيرا ممن قتله، فخرج أبو الحر (رحمه الله) وطرح الوسادة، وقال: انك لمقالك تعذر الظلمة، بل كانوا خيرا منه، فلما يزل الكلام فيما بينهم ، حتى قبل منهم في عثمان، ثم قالوا له: ان المسلمين قد شتموا على المنابر، فاظهر من عذرهم على المنابر، قال : فاني أخاف لا أمكن(١٤٥) ، على ذلك، فقالوا : ان أئمة العدل لايسعهم التقية، وقد قتل المسلمون وصلبوا، وقطعت أيديهم وأرجلهم، وسلت أعينهم، وهم يلعنون على المنابر، فاظهر علانية عذر المسلمين، والبراءة من الظالمين، فانه لايسعك الا ذلك. فقيل: ان ابنه عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، قال: ياأبتي، تقيم العدل بالباكر ولو غليت لحومنا بالعشي في المراجل، وقال عمر بن عبدالعزيز: ان فعلت عوجلت، ولكن علي لكم أن نميت كل يوم بدعة، ونحيي كل يوم سنة، فلم يقبلوا ذلك منه، وقالوا: نخرج منك على أن لانتولاك، فقيل: لما أخبر أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (رحمه الله) بما كان منهم ومنه، قال: ليت القوم قبلوا منه. وقيل:

---

(١٣٧) مجز : قرية في ولاية صحار ، شمال الباطنة.

(١٣٨) حرمة: بالفتح ثم السكون، موضع في جانب حمال ضرية قريب من النسار، معجم البلدان م ٢/ ٢٤٥.

(١٣٩) أنظر ترجمته في الملحق .

(١٤٠) أنظر ترجمته في الملحق .

(١٤١) خارجة : جيش وعسكر .

(١٤٢) وادى القرى : موضع قريب من مكة

(١٤٣) انظر ترجمته في الملحق .

(١٤٤) لعل الصواب : يتكيء عليها عمر .

(١٤٥) الأنصح : لا أقدر .

ان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز توفي من قبل أن يخرجوا من عند عمر بن عبدالعزيز، فبعث اليهم عمر، وقال: جهزوا صاحبكم، قال: فدخلنا لنغسله، فجاء فدخل، فوضع له كرسي، فجلس عليه، فلما أخذوا في غسله، ونزعوا عنه ثيابه، غشي عليه عمر(١٤٦) ، ووقع، فرفعوه، وقال له بعض من حضر معه: ياأمير المؤمنين ان هذا ليس لك بمجلس، فلو خرجت الى الناس، فعزوك وحدثوك، فكان أرفق بك، فخرج، فغسلوه وكفنوه، وصلى عليه أبو حمزة (رحمهما الله)، وقيل : انه لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، خطب الناس، وذهب يدعو مقيلا، فاتاه ابنه عبدالملك فقال له : ماتريد أن تصنع؟ قال له : أقيل تقيل، ياأبتي أقيل، قال له : تقيل ولا ترد المظالم، فقال له : يابني قد سهرت البارحة في أمر سليمان(١٤٧) ، فاذا صليت الظهر رددت المظالم، فقال له : ياأمير المؤمنين، ومن لك أن تعيش الى الظهر، فقال له : أدن مني يابني، فدنا منه فالتزمه، فقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعنني على أمر ديني، فخرج عمر ولم يقل. وقيل: وفد رجل من أهل الصلاح على عمر بن عبدالعزيز، فانزله مع ولده عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، وكان عبدالملك عزبا، قال الرجل:, فكنت معه في بيته، حتى اذا صلينا العشاء، وأوى كل منا على (١٤٨) فراشه ، فلما ظن أنا قد نمنا قام الى المصباح ، فاطفاه وأنا أنظر إليه، قام يصلي حتى نبا النوم(١٤٩) ، قال: ثم استيقظت وهو يقرأ ﴿أَفَرَأَيتَ إِن مَّتَّعنَاهُم سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ مَا أَغنَي عَنهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾(١٥٠) ، فبكى ثم رجع اليها، فبكى، فلم يزل كذلك حتى قلت سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت : سبحان الله والحمد لله وسبحان الله، كالمستيقظ من المنوم، لاقطع عنه ذلك، فلما سمعني ألبد، ولم أسمع له حسا. وقيل: لما دفن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز استوى عمر بن عبدالعزيز قائما وأحاط به الناس، فقال: والله يابني لقد كنت برا بابيك، والله مازلت ما (١٥١) وهبك الله لي مسرورا بك، والله ماكنت قط أشد سرورا، ولا أرجى من الله بحظي فيك.

---

(١٤٦) الأفصح : فغشي على عمر .

(١٤٧) هو سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، تولى الخلافة سنة ٩٦هـ بعد وفاة الوليد بن عبدالملك، في عهد الدولة الأموية .

(١٤٨) لعل الصواب : الى فراشه .

(١٤٩) نبا النوم : ذهب عنه .

(١٥٠) سورة الشعراء : ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

(١٥١) لعل الصواب : مذ .

وضعتك في المنزل الذي صيرك الله اليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك، وجزاك الله باحسن عملك، ورحم الله كل داع دعى لك بخير، من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمره، والحمد لله رب العالمين، ثم انصرف. وفضائل عبدالملك بن عمر أكثر من هذا .

وكان من الوفد الذين مع أبي الحر جعفر بن السماك، والحتات بن كاتب، ويكنى بابي عبدالله بن كاتب، وأبو سفيان قنبر، ،قيل ان الحتات المشهور بالفقه من فقهاء المسلمين، وقيل انه من توام(١٥٢)، وقيل: انه كان ينزل سمد بنزوى من عُمان، وهو من بني هميم، وأبو مودود حبيب بن حفص بن حاجب . وأما حاجب فانه يكنى بابي مودود، وهو من بني هلال مولى، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل بن سفيان بن هبيرة، من قريش، وأخوه محمد بن الرحيل، وأما صحار بن العبد فانه، من طاحنة (١٥٣)، ومن قوله : لو بنى رجل على ظهر رجل جدارا ولم ينكر عليه للزمه. وأما نوح صالح الدهان كان من البصرة في طي، وأبو صفرة عبدالملك بن صفرة، وأبو أيوب وائل بن أيوب، هؤلاء كلهم من العراق، وأكثرهم من البصرة الا ماشاء الله، الا الذين بينا مثل، جابر بن زيد ، والمختار بن عوف، وهو من بني سليمة، من حرمة، وبلج بن عقبة، من فراهنه، من مجزج (١٥٤) من باطنة عمان. ومن المسلمين هلال بن عطية الخراساني، صاحب السيرة، وقتل عند الامام الجلندي بن مسعود (رحمه الله). ومنهم خلف بن زياد البحراني، نشا بالبحرين (١٥٥)، ثم خرج يلتمس الحق، فكان كلما لقي أحدا من أهل الفرق من قومنا طلب منه أن يعرفه مذهبه، فاذا عرفه، قال له: الحق في غير هذا حتى بلغ الى البصرة ، ولقي بها أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فساله عن مذهبه فنسبه له، فقال له : هذا هو الحق، كان عليه حتى مات (رحمه الله)، وشبيب بن عطية العماني، وقبره بالغربية. ومنهم أبو منصور الخراساني، ولا أعرف اسمه، وأبو عبدالله هاشم بن عبدالله الخراساني، وأبو حفص الخراساني، وأبو المهاجر هاشم بن المهاجر، وهو فقيه من فقهاء حضرموت. ومنهم أبو بكر الموصلي، وهو يحيى بن زكريا، وهو من أهل الموصل، وانتقل

(١٥٢) توام : احدى قرى شمال الباطنة قرب البريمي .
(١٥٣) طاحنة : قبيلة عمانية كانت تعيش في نواحي صحار، منها الشيخ أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري .
(١٥٤) لعل الصواب : مجز : إحدى قرى صحار من الباطنة .
(١٥٥) البحرين : بلاد الساحل بين اليمامة وعمان .

من أهل عمان العلم من البصرة، ونقلوه الى عمان، وأبو المنذر بشير بن المنذر النزواني، وهو رجل من بني نافع، من عقر نزوى، وهو يسمى الشيخ الكبير، وكثير في الآثار يوجد عن بشير الشيخ، وهو جد بني زياد من بني سلمة بن لؤي بن غالب، ومنير بن النير الجعلاني، وهو رجل من بني ريام، وموسى ابن أبي جابر الازكاني، وهو رجل من بني ضبة، من بني سامة بن لوى بن غالب، ومحمد المعلا الفشحي، وهو من كندة، ومحمد بن الرحيل، القرشي، البصري، هؤلاء الذين حملوا العلم عن الربيع بن حبيب البصري، الفراهيدي، وقيل: انه انتقل الربيع بن حبيب، ومحبوب بن الرحيل الى عمان في آخر زمانهما. ومن علماء عمان، هاشم بن غيلان السيجاني(١٥٦)، ويكنى أبا الوليد، وأخوه عبدالملك بن غيلان، وابنه محمد بن هاشم بن غيلان، وقبره عند قبر أبيه بسيجا (رحمهم الله) وغفر لهم، وجزاهم عنا وعن المسلمين خيرا. وأبو عثمان سليمان بن عثمان، من عقر نزوى، وأبو جعفر سعيد بن محرز بن سعيد، من نزوى، وولده عمر بن سعيد بن محرز، وسعيد بن المبشر، وولداه مبشر وسليمان أرجو أنهم من عدنى، من قرى ازكي، وعلي بن عزرة، وولده أزهر بن علي، وأبو علي موسى بن علي، وأبو جابر بن محمد بن جعفر، وولده محمد بن جعفر، وأبو جابر محمد بن علي، وأبو ابراهيم محمد ابن سعيد بن أبي بكر. كل هؤلاء من ازكي. وأبو زياد الوضاح بن عقبة، وأبو عبدالله بن محمد بن محبوب، وسفيان بن محبوب، ومجبر بن محبوب بن الرحيل (رضي الله عنهم). وكان مجبر بن محبوب يسمى الثقة، وبشير وعبدالله ابنا محمد بن محبوب من كبار علماء أهل عمان، وهما الغاية في الفضل والعلم في أهل زمانهم . وسعيد بن عبدالله بن محبوب، هو الامام الرضي الذي قتل بقرية مناقي، من قرى الرستاق، من عمان. وقيل انه أفضل أئمة عمان، لأنه جمع علما، وزهدا، وشهادة، الا أن الجلندى بن مسعود، قيل انه مثله أو دونه في الفضل. وأما أبو عبيدة الأصغر، فهو عبدالله بن القاسم، من قرية بسيا عمان، وأبو ابراهيم محمد بن سعيد بن أبي بكر، من ازكي، وعزان بن الصقر، من عقر نزوى، من غلافقة، وأبو محمد الفضل بن الحواري، وقيل: ان الفضل بن الحواري، وعزان بن الصقر كانا في زمان واحد، وكانا يضرب بهما المثل في عمان لعلمهما وفضلهما، وقيل: انهما كانا في

(١٥٦) لعل الصواب : السيجاني بالسين المهملة، نسبة الى سيجا، احدى قرى بلدة سمائل في داخلية عمان، على الطريق الى نزوى .

عمان كعينين في جبين واحد، ولم يفرق أحد بين عينين في جبين واحد، الا أن عزان بن الصقر (رحمه الله) مات قبل الفتنة. فلم يختلف المسلمون في ولايته، وأما الفضل بين الحواري فقد أدركته الفتنة الواقعة بعمان. وقيل انه قتل تحت راية الامام الحواري بن عبدالله بموضع يقال له القاع(١٥٧)، قريب من صحار، ولهم حديث وأخبار يطول شرحها. وأبو المؤثر الصلت بن خميس، من قرية بهلا، وهو العالم المشهور بالعلم، وقيل : انه كان أعمى، وأبو عبدالله نبهان بن عثمان، من سمد نزوى، وهو جد بني معمر، وكان أعرج، وأخوه النعمان بن عثمان، وأبو جابر محمد بن جعفر الازكوي، المؤلف كتاب «الجامع» المعروف بكتاب أبي جابر، وكان أصم. وقيل: ان مدار أهل عمان، كان يدور على ثلاثة رجال في زمان واحد: أعمى وهو الصلت بن خميس، وأعرج وهو النبهان بن عثمان، وأصم وهو محمد بن جعفر. وأبو الحواري محمد بن الحواري القرى المعروف بالأعمى، وهو المراد في «جامع ابن جعفر»، وأبو مروان سليمان بن الحكم، وعبدالمقتدر، والمنذر بن الحكم، وأبو جعفر سعيد بن الحكم، من عقر نزوى، وأبو مروان سليمان بن حبيب، وأبو خالد، لعله أبو قحطان، صاحب السيرة المشهورة، الهجاري، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة، من بني سليمة، وكان منزله بالصرح، من قرية بهلا، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي، من قرية بسيا، وخالد بن سعوه، من عقر نزوى، ومحمد بن خالد الأعمى، من قرية بدبد، والمقتدر بن الحكم، وعبدالمقتدر، وأبو صالح زياد بن مثوبة، والوضاح بن زياد بن الوضاح بن عقبة، ومنازل بن جيفر ، من عقر نزوى، وسعيد بن أبي بكر الازكوي، وهو ولد محمد بن سعيد، وعمر بن الفضل، من عقر نزوى، والعلا بن أبي حذيفة، وعبد المقتدر بن جيفر، وأحمد ابن محمد بن خالد، وأبو بكر محمد بن أبي بكر، من نزوى، ومحمد بن الحسن السري، والحواري بن محمد بن جعفر، من سمد الشان، ومحمد بن عمر بن موسى بن علي، ومحمد بن عبدالله بن جساس، وأبو صالح مبارك ابن جيفر، ومحمد بن هرون، والقاسم بن شعيب، وأبو علي موسى بن مخلد، من سمد نزوى، وأخوه مخلد، وأبو الحواري بن مروان بن زياد، ونصر بن حراس، ، ومحمد بن نصر الخراساني، ومحمد بن زائدة السمولي، واسماعيل بن يعقوب، ومسلمة بن

(١٥٧) القاع : موقع قرب صحار شهد الوقعة المسماة باسمه في القرن الثالث الهجري بسبب الفتنة بين اليمانية والنزارية .

خالد السولي (١٥٨)، وعبدالواحد السري وسعوة بن الفضل الابراي (١٥٩)، وطالوت السمولي، وأبو القاسم سعيد بن عمر الحباب، من عقر نزوى، ومحمد بن رياسة، ومهلب بن عثمان، والصقر بن عزان بن الصقر، وأبو المنذر بن سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، مؤلف كتاب «الضياء»، وكتاب «الأنساب» ، وأبو سعيد محمد بن سعيد، مؤلف كتاب «الاستقامة»، وكتاب «المعتبر»، ومحمد بن وصاف، شارح شعر أحمد بن النظر، ومحمد بن أبي بكر، وهو في زمان الحسن بن أحمد بن عثمان، وهادية ابن ابراهيم عالم من أهل فنجا، وأبو مكيف، من قرية ابرا، وفهم بن أحمد، من قرية الرستاق، وعمرو بن علي المفذى(١٦٠)، مؤلف كتاب الموضح (١٦١) والصلاة، والصلة، من أهل الرستاق، من وائل، ومحمد بن سليمان بن عيسى، من الرستاق، من وبل، ومحمد بن سليمان بن عيسى من الرستاق ، وأبو الريان علي بن عبدالرحمن السري، ومحمد بن يوسف النخلي، وأبو الحسن بن أحمد الغمقي، ومحمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جعفر السري، ومحمد بن عيسى الطيوي، ومعلان بن منير بن النير، ومحمد بن عران(١٦٢) الهيمي، ومحمد بن عزان بن زيد، والأزهر بن محمد بن سليمان، وأبو الحسن بن داود، وعمر بن القاسم، من ازكي، ومكرم بن عبدالله، ونصر ابن سليمان، وأحمد بن عمر بن أبي جابر المنحي، وعبدالله بن الحكم، وجعفر بن المبشر، وعيسى الخراساني، وعمر بن محمد المنجي، وجعفر بن زياد، من ازكي، وعبدالرحمن ابن جيفر الضنكي، وأحمد بن محمد المنحي، وأحمد بن عمر بن محمد الهنقري، ومالك بن عبدالله بن عمر الغطفاني، والعلا بن عثمان، وخالد بن سعوة، ومسعدة بن تميم، ومحمد بن نصر، في زمن موسى بن علي، وعبدالله ابن محمد بن زنباع، ورمقشي بن راشد في زمان أبي سعيد (رحمه الله)، ويعقوب بن اسحاق اللواي، وملهى بن يحيى، وهاشم بن يوسف، وسالم بن ذكوان، وعبدالله بن قيس، وأبو هاشم حرب ابن نافع الخراساني، وأبو جعفر بن محمد بن أحمد المنحي، وأبو عبيدة المغربي، ويحيى بن عبدالله بن يحيى بن ابراهيم بن عمر السمولي، ومحمد ابن عثمان، من عقر نزوى، وأبو

(١٥٨) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : السلوتي .
(١٥٩) الأبراي : لعل الصواب : الابروي، نسبة الى بدلة ابراء بالمنطقة الشرقية من عمان .
(١٦٠) الكلمة غير واضحة في الأصل، وما أثبتناه في النص مجرد افتراض .
(١٦١) الكلمة غير واضحة تمام الوضوح في الأصل، اذ يمكن أن تقرأ الموضع .
(١٦٢) لعل الصواب : عزان بالزاي المعجمة .

القاسم سعيد بن قريش، من عقر نزوى، ورمام بن سعيد بن رمام، من بهلا، وأبو محمد نجدة بن الفضل النخلي، ومحمد بن مختار النخلي، ومسبح بن عبدالله المنحي، وابنه محمد بن المسبح، من قرية من قرى سمائل، وأبو عبدالله محمد بن روح بن عربي، من سمد نزوى، وأبو الحسن بن سعيد بن قريش، من عقر نزوى، وأبو سليمان هداد ابن سعيد، من عقر نزوى، والقاضي نجاد ابن موسى، من قرية منح، وأبو عبدالله محمد بن الحسن بن الوليد السمدي النزوي، وأبو علي الحسن بن زياد النزوي، وأبو عبدالله محمد بن أحمد السعالي النزوي، وأبو علي الحسن بن نصر بن محمد الهجري، وأبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن عمر السمولي، والخليل بن أحمد صاحب كتاب «العين»، من ودام، ومحمد بن أبي الحسن بن دريد، من قدفع، والمبرد صاحب «الكامل» من المقاشعة من هجار. كل هؤلاء من قرى عمان، وأبو علي الحسن بن أحمد ابن محمد بن عثمان، من عقر نزوى، وأبو عبدالله عثمان بن عبدالله بن أحمد الأصم، من عقر نزوى، وكان يصلي في مسجد الشواذنة، ومحمد بن عثمان، من عقر نزوى، وعثمان بن رموش بن محمد بن عثمان، من عقر نزوى، وأحمد بن محمد المعلم، من سمد نزوى، والقاضي محمد بن ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالله الكندي السمدي النزوي، مؤلف كتاب «بيان الشرع»، وأحمد بن عبدالله بن موسى الكندي السمدي النزوي، مؤلف كتاب «المصنف»، حمل دينه عن الثقة أحمد بن صالح النزوي، وحمل أحمد بن محمد بن صالح عن محمد بن ابراهيم بن سليمان الكندي النزوي السمدي، وحمل محمد بن ابراهيم هذا دينه عن أبي علي محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان العقري، وقيل: أن الحسن ابن أحمد هذا كان له مدرسة فاجتمع اليه بعض اخوانه فارادوا أن يعينوه فابى عن ذلك، وقال: مادام توجد معي النخلة من التلالة بالف درهم، فلا أبغي من أحد معونة، وقيل: انه كان القاضي لخليل بن شاذان، وكان فيما قيل: انه كان أعلم أهل زمانه. ومن علماء عمان أبو سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي، مؤلف كتاب «الكشف والبيان»، والقاضي الوليد بن سليمان ابن بارك الكلوي الاباضي، وابراهيم بن أحمد بن محمد السعالي. ومن علماء عمان، عبدالله بن محمد القرن، وقريته منح، وانتقل الى نزوى عمان، ومات بنزوى، وقبره تحت مساجد العباد، من مقبرة عقر نزوى، والامام ناصر بن مرشد بن مالك

اليعربي الرستاقي، وانتقل الى نزوى، ومات به وقبره أيضا (رضي الله عنه) في مقبرة نزوى، غير بعيد من قبر الامام عبدالله بن محمد القرن، والامام سلطان بن سيف ابن عم الامام ناصر بن مرشد (رحمه الله)، وهو اليوم سيد المسلمين وامامهم في الدين، كلمته مسموعة، وأحكامه فيها جارية متبوعة، وامامهم في الدين القاضي، ذو العلم والسداد أحمد بن مداد، وامام المسلمين وقاضيهم في الدين، الأواه، الأمجد، الأنجد، محمد بن عمر بن أحمد بن مداد (رحمه الله)، ومفتي أهل عمان، العالم الرباني مسعود بن رمضان(رحمه الله)، وأخوه خنجر بن رمضان، ومن بعصرهم ومصرهم، والشيخ الفقيه، العابد، الزاهد، الراكع، الساجد، الأواه، سعيد بن عبدالله، والشيخ العالم الرباني، سيد المسلمين، وعالمهم في الدين، صالح بن سعيد بن مسعود بن علي بن زامل، وهو اليوم سيد أهل عمان، وهو مكفوف البصر، قوي القلب بالعلم والأثر، فكل هؤلاء من نزوى عمان، والشيخ أبو القاسم بن صالح وأولاده علي وعمر وصالح بنو أبي القاسم بن صالح، وسابق بن عمر بن سابق، وجمعه بن أحمد العالم، وسرحان بن عمر، والشيخ خلف بن محمد الأدماني الازكوي، وأخوه مسعود بن محمد بن سليمان بن أحمد بن موسى، والشيخ محمد بن راشد الريامي، والشيخ أحمد بن جمعه، ومن بعصرهم ومصرهم، وكل هؤلاء من ازكي. وأحمد بن مفرح البلهوي، وانتقل(١٦٣) الى نزوى عمان، والشيخ الفقيه الزاهد، ذو الخلق الرضية، محمد ابن علي وولده الشيخ الفقيه الزاهد عبدالله بن محمد بن علي المحمودي، والشيخ الفقيه العالم النزيه راشد ابن خلف العقيد، هؤلاء من قرية منح من عمان. والشيخ العالم العامل، امام المسلمين عمر بن سعيد أمعد، والشيخ مسعود بن هاشم، وهو قاضي المسلمين، ومن بعصرهم ومصرهم، هؤلاء من قرية بهلا عمان، والشيخ الفقيه خميس بن رويشد الضنكي.

قال المؤلف : أما مشائخ عمان في هذا الزمان الذين عليهم مدار الدين والهدى، أولهم الامام المؤيد، المنصور، المسدد، سلطان بن سيف بن مالك وإبناه بلعرب بن سلطان، وسيف بن سلطان (رحمهم الله)، ونصرهم على أعدائهم، والشيخ الفقيه، الزاهد، صاحب هذه السيرة، وهو الشيخ سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني النزوي (رحمه الله)، والشيخ العالم الرباني قاضي المسلمين وامامهم في الدين محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان

(١٦٣) سياق الكلام يوحي بسقط منه .

السمدي النزوي (رحمه الله)، والشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، والشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري النزوي، والشيخ العالم الفقيه سليمان بن عبدالله ابن علي الطيواني العقري (رحمه الله)، والشيخ الفقيه عبدالله بن عامر بن عبدالله بن سعيد العقري (رحمه الله). والشيخ الزاهد، الراكع درويش بن جمعه الأدمي (رحمه الله)، والشيخ الفقيه مداد بن عبدالله النزوي، والشيخ الفقيه مسعود بن سعيد الغافري، والشيخ الفقيه النزيه خلف بن سنان الغافري (رحمه الله)، والشيخ الفقيه محمد بن علي البحراني (رحمه الله)، والشيخ محمد بن خميس بن سعيد (رحمه الله)، وجملة الاخوان والمشائخ(١٦٤) ، لم أحص عدهم (رحمهم الله)، وقواهم على اقامة دين الله عز وجل، واحياء سنن النبي محمد ﷺ، وآثار الأئمة الخلفاء، والقادة الكرماء، والسادة العظماء . رجع .

فهؤلاء منهم من أدركناهم : ومنهم من لم ندركهم من عُلماء عُمان، فهؤلاء أئمتنا، وعُلماؤنا، وقُدوتنا، حملنا عنهم ديننا، وهو الدين الحنيفي، نقله صادق عن صادق، بهم نقتدي، وبهداهم نهتدي، لأنهم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، العلماء بالله والسنة، وقواد الناس الى الجنة.

فان قال قائل : فيا عجبا كل العجب فهذا هو التقليد الذي نهى عنه آنفا، قيل له، أخذنا من قولهم على سبيل الدينونة من قول المحققين متبعين غير مقلدين لهم ولا مبتدعين، والتقليد غير هذا، انما التقليد الذي قدمنا في كتابنا هذا، هو ماقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا أَوَ لَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١٦٥)، هذا هو التقليد المذموم، لانه عرف الحق من أهله ومال الى دين آبائه، مؤثرا له على الحق المبين، تقليدا محقين ومبطلين، وأي حجة أقوى حجة من كلام الله عز وجل. وديني دين المسلمين، وقولي قولهم، ووليي وليهم، وعدوي عدوهم، وعلى ذلك أحيى، وعلى ذلك أموت، وعلى ذلك أبعث ان شاء الله ﴿وَمَاتَوفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾(١٦٦) .

ودائن لله تعالى باداء جميع مالزمني ويلزمني من حقوق الله وحقوق

---

(١٦٤) انظر تراجم الأعلام المذكورين في الملحق .
(١٦٥) سورة لقمان : ٢١ .
(١٦٦) سورة هود : ٨٨ .

عباده، متى علمت من ذلك من فعل وعمل وقول ونية واعتقاد، خالفت في ذلك، أو شيء منه قول المسلمين على حسب القدرة والامكان، ولايؤخذ مما كتبته في كتابي هذا وفي غيره الا بالحق منه، وماوافق الحق والصواب. فما كان فيه من حق فمن الله تعالى وتوفيقه وتسديده، وما كان من باطل، فمن الشيطان، أبعده الله وأبعد ماقال، ليسد الواقف على هذا الخلل والزلل والباطل، وليصلح منه كل باطل متروك خارج من دين الله ودين المسلمين، ولايعمل أحد بشيء من كتابي هذا حتى يعرضه على المسلمين أو يعرف عدله. فاني ضعيف، غير فقيه ولا عالم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأنا أستغفر الله الذي لا اله الا هو، وتائب اليه من جميع ذنوبي كلها، صغيرها وكبيرها، وماعلمت منها وما لم أعلم، من يوم احتملت الى ساعة فراغي ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله البررة الكرام والملائكة والمرسلين والأنبياء والمقربين أجمعين.

تمت سيرة الشيخ الرضي سعيد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن قاسم الخراسيني النزوي (رحمه الله) وغفر له، آمين رب العالمين .



من سيرة الشيخ التقي الرضي سعيد بن أحمد ابن محمد الخراسيني (رحمه الله) لأحد الامامين (رحمهما الله) لأني لم أجد بعينه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيد هذه الأمة برحمته ونصره، ومن عليها بمن ارتضاه من أبناء دهره وعصره، وملكه السطر من ملكه وقهره، وأطاع له من خلقه بما يقوى به على نهيه وأمره، وجعله خليفة بعد أخرى، يذب بها عنها كل شيطان تملأ عتوا وكبرا، وملأ بحره ظلما ووزرا، تجبر في الأرض علوا وفخرا، وملكهم بالجبر ذلا وقهرا، رحمة منه ونعمة بعد أخرى، فيا لها نعمة عظمت علوا وقدرا، ومنة منه عليها ثقلت تادية وشكرا، ابتلاء من الله ونظرا وخيرا، وصلى الله على عز خلقه محمد وأئمة الهدى الموفية بالعهد نهيا وأمرا، المؤمنة بقضائه حلوا ومرا .

أما بعد ، امام المسلمين، انا واياك ركاب سفينة تجري بنا في بحر لجي عميق، تلعب بها الرياح فتضطرب بها مرة، وتسكن باخرى، فاعتصم بالله وتوكل عليه واساله السلامة لك ومن معك فيها بدعاء، وتضرع وخوف ووجل ونية صادقة خالصة من دنس المعائب ودرن الذنوب، فانا واياك ناجون فيها أو غرقى بمن فيها، فانا في أمر عظيم على خطر عظيم، ولكنها قلوب غافلة، وأفئدة مرعاة غير واعية، وانا واياك عما قليل أموات، لاننا أبناء أموات . وأما أخذنا هذا الأمر والسلطان الا بوارثة ممن كان قبلنا، فارجي مايرجى به من دوام الملك، وبقاء النعمة، وتعاقب الرحمة، وزوال النعمة، في الرأفة والعدل والرحمة، وصلاح النية، والعفو ماوسع ذلك. ولن تملك سادات الرجال وأهل الشرف منهما الا بلين الجانب، ولطف المقال، وحسن الصحبة وجميل الفعال، لقوله تعالى : ﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ﴾(١) .

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٩ .

فـالله الله أيها الامام في اخوانك الذين بذلوا في نصحك مجهودهم ، وسرعوا لك فـيـه موردهم، في منطق لايعاب، ونصيحة صدرت لك من أتقياء، أنقياء، ألبـاب، مـؤمنين غير مـتـوهمين في فعل ولا مقال. فهم لك عيون ناظرة، وآذان سـامـعة، وأفئدة زكية، طاهرة، خلصت عندي من حب الدنيا.يعرفهم العارف والجـاهل، ذو ورع في دينهم، اذا رأيتـهم خلتـهم وحسبتهم بهائم راتعة، واذا اخـتبرتهم وجـدتهم ملوكا أشداء في دينهم منوجة(٢) لايخافـون في الله لومـة لائم، خلصت وطهـرت قلوبهم من الدنيا الدنية، لا يطلبون بنصحهم اياك من أجـر أن أجـرهم الا على رب العـالمين. فـتـدبر أيها الامام ماكتبته به اليك. ان الناصح اذا جـاء نـاصـحـا لله تعالى راغبا فيما عنده، زاهدا فيما لديك، لايطلب في نصـحـه لك منك أجـرا، ولايريد به فخرا وذكرا ورفعة، فاعلم يقينا أنه من نصـحـائك في الله، وأحـبـائك الذين يؤثرون على أنفسـهم، ويحبون بقاء عز الدولة، بابقـاء كلمة الحق لله وفي الله، في رجاء ثواب الله، وفي استبقاء ماعنده، فـهـو خير وابقى، والملك لله يهبـه من يشـاء من عباده. والأرض له يهبها لمن يشـاءمن عـبـاده، والعـاقـبـة للمـتقين، فاذا وردت لك هدية (رحمك الله) من نصائح أحد من اخوانك فاعرضها على عقلك، فانه حكم عدل، فان قبل ذلك من الناصح مع موافقة آثار المسلمين فاقبله، فانه من الله على لسان أخيك، أو ممن جـاءك به. واقـبل الحكمـة ممن جـاءك بها من الناس، فـان «الحكمـة ضـالة المؤمن»، ياخـذها حـيث وجـدها، من حـبيب أو بغيض، من عالم أو ضعيف. فانك أصبحت في أمر عظيم، على خطر عظيم.

فـالله الله ، امام المسلمين، لاتهمل العيون، واجعل على العيون عيونا، فان لم تفـعل فـاعلم أنك مـغـبون، ولايكون العيون الا الثقات الأمناء من الناس، المـامـونين على مـاائتـمنوا عليـه، فـانتـخب من كل بلد ملكت أمـرها أمناءها، وفـضـلاءها، واجـعلهـا عيونا راعية في رعيتك، حافظة في ولايتك، فان اتهمت العـيـون، وارتاب قلبك في قولها، فليكن همك في طلب البحث لتعرف حق ذلك مـن بـاطـلـه، وجـده من هزله. ولاتهمل الأمـر اهمالا، وتفـقـد من أهل بدلك وجـوهها، وأهل الشرف منها، وأظهر اليهم الجميل من مقالك، كانك مقصود في حـالهم، وان كنت محسنا تاسـيـا برسـول الله ﷺ، قيل : انه فقد رجلا فسال عنه، ثم قـال : «اذهبـو بنا اليـه لعله واجـد علينا»، ولا عتاب عليه لأحد من

(٢) منوجة : لعل المراد التصاقا بالدين وارتباطا به، وأصلها من المنج هو الثمر تجتمع منه اثنتان أو ثلاثة يلزق بعضها ببعض.

الناس ﷺ. انه كان برا رحيما، ولكن ذلك من تمام أخلاقه في قومه ورعيته ﷺ، فلين الجانب الى الناس يجلب لك المودة، وهو خير من النفقة في بعض الأحيان (رحمك الله). وأما تقربك لأشراف الناس يزيدك منهم مودة ونصرة ونصيحة، ولطفك للمسكين ورحمتك له ينفعك بدعائه لك، واستغفاره لما يجد من عفوك واحسانك اليه، فلابد من دعاء يسمع لك ويستجاب ويسمع، ودعوة تدع الديار بلقعا، فلايكاد ترجع. والكلمة الشديدة تنفر منها قلوب ذوي الألباب. فان الناس أجناس متباينة، فانزل كلا منهم منزلة، فان الناس لهم منازل يتفاضلون بها. فمنهم اخوانك، وهم نصراؤك وأمنا لك(٣)، فاحبب لهم ماتحب لنفسك، وأكره لهم ماتكره لنفسك، فانهم يحبون منك مثل ماتحبه منهم، فانك تحتاج اليهم أكثر مما يحتاجون اليك، فالن الجانب وكن لهم روحا وريحانا، يكونوا لك اخوانا وأعوانا، وملجا ورداء وأنصارا، فانك سلطان بجيرانك واخوانك، لا بالمؤلفة من حسادك وعدوانك، فان النصيحة من العدو محال، والمحال الى الزوال. ونصائح اخوانك وأهل الشرف من جيرانك لاتستخرج الا بصحة القريحة منك، وبالمودة منك لهم تكون نصائح الرجال، ولاتصلح المودة الغريزية الا باصلاح النية. فاذا صلحت النيات من باطن القلوب في رضى الله علام الغيوب، فهنالك أمن الراعي، واستراحت الرعايا، ولو جربت ذلك لوجدت مقالي صوابا ان شاء الله، وأنت كبير الا باخوانك، وأهل الشرف من بلدانك، وأقبل من اخوانك كل منهم على قدر ضعفه وقوته، وعظم همته وتراخيها. فان أحوال الناس مختلفة لا متفقة ومؤتلفة. واقبل معذرتهم. وأقل عثرتهم. واغفر زلتهم، فانك لاتجد الناجي من العيوب المبرأ من الذنوب، فان طلبت صحبة من لا عيب فيه، فاتك الدهر من غير صاحب. وأنت أحوج الناس الى الأصحاب، ولكن لكل هؤلاء مرتبة ومنزلة، فانزل كل واحد منزلته، الا السفلة والسفيه، فاعطه الشدة صراحا. وان استغنيت عن أحد فلا تبعده كل الابعاد، وتفقد حاله، واسال عنه، فانك لابد أن تحتاج له يوما ما، يكون لك جيبا غائبا حاضرا أخا شفيقا لايرضى فيك المعائب، وان كان عنك غائبا. وحاشاك من ذلك. وان استغنيت عن أحد أو اعتذر اليك أخوك ان طلبته في أمر ترى أنه من أهله فاقبل معذرته، ولا تبعده فانه أعلم بنفسه منك، والله أعلم به منك، ومن نفسك، وكل أمره الى الله. ولا تترك له من يؤذيه مقاله، ويكثر عليه من كلامه ووباله، فان الكلام الشديد

(٣) كذا في الأصل ، والصواب : نصراؤك وأمناؤك .

اذا صدر من ذويك، ومن تقوى بسلطانك فذلك منك لامنه، والكلمة الشديدة تنفر منها القلوب، وتتبدد منها الأجساد، فقد وصى الله نبيه عليه الصلاة والسلام بلين الجانب، وخفض الجناح للمؤمنين، فقال : ﴿وَلَو كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلبِ لَانفَضُّواْ مِن حَولِكَ فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِي الأَمرِ﴾(٤) ، وقال : ﴿وَأَمرُهُم شُورَى بَينَهُم﴾(٥)، وأمره بالمشورة، وحثه عليها في غير موضع، وهو أكثر الناس عقلا، وأرجحهم رأيا، وأعلاهم درجة وأدبا صلى الله عليه وسلم. لأن ذلك من لين الجانب، وحسن التواضع للناس، فلا ذل ولا صغر من تواضع لله. ولا شاء وارتفع من تكبر على الخلق، وحاشاك، وحاشا كل مؤمن تقي من ذلك. وأحق الناس وأولاهم بالصبر واحتمال الأذى الملوك، لأنهم على أمورهم قادرون، ولرقاب الرعية قاهرون، قد ملكهم الله العباد لا ملجأ لهم من الله الا اليه. وعندي لاشك انك عالم بالذي كتبت به اليك. لأنك ملك من أبناء الملوك، تسوسون الرعايا، وتمارسون الأمور، لأن الملوك ممتحنون بذلك، فلابد لهم ، ولا مخرج من ذلك، لأن الملوك أحوج الناس الى سياسة الملك في رعاياهم، وأنهم أكبر الناس عقولا، ورأيا، وسيرة، وسياسة، وأدبا من سائر الرعايا. وهم أمناء الله في أرضه على خلقه. ولكن المكاتبات بين المسلمين واجبة، والنصائح لازمة، تذكرة وتنبيها للملوك، لما فيه من كثرة الأشغال من معاناة أمور الرعية، ومقاساة ماتجده من كثرة المعاندات والمخاصمات وخاصة في هذا الزمان، والله المستعان وهو حسبنا ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾(٦) .

واعلم ـ أيها الامام ـ أن الله سبحانه أحلك محلا عاليا شامخا، وأنزلك منزلا شريفا باذخا، وملكك طائفة من ملكه، وأشركك في شيء من حكمه، ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك، فلا ترض أنت أن يكون أحد أولى منك بالشكر له، وأن الله سبحانه قد ألزم الورى طاعتك، فلا يكن أحد أطوع لله منك له، وليس الشكر باللسان، ولكن بالفعل والاحسان. قال الله تعالى : ﴿اعمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكراً﴾ (٧) ، واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك، لم تبق له ولم(٨) يبق لك، ولو أنه بقي لمن قبلك لم يصل اليك، انما صار اليك

(٤) سورة آل عمران : ١٥٩ .
(٥) سورة الشورى : ٣٨ .
(٦) سورة النساء : ٦ ، سورة الأحزاب : ٣٩ .
(٧) سورة سبأ : ١٣ .
(٨) لعل الصواب : لن تبقى له ولن يبقى .

بموت من كان قبلك. فاجتهد (رحمك الله) في طلب راحة رعيتك بتعب نفسك، واغناء مسكينك بمخمصة بطنك، تكن مع الذين ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ﴾(٩) ، واصبر على مرارة الصبر، واحتمل زلة رعيتك، ووقر كبيرها، وارحم صغيرها ، وتفقد أمورها، واسال الله تعالى يمن عليك بتوفيقه لمرضاته، والصبر على مانابتلاك من أمور عافى غيرك منها توصلك به ملكا دائما، ونعيما لايزول في دار تبقى فيها الصحبة، ويذهب عن أهلها فيها النصب واللغوب. ويجعلنا واياك رفقاء ﴿إِخوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(١٠)، فيا لها من نعمة ماأجلها، وغبطة ما أعظمها، جلت وعظمت عند من رزقها ونالها، وصغرت وهانت على من وهبها، وأنالها كرامة من معطيها لمن أعطاها ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١١) ، ﴿لِّلَّذِينَ أَحسَنُواْ الحُسنَى وَزِيَادَةٌ﴾(١٢). فخذ امامي وامام المسلمين بما بان لك عدله، واترك عنك ما التبس عليك، أو ظهر لك خطؤه وهزله، فربما اختلس الشيطان مني الصواب، والقى على لساني الزلل والارتياب. وأنا أستغفر الله تعالى من كل قول وفعل وعمل قد خالفت به الحق، ومن كل شيء كتبته في كتابي هذا وغيره، أردته أو أردت فيه شيئا مخالفا فيه المسلمين. فانا أستغفر الله من جميع ذلك، ولا أردت بكتابي هذا وغيره لعن(١٣) لأحد، أو عداوة وانتصارا مني وافتخارا وعلوا، أو تقربا من السلطان أو استكبارا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه، ورضي الله عن أئمة الهدى من لدن آدم صلى الله عليه وسلم الى يوم الدين، والسلام.

فصل

في ذكر فضائل الامامين المكرمين : ناصر بن مرشد بن مالك، وسلطان بن سيف بن مالك (رضي الله عنهما) .

وأما ماكان عليه الامام المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب (رضي الله عنه) فانه كان بالغا الغاية القصوى في الورع والزهادة، وعلى ماأخبرته من الثقات وعن الثقات، مع عدم ادراكي له، أن ليلة مولده ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ أن النجوم في ليلة مولده كانها تهوى على بعضها

---

(٩) سورة الحشر : ٩ .
(١٠) سورة الحجر : ٤٧ .
(١١) سورة ابراهيم : ٢٠ ، سورة فاطر : ١٧ .
(١٢) سورة يونس : ٢٦ .
(١٣) كذا في الأصل ، لعل الصواب : لمزا .

بعض، فـفـرق الناس من ذلك فـرقـا شديدا. وهذه الفضيلة من فضائل النبي ﷺ، أن ليلة مولده نكست فيه الأوثان، وسكنت النيران، وكل معبود من دون الله عز وجل، وكثير من فضائله ﷺ تركتها خوف الاطالة .

فـــصل

ومن فـضـائل الامام المؤيد ناصر بن مرشد (رضي الله عنه) أنه كان ذات ليلة راقـدا على سطح بيته (رضي الله عنه)، فرأت أمته كان ناسا عليهم لباس فاخر يصلون عليه، ففرقت من ذلك فرقا شديدا، فلم تجد شيئا بعد ذلك. ومن براهينه (رضي الله عنه) أن رجلا رأى كأن سراجا بمسجد، فلما ألقى (١٤) اليه وجـد الامـام راقدا في المسجد ولم يجد شيئا. ومن براهينه (رضي الله عنه) أن مورة شبعت (١٥) قدر أربعمائة رجلا، أو يزيدون، حيث صار الى حصن نخل، وكـذلك جراب تمر، قام مقام المورة(١٦) في ذلك، وأخبرني من لا أتهمـه بكذب : أن ذات ليلة سمع ناس صلصلة وقعقعة، فرأى رجل في المنام كانه يسال عن ذلك، فـقيل له: ان بعض الجن أعان الامام ناصر (رحمه الله) على الطغاة حين حـاربوه بـعـقـر نزوى أبعدهم الله من رحمته وكذلك سمعنا عن أعدائه الذين حـاربوه في ذلك اليـوم أنهم سـمـعوا زلازل وأراجيف، وكانهم يقذفون من على السيران (١٧) حتى ينهزموا عنه أبعدهم الله من رحمته.

ومن ورعـه وزهده (رضي الله عنه) أنه كـتب الى الشـيخ الامام في الدين محمـد بن عمر بن مداد (رحمه الله) ليجتمع هو واخوانه ليدفعوا له من الأرز لبـعض الأعـيـاد، مع عدمه من الدراهم، فبكى الشيخ محمد بن عمر بن مداد (رحمه الله) وقـال: اللهم ان هذا هو العـدل. وأخبرني من لا أتهمـه بكذب: أن ناقـة أكلت من مال المسلمين من دون رأيه، فتخرشت(١٨) ، ولم يقدر أهلها أن ينتـفـعـوا بها، فدخلت عليه ووضعت رأسها على منكبيه كانها مستجيرة به، فـلما مسـح على رأسـهـا برئت من ذلك. وكـثير من الدواب اذا أكلن من مـال المسلمين دون رأيه تالمت بالفـور، والله أعلم. وأخبرنا أن امـرء شـتمه فورمت رجله بالحـال فمات. وكـذلك مملوك استهزأ بثيابه بعد موته، فمسها بظهره،

---

(١٤) لعل المراد أدلف بمعنى دخل .
(١٥) الأفصح : أشبعت على وزن أفعل . (١٦) المورة : كلمة محلية تعني كيلا محددا .
(١٧) السيران : مـفـرد سور وهو الحائط حول البيت ونحوه .
(١٨) تخرشت : لعل المراد : أصابها داء .

فمات من يبس ظهره، وكذلك ناس ـ على ما أخبرنا ـ أنهم اجتمعوا على منكر ببيت رجل، فأرادوا أن يشتموا الامام فانكرت عليهم زوجة صاحب البيت، وفرت عنه، فسقط عليهم البيت، فماتوا جميعا، وكثير من فضائله لم أذكرها لضيق القرطاس وخوف الاطالة، وسابتديء بذكر عهوده لولاته (رحمه الله).



ومن عهد الامام المؤيد المنصور المسدد ناصر بن مرشد ابن مالك (رحمه الله) ، الى الوالي الموالي أبي الحسن علي بن أحمد بن عثمان النزوي (رحمه الله):

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك يارب ، الحمد لله الذي أظهر كلمة الحق وأعلاها، ودرس كلمة الباطل وأرداها، وأنار أنوار الاسلام وأضاءها، وأطفا نيران الآثام وأذواها، أحمده على ماتفضل علينا من جزيل النعم، وعلم الانسان ما لم يعلم، وأشكره شكر من أناب اليه، وتوكل حق التوكل عليه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، شهادة أعدتها (١) ليوم الفزع الأكبر، والهول الفظيع الأبهر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالبراهين المنيرة، والدلائل المستنيرة، صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء، الأتقياء، الأرضياء، الأولياء، ماطار طائر في الهواء، وحدا حاد سباسب البهماء.

أما بعد ..

فهذا مايقول المعتصم بالله ، المتوكل عليه، ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب، الى الشيخ الوالي أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن عثمان (رحمه الله)، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فاقول : يا أبا الحسن اني قد وليتك على قرية لوى (٢) ، من الباطنة، وماحولها، وما اشتمل عليها من بلدان الباطنة وحتى (٣)، وديار الحدان (٤) ، والجو (٥)، وناجران (٦) ، ودما (٧)، وما تشتمل عليها هذه القرى والبلدان، ومافيهن وما بينهن من المزارع

---

(١) لعل الصواب : أعددتها .

(٢) لوى : قرية ساحلية بشمال عمان .

(٣) حتى : موضع في شمال الباطنة بعد شناص ، واليها تنسب جبال حتى، وتكتب أيضا حتا.

(٤) ديار الحدان: بالضم، احدى محال البصرة القديمة، يقال لها بنو حدان، سميت باسم قبيلة، سكنها جماعة من أهل العلم ـ معجم البلدان م ٢/ ٢٢٧ .

(٥) الجو : جزء من بلاد الظاهرة من عمان تضم قرى وبلدات عدة .

(٦) ناجران : كذا في الأصل ، ولم أجد من أشار اليها وبين موضعها .

(٧) دما : بلدة من نواحي عمان ـ معجم البلدان ٢/ ٤٦١، وهي بلدة السيب حاليا.

والأطوى وجميع الأماكن، أن تامر في هذه القرى والبلدان، باديهم وحاضرهم، وعبدهم وحرهم، وصغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، بالعدل والمعروف، وتنهاهم عن المنكر والمخوف، وأن تعمل بكتاب الله المستبين ، وتحيي فيه سنة النبي الأمين وآثار الأئمة المهتدين، وسيرة القادة المخلصين، الذين جعلهم الله منار الهدى، وقادة الناس الى التقوى، وأورثهم الكتاب والسنة، يدعون الى طريق الجنة، وأن توالي في الله، وتعادي فيه، ولاتاخذك في ذلك رأفة ولا رحمة، ولاتخف في الله لومة لائم، ولا عذل مجرم آثم، وأن تخلط الشدة باللين، وتخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وتعرف لكل امرىء حقه وتوفيه اياه كاملا ، ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) .

فالله الله ، يابا الحسن، في اقتراف الحسنات، وانكار المنكرات، بغير تجاوز منك الى غير واجب أوجبه الله في الجد والتشمير، وعرك التهاون والتقصير، وأن تجتهد كل الجهد في اصلاح أهل ولايتك، واصلاح أفلاجهم، وعمارة مساجدهم، والصفح عن مسيئهم، والتجاوز عن سيئاتهم، ماوسعك من ذلك، وأن تقبض زكواتهم من أغنيائهم بحقها، وتجعلها في أهلها من فقرائهم وضعفائهم، تعد لها طيبة نفس معطيها الا من وجب جبره، ولايخفى عليك ان شاء الله .

فالله الله، يابا الحسن، في التفحص عن فقيرهم وضعيفهم، من جميع أماكن ولايتك، لتساويهم من مال الله، ماوسعك من ذلك، ولا تدعهم يقفون اليك بكيا من السغب والعرى، واجعل لهم أعوانا من اخوانك، ليتفحصوا عنهم فان كثيرا من الفقراء تقصر عن المجيء اليك من حياء أو ضعف، فيقف عنك وهو في ضرر عظيم، من شدة فقره وفاقته، وقد جعلت لك، يابا الحسن، أن تعامل على صوافي (٩) ولايتك بمزارعة أو قعادة (١٠) وقبض غوالها ووضعها في موضعها، ماوسعك من ذلك. وقد جعلت لك أن تنفق على الشراة(١١)، ومن وضع نفسه معك من أهل القرى من مال المسلمين على ماتراه

(٨) سورة الروم : ٣٨ .

(٩) الصوافي : مفردها صافيه ، وهي الأموال الزراعية من أراضي ونحوها، لم يعرف لها صاحب، تتولى الدولة ادارته، ويكون تابعا لبيت المال .

(١٠) القعادة : هي الاجارة على خدمة الأرض، اما بأجرة نقدية، أو بجزء من خراج الأرض.

(١١) الشراة : هم رجال أوقفوا حياتهم على خدمة الدولة من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والضرب على أيدي العابثين، وتتبع الخارجين عن السلطة.

عـدلا، وقـد جـعلت لك حبْس من يجب حبسه من أهل الأحداث والحقوق، على مـاتراه عـدلا، مما حـفظته من آثار المسلمين من غير حيف، ولا ميل لأحد، وقد جـعلت لك اطعـام الضـيف النازل على قدر ماتراه عدلا، من آثار المسلمين، ولا تاتمن على مـاائتـمنتك عليـه من أمـانتي التي أنا أمين لله فيه فيها الا من هو حـقـيق بذلك في دين المسلمين، وقد جعلت لك حماية البلاد والذب عن الحريم والعـبـاد، وألزمت جميع أهل القـرى طاعـتك، وحـجرت عليهم معصيتك، ما أطعت الله ورسـوله فـيـهم، وقـمت بما شرطته عليك في عهدي هذا اليك، فان خـالفت غير مأمرتك به، فانا ومال المسلمين بريئان منك، وأنت الماخوذ به في نفسك ومالك، واعلم انه لاأثرة عندي لظالم، ولا حيف لمسلم، بل ارادتي اعزاز دين الله عـز وجل، واحـياء سنن النبي المرسل، واظهار دعوة المسلمين، والأخذ على أيدي الظالمين، واخماد كلمـة المعـتـدين، وكسر شوكتهم، واطفاء بدعتهم، وتفـرق جماعـتـهم، التي يجتـمـعـون فـيـها على الحرام، والخوض في الآثام، وانتهاك عظيمات الأمور، ما استطعت الى ذلك .

فـالله الله ، يـاأبا الحـسن، اتق الله حق التـقـوى ، وخـفـه حق الخـوف، مـااسـتطعت الى ذلك ﴿وَاصبِر وَمَـا صَبرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلَا تَحـزَن عَلَيهِم وَلَا تَكُ فِي ضَـيـقٍ مِّمَّا يَمكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَـواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحسِنُونَ﴾(١٢)، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما .

وكـان الكتـاب عـشـيـة الأحد لخمس ليال بقين من شهر ذي الحجة من سنة خمسين سنة وألف سنة من الهجـرة النبـوية ، كـتـبـه الامام ناصر بن



(١٢) سورة النحل : ١٢٧، ١٢٨ .

ومن عهد له (رضي الله عنه) الى الوالي الموالي صالح ابن سعيد المعمري السعالي (رحمه الله) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح شهاب الحق بالبراهين المنيرة، والدلائل المستنيرة، ودمر دعوة المظالم بالآيات الواضحة والحجج الباهرة اللائحة، وأعز دولة نبيه بالأنوار الساطعة، والألسنة القاطعة. أحمده على ماأضاء نور ديننا بافق كتابه، وبين لنا غرائب مشتبهات من معاني كلامه وخطابه، وأشكره شكر من أناب وخضع، وسجد وركع، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة ثابتة بالجنات، مكررة باللسان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الى كافة الثقلين ، وطهره من الدرن والشين ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَولُ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (١٣) ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار، الأتقياء الأخيار، ماغرد عندليب على غصون الأشجار، وأناب منيب بغياهب الأسحار .

أما بعد :

فهذا مايقول المعتصم بالله المتوكل عليه، امام المسلمين، ناصر بن مرشد ابن مالك، الى الشيخ الوالي أبي سعيد صالح بن سعيد المعمري (رحمه الله):

فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فاقول لك: ياأبا سعيد، فقد وليتك على بلدة صور وابرا ومايشتمل عليها من القرى والأماكن على أن تظهر دين الله عز وجل في هذه البلدان والقرى وتحيي سنن نبيه محمد ﷺ، حتى تاخذ من الظالم للمظلوم حقه، وتوفي من مال الله لكل فقير نصيبه ورزقه، وتامر من بهذه القرى والبلدان، حضرهم، وبدوهم، بالمعروف والاحسان، وتنهاهم عن الفجور والبهتان، وتعلمهم أن من ظلم أحدا ذرة أو أقل منها وأكثر فاقتد لعقابه بآثار الأئمة الفضلاء الذين جعلهم الله ورثة الأنبياء، يقودون الناس الى الخيرات، وأفضل منازل الدرجات ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقتَدِه﴾(١٤) وأن توالي في الله وتعادي في الله، ولاتاخذك بهما رأفة، ولا تخف لومة لائم ﴿ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾(١٥). وعلى أن تجتهد في صلاح أهل ولايتك، واصلاح دينهم، وعمارة مساجدهم، والرأفة

(١٣) سورة يس : ٧٠ .
(١٤) سورة الأنعام : ٩٠ .
(١٥) سورة الحديد : ٢١ ، سورة الجمعة ٤ .

بهم، والتجاوز عن مسيئهم، وحسن السياسة لأمورهم، والصبر في نفسك من آذاهم ما وسعك من ذلك، واياك، ياأبا سعيد، والعجلة في أمورك. وكن حذرا وقورا، صابرا شاكرا على العطاء، ساترا عيوب من أخطا، غافرا زلة من عثر، رؤوفا بمن أناب واستغفر ، قابلا لمن رجع اليك واعتذر، مدمدما على من أصر واستكبر، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، هينا لينا لمن آخيته من جميع البشر، لا بفظ ولا غليظ ﴿وَاصبِر وَمَا صَبرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾(١٦) وتوكل على الله حق التوكل، واجتهد في كل ذلك، ﴿وَلاَتَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ﴾ (١٧) ، وأوصيك، ياأبا سعيد، أن تختص من خيار اخوانك أن يسيروا في البلاد، ويردوا المظالم عن العباد، ويصرفوا عنهم المناكر والفساد، ويسوسوهم بالصلاح والرشاد، ويقبضوا منهم الزكاة من أغنيائهم، ليعطوها فقراءهم، فيواسونهم من مال الله مايسد جوعهم، ويستر عورتهم، ولا تدعهم يتكففون اليك حزينين باكيين، وابعث الى كل بلدة وقرية ثقة، أمينا، ورعا، يتجسس عن المكثر والمقل، ليأخذ من المكثر زكاة الله، ويواسي منها المقل، لأن كثيرا من الأغنياء لم ينصف نفسه في أداء الزكاة، وكثيرا من الفقراء لم تحمله نفسه ليجيء اليك، فاجتهد، ياأبا سعيد، في الأخذ من هذا والعطاء لهذا، فان لهم علينا حقا واجبا، أوجبه الله عز وجل في كتابه، لقوله : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨) . فاذا أردت المسير الى بلد صور من قرية إبرا، فاترك في قرية ابرا من يحفظ أمانتك، ويخاف الله حق الخوف، من ذات نفسه، وانت لاتجاوز بلدةولا غيره ولا مزرعا ولا عجوزا في عفة ولا بدويا بغار الا وأخذت من الظالم للمظلوم، وواسهم من مال الله ماوسعك من ذلك، فان مات أحد جوعا أو مظلوما فهو في رقبتك دون رقبتي، وانت المأخوذ به دوني، فاني أعزني الله بالاسلام، ونيتي أن أملأ الأرض عدلا وصلاحا، وارادتي أن أدمر كل ظالم، وأشتت كل جماعة اجتمعوا على المناكر والفجور والخوض في أفحش الأمور، فانه لا أثرة عندي لظالم، ولا حيف لمسلم، وقد جعلت لك أن تتصرف في جميع أمور المسلمين مايجوز لي أن أتصرف فيه، فان خالفت الى غير ذلك فانا ومال المسلمين بريئان منك، وانت الرهين به، والسلام عليك

---

(١٦) سورة النحل : ١٢٧ .
(١٧) سورة الأعراف : ٢٠٥ .
(١٨) سورة التوبة : ٦٠ .

ورحمة الله وبركاته، والحمد لله حق حمده، والصلاة على خير خلقه محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وهذا عهد له (رحمه الله)، الى الوالي الموالي سليمان بن راشد الكندي السمدي (رحمه الله) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيد هذا الدين بالحجج الاسلامية، والدلائل الفرقانية، والبراهين المحمدية، والملة الحنيفية، والسيرة الصديقة، والحكمة العمرية، والمذاهب الرضوانية، وأحمده حمد من أخلص لله في السر والعلانية، وأعوذ به من الفتن الكفرية، والمحن الاذية، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، شهادة المعتقد المخلص، المطهر قلبه من كل دنس، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بافصح الكلم، وأبلغ الحكم، فرحم الله به الأمم، وكشف به جميع النقم، وأسبغ عليهم جزيل النعم، فدعا الى الله وبشر، وأنذرهم رواجف الراجفة، وحذر . صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء، وأصحابه النجباء، ماهمهم رعد بالسحائب وحدت (١٩) عيس بالسباسب .

أما بعد :

فهذا مايقول المعتصم بالله ، المتوكل عليه، امام المسلمين، ناصر بن مرشد ابن مالك بن أبي العرب، الى الشيخ الوالي أبي عبدالله سليمان بن راشد بن عبدالله الكندي السمدي (رحمه الله) :

فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فاسمع له وأطع، واقتد في ذلك، واتبع فاقول لك: ياأبا عبدالله اني قد وليتك على بلد الصير(٢٠) وما حولها، وبما يشتمل من البلدان والمنازل والأوطان، ومافيهن من المزارع والأطوى، وجميع تلك الأماكن من تلك البلدان، على أن تامر في هذه القرى والبلدان، باديهم وحضرهم، وعبدهم وحرهم، وصغيرهم وكبيرهم، بالمعروف والهدى،

---

(١٩) لعل الصواب : وحدت ، والحداء هو صوت الناقة أثناء سيرها أو ماينشد لها راكبها لحثها على السير.

(٢٠) بلاد الصير : جبل على الساحل بين سيراف وعمان، وسيراف مدينة على ساحل بحر فارس كانت قديمة فرضة الهند .

وتنهاهم عن المناكر والأهواء، وتحيي فيهم دين الله العزيز الحكيم، وسنة النبي القويم، وطريقة الفضلاء الراشدين الأئمة القانتين، الذي جعلهم الله حجة للأنام، ومصباحا للظلام، يقودون الناس الى طاعة الاسلام، ويدعون الى دين الله ذي الجلال واكرام (٢١) ، وأن توالي في الله، وتعادي في الله، لاتاخذك في الله عذلة عاذل، ولومة لئيم مائل، وأن تخلط اللين بالصلابة، وتخفض جناحك لمن اتبعك من الاخوان والأصحاب والقرابة، ومن كل الخليقة، وتستقيم في جميع أمورك على الحقيقة، وأن تعرف قدر كل امريء وتؤتيه حقه، وتوفيه نصيبه ورزقه، كما قال عز وجل : ﴿فَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجهَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾(٢٢) .

فالله الله ، ياعبدالله ، في دفع السيئات بالحسنات، وانكار المناكر في جميع البلدان والفلوات، بغير تجاوز منك الى غير واجب أوجبه الله في التشمر، وجد في جميع أمورك بالتدبير الرضوني، وترك التهاون والتقصير عن الأمر البهتاني، بيد أنك قائم في تلك المنازل والبلدان مقامي، وسالك طريقتي وأعلامي، فاجتهد - قرة عيني - في اصلاح ولايتك، والعدل بين رعيتك، وعمارة مساجدهم، والصفح عن مسيئهم، والألفة والتقرب لمحسنهم، والتجاوز عن سيئاتهم، ماوسعك من ذلك، وأن تقبض زكواتهم من غنيهم وتجعلها في فقيرهم وضعيفهم بعدلها، طيبة نفس من أعطاكها، الا من وجب جبره عليها ماوسعك من ذلك، ولا تهمل أمورك وفقراءك، فتحسس عنهم من جميع بلدانك ومنازلك، لتساويهم من مال الله ماوسعك من ذلك، ولاتدعهم يتكففون اليك، باكين حزنين سدمين من شدة الضرورات من الجوع والسغب، فان جمة منهم لم يقدر أن يبلغ اليك من حياء أو ألم، فلا تهمل ذلك ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ﴾(٢٣)، ﴿وَاصبِر وَمَا صَبرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾(٢٤)، ﴿وَتَوَكَّل عَلَيهِ﴾(٢٥)، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلعَبِيدِ﴾(٢٦) .

فالله الله ، ياعبد الله، في السيرة الحسنة، والطريقة المستحسنة، وكن

(٢١) الصواب : والاكرام ، بالتعريف .
(٢٢) سورة الروم : ٣٨ .
(٢٣) سورة الأعراف : ٢٠٥ .
(٢٤) سورة النحل : ١٢٧ .
(٢٥) سورة هود : ١٢٣ .
(٢٦) سورة فصلت : ٤٦ .

وقـورا، حذرا، صامتا بمجلسك ، متبعا سنة نبيك، مستقيما في دينك، متورعا، رفـيـقـا بالمؤمنين، مطبـقـا على المصرين. وقـد جعلت لك، ياعبدالله ، أن تكرم الـضـيـف النازل من غير تقـصير ولا حـيف، فـاذا أردت المسير من الصير الى نزوى أو غيرها، فـاترك على أمـانتك من يخاف الله من ذات نفسه، وأنت لاتمر على منزل الا أصلحـتـه، ولا مظلوم الا أنصـفـه، ولا فقير الا واسيته، ولا مكان الا وأمـرت فيه بالمعروف، ونهيت عن المنكر، فان ظهرت بدع أو فتن، أو مات أحـد مظلومـا أو جـوعا، وأنت تعلم به، ولم تستقم (٢٧) فيه، وخالفت غير مـاأمـرتك به، فانا ومـال المسلمين بريئان منك، وهو في رقـبتك، دون رقبتي، وأنت الرهين به يوم المناقـشة، والأخذ بالظلامة، فاني امرؤ أعزني الله بدينه، وأرشـدني بطريقـة نبـيه وأمينه، ولا أثرة عندي لظالم، ولا شدة عندي لمسلم راحم، وقـد ألزمت من في هذه البلدان والفـيافي والقفار طاعتك، وحجرت عليهم مـعصيتك، ما استقمت حق الاستقامة، في جميع أمورك، فشمر لذلك عن ساق، واجـتـهد في تحفظ للحجج يوم التلاق. واقف في ذلك آثار الذين هاجروا وآووا ونصروا دين المهـيـمن الخـلاق. واجتهد في كسر شوكة الكفر والنفاق، وحسم كـرة الذين اجـتـمـعوا على الفواحش والشقاق، وقوموا لله آناء الليل وأطراف النهـار، وابكوا فـرقين من أصـلاء دار البـوار، مـتقين الله في العلانية والأسرار ﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيراً﴾ (٢٨) ، وصلى الله على نبـيـه محمد وآله وسلم تسليما، واسـتـعـن بـالله بكرة وأصـيـلا، ﴿وَلاَتَكُن مِّنَ الغَـافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسـتَكبِرُونَ عَن عِـبَـادَتِهِ وَيُسَـبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسجُدُونَ﴾(٢٩)، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بلغ سلامنا جملة الاخوان .

ومن كتابه الى الامام المؤيد المنصور المسدد سلطان بن سيف بن مالك (رضي الله عنهما) حين نصب واليا وأراد العذر :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عـبـدالله امـام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك، الى حضرة شيخنا

(٢٧) كذا في الأصل .
(٢٨) سورة الأنفال : ٤٥ ، سورة الجمعة : ١٠ .
(٢٩) سورة الأعراف : ٢٠٥، ٢٠٦ .

الوالي الولد سلطان بن سيف بن مالك ـ أمد الله عمره ـ :

أما بعد :

فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فاسمع له وأطع، واقتد باخوانك السالفين واتبع، وأما ماذكرته من أمورك فاسال فيها أهل الفضل والورع والهداية والشرع، الذين جعلهم الله ورثة أنبيائه، ونورا ساطعا يقتدي بهم جميع أوليائه، ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٠) ، وأما ماذكرته في العاذرة من الأمر الذي جعلته عليك، فكيف أنت اليوم ولدي، جناحي الذي أتوصل به الى اعزاز دين الحنيفي، وخليفتي الذي أخلفه ركنا الى هذا(٣١) المذهب ، ووسع صدرك ، وشاور العلماء في أمرك، ولاتقطع عمرك، وتضيق الصدر، والحزن، وهون على نفسك من جميع ذلك، وانظر ما أمامك من العوائق والمهالك، فان السالم من وفقه الله ونجاه، وارتضاه من خليقته واصطفاه، حتى حاذر من جميع معاصيه وخشيه، لا من ضيق على نفسه، وحزن في يومه أكثر من أمسه، وقطع نفسه بالندم والهموم، والكرب والغموم. وسلم الأمور، ولدي، لخالق الأرض والسماء ومافيهن ﴿وَمَا تَحتَ الثَّرَى﴾(٣٢)، ﴿وَاصبِر وَمَاصَبرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ (٣٣)، ﴿وَتَوَكَّل عَلَيهِ﴾ (٣٤)، وفوض أمرك اليه، واتقه حق تقاته، ليجعل لك من جميع أمورك المخارج، لقوله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لَايَحتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمرِهِ قَد جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدراً﴾(٣٥).

فالله الله ، ولدي ، في سياسة الملوك، لاتكن غافلا، ولامهملا لأمورك، فانك ركبت الخطر العظيم، والهول الفظيع الجسيم، فلا تلتفت، ولدي، الى الدنيا ونعيمها وغضارتها، فانها ﴿لَعِبٌ وَلَهوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ﴾(٣٦) ، لا توازن عند

---

(٣٠) سورة آل عمران : ١١٤ .
(٣١) لعل الصواب : لهذا .
(٣٢) سورة طه : ٦ .
(٣٣) سورة النحل : ١٢٧ .
(٣٤) سورة هود : ١٢٣ .
(٣٥) سورة الطلاق : ٢ ، ٣ .
(٣٦) سورة الحديد : ٢٠ .

الله جناح بعوضة، فاجتهد في ذلك، واقتد باخوانك الماضين، حيث تركوا الدنيا لأهلها، وبذلوها لطلابها، وتوكلوا على الله حق التوكل، ولم يقصروا جهدهم في الله، واعزاز دينه واظهار كلمته، واخماد نار البدع، واماتة الباطل، وقتال الباغي والعاطل، فلم تخدعهم الدنيا بغرورها، ولم يعدلوا الى لذاتها وسرورها، حتى تركوها وراء ظهورهم، وقذفوا حبها من صدورهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٣٧) . فكن، ولدي، حيث ظني بك، وامتثل أمري ، وراع فقراءك حق الرعاية، والف بين اخوانك وأصفيائك وخلانك ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) ، فاطرح ولدي حب الدنيا ومطامعها من قلبك، واجتهد في طاعة ربك، وخذ حذرك، وقو عزمك وصبرك، وكن مثل الأسد في ذلك الغار، ولايكن نظرك في راحتك اليوم، فانك اليوم لدينا مكين أمين. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه الأمي، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبت هذا الطرس على المعنى لا اللفظ بعينه، والله الموفق للصواب.

ومن كلام له (رضي الله عنه)، الى بعض عماله :

أما بعد :

فقد وليتك على بلد كذا وكذا، على أن تظهر دين الله عز وجل، وتحيي سنة النبي محمد ﷺ، وتامر بالمعروف، وتنهى عن المنكر ، وتقبض الزكوات من الأغنياء المثرين، وتواسي بها الفقراء والمساكين، فانظر اليهم نظر الأب الشفيق، فان لهم علينا حقا، ورجاؤنا باكرامهم دفع البلايا والرزايا، وأنت جنة لي يوم القيامة، فان خالفت الى غير ذلك فالله الحكم بيني وبينك، وأنت المأخوذ به دوني والسلام .

وأخبرنا من لا أتهمه بكذب : أنه رأى من بعض ولاته مالايجوز، فبكى من ذلك، وقال: اللهم ديني قد تمسكت به، واعتصمت بحبلك الوثيق، الهي أعوذ بك من لهوة وغفلة تميل بي الى اتباع الأهواء، والركون الى العماية والردى، وعزل ذلك الوالي بالفور، والله أعلم .

(٣٧) سورة فاطر : ٢٩ .
(٣٨) سورة الروم : ٣٨ .

ومن كلام له (رضي الله عنه) :

واعلموا اخواني أن لهذه الراحة والنعمة مناقشة ليوم (٣٩) الفزع الأكبر، لقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ يَومَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(٤٠) . فاجيلوا اخواني أفكاركم في بحور الأحداث، ووحشة نزول الأجداث، واعلموا انا واياكم ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ (٤١) . فان لم نستقم على العدل، والا سقطنا بهوة فظيعة، تحار بزلازلها عقول ذوي الألباب.

فالله الله ، اخواني، في رعايكم، ومواساة فقرائكم، فانكم غدا مسؤولون ومحاسبون، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفسٍ مَّاكَسَبَت وَهُم لَايُظلَمُونَ﴾(٤٢).

ومن كلامه (رضي الله عنه) ، الى بعض ولاته حين صارت (٤٣) بدراهمه للتجارة :

واعلم أنك بمقام حكم وعدل، محظور بأرجائه الركون الى الدنيا وتجارتها، فاردع نفسك عن ذلك. واكتب بصفحة فكرك معنى الآية التي قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقنَاهُم سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾(٤٤).

ومن كلامه (رضي الله عنه)، معاتبا لنفسه (٤٥) :

ويك يانفس ، لست من أهل هذه الدرجة والمرتبة، فلما أن ألبسك الله هذا اللباس على الرغم منك، مع علم الله بك أنك غير قادرة عليه، فالبسي أثواب الشكر لله عز وجل. وتوكلي عليه حق التوكل، وكوني مع الله يكن الله معك.

ومن كلامه (رضي الله عنه) ، الى بعض ولاته :

أما بعد :

فاني أنكر عليك أن تداين الناس، لما ورد في الخبر المنقول عن السلف الصالح أن الأمير التاجر ملعون، وهو متقو بسلطان المسلمين.

---

(٣٩) لعل الصواب : يوم ، بحذف لام الجر .
(٤٠) سورة التكاثر : ٨ .
(٤١) سورة التوبة : ١٠٩ .
(٤٢) سورة البقرة : ٢٨١، سورة آل عمران : ١٦١ .
(٤٣) لعل الصواب : سار .
(٤٤) سورة فاطر : ٢٩ .
(٤٥) لعل الأفصح : معاتبا نفسه .

فـالله الله في تدبير دولتك، ورعـاية رعـيتك، استقم على حكم كتاب الله عز وجل، وسنة نبـيـه ﷺ، وآثار أئمـة الهدى. فانك عن قليل منقول من القصور الى القبور.

قـال المؤلف : فـغير محظور على الأمير اذا لم يباشر التجارة بنفسه، والله أعلم.

ومن كلام له (رضي الله عنه) معاتبا لاخوانه :

اياكم ، اخـواني ، والاسراف ومطاولة الأشراف، والتلذذ بنعـيم العـاجلة، والاهمال لطريق الآجلة، واحـذروا التـفـاخـر والاعـجـاب والمبـاهة للاخـوان والأصـحـاب، والحـذر الحـذر ، من البطنة والبطر، والتطاول لبـعـضكم(٤٦) بعـضـا، فـان كـلا سيبلغ حظه، ويوفى رزقه ﴿وَكُلُواْ وَاشرَبُواْ وَلَا تُسرِفُواْ إِنَّهُ لَايُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾ (٤٧).

والصـواب في ذلك أنه كـان رؤوفـا بالمؤمنين ، رحيما بالفقراء والمساكين، قـوي الجاش، كـثير التـفـحص عن الناس، لابطرا ولا مـتكبرا، ولامـتجبرا ولا مـهـمـلا، ولا غـافـلا ولا مخيـفـا ولا بخيلا، ولا نماما ولا حسودا، ولا حقودا، يرغب الغـريب لغـربتـه، ويصرف عنه شـدة كـربتـه، وينسيه هوى وطنه، ويزيل عنه أحـوال حـزنه ﴿وَلَكِن كَـانَ حَنِيـفـاً مُّسلِماً﴾ (٤٨)، قـانتا مخلصا، شـاكرا، ان نطق نطق بتسبيح، وان صمت صمت عن محاسبة نفس وتفكر في أمـر الآخـرة، وكـاد يكون نبـيـا، قـد قـسم زمانة مدة عمره للصلاة، ودراسة القـرآن، وآثار الأئمـة الصـالحين، والأحكام بين الرعـايا، والصدقة على الفقراء والمسـاكين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكره لا له همة في الدنيا أبدا، حتى توفـاه الله، والمسلمـون عنه راضـون اجماعا. وله مؤازرون سماعا وطاعة، في يوم الجـمـعـة من شـهـر ربيع الآخـر، الذي هو من شهور سنة تسع سنين وخمسين سنة بـعـد ألف سنة من هجـرة سـيـدنا محمد ﷺ وقبره ـ رضي الله عنه وجـزاه عنا وعن الاسـلام خيرا ـ بمساجد العباد من نزوى ـ حرسها الله من الفـتن والكفر والشقاوة ـ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وكـثير من فـضـائل الامام ناصر بن مرشد بن مالك (رضي الله عنه)، لم أحـص عـددهـا بـكـتـاب، ولا رفـع خـبر ﴿وَاللهُ يَـرزُقُ مَـن يَـشَـاءُ بِـغَـيرِ

(٤٦) لعل الأفصح : تطاول بعضكم على بعض .
(٤٧) سورة الأعراف : ٣١ .
(٤٨) سورة آل عمران : ٦٧ .

حِسَابٍ﴾(٤٩). ثم من بعده المؤيد المنصور، المسدد ، امام المسلمين، سلطان ابن سيف بن مالك بن أبي العرب، أعزه الله ونصره على أعدائه، حتى سار سيرته، وسلك طريقته، أعزه الله، ونصره على أعدائه، آمين رب العالمين، والصلاةوالسلام على خير خلقه، محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ومن عهود الامام ، المؤيد ، المنصور، المسدد، سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي (رضي الله عنه)، الى ولاته وعماله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز عن أن تعوم بحور صفاته حواري الفكر، أو أن تروم تنظر كواكب تكيفه بصائر أولي البصر، أو أن يشاهده بمحارق العيان والنظر. العالم بدبيب النملة والذرة، في الليالي المدلهمات عمن أبصر، وسقوط أوراق الشجر ﴿ لَايَعْزُبُ عَنهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ﴾(٥٠)، ولا في ظلمات البحر والبر، الجليل قدره عن مشاكلة صفات البشر، أو أن يدرك الأشياء بالسماع والخبر، أو أن تجري عليه أحداث القضاء والقدر. أحمده على ماصبب برياض قلوبنا سلسال العبر، وحسم عنا أوصاب الكدر، وأشكره على ماخولنا من يانع نعمه وقدر، وسقانا من عصير كرم كرمه وقدر، وعز وتكبر، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، شهادة أعدها جنة ليوم المحشر، يوم لا ملجا لنا من الله ولا وزر، حتى شددت بها عضد الاحسان لمن آمن بآيته واستغفر، وجلبت بها ربارب(٥١) البراهين لمن طمس حجج الله وستر، وفصلت بها رفارف الرأفة لمن حمد الله وشكر، وأودعت نار الأشجان الفرق بقلب من أعرض وكفر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله دعا الى الله وأنذر، وقاد الناس الى الخيرات وبشر، ونصب أنموذج الهداية لمن خاف ذات الله من نفسه وفكر، وصدر مدافع الذب عن دين العزيز الأكبر، حتى تسلسل سلسال سروره بسرائر أسرته، وتهلل سنا نبراسه بضمائر ذويه وعترته، وهدم أركان شرائع شنآنه وعسرته، ودمدم على من مد رحاة

---

(٤٩) سورة البقرة : ٢١٢، سورة النور : ٣٨ .

(٥٠) سورة سبأ : ٣ .

(٥١) ربارب : لعلها جمع ربرب، وهو القطيع من بقر الوحش، والمراد هنا كثرة البراهين.

لمحاربة محبيه وخيرته، صلى الله عليه وعلى آله النقباء، الكرام، الأجلاء، العظام، ماسحبت سحائب ذيول الودق على رؤوس الأكمام، وجرت أنهار تحت صوافح النخل ذوات الأكمام.

أما بعد :

فهذا مايقول المعتصم بالله ، المتوكل عليه، امام المسلمين، سلطان بن سيف بن مالك، الى من نصب خيم همته في ميادين الامارة، وربط عرى شغله سبب العمارة، من جميع الولاة والحكام والصدور الأعلام، فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، وأوصيكم واياي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فاتقوا الله وأطيعوه، واسمعوا كلامي هذا وعوه، فاقول لكم: أيها الولاة والحكام، أني قد وليتكم هذه القرى والبلدان، والمنازل والأوطان، على أن تامروا من في هذه القرى والبلدان، حضرهم وبدوهم، وعبدهم وحرهم، وصغيرهم وكبيرهم، وقويهم وضعيفهم، بالمعروف والاحسان، وتنهوا عن المناكر والبهتان. وتحييوا فيهم كتاب الله العزيز المنان، وسنة النبي الذي هو من آل عدنان، وآثار القادة الخلان، الأصفياء، الأئمة القادين الناس الى طريق الجنان، الذين جعلهم الله حجة للأنام، ومصابيح الظلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٥٢) ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾(٥٣)، وعلى أن تجتهدوا في اصلاح ذات بينهم، وعمارة مساجدهم وطرقهم، والصفح عن مسيئهم، والتجاوز عن مخطئهم، والاحسان لمحسنهم، ماوسعكم من ذلك. وعلى أن تقبضوا زكاة(٥٤) من أموال مثريهم من مواضعها طيبة بها أنفسهم، الا من وجب جبره عليها في حكم الشرع، فقد جعلت لكم ذلك. وعلى أن تضعوا هذه الصدقات في محلها من شد عضد الاسلام، وتقويم قناة الدين والأحكام، ومحق أهل الكفر والظلام، ومواساة الفقراء ذوي الاعدام، من كل فقير أو ضعيف كسير أو أعمى، أو يتيم عاجز عن المكسبة، غريق في أودية البرية، أو قريب أو ابن سبيل أو عامل عليها، ممن ترجون نفعه في اقامة دين المسلمين. ولاتبسطوا أيديكم في ذلك كل البسط، وأقيموا في ذلك العدل والقسط، ولاتجعلوا أيديكم مغلولة في أعناقكم(٥٥). ولا تبذروا تبذيرا ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾(٥٦) .

---

(٥٢) سورة آل عمران : ١١٤ .
(٥٣) سورة الأنعام : ٩٠ .
(٥٤) لعل الصواب : الزكاة ، بالتعريف .
(٥٥) الأنصح : مغلولة الى أعناقهم .
(٥٦) سورة الاسراء : ٢٧ .

لكن خير الأمور أوساطها. يكون في ذلك بالاقتصاد والانصاف، لا بالاسراف والاتراف، وماقلت ذلك حرصا على الدراهم التالفة الا ابتغاء اقامة دين الله عز وجل، واحياء سنن النبي المرسل، لأن الله عز وجل أمرنا بذلك في كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٥٧)، على لسان نبيه محمد ﷺ في آيات جمة لم أحص عدها، وآثار السلف الصالح ، ولايخفى عليك ذلك، وقد عرفتكم اخواني أحوال هذا الزمان، وقد أشربت قلوبهم من موارد الطمع والتطاول، والتناول لجمة المال، وأني لهم التناول، لايجرى الينا منهم جواري الخدمة والطاعة الا أن نطلق لهم رياح النيل والطماعة، بيد أنهم لم يعدموا من الوجل والخوف في قلوبهم، مما رأوا باسنا سالفا وآنفا، ضحى وبياتا، لمن نبذ كتاب الله وراء ظهورهم، وركب محارمه ومحجورات أمره، ولايكفر ذلك الا بالرجال، والرجال لم يستقيموا الا بالعطاء لجزيل المال، فلعمري لو قصرت عن امريء منهم ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾(٥٨) مما عودته نيلا وعطاء، لأصبح هائما متفكرا في أمره، متواريا بوجهه وذكره، مقصرا في خدمته، ناقضا عهده وذمته، لايذكر اليد السالفة منا، ولا الرحمة الخالفة من لدنا، حتى صارت مكاسب الحمد عنده مذمة، والسرور منه غمة، لايرى ذلك من الله ليس منا، حتى يرضى بما قسم الله له ورزقه، وقدر له نصيبه مذ خلقه، لأن من يرى الكل من الله لايغضب على مخلوق، ولايفرح بما أوتي، ولايحزن على ما فات، مفوض أمره اليه، لايالوا جهده في خدمتنا ومعونتنا، ما أطعنا الله ورسوله، والقادة الصالحين، بل يرى ذلك أفضل القرب، وأرفع الشغل والكسب، يشكر النقير والفتيل، تاسيا بما مضى عليه السلف الصالح من فريضة الشاري، سبعة دراهم لكل شهر أو أقل من ذلك، ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾(٥٩)، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (٦٠) ، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٦١). وأدهى وأمر من هذا اذا صعقت علينا صواعق الجبابرة، ونعقت فينا نواعق

(٥٧) سورة فصلت : ٤٢ .
(٥٨) سورة الأنبياء : ٤٧ . سورة لقمان : ١٦ .
(٥٩) سورة فاطر : ٢٩ .
(٦٠) سورة الصف : ٤ .
(٦١) سورة التحريم : ٦.

الملوك والأكاسرة، ابتغاء سلب دين الله من أهليه، وقتل حزبه وذويه، واحياء بدعة الشيطان، وتملك دعوة السلاطين، فان لم يترك كل امريء منزلته من النيل والرفعة، والقربة والمتعة، والا صرنا في ألسن الشامتين، نصبا لطوارق أحداث المعاندين الباهتين، وأصبح دين الله خفيا دارسا، ووجهه قاطبا عابسا، والله يكلؤنا واياكم أيها المسلمون من ذلك، وينقذنا من مهاوي المذلة والمهالك، فشدوا بي، أيها المسلمون، ظهوركم، وقووا عزمكم، وخذوا حزمكم وحذركم وأعدوا من آلة الحرب ما ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٦٢). وارحموا صغاركم، ووقروا كباركم، وعظموا أشرافكم وعظماءكم لكثرة المودة منهم لكم، لأن المداراة نصف العبادة، وحسن التودد الى الناس نصف العقل، واعلموا أن العبد يبلغ بحسن أخلاقه ما لايبلغه الصائم القائم، وأحسنوا الى ضعفائكم وفقرائكم لينفعوكم بدعوتهم وتضرعهم الى الله لكم، واصبروا على ما أصابكم من حوادث الدهر ونابكم، واشكروا الله على مافضلكم وشرفكم، واحتملوا على مابلاكم (٦٣) الله بامور عافى منها غيركم، وأعينوا بجاهكم من لاجاه له للخبر الصحيح عنه عليه الصلاةوالسلام : «ان أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لاجاه له»، وازهدوا في الدنيا عن جميع المعاصي، وأخبثوا يوم الأخذ بالنواصي، لأن من زهد فيما عند الله أحبه الله، ومن زهد فيما في أيدي الناس أحبه الناس. ولن تملكوا الأشراف والسادات الا بالزهد والعدل وحسن السياسة للرعايا، لأن الملك يبقى مع الكفر والعدل ولايبقى مع الاسلام والجور. واعملوا ماشئتم «فكل ميسر لما خلق له» (٦٤). لأنه في الخبر الصحيح: «اعمل ماشئت كأنك تموت غدا، واعمر ما شئت كأنك لم تموت(٦٥) أبدا» (٦٦). وداوموا مع ذلك مع حسن النية والصلاح، لأن أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل، واحذروا التغافل والمغاضاة عن اظهار الفعل المنكر المحجور على فاعله، لأن الله عز وجل قد غير أقواما قد رضوا بفعل المناكر لقوله عز وجل : ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٦٧) . وفي الصحيح المنقول «الراضي بالمنكر كفاعله»(٦٨). وشمروا عن ساعدكم بالحزم

(٦٢) سورة الأنفال : ٦٠ . (٦٣) الأنصح : ابتلاكم .
(٦٤) أصل الكلام حديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .
(٦٥) لعل الصواب : لن تموت واعمل ماشئت .
(٦٦) ورد الحديث بمعناه عند الألباني: سلسة الأحاديث الضعيفة ٢/٢٢٦.
(٦٧) سورة المائدة : ٧٩ .
(٦٨) ورد بمعناه عند العراقي ، المغني عن حمل الأسفار ٣/٣٤١.

والحذاقة في جميع أموركم، ولاتتركوا ذلك ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَافَعَلتُمْ نَادِمِينَ﴾(٦٩) ، كما قال الشاعر :

لا تترك الحزم في شيء تحاذره فان سلمت فما بالحزم من بأس
الفخر ذل وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

وأبلغ في ذلك حجة وبيانا، قول الله عز وجل محرضا للحزم (٧٠)، قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فَأَقَمتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلتَقُم طَائِفَةٌ مِّنهُم مَّعَكَ وَليَأخُذُواْ أَسلِحَتَهُم فَإِذَا سَجَدُواْ فَليَكُونُواْ مِن وَرَائِكُم وَلتَاتِ طَائِفَةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّواْ فَليُصَلُّواْ مَعَكَ وَليَأخُذُواْ حِذرَهُم وَأَسلِحَتَهُم وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَو تَغفُلُونَ عَن أَسلِحَتِكُم وَأَمتِعَتِكُم فَيَمِيلُونَ عَلَيكُم مَّيلَةً وَاحِدَةً﴾(٧١). وكثير من الآيات لم أحص عدها، ولايخفى عليكم ذلك. واستعينوا اخواني على نجاح حوائجكم بالاخفاء لها والكتمان، لأن كثيرا من الناس ماهمته الا بث السرائر، واستخراج مافي الضمائر، واياكم والعجلة في جميع أموركم، وشاوروا فيها أهل الفضل والورع والعلماء بالله واليوم الآخر، ولا تتركوا مشورتهم في جميع أموركم، لئلا يقع بكم الخطأ، لأن العقل لايغني عن المشورة، ولو كان كذلك لما أمر الله نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بالمشورة وهو أرجح الناس عقلا، لقوله تعالى : ﴿وَشَاوِرهُم فِي الأَمرِ فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ (٧٢)، وفي المنقول «لا صواب لمن ترك المشورة، ولا خطأ مع المشورة»، وكذلك قال الشاعر :

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة كعفة الخود لاتغني عن الرجل

وكثير مثل هذا لايخفى عليكم ذلك، واحذروا الطمع المذموم المفضي بصاحبه الى الهلاك، والنظر الى الدنيا وزخارفها، لأن أقدام العلماء تزول مع الركون الى الدنيا، والطمع في نعيمها، كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «ان الصفاة الزلاء التي لاتثبت عليها أقدام العلماء الطمع»(٧٣)، وقال عليه الصلاة والسلام : «أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع»، وكذلك قال الشاعر :

دع الطمع المرذول عنك فربما تقطع أعناق الرجال المطامع

(٦٩) سورة الحجرات : ٦ .
(٧٠) الأفصح : محرضا على الحزم .
(٧١) سورة النساء : ١٠٢ .
(٧٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .
(٧٣) انظر ابن الجوزي : الموضوعات ١/ ٢٣٤.

فـاتقـوا الله ، اخـواني، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَـافَـضَّلَ اللهُ بِهِ بَعضَكُم عَلَى بَعضٍ لِّلرِّجَـالِ نَصِـيبٌ مِّمَّا اكـتَـسَـبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكتَسَبنَ وَ سَأَلُواْ اللهَ مِن فَـضلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾(٧٤). وكـثير من الآيات والأمـثال العربية لاتخفى عليكم. وكونوا بمجالسكم سامتين، مسرورين، مستبشرين لأوليائكم، عـابسين ، أنفين عن أعدائكم، متفقدين حق الرعاية لرعاياكم، تلقونهم بصدر أوسع من الدهناء، واحتمال يزري بالغبراء، ورحمة أمد من البيضاء، وسخاء يميل على العطفاء، وتلطف كتلطف أبي غزوان(٧٥)، وختل لعدوكم كختل أبي جعدة(٧٦)، واسراع كـاسراع الـنجم، وبكور اليـهـا كـبكور أبي زاجـر، وصبر كـصبر النبي أيوب، وكـونوا في أحكام (٧٧)، أثبت من النقـر على الصفا، ومن الشـوامخ بالبـيداء، وأتجر في التجارة الأخروية من عقرب، وأتبع في النكد لمن عـصى الله من تولب، وأنجـز في مواعدكم من أسد، وأشفق لأوليائكم من الوالد على الولد، ومن المرء على السـعـد، وكـونوا كـالليث في غـاره، مـايرى عدوا الا ظبثه(٧٨) باظفـاره، وجـدوا واجـتـهـدوا وأنفـقوا وصلوا وصلوا بلا تعب ولا سـام، ولا سرف ولا مـلـل، ولا جـهل ولا توان، وكـونوا أشـد على الأعـداء من الـصـخـر، وأخـف على الأوليـاء من اليسر بعـد العسر، وصـافـوا المودة لمن يصـافـيكم، مـهـذبين لوذعيين فكهين طيبين غشمشيين(٧٩) غـير بـطرين ولا مـتكبرين، وأحـسنوا الظن ببـعـضكم بعضا، ولاتقدموا على أمر بغير تدبر ولا تفكر ﴿إِن جَـاءَكُم فَـاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْاْ أَن تُصِيبُواْ قَومَا بِجَهَالَةٍ فَتُصبِحُواْ عَلَى مَافَعَلتُم نَادِمِينَ﴾(٨٠)، ولا تـنـزلوا المنزلة التي يحتـمل الحق والبـاطل منزلة الباطل لأن من فعل ذلك فهو المبطل.

فـالله الله في احـسان الظن ولاتسيئوا باخوانكم، لأن سوء الظن بالمسلمين من كـبائر الذنوب. ولا تهتكوا ستر اخوانكم، ولا تذكروا بسوء خصال خلائكم ﴿وَلَا يَغـتَب بَّعـضُكُم بَعـضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيتاً فَكَرِهتُمُوهُ

---

(٧٤) سورة النساء : ٣٢ .

(٧٥) أبو غـزوان : كنيـة للهر . والتعبير يقصد به وداعة الهر والتذلل للغير واظهار اللطافة .

(٧٦) أبو جـعـدة : كنية للذئب ، التعبير كناية على التبكير والمبادرة والتبرص بالشيء.

(٧٧) لعل الأنصح : الأحكام ، بالتعريف.

(٧٨) ظبـثـه : كـذا في الأصل، ولم أجـد لها معنى في كـتب اللغـة، ولعل المراد : أنشب فـيه أظفاره.

(٧٩) غشمشيين : ذوي الجرأة والمضاء .

(٨٠) سورة الحجرات : ٦ .

وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٨١). وفي الصحيح المنقول عن السلف الصالح «اذا كان بينك وبين أخيك كنسج العنكبوت فلا تهتك ستره، فان من أهتك ستر أخيه أهتك الله ستره ، ومن احتجب عن حاجة أخيه المسلم حجب الله حاجته، أي منعها، ومن فرج عن مؤمن كربة ، فرج الله عنه كربة، ومن أحبه الله جعل الله حوائج اخوانه على يديه، ومن أحب أن يكون مؤمنا حقا فليحسن الظن باخوانه، ويحب لهم مايحب لنفسه، ويبغض لهم مايبغض لها من الهداية والايمان والكفر والعصيان»، وفي الصحيح «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»(٨٢)، ان رأيته ظالما بمعصية فانصره بالهداية والنصيحة، وان رايته مظلوما فانصره بالاعانة على نصرته وعزه، ﴿إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٨٣) على الحق والصراط المستقيم في الدنيا والآخرة. وقد جعلت لكم حبس من يجوز حبسه، واطلاق من يجب اطلاقه، وعفو من يجوز عفوه، وضيف من يجب ضيفه، واصلاح مايجب اصلاحه من أموال بيت مال المسلمين، وصوافيهم، واصلاح صياصيهم(٨٤)، وأفلاجهم وطرقهم، وقطع مطالهم(٨٥) على ماترونه عدلا في كتاب الله وآثار الأئمة الصالحين، وقد جعلت لكم حماية البلاد وأهلها، والذب عن حريمها وصغارها وكبارها، وتقرير صلاحها، وحسم ألفة فساقها وأنذالها، ولا تاتمنوا في أمانتكم التي أمنتكم فيها الا من هو حقيق بذلك في دين المسلمين، وقد ألزمت جميع من في هذه القرى والبلدان والمنازل والأوطان طاعتكم، وحجرت عليهم معصيتكم ما أطعتم الله ورسوله فيهم، وقمتم بما شرطته عليكم في عهدي هذا، فان خالفتم ذلك وأبيتم فانا ومال المسلمين بريئان منكم، وأنتم المأخوذون به في أنفسكم وأموالكم، لأنني أعزني الله بالاسلام والدين، ولا حيف عندي للأولياء الراشدين، ونيتي أن أملأ الأرض قسطا وعدلا وحكما وفصلا، لأكسر شوكة المعتدين والأخذ على أيديهم، وهدم أركانهم، وتخريب أوطانهم، واطفاء بدعهم، وتفرق زمرهم وجمعهم، الذين يجتمعون فيه على الباطل والمناكر والفجور، والخوض في الفواحش والمحجور، وانتهاك عظيمات الأمور، ما استطعت الى ذلك سبيلا.

(٨١) سورة الحجرات : ١٢ .
(٨٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.
(٨٣) سورة محمد : ٧ .
(٨٤) الصياصي : مفردها صيصة، وهي الحصون وكل شيء امتنع به وتحصن به.
(٨٥) المطال: التسويف والتلكؤ .

فاصبروا ، اخواني، وماصبركم الا بالله ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحزَنُواْ وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ (٨٦)، ﴿اصبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾(٧٨)، وما توفيقنا واياكم الا بالله، وعليه فتوكلوا، واليه انيبوا، وعلى نبيه محمد فـ ﴿صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلِّمُواْ تَسلِيماً﴾(٨٨)، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فصل

والمقصود في ذلك أنه أضحى (رحمه الله) قوي الجنان، باسط البنان، بنيانا مرصوصا في الهيجاء، سحابة في العطاء، مرتديا برداء العفاف والورع، ولا يهوله من عدوه قرع، ولاتاخذه في دينه محاباة ولا طمع، عامرا للديار، وحافرا للأنهار، وغارسا للأشجار، ليعيشوا (٨٩) فيها ضعفاء المسلمين الأتقياء، الأبرار، ابتغاء الملك الجبار، متاسيا بالرواية السالفة عن السلف الصالح : « اعمل ماشئت كانك تموت غدا، واعمر ماشئت كانك لم تموت أبدا» وهذا من قوته وحذاقته، حوى على تلك الحالتين، سخيا، شمخا بنوال المسئلتين(٩٠)، سيدا وسندا ووليا من الصالحين، وكثير من فضائله وطورسه لم أحص عدها ﴿وَاللهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾(٩١).

ومن كتاب له الى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك، الى الوالي فلان بن فلان الفلاني، جنبه الله الموبقات والمهالك .

أما بعد :

يافلان، اني لك من المنذرين، وعليك من الحذرين، أن لاتاخذ شيئا من مال المسلمين، الذي هو قوام كل فقير ومسكين، وبه أدفع قارعة الغاشمين والمعتدين، بتدليس شراء هو أقل قيمة، وأبخس ثمنا، وقيمته المعروفة في البلاد، وسنته الجارية بين العباد، وان خفي علينا، وعدم علمه بين يدينا فلن

---

(٨٦) سورة آل عمران : ١٣٩ .
(٨٧) سورة آل عمران : ٢٠٠ .
(٨٨) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(٨٩) الأنصح : ليعيش .
(٩٠) كذا في الأصل .
(٩١) سورةالبقرة : ٢١٣، سورة النور : ٤٦ .

يخفى على من يعلم دبيب الذرة العجماء، على الصفاة الملساء في الليلة الظلماء ﴿يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَاتُخفِي الصُّدُورُ﴾(٩٢)، وهو المطلع على كل مخبوء ومستور، وان كنت قد قارفت شيئا من ذلك، وجعلته بذلك السبب لحقا الى مالك، فاثن الى ساحة قراره زمام عنسه، واغانم برد قمره، قبل أن يلفحك حر شمسه، فما الأمر ـ ان عقلت ـ يهين ، وماقولي لو وعيت بمين. هذا وقد بلغني أن لك شقشقة تهدر بهذيان كان لايليق بمثالك، ولايجمل ـ لو دريت ـ بحالك، فلا تكن ممن سيماه سيماء العلماء، ونطقه نطق السفهاء، واسمع الى ماقال بارئك المجيد: ﴿مَّايَلفِظُ مِن قَولٍ إِلَّا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٩٣)، وانظر وقوفك غدا في موقف يخرس فيه الفصيح، ويندم الطير الذي يصيح، فاصغ لك الخبر الى قول النصيح، واجنح الى اغتنام المتجر الربيح، والا ندمت حين لاتنفعك الندامة، وتهورت حيث لاترجى لك السلامة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

---

(٩٢) سورة غافر : ١٩ .

(٩٣) سورة ق : ١٨ .

المنثورة الخامسة

في الزهد وشيء من الأخبار العربية، والحجج الذكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار هلال الوداد بافق قلوب المخلصين، وأضاء سراج الاخلاص بزجاج ايمان المهتدين، حتى أوردها من مصادر الصدق والتصديق، وأسكنها بعباب القبول والتحقيق، فاصبحت تنظر أنوار النوال، وتتجزع بسلسال السؤال، الى أن شيدت قصور مقاصدها تبوأ بوء الباواء، واستضاءت بسنا مرجان رجائها الى محمود الآلاء، فصرف الله عن قلوبهم أحداث الغل والبلوى، ومبيديات المحن والاوى، فمع ذلك لبسوا دروع الدراية بأحوال الدنيا، وائتموا بهادي الهداية الى دين العلي الأعلى، وحسموا كدورات مكائد الأهواء، واستجابوا حين حيعل مؤذن الصفاء والولاء، واستقاموا على طاعة رب السماوات العلا، واشتغلوا بذكره طول المدى، وتحصنوا بحصن أسمائه الحسنى، وطرق صدوح الصدا، ورجفة عارات الغوى، فكاشفهم الله برؤية الجبروت الأعلى، ونظر ملكوت الأرض والسماء، فاسكنهم الله في قباب القبول والرضى، مطمئنين بسواء أسرة السرور بعلو الدرجات العلى ﴿فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾(١) الاوفى ﴿لَايَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ﴾(٢) بالبشرى، والخلود بالسكن الأسنى، مع المرسلين والأنبياء والصديقين والشهداء، وقد شكروا الله بمقيلهم برياض الرضى والندا، وانبساطهم ببساط السعادة الأخرى، أولئك الذين يتقلبون باحسن الهيئات، وهم لها وامقون ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ وَهُم لَهَا سَابِقُونَ﴾(٣)، أي : يرغبون في الطاعات أشد الرغبة، فيبادرون فيها ويسارعون في الخيرات الدينية الموعود بها على صالح الأعمال بالمبادرة اليه، لقوله تعالى : ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنيَا﴾(٤)، فيكون اتيانا لهم مانفي عن أضدادهم، ومعنى ﴿وَهُم لَهَا سَابِقُونَ﴾(٥)، أي لأجلها فائقون السبق أو سابقون الناس في الطاعة والثواب والجنة، وسابقون لها، أي : ينالونها قبل الآخرة، حيث عجلت لهم في الدنيا لقوله هم عاملون، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَت لَهُم مِّنَّا الحُسنَى أُولَئِكَ عَنهَا مُبعَدُونَ﴾(٦)، أي : التوفيق للطاعة والبشرى بالجنة، لقوله عز

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ١٠٣ .
(٣) سورة المؤمنون : ٦١ .
(٤) سورة آل عمران : ١٤٨ .
(٥) سورة المؤمنون : ٦١ .
(٦) سورة الأنبياء : ١٠١ .

وجل: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(٧)، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، وقيل البشرى في الدنيا: الثناء الصالح، وفي الآخرة الجنة، وقيل : هي نزول الملائكة بالبشرى من الله عز وجل عند نزول الموت لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (٨)، أي : اعترفوا بربوبيته، وأقروا بوحدانيته، حتى استقاموا في جميع الأعمال، التي أمرهم الله بها من الثبات على الايمان ، واخلاص العمل له، وأداء الفرائض، والطهارة ظاهرا وباطنا، فذلك قوله عز وجل : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (٩)، قيل : عند الموت، وقيل: في ثلاثة مواطن: عند القبر، وفي القبر، وعند البعث. وذلك تبشرهم الملائكة بما تنشرح به صدورهم، وتطيب بهم نفوسهم، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (١٠)، أي: لا تخافوا ماتعدلون عليه، ولاتحزنوا على ماخلفتم، وأن مصدرية أو مخففة مقدرة بالفاء ومفسرة ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١١) في الدنيا على لسان الرسل (عليهم السلام) وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة .

فالواجب على العاقل أن ينظر بعين الاعتبار، ويفتح أبواب الأفكار، ويعبد الواحد القهار، ويطهر نفسه من جميع النقائص المذمومة، مثل الحسد والكبر، والحقد وحب الجاه، وحب المحمدة، وحب الرئاسة، وجميع معاصي القلب، وكذلك معاصي الجوارح، مثل الزنا والسرقة والقتل، وكلام (١٢) المحجور، ونظر المعاصي وسماعها، والمشي اليها، وجميع معاصي الجوارح، وسابدأ بذكر أصل المعصية، وهوالحسد :

فصل

فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الحسد رأس كل خطيئة، وأصل كل سيئة، أما ترون بدو معصية ابليس اللعين ـ أخزاه الله ـ لقوله عز وجل : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١٣)، وورد في الحديث : «أنه لما خلق الله آدم (عليه السلام) فقال ابليس ـ لعنه الله ـ للملائكة : ان فضل علينا هذا ماذا تصنعون ؟ قالوا : نطيع . قال : فان

(٧) سورة يونس : ٦٤ .
(٨) سورة فصلت : ٣٠ . سورة الأحقاف : ١٣ .
(٩) سورة فصلت : ٣٠ .
(١٠) سورة فصلت : ٣٠ .
(١١) سورة فصلت : ٣٠ .
(١٢) لعل الصواب : والكلام المحجور .
(١٣) سورة الأعراف : ١١ .

فضلتم عليه؟ قالوا : نشكر، فقال ابليس ـ لعنه الله ـ أما أنا فلا يسقط عنه اسم البياض بها ، وآدم عليه السلام كالثور الأبيض فيه نقطة سوداء فلايسقط عنه اسم البياض بها». فمن أجل الحسد خالفت نفس ابليس ـ لعنه الله ـ وما ألفت، وأمرت بالطاعة، فاستكبرت وما رجعت. نعوذ بالله من شر الحسد، وكذلك قال الله عز وجل : ﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ ابنَي آدَمَ بِالحَقِّ إِذ قَرَّبَا قُربَاناً﴾(١٤)،وهما هابيل وقابيل ابنا آدم (عليه السلام). وكان سبب قربانهما، على ماذكره أهل العلم، أن حواء كانت تلد لآدم (عليه السلام) في كل بطن غلاما وجارية، وكان جميع ماولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا، أولهم قابيل وتوأمته، وآخرهم عبدالمغيث، وتوأمته أم المغيث، ثم بارك الله عز وجل في نسل آدم (عليه السلام). قال ابن عباس (رضي الله عنه)لم يمت آدم (عليه السلام) حتى بلغ ولده أربعين ألفا. واختلفوا في مولد هابيل وقابيل، فقال بعضهم: ان آدم (عليه السلام) تغشى حواء بعد مهبطهما الى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد، ثم هابيل وتوأمته في بطن واحد، وقال بعضهم: ان آدم (عليه السلام) تغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت فيها بقابيل وتوأمته، فلم تجد عليهما وجعا ولا وصبا ولا طلقا، حين ولدتهما، ولم تر معهما دما، فلما هبطا الى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوجع والوصب والدم والطلق. وكان آدم (عليه السلام) اذا شب أولاده ، يزوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر، وكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء الا أخواته، فلما ولد قابيل وتوأمته، وهابيل وتوأمته، وأدركوا ، أمر الله عز وجل آدم (عليه السلام) أن ينكح قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل. وكان (١٥) أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم (عليه السلام) لولده هابيل فرضي، وسخط قابيل، وقال هي أختي وأنا أحق بها، فقال له أبوه : انها لا تحل لك. فابى أن يقبل ذلك، فقال لهما آدم (عليه السلام) : قربا قربانا، فايكما تقبل قربانه كان أحق بها، وكان القربان اذا كانت مقبولة (١٦) نزلت نار بيضاء من السماء فاكلتها، واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلتها الطير والسباع.

---

(١٤) سورة المائدة : ٢٧ .
(١٥) الأفصح : كانت .
(١٦) لعل الأفصح : واذا كان القربان مقبولا .

فخرجا ليقربا قربانا، وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من رديء الطعام فوضعه قربانا، وكان هابيل (رحمه الله) صاحب غنم ، فعمد الى أحسن كبش في غنمه، فوضعه قربانا، فدعا آدم (عليه السلام) فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل (رحمه الله) ولم تاكل قربان قابيل، فداخله الحسد من ذلك لاخيه، فقال : أولاد هذا يفتخرون على أولادي من بعد ذلك، وأجهد نفسه أن يقتله، فذلك قوله عز وجل قصة عنهما : ﴿فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الْأَخَرِ﴾ (١٧)، معناه قابيل، فقال : ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فقال هابيل : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨)، قال صاحب الحديث : ثم توجها من منى وهو موضع القربان يريدان منزل أبيهما (عليه السلام)، وكان هابيل بين يدي قابيل، فلما هم قابيل بقتله تحير لأنه لم يدر كيف يصنع به ليقتله، فقيل: ان ابليس ـ لعنه الله ـ تمثل له وأخذ طيرا ووضعه على حجر ورضخه بحجر أخرى (١٩)، وقابيل ينظر اليه، فعمد قابيل الى حجر عظيم ، وضرب به رأس هابيل فقتله، فمر على وجهه نادما فذلك قوله عز وجل : ﴿فَطَوَّعَت لَهُ نَفسُهُ قَتلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (٢٠)، فلما قتله لم يدر كيف يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من ولد آدم (عليه السلام). فاذا بغرابين يقتتلان بين يديه، فقتل أحدهما الآخر، ثم جعل الغراب القاتل يبحث في الأرض برجله، حتى حفر حفرة وأخذ الغراب المقتول ودفنه فيها، فقال قابيل: ﴿يَاوَيلَتَى أَعَجَزتُ أَن أَكُونَ مِثلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوأَةَ أَخِي﴾(٢١)، أي : عورته، ﴿فَأَصبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، لأنه كان سلب ثيابه ﴿فَأَصبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، قال صاحب الحديث : فلما أبطا على آدم (عليه السلام) خرج في طلبهما فاصاب هابيل مقتولا فاغتم لذلك غما شديدا، وكانت الأرض قد شربت دمه، وكانت الأشجار والنواحي قد تغيرت عن نضارتها وزهرتها، فانشا يقول:

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

---

(١٧) سورة المائدة : ٢٧ .
(١٨) سورة المائدة : ٢٧ ، ٢٨.
(١٩) الصواب : بحجر آخر .
(٢٠) سورة المائدة : ٣٠ .
(٢١) سورة المائدة : ٣١ .

قتل قابيل هابيلا أخـــاه فوا أسفاه على الوجه الصبيح

وفـيه شعر غير هذا، ثم حمل آدم (عليه السلام) ولده هابيل على عاتقه، باكيا حزينا، وبكى آدم (عليه السلام) أربعين يوما، حتى أوحى الله عز وجل الى آدم (عليـه السـلام): أن كف عن بكائك، فـاني وهبت لكما غـلاما زكيا على صـورة هابيل، ويكون هو أب الأنبـياء والمرسلين. قال : فانجلى الحزن عنهما واجـتمعا في قبة البشرى، فحملت حواء (عليها السلام) بشيت واسمه هبةالله، وكـان بوجـهـه نور نبينا محمد ﷺ، وجاءت الملائكة مبشرة له بشيت (عليه السـلام)، فلما ترعـرع بعث الله له قضيبا من سدرة المنتهى في صفاء الجوهر ورائحـة المسك، قـال : وكان على شيت شامة بيضاء عن يمينه، ورزقه الله عز وجل اولاد السراء (٢٢) في حياة أبويه (عليهما السلام)، والله أعلم.

فـانظروا، اخـواني، كـيف مـاتولد من أمـر الحـسـد وأحـواله، وهو أول معصية وشر ظهر على وجه الأرض.

فصـــل

وروي في بعض الكتب المنزلة : أن الله عـز وجل يقـول : الحـاسـد عدو لنعـمـتي، ساخط لقضائي، غير راض بقسمتي بين عبادي، وذلك أن الحسود يبـخل بنعـمـة الله على عـبـاده، فـلا يزال قط في الغم والمحنة، اذ لايزال أكثر الناس في نعمة، فهو ينفع بذلك المحسود، مايضره، وينقل اليه حسناته، وأنه مظلوم من الحـاسـد سـيما اذا تكلم فـيـه فيكون قد أضاف اليه نعيم الآخرة، وحـصل لنفـسـه عـذاب النار، وعـذاب الآخـرة. ويقـال : الحسود يرى زوال نعـمتك نعمة عليه، فالغم لايفارق الحاسد في الدنيا، ويجد حسناته في ديوان غيره يوم القيامة .

وقـال بـعـض الحكماء : سـتـة لا تفـارقـهم الكآبة، أي الغم: الحـقـود والحسود، وحديث عهد بغنى، وغني يخشى الفقر، وطالب رتبة تقصر قدره، وجليس لأهل الأدب وليس منهم، فـاسـتعذ بالله أيها المؤمن من الحسد، لأنه سـيف قـاطع لعنق صـاحـبـه يوم الفـزع الأكبر، وجـذوة نكال تحـرق جثة صـاحـبـه يوم يساق الناس الى المحشر، ومغناطيس العداوات تجلبها لجميع الخـلائق، وغـيـاهب ظلم تطمس أنوار الحـقـائق، فكم من قـد أهلكه الحسد، وانـقـلـب من دنيـا في غم ونكد. واعلم أن لكل مخلوق رزقـا لابد له أن يناله بحكمـة الله، فليس حـسـدك يكون بشيء، لأن ماأصابك من الرزق لم يخطئك،

(٢٢) كـذا في الأصل، والمعنى غير واضح .

ومـاأخطاك لم يصـبك، لأن الأرزاق واسـعـة سـوف يرزقـهـا ربنا من يشاء ويحرمـهـا من يشـاء، فـلا تذهب نفسك، ابن آدم، عليها حسرات، فتبقى كئيبا سـادمـا نادمـا مـدى الدهور والأعوام، أما ترى ماغبر من الزمان فيما آل اليه الحـسد من الهلاك والعذاب في الآخرة. وكذلك قيل في الحديث : «هلكت العلماء بالتـحـاسـد»، وان الحـاسـد مـثله كـمـثل من يرمي عدوه بحجر فلم تصبه، فـرجـعت الحـجر على وجهه، ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ خَسِرَ الدُّنيَا وَالأَخِرَةَ﴾ (٢٣)، في الدنيـا كـآبته وحزنه، وفي الآخرة العذاب الأكبر، لأجل حسده لأخيه. نعوذ بالله منه، ومـايؤول الى الهلاك. فلا يزال العدو في عداوة وغم. لايزال الا بزوال النعمة التي حسد أخاه من أجلها، لقول الشاعر في معنى الحسد :

كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك من حسد

وقـد أمر الله بالتعوذ منه في كتابه لقوله عز وجل : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٢٤). فـاحـذروا إخواني من معارضته لكم، لأنه لايخلو المؤمن من أن يعـارضه الشيطان بالحسد، فاذا عارضكم الشيطان بالحسد، فقابلوه برايات الرضى بما قـسم الله لكم، ولاتتركوه يوسوس لكم، لأن كلا يبلغ حظه، وينال رزقه. ولاينال أحد غيره بمن الله وفضله، لأنه اذا حسد امرؤ امرءا على ما أتاه الله من فـضله فـقط سـخط ولم يرض بما قـسمه الله له، (و) لم يكن مؤمنا، ومن لم يكن مـؤمناً كـان كـافـراً، ومن كـان كـافراً فله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير. نعوذ بالله من كل شر .

وأمـا الفـعل منه حـسـد يحسد حسوداً وحسداً، وهو بفتح سين الماضي وضمه في المستقبل، لقوله عز وجل : ﴿أَم يَحسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ (٢٥)، يعني اليـهـود يحسـدون الناس. قيل بالناس (٢٦): يحسدهم اليـهود على النبوة، وما أكرمهم الله عز وجل بمحمد ﷺ، وقيل : المراد بالناس، محمد ﷺ وأصحابه، وقيل غير ذلك، والله أعلم .

فصـــل

والحـسد حسدان : واختلف الناس فيه، فمنهم من يحسد بقلبه، ويجادل بما قـدر عليـه بلسانه وفعله، ونزول منزلة المحسود، وأن مراده له يكون في

---

(٢٣) سورة الحج : ١١ .
(٢٤) سورة الفلق : ٥ .
(٢٥) سورة النساء : ٥٤ .
(٢٦) يبدو أن هناك سقطا في الكلام، تمامه : قيل: المراد بالناس المسلمون . . . .

أسفل سافلين من المنازل، فهذه هي الخطيئة الكبرى، تجلب العداوات وكبائر الذنوب، فعلاجه ماذكرته من قبل. ومنهم من يحسد بقلبه، ويعين بعينه، فيصيب المحسود بالم كثير، أو يصيب دوابه، أو حيوانه، أو شيئا يكون من تضييع ماله. فعلاج هذا أن يكتب عزيمة ويعلقها على المعيون المحسود يبرأ باذن الله عز وجل، وهي هذه : رددت عين العائد عليه، وعلى أرجله ويديه، وفي كبده وكليتيه، وأحب ماله اليه، ياالله تعالى: المحيط بما لديه ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧)، اللهم اني أسالك ياكاشف ضر الضرير، يامجيب دعوة العبد الفقير، يامن عليه العسير يسير، أن تكشف عن من علق عليه كتابي هذا كل عين ناظرة ونفس حاسدة، يامن القلوب ترجف من خشيته، والجبال تتدكدك من هيبته، والبحار تفيض من زخرته، والسماوات والأرض في قبضته، والدنيا والآخرة في مملكته، يامن قدر الأشياء بقدرته دبرها بحكمته، وأجراها على ارادته، يامن دلت الأشياء على ربوبيته، يامن سبح له الرعف المجلجل الهمهام، والضياء والظلام، والشهور والأيام، والمطر والغمام، وما اهتدى وسار، ووقف وحار، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٢٨)، ياشافي كل ذي سقم من سقمه، ياقابل توبة العبد عند ندمه، يامخرج يوسف من الجب وظلمته، وياكاشف ضر أيوب من وجعه وألمه، اكشف عن من علقت عليه هذه العزيمة عين الناظرين، وحسد الحاسدين، وشر خلقك أجمعين، ياذا القوة المتين، والحق المبين، ياالله العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وهذه الآيات حرز من العين مجربة : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِن خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ﴾ (٢٩)، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٣٠).

ومن قال للعائن : يافلان ، ودعا باسمه، وقت اصابته العين، أو السحر، بطل عمله. وقد جرب ذلك، وكذا اذا حكيا عن أنفسهما بعد ذلك وفعله بطل عملهما. «ورأى رجل سهل بن حنيفة فاستحسنه، فاصابه بعينه، فامر النبي

---

(٢٧) سورة القلم : ٥١، ٥٢ .
(٢٨) سورة الرعد : ٨ .
(٢٩) سورة غافر : ٥٧ .
(٣٠) سورة الملك :٣ ، ٤ .

ﷺ العائن بغسل وجهه ويديه، وأطراف رجليه، وداخل ازاره، وأمر بصب ذلك الماء على المعيون، فبريء باذن الله تعالى» (٣١)، وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة.

فصل

وأما الكبر: فانه الخزي في الدنيا والآخرة، وهو أصل الذل والمهانة، وهو المبغوض في كل منزلة، لأنه روي في الحديث: «ثلاثة يبغضهم الناس من غير خطيئة: المتكبر والأكول والبخيل» (٣٢)، وقد ذم الله عز وجل الكبر في القرآن لقوله عز وجل : ﴿إِن فِي صُدُورِهِم إِلَّا كِبْرٌ﴾ (٣٣)، أي : الا تكبر عن الحق، وتعظم عن الفكر والتعلم، وارادة الرئاسة، أو أن النبوءة والملك لايكون الا لهم. وقال أيضا عز وجل : ﴿كَذَلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٤)، وهو استئناف للدلالة على الموجب لجدالهم، وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين، على وصفه بالتكبر والتجبر، لأنه منبعهما، لقولك : رأت عيني وسمعت أذني، أو على حد المضاف (٣٥)، أي: على كل ذي قلب متكبر.

فصل

وأصل الطبع الختم ، قال الله عز وجل : ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ (٣٦)، أي: ختم عليها لما علم أنهم لايؤمنون، ليوافق قضاءه علمه. وقيل: الطبع العلامة بقلوبهم، تعرفهم بها الملائكة. قال الله عز وجل : ﴿بَل طَبَعَ اللهُ عَلَيهَا بِكُفرِهِم﴾(٣٧)، والطبع الخلق الذي خلق الله عليه الانسان، ويقال : طبع السيف والدرهم طبعا، وكل هؤلاء بفتح المعجمة من الماضي والمستقبل، والله أعلم. وأما الطبع بكسر المهملة فهو النهر، والجمع الأطباع ، والله أعلم .

فصل

وقال الله عز وجل : ﴿ادخُلُواْ أَبوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئسَ مَثوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾(٣٨)، الأبواب سبعة هي المقسومة لكم. وأما معنى ﴿خَالِدِينَ

---

(٣١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٤٨.
(٣٢) أخرجه بلفظ قريب الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٤٨.
(٣٣) سورة غافر : ٥٦ .
(٣٤) سورة غافر : ٣٥ .
(٣٥) لعل الصواب : على حذف المضاف .
(٣٦) سورة التوبة : ٨٧.
(٣٧) سورة النساء : ١٥٥ .
(٣٨) سورة الزمر : ٧٢، سورة غافر : ٧٦.

فِيهَا﴾، أي: مقدرين للخلود هم المتكبرون عن الحق، وكان مقتضى النظم، فبئس مدخل المتكبرين، ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب المثوى(٣٩)، وأما أبواب جهنم فهي سبعة ، لقوله عز وجل : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٤٠)، أي: ابليس ومن تبعه، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(٤١)، أي : أطباق. وقال علي: أتدرون كيف أبواب جهنم؟ هكذا، ووضع احدى يديه على الأخرى، أي: سبعة أبواب، أي : بعضها فوق بعض، وقيل: النار سبع دركات، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الهاوية، ثم الجحيم، ولكل دركة قوم يسكنونها، فالأولى لأهل التوحيد الذي أدخلوا النار، والثانية للنصارى، والثالثة لليهود، والرابعة للصابئين، والخامسة للمجوس، والسادسة لأهل الشرك، والسابعة للمنافقين، فذلك قوله عز وجل : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٤٢)، قرأ أهل الكوفة: ﴿فِي الدَّرَكِ﴾ بسكون الراء، والباقون بفتحها، وهما لغتان كالظعن والظعن، والنهر والنهر، والدرك في توابيت مقفلة من النار، لقول الشيخ أحمد ابن النظر (رحمه الله) :

في جوف جب من لظاها مقفل

وقيل : الدرك اسم من الادراك ، والله أعلم .

فصل

ووجدت في موسى(٤٣) (عليه السلام) في صفة طبقات جهنم، يقول الله عز وجل : «يابني آدم ، تعصوني وأنتم تجزعون من حر الشمس والرمضاء، وجهنم لها سبع طبقات، تاكل بعضها بعضا، في كل طبقة سبعون ألف واد من النار، في كل واد سبعون ألف شعب من نار، في كل شعب سبعون ألف بئر من نار، في كل دار سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف بئر من نار، في كل بئر سبعون ألف تابوت من نار، في كل تابوت سبعون ألف شجرة من الزقوم، تحت كل شجرة سبعون ألف قيد من نار، في كل قيد سبعون ألف سلسلة من نار، وسبعون ألف ثعبان، طول كل ثعبان سبعون ألف ذراع، في جوف كل ثعبان بحر من السم الأسود، وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب ألف

---

(٣٩) يبدو أن هناك سقطا في الكلام، يوحي به أسلوب الشرط.

(٤٠) سورة الحجر : ٤٣ .

(٤١) سورة الحجر : ٤٤ .

(٤٢) سورة النساء : ١٤٥ .

(٤٣) لعل الصواب : وجدت عن موسى .

ذنب، طول كل ذنب ألف ذراع، في كل ذنب سبعون ألف فقرة، في كل فقرة ألف رطل من السم الأحمر، ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّالَهُ مِن دَافِعٍ﴾(٤٤). يابن آدم ماخلقت هذه النيران، الا لكل عاق لوالديه، ولكل بخيل، ونمام، ومرائي، ومانع الزكاة من ماله، وآكل الربا، وشارب الخمر، وظالم اليتيم، والزاني، والسارق، وظالم الأجير أجرته، والغادر ، والنائحة، وجامع الحرام، وناسي القرآن (وهو الذي يترك العمل به)، ومؤذي الجيران، وكل فاجر ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(٤٥). فارحموا أنفسكم ياعبادي، فان الأبدان ضعاف، والسفر بعيد، والحمل ثقيل، والمنادي اسرافيل، والنار لظى، والقاضي رب العالمين ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾(٤٦)».

قال المؤلف : فافهموا ، اخواني، هذا واعتبروا به، وتجنبوا الكبر، وانبذوه، وأقلعوا أصل شجرته من قلوبكم، وطهروه من درن كل فتنة وبلية. فان المتكبر يلعنه كل من يمر عليه، ويلجأ اليه، ولايذوق من الله رحمة الا من ردع نفسه عن تلك الهمة، ماأجرأك ياابن آدم أن ترفل بثياب الكبر، وأو تسدل أثواب التجبر، حين انسيابك من وكرك، متزرا بازار أوزارك ومكرك، فسوف تتبهنس(٤٧) بمسالك الأسواق، متمايسا بالخيلاء والشقاق، فانظر في مشيك، والذي استقام عليه سعيك.

أما الحالة الأولى : أنك تمشي على الأرض وهي تلعنك وتود أن ترضك كل الرض، أما تعوم بحر فكرك، وتصب صبب عبرك بالأرض خاشعة، والى ربها خاضعة، وهي أعظم منك خلقة، ومن عذاب ربها مشفقة، وأنت يامغرور تمشي على ظهرها عاصيا، وتمرح بأرجائها لاهيا.

والحالة الثانية : أنك تمشي بأرجل أقامها الله لحملك، وسددها لنقلك، بقوة تتكيء عليها لمشيك، وحركة تنشرها لجريك، وأنت تهرول بها متكبرا متجبرا، أتضادد الله بذلك ؟! وأنى لك ذلك؟ فان اعتقدت كذلك، فقد دخلت بغياهب(٤٨) الغي والكفران، لقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ الكِبرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ

---

(٤٤) سورة الطور : ١ ـ ٨ .
(٤٥) سورة الفرقان : ٧٠ .
(٤٦) سورة آل عمران : ٣٠ .
(٤٧) تتبهنس : من البهنسي ، أي : التبختر ، يتبختر .
(٤٨) لعل الصواب : في غياهب .

وَالأَرضِ﴾(٤٩)، ولو شاء الله لقصم أرجلك، وحسم أجلك. أفلا تتفكر يامغرور، وتعتبر يامشتور(٥٠).

والثالثة : أنك بما تتكبر ؟! بثياب، بلباس قد عمله الناس؟! وقد قال الله عز وجل : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(٥١)، وقال تعالى : ﴿خُذُواْ زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾(٥٢)، فلم يذكر الكبر، ولا الفخر الا مذموما، وأعد لصاحبه عذابا أليما، فماذا تصنع اذا أصبحت عريانا، ولم يحصل لك قوت يومك، فتهرب مع ذلك عن الناس، وحل بك النكال والابلاس.

والرابعة : أن تتكبر بصورة حسنة، وذلك منة الله تعالى عليك، ولو شاء الله لمسخك خنزيرا تلعب بك رعاع الناس، فانظر من أين تلك الصحة والعافية والصورة الحسنة والكسوة الجميلة، فعليك أن تعلم أنها من فضل الله عليك، ولو شاء ربك لخسف بك الأرض، فهذا عندي من أقبح الكبائر، وأعظم الجرائر، وأخفاها في الضمائر، وهي أشد شيء على ابن آدم، لأن الكبرياء لله عز وجل، لما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي، والعظمة ازاري، فمن نازعني في واحد منهما قصمته»(٥٣). وقال رسول الله ﷺ : ان ناسا من أمتي يخرجون من قبورهم على صورة الذر، فتطؤهم الخلائق باقدامهم، قيل : ومن هم يارسول الله؟ قال: المتكبرون(٥٤). وقال رسول الله ﷺ : «لايريح رائحة الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»(٥٥). وقال رسول الله ﷺ لبلال (رضي الله عنه) : ان في جهنم لواديا يقال له «هبهب» حق على الله أن يسكنه كل متكبر جبار، فايك يابلال أن تكون ممن يسكنه(٥٦). وقال عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بك من نفحة الكبر»(٥٧). وقال رسول الله ﷺ : «من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله عز وجل غضبان»(٥٨). وقال ﷺ : «من أحب أن

---

(٤٩) سورة الجاثية : ٣٧ .
(٥٠) مشتور ، كذا في الأصل بمعنى مقطوع، أو لعله تصحيف المتهور.
(٥١) سورة الأعراف : ٢٦ . (٥٢) سورة الأعراف : ٣١ .
(٥٣) أخرجه أحمد بن حنبل وغيره ، موسوعة أطراف الحديث ٥٣٨/٦ .
(٥٤) جاء بمعناه عند البزار، انظر اتحاف السادة ٢٣٩/١٠ .
(٥٥) رواه بالمعنى مسلم والحاكم .
(٥٦) أخرجه الدارمي والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك .
(٥٧) انظر الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ٢٤٠/١٠ .
(٥٨) انظر الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٤٣ .

يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار»(٥٩).

فاذا أردت أيها الطالب معالجة الكبر، فاعلم متى خرجت من نيتك أن تجعل كل الخليقة أفضل منك أصلا، وأكثر خطيئة منهم(٦٠)، فتوافقهم باحسن الهيئة، وأجمل الصحبة واعلم أنك ضعيف فقير حقير، تعجز أن تردع نفسك، أو أقل منها، واذكر أصل تكونك من أمر النطفة، وبدء خلقها، ومابطنك من القذورات والخبائث، لتعلم أن التكبر لك حجر حرام، واذكر مصيرك بعد مماتك جيفة منبوذة، تحت لحد بلقع وحش، كل من وحشته يفرق ويفزع، ولتكن لك أسوة حسنة باخلاق النبي ﷺ، لانه كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، لابفض ولا غليظ، ولا فحاش، ولا نمام، ولا غتاب، ولا معنف لأصحابه، ولا متكلف لجلسائه، ولا ممازح مما هو محجور عليه، متغافل عمن يشتهيه، فلا يؤنس(٦١) منه، قد كف نفسه من ثلاث : لايذم احدا، ولايعيره، ولا يطلب عورته، ولايتكلم الا فيما يرجو ثوابه، اذا تكلم أطرق جلساؤه، كانما على رؤوسهم الطير، واذا سكت لايتنازعون عنده الحديث، حديثه عندهم حديث، أوله من تكلم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء من مكاف، ولايقطع على أحد حديثه حتى يكمله بانتهاء أو قيام، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. ولتكن أسوة(٦٢) حسنة، أيها الطالب ، في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يقول : لو منعوني عقال بعير كان ياخذه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. وكان (رضي الله عنه) أفضل الخليقة بعد النبي ﷺ، كما قال الشيخ ابن النظر (رحمه الله):

أفضل حاو كان أو منتقل بعد النبي الهاشمي المرسل

وكذلك أيها الطالب لك أسوة حسنة في عمر بن الخطاب (رضي الله عنه ورحمه)، وذلك لما فتحت الشام على عهده، ونادى بها ملك قيصر بحصين(٦٤)

---

(٥٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٣٥٢.
(٦٠) لعل الصواب : وأنك أكثر خطيئة منهم .
(٦١) الكلمة غير واضحة في الأصل .
(٦٢) لعل الصواب : ولتكن لك أسوة .
(٦٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٠١، وصاحب كنزل العمال، حديث رقم ٣٣١٢٢.
(٦٤) كذا في الأصل .

من أصحابه، أهل بليا(٦٥)، وقيسارية(٦٦)، وسالوا أن يكون أمير المؤمنين هو الذي يعقد لهم الصلح بنفسه، ويكتب لهم الأمان، فخاطبه أمراؤه بذلك، فامر الناس بالخروج، وخرج من عسكره من حينه فنهض اليهم، فلما نزل بهم أتى ببرذون(٦٧)، فقيل له : اركب هذا، فهو أهيب لك على الأعداء فركبه، فلما أهملج به(٦٨) نزل عنه ، وقال : خذوا عني ، فانه شيطان، كاد والله أن يغير علي قلبي، وأعجبتني نفسي فنزل، وأخذ مقود بعيره على كتفه، وهو يقوده، والندى والطين يضرب في ذيوله، وكان قد أتى بثياب بيض، وكان لبسها حين ركب البرذون وهو بكسر الباء المعجمة، واحدته برذونة فقالوا له : اتق على نفسك الثياب حين نزل عن البرذون، فنزع الثياب، وقال : دعوني فوالله لا فارقت الهيئة التي فارقت عليها صاحبي يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق (رضي الله عنه) فقيل له : انك وصلت الى دار قوم تحارون أن يروكم في غير هذه الحالة فاعطنا الزمام، فطرح يده في وجه من قال له ذلك، فقال : انا قوم أعزنا الله بالاسلام، ولم يعزنا بغيره، فلا تعتزوا بغير ماأعزكم الله به، فبدلوا.

فانظر أيها الرافل في ثوب الكبر، مع كثرة اللحم والشحم، وعظم الهامة وارتفاعها في الهوى، مع صغر العقل من الرأس، وخلوه من القياس، فان كان لك عبارة وفكر ونظر، فانظر وفكر فيما ملك نفسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن الكبر والاعجاب بنفسه، والتفاخر والتكبر، مع عظم ملكه، وقوة جيوشه (رحمه الله ورضي عنه)، وكذلك أسوة حسنة في جميع الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين في رأفتهم لبعضهم بعض، فانظر وفكر واعتبر أيها العاقل، وسر في الأرض وانظر كيف كان عاقبة الذين استكبروا في الأرض، وقطعوا زمانهم بالمباهاة لبعضهم بعض، ولم ينتبهوا لأداء السنن والفرائض ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ

---

(٦٥) بليا: لعل الصواب : ايليا، وهي اسم من أسماء بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٢٩٣/١.

(٦٦) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين. انظر معجم البلدان ٤٢١/٥.

(٦٧) برذون : الدابة، أو دابة الحمل الثقيلة البطيئة، أو الفرس غير الأصيل، دابة بين الحمار والبغل.

(٦٨) أهملج : هملج البرذون هملجة، مشى مشية سهلة في سرعة .

يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾(٦٩)، أي : يحروقن، ماخوذ من سجر التنور اذا ملىء بالوقود، ومنه السجير الصديق، كانه سجر بالحب، أي: ملىء. والمراد تعذيبهم بانواع العذاب، وينقلون من بعضها بعض. وأصل السجير الصديق، وجمعه سجراء، قال الأخ محمد بن عبدالله المعولي(٧٠) (رحمه الله) يمدح الوالي عامر بن محمد (٧١) (رحمه الله) :

هين لين الطبيعة سهل ذو خشوع لله في سجرائه

وأما السجور ، ما استجر به التنور، وهو بفتح معجمة الماضي وضمها من المستقبل. تركت مايجانس هذا الفعل خوف الاطالة .

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ : «لاينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء»(٧٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «حرم الله الجنة على من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، وقال عليه الصلاة والسلام : «ان التواضع لايزيد العبد الا رفعة، فتواضعوا رحمكم الله»(٧٣). ومن فضل التواضع فيما وجدته في الحديث : «أن الله تعالى أتحف آدم (عليه السلام) بخاتم، فقالت الابهام، أنا أحق به لأني منفردة، وقالت السبابة، أنا أحق به لأني مسبحة، وقالت الوسطى: أنا أحق به لأني أطولكم، وقالت البنصر: أنا أحق به لأني أطرف، فنسيت الخنصر، فانكسرت وذلك، فاتحفها الله به لانكسارها وخصها به، ورفعها بتواضعها، حيث لم تر نفسها مستحقة له»، والله أعلم. وفي الحديث : أن خليفة من الخلفاء صنع حلقة(٧٤) بمائة ألف درهم أو أكثر، وقال : سارقد هذه أكرم لباس من الناس، فصار كل يتزين بجهد طاقته الا امرؤ يسمى أويسا، فقال الملك: علي بأويس، فقيل لأويس: مالك لم تسر الى الخليفة؟ فقال : فان كنت المراد فاطلب حيث أتصير، فلما جاء الى الملك، فقال له: الا ما يأأويس لم تلف الينا بلباس فاخر؟ فقال : أيها الملك لباس التقوى خير اللباس، فقال: يأأويس ألم تنظر الى التحفة التي ينظرها الناس؟ فقال : أيها الملك النظر الى وجهك ألذ وأنعم، فاتحفه الملك بتلك التحفة». فانظر وفكر أيها المفكر الراغب

(٦٩) سورة غافر : ٧١ ، ٧٢ .
(٧٠) انظر ترجمته في الملحق .
(٧١) انظر ترجمته في الملحق .
(٧٢) أخرجه الامام الربيع والبخاري ومسلم . . .
(٧٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٣٥، والعراقي في المغني ٣/ ٣٣٢.
(٧٤) حلقة : الدرع ، وقيل : السلاح كله .

في طلب الآخرة في ثمرة التذلل والخضوع، وترك التطاول والاستكبار، والله أعلم.

فصل

واعلم أن أصل الكبر أن يرى نفسه فوق غيره، في صفات الكمال، فتحصل بذلك نفحة الكبرياء والعظمة به. ومن أين تليق العظمة بعبد ذليل لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا! فكيف تتكبر يامسكين وأنت مخلوق من عدم؟! ولا شيء أقل من العدم!. ثم أوجدك مولاك بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، فخلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلا، وصورك أحسن الصور، من علقة ليس لها سمع ولا بصر ولا حياة، ثم أنعم الله عليك بعد هذه بهذه النعم الظاهرة والباطنة. ثم انت في غاية كمالك الى غاية النقصان، تصح وتالم، وتفرح وتحزن، وتجد وتفقد، وتذكر وتنسى، فلا الذي فيه من ذلك مصلحتك تقدر أن تستجلبه لنفسك، ولا الذي تكرهه من ذلك لا تدفعه عن نفسك بقليل ولا كثير، فانتبه وتدبر في هذه الألفاظ الدقيقة، والمعاني الحقيقة.

فصل

ووجدت عن لقمان الحكيم (رحمه الله) أنه قال لأبنه : الشريف اذا تزهد تواضع، والوضيع اذا تزهد تكبر. وقال لابنه (رحمه الله): يابني لا تسرع الى أرفع موضع في المجلس، فالموضع الذي ترفع اليه خير من الموضع الذي تحط منه، وأوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام: انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتعظم على خلقي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، وكف نفسه عن الشهوات لأجلي. وقال عليه الصلاةوالسلام : «اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة» (٧٥).

فافهموا ، اخواني، واعتبروا، واحذروا أيضا أمور الرياء وأسبابه، فانه الشرك الأصغر. قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ﴾(٧٦)، فصاحب الرياء هو مشرك بالله، لأنه يعمل العمل للجاه والرفعة، وحب المحمدة، والشكر من الناس، فمن كان كذلك فقد أشرك بعمله لله رضى الناس. ولعمري أنه قد أجهد نفسه بجميع جوارحه للعمل، والقلب به أشياء متراكمة من طلب رضى الناس وقربة الملوك، واسترقاق الضعفاء، فصار بذلك

(٧٥) أنظر اتحاف السادة المتقين ٨/ ٣٥٣، الفوائد المجموعة للشوكاني ٢٥٣.
(٧٦) سورة النساء : ٤٨ .

كاذبا مرائيا. لحا الله من كان كذلك، لأنه مخالف لكتاب الله عز وجل، لقوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَيُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾(٧٧)، أراد به الاخلاص لله عز وجل، وقال عز وجل : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾(٧٨)، هو الذي ان صلى صلاته صلاها رياء، وان فاتته لم يندم عليها، وهو ساه عنها، لايبالي صلى أم لا يصلي(٧٩)، ولايرجو بتاديتها ثوابا، ولا يخاف بتركها عقابا، وهو غافل عن وقتها، وجميع حدودها، ان حضر من الناس تراه وقف وقفة منيب، وسكنت جوارحه، كانه ممتلىء من الخوف والسكينة والوقار والخضوع، وذلك من ظاهر جوارحه، وقلبه يتلهب بجوذة الغل والحسد والرياء، فلو كشف أحدكم عن قلبه لرءاه مسودا، قذرا ، نتنا، لايمكن النظر اليه من كثرة القذورات. فليعتبر العاقل ويتفكر الغافل. واذا غشيته نجوم الرياء والمحمدة فليكشفه بسراج الاخلاص، والخوف من يوم الأخذ بالنواصي، لأنه جاء عن النبي ﷺ : «ان أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر»، قيل : وما هو يارسول الله؟ قال: «هو الرياء»(٨٠)، يقول الله عز وجل اذا جاء العباد باعمالهم: «اذهبوا الى الذي كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء» .

فصل

وفي الحديث : «قيل ينادي مناد يوم القيامة : أين الذين كانو يعبدون الناس؟ قوموا، خذوا أجوركم ممن عملتم لهم، فانه لايقبل الله عملا خالطه شيء». وفي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «المرائي يدعى يوم القيامة باربعة أسماء: ياكافر ، يافاجر، ياغادر، ياخاسر، ضل سعيك، وبطل أجرك، فلا خلاق لك اليوم، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يامخادع».

فصل

أذكر هاهنا تصرف الخلاق، أما الخلاق فهو النصيب ـ بفتح المعجمة الأولى وهي الخاء ـ قال الله عز وجل : ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي

---

(٧٧) سورة الكهف : ١١٠ .
(٧٨) سورة الماعون : ٤ ـ ٦ .
(٧٩) لعل الصواب : أو لم يصل .
(٨٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٢، والقرطبي في تفسيره ٥/ ١٨١ .

الدُّنيَا وَمَالَهُ فِي الأَخِرَةِ مِن خَلَاقٍ﴾(٨١)، أراد به المشركين، كانوا لايسالون الله في الحج الا الدنيا، يقولون : اللهم اعطنا غنما وابلا وتمرا وعبيدا. وكان الرجل يقوم فيقول: اللهم ان أبي كان عظيم القبة، كبير الحفنة، كثير المال، فاعطني مثل ماأعطيته، ولم يسأل الله شيئا من أمور الآخرة، فليس له حظ منها، ولا نصيب.

فصل

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يقول الله عز وجل : من عمل عملا أشرك فيه (غيري) فهو له كله وأنا بريء منه، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»(٨٢). وقيل في الخبر عنه عليه أفضل الصلاةوالسلام: «ان الجنة تكلمت فقالت: أنا حرام على كل بخيل مرائي. وقال ﷺ: «للمرائي ثلاث علامات، يكسل اذا كان وحده عن الصلاة، وينشط اليها اذا كان مع الناس، ويحب الثناء في جميع أموره»(٨٣)، كسل عن الشيء كسلا، اذا تثاقل عنه، يكسل ـ بكسر المهملة من الماضي وفتحه من المستقبل ـ ورجل كسل وكسلان، ورجل(٨٤)، وامرأة كسلة، وكسلانة وكسلى، وفحل كسل، أي: فاتر عن الضراب. ونشط الرجل للعمل نشاطا، فهو نشيط، بكسر المعجمة من الماضي، وفتحها من المستقبل.

فصل

قيل : واذا رأي(٨٥) العبد يقول الله عز وجل : «أنظروا كيف عبدي يستهزيء بي». وقيل لأحد العلماء ما المروءة؟ فقال : ألا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية.

فصل

وقال رسول الله ﷺ لأبي ذر (رحمه الله) : «جدد السفينة، فان البحر عميق، وأكثروا الزاد فان الطريق بعيد، وأخلص العمل فان الناقد بصير». وقال ﷺ : «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ، ان كان خيرا فخيرا، وان كان شرا فشرا.

---

(٨١) سورة البقرة : ٢٠٠ .
(٨٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ١٥٠، والربيع بن حبيب ١/ ١٧.
(٨٣) أورد معناه صاحب كنز العمال تحت رقم ٨٦٢ .
(٨٤) لعل الصواب : ورجل كسل .
(٨٥) لعل الصواب : راءى .

فصـــل

واعـلـم أيها الطالب لدار الآخـرة ان جـاءك الرياء فكافـه بصـدق النيـة واخـلاص العـمل، واعلم أن ابليس ـ لعنه الله وأخـزاه ـ يامـرك أولا بمعاصي الجـوارح، مـثل الزنا والسرقـة، وشرب الخـمر، والظلم لأموال الناس، والقتل بغير الحق، والنظر والسـمع واللمس في المعـاصي، فـان جاءك في هذا فاعرض عـملك على كـتـاب الله وسنة الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام، وآثار الأئمـة الصالحين، فما أمرت فائتمر به، ومانهيت فانته عنه، واذكر العقاب ومناقشة الحساب، وسوء العذاب. فان وجدك آنفا من ذلك أمرك بترك الصلاة والصيام وأداء الزكـاة وحج البـيت الحـرام ان اسـتطعت الى ذلك سبيلا. فان أبيت عن ذلك أمـرك لتطلب الدنيـا بأعمال الآخرة، والرياء والاعجاب بنفسك، فان أمرك بذلك فـاجـعل الناس كانهم مـوتى لايضروك ولا ينفعوك، واجعل النار كانها بين عينيك، ﴿وَأَنَّ اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَا﴾(٨٦)، لا تخفى عليه خافية في الظلمات، ﴿ لَا يَعـزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾(٨٧). فاستحي(٨٨) منه لانه عـالم بك وبجـمـيع أحوالك. أرأيت اذ أحسن لك محسن كل الاحسان، أما تسـتـحي منه أن تعـصـيـه، وتركب مانهاك عنه بمحضره، مع قوة سلطانه عليك؟! وما أحسن ذلك المحسن الا بمن الله وفضله، فكيف وقد أنعم الله عليك من النعم الظاهرة والبـاطنة (التي) لاتحـصى، أمـا تستحي أن تعصيه، وهو عـالم بـك؟ قـادر أن يخسف بك في قـرار الأرض، وأنت لا تقـدر أن تردع عن نفسك بعـوضـة، ولا تقدر أن تؤدي شكر عشر معشار أكلة واحدة، فاخلص العـمل لربك في السر والعـلانيـة، لأنه من كـانت علانيته وسريرته طاهرتين سـعـد في الدنيـا والآخـرة ومن صلحت عـلانيـتـه وقبحت سريرته فذاك هو المنافق، ومن قـبـحت عـلانيـتـه وسريرته فـذاك أشنع وأقبح. ومن كان عند الناس مـهـمـلا مـغـفولا عنه، وعند الله مقربا صديقا فذاك له الفوز الأكبر في الآخرة لأنه لايكون سيء العلانية حسن السريرة، والله أعلم .

فصـــل

واعلم أنك اذا حـسـمت شـجرة الرياء من قبلك، جاء ابليس ـ لعنه الله ـ يخاطبك قائلا لك : أما يسرك أن يعلم الناس بك أنك صاحب اخلاص وصدق

---

(٨٦) سورة الطلاق : ١٢ .
(٨٧) سورة سبأ : ٣ .
(٨٨) الصواب : فاستح .

نيـة، فـاذا عـارضك في ذلك فـالعنه لعنا كـبيرا، واسـتقم في جميع أمورك ولا تهمل، والله الموفق لطريق الحق والصواب.

فصـــل

واعلم أن أصل الرياء ينبت شـجرة العجب والمباهاة بنفسك ولأصحابك، لأن أصل العـجب قـبيح بالنفس أو بالفـعل، وقـد ذكره الله في كتابه العزيز الـذي، ﴿لَّا يَـاتِـيـهِ الـبَـاطِـلُ مِـن بَـيْنِ يَـدَيهِ وَلَا مِن خَلفِـهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٨٩)، لـقـولـه تـعـالى : ﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَـعـيُـهُم فِي الحَـيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾(٩٠)، وهم اليهود والنصارى، وقيل غير ذلك .

فصـــل

وفي الحـديث عن النبي ﷺ أنه قـال : «ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه»(٩١). وقـال عليه الصلاة والسلام : «من استطاع مـنـكم أن يملك نفـسـه من أربعـة لم يصـبـه مكروه، العـجلة، واللجـاجـة، والـعـجب، والتـواني». وقـيل لعـائشـة (رضي الله عنهـا) مـتى يكون الرجل مـسيئا؟ قالت : اذا ظن أنه محسن. وقال ابن مسعود (رضي الله عنه): الهلاك في اثنتين، القنوط والعـجب، وانما جمع بينهما لأن القـانط لايطلب السـعادة لقنوطه، والمعـجب لايطلبـهـا لظنه أنه ظفـر بها، وأصل الظفر الفوز، والفعل منه ظفـر يظفـر ظفـرا بكسر المعجمة من الماضي، وفتحها من المستقبل، ومثله اذا كان بالعين ظفر وكذلك طول الأظفار.

فصـــل

وقـيل عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال : سلوني عما دون العرش الى الثـرى، فما أحـد أعلم مني بذلك . قـال : فـبـعث الله عز وجل اليه ملكا في صـورة بعض البشر، فـقـال له : ياابن عباس النملة مع صغرها أين روحها، أفي مـقـدمها أم في مؤخرها؟ فلم يدر ما الجواب، فدخل منزله وأغلق بابه، وآل على نفسه ألا يدعي علما أبدا.

فصـــل

ان داود عليـه السـلام خرج الى ساحل البحر ليتعبد فيه، فاقام سنة، ثم

---

(٨٩) سورة فصلت : ٤٢ .

(٩٠) سورة الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٩١) أخـرجه السيوطي في اللآلي المصنوعة ١/١٥١، انظر أيضـا كنزالعمال حديث رقم ٤٣٨٦٦ .

قال: يارب قد انحنى ظهري، وذهبت قوتي، وكلت عيناي، ونفدت الدموع، ولا أدري الى ماأصير اليه، فأوحى الله تعالى الى ضفدع أن أجيبي عبدي، فقالت: يانبي الله أتمن على ربك بعبادة سنة، والذي بعثك بالحق نبيا، اني لعلى ظهر برذية(٩٢) منذ ثلاثين سنة أسبحه وأحمده، وان فرائصي لترتعد من مخافته. فبكى داود من ذلك بكاء شديدا، وعلم أن ذلك توبيخا له .

نفدت الدموع اذا فنيت، لأن النفاد الفناء، وهو بكسر المعجمة من الماضي. ﴿وَلَو أَنَّمَا فِي الأَرضِ مِن شَجَرَةٍ أَقلَامٌ وَالبَحرُ يَمُدُّهُ مِن بَعدِهِ سَبعَةُ أَبحُرٍ مَّانَفِدَت كَلِمَاتُ اللهِ﴾(٩٣)، ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وهو توحيد شجرة، لأن المراد تفضيل الآحاد،وسبعة أبحر، أي والبحر المحيط بسبعة مداد ممدودا لسبعة أبحر، فاغنى عن ذلك المداد بمده لأنه من مد الدواة أو مدها، ورفعه على العطف على محل أن ومعمولها، ويمده حال أو الابتداء على أنه متالف والواو للحال، وقريء منصوبا بالعطف على اسم أن واضمار فعل يفسره يمده بالياء والتاء. وأما قوله عز وجل : ﴿مَّانَفِدَت كَلِمَاتُ اللهِ﴾، وفي الآية اختصار تقديره ﴿وَلَو أَنَّمَا فِي الأَرضِ مِن شَجَرَةٍ أَقلَامٌ وَالبَحرُ يَمُدُّهُ مِن بَعدِهِ سَبعَةُ أَبحُرٍ﴾ يكتب بها كلام الله عز وجل ﴿مَّانَفِدَت كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. لايخرج عن علمه وحكمته أمر. والآية جواب لليهود حين سألوا رسول الله ﷺ اذا أمروا وفد قريش أن سالوه عن قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٩٤)، وقد أنزل الله التوارة فيها علم كل شيء، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين»(٩٥). وقيل : كان سليمان بن داود (عليهما السلام) يقصد المساكين. ويجلس معهم، ويقول : مسكين جلس الى جنب مسكين. وفي الحديث : «أن الله عز وجل أوحى الى يعقوب عليه السلام : أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف؟ قال : لا، قال : لقولك لأخوته ﴿وَأَخَافُ أَن يَأكُلَهُ الذِّئبُ﴾(٩٦)، فخفت عليه الذئب، ولم ترج له، ونظرت الى

(٩٢) برذية : لعله مؤنث البرذون ، وهي الدابة بين الحمار والبغل .
(٩٣) سورة لقمان : ٢٧ .
(٩٤) سورة الاسراء : ٨٥ .
(٩٥) أخرجه الكثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ٢/١٦٦.
(٩٦) سورة يوسف : ١٣ .

غـفلة اخـوته، ولم تنظر الى حـفظي له». فـانظر أيها المفكركـيف لم يتجاوز لأنبـيـائه عن صغائر الذنوب، فكيف يتجاوز عن غيرهم؟ واعتبر وانظر كيف يطلب منهم المراقـبـة في كل حال ولم يسامحهم في الغفلة عنها، فكيف يسامح غيرهم مع مجاهرتهم بالمعـاصي وانهماكـهم فـيـهـا في كل وقت وحين؟ ﴿وَاللهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾(٩٧). فمن سعادة المرء أن يقر على نفسه بالعـجـز والتـقـصير، ويحكم بالضعف والفقر والصغر، ولايرى لها استحقاقا بقليل ولا كثير، يمقتها على التفريط فيما أمره به العليم الخبير.

فصـــل

أصل المقت البـغض وهو بفتح المعجمة من الماضي، وهوالقاف وضمه من المسـتـقـبل. قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَونَ﴾(٩٨)، يوم القـيامة وهم في النار قـد مـقتوا انفسهم، حين عرض عليهم سيئاتهم، وعاينوا العذاب، ﴿لَمَقتُ اللهِ أَكبَرُ مِن مَّـقـتِكُم أَنفُسَكُم﴾، يـعني لمقـتـه الله اياكم أكبر من مـقتكم أنفسكم. الاساءة بالسوء، قوله عز وجل: ﴿إِذ تُدعُونَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكفُرُونَ﴾، ظرف دل عليـه المقت الأول لانه أخبر عنه، ولا الثـاني لأن مقتهم أنفسهم يوم القـيـامـة حين عـاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة، والله أعلم. والممقوت المبغوض. قال الحريري :

والسمح في الناس محمود خلائقه　　والجامد الكف لاينفعك ممقوتا

السمح بالمهملات مع فتح الأولى هو الرجل الجواد، وقوم سمحاء لأن من جـاد للناس سـادهم، وحمدوا فـعـاله في كل منزل ومـقام. والفعل منه سمح يسمح سماحة، بضم المهملتين من الماضي، والمستقبل. والجامد الكف بالمعجمة مـعناه: قليل الخير لأن العـرب تقـول للبـخيل جماد، له جماد بفتح المعجمة وهـو مـبني على الكسر. أي : لايزال جـامـد الحـال، وسنة جماد قليلة المطر، وناقة جماد قليلة اللبن، والله أعلم .

فصـــل

وقال بعض الحكماء : من أنزل نفسه منزلة العاقل أنزله منزلة الجاهل. فـاحترس أيها العـبـد الذليل أن يكون في الاعجاب بالنفس أو الفعال. واحترز التـزكـيـة وحب المحـمدة. لأنه جاء في الحديث : «لايكون المؤمن مؤمنا حتى يكون عنده المحمدة والمذمة واحدا». المعنى في ذلك أنه لايكون الحامد له مقربا

(٩٧) سورة البقرة : ٢١٣، سورة النور : ٤٦ .
(٩٨) سورة غافر : ١٠ .

معه الا فيما هو جائز. وكذلك الذام لا يبعده الا بالحق، ويكونان في الحق عنده واحدا.

فصل

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(٩٩)، فانه يعلم التقي وغيره من قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام، وبما تصنع النفس، وبما تصير اليها فلا تبرؤوها من الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعماله، والله أعلم .

ووجدت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا، وبصره بالآخرة، وبعيوب نفسه»(١٠٠) . وقال رسول الله ﷺ: «من سخط رزقه وبث شكواه، ولم يصبر، لم ترتفع الى الله منه دعوة، ولقي الله وهو عليه غضبان»(١٠١).

فصل

واعلم أيها العاقل أن حب المال والجاه لتكاثر الدنيا وزينتها هما أشد خطيئة، لما ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»(١٠٢). وعندي ـ والله أعلم ـ أن من أحب وجود المال الحلال، واستماع الكلمة في الناس، مع عدم الفخر والكبر ليتقوى بذلك على أمر الآخرة فذلك من أفعال الطاعة، لأن من كان ذا مال وكلمة وأراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاقامة الحق واظهار دين الله عز وجل فليسهل عليه ذلك. وأما تفسير معنى الرواية بعكس الذي ذكرته هنا، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه، في دين الرجل المسلم»(١٠٣). الضاري المتعود على الفراسة في كل شيء. واللازم يقال : ضرى بالشيء ضراوة اذا لزمه، وكذلك الضراوة العادة. وقيل الضراوة: عداوة. والفعل منه بجر

(٩٩) سورة النجم : ٣٢ .
(١٠٠) أخرج بعضه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٩/ ٦١٤.
(١٠١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٨.
(١٠٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف ٨/ ٤٤٩.
(١٠٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥٠، انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث ٩/ ١٢٨ـ ١٢٩ .

المعجمة من الماضي والمستقبل، وفي الحديث أن الله عز وجل يقول : «يفرح عبدي أن أوسع عليه في الدنيا، وذلك أبعد مايكون مني، وأبغض مايكون الي». وعندي ـ والله أعلم ـ معنى هذا الخبر أن من كان في سابق علم الله أن الغنى يفسد دينه كما جرى بثعلبة (١٠٤). فاذا وسع عليه تمرن على النفاق والغفلة المردية المميلة بالأهواء، فذلك الذي يبغضه الله ويبعده، وأما من فرح برزق حلال طيب ليوسع على عياله ويستعين به على أمر دينه ودنياه، وليتقوى به على سلوك طرق الآخرة، فاذا سره ذلك فلا يكون مبعودا مبغوضا فينظر، والله أعلم. فينظر في هذا لاني أوضحتها مع قلة المعرفة ولا يؤخذ الا ما وافق الحق والصواب .

فصل

قال الله عز وجل : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾(١٠٥)، مع حرص وشدة وبخل، فهذا هو المذموم، وفي الحديث عن النبي ﷺ : «أن الله عز وجل يقول : يفرح عبدي أن أصرف عنه فتنة الدنيا، وذلك أقرب مايكون مني وأحب مايكون إليّ». وهذه إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(١٠٦). وعندي أن لهذه الرواية تفسيرا وتاويلا، المعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ أن من كان ذا قوة وصحة وثروة ، كل هذه المنن آلة له الى طريق الآخرة، فاذا عدمته لم يتوصل اليها. فاذا فرح هذا العبد بصرف الفتن من عدم القوة والثروة وسقوط الكلمة ليقيم بدين الله ، ويظهره بجميع الأمصار، لم يكن مبعودا (١٠٧) من رحمة الله عز وجل، لأن من كان سقيما فقيرا موضوعا لم يقدر أن يقوم بدين الله عز وجل، وأما من كان صحيحا قويا متمردا، همه اكداء(١٠٨) مطامع العاجلة، وتعطيل طرق الآجلة، ووضع دين الله عز وجل، واظهار كلمة الكفر، فاذا عدمت آلته التي بها متمرد أو فرح بصرف الفتن والأحداث عنه فهذا هو المبعود(١٠٩)، والله أعلم .

---

(١٠٤) انظر ترجمته في الملحق ، والصواب : جرى لتعلبة.
(١٠٥) سورة الفجر : ٢٠ .
(١٠٦) سورة يونس : ٥٨ .
(١٠٧) لعل الصواب : لم يكن مبعدا .
(١٠٨) اكداء : جمع .
(١٠٩) لعل الصواب : فهذا هو المبعد .

فصل

وفي بعض الكتب المنزلة أن الله سبحانه وتعالى يقول : «ياعبدي ان رضيت بحكمي واليتك، وان توكلت على كفيتك، وان استعنت بي نجيتك، وان ظلمت نفسك عاقبتك، فعقوبتك من أجلك لا من أجلي، جل قدري، وعظم فضلي». وهذه اشارة الى قوله عز وجل : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُم﴾(١١٠). وفي المناجاة أن الله عز وجل يقول : «يابن آدم أبغض ماتكون الي وأبعد ماتكون مني اذا كنت لاهيا ساخطا بما قسمت لك»، وقال عز وجل: «يابن آدم أنت لا تعمل بما تعلم، فكيف تطلب مالاتعلم. يابن آدم أنا راض عنك بصلاة يوم بيوم، فارض مني برزق يوم بيوم. مهلا مهلا يابن آدن فان الرزق مقسوم، والحريص محروم، والنعم لاتدوم، والحريص مغموم، والباقي حي قيوم». المحروم هو الممنوع (من) الخير. يقال : حرمت الرجل حرمانا، أي : منعته اياه. وهو بفتح المهملة من الماضي وكسره من المستقبل. وأما قوله عز وجل : ﴿لِّلسَّائِلِ وَالمَحرُومِ﴾(١١١)، السائل الذي يسال الناس، والمحروم الذي يتعفف عن الناس، فيحسب غنيا، والله أعلم .

فصل

وفي المناجاة يقول الله عز وجل : «ما أحبني من أحب المال، واني لا أجمع حبي وحب المال في قلب واحد. ياموسى ماخافني من خاف المخلوق. ولا توكل علي من خاف الجوع، ويعلم أني حي، وبيدي مفاتيح الأرزاق. وما وثق عبدي بي الا كفيته همه». قوله عز وجل : «وما وثق بي عبدي»، أي : اعتمد علي لأن الثقة الاعتماد. وفي الحديث: «الثقة بكل أحد عجز»(١١٢) ومعجمته مكسورة من الماضي والمستقبل. وفي المناجاة أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: «ياموسى اذا اعتصم عبدي بي وعلمت ذلك منه كفيته كل مهمة وأدخلته الجنة، وان توكل عبدي على غيري ووثق بغيري، قطعت أسباب السماوات من فوقه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي باب هلك». أسباب السماوات أبوابها وطرقها، من سماء الى سماء لأن كل شيء يوصلك الى أبواب الطريق، وهو سببه لقوله عز وجل : ﴿أَمْ لَهُم مُّلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا﴾(١١٣)، كانه لما انكرعليهم التصرف في نبوته وان ليس عندهم

---

(١١٠) سورة الشورى : ٣٠ . (١١١) سورة الذاريات : ١٩، سورة المعارج ٢٥ .
(١١٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣٨٤، انظر موسوعة أطراف الحديث ٤/ ٤٧٤ .
(١١٣) سورة ص : ١٠ .

خـزائن رحمتـه التي لا نهاية لها أردف ذلك بأن ليس لهم مـدخل في أمـر هذا العـالم الجـسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه، فمن أين لهم أن يتصرفوا فـيـها؟. قوله عز وجل : ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِي الأَسْبَابِ﴾، جواب شرط محذوف، أي : ان كـان لهم ذلك فليـصـعـدوا في المعـارج التي يتوصل بها الى العرش، حتى يسـتووا عليه ويدبروا أمر هذا العالم، فينزلون الوحي على من يستصوبونه، والله أعلم.

والأسـباب جمع سبب وهو الوصلة، وقيل : المراد بالأسباب، السماوات، لأنها أسـبـاب الحوادث السفيلة، ونظيره في سورة المؤمن. وأما الذي في سورة الحـج قـولـه عـز وجـل : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾(١١٤)، كـلام فـيـه اخـتـصار، والمعنى: أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخـرة، فـمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظ. وقيل : المراد بالنصر الرزق والضـمير لمن. وأمـا قـوله عـز وجل: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾، فليـسـتـقص في ازالة غـيظه أو جـزعه بأن يفعل الممتلىء غيظا أو المبالغ جزعا، حتى يمد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليختنق من قطع اذا اختنق، فان المختنق فيقطع(١١٥) نفسـه بحـبس مجاريه، أو فليـمدد حبلا الى سماء الدنيـا ثم ليـقطع به المسـافـة حـتى يبلغ عنانه، فـيـجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه، وأما قوله عز وجل: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾(١١٦)، فليـتـصـور في نفـسـه فعله ذلك، وسماه على الأول كيدا، لأنه منتهى مايقدر عليـه، ومـا بمـعنى المصـدر، أي : هل يذهبن كـيـده، وحلتـه غـيظه مـعناه فليـختنق غيظا حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعل لأنه يمكنه القطع والنظر بـعـد الاخـتـناق، والموت، والكن يقـال للحاسد: ان لم ترض هذا فـاخـتـنق ومت غـيـظا، وروي أن هذه الآية نزلت في قوم بني أسد وغضفان، دعـاهم النبي ﷺ الى الاسـلام، وكان بينهم وبين اليهود حلف، فقالوا : لايمكن أن نسلم لأنا نخـاف أن لاينصر محمـد ولايظهـر أمـره، فينقطع الحلف بيننا وبين اليـهود، فلا يميرونـنا ولا ياوونـنا، فنزلت هذه الآية. وعلى قول من يقول النصر بمعنى الرزق يقول الهاء راجعة الى «من»، ومعناه من كان يظن أن لن يرزقـه الله في الدنيـا والآخرة، نزلت فيمن أساء الظن بالله، وخاف أن لايرزقه،

---

(١١٤) سورة الحج : ١٥ .
(١١٥) كـذا في الأصل، ولعل الصواب : يقطع بدون الفاء .
(١١٦) سورة الحج : ١٥ .

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾، أي: إلى سماء البيت، ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ﴾. وفعله ذلك ﴿ مَا يَغِيظُ ﴾، وهو خيفته أن لايرزق لأن العرب تقول : من ينصرني نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، وكذلك تقول العرب : أرض منصورة، أي ممطورة. وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام، والباقون بجزمها. وكذلك ليقضوا لأن اللام لام الأمر، وزاد ابن عامر: ﴿وَلْيُوفُوا﴾، ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾(١١٧) بكسر اللام، ومن كسر في ثم فرق بأن ثم بفصول من الكلام، والواو كانها من نفس الكلمة في قوله : ﴿ فَلْيَنظُرْ ﴾، والله أعلم بالصواب.

فصل

ويروى عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل، أنه قال لموسى عليه السلام: «ياموسى خمس كلمات ختمت بهن التوراة، فان عملت بهن نفعك علم التوراة، وان لم تعمل بهن لم ينفعك علم التوراة، أولهن ياموسى: كن واثقا برزقي المضمون لك مالم تر خزائني نفدت، والثانية ياموسى : لا تخافن سلطان الأرض مالم تر سلطاني زائلا، والثالثة: لا تجسسن عن عيب أحد مالم تخل من العيوب. والرابعة: لا تدع محاربة الشيطان مادام روحك في جسدك . والخامسة: لا تامنن عقابي حتى ترى نفسك في الجنة». أصل التجسس: البحث والكشف عن عيوب الاخوان، وهو منهي عنه بنص القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾(١١٨)، والتجسس الذي يستحق به صاحبه العقاب هو البحث عن المستور من عيوب الناس، وتتبع عوراتهم حتى يظهر على ماستره الله منها .

فصل

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه، لاتفتنوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فان من تتبع عورة المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته فيفضحه، ولو في جوف رحله»(١١٩). وقال عليه الصلاة والسلام : «اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا»(١٢٠). فاتق الله أيها الأخ عن التجسس، ولا

---

(١١٧) سورة الحج : ٢٩ .
(١١٨) سورة الحجرات : ١٢ .
(١١٩) أخرجه أبو داود وغيره. انظر موسوعة أطراف الحديث ١١/٢٤٩.
(١٢٠) أخرجه الامام الربيع ٢/١٧٩، حديث رقم ٦٩٨ .

تكن كالجعل(١٢١) يتجنب الطيبات، وهو منغمس في القذورات، وليردعك عيب نفسك عن عيوب الناس، لأن من بحث عن مساوىء الناس وتجسس عن عوراتهم، واشتغل بعيب غيره، سلط الله تعالى عليه من يبحث عن مساوئه، وينشرها ويتبع عورته ويبديها وينشرها. فالعاقل من شغله عيب نفسه عن عيوب الناس، وعن كل الأشياء، سوى الله عز وجل. كما روي عن ابراهيم بن أدهم (١٢٢) أنه قال حين سئل عن شيء من الحديث، فقال : اني مشغول الآن باربعة اشياء، قيل له : وماهي؟ قال : أول ذلك: نظرت في يوم الميثاق حين قال الله عز وجل: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي»، فلا أدري في أي الفريقين كنت حينئذ، والثانية: عند خلقي في الرحم حيث قال الملك الموكل بالأرحام، أشقي أم سعيد؟ فلا أدري بما يخرج الجواب في ذلك الوقت. والثالثة: عند قبض روحي حيث يقول الملك الموكل بالأرواح: يارب مع الأبرار أم مع الفجار؟ فلا أدري كيف يخرج الجواب في ذلك الوقت. والرابعة: عند قوله تعالى : ﴿وَامْتَازُواْ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾(١٢٣)، فلا أدري في أي الفريقين أكون. فانظر أيها المفكر اشتغال ابراهيم بن أدهم بنفسه، واشتغاله بعواقب الأمور.

فصل

وروي عنه أيضا أن قوما سألوه، فقالوا له: ياأبا اسحاق مالنا ندعو الله ولايستجاب لنا، وقد وعدنا الاستجابة ؟ فقال عز وجل : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١٢٤). فقال ابراهيم بن أدهم: من أجل أن قلوبكم ماتت عن خمس أشياء. الأول : دعوتم الله فلم يستجب لكم. وذلك أنكم عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه. وقلتم نحب الرسول وضيعتم سنته، ولعنتم ابليس وأطعتموه، ونظرتم عيوب الناس وتركتم عيوبكم، فمن أجل ذلك لم يستجب لكم، وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(١٢٥)، فإياك أيها الأخ وسوء الظن، فإنه من كبائر الذنوب». وقد قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١٢٦)، المعنى أن يظن باهل الخير شرا، والظن ظنان: أحدهما أثم،

(١٢١) الجعل : دويبة بنية اللون طيارة تعيش في مواطن القذارة، تجمع على جعلات.
(١٢٢) انظر ترجمته في الملحق .
(١٢٣) سورة يس : ٥٩ .
(١٢٤) سورة غافر : ٦٠ .
(١٢٥) سورة البقرة : ٤٠ .
(١٢٦) سورة الحجرات : ١٢ .

وهو أن يظن الرجل في أخيه المسلم ظن سوء ويتكلم به، والثاني : أن يظن ولا يتكلم به، وينفيه عن قلبه. فلا تظن أيها الأخ باخوانك الا خيرا، وأحسن الظن في جميع اخوانك تسلم من كبائر الذنوب، واحذر الغيبة فانها تاكل الحسنات، مثل أكل النار الحطب، وقد عظم الله أمر الغيبة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي : لايقل أحدكم في أخيه مايسوؤه ويكرهه.

فصل

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : ذكرك أخاك مما يكرهه. قيل له: ان كان في أخي ما أقوله؟ قال : ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهته»(١٢٧). وأما قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيتاً فَكَرِهتُمُوهُ﴾(١٢٨)، هو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه من مبالغة الاستيفهام المقرر، واسناد الفعل الى أحد للتعميم، وتعليق المحنة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان، وجعل الماكول أخا وميتا، وتعقيب ذلك بقوله عز وجل : ﴿فَكَرِهتُمُوهُ﴾ تقريرا وتحقيقا لذلك، والمعنى ـ ان صح ذلك ـ وعرض عليكم هذا فكرهتموه، ولا يمكنكم انكار كراهيته، وانتصاب ميتا، على الحال من اللحم والأخ، وشدد نافع، والله أعلم .

فصل

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَيلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(١٢٩)، قيل معناه الطاعن في الناس، الذي يأكل لحوم الناس. وقال ابن عباس (رضي الله عنه) هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الساعون للبراءة، ومعناهما واحد وهو الغياب، وقيل الهمزة : الذي في الغيب، واللمزة: الذي يعيبك في الوجه. وقيل الهمزة : الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يومض بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه، وهما نعتا الفاعل نحو سخره وضحكه الذي يسخر ويضحك. والهمزة واللمزة ساكنة الميم، الذي يفعل به. وأصل الهمز الكسر والغض منهم على الشيء بالتعنيف. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية،

---

(١٢٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٤٧، انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث ١/٧١.

(١٢٨) سورة الحجرات : ١٢ .

(١٢٩) سورة الهمزة : ١

فقال بعضهم: نزلت في الأخنس بن شريف بن وهب الثقفي، كان يقع في الناس ويغتابهم: وقال بعضهم : نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه، ويطعن عليه في وجهه، وقيل: عامة في حق كل من هذه صفته ، والله أعلم .

فصل

والفعل منه همز يهمز همزا اذا اغتاب الناس، والهماز المغتاب، ومثله همز الحرف، والهمز الدفع والضرب، وهذا كله بفتح المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل، وكذلك اللمز مثله في تصريف الفعل، والله أعلم .

فصل

وقال رسول الله ﷺ : «مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم فقيل له : هؤلاء الذين يغتابون الناس. الخمش والخموش خدش الوجه، وربما استعمل في سائر الجسد، وهو بفتح المهملة من الماضي وضمه من المستقبل، وعن أبي هريرة قال : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع شرابه وطعامه،(١٣٠). وقال عليه الصلاة والسلام : «ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن سوء»(١٣١). فالغيبة بالقلب حرام كما أنها باللسان حرام. وقد ذكر رجل عند رسول الله ﷺ، فقيل : «ماأعجزه، فقال : اغتبتموه»(١٣٢). وأشارت عائشة (رضي الله عنها) في امرأة أنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «اغتبتها»، قالت: يارسول الله أليست هي قصيرة، فقال : «انك ذكرت أقبح شيء منها»(١٣٣). فالغيبة لا تقتصر على اللسان بل كل مايفهم منه غرض يكرهه المذكور لو بلغه أو سمعه، باليد، أو بالرجل، أو بالاشارة، أو بالحركة، أو بالتعويض، أو بالمحاكاة، في رأي، غيبة، وأوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام: «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة. ومن مات وهو مصر عليها فاول من يدخل النار». وأوحى الله اليه «ياموسى أتحب أن أنصرك على عدوك؟ قال : فرد الغيبة عن المسلم». وقال سليمان بن داود عليه السلام : «يارب أي الأعمال أحب اليك؟ فقال تعالى : عشر ، أحدهما: أن لاتذكر أحدا من

---

(١٣٠) أخرجه البخاري : انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٥٤٥ .
(١٣١) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين٦/ ٢١٣، والعراقي في المغني ٢/ ١٧٥ .
(١٣٢) أخرجه مسلم في كتاب «البر»، والترمذي والدارمي وأحمد بن حنبل .
(١٣٣) انظر أحمد بن حنبل ٦/ ١٣٧ .

عبادي الا بخير، ولا تغتاب أحدا، ولا تحسد أحدا، فقال : يارب أحبس عني السبعة، فقد كفتني هذه». وقال بعض الصالحين: اذا كان يوم القيامة اجتمع القوم الذين كانوا يتجالسون على غير طاعة الله، ويتعاونون على المعاصي، فيحثون على الركب، ونهش بعضهم بعضا كالكلاب، وهم الذين خرجوا من الدنيا على غير توبة. وقال عليه الصلاة والسلام: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر القذى في عينه»(١٣٤). وقال بعض أهل العلم: ان الغيبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم، ومثل صاحب الغيبة كمثل من نصب منجنيقا، فهو يرمي به حسناته يمينا وشمالا. وقال عليه الصلاة والسلام: «اذكروا المنافق بما فيه لئلا يغتر (به) الناس»(١٣٥). وقال عليه الصلاةوالسلام: «ثلاثة لا غيبة فيهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن بفسقه، والامام الجائر»(١٣٦)، فهؤلاء لا تحجر غيبتهم، ولا اثم في ذكرهم، انما الاثم في غيبة ذكر الاخوان وهتك أستار الأصحاب والخلان، لأنه جاء في الحديث: «ان الغيبة فاكهة المنافقين». فلا تتفكهوا اخواني بفاكهة ظاهرها وباطنها قبيحان، لأن علامة المؤمن ترك الغيبة لاخوانه، والفرار منها أو مما لايجوز من الكلام، لقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغوَ أَعرَضُواْ عَنهُ﴾(١٣٧)، أي : الكلام القبيح الذي هو محجور في أصل الدين . ﴿وَقَالُواْ لَنَا أَعمَالُنَا وَلَكُم أَعمَالُكُم سَلَامٌ عَلَيكُم﴾(١٣٨). ليس منه سلام التحية، ولكنه سلام المشاركة، معناه: سلمتم منا لانعارضكم بالشتم، والقبيح، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون : (تبا لكم تركتم دينكم). فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم شيئا. فاحذروا اخواني من الوقيعة في اخوانكم، وكثرة الكلام فيهم، والذكر القبيح لأعراضهم.

فصل

واذكروا ربكم تضرعا وخفية حتى تشتغلوا عن ذكر بعضكم بعضا، لقوله عز وجل : «يابني آدم لو ذكرتموني مثل مايذكر بعضكم بعضا لسلمت عليكم الملائكة بكرة وعشيا»، وقال تعالى : «من تعرض لهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرة»، وقال تعالى : «لايدخل جنتي الا من تواضع

(١٣٤) أخرجه الزبيدي في الاتحاف ٧/ ٥٣٧، انظر موسوعة أطراف الحديث ١١/ ٢٦١.
(١٣٥) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١١٤.
(١٣٦) أخرج بعضه العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٥١.
(١٣٧) سورة القصص : ٥٥ .
(١٣٨) سورة القصص : ٥٥ .

لعظمتي، وقطع نهاره بذكري، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي».

فتدبروا اخواني هذه (الآيات) (١٣٩)، واجتنبوا كثرة الكلام فيما لايجوز فانه لاخير فيه، لما جاء في كتاب الله عز وجل : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾(١٤٠). وقيل : الآية عامة في جميع حقوق الناس. والنجوى: هو السر في التدبير. ومعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، أي : الا في نجوى من أمر بصدقة، وقيل: هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من امر بصدقة، أو حث عليها ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، أي: بطاعة ، وأعمال البر كلها معروفة، لأن العقول تعرفها ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، لأن الاصلاح بين الناس أفضل درجة [من](١٤١) كثير من الاعمال. لقول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام ، والصدقة!» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «اصلاح ذات البين، وأضرها افساد ذات البين»(١٤٢). وعندي أن هذا في النوافل من الصلاة، والصيام، والصدقة. وعن أم كلثوم بنت عقبة، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليس بالكذاب من أصلح بين الناس، أو قال خيرا، أونمى خيرا»(١٤٣)، وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(١٤٤). قاصدا الى الحق، من سد يسد سدادا بفتح المهملة في الماضي، وضمها في المستقبل، والمراد : النهي عن ضده، وقيل: سديدا صدقا، وقيل: مستقيما، وقيل غير ذلك، تركته خوف الاطالة. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾(١٤٥)، أي: يوفقكم للأعمال الصالحة، ويصلحها بالقبول والانابة، وأصله يصلح بضم المهملة الأخيرة، فسكن هاهنا، لأنه جواب الأمر، كما يقال: «سافر تغنم، واتق الله تسعد في دنياك وآخرتك». قوله عز وجل : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، عطف على ماقبله، معناه: يجعلها مكفرة باستقامتكم في القول، والعمل. وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أي: يعيش في الدنيا حميدا، وفي الآخرة سعيدا، وانتصابه على المصدر، والفوز النجاة، والفوز الظفر بالخير، يقال : فاز به، أي : ظفر به،

(١٣٩) لعله خطأ ، لأن ماسبق أحاديث قدسية وليست آيات قرآنية .
(١٤٠) سورة النساء : ١١٤ .
(١٤١) لعل : (من) سقطت لأن السياق يقتضي وجودها .
(١٤٢) مسند الامام أحمد ٦/ ٤٤٤.
(١٤٣) شرح السنه للبغوي ١٣/ ١١٧ حديث ٣٥٣٩، مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٨٠.
(١٤٤) سورة الأحزاب : ٧٠.
(١٤٥) سورة الأحزاب : ٧١ .

قال الله عز وجل: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١٤٦). قرأ حمزة، والكسائي بكسر الهمزة، استئنافا، والباقون بفتحها، وفوزهم بمجامع مرادهم مخصوصون به، وهو ثاني مفعولي جزيتهم، والله أعلم.

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه سئل عما يدخل الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وقيل: ومايدخل النار؟ قال: «الأجوفان، الفم والفرج»(١٤٧)، وقال عليه الصلاةوالسلام: «من وقى شر قبقبه، وذبذبه، ولقلقه، فقد وقى»(١٤٨)، القبقب بفتح القافين: البطن، والذبذب بفتح الذالين: الفرج، واللقلق: اللسان. قال أحمد بن النظر (١٤٩):

ماذا تقول اذا وقفت محاسبا وسئلت عن لقلقك(١٥٠) الغتاب

فصل

وروي في الحديث عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قلت يارسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويبعدني من النار؟ قال: «لقد سألت عظيم يامعاذ، وانه ليسير على من يسره الله عليه، وذلك أن تعبد الله، ولاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ حتى بلغ ﴿.... يَعْمَلُونَ﴾(١٥١). ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ ـ الذروة بكسر المعجمة، وضمها، والسنام بفتح المهملة الأولى ـ قلت: بلى يارسول الله. قال: «رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يارسول الله. فاخذ بلسانه ثم قال: «كف عنك هذا»، قلت: يارسول الله، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم، أول على وجوههم، الا حصائد ألسنتهم؟»(١٥٢).

---

(١٤٦) سورة المؤمنون: ١١١.
(١٤٧) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث ٤٢٤٦، واحمد في مسنده ٢/٢٩١.
(١٤٨) أخرجه البيهقي في شعب الايمان.
(١٤٩) انظر ترجمته في الملحق.
(١٥٠) في البيت خلل عروضي.
(١٥١) سورة السجدة: ١٦ ـ ١٩.
(١٥٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، حديث ٣٩٧٣.

الثكل : فقدان الحبيب ، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها. يقال: ثكلته أمه ثكلا فهي ثاكل، وثكول، وثكلى، وهو بفتح المهملة من الماضي، وضمه من المستقبل. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس شيء من الجسد الا يشكوا الى الله حدة اللسان»(١٥٣)، وقال عليه الصلاةوالسلام: «احرز لسانك الا من خير، فانك بذلك الشيطان». والله أعلم .

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «ألا ان الله تعالى عند لسان كل ناطق فليتق الله امرؤ، ولايقول الا الحق»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أويصمت»(١٥٤)، والصمت، والصموت بفتح المهملة من الماضي، وضمه من المستقبل، والله أعلم. وقال عليه الصلاةوالسلام: «لسان العاقل من وراء قلبه، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه، فان كان له تكلم، وان كان عليه أمسك، وقلب الجاهل وراء لسانه يتكلم بكل ماعرض له»(١٥٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ماكان يظن أن تبلغ مابلغت، يكتب له بها رضوانه الى يوم القيامة، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ماكان يظن أن تبلغ مابلغت، يكتب له بها سخطه الى يوم القيامة»(١٥٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت، وحرف في الفرار من الناس، فمن حفظ لسانه لأجل الله تعالى في الدنيا أطلق الله عز وجل على لسانه بالشهادة عند الموت»(١٥٧).

فصل

وفي وصية علي بن أبي طالب لابنه : «دع القول فيما لاتعرف، والنظر فيما لايكلف، وأمسك عن الطريق اذا خفت ضلالته، فان الكف عن الضلال خير من الأهوال، وأمسك عليك لسانك، فان تلاف المرء في منطقه ومافرط من صمته أيسر عليك من ادراك مافات من منطقك».

وفي خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول الله عز

(١٥٣) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٣٠٢، الترغيب والترهيب ٣/ ٥٣٤، مسند أبي يعلى ١/ ٤، ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٢، رقم الحديث ٥٣٥ .
(١٥٤) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٣٠٠ .
(١٥٥) انظر المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٣/ ١٠٧ .
(١٥٦) انظر المستدرك للحاكم ١/ ٤٦، والموطأ ٩٨٥ .
(١٥٧) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٦/ ٨، كنز العمال ، حديث ٦٨٩١ .

وجل: «يابن آدم لاتحرض الناس على الخير وتدع نفسك. يابن آدم لم تذكر الناس وتنساني! . يابن آدم لم تدعوني وتفر مني؟! ان كنت كما تقول فاحبس لسانك، واذكر خطيئتك، واقعد في بيتك».

فصل

وفي صحف ابراهيم (عليه السلام): «وعلى العاقل أن يكون مقبلا على شانه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا من ذكر الله عز وجل»، والله أعلم. وقيل : اذا رأيت قساوة في قلبك، ووهنا في بدنك، أو حرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لايعنيك. وفي الحديث عن ابراهيم بن أدهم: «يهلك الناس في حصيلتين بفضول الكلام، وفضول المال»، ولعمري أن الناس في هذا الزمان قد بسطوا بساط الابساط لفضول الكلام في بعضهم بعضا، وقبضوا مسك الامساك لفضول المال في السعة والرضي، تراهم قد عمروا واديا بحلاوات الألسنة لمن حضره، وتارة يغلب عليهم النوم والسنة عمن فكر واعتبر، اذا تواروا بحجب الغيبة ألقوا بساط الغيبة، ألسن بالكلام تعذب وقلوب من الغيظ تلهب.

فصل

وسئل بعض الحكماء: أي شيء أصعب على الانسان ؟ فقال : أن يعرف عيب نفسه، وأن يمسك عما لانفع له أن يتكلم فيه.

وقيل : عقل المرء مخبوء تحت لسانه فاحتفظ أيها الأخ وانظر بعين الحقيقة، واحفظ لسانك من الغيبة والفحشاء، والكذب، والنميمة، لأن النميمة تكبر الحوب، وتغير القلوب، وتفسد الدنيا والدين، وبها سفك الدماء، واتلاف الأنفس، وسببها اختلاط فضولات الغمرية، وفساد دم الرفعة. فعلاجها أن يطفئها بزلال المودة لجميع الخلان، وتصب مرهم(١٥٨) التسديد لجميع الاخوان، وتتفكر فيما ورد في القرآن، لقوله عز وجل : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾(١٥٩)، أي : كثير الحلف بالباطل، ومهين : هو ضعيف حقير، قيل : هو فعيل من المهانة، وهو قلة الرأي والتمييز، وقيل : كذاب ، وهو قريب من الأول لأن الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه ﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن والغيبة، وقيل هو يغمز باخيه في المجلس. كقوله: ﴿هُمَزَةٍ

---

(١٥٨) مرهم : مركب دهني علاجي ذو أنواع مختلفة ، يدهن به الجروح أو يدلك به الجلد أو تكحل به العين مراهم، (ج) مراهم، ودلالة اللفظ هنا مجازية .

(١٥٩) سورة القلم : ١٠ ـ ١١ .

﴿لُّمَزَةٍ﴾(١٦٠)، وأما قوله عز وجل : ﴿مَّشَّاءٍ﴾، أي : قتات ، يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، والقتات بفتح المعجمة الأولى، وتشديد الثانية ، والفعل بضم المعجمة في المستقبل.

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «لايدخل الجنة قتات»(١٦١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أشر عباد الله المشاء بالنميمة، المفرق بين الأحباب». وقال عليه الصلاة والسلام : «من مشى بين اثنين بالنميمة سلط الله عليه في قبره نارا تحرقه الى يوم القيامة». وقال عليه الصلاة والسلام: «من ألقى بين اثنين عداوة فليتبوأ مقعده من النار ومن أصلح بين اثنين وجبت له من الله الجنة». وقال بعض الحكماء: النميمة تهدي الى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل اليك نقل عنك، ومن قال عن أحد قيل فيه.

وأصل النميمة متولد من بحار الكذب، تحركه نار التصنع فانارت مع ذلك نجوم النميمة بين الأصحاب، وهذه خصال أهل النفاق، والكفر والشقاق، لأنه جاء عنه عليه الصلاة والسلام، قال : «للمنافق ثلاث علامات، اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا أؤتمن خان»(١٦٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(١٦٣)، وقال عليه الصلاة والسلام : «ويل للذي يحدث الناس فيكذب ليضحك الناس، ويل له ثم ويل له»(١٦٤).

فصل

وورد في الحديث أن رجلا جاء الى النبي ﷺ، فقال : يارسول الله أني لا أصلي الا الخمس لا أزيد عليها، ولا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه، وليس لله في

---

(١٦٠) سورة الهمزة : ١ .

(١٦١) أخرجه البخاري ٨/ ٢١، ومسلم ب ٤٥ رقم ١٦٩، ١٧٠، وأبو داود ٤٨٧١، والترمذي ٢٠٢٦، والنسائي ٨/ ٣١٨، وأحمد ٥/ ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٤، .... وغيرهم.

(١٦٢) أخرجه البخاري ، ومسلم ـ ايمان ح (١٠٧) ، والترمذي ـ ايمان ح (٢٦٣١) والنسائي ـ ايمان ب / ٢٠ ـ ح (٥٠٣٦)، تحفة الأشراف ١٤٣٤١ .

(١٦٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٤٠ .

(١٦٤) أخرجه أبو داود ـ أدب (٨٠)، والترمذي ـ زهد (١٠)، والدارمي ـ استئذان (٦٦)، وأحمد ٥/ ٣، ٥، ٦، والنسائي .

مالي صدقة، ولا حج، ولا عمرة، ولاتطوع به، أين أنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «معي ان حفظت قلبك من اثنين، الغل والحسد، ولسانك من اثنين، الغيبة والكذب، وعينك من اثنين، النظر فيما حرم الله عز وجل، وأن تزدري(١٦٥) بهما مسلما، دخلت الجنة على راحتي هاتين»(١٦٦)، الازدراء: الاستبصار، والاستصغار، والاحتقار، كما جاء في الآية، والله أعلم .

فصل

فاحذروا ، اخواني، الكذب بجهد الطاقة، وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن الكذب كثيرا، تركته خوف الاطالة .

وأما الكذب في اصلاح الناس فجائز، لما ورد في الحديث عن أم كلثوم، عن النبي ﷺ، أنه قال : «ما أرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث، الرجل يقول القول يريد به الاصلاح بين الناس، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امراته»(١٦٧).

فينبغي لمن اضطر الى ذلك أن يعدل الى المعاريض ما أمكنه لئلا يتعود على الكذب، لقول النبي ﷺ: «ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب»(١٦٨)، ومن المعاريض قوله عليه الصلاة والسلام : «لا تدخل الجنة عجوز». وكذلك قول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لمن ساله حين هاجر مع النبي ﷺ ـ وكان السائل لم يعرفه، ويعرف أبا بكر (رضي الله عنه) ـ فقال له : من هذا ياأبا بكر؟ قال: «هذا يهديني السبيل». أنه يعني هداية الطريق، وأبو بكر (رحمه الله) يريد سبيل الخير. فصدق في قوله ، والله أعلم .

فصل

واعلم أن الصدق نباهة، والكذب عاهة، فلا تكذب أيها الأخ الا فيما يجوز لك، ولاتشهد بالزور، لقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾(١٦٩)، وقال عز وجل في موضع آخر : ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾(١٧٠)، وقال عليه الصلاة والسلام : «ألا أنبئكم باكبر الكبائر» قالوا:

---

(١٦٥) الصواب : وأن لاتزدري . (١٦٦) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/ ١٧٩ .

(١٦٧) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠١١، ح (٢٦٠٥)، والترمذي ٤/ ٣٣١ .

(١٦٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٩٩، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٩١، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٣/ ٩٦٣، تذكرة الموضوعات للفتني ١٧٠ . الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ٤٨، مسند الشهاب ١٠١١ .

(١٦٩) سورة الفرقان : ٧٢ .

(١٧٠) سورة المجادلة : ٢ .

نعم يارسول الله! قال : «الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فقعد، وقال: ألا وشهادة الزور»(١٧١)، وفي الخبر أن الله عز وجل أوحى الى موسى ابن عمران (عليه السلام): ياموسى لاتشهد بما لايعينه قلبك، ويحفظه فؤادك، ويعتمد عليه عقلك، فاني أوقف أهل الشهادات على شهادتهم يوم القيامة، وأسالكم عنها، فمن شهد بالزور فقد أتى بالبهتان العظيم، الذي نهى الله عنه في كتابه، وأوعد لمن أتى به الهلاك والعذاب. فليحذر المريد حرث الآخرة هذه الخصال المذمومة، ويطهر قلبه من جميع المعاصي، ليسعد يوم الأخذ بالنواصي، والله الموفق والهادي الى طريق الصواب.

فصل

واياكم ، اخواني ، أن تضروا بعضكم بعضا بشيء، لأنه لا ضرر ولا ضرار في الاسلام، وورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه»(١٧٢)، وكونوا، اخواني، حافظين أنفسكم وجميع جوارحكم عن القذورات العملية والدنية، وأحسنوا ما استطعتم لاخوانكم، ولاتؤذوهم، ولا تظلموهم، لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: «المسلم أخو المسلم، لا يضره، ولا يظلمه، ولا يزدريه»(١٧٣)، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً﴾(١٧٤)، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾(١٧٥)، وقال النبي ﷺ: «من ضرنا فليس منا»(١٧٦)، وقال عليه الصلاة والسلام : «من غشنا فليس منا» (١٧٧)، «من اغتابنا فليس منا»، وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١٧١) أخرجه البخاري ـ أدب (١٠) ، استئذان (٦)، ومسلم ـ ايمان (١٤٣، ١٤٤)، الترمذي ـ شهادات (٣، ب ٤)، تفسير سورة ٤ ، ٥، مسند الامام أحمد ٣/ ١٣١، ٥/ ٣٦، ٣٨ .

(١٧٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والدارمي ٢/ ٣٨٨، وأحمد ، ينظر المعجم ٦/ ١١٦ .

(١٧٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.وابن ماجه وأحمد والبيهقي وغيرهم بألفاظ مختلفة، ينظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٦٧٤ .

(١٧٤) سورة الأحزاب : ٥٨ . (١٧٥) سورة النور : ١٩ .

(١٧٦) ورد الحديث في كتب السنة بلفظ «من غشنا فليس منا»، انظر مايأتي :

(١٧٧) أخرجه الامام الربيع ٤/ ١٩٩، أخرجه مسلم ـ ايمان ١٦٤، وأحمد ٣/ ٤٩٦، والدارمي ٢/ ٢٤٨، والبيهقي، والحاكم، وابن حبان، والطبراني، وغيرهم، ينظر الموسوعة ٨/ ٤١٢ .

«من حمل ينا السلاح فليس منا» (١٧٨)، فاعتبروا، اخواني، هذه الخصال، وتجنبوها ما استطعتم، وكونوا، اخواني، كالبنيان يشد بعضه بعضا، لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال : «المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى رأسه تداعى بقية جسده بالحمى والسهر»(١٧٩)، واقضوا حوائج بعضكم بعضا التي تجري على أيديكم، لأنه يوجد في بعض الأحاديث : «اذا أحب الله عبدا جعل حوائج الناس على يديه»، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام، انه قال : «ما من رجل يطلب لأخيه المسلم حاجة فقضاها له، وفرج بها قلبه الا قال الله تعالى لبعض ملائكته: بشر عبدي هذا بالجنة»، وعنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه سبعين كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مؤمن ستر الله له عورته، ولايزال الله في عون المسلم مادام في عون أخيه»(١٨٠)، وقال عليه الصلاة والسلام : «الراحمون يرحمهم الرحمن، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١٨١). هذا على عدم الكيفية والآنية، والمكانية، والتحديد، والتشبيه، وجميع الصفات المحصورة .

فصل

وعن الخبر الوارد عن النبي ﷺ، أنه قال : «أوحى الله الى داود (عليه السلام) : يادواد مامن عبد يأتي بحسنة خالصة الا أدخلته جنتي، قال داود (عليه السلام): وما تلك الحسنة يارب ؟ قال : من فرج عن مؤمن كربة لأن المؤمن أكرم على الله من الملائكة أما علمت ياداود من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له سبعين حاجة».

وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله عز وجل : «أنا القابض الباسط، أقبض اليسير، وأعطي الجزيل، والجزيل مني الجنة». القبض هاهنا عبارة عن الحرمان.

قوله عز وجل : «أنا الغفور الرحيم، أغفر بالحسنة الواحدة ألف ذنب، وأكتب له ألف حسنة، وأرفع له ألف درجة في الجنة، ياعبادي لا تحقرون من أعمال البر شيئا، فان القليل عندكم هو لكثير عندي، والكثير عندكم هو القليل

(١٧٨) أخرجه الامام الربيع والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والبيهقي وغيرهم، ينظر الموسوعة ٨/ ٢٤٨.

(١٧٩) أخرجه مسلم وأحمد وابن أبي شيبه والبغوي وغيرهم، ينظر الموسوعة ٨/ ٦٥٣.

(١٨٠) مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ١٩٣، كنز العمال ١٦٤٧٢ .

(١٨١) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .

عندي».

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يتزحزح من النار فلتاته منيته وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وأن ياتي الى الناس مايحب أن ياتوا اليه»، لأنه جاء في الحديث : «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»(١٨٢)، وعنه صلى الله عليه وسلم : «ان المسلمين اذا التقايا فتصافحا تحاتت ذنوبهما»(١٨٣)، وفي خبر آخر عنه عليه الصلاة والسلام: «لايلقي مسلم مسلما فيبش به، ويرحب به، ويأخذ بيده، الا تناثرت بينهما الذنوب كما يتناثر ورق الشجر اليابس»(١٨٤)، وذلك اذا تصافحا على مودة وقربة في الرحمن. وأما اذا كان على حلاوة لسان مع عداوة جنان، مثل ماتعود بعض أهل هذا الزمان، فذلك زيادة في الذنوب، وعظم في الحوب، ومعصية علام الغيوب.

فصل

فالله الله ، اخواني، في اقالة العثرات، وقبول المعذرات، لما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أقال عثرة مسلم أقال الله عثرته يوم القيامة»(١٨٥)، وقال عليه الصلاة والسلام : «قيامك مع أخيك خير من اعتكاف سنة»، وقال عليه الصلاة والسلام : «لاخير في مسلم لا منفعة للمسلمين فيه»، وقال عليه الصلاة والسلام : «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه، فان لم يقم بتلك المؤنة عرضها للزوال»(١٨٦)، وذلك اذا كنت، أيها الطالب، محتسبا لعيال الله قاضيا لحوائجهم لم تزل نعمة الله عليك وهي تزداد كل يوم أضعافا. ففكر في نفسك اذا كنت تخدم ملكا من ملوك الأرض فاحسن اليك احسانا جميلا، وأعطاك، وفرض لك من نواله عطاء جزيلا فان رآك محسنا لعياله قاضيا لحوائج خدامه، مجتهدا في تدبير أمور أصحابه، فسوف يزيدك في الفضل زيادة عظيمة، ويرفعك في أعلى درجة، وتكون عنده من المقربين المخلصين، وذلك مع طاعتك له، وقضاء حوائج خدمه، وان رآك فاترا عن قضاء حوائج خدمه، كسلان عن تدبير أموره، فلا يرفعك منزلاً، ولايزيدك فضلا، وان رآك مسيئا لرعيته، تاركا تدبير أمره

(١٨٢) رواه بمعناه ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٥٥ .
(١٨٣) ورد بمعناه في مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٣٧.
(١٨٤) ورد بمعناه في نصب الراية ٤/ ٢٦٠.
(١٨٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥، والبغوي في شرح السنة ٨/ ١٦١ .
(١٨٦) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٨/ ١٧٥ .

[لعله امارته](١٨٧) نبذك نبذ الحذاء المرقع، ورماك لكل صعب بلقع، ورفع عنك فضله ونيله، وحرمك لطفه ومقيله، فكيف وقد رزقك الله نعمة ظاهرة، وباطنة، وتفضل عليك بالنعمة، والمغفرة، تعالى الله أن يفعل فعل الملوك علوا كبيرا.

فصل

وفي المناجاة أن الله عز وجل يقول : «ياابن آدم ، كل من يحبك انما يحبك لنفسه، وأنا أحبك لك، ياابن آدم، لو رأيت مسير أجلك تزهدت في طول أملك، ولقصرت من مكرك وحيلك، ياابن آدم، الأشياء ثلاثة فواحد لي، وواحد لك، واحد بيني وبينك، فاما الذي لي فروحك، وأما الذي لك فرزقك، وأما الذي بيني وبينك، فمنك الدعاء ومني الاجابة». وفي الخبر، أن الله عز وجل يقول : «ياموسى صدقة اللقمة من الفقير مثل صدقة الدينار من الغني. واذا تنفس المسكين لطلب شهوة حلال لا يقدر عليها كان أفضل عندي من مائة حسنة من عبادة (١٨٨) ألف سنة، اني جعلت الجنة دار الفقراء والمساكين الشاكرين، والأغنياء الحامدين المطيعين»(١٨٩).

فصل

وفي المناجاة : «ياموسى انظر الى من هو دونك في الدنيا، وانظر الى من هو فوقك في العبادة، تسلم من شر الدنيا. ياموسى ان من عبادي المؤمنين لايصلح ايمانه الا الفقر، فلو أغنيته لأفسده غناه، وان من عبادي من لايصلح ايمانه الا الغنى، فلو أفقرته لأفسده فقره، ولا تعظم الغني بماله، ولاتهن الفقير لفقره، فاني عليم خبير».

فصل

وقال النبي ﷺ: «من سخط رزقه، وبث شكواه، ولم يصبر على بلواه لم ترتفع له الى الله دعوة»(١٩٠)، معناه: لم يقبله، ولقي الله وهو عليه غضبان. وقال عليه الصلاة والسلام: «من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه، أخذ جيفة وهو لايدري»(١٩١)، وقال عليه الصلاة والسلام : «من عظم صاحب المال لماله كان عند الله بمنزلة من يعظم الأوثان»(١٩٢)، فلا تعظموا أشياء من الدنيا وأهلها

(١٨٧) التصويب من الناسخ . (١٨٨) لعل الصواب : ومن عباده ..... ، بزيادة الواو .
(١٨٩) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٢٤٨.
(١٩٠) أورده الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/٢٤٨.
(١٩١) أورده العراقي : المغني عن حمل الأسفار ٣/٢٢٩، والزبيدي : اتحاف ٨/١٤٦.
(١٩٢) انظر اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٨/١٤٦.

فيحل عليكم غضب الله في آخرته، وقال عليه الصلاة والسلام: «[.....](١٩٣) على دنيا فاتته، اقترب من النار مسيرة سنة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، وانطق بها لسانه، وعرفه داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالما الى دار السلام»(١٩٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا، ورغبه في الآخرة، وأبصره عيوب نفسه»(١٩٥). وقال عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

فصل

وورد في الحديث أن رجلا قال للنبي ﷺ : يارسول الله اني لا أحب الموت. قال: «ألك مال؟» قال : نعم. قال له : «قدم مالك، فان قلب الرجل مع ماله، ان قدمه أحب أن يلحقه، وان أخره أحب أن يتاخر معه»(١٩٦). فمادام مالك في خزانتك فقلبك مشتغل به، ولا تجد فيه فائدة، فاذا انفقت المال في ذات الله تعالى رجع المال نافعا، وخلص القلب بكليته لله تعالى، وتخلص من علاقته بحب المال، فحينئذ ترى العجائب، واللطائف، والكرامات في الدنيا والآخرة أضعاف ذلك مع الملك الدائم في جوار الله سبحانه، وقال عليه الصلاة والسلام : «اذا توفي الرجل قالت الملائكة : ماقدم؟ ، وقالت الناس: ماخلف؟»، وقال عليه [.....](١٩٧): الفقر خير من كثير العبادة»(١٩٨)، وقال عليه الصلاةوالسلام: «الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة»(١٩٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «خصلتان لا أرضى فعلهما، نية الغني، ومذلة الفقير»(٢٠٠)، فاذا استغنيت فلا تكن بطرا، واذا افتقرت فته على الدهر، البطر: الأشر وغبط النعمة. يقال : بطر معيشته اذا تعداها، وهو بكسر المهملة من الماضي، وفتحها من المستقبل. قال الله عز وجل: ﴿وَكَم أَهْلَكنَا مِن قَريَةٍ بَطِرَت مَعِيشَتَهَا﴾(٢٠١)، أي : وكم أهل قرية كانت

---

(١٩٣) كلام ساقط من الأصل ، لعل تقديره : من أسف .
(١٩٤) أورده الزبيدي : اتحاف ٩/ ٣٢٩، السيوطي : اللآلي الموضوعة ٢/ ١٧٦ .
(١٩٥) انظر اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/ ٢٣٣.
(١٩٦) المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٣/ ٢٢٧.
(١٩٧) الكلمة ساقطة ، تقديرها : الصلاة والسلام .
(١٩٨) ورد الحديث بمعناه دون لفظه. انظر موسوعة أطراف الحديث ٤/ ٦١٥ ـ ٦١٦.
(١٩٩) أورده ابن المبارك في الزهد ٢/ ٨٠. (٢٠٠) انظر موسوعة أطراف الحديث ٤/ ٦١٨.
(٢٠١) سورة القصص : ٥٨.

كحالكم في الأمن، وخفض العيش حتى أشروا. فدمر الله أحوالهم، وخربت ديارهم.

فصل

وقال عليه الصلاة والسلام في فقير دفن : «يحشر يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، فلولا خصلة كان كالشمس الضاحية، كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه»، والله أعلم .

فصل

وفي الخبر أن الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام : «من لم يرض على قضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يقنع بعطائي، فليطلب ربا سواي»(٢٠٢)، وعن النبي ﷺ، قال : قال الله تعالى : «اني لا أخرج عبدي من الدنيا وانا أريد أن أرحمه، فلا أدع استوفيته منه في دار الدنيا، أما ضيقا في رزقه، وأما سقما في جسمه، وأما خوفا في دنياه، وان بقيت عليه بقية شددت عليه الموت، واني لا أخرج عبدي من الدنيا وأنا أريد عذابه فادع له حسنة الا وفيته اياها في دار الدنيا، أما سعة في رزقه، أو صحة في بدنه، وأمانا في دنياه، وان بقت له بقية هونت عليه الموت».

فصل

وذكر في الحديث أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال له : أوصني يارسول الله؟ فقال : «أوصيك بتقوى الله العظيم، وأن تاكل مالك قبل أن ياكلك، يعني بذلك : أن يقدمه لآخرته فياكل من ثوابه في الدنيا ـ فانك ان أكلت مالك ربحت الدنيا والآخرة، وان أكلك المال خسرت الدنيا والآخرة»(٢٠٣)، وقال عليه الصلاة والسلام : «من أصبح حزينا على الدنيا فكانما أصبح ساخطا على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فكانما يشكو ربه ، ومن قعد أو جلس الى غني فتضعضع له لدنيا يصيبها ذهب ثلثا دينه، ودخل النار»(٢٠٤)، وفي نفسي من هذه الرواية لأن الدين لايتجزى، ولا يذهب بعض ويبقى بعض، ولكنه يزيد ويتفاضل، ولعل هذا المتضعضع يحرم أجر المصافحة، لأنه قيل : «اذا التقيا الأخوان في الله وتصافحا تساقطت ذنوبهما كما يتساقط ورق الشجر»(٢٠٥)، لأن من استقام في دينه حق الاستقامة

---

(٢٠٢) انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١٢٨/٦ .
(٢٠٣) تهذيب السادة المتقين للزبيدي ٢٦٢/٦، ٥١٩/٧ ـ ٥٢٠ .
(٢٠٤) مجمع الزوائد للهيثمي ٢٤٨/١٠ . (٢٠٥) انظر هامش رقم : (١٨٤) .

فتضعضع لغني تجملا لأجل منافعه للاسلام بالمال، وغيره فلا اثم عليه، ولاحرج، وهذا الخبر يخرج عندي في المتضعضع للغني لأجل دسائس بينهما من المناكر والفجور ، والله أعلم .

فصل

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة (رضي الله عنها): «ان أردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا بزاد الركاب ولا تخلعي ثوبا حتى ترقعيه»(٢٠٦)، وقال عليه الصلاة والسلام : «ان أحدا لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطئوا الرزق»(٢٠٧)، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حل، ودعوا ماحرم، وقال عليه الصلاة والسلام: «خير الرزق مايكفي ، وخير الذكر الخفي»(٢٠٨)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ياتي على الناس زمان لايسلم لذي دين دينه الا من فر من شاهق الى شاهق» قالوا يارسول الله : ومتى يكون ذلك الزمان؟ قال : «يكون ذلك في زمان لاتنال فيه المعيشة الا بمعصية الله تعالى، فاذا كان ذلك الزمان فقد حلت الغربة» قالوا يارسول الله : تامرنا وتحل الغربة، قال : «اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي أبويه وزوجته» قيل : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : «يعيرونه بالفقر وضيق المعيشة، فتحمله نفسه على أن يوردها الموارد التي يهلك فيها»(٢٠٩). ولعمري لقد آب ذلك الزمان وكثر فيه الامتحان، وقل فيه الايمان وعدم الاخوان، والله المستعان، لأني رأيت أكثرهم قد بنوا مقام أعمالهم على جلاميد الرياء، يقلبونه بيدي الرفعة، موضوعا عليه صلصال التطاول، مشيدا بلبن المباهاة، معمورة من تراب الاعجاب، معجونا بامواه المحمدة، مصبوبا من شؤبوب التصنع، ولقد كثر ذلك فظهر، وعلا في الآفاق واشتهر، وكل ذلك لطلب الرفعة والجاه، واجتلاب المآكل والباه، وأصل سبب الجاه متولد من اجتماع مادة المطامع في القلب، فطبخت حرارة القلب تلك المادة فارتفع منها بخار الى شرايين النفس فاضطرب مع ذلك اضطرابا شديدا فسال منها أجر الفخر، حتى طمس شموس الفكر، فمع ذلك عميت عيون المكاشفة، فعلاجه أن يرقى برضوى الرضى، ليجني من ذلك شكاع الشكر، ويضعه باناء الانابة، ثم

---

(٢٠٦) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي .
(٢٠٧) أورده بلفظ قريب الهيثمي ، مورد الظمآن ٢٣٩٨ .
(٢٠٨) رواه أحمد في المسند ١/ ١٧٢، والهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٢٣.
(٢٠٩) رواه البيهقي في الزهد ٤٢٦، والمنذري في الترغيب ٣/ ٤٤٤.

يركبه على قواعد التفويض، ويطبخه بنار الرجاء، فبعد ذلك يسخنه بتوابيت التوكل، ثم يعجنه بزلال الزهادة، فيكون قوت قلبه كذلك مدة عمره لأن من يرى الكل من الله لايغضب على مخلوق، ولاياسى على مافات ولايفرح بما أوتي، منقطع الى الله، مفوض أمره اليه بالكلية.

فصل

ولقد رأيت أحوال الجاه تتنوع على نوعين :

النوع الأول : أن يكون طلب الجاه من العبد بنية صادقة، وأمنية صالحة، ليكون له في الناس أمر ومحل وقدر، حتى يظهر دين الله بكل الأمصار، ويمحق الكفر من جميع الأقطار، تراه يستبشر لمن استشعر التقوى، وسلك مسلك الهدى، منخفض له جناحه، ويمد له بالصلاح راحه، ويجلب له من كل جانب صلاحه، فيحسب الجاهل فعله ذلك لطلب السيادة، واظهار الكلمة، فلو نظرتم نواظر قلبه لرأيتموها نيرة من نور الايمان، مصقولة من درهب المآثم والبهتان، كما فعل الولي الصالح سليمان بن محمد العقري(٢١٠) النزوي (رحمه الله) وذلك أنه كان يتقرب من بعض الملوك الدنيوية، فكره ذلك له اخوانه، فبينما ذات يوم اذ لقي جند ذلك الملك قاصدين برجل ليقتلوه ظلما، فانقذه سليمان بن محمد (رحمه الله) من يد الظلمة، فلما بلغ ذلك اخوانه علموا أن ذلك من أفضل الأعمال، لأن الله تعالى يقول : ﴿مَن قَتَلَ نَفسَا بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾(٢١١)، فطوبى لمن كان كذلك، وتجنب جميع المهالك .

والنوع الثاني : يكون طلب الجاه من العبد للرفعة في الأرض، والاستكبار، والعتو في جميع الأمصار، واسترقاق العبيد والأحرار، والمجلبة للكبائر وهتك الأستار، تراه يسعى لمستشعر التقوى، وطالب العلم بوضوع المنزلة، وسقوط الدرجة ، واختلاف الدعوة، واجتلاب الهفوة، فيحسده ويبعده، وينم به ويسقطه، ويجتهد في كل مضراته، واذا حضره هف عليه بمهاف منكراته، فيحاذر من يغتابه ويحسده، ويتحبب من يعاونه ويرشده، ومن دلالات هذا اللكع (أبعده الله) أنه يحب من يثني عليه ويستبشر به، ويتولاه بجنانه، يتلطف له بلسانه، وان أمسك عن ثنائه خلعه بغير حجة ولا قياس، ولا بناء على أساس، اللهم الا أن ننبذه ونعاديه، فلا ترنا وجهه،

---

(٢١٠) انظر ترجمته في الملحق .

(٢١١) سورة المائدة : ٣٢ .

ولاتدخلنا حلقته ووكره، فنحن نعوذ بالله من دسائس هذا المسوس، ونسال الله أن يهدينا واخواننا الى صراط مستقيم، اللكع بضم المهملتين المدغمتين، وفتح الثالثة، وهو الجحش، وكذلك يقال للئيم باللكع، والله أعلم.

فصل

وكل هذه الأفعال التي ذكرتها قد نتجت من حب الدنيا، وقد نهى الله عن حبها، لقوله عز وجل : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرثَ الْأَخِرَةِ نَزِد لَهُ فِي حَرثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرثَ الدُّنيَا نُؤتِهِ مِنهَا وَمَالَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٢١٢)، وقال تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلنَا لَهُ فِيهَا مَانَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصلَاهَا مَذمُوماً مَّدحُوراً﴾(٢١٣)، أي مطرودا مبعودا، وقال عز وجل : ﴿اعلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنيَا لَعِبٌ وَلَهوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَينَكُم وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَموَالِ وَالْأَولَادِ﴾(٢١٤)، وكثير مثل هذا في القرآن، تركته خوف الاطالة .

فصل

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»(٢١٥)، وقال عليه الصلاةوالسلام : «مامن شيء أبغض الى الله تعالى بعد الشرك بالله من حب الدنيا»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لم يخلق الله خلقا أبغض اليه من الدنيا، وانه لم ينظر اليها مذ خلقها ولاينظر اليها الى يوم القيامة»(٢١٦)، وقال عليه الصلاةو السلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء»(٢١٧)، [....] (٢١٨) عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحابه : «ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تسلط عليكم الدنيا فتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم»(٢١٩)، المنافسة : الرغبة، وقال عليه الصلاة والسلام : «ياعجبا للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى الى دار الغرور»(٢٢٠)، وقال عليه الصلاةوالسلام : «صم

---

(٢١٢) سورة الشورى : ٢٠ .
(٢١٣) سورة الاسراء : ١٨ .
(٢١٤) سورة الحديد : ٢٠ .
(٢١٥) اتحاف السادة المتقين ٣/ ١٣١، ٧/ ٣٥٤.
(٢١٦) رواه عبدالرزاق في مصنفه .
(٢١٧) رواه ابن ماجه في سننه ٤١١٠، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٧ .
(٢١٨) سقطت عبارة : وعنه .
(٢١٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي. والرواية الواردة في النص تنقصها الدقة في اللفظ.
(٢٢٠) اتحاف السادة المتقين ٨/ ٨٢.

عن الدنيا واجعل فطارك الموت، وفر من الدنيا كما تفر من الأسد»، وقال عليه الصلاة والسلام : «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، وألزم قلبه أربع خصال: هما لاينقطع أبدا، وشغلا لايتفرغ منه أبدا، وفقرا لا يبلغ غناه أبدا، وأملا لايبلغ منتهاه أبدا»(٢٢١)، وقال عليه الصلاةوالسلام : «من أصبح وهمه الدنيا، شتت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا الا ماكتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»(٢٢٢)، وقال عليه الصلاة والسلام : «بشر هذه الأمة بالسناء، والرحمة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب»(٢٢٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «يجيء أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار»، قالوا: يارسول الله يصلون هم يصلون(٢٢٤) ؟ قال : «نعم يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل، فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه».

فصل

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه دخل على النبي ﷺ وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يارسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا!. فقال : «ياعمر مالي وللدنيا. أم ماللدنيا ولي انما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(٢٢٥)، وقال عليه الصلاة والسلام لعمر (رضي الله عنه): «انك لن تلقى من الدنيا الا دنيا ذاهبة»، [وقيل](٢٢٦)، وقال عليه الصلاة والسلام : «أنزل الله الى جبريل عليه السلام باحسن ماكان ياتيني صورة، فقال : ان السلام يقرئك السلام، ويقول لك : اني أوحيت الى الدنيا أن تمرري، وتنكري، وتضيقي، وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائي، وتسهلي وتوسعي، وتطيبي على أعدائي حتى يكرهوا لقائي، فاني جعلتها سجنا لأوليائي، وجنة لأعدائي، حتى يكرهوا لقائي»(٢٢٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أراد أن

(٢٢١) السيوطي : الدر المنثور ٣/٢٣٨.
(٢٢٢) العراقي : المغني عن حمل الأسفار ٤/٢١٤.
(٢٢٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي .
(٢٢٤) لعل الصواب : يصلون ويصومون .
(٢٢٥) موارد الظمآن للهيثمي ٢٥٢٦ .
(٢٢٦) كذا في الأصل ، وهي زيادة لاداعي لها .
(٢٢٧) انظر موسوعة أطراف الحديث ٢/٥٦١.

يؤتيه الله علما من غير تعلم، وهدى من غير هداية، فليزهد في الدنيا»(٢٢٨)، وقال عليه الصلاة والسلام : «اذا زهد العبد في الدنيا ورثه [....](٢٢٩) ثلاث خصال: عزا من غير عشيرة، وغنى من غير مال، وعلما من غير تعلم»، وقال عليه الصلاة والسلام: «اذا زهد العبد في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة».

فصل

وروي في الحديث عن عيسى عليه السلام : «لايستقيم حب الدنيا في قلب مؤمن كما لايستقيم الماء والنار في اناء واحد».

فصل

ومما أوحى الله الى داود عليه السلام : «الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها»، أي : اقطعوها، وهي بفتح باء الماضي، وضمه من المستقبل، وكذلك اذا عبر عبارة الرؤيا، وكذلك الشيء اذا ذهب، أو عبر فلان، اذا مات. كل هذه الأفعال في التصريف واحد، والله أعلم.

فصل

وروي في الحديث عن عيسى عليه السلام : «مثل صاحب الدنيا كمثل شارب البحر، كلما ازداد شربا، ازداد عطشا حتى تقتله»، وفي الخبر وأوحى الله الى داود عليه السلام : «ياداود تزعم أنك تحبني! فان كان كذلك فاخرج حب الدنيا من قلبك، فان حب الدنيا وحبي لايجتمعان أبدا في قلب واحد»، ومما أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : «ما لأوليائي والهم بالدنيا، ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، ان محبتي في أوليائي أن يكونوا روحانيين لايهتمون الا لذكري».

فصل

وفي الخبر أن موسى قال : «يارب بم أخرج حب الدنيا من قلبي؟ قال : اذا رأيت العظام البالية فعد نفسك منهم في لحد قبرك، حتى تعلم أنك غدا بال، وماجمعت فان»، وفي المناجاة، قال الله عز وجل: «يابن آدم اذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الجنة، ياموسى، الصبر على طاعتي أهون من الصبر على ناري»، وفي الخبر عن لقمان (رحمه الله): يابني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيه عالم كثير، (بفتح المهملة)، ومجمع العالمين، وهو سائر

(٢٢٨) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/ ٢٢٣.
(٢٢٩) الصواب : ورثه الله .

الخلق كلهم جميعا»، وأما بكسر اللام المهملة، هم جمع العلماء، ثم قال (رحمه الله): «فاجعل سفينتك في هذا البحر الايمان بالله، والدنيا جسرك الذي تعبر عليه، والأعمال الصالحة بضاعتك التي تحثو(٢٣٠) فيها، وحرصك عليها ريحك التي تسيرها، والله الأيام موجك التي تدحرجها، والتوكل على الله عز وجل قلاعها الذي يقودها ويرخها، وكتاب الله عز وجل دليلها الذي يهديها، ورد النفس عن الهوى حبالها التي ترسيها، والموت ساحلها الذي هو منتهاها، والقيامة أرض المتجر التي نبتغي فيها، والله عز وجل ملكها الذي عليه، واجعل زادك تقوى الله تعالى فان نجوت فبرحمته، وان هلكت فبذنوبك»، والفعل منه جسر يجسر جسورا، وهو بفتح المهملة من الماضي، وضمه من المستقبل، وهو عقد الجسر وعمله، ومثله في تصريف الأفعال الجسارة الى الحرب وغيره، وكذلك جسور الناقة اذا مضت في السير، والله أعلم.

فصل

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «ياعجبا كل العجب للشاك في قدرة الله عز وجل! وهو يرى خلقه! وياعجبا كل العجب للمكذب بالنشور، وهو يبعث ويموت كل ليلة! ياعجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الأخرى، وهو يرى النشاة الأولى! ياعجبا كل العجب للساعي بدار الغرور، وهو مصدق بدار الخلود! وياعجبا كل العجب للمختال الفخور، وانما خلق من نطفة، ثم يعود جيفة وهو لايدري مايصنع به فيما بين ذلك!».

فصل

وفي الحديث: «ان الكنز كان علما في لوح من ذهب، طوله شبر في شبر، مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله، عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبا لمن أيقن بالحساب غدا كيف يغفل، عجبا لمن نظر الى الدنيا وتقلبها باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها»، وفي الحديث عن عيسى عليه السلام: «طوبى لمن ترك شهرة حاضرة لموعد غائب»، وأوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام: «ان أهون ما أصنع بعبد من عبيدي اذا آثر شهوته أن أحرمه طاعتي»، وفي الخبر أن رجلا من بني اسرائيل أتى الى داود عليه السلام فقال : ياداود لقد عصيت الله زمانا فما رأيته عاقبني! فأوحى الله

(٢٣٠) كذا في الأصل ، والمعنى غير واضح .

تعالى الى داود عليه السلام : «قل لعبدي: كم عاقبته وهو لايدري»، فقال الرجل: كيف عاقبني وأنا لا أدري؟ فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام: «قل لعبدي أما أنسيته حلاوة ذكري، أما شغلته عن شكر فضلي وبري، وعن تعظيم حقي وقدري، فاي بلاء أعظم من هذا لو عقلت».

فصل

ووجدت أن الغزالي ضرب مثلا للدنيا فقال : مثل الخلق في الدنيا كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة، فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة، وخوفهم المقام، واستعجال السفينة، فتفرقوا فيها، فبادر بعضهم ، وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا، ووقف بعضهم ينظر في أنهار الجزيرة وأنوارها، وطرائف أحجارها، وعجائب غياضها، ونغمات طيورها، فرجع الى السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا، وأكب بعضهم على تلك الأحجار ، والأصداف، فاعجبه حسنها فلم تسمح نفسه الا أن يستصحب منها شيئا، فاشتغل بجمعها، فرجع الى السفينة، فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا دون مايكفيه ويرضيه، وزادته الحجارة ثقلا، وضيقا، فلم يقدر على رميها، ولم يجد لها مكانا، فجعلها على عنقه، فهو يبوء باعبائها، وتولج بعضهم في الغياض، ونسى المركب، فاشتغل بالتفرج في تلك الأنهار، والنظر الى تلك الأزهار والأشجار، ونغمات الأطيار، والتناول من تلك الثمار، وهو في تفرجه غير خال من خوف السباع، ولدغ الهوام، والحزر من النكبات، والتردي في الأهوية، فلما رجع الى السفينة لم يصادفها، فبقي على الساحل حيران، فمزقته الهوام، وافترسته السباع.

فصل

وفي الحديث (٢٣١)، واعلم أن هذه صورة أهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والآخرة، فتاملها، واستخرج وجه الموازنة منها ان كنت ذا بصيرة، فمن عرف نفسه، وعرف ربه، وعرف زينة الدنيا، وعرف الآخرة، شاهد بنور البصيرة عداوة الدنيا والآخرة، اذ يتكشف له قطعا أن لا سعادة في الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه وتعالى، عارفا محبا فيه، ناصحا لله ولرسوله وللمسلمين، وأن المحبة لاتنال الا بدوام الذكر، وأن المعرفة لاتنال الا بدوام الطلب والفكر، ولايتفرغ لهما، الا من أعرض عن اشتغال الدنيا، ولا تستولي المعرفة والحب على القلب ما لم تتفرغ من حب غير الله تعالى، ففراغ القلب عن غير الله تعالى

(٢٣١) لعل المراد المؤلف بالعبارة كتب الرقائق والزهد .

ضرورة اشتغاله بحب الله عز وجل، ومعرفته، ولم يتصور ذلك الا للمعرض عن الدنيا، القانع منها بقدر الزاد، والضرورة، وفي الخبر عنه عليه الصلاة والسلام: «من جاء يوم القيامة بخمس لم يصد وجهه عن الجنة، النصح لله، ولدينه، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين».

فصل

وجاء في الخبر، عن عيسى عليه السلام : «يامعشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا»، فقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ياروح الله، من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال : «هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها، ونظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها، وأماتوا منها ماخافوا أن يميتهم، وتركوا منها ماخافوا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالا، وطلبهم لما أدركوا منها قوتا، وفرجهم لما أصابوا منها حزنا، فما عارضهم منها رفضوه، وماعرضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، خلقت عندهم الدنيا فلم يجدوها، وخربت فلم يعمروها، وماتت في صدورهم فلم يحيوها، فهم يبنون بها آخرتهم، ويبيعون دنياهم فيشترون بها مايبقى لهم، رفضوها فكانوا برفضها فرحين، ونظروا الى أهلها غرقى قد حلت بهم المبلات، فاحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الدنيا، يحبون الله تعالى، ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره، فاولئك الذين ﴿لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢٣٢)».

فصل

واعلم ان حب الدنيا رأس الخطيئات ومجلبة السيئات، ومعدمة للحسنات، وسبب حلول غضب رب السماوات، وسببه امتزاج مفسدات خبائث وسواس في القلب، فاجتمعت هنالك مادة حب النعم، واللذاذة، والطمع في العاجلة فتار بخار تلك المادة في جميع الجوارح فاستخدرت عن طاعة ربها، تراها عند قيام الطاعة ميتة منكسرة، وعند مطامع الدنيا فرحة مستبشرة، تضطرب بذلك فرحا اضطرابا شديدا، لتدبر لذلك تدبيرا سديدا، فصار الشغل بتكاثر الدنيا دواءها، وبطاعة الله داءها، فتبا لدواء قاتل، وهم عن الطاعة شاغل، فعلاجه أن تاكل من حلواء حب الله، موضوعة بقناديل الانقطاع اليه، مع أكل فنون القناعة، واستنشاق آس الاياس عما في أيدي

(٢٣٢) سورة يونس : ٦٢ .

الناس، وقد يتولد من هذا المزاج الأول الذي ذكرته خلط رديء فينبت علل التفاخر والاعجاب والمباهاة للاخوان والأصحاب، وكان المحرك لذلك نفخ كير التكبر بنواتج القلب، فحققت رطوبات الخضوع، ومادة الخشوع، فعلاجه أن يكحل عيون قلبه بائمد الاعتبار، ويقطر لها من انذروت انتساب التراب، مع أكل فواكه الفكر بمعاني السنة والكتاب، ويشرب حسوة التدبر لقول الملك الوهاب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢٣٣)، فان التقوى تكمل به النفوس، وتتفاضل به الأشخاص، ممن أراد شرفا، كما قال عليه الصلاة والسلام : «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»(٢٣٤)، انما الناس بالناس رجل مؤمن كريم على الله، ورجل فاجر شقي هين على الله، ويناسب هذا قوله عز وجل : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ....﴾(٢٣٥) الآية.

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «الناس بنو آدم، وآدم من تراب، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم»(٢٣٦)، فان كان آباء المفتخر من أهل الدين والورع، فكيف يفتخر بهم وقدكانوا أذلاء في أنفسهم صاغرين، وان كانوا فجارا فينبغي له أن يشغله الاهتمام بالفكر فيما صاروا اليه عن الفخر بهم، أو يكون هو ناقصا في نفسه، وقال عليه الصلاة والسلام: «ليدعن رجال فخرهم باقوام، انما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بانفها النتن»(٢٣٧)، الفحم بفتح المعجمة الذي طفت ناره، وفحمة الليل شدة سواده، والجعلان بضم المعجمة الأولى جمع، وهو بفتح المهملة الثانية، وضم المعجمة الأولى، قال الشاعر يصف قصيدته :

بذي الغباوة من انشادها ضرر كما يضن نسيم المسك بالجعل

الغباوة : ضد الفطانة، يقال : غبي عن الشيء غباوة اذا لم يفطن، وغبي عن الأمر اذا خفي فهو غب، وهو بكسر المعجمة من الماضي، وفتحها من المستقبل.

---

(٢٣٣) سورة الحجرات : ١٣ .
(٢٣٤) انظر كشف الخفاء ١/ ٣٧٣، ابن عدي : الموضوعات ٧/ ٢٥٦٥.
(٢٣٥) سورة البقرة : ٢٢١ .
(٢٣٦) رواه الترمذي وأحمد وورد في الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٩٨.
(٢٣٧) رواه أحمد وذكر الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٨/ ٣٧٥.

فصـــل

وفي خبر عن أبي هريرة أنه قال : «ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة : يا أيها الناس ، اني جعلت لكم نسبا فقلت : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢٣٨)، فابيتم الا أن تقولوا: فلان أكرم من فلان، واليوم أضع أنسابكم، وأرفع نسبي، أين المتقون معنا ؟ أكرم من أتقاني ولم يعصني»، والله أعلم، وكذلك قال الحريري :

تبا لمفتخر بعظم نخر انما ... الفخر بالتقى والا ذا المنتقى
لعمرك ما الانسان الا ابن يومه ... على ماتجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ولعمري أن الفخر مذمة في الدين، ومبغضة عند العلماء المهتدين، وليس الفخر بنافع عند لقاء رب العالمين، لقوله عز وجل : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(٢٣٩)، أي: لايسال بعضهم بعضا، لاشتغاله بنفسه، و﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢٤٠)، أي: لاينفعان أحدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر ، والميل الى المعاصي، وسائر آفاته، ولاينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر، وأرشد بنيه الى الحق، وحثهم على الخير، وقصد لهم أن يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة، وقيل غير ذلك تركته خوف الاطالة، والمعنى ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم، وأما قوله : شفعاء له يوم القيامة، فلعمري: ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾(٢٤١)، ولايملك الشفاعة الا الأنبياء عليهم السلام، ولاتشفع الأنبياء الا للمرضي، كما قال الله عز وجل : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(٢٤٢)، وقال تبارك وتعالى : ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾(٢٤٣)، فمن ادعى الشفاعة لأهل الكبائر، فقد كذب على الله، كما أسند مخالفونا ، أبعدهم الله، عن النبي ﷺ أنه قال (بزعمهم): «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(٢٤٤)، فكذب قولهم كتاب الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٢٤٥)، لأن

(٢٣٨) سورة الحجرات : ١٣ .
(٢٣٩) سورة المؤمنون : ١٠١ .
(٢٤٠) سورة الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩ .
(٢٤١) سورة لقمان : ٣٣ .
(٢٤٢) سورة الأنبياء : ٢٨ .
(٢٤٣) سورة طه : ١٠٩ .
(٢٤٤) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي والطبراني في الكبير .
(٢٤٥) سورة غافر : ١٨ .

رسـول الله ﷺ مـا قـال هكذا، ولكنه قـال عليـه الصـلاة والسـلام : «لا ينال شـفـاعتي أهل الكبائر من أمتي»، وقال عليه الصلاة والسلام : «ما منكم أحد يدخل الجنة يوم القـيـامـة الا بفـضل الله ثم بعـمله ثم بشفاعتي»، فشفاعته زيادة للمـؤمن في أجـره، ورفع درجـته، ولاينال شفاعته من مات مصرا، والله أعلم.

فصـــل

وساشرح ألفـاظا في من يفتخر بعظام نخرة وهي هذه : يا من نصب فخ التـفيهق لتحصيل نار الافتخار، وجمع لنفسه عظام التعظيم من جيفة التيه على العـبـيـد والأحرار، حتى عمر نادي نطقه بحماء المحمدة والاطراء، وشمر عن سـاق السـبـاق لمائم التمويه والافتراء، فصار يعظم حسما بمحافل الأنام مـصيرة الى ظلمات الزحـام، ونحـمـد نفسا يتنفس بغرف المعرة ملجؤها الى بيـوت الكدورات والمضرة، أمـا ينظر بلبل البلبـال قد زخره، ونور الانتقال قد خط بخطاه فـحـذره حـتى يرجع امتداح نار الافتخار من كلام الكبر، وافساح باب الباواء بمـرور الأمر، قل لي اذا سلت عليه بواتر البلاء، وأمر ببناء بيوت البلى، فـسـوف يرى مـرع المداعـاة مـعدومة، ومروة المروات محسومة، وعمد الأعمار مكسـورة، وعـمـد الأعمار منثـورة، فلعـمـري ما الكبر الا جذوة تجذ يماني الايمان، وما الكبر الا بوارق تلمع طوالع الطغيان، فيا هذا، ان هب ذكر السلف، ولاحت أشرر الشرف، فـاعـتبر بمن أصـبح مسجونا بتابوت التلف ، وأمـسى مـرهونا بما أكـتـسب واقترف، ولا تدري صـعـيـد صعودك في رياح الفـخـر، فتذري دموع عجزك اذا فاحت روائح الثر، فكن اذا جرى ماء تذكرة الأسـلاف، لا تزد من رواء ذلك السـلاف، انما الانسـان بصـعود سعود حده، لابذكـر طهـور جـده، وبعـذب مـصادر شهده، لا بناصع صدور خده، وبدت درور درر مـصـالـح دينه، لايسح سـحـوح مـصالح دنيه، وبتسلسل سلسل السـلامـة لأمنه، لا بصوغ مفضحات مينه، وبوابل شؤبوب جوده لا بفواضل جلبـوب جدوده، وبكسب كوس سمائه لا بكسب علو سمائه، فالطعام يعقب السـقـام، والكرام تولد اللئام، أكمل الأنام خلقا أحسنهم خلقا، وأنصرهم خلقا أعـدمهم حمقا، فلو سعد بشرف الارتقاء آدمي لسعد عم النبي، ولو سلم امرؤ بارتقـاء الجـدود لسـعـدت كـواكب اليـهـود. الأجـواد لايظهـرون بالوسيلة، والأوغـاد لايظهـرون بحـسن القـبيلة. كلا، لاينفعكم شرفكم اذا آن حصادكم،

ولاينقذكم مرحكم اذا حان ميعادكم، ان أرفعكم مع الانام أهداكم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢٤٦).

فصل

فاحذروا، اخواني، الفخر والكبر، والحسد والرياء، والنفاق وحب المحمدة، والرفعة والجاه، وكل خصال مذمومة، الله الله ، اخواني في تطهير قلبكم، واياكم والحقد، والغضب لئلا يفسد دينكم، والغضب غضبان: فمن الناس من يغضب في الله، ويرضى في الله، أي : يرضى عن من أطاع الله، ويغضب على من عصى الله، فذلك له عظيم الأجر. ومنهم من يغضب على من اذا شتمه، وضاربه بشيء من أمور الدنيا أو عثر فيه بشيء، أو قصر عن خدمته، وسبب هذا متولد من شوب التكاثر بمادة حب السيادة، فيتولد منه غشاوات الغل في القلب فامتدت تلك الغشاوات يمينا وشمالا، فاضطرب بعضها على بعض الى أن ثارت منها نار الغضب، فيتولد من تلك النار فحولات الكسل، فعلاجه أن يتحلل أولا بحلول الحلم، ثم يأخذ من صبار الصبر، وينقعه في عصير العفو، ويضيف اليه قند الانقياد لله، ولأهل الصلاح والسداد، فيكون دواءه هذا مع تسويكه بمسواك الامساك عن المحارم، وانبساطه على بساط السرور، لئلا يقع في تلك المآثم، ولا يجعل الكرب حرفته، والغضب حليته، لأنه نار محرقة لجميع الأعمال. فلتكن، ياأخي، في هم كبير، والقصد الى قصمه، لأنه قال الله عز وجل : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾((٢٤٧)، أي: المتجرعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم لا الكظم حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلي غيظا فيرده في وجهه ولا يظهره، وهو بفتح المعجمة من الماضي وكسرها من المستقبل، والله أعلم.

فصل

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَاغَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾(٢٤٨)، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»(٢٤٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل»(٢٥٠)، وقال

(٢٤٦) سورة الحجرات : ١٣ .
(٢٤٧) سورة آل عمران : ١٣٤ .
(٢٤٨) سورة الشورى : ٣٧ .
(٢٤٩) رواه الامام الربيع والبخاري ومسلم .
(٢٥٠) انظر العراقي : المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٦١ .

عليه الصلاة والسلام لرجل ساله : أي شيء أشد ؟ قال : «غضب الله عز وجل» قال الرجل : فما يبعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : «لا تغضب»، وقال رجل لرسول الله ﷺ: مرني بعمل وأقلل؟ قال : «لاتغضب»، فاعاد الرجل عليه مرارا وهو يقول : «لاتغضب»(٢٥١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «الشيطان خلق من النار، وانما تطفيء النار بالماء، فاذا غضب الرجل فليتوضأ»(٢٥٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كظم غيظا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله تعالى قلبه يوم القايمة أمنا وايمانا»(٢٥٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم، ألا ترون في حمرة عينيه وإنتفاخ أوداجه؟! فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده الأرض، فاذا غضب أحدكم فليقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فان سكن والا يجلس ان كان قائما، ويضطجع ان كان قاعداً»(٢٥٥)، كذلك ورد في الخبر . الأوداج : العروق الذي يقطعها الذابح، لأنه جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «اذا فريت الدم، وبهرت العروق فكل»، والواحد من الأوداج: الودج، بفتح المهملتين، والله أعلم.

فصل

وعن بعض الحكماء : ان الغضب يصدي العقل حتى لايرى صاحبه حسنا فيفعله، ولا قبيحا فيجتنبه. وقال بعض الحكماء : ثلاثة لايعرفن الا في ثلاثة، لايعرف الحليم الا عند الغضب، والشجاع الا عند الحرب، ولا يعرفك أخوك الا عند حاجتك اليه .

فصل

وساشرح ألفاظا تسر الخاطر، وتروق في عين الناظر في صفة الغضب وهي هذه : يامن اتخذ عدة العداوة لصنع غضب الغضب، وكتب عين الغل بصدره لجميع العرب. يامن تلفع بغمار الغمة عن تلقاء وجوه الجلد، والغم غال الغليل من غلل الاغتيال لمن غضب عليه وحقد، أما ترى غضارات المغاضاة قد بسطت، وألف المكافاة قد انبسطت، فلعمري ما العداوة الا سيف يقد رفرف الرأفة، وما الصفاوة الا عزيمة تجلي لؤلؤ اللطافة، فلا تحمل عبء

(٢٥١) رواه البيهقي وأحمد والترمذي .
(٢٥٢) ورد في تذكرة الموضوعات لابن القيسراني ١٠٩٢ .
(٢٥٣) الطبراني : المعجم الكبير ٢/ ٤٥٣.
(٢٥٤) كنز العمال ٤٣٤٦٩، المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٧٢.
(٢٥٥) رواه الترمذي في سننه ، وعبدالرزاق في مصنفه .

العبوس على اخوانك، ولا تبعث كثرة الكره على جميع خلانك، وألبس حلل الحلم عند الكرب، وارتق سلم السلم عند هيجان الغضب، الا أن الغضب حيفة والحلم أجاجها، والكربة ظلمة والسلام سراجها، فلا تكن خبا كالخيف، ولا حارا كالصيف، ولا طائشا كالفراش، ولا جاثيا كالفراش، ولا ساكنا تحسب أنك شنآن، ولا سكانا تنسب أنك ثملان، ولا جسورا فترى كانك غشوم، ولا عقورا فتلقى كانك ظلوم فخير الامور [أوساطها](٢٥٦)، وأشر العصور اقبحها وأغبطها، حركات معها سكون، وقربان عندها شطون، وادلاج معه تاويب، وعلاج عنده ترتيب، وشروق يتبعه أفول، وأفول يعقبه قفول، ونومات معها يقظة، ويقظة عندها غطة، وغفلة باطنها فكرة، وفكرة تمازجها عبرة، وكلام بحكمة، وأحكام برحمة، وحواس معدومة من الضير، وغواش تحتها حمة من الخير، وسرور وأحزان، وخوف وأمنه، وفكر في خلق السماوات والأرض، ورضى في البذل والقبض، وتزود ليوم المعاد، وجواب حين يقع التناد، فهالك كل امريء سيبين ﴿كُلُّ امرِيءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(٢٥٧)، وقد أتيت في كتابي هذا ذكرا من الغضب ماهو كاف، ان شاء الله، فاجتنبوه اخواني وتدبروا معاني ما أتيت به من المعاني الرائقة، والألفاظ الشايقة، ولا تنبذوها وراء ظهوركم، ولا تعدموها من صدوركم، وازهدوا مدة أعماركم، وجالسوا علماءكم وأخياركم، لتغنموا طول حياتكم، وتنقلبوا باحسن سلامتكم.

مسالة : وأول الزهد أن لاتريد سوى الله، وأن تقطع طمعك من المخلوقين، ثم تمسك لسانك وجوارحك عن معاصي الله عز وجل، وكذلك قلبك طهره من أدناس المعاصي، مثل الرياء والنفاق، والكفر والشقاق، والعجب والحقد، والحسد والغضب، والكبر والبطر والأشر، والتزكية للأنفس، ثم تعلم أن ماكان لك لن يخطئك، وما لم يقدر لك فلا حيلة لك في وجوده، أو قدر عليك فلا حيلة لك في دفعه، ولا تجزع على مافات، ولا تهمل فكر ماهو آت، ولا تحب الا الله، وخفه أشد الخوف، فانك موقوف بين يديه، ومحاسب بما جنيت وفعلت.

مسالة : وأما الزهد مصدر زهد زهدا وزهادة بفتح مهملة الماضي والمستقبل، وبكسر مهملة الماضي، وهو عن الشيء وفي الشيء، يقال : ان

(٢٥٦) لعل الصواب : أوسطها .
(٢٥٧) سورة الطور : ٢١ .

الـزهـادة في الدنيـا، والزهد في الدين، واعلم أن ذكـر الله عند الزهادة أحلى من الشـهد والعسل، والصبر عند الزهادة على الحق بالسراء والضراء، والصبر على الصـلاة بالخـشـوع، والصبر على الصـيام بالتفضل كانه طاعم ، والصبر على الذل بطيبة نفسه.

مـسـالة : وقـيل : أتم الزهاد أسـخـاهم نفسا، وأوسعهم صـدرا، وأكمل الزهاد أكـثـرهم يقينا. وموت القلب أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة، ومن علامة ذلك، أن يكون (٢٥٨) في قلبـه مـوضع للحـسد، ومبتدأ أن يلهم قلبه ذكر الله، وذكـر الموت حتى يتوفى، والخشية لله، والحذر والخوف كانه يراه، فاذا مضى يوم واحـد وهو في الزيادة من الخـوف زاده الله من المهـابة والشوق الى الجنة ونعـيـمـهـا وحورها، ولا يكون زاهدا حتى يكون عابدا. ولا يكون عابدا حتى يكون ورعا. ولا يكون ورعا حتى يكون عالما، قال : (٢٥٩) ولا تطمع بالسمن مع الشـبع، ولا في الحـزن مع كـثرة النوم، ولا في الخوف مع الرغبة في الدنيا، ولا في حـب الله مـع حـب المـال والـشرف، ولا في لين القلب مع جـفـاء الأرملة واليـتـيم والمسكين، ولا في رقـة القلب مع كـثـرة الكلام والفـضـول، ولا بامـر المعروف، والنهي عن المنكر الا بعد الاياس عما في أيدي الناس.

مـسـالة: وفي الخبر عن عـمـر بن الخطاب (رضي الله عنه): «لا يغـرنكم صـلاة امـريء ولا صـيـام، من شـاء صـام، ومن شاء صلى، ولكن انظروا الى حـديثـه اذا حـدث، والا أمـانته اذا ائتمن، والى ورعه اذا أشفا»(٢٦٠). واياكم اخـواني والاصرار على المعـاصي، وترك الاسـتـغفار، لأنه قال تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَـعَلُواْ فَـاحِـشَـةً أَو ظَلَمُواْ أَنفُسَهُم ذَكَرُواْ اللهَ فَاستَغفَرُواْ لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَم يُصِرُّواْ عَلَى مَافَعَلُواْ...﴾(٢٦١) الآية، لأنه يوجد في الأثر أنه : «من أصر على حبة من خردل ظلما ومات على ذلك فهو في النار»، ويوجـد عن رسـول الله ﷺ أنه قال : «من لم يستغفر الله كل يوم مرتين، مرة بالغـداة، ومرة بالعشي، فقد ظلم نفسه»، ولعمري ماينفع الاستغفار باللسان مع قـسـاوة الجنان، والغل لجـمـيع الأخـوان، والاصرار على معصية الرحمن، انما التـوبة والانقـيـاد، والرجـوع بالقلب عن المعـاصي، والاعتقاد أن لايقرب معصية أبدا.

---

(٢٥٨) لعل الصواب : أن لايكون .
(٢٥٩) كذا في الأصل ، ويبدو في الكلام سقط .
(٢٦٠) رواه ابن حجر في المطالب العالية ٢٦٠٨.
(٢٦١) سورة آل عمران : ١٣٥ .

فصـــل

والاستغفار مع التجنب للمعاصي هو النجاة في يوم المعاد، فلا تستغفروا الله بـالسنتكم دون قلوبكم، فـتكونوا كـاذبين في توبتكم، لما وجـدت في الكتب المنزلة، يقـول الله عـز وجل: «يـاابن آدم تفـرغ لذكـري أذكـرك عند ملائكتي، يـابني آدم الى مـتى تقولون الله الله، وشغلكم وهمتكم بقلوبكم غير الله، وخفتم غير الله، وتسـتـغفرون الله والاستغفار مع الاصرار توبة الكاذبين»، وفي الكتب المـنـزلـة يقـول الله عـز وجل : «يـاابن آدم أخـدمني فـاني أحب من يخدمني وأسـتـخدم له عبادي، فانك لاتدري قدر ماعصيتني فيما مضى من عمرك ولا قـدر من تطيـعني فيما بقي منه، ولا تامن مكري فاني فعال لما أريد، واعبدني فـانك عـبـد ذليل، وأنا رب جليل». فـافهموا، اخواني، واعتبروا، وتدبروا لهذه الدلالات الواضـحـات، واياكم والمداراة في المعـاصي فـانها من الكبائر، لقول الله عـز وجل : «يـاابن آدم تداري خلقي، وتداهنهم خـوفـا من مـقتهم، وتبارزني بالمعـاصي، ولاتخاف مـقـتي، ومـقـتي أكبر من مـقتهم». وقال تعالى في القرآن العظيم : ﴿يَسـتَخفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُم إِذ يُبَيِّتُونَ مَـا لَايَرضَى مِنَ القَولِ﴾(٢٦٢) . والتـبـيت هو : تدبير الفـعل ليـلا. فـتدبروا، اخـواني أحـبـائي، ولا تميلوا كل الميل لهذه الدنيـا وأهلها، وأخلصوا في جميع أعمالكم، واقطعـوا أسـبـاب الرياء، يقـول الله تبارك وتعالى : «يـاابن آدم تزود من الدنيا كزاد المسافر الخائف، وأخلص في عملك من الرياء».

فصـــل

ورد في بعض الأخـبـار عن مـعاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قـال : «ان الله تعـالى خلق سـبعة أملاك، ووكل ملك منهم على سماء، وأمر تبـارك وتعـالى حفظة بني آدم أن يعرضوا أعمال العباد عليهم كل يوم بيوم، وكتب(٢٦٣) الموكل بحـسنات بني آدم من أفعال البر مثل : الصلاة، والصيام، وغير ذلك من وجـوه البر من أول النهـار الى آخـره، فـاذا كـان الليل رفعه الى الـسماء، لأن اعمال الخـلـق بالنهـار ترفع الى الله تعـالى بالليل، وأعمال الليل ترفع بالنهـار، فاذا وصل الموكل بعمل الرجل الموكل به الى الملك الموكل بسماء الدنيـا، قـال: قف، واضرب بهذا العـمل وجـه صـاحبـه، فـان الله أمرني أن لايجاوزني عـمل صـاحب غـيـبة الا أن يتوب، قال: ثم صعد ملك آخر بعمل

(٢٦٢) سورة النساء : ١٠٨.
(٢٦٣) لعله : ويكتب .

رجل آخر فينتهي الى السماء الثانية فيقول له الملك : قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لايجاوزني عمل صاحب رياء، قال: ثم صعد ملك آخر بعمل رجل آخر الى السماء الثالثة: فيقول له الملك: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لا يجاوزني عمل صاحب اعجاب، قال: ثم صعد ملك آخر بعمل رجل آخر الى السماء الرابعة، فيقول له الملك: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لايجاوزني عمل صاحب حسد، قال : ثم صعد ملك آخر بعمل رجل آخر الى السماء الخامسة، فيقول له الملك الموكل: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لايتجاوزني عمل صاحب كبر، قال: ثم صعد ملك آخر بعمل رجل آخر الى السماء السادسة، فيقول له الملك : قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لايجاوزني عمل رجل لايرحم عباد الله، ويشمت بهم عند المصائب والنوائب، ويطلب الدنيا باعمال الآخرة، قال : ثم صعد ملك آخر بعمل رجل آخر الى السماء السابعة، فيقول له الملك: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، فان الله أمرني أن لايجاوزني عمل رجل أراد به الرفعة عند المخلوقين، والذكر في المجالس، ولم تكن عبادته صحيحة، ونيته خالصة لوجه الله عز وجل، سبوح قدوس، أمره كائن، واجب حقه، نافذ قضاؤه ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٢٦٤)». قال معاذ (رحمه الله) : يارسول الله ، صلى الله عليك، فكيف النجاة فيما ذكرته؟ فقال لي رسول الله ﷺ: «يامعاذ فان كان في عملك نقص فاقطع لسانك من الوقيعة في الناس، ولاتزك نفسك بذم غيرك، ولاتدخل دخولا في الدنيا ينسيك أمر آخرتك، ولا تفحش، ولا تمزق عبدا لله بلسانك، فتمزقك كلاب النار، ولا تشرك مع الله تعالى في عملك غيره، وأكثر من ذكر الموت، واياك والطمع فانه فقر حاضر، وعليك باليأس عما في أيدي الناس، واذا صليت فصل صلاة مودع، واياك وما تعتذر منه»، قال معاذ : فقلت: يارسول الله ، صلى الله عليك من يطق عما وصفت؟ فقال لي رسول الله ﷺ : «يامعاذ انه يسير على من وفقه الله تعالى ، انما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ماتحب لنفسك، وتكره لهم ماتكره لنفسك، فاذا فعلت ذلك فقد سلمت يامعاذ»(٢٦٥).

---

(٢٦٤) سورة الشورى : ١١ .

(٢٦٥) الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ٨/ ٢٦٥، العراقي: المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٨٩، السيوطي: اللآلىء المصنوعة ٢/ ٢٧٩.

وعندي أن هذا في أمر الدين، لأن من استقام في أمر دينه، وأحب شيئا من أمور الدنيا أن يكون لنفسه دون غيره، فلايهلك بهذه النية بعد موته، ولكن المعنى في هذا الكلام: أن يحب لنفسه، وجميع الناس، أن يكونوا على صراط مستقيم، فانظروا أخواني، وتدبروا في قبول الأعمال وردها، وصعب سلوك اخلاص الأعمال وتنقيتها الى الله عز وجل .

فصل

ووجدت عن بعض الحكماء ، قال : «القصد بالقلوب أبلغ من الحركات، أبلغ من الجوارح»، وروي في الأخبار أن : «من فتح على نفسه باب حسنة، فتح الله عليه سبعين بابا من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب سيئة، فتح الله عليه بابا من الخذلان»(٢٦٦)، فباب الحسنة النية، وباب السيئة سوء النية، وفي الخبر عن عيسى عليه السلام: أنه سئل عن المخلص ؟ قال : «الذي يعمل العمل لايحب أن يحمده عليه الناس».

فصل

واياكم ، اخواني، والميل الى الدنيا، والركون اليها، والى زخارفها، واتقوا الله، ترزقوا المحبة، والقربة منه، لقوله عز وجل : ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾(٢٦٧)، وقال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾(٢٦٨)، وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته، وصيامه، الا في الفرائض»(٢٦٩)، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «اني أعرف آية لو اخذتها الناس لكفتهم : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً﴾(٢٧٠)»، قيل : من أمر يضيق على الناس، وقال ابن عباس (رحمه الله): «من شبهات الدنيا، وغمرات الموت، وشدائد الآخرة، والله أعلم .

فصل

وعن النبي ﷺ أنه قال : «ان الأتقياء الأخفياء، الشعثة رؤوسهم، الخميصة بطونهم، الذين اذا استاذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وان خطبوا الغانيات لم يزوجوا، وان غابوا لم يفقدوا، وان شهدوا لم ينظر اليهم أهل الدنيا في دنياهم، أما أنه لكريم على ربه، لو أقسم عليه لأبر قسمه، وان ماتوا

(٢٦٦) الكامل في الضعفاء لابن عدي ٧/ ٢٧٣٨.
(٢٦٧) سورة البقرة : ١٩٤ .
(٢٦٨) سورة الأحزاب : ٧١ .
(٢٦٩) أخرجه الذرافي ٢/ ١٧، كنز العمال ١٨٢٦، ١٩٢٤ .
(٢٧٠) سورة الطلاق : ٢ .

لم يشهدوا. ويحك ان هؤلاء خبرهم وذكرهم في الأرض فاتر، وفي السماء شاهر وظاهر»(٢٧١). وقال عليه الصلاة والسلام: «من قيل له اتق الله فغضب جاء يوم القيامة فيوقف موقفا لايبقى ملك الا مر عليه فيقول له : أنت الذي قيل لك اتق الله فغضبت؟!»، وسمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يوما يخاطب نفسه وهو يقول : عمر بن الخطاب ... بخ ، بخ، والله ياابن الخطاب لتتقين الله، أو ليعذبنك .. بخ، بخ: بفتح الباء وتشديد الخاء المعجمة، كلمة تقال عند مدح الشيء، والخاء منها يخفف ويثقل.

فصل

وقيل عن بعض الحكماء : من كان رأس ماله التقوى، كلت الألسن عن وصف ربحه. فاجتهدوا، اخواني، في تطهير الأعمال من القاذورات، والثياب من النجاسات ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعنَا وَهُم لَايَسمَعُونَ﴾(٢٧٢).

فصل

وقال بعض الحكماء : اذا أصبح الرجل ينبغي له أن ينوي أربعة أشياء: أولها أداء ما افترض الله عليه. والثاني اجتناب ما نهى الله عنه، والثالث انصاف مابينه وبين عماله، والرابع اخلاص ما كان بينه وبين خصمائه. فاذا أصبح على هذه النيات، ﴿فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ﴾(٢٧٣).

فصل

ووجدت في الأثر فيما يجب على العبد العاقل في كل يوم من الفرائض. فاذا لم يعرفها فهو جاهل عاص مذموم، لا عذر له عند الله تعالى يم القيامة: أولها معرفة الله تعالى بالربوبية، لقوله عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ﴾(٢٧٤)، معناه: الا ليعرفون. والثانية الاقرار بالوحدانية، لقوله عز وجل: ﴿وَإِلَـٰهُكُم إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾(٢٧٥)، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.(٢٧٦) والثالثة الوفاء بالعهد، لقوله عز وجل :﴿وَأَوفُواْ بِعَهدِي أُوفِ بِعَهدِكُم﴾(٢٧٧). والرابعة الاقرار بالعبودية والاخلاص لله فيما تعبد به،

(٢٧١) المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٣/ ٢٧١، تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٢٥.
(٢٧٢) سورة الأنفال : ٢١ .
(٢٧٣) سورة القصص : ٦٧ .
(٢٧٤) سورة الذاريات : ٥٦.
(٢٧٥) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٢٧٦) سورة الاخلاص : ١ ـ ٤ .
(٢٧٧) سورة البقرة : ٤٠ .

لقوله عز وجل : ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعبُدُواْ اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٢٧٨)، وقال عز وجل : ﴿أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾(٢٧٩)، وقال عز وجل : ﴿فَمَن كَانَ يَرجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾(٢٨٠). والخامسة طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، لقوله عز وجل : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ﴾(٢٨١). والسادسة الأمن بما وعد الله من الرزق، لقوله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزقُهَا وَيَعلَمُ مُستَقَرَّهَا وَمُستَودَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢٨٢). والسابعة القناعة والرضى بما قسم الله عز وجل، لقوله عز وجل : ﴿نَحنُ قَسَمنَا بَينَهُم مَّعِيشَتَهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾(٢٨٣). والثامنة الحب في الله، والبغض في الله، لقوله عز وجل : ﴿لاَّتَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُواْ آبَاءَهُم أَو أَبنَاءَهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم﴾(٢٨٤). والتاسعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله عز وجل : ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾(٢٨٥). والعاشرة معرفة النفس ومحاسبتها، لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(٢٨٦). والحادية عشرة محاربة الشيطان، وعداوته، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٢٨٧)، يعني: تحاربوه. والثانية عشرة الخوف من الله عز وجل في كل حال، والاستحياء منه، لقوله عز وجل : ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ﴾(٢٨٨)، وقال تعالى : ﴿يَستَخفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَيَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُم﴾(٢٨٩)، وقال : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾(٢٩٠)، أي : يخوفكم بأوليائه وكذلك في قراءة أبي بن كعب، يعني:

---

(٢٧٨) سورة البينة : ٥ .
(٢٧٩) سورة الزمر : ٣ .
(٢٨٠) سورة الكهف : ١١٠ .
(٢٨١) سورة النساء : ٨٠ .
(٢٨٢) سورة هود : ٦ .
(٢٨٣) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٢٨٤) سورة المجادلة : ٢٢.
(٢٨٥) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٢٨٦) سورة يوسف : ٥٣ .
(٢٨٧) سورة فاطر : ٦ .
(٢٨٨) سورة المائدة : ٣ .
(٢٨٩) سورة النساء : ١٠٨ .
(٢٩٠) سورة آل عمران : ١٧٥ .

يخوف المؤمنين بالكافرين، وقيل يعظم أولياءه في صدورهم، وتدل على قراءة عبدالله بن مسعود (رحمه الله)، والله أعلم. والثالثة عشرة الرجاء لقوله عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾(٢٩١)، يعني: خوفا من عقابه، وطمعا في رحمته. والرابعة عشرة الحذر من مكر الله عز وجل، لقوله تعالى : ﴿فَلَا يَأمَنُ مَكرَ اللهِ إِلَّا القَومُ الخَاسِرُونَ﴾(٢٩٢). والخامسة عشرة ترك القنوط، لقوله عز وجل: ﴿قُل يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِم لَا تَقنَطُواْ مِن رَّحمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢٩٣). والسادسة عشرة ستر العورة، لقوله عز وجل : ﴿يَابَنِي أَدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾(٢٩٤)، يعني: عند كل صلاة، والزينة، ماوارى العورة. والسابعة عشرة طلب العلم ، لقوله عز وجل : ﴿فَسأَلُواْ أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَاتَعلَمُونَ﴾(٢٩٥)، وذلك مما لايسع جهله، وأما مايسع جهله فيجب السؤال عند وجوبه وحضوره وقت أدائه، فالسؤال عنه في ذلك الوقت فرض لازم. والثامنة عشرة الوضوء للصلاة، لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ إِذَا قُمتُم إِلَى الصَّلَاةِ فَاغسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامسَحُواْ بِرُؤُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ﴾(٢٩٦). والتاسعة عشرة الغسل من الجنابة، لقوله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾(٢٩٧). والعشرون التيمم، لقوله تعالى : ﴿فَلَم تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾(٢٩٨). والحادي والعشرون الصلاة، لقوله عز وجل ; ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَت عَلَى المُؤمِنِينَ كِتَاباً مَّوقُوتاً﴾(٢٩٩)، يعني فرضا مفروضا، والمسافر ركعتان، والمقيم أربع. الثانية والعشرون الذكر لله عز وجل، لقوله تعالى : ﴿وَاذكُرُواْ اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾(٣٠٠)، وقال تعالى : ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾(٣٠١).الثالثة والعشرون أداء الامانات الى أهلها، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَامُرُكُم أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى

---

(٢٩١) سورة السجدة : ١٦ .
(٢٩٢) سورة الأعراف : ٩٩ .
(٢٩٣) سورة الزمر : ٥٣ .
(٢٩٤) سورة الأعراف : ٣١ .
(٢٩٥) سورة النحل : ٤٣ . سورة الأنبياء : ٧ .
(٢٩٦) سورة المائدة : ٦ .
(٢٩٧) سورة المائدة : ٦ .
(٢٩٨) سورة النساء : ٤٣، سورة المائدة : ٦ .
(٢٩٩) سورة النساء : ١٠٣ .
(٣٠٠) سورة الأنفال : ٤٥ ، سورة الجمعة : ١٠ .
(٣٠١) سورة البقرة : ١٥٢ .

أَهلِهَا﴾(٣٠٢). الرابعة والعشرون لا تسر بالدنيا اذ أتتك ، لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَفرَحُواْ بِمَا أَتَاكُم﴾(٣٠٣). الخامسة والعشرون لاتحزن على مافتك منها، لقوله عز وجل : ﴿لِّكَيلَا تَاسَواْ عَلَى مَافَاتَكُم وَلَا تَفرَحُواْ بِمَا أَتَاكُم﴾(٣٠٤). السادسة والعشرون التفكر في قدرته، لقوله عز وجل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾(٣٠٥). السابعة والعشرون الاعتبار بالمخلوقات، لقوله تعالى : ﴿فَاعتَبِرُواْ يَاأُولِي الأَبصَارِ﴾(٣٠٦). الثامنة والعشرون رد النفس، وكفها عن هواها، لقوله عز وجل ﴿وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى﴾(٣٠٧). التاسعة والعشرون معرفة منة الله تعالى بالايمان، لقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيكُم أَن هَدَاكُم لِلإِيمَانِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾(٣٠٨). الثلاثون أن تعرف أن الله معك على كل حال، لقوله عز وجل : ﴿وَنَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾(٣٠٩). الحادية والثلاثون أن لاتحب لنفسك العلو، لقوله عز وجل : ﴿الدَّارُ الأَخِرَةُ نَجعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرضِ وَلَا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾(٣١٠). الثانية والثلاثون التوبة ، لقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللهِ تَوبَةً نَّصُوحاً﴾(٣١١). الثالثة والثلاثون صدق الكلام، لقوله عز وجل : ﴿مَّا يَلفِظُ مِن قَولٍ إِلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣١٢)، أي : ملك يرقبه، معك حاضر، ولعله يكتب عليه مافيه ثواب أو عقاب، وفي الحديث : «كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يتوب الى الله ويستغفره»(٣١٣)، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُواْ﴾(٣١٤)، أي: فاصدقوا. الرابعة والثلاثون أكل الحلال ، لقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ كُلُواْ

(٣٠٢) سورة النساء : ٥٨ .
(٣٠٣) سورة الحديد : ٢٣ .
(٣٠٤) سورة الحديد : ٢٣ .
(٣٠٥) سورة آل عمران : ١٩١ .
(٣٠٦) سورة الحشر : ٢ .
(٣٠٧) سورة النازعات : ٤٠ .
(٣٠٨) سورة الحجرات : ١٧ .
(٣٠٩) سورة ق : ١٦ .
(٣١٠) سورة القصص : ٨٣ .
(٣١١) سورة التحريم : ٨.
(٣١٢) سورة ق : ١٨ .
(٣١٣) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٦/٨.
(٣١٤) سورة الأنعام : ١٥٢ .

مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقنَاكُم وَاشكُرُواْ اللهِ إن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾(٣١٥). الخامسة والثلاثون حفظ الفروج ، لقوله عز وجل : ﴿قُل لِّلمُؤمِنِينَ يَغُضُّواْ مِن أَبصَارِهِم وَيَحفَظُواْ فُرُوجَهُم ذَلِكَ أَزكَى لَهُم إِنَّ اللهَ خَبِيرُ بِمَا يَصنَعُونَ﴾(٣١٦). السادسة والثلاثون حفظ الأذنين من سماع الباطل، لقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغوَ أَعرَضُواْ عَنهُ﴾(٣١٧)،وقال تعالى : ﴿إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسئُولاً﴾(٣١٨). السابعة والثلاثون اعتزال النساء في المحيض، لقوله عز وجل : ﴿فَاعتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾(٣١٩). الثامنة والثلاثون ترك الغيبة، والتجسس، لقوله عز وجل : ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغتَب بَّعضُكُم بَعضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيتاً فَكَرِهتُمُوهُ﴾(٣٢٠). والتاسعة والثلاثون ترك السخرية ، لقوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ لَايَسخَر قَومٌ مِّن قَومٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيراً مِّنهُم وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيراً مِّنهُنَّ وَلَا تَلمِزُواْ أَنفُسَكُم وَلَا تَنَابَزُواْ بِالأَلقَابِ﴾(٣٢١). الأربعون ترك اللمز. الحادية والأربعون ترك الظن، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ اجتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ﴾(٣٢٢). الثانية والأربعون التوكل على الله، لقوله تعالى : ﴿وَعَلَى اللهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾(٣٢٣)، المتوكلون. الثالثة والأربعون الرضاء بالقضاء، لقوله عز وجل : ﴿فَاصبِر لِحُكمِ رَبِّكَ﴾(٣٢٤). الرابعة والأربعون الصبر والتقوى ، لقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ اصبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾(٣٢٥). الخامسة والأربعون الشكر للنعمة ، لقوله تعالى : ﴿أَنِ اشكُر لِلهِ وَمَن يَشكُر فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾(٣٢٦)، ولقوله تعالى : ﴿أَنِ اشكُر لِي وَلِوَالِدَيكَ﴾(٣٢٧).

---

(٣١٥) سورة البقرة : ١٧٢ .
(٣١٦) سورة النور : ٣٠ .
(٣١٧) سورة القصص : ٥٥ .
(٣١٨) سورة الاسراء : ٣٦ .
(٣١٩) سورة البقرة : ٢٢٢ .
(٣٢٠) سورة الحجرات : ١٢ .
(٣٢١) سورة الحجرات : ١١ .
(٣٢٢) سورة الحجرات : ١٢ .
(٣٢٣) سورة آل عمران ، ١٢٢ . ١٦٠، سورة المائدة : ١١، سورة التوبة : ٥١، سورة ابراهيم: ١١، سورة المجادلة : ١٠، سورة التغابن : ١٣ .
(٣٢٤) سورة القلم : ٤٨، سورة الانسان : ٢٤.
(٣٢٥) سورة آل عمران : ٢٠٠.
(٣٢٦) سورة لقمان : ١٢ .
(٣٢٧) سورة لقمان : ١٤ .

السادسة والأربعون أخذ الرهن في البيع، لقوله عز وجل : ﴿فَرِهَانٌ مَّقبُوضَةٌ﴾(٣٢٨). السابعة والأربعون ترك الربا كله، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَتَأكُلُواْ الرِّبَا أَضعَافاً مُّضَاعَفَةً﴾(٣٢٩). الثامنة والأربعون الاستعداد للموت، لقوله عز وجل : ﴿كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ﴾(٣٣٠). التاسعة والأربعون العمل بالحجة، لقوله عز وجل: ﴿قُل هَاتُواْ بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾(٣٣١)، يعني : حجتكم ، الخمسون : الدعاء ، والتضرع، والاستعانة، لقوله عز وجل : ﴿ادعُونِي أَستَجِب لَكُم﴾(٣٣٢)، فينبغي للعاقل أن يعتبر ويتفكر في هذه الفرائض، ويعمل بها، ولايترك شيئا، ليستقيم ايمانه، ويثبت حنانه، والله الموفق الى طريق الحق والصواب.

فصل

وفي الحديث عن وهب بن منبه، فيما أوحى الله الى داود عليه السلام، قيل في آخر الزبور: «ياداود أسمع مني، والحق أقول، أن من لقيني وهو يحبني لم ألقه في النار، اسمع مني ياداود، حق على أنه من لقيني وهو مستح من المعاصي التي عصاني أنسيت حفظته ذنوبه، ولم أساله عنها، ياداود، من لقيني وهو يخاف عذابي لم أعذبه، اسمع مني ياداود، والحق أقول، لو أن عبدا من عبادي عمل من الذنوب حشو الدنيا مشرقها، ومغربها، ثم ندم بمقدار حلبة شاة، فاستغفرني مرة واحدة، وعلمت أنه لايعود فيها، ألقيتها عنه أسرع من هبوط المطر الى السماء، ياداود، أخبرك أن أعظم المؤمنين منزلة، رجل تصدق بصدقة، وكان أشد فرحا منه بما جلس عنده، ياداود، أخبرك أن أوليائي يكفيهم من العمل مايكفي الطعام والملح، ياداود، أتدري متى أتولاهم، اذا طهروا قلوبهم، أني لم أتخذ صاحبة ولا ولدا، وصدقوا أن لي جنة ونارا، وأني باعث من في القبور، وان أتوني بقليل من العمل جعلته عظيما، عبد من عبيدي يتقيني بحسنة واحدة أدخلته جنتي»، قال داود: وما تلك الحسنة؟ قال : «يفرج عن مكروب من المسلمين»، والله أعلم .

ففرجوا الكروب عن بعضكم بعضا، واستشعروا الاحسان والرضى، لتصعدوا الى أشرف الدرجات العلى، ولله الحمد في الآخرة والأولى، والصلاة

(٣٢٨) سورة البقرة : ٢٨٣ .
(٣٢٩) سورة آل عمران : ١٣٠ .
(٣٣٠) سورة آل عمران : ١٨٥ ، سورة الأنبياء : ٣٥، سورة العنكبوت : ٥٧ .
(٣٣١) سورة البقرة : ١١١ ، سورة النمل : ٦٤ .
(٣٣٢) سورة غافر : ٦٠ .

والسلام على خير خلقه محمد ذي الصدق والوفا، وعلى آله، أهل الكرم والوفاء.

فصل

فتطيبوا ، اخواني، بالطيب، واتركوا الخبائث، ولاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم، لقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم﴾(٣٣٣)، وقال أهل التفسير : ذكر النبي ﷺ الناس يوما، ووصف القيامة، فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مضعون الجهني وهم : أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وعبدالله بن مسعود (رحمه الله)، وعبدالله بن عمر، وأبو ذر الغفاري (رحمه الله)، وسالم مولى ابي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرس (رضي الله عنهم)، فتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح، ويجبوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل، ولاينـاموا الفراش، ولايقربوا اللحم والودك، ولايقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فاتى دار عثمان بن مضعون فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية، واسمها الحولاء، وكانت عطارة: «أحق مابلغني عن زوجك وأصحابه»، فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ، وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يارسول الله ، ان كان أخبرك عثمان فقد صدقك، وانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته امرأته بذلك، فاتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا، وكذا»، قالوا : بلى يارسول الله صلى الله عليك، وما أردنا الا الخير، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اني لم أؤمر بذلك»، ثم قال : «ان لأنفسكم عليكم حقا، فصوموا ، وافطروا، وقوموا، وناموا، فاني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم والدسم، وآت النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ثم جمع الناس وخطبهم، فقال : «مابال أقوام حرموا النساء والطيب والطعام والنوم، وشهوات الدنيا، أما اني لست أمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا، فاني ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وأن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد، فاعبدوا الله، ولاتشركوا به شيئا، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، فاستقيموا يستقم لكم، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم، فشدد

(٣٣٣) سورة المائدة : ٨٧ .

الله عليهم، فاولئك بقاياهم في الذاريات، والصوامع»(٣٣٤)، فانزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم وَلَا تَعتَدُواْ﴾(٣٣٥)، أي : لاتجاوزوا الحلال الى الحرام، وقيل : هو جب المذاكير.

فصل

وأصل الجب : القطع، وجبه يجبه، اذا خصاه، وهو بفتح جيم الماضي، وضمه من المستقبل، فارغبوا، اخواني ، في الزينة، واللباس، ماخفي لونه، وطهر ريحه تطيبا، وتجملا لاخوانكم، وهيبة لأعدائكم مع حسم التفاخر والاعجاب، والرياء، والسمعة، واجتلاب مودة النساء الأجنبيات، والمباهاة للاخوان، والمطاولة للأصفياء الخلان، ولاتكونوا كالذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وصدهم عن السبيل، وقادهم الى البكاء والعويل، والله الموفق، والهادي الى نهج الصراط المستقيم .

فصل

ومن جواب الشيخ الرضي العالم الولي صالح بن سعيد الزاملي (٣٣٦) الخراسيني النزوي الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري (٣٣٧) السعالي النزوي (رحمهما الله)، وأسالك سيدي مامعنى الزينة المنهي عنها من الكحل والداروق، ونتف الشارب، وغير ذلك، أيكون المراد ما هو استجلاب حرام محجور أم غير ذلك؟ وهل في نتف الشارب مابين الشفة العليا والسفلى أم لا؟

فصل

أما كل شيء جائز للانسان فعله من زينة وغيرها فتصلحه النية وتفسده، فان نوى بهذه الزينة الخيلاء فلا يجوز له ذلك، وان نوى هذه الجمالة عند اخوانه [و] عند زوجته، لم يضق عليه ذلك عندي، وان نوى بذلك الفساد للنساء الأجنبيات، فهو عليه حرام، وأما نتف الشارب، فقد نهى المسلمون عنه، وقالوا: انه عذاب المنافقين في الدنيا، لأن السنة جاءت بجزه، ولا فرق عندي بين الشفة العليا والسفلى ، والله أعلم .

---

(٣٣٤) انظر تفسير الطبري ٧/٧، والدر المنثور للسيوطي ٣٠٨/٢.
(٣٣٥) سورة المائدة : ٨٧ .
(٣٣٦) انظر ترجمته في الملحق .
(٣٣٧) انظر ترجمته في الملحق .

فصـــل

ومنه اليه (رحمهما الله) وسالت في رجل نعرفه بالفسق والنفاق، أيجوز لي أن أقدح فيه عند الوالي ليخرجه من خدمة المسلمين اذا كان في الخدمة؟ وكذلك اذا استشارني الوالي في أحد من الناس في الخدمة، وكان ذلك غير صالح عندي ادخاله في خدمة المسلمين، أيجوز لي أن أنهى عنه أم لا؟

ـ فنعم اذا كنت تخاف منه ضررا على دولة المسلمين لم يضق عليك كلا الحالين، والله أعلم .

وأما قولك في الرواية الموجودة ، أن رجلا جاء الى النبي ﷺ قال له : اني لأحب الجمال حتى في علاقة سوطي، وفتال نعلي، قال له النبي ﷺ: «أترضى الحق؟»، قال : نعم . قال : «انما ذلك لمن يترك الحق، ويتغمط الناس»(٣٣٨).

قلت : أيكون معنى ذلك أنه اذا كان يحب الجمال ، وكان يرضى بالحق، ولايتغمط الناس، لا باس به أم معناه غير ذلك؟

فعلى ماوصفت أن معنى ذلك اذا كان المسلم يحب لبس الثياب الحسنة، وأكل الحلال من الطيبات على نية الشكر لله، ويقوي بدنه على طاعة الله، اذا كساها وأطعمها مايحب مع رضاه بالحق، وتواضعه للخلق، ولم يخير نفسه على أحد، فلاباس به، والله أعلم.

قلت له : وما تقول في رجل عنده لحم فيطبخه أو يشويه، وكان له جيران كثير، أيسعه أن لايذيقهم منه اذا كان قليلا، أو كثيرا، أو كان الرجل غنيا أو فقيرا؟ .

قال : اني سمعت هذه المسالة من جزء «بيان الشرع» جزء الزهد، أنه ليس للجار أن يؤذي جاره برائحة قدره الا أن ينيله منها، ولم أسمع في هذه المسالة تفسيرا شافيا، الا أنه فيما يعجبني اذا كان الجار قادرا على ذلك فهو أرخص، لأنه لم يتاذى بذلك لانه اذا أراد أن ياخذ أخذ، وأما الفقير الذي لايقدر، فهو يتاذى بذلك، ويعجبني أنه اذا علم أنه وصله ريح اللحم أن ينيله منه، ولو كان قليلا، لكف الأذى عن الجار، لأن عليه أن يكف أذاه عن جاره، ويخفي عنه رائحة قدره، والله أعلم .

فصـــل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وفي الذي يطلب اليه رجل أن يرفده، أو ينزل به ضيف فيرفد المسترفد، ويكرم الضيف حياء منهما، أيؤجر على ذلك أم لا؟

(٣٣٨) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٤/١٥١ .

الجـواب : ان كـان يعطيـه خـوفا أن يقول انه بخيل، ولو لم يخف منه ذلك لم يعطه، فـهـذا عندي ليس بماجـور في عطيـته، وهذا من جنس الرياء الذي نهى الله عنه، ولايؤجـر الا اذا كـانت عطيـة لله عز وجل، أو يكون اتقاء عن عرضه من الشتم ، أو غيره، والله أعلم .

قلت له : واذا كانت الكلاب مضرة، أيجوز لي أن أجبر الناس على قتلها أم لا؟

قـال : أمـا جبرهم على قـتلها فلايجوز ذلك عندي، وأما قتلها هي، فجائز عندي اذا لم تكن لحرس ولا صيد، والله أعلم .

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله)، قلت له : بيني (٣٣٩) عـن رجل ينسخ الكتب بالأجـرة، فـاسـتاجـره رجل لينسخ له كـتابا بالأجرة من كتب أهل الخلاف، أيجوز له أن ينسخ له ذلك أم لا ؟

الجواب : أما النسخ فلا يضيق عليه ذلك، الا أن يجد كفرا فيجعل له من حـجج الحق تقليـد خصمه، وأما الترضي عن أهل البدع، والضلال، فلا يكتبه، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـوابه (رحمه الله) الى الشـيخ صـالح بن سـعيد المعمري السعالي (رحمـه الله)، ومـا تـقـول سـيـدي في المـاء الـذي يجري من النهـر من تحت الاجالة(٣٤٠)، هل يجوز لأحـد أن ينتـفع به اذا كـان صـاحب الماء يقـدر على سده(٣٤١)؟ أرأيت اذا لم يقدر على سده كيف الحكم في ذلك ؟

الجـواب : الذي يجري من الاجـالة، وصاحبه يقدر على سده، فتركه، فلا بأس بالانتـفـاع به، وأمـا الذي لايقـدر على سـده، وصـار في حـد التلف عن صـاحـبـه ففيه خلاف، وأما الذي يبقى في الفلج(٣٤٢) اذا رد المـاء في الـفـلـج الأعلى، فـان كان يصل الى أصحابه الذين لهم الماء، قيل : هذا الماء هم أولى به، وان لم يصلهم فـلاباس بالانتفاع به لمن كان تحت نخلة أو في ماله. وان كان تحت نخل غيره فهي أولى به على قول موسى بن علي(٣٤٣) (رحمه الله).

---

(٣٣٩) لعل الصواب : بين لي .

(٣٤٠) الاجـالة : كل مايغلق به فتحة الساقية من خشب ونحوه .

(٣٤١) سده : غلقه، واصلاحه. (٣٤٢) المقصود بالفلج هنا ، الساقية التي يجري فيها الماء .

(٣٤٣) انظر ترجمته في الملحق .

وأما قولك اذا قلبت الصدية(٣٤٤) تلين(٣٤٥) فلسا(٣٤٦)، أو ثمانية عشر فلسا، أو أقل أو أكثر، فقلت : كيف يكون الوفاء بها؟

فاعلم أني لم أقف في مثل هذا على أثر مشروح بعينه، ولكنني سمعت عن الأشياخ (رحمهم الله) أن من كانت عليه صدية أو نصف صدية، وكانت الصدية أكثر عدد، أو أقل عدد فلم يسلم هذا الحق، رجعت الشاخة(٣٤٧) الى الأقل أو الأكثر فعليه نصف الشاخة، أو شاخة على حساب يوم الوفاء، والله أعلم.

وان كان عليه عدد فلوس لم يعرف الا كما عليه من العدد، ونقصت الشاخة أو زادت، وأما [اذا] استهلك دراهم الناس بغير أذنهم، فعليه أن يعطيهم مثل الذي استهلك من دراهمهم، نقصت الشاخة أو زادت، وان كانت باقية عند الدلال(٣٤٨) بعينها فليس له أن ينقصهم، ويعطيهم دراهمهم بعينها، والله أعلم .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) قلت له : أرأيت فيمن يقرأ القرآن فيدخل عليه رجل من أكابر الناس، هل يقوم له أم لا؟ والقوي والضعيف سواء؟ ومتى يرد السلام اذا سلم الداخل ؟

قال : ان قاريء القرآن يرد السلام، ويقوم لمن يجب عليه اجلاله، ولا حد عليه في ذلك في آية ولا أكثر، والله أعلم.

قلت له : والمستغفر على وضوئه، أينقضه أم لا ؟

قال : ان الاستغفار في نقض الوضوء جاء فيه اختلاف، فبعض ينقض الوضوء، ولو كان المستغفر غير مصر خوف النفاق، وبعض لم ينقض وضوئه، الا من استغفر متعمدا على الاصرار.

قال المؤلف : وعندي أن لهذا تفسيرا ، وتاويلا، فمن كان يتلقلق لسانه، ويتعلق بالبهتان جنانه، فيعقد على قلبه صرة الاصرار، وطرف لسانه عقد الاستغفار، اذ رأى عصاة العصيان توكأ بها، أو رأى بهيمة البهتان توركها، تراه يلتحي بنيران الغواية، ويتعامى عن دراري الدراية، فيبتكر اليها ابتكار

(٣٤٤) عملة فضية كانت متداولة في عمان في عصر المؤلف .
(٣٤٥) لعل الصواب : ثلاثين .
(٣٤٦) عملة من غير الذهب والفضة تقدر بسدس الدرهم .
(٣٤٧) عملة فضية كانت متداولة في عمان في عصر المؤلف .
(٣٤٨) الدلال : هو المنادي على السلعة في السوق .

أبي زاجر، وينشط اليها تنشط أبي وثاب، ويتلطف لتحصيلها تلطف أبي غزوان، ويتلون الى تلقائها تلون أبي براقش، ويصبر على ورودها صبر أبي أيوب لاجتلاب حباء الحوب، وانعام ذنوب الذنوب، فهذا الذي ينقض وضوءه الاستغفار، كاذب على الله في العلانية والاسرار، وأما من عمل آناء الانابة، وصنع منجوب الاجابة، وأوقد بمشكاة قلبه صباح الصلاح، وعقد بخنصره مفاتيح الافتتاح، فيستغفر الله منيبا اليه، لا رياء ولا سمعة، ولا اعجابا، فلا ينقض وضوئه، هذا على أصل الحقيقة والتصديق، والله الموفق الى أوضح منهج الطريق .

فصل

أبو زاجر : كنية عن الغراب ، وأبو وثاب : كنية الظبي، وهو مثل في النشاط، وأبو عزوان، كنية الهر، وأبو براقش، كنية طائر يتلون ألوانا، وأبو أيوب: كنية الجمل، وأما حباء الحوب: أصل الحباء العطاء معناه لاستدرار الذنوب الكثيرة، وأما منجوب الاجابة: أصل المنجوب هو الاناء وهو بالجيم، والمعنى في ذلك الاخلاص ، لأن من صنع شيئا بصنع رائق عجيب، علا وارتفع ووده كل من لقيه، والله أعلم .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) واذا كانت المرأة مريضة وهي حائض، أيجوز أن تحمل الأسماء(٣٤٩) وتشرب المحو؟

قال : أما شرب المحو فجائز، وأما حمل الأسماء فلا يعجبني ذلك، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الوالي الموالي عبدالله بن محمد بن غسان الخراسيني(٣٥٠) النزوي (رحمه الله)، الى الوالي أحمد بن مسعود (رحمه الله)، وماتقول سيدي اذا أخذ رجل على رجل جراب تمر على وجه حرام، وباع الجراب بالدين نسيئة الى سنة أو أكثر بعشر لاريات، وحين أخذه قيمته(٣٥١) أربع لاريات، قلت : مايجب عليه من ذلك ؟

الجواب : اذا أراد الخلاص من ذلك فعليه أكثر الثمنين ان كان يوم

---

(٣٤٩) الأسماء : لعل المراد بذلك ، أسماء الله تعلق كحرز.

(٣٥٠) انظر ترجمته في الملحق .

(٣٥١) لعل الصواب : وكانت قيمته.

تخلص، أو يحكم عليه الحاكم أكثر ثمنا مما باعه نسيئة كان عليه كثمنه يوم الحكم، وان كان ثمنه نسيئة فعليه ثمنه، قبل ماباعه نسيئة، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الرضي العالم صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ عبدالله بن عامر بن بلحسن المعمري السعالي (رحمه الله)، وما تفسير الاطمنانة التي يجوز الأخذ بها ؟

الجواب وبالله التوفيق : ان الاطمنانة يعرف موضعها أهل العلم بالله عز وجل، ولعل ليس كل من تسمى بها ثبت له اذا تسمى بها في غير موضعها، والاطمنانة التي يؤخذ بها ويعمل عليها هي التي كانها تعين من شواهد دلائلها وكان الدافع لها بدافع يقينه، فهذه حقيقتها، ويسلم من سلكها من الاثم اذا فعل فيها لما يجوز عند الله وان عارضه الشك المعارض فيها على سبيل الوسوسة، فلا عمل عليه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، قلت له : وفي الرجل اذا كان مضيعا شيئا من الصلوات وشيئا من رمضان، ولم يعرف ذلك وتاب الى الله عز وجل، وأراد الخلاص، كم يجب عليه من الكفارات والاطعام والبدل للصلوات؟

الجواب : اذا كان ما لزمه غير معلوم عنده أنه كذا وكذا، احتاط على نفسه بشيء من الكفافير(٣٥٢) والبدل بما يمكنه من الاحتياط بلا أن يشق على نفسه بما يلحق فيه الضرر، لأن الله اذا علم منه صدق التوبة، وصدق الندم على ما أسلف يحط حقوقه عنه اذا علم منه الاجتهاد والمناصحة في خلاص نفسه. والاطعام لا يجزي عن البدل، وانما يجزي عن الكفارات، والله أعلم.

قلت له: وما تقول سيدي في هؤلاء النساء يقعدن في المسجد بين الظهر والعصر فيعملن القطن غزلا ومزعا، أينكر عليهن ذلك أم لا؟

قال : أما الغزل في المسجد، فيعجبني أن يمنعن عن ذلكن، وأما المزع فهو أخف، والله أعلم .

المزع مصدر مزع يمزع مزعا، بفتح معجمة الماضي والمستقبل، وهذا المتعدى من فعله، واللازم تمزع يتمزع تمزعا، يقال تمزع فلان من الغيظ، أي: تقطع، والله أعلم .

---

(٣٥٢) لعل الصواب : الكفارات .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ قـاضي المسلمين وامامهم في الدين خميس بن سعيد الـشـقصي الرسـتـاقي (رحمه الله)، الى الشـيخ محمـد بن عـبـدالله المسروري الريامي، وما تقول في الذي قد تاب في الجملة من جميع ماضيع من حقوق الله وحـقـوق عـبـاده من سر أو عـلانيـة، من صلاة أو زكاة أو صوم أو حج أو اعـتكاف أو اصرار، وكل ذلك قـد تاب في الجـملة ودخل في توبته بنية خالصة واعتقاد صحيح؟

الجـواب : يكون هذا سـالما عند الله ان قدر على الخلاص منه ان شاء الله، ان تخلص من الضمان الذي يلزمـه للعـباد، ان قدر على الخلاص منه أو دان باداه ان لم يقـدر على الخلاص منه الا ماكان من ذنب عزم عليه عند فعله أنه لايـتـوب منه فنسـيـه أن يتـوب منه، فنقـول : اذا تاب في الجـملة أنه يكون مـعـذورا منه، وقول أنه لايعذر منه اذا كان من عزمه الاصرار عليه ولم يتب منه خـاصـة، وكـذلك اذا دان بتحليل ماحرم الله ورسوله والمسلمون وتاب في الجملة أنه لايكون تائبا منه حتى يخص ذلك بعينه في التوبة، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليه (رحمهما الله) وفيمن دخل في بيع شيء محجور، ولم يعلم انه حـرام الا أنه مجتـهـد في ذلك البـيـع، يظنه حـلالا بجلهـه، فلما تبين له ذلك، أيجزيه أن يتصدق بقدر ذلك؟

الجـواب : أنـه لايجوز له ارتكاب شيء من المحـرمـات بعلم ولا بجـهل، ويسع الجـاهل جـهلهـا مـالم يرتكبـهـا، ومن أربى على أحد بشيء قل أو كثر فـعليـه الخلاص له منه وتسليمه الى من أربى عليه، وعليه الاجتهاد في طلب الخـلاص والدينونة باداء مـالزمـه له، ويستقصي على نفسه حتى يخرج من جمـيـع مـالزمـه من ذلك، وفي الحل من الربا اخـتـلاف، قـول يجوز، وقـول لايجوز، والله أعلم .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقـيـه العـالم النزيه صـالح بن سـعـيد الزاملي الخـراسـيني النزوي (رحمه الله)، الى الشـيخ محمـد بن عـبـدالله بن مـبارك المسروري الريامي، وأسالك سـيـدي في قائد البغاة، فجرى ما جرى من سفك الدمـاء وأخذ أموال الناس ظلما اذا أراد التوبة بصحة عقل، وهو تائب الى الله

عز وجل، ولم يعرف أرباب الأموال، واذا علم بشيء وتخلص منه أيكون سالما اذا تاب في الجملة بنية صحيحة مثل عائشة (رضي الله عنها)؟

الجواب ، والله الموفق الى طريق الحق والصواب : أما قولك في حقوق الله عز وجل أن التوبة تاتي عليها فالله جل جلاله، وتقدست أسماؤه، رؤوف رحيم بعبده التائب اذا علم منه الاخلاص والنصيحة في توبته، مع اعتقاد التادية لما لزمه من حقوق الله وحقوق عباده على مايقدر عليه، ولايكلفه الله فوق طاقته، وأما حقوق عباد الله فيتخلص منها الى أربابها ان عرفهم، ووجد السبيل الى معرفتهم، من قود نفس فما دونها من الدماء والأموال وان لم يعرف أربابها فحيث يامره المسلمون من أي ماكان فيه خلاصه عند المسلمين، فاذا علم الله منه هذا الاعتقاد، وهذه الدينونة فيرجى أن يغفر الله ذنبه ويدخله في رحمته الدائمة، ولا يعذب الله العبد الا من قبل فساده، وسوء اختياره لنفسه، ولم يظلمه شيئا، وانما هو ظلم نفسه، وأما قولك في عائشة (رضي الله عنها) قبلك، قاتلت على الدين ولم يلزمه(٣٥٣) المسلمون ضمانا مع التوبة بلا تضمير، والله أعلم .

فصل

ووجدت في رقعة بخط الشيخ محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي يرفعه عن الشيخ الفقيه صابح بن وضاح (رحمه الله) اذا اشتريت فاكهة فاسترها عن جارك والا فانله منها، واذا طبخت قدرا فاخف رائحته عن جارك والا فانله منها، وذكر لنا عن نبي الله يعقوب عليه السلام، قال : الهي أذهبت بصري وولدي، أفما رحمتني؟ فاوحى الله تعالى اليه: وعزتي وجلالي اني أرحمك وأرد بصرك عليك، ولكن بلوتك بهذه البلية لأنك شويت جملا فوجد جارك رائحته فلم تطعمه منه، قيل: وكان يعقوب، عليه السلام ، ينادي ألا من كان مفطرا فليتغذ مع آل يعقوب، فاذا كان المساء نادى مناديه، ألا من كان صائما، فليفطر مع آل يعقوب، فرد الله عليه بصره كما وعده، والله لايخلف الميعاد.

فصل

وذكر لنا ، قيل : يارسول الله ، ماحق الجار على جاره؟، قال : «أن استقرضك فاقرضه، وان دعاك أجبته، وان مرض أعدته(٣٥٤)، وان استغاثك

(٣٥٣) الصواب : يلزمها .

(٣٥٤) لعل الصواب : عدته .

اغثته، وان اصابته شدة عزيته، وان أصابه خير هناته، وان مات شهدت دفنه، وان غاب حفظته، ولا تؤذيه بقتار قدرك الا أن تهدي اليه منها»(٣٥٥).

فصل

وفي الخبر ، أن صلة الأرحام وحسن الجوار تنمي المال وتحسن الحال، ويعمر الديار، ويزيد في الأعمار، ومن ترك ذلك انقطعت به الأسباب، وكان أمره في تباب.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري النزوي(رحمه الله)، وماتقول سيدي اذا وجد طلسم مكتوب عن الضرس، فقال له ثقة : ان هذا الطلسم صحيح وأنه مجرب، أيجوز استعماله أم لا؟

الجواب : ان الذي وجدته في آثار المسلمين أنه لايجوز لأحد أن يكتب كتابا مكتوبا بالعبراني ولم يعرفه لأنه يمكنه أن يكون المكتوب عمل السحر والاشراك بالله عز وجل، الا يكون أخذه عن ثقة من المسلمين فانه جائز العمل به فعسى أن يجوز ذلك، والله أعلم .

قلت له : واذا كان امرؤ يعمل البر مثل اقراء الضيف أو تصدق بشيء من ماله، وفي بعض الأحيان يداخله الشيطان بوسواسه الرياء والسمعة ثم يدارك نفسه في الحال أيلحقه اثم أم لا ؟

قال : اذا كان الرجل يقري الضيف ويتصدق ونيته قربة لله عز وجل لا لرياء أو لسمعة فهو مأجور في ذلك، واذا عارضه الشيطان ـ لعنه [الله] ـ بوساوسه ولم يتابعه في ذلك، فلا شيء عليه، والله أعلم .

قال المؤلف : قرى الضيف يقريه قراء، أي : أضافه بفتح المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل .

فصل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله) الى الشيخ الفلكي محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي، وأسالك سيدي عن رجل لايصلي ولا يصوم ولا يزكي ماله، وكان يحلف بالأيمان الغلاظ الكبيرة، مثل الحج والسبيل والطلاق والعتاق، ثم تاب وأخلص النية، ونيته لايرجع الى تلك المعاصي،

(٣٥٥) أخرجه بلفظ قريب الطبراني في الأوسط، انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ٨/ ١٦٥ .

وقد ضعف عن الصلاة والصوم وتكفير الكفارات والطلاقات، أيجوز له، أيجزيه ذلك أم لا؟

الجواب : الذي أحفظه من آثار المسلمين، أما الصلاة والصوم، فقال من قال : عليه بدل الصلاة والصوم، وعليه كفارة الصلاة، وقال من قال : عليه لكل صلاة كفارة، وقال من قال: كفارة واحدة تجزيه عن جميع الصلوات، وكذلك الصيام، فقال من قال: التوبةتجزيه عن جميع حقوق الله، مثل الأيمان وكفارة الصلاة والصيام، وأما الأيمان الغلاظ مثل الحج وغيره، فقال من قال: عليه لكل يمين حجة، وقال من قال: تجزيه حجة واحدة عن الجميع، وقال من قال: عليه صيام شهرين اذا لم يستطع، ورخص له بعض في التوبة اذا كان ضعيف الجسم. وأما الفقير اذا حلف بالأيمان الغلاظ مثل الحج وغيره، فقال من قال : عليه لكل حجة صيام شهرين، وقال من قال : يجزيه صيام شهرين عن جميع الأيمان، وقال من قال: عليه صيام ثلاثة أيام، وقال من قال : التوبة تجزيه اذا ضعف جسمه، وأما الطلاق اذا حلف به فيلزمه طلاق زوجاته غنيا كان أو فقيرا، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي، وماتقول سيدي فيمن قاد جيشا باغيا على قوم فقتل من قتل من الجيش أتجزيه التوبة اذا تاب وأخلص النية لله عز وجل دون القود اذا كانت نيته صادقة مثل عائشة (رضي الله عنها) حين خرجت مع طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام فقبل المسلمون توبتها؟

الجواب وبالله التوفيق : لا توبة في مثل هذا الا بالخلاص من جميع مالزمه من هذه السيرة من قود نفس فما دونها، ولا تنفعه التوبة من غير خلاص من الحقوق من الدماء والأموال اذا كان في فعله محرما، وانما تمحوا التوبة الخطايا اذا كان الفاعل له مستحلا بدين يدين به لله على بعض قول المسلمين، وأما عائشة (رضي الله عنها) انما قبل المسلمون توبتها من غير قود لأنها فعلت ذلك بدين، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه النزيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان

الكندي السمدي (رحمه الله) الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي (رحمه الله)، وما تقول سيدي فيمن يحب أن يتصدق من ماله على الفقراء غير أنه يتوارى لئلا يقال له يريد شهرة، هل يأثم في تركه الانفاق أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق : النيات هن المنجيات، وهن المهلكات، فان كان هذا رده شيء عن الانفاق أنه لايأثم وواجب عليه أن يصلح نيته اذا أراد انفاق شيء من ماله على من تكون النفقة جائزة لتكون له ذخرا عند الله عز وجل، ويقطع من قلبه وساوس الشيطان لعنه الله وأسباب الرياء والعجب وحب المحمدة ليفوز بصدقة ماله، ويبارك الله له في الدنيا والآخرة، ولايتصدق للشهرة ولا للاظهار ولا طلب العلو في الأرض والاستكبار، وليكن صادقا في نيته خالصا في أمنيته ليسهل عليه صكة منيته.

قلت له : والمرء يشتري اليسير ليحمله من السوق أيسعه اذا ترك شراء اليسير حياء من الناس ؟

قال: اذا قام بما يلزم لعياله على قدر جهده فلا يضره مايقال فيه ويصلح نيته لله عز وجل، لأني وجدت بعض مشائخ المسلمين يشتري اليسير بنفسه ويحمله من السوق الى عياله ويابى أن يحمل عنه وهو شيخنا وسيدنا ووليا سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني النزوي (رحمه الله) وهو من أهل قدوتنا (غفر الله له).

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، وسألته عمن بدت له سوأته ببعض السبل، فلم يجد سبيلا سوى أموال الناس، أيسعه أن يسلح تحت جبارة باسقة و﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ﴾(٣٥٦)، اذا لم يجد بدا من ذلك ؟

الجواب : الذي يوجد في آثار المسلمين (رحمهم الله) أنه لايجوز التغوط تحت النخل اذا كان شيء من الطعام، ويحتال لنفسه لئلا ينجس على الناس طعامهم وينجسه عليهم فيكون ضامنا، والله أعلم .

فصل

السوأة مهموز بفتح المهملة الأولى ، وهي السين، هي العورة، والجمع سوءات، لقوله عز وجل : ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾(٣٥٧)، وقال عز وجل في موضع آخر : ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾(٣٥٨)، أي : التي قصد الشيطان ابداءها

(٣٥٦) سورة ق : ١٠ ـ ١١ . (٣٥٧) سورة طه : ١٢١ . (٣٥٨) سورة الأعراف : ٢٦

ويعينكم عن خصف الورق، روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزلت، ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك، حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوآة أصاب الانسان من الشيطان، وأنه أغواهم بذلك كما أغوى أبويهم. وأما قوله في خصف الورق، أصل الخصف ضم الشيء الى الشيء والصاقه به، يقال خصف النعل اذا أخرزها، وهو بفتح الصاد المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل لقوله عز وجل : ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾(٣٥٩)، أي : يوصلان بعضه الى بعض ليسترا به عورتهما، قيل : كان ورق التين، وقريء ﴿يَخصِفَانِ﴾ من أخصف، أي : يخصفان من أنفسهما، ويخصفان من التفعيل، ويخصفان ، وأصله يخصفان، والله أعلم .

وأما السبل جمع سبيل وجبارة بفتح المعجمة الأولى وتشديد المعجمة الثانية هي النخلة التي فاتت اليد عن المناولة ، وباسقة، أي طويلة لأن الشيء اذا بسق معناه طال، وهو بفتح المهملة الوسطية من الماضي، وضمها من المضارع. والسلح بالمهملات اراقة الغائط وهو بفتح المهملة الوسطية من الفعلين، والله أعلم .

فصل

وسالته عنه (رحمه الله) قلت له : وما تقول سيدي في العزيمة والطلسم اذا وجد تكتب لكذا وكذا من الأوجاع، وقد جرب مرارا وصح عيانا أيجوز لأحد أن يكتبه، اضطر الى ذلك اضطرارا شديدا، وقد سمعت شيخنا وبركتنا وصفينا علي بن ناصر بن ربيع(٣٦٠) (رحمه الله) يرفعه عن الشيخ القاضي العالم قاضي المسلمين محمد بن راشد بن سالم الريامي الازكوي (رحمه الله) يرفع ذلك عن الشيخ الفلكي الزاهد الرضي الوالي الأريحي أحمد بن جمعة الازكوي(٣٦١) (رضي الله عنه)، يقول : ان الطلسم أو العزيمة اذا كان آخره شين معجمة فليس أذى، واذا كان بسين مهملة فهو سحراوي، عرفني ذلك؟

الجواب وبالله التوفيق : فالذي نجده من آثار المسلمين (رحمهم الله) أن الطلسمات لايجوزالعمل بهاالا لمن عرف عدلها أو ياخذها عن عدل ثقة ممن يبصر عدلها، وأما ماذكرته من رفيعة شيخنا أحمد بن جمعة (رحمه الله)،

---

(٣٥٩) سورة الأعراف : ٢٢، سورة طه : ١٢١ .
(٣٦٠) انظر ترجمته في الملحق .
(٣٦١) انظر ترجمته في الملحق .

فاني قليل العلم بذلك، والله أعلم بذلك المعنى .

قلت له: وفي العباسية أو غيرها اذا كان مكتوب فيها «لا اله الا الله محمد رسول الله» أيجوز أن تدخل النار ليعرف خلاصها ومن ضعفها أم لا؟

قال : لايجوز احراق أسماء الله تعالى عز وجل بالنار الا بعد أن تغير عن حالها، والله أعلم .

فصـــل

ومما كتبه الشيخ الفقيه العالم النزيه مسعود بن أحمد بن موسى الازكوي(٣٦٢) (رحمه الله)، الى الشيخ محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي، وأما ماذكرت من مشورتي لك فالذي أحبه لى ولك، وهوالحق والصواب على الحقيقة، وأوصيك به ونفسي أن تطيع الله عز وجل، ومن أمر بطاعته من الخليقة، وتخالف ماسوى ذلك، فذلك عندي فيه التجارة الكبرى والدرجة الشريفة في الدنيا والآخرة، فان سلكتها وملكتها، فقد تصديت للرحمة وانصرفت عن النقمة كما قال الله عز وجل : ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَل صَالِحاً يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ﴾(٣٦٣)، وقال عز وجل : ﴿فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾(٣٦٤)، فاتق الله حق تقاته، وخف خوفا شديدا، فانه من خاف الله نجاه من كرب الغيمة، ويخرجه من البلوى الى السلامة، وأما التجارة التي هي في الدنيا اذا قدرت عليها بعدلها وفضلتها بصوابها نلت من فضلها، وسلمت من الحاجة الدالة من الفقر، النازلة في السر والجهر.

فصـــل

ومن جواب الشيخ الفقيه الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري النزوي (رحمه الله) وهذا ماسالته عنه (رحمه الله) قلت له: واذا جرى ماء قليل من نهر قوي مثل دارس وغيره فسقى به امرؤ زرعا أو شجر أيحل ذلك له أم لا ؟

فاذا كان هذا الماء تركه صاحبه على غير الغلبة، ففي الضمان اختلاف بين المسلمين ، والله أعلم .

قلت له : وفي المديون يجوز له أن ياكل اللحم والحلوى، وغير ذلك من

---

(٣٦٢) انظر ترجمته في الملحق .

(٣٦٣) سورة الطلاق : ١١ .

(٣٦٤) سورة آل عمران : ١٨٥ .

الفواكه أم لا؟

قال : اذا كان أهل الحقوق موسعين له غير مضيقين عليه، ولم يطالبوه فواسع له ذلك، وأما ان طالبوه ولازموه في أداء تلك الحقوق، فلايجوز له أكل ماوصفت الا باقتصاده في المعيشة، والله أعلم .

فصل

ومما وجدته مكتوبا بخط الشيخ محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي، من كلام علي بن أبي طالب، أنه قال : استروا الرزق بالصدقة، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية. وقال : تنزل المعونة على قدر المؤونة. وقال : ماعال امرء اقتصد. وقال : سوسوا ايمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلايا بالدعاء. وقال : ماهلك امرء عرف قدره. وقال: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، ومن كتم سره كانت الخيرة بيديه. وقال: الفقر الموت الأكبر، وأنشد شعرا في هذا المعنى:

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمسرور عيب

وان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وقال : من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم. وقال : الجود حارس الأعراض، والحلم اقدام السفيه، والعفو زكاة الظفر، والسلو عوضك ممن غدر، والاستشارة غير الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والصبر يناضد الحدثان، والجزع من أعوان الزمان، وأشرف الغنى ترك المنى، وكم من عقل أسير عبد هوى، ومن التوفيق حفظ التجربة، والمودة قرابة مستفادة، ولا تامنن ملولا. ويل : في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال. وقال : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال: عليكم بالصمت، فبالصمت تكون الهيبة، وبالنصفة يكثر الواصلون، وبالأفضال تعظم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبالسيرة العادلة يقهر المتاوي، وبالحلم عن السفيه يكثر الأنصار عليه. وقال : خيار خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو والجبن والبخل، فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، واذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها. وقال : معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فاما نقصان ايمانهن قعودهن عن الصلاة

والصيام أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، فاتقوا أشرارهن، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لايطمعن في المنكر.

وقال : من أعطى أربعا لم يحرم أربعا، من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ، لقوله تعالى : ﴿ادعُونِي أَستَجِب لَكُم﴾(٣٦٥)، وقال تعالى في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعمَل سُوءاً أَو يَظلِم نَفسَهُ ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(٣٦٦)، وقال تعالى في الشكر : ﴿لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم﴾(٣٦٧)، وقال تعالى في التوبة : ﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾(٣٦٨).

وقال : لكل مقبل ادبار، وما أدبر كان لم يكن، وقال : لايعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان. وقال : الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل اثمان، اثم الفعل به، واثم الرضى به. وقال : عاتب أخاك بالاحسان اليه، واردد شره بالانعام عليه. وقال : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وقال : الاعجاب يمنع من الازدياد. وقال : الأمر قريب وقليل. وقال : آلة الرياسة الصدر. وقال : المسيء بثواب المحسن. وقال : أحصد الشر من صدر غيرك بفعله(٣٦٩) من صدرك. وقال: اللجاجة ....(٣٧٠) الرأي. وقال: واجبا تكون الخلافة بالصحابة والقرابة. وقال : شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فانه أخلق للغني، وحذر باقبال الحظ. وقال: في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾(٣٧١)، العدل الانصاف، والاحسان التفضل. وقال: من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة، ومعنى ذلك أيما ينفقه

(٣٦٥) سورة غافر : ٦٠ .
(٣٦٦) سورة النساء : ١١٠ .
(٣٦٧) سورة ابراهيم : ٧ .
(٣٦٨) سورة النساء : ١٧ .
(٣٦٩) لعل الصواب : بقلعه .
(٣٧٠) غير واضحة في الأصل .
(٣٧١) سورة النحل : ٩٠ .

المؤمن من ماله في سبيل الخير، وان كان يسيرا، فان الله يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا. واليدان هاهنا عبارتان(٣٧٢) عن النعمتين، ففرق بين نعمة العبد وبين نعمة الله عز وجل، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن الله تعالى أبدا يضعف على نعم المخلوقين أضعافا كثيرة، اذ كانت نعمه أصل النعم كلها، فكل نعمة اليها ترجع ومنها تنزع. وقال: ان لله في كل نعمة حقا، فمن أداه زاده منها، ومن قصر خاطر بزوال نعمته. وقال: الكرام أعطف من الرحم. وقال: البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به الى كل سوء. وقال لبعض أصحابه: لا تجعل شغلك باهلك وولدك. فان يكن أهلك وولدك أولياء لله فان الله لايضيع أولياءه، وان يكونوا أعداء لله فما همك وشغلك باعداء الله.

فقيل له : لو سد على رجل باب بيته ونزل فيه من أين كان ياتيه رزقه؟

فقال : من حيث ياتيه أجله. وقال لجابر بن عبدالله الأنصاري: ياجابر قوام الدنيا باربعة : عالم مستعمل علمه، وجاهل يستنكف(٣٧٣) أن يتعلم، وجواد بمعروفه ، باع القصير آخرته بدنياه، ياجابر من كثرت نعم الله عليه كثرة حوائج الناس اليه، الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فان لم تاته أتاك، ولن يسبقك الى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب. وقال لأبنه الحسن: يابني احفظ عني أربعا، وأربعا لايضرك ماعملت معهن: ان أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق، يابني اياك ومصادقة الأحمق، فانه يريد أن ينفعك فيضرك، واياك ومصادقة البخيل، فانه يقعد عنك أحوج ماتكون اليه، واياك ومصادقة الفاجر فانه ..... (٣٧٤) ويباعد عليك القريب. وقال : لاقربة بالنوافل. وقال: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه. وهذه المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لايطلق لسانه الا بعد مشاورة الرؤية ومؤامرة الفكر، والأحمق يسبق حد فاه لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره، مما خصه رأيه. فكان لسان العاقل تابع لقلبه، وكان قلب الأحمق تابعا للسانه. ويروى عنه هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله: قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، ومعناهما واحد. وقال : قلوب الرجال خشبة، فمن تالفهما أقبلت اليه.

---

(٣٧٢) لعل الصواب : عبارة .
(٣٧٣) لعل الصواب : لايستنكف .
(٣٧٤) غير واضحة في الأصل .

وقال: السخاء ماكان ابتداء، فاما ماكان عن مسالة فحياء وتذمم. وقيل: اذا تم العقل نقص الكلام. وقال: القناعة مال لاينفذ. وقال: الشفيع جناح الطالب. وقال: أهل الدنيا كراكب يسار بهم وهم نيام، فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها. لاتستحي من اعطاء القليل، فان الحرمان أقل منه. العفاف زينة الفقير، والشكر زينة الغني. وقال: خذ الحكمة أين كانت، فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتختلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها في صدر المؤمن. وقال: الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق. تم ماوجدته. وأظن أن هذا من حديث النبي ﷺ .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، وسالته (رحمه الله) عمن جرت بينه وبين امريء خلة ومعرفة في الزاد وغيره فتداينا شيئا من الدراهم، أيحل لصاحب الدين من (٣٧٥) عند من دينه أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: فالذي وجدته في آثار المسلمين أنه من الدين أن ياكل الفرد من غريمه، فان أكل فليحسب ما أكل وليطرحه من حقه، الا أن يكون بينهما مخالطة قبل الدين ومواصلة، ثم حدث بينهما الدين ولم يزدد منه فوق ماكان بينهما بالمواصلة قبل حدوث الدين فلا باس، والله أعلم.



(٣٧٥) لعل الصواب : الأكل من عند من دينه .

المنثورة السادسة

في الطهارة والغسل من الجنابة
وفي الوضوء وما يجوز من ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل علينا ماء طهورا من السماء، حياة لأنفسنا ودوابنا وزروعنا، وطهارة لأوصابنا، ومنفعة لجميع أحوالنا، لقوله عز وجل : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾(١). الطهور معنى الطاهر في نفسه المطهر لغيره، فهو اسم مايطهر به مثل السحور ، بفتح المهملة وهو مايتسحر به، وبضم المهملة الفعل، وكذلك الطهور بالضم والفتح مايتطهر به، مثل الوقود بالفتح مايوقد به، والضم الفعل، وكذل الفطور بالفتح مايفطر به، والضم الفعل، ومعنى الطهور:مطهر لجميع الأنجاس وجميع الخبائث، قال الله عز وجل : ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾(٢)، للحديث الوارد عن النبي ﷺ انه قال : «جعلت لي الأرض مسجدا، وترابها طهورا»(٣)، وكذلك المؤمن طهور، أي: اذا مات فهو طاهر ، الا ماكان فيه من حدث وغيره، وقيل: معناه بليغا في الطهارة، وفعول، ومعناه(٤) وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالصواب، للمصدر كالقبول، وللاسم كالذنوب بفتح الذال المعجمة، وساذكر صفته بعد هذه أو توصيفا لما به، اشعارا للنعمة فيه وتنبيها للمنة فيما بعده، فان الماء الطهور أهنا وأنفع مما خالط طهوريته، وتنبيها على أن ظواهرهم لما كانت ينبغي أن يطهروها فبواطنهم أولى بذلك في التطهير، لقوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٥)، أي : نيتك وقلبك فطهره، وقيل: على ظاهر اللفظة، أي طهرها من النجاسات والقذورات لأن التطهير فرض في الصلاة باطنا وظاهرا، وقيل معناه فاصلحه ظاهرا وباطنا لانه اذا كان الرجل صالح العمل، قيل له: طاهر الثياب، نقي الجيب، وان كان سيء العمل قيل له : دنس الثياب، قذر الجيب، فتامل ماقلت هذه الأخيرة ان كانت موافقة، وقيل: معناه مطهر دثار النبوة عن مايدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة، رجعنا الى ذكر الآية .

أما قوله تعالى : ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾(٦)، بالنبات، قوله :﴿مَّيْتاً﴾،

(١) سورة الفرقان : ٤٨ .
(٢) سورة الأنفال : ١١ .
(٣) أخرجه مسلم في المساجده، وأحمد بن حنبل ٤/٤١٦، انظر موسوعة اطراف الحديث ٤/٤٩٨ .
(٤) كذا في الأصل .
(٥) سورة المدثر : ٤
(٦) سورة الفرقان : ٤٩ .

لأن البلدة في معنى البلد ، ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة، فاجري مجرى الجامد، والله أعلم.

وأما قوله عز وجل : ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾(٧)، يعني أهل البوادي الذين في الجبال الشامخات والقفار الخاليات وجميع أهل القرى والبلدان، فتشرب منهم أنعامهم وأنفسهم، لقوله تبارك وتعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرضِ الْجُرُزِ فَنُخرِجُ بِهِ زَرعاً تَأكُلُ مِنهُ أَنعَامُهُم وَأَنفُسُهُم أَفَلاَ يُبصِرُونَ﴾(٨)، معنى الجرز: الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها، وقيل عن ابن عباس (رضي الله عنه): هي أرض باليمن. والله أعلم.

فصل

﴿وأناسي﴾ معناه : ناسا كثيرا، وهو جمع انسي وانسان، كطرابي في طربان، على أن أصله أناسين، فقلبت النون ياء، وقريء ﴿ونسقيه﴾ بفتح النون، لأن سقى وأسقى لغتان، وقيل: أسقاه، جعل له سقيا، والله أعلم.

فصل

وساذكر وجوه الوقود، بفتح المهملة، وهو مايوقد به، قال الله تعالى : ﴿النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ﴾، وهو بدل من الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصحَابُ الأُخدُودِ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ﴾(٩)، ومعنى ﴿قُتِلَ﴾، أي: لعن، و ﴿الأُخدُودِ﴾، الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد. واختلفوا في ذلك، فالذي ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «كان ملك قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر، فبعث اليه غلاما ليعلمه، وكان في طريقه اذ أشكل عليه راهب، فقعد اليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان الغلام اذا أتى التاجر مر بالراهب، وقعد اليه فيضربه الساحر من أجل ذلك، واذا رجع من عنده مر بالراهب على مجيئه، وقعد معه وسمع كلامه، فاذا أتى أهله ضربوه، فشكى الغلام الى الراهب، فقال له : اذا جئت الى الساحر فقل : حبسني أهلي، واذا جئت الى أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك اذ أتى الى دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال الغلام اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر، فأخذ حجرا وقال: اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس،

---

(٧) سورة الفرقان : ٤٩.

(٨) سورة السجدة : ٢٧ .

(٩) سورة البروج ٤ ـ ٥ .

فرماها فقتلها، فمضى الناس، فاتى الراهب فاخبره، فقال له: يابني أنت اليوم أفضل مني، وقد بلغ من أمرك ما أرى، وستبلى(١٠)، فان ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبريء الأكمة والأبرص، ويداوي سائر الأدواء، فسمع بذلك جليس الملك، وكان قد عمي، فاتاه بهدايا كثيرة، فقال له : هنالك أجمع ماتريد ان أنت شفيتني، قال : اني لا أشفي أحدا، انما يشفي الله، فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فاخذه لم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فقال له الملك: يابنيقد بلغ من سحرك ماتبريء الأكمه والأبرص، وتفعل ماتفعل، قال: لاني لا أشفي أحدا، انما يشفي الله، فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فقي له.: ارجع عن دينك، فابى، فدعي بالمنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع ميتا، ثم جاء بجليس الملك، فقال له: ارجع عن دينك، فابى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع ميتا، ثم جيء بالغلام، فقيل له : ارجع عن دينك، فابى، فدفعه الى نفر من أصحابه، قال لهم: اذهبوا به الى جبل كذا وكذ، فاصعدوا به، فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه ، والا فاطرحوه، فذهبوا به حتى صعدوا به الى الجبل، فقال : اللهم أكفينهم بما شئت، فزحف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي الى الملك، فقال له الملك، مافعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه الى نفر من أصحابه، وقال: اذهبوا به الى قرقور، وهي سفينة صغيرة في البحر ـ بضم القافين ـ فتوسطوا به في البحر، فان رجع عن دينه، والا فاقذفوه في البحر، فذهبوا به، فقال : اللهم أكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، ومشى الى الملك، فقال له الملك، مافعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال الغلام للملك: انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وماهو؟ قال: أجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، وتاخذ سهما من كنانتي، وتقول: بسم الله رب الغلام، ثم ترميني به، فجمع الناس، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثا، فاتى الغلام، فقيل له : أرأيت ماكنت تحذر قدر الله نزل بك ماحذرك، قد آمن الناس، فامر بالأخدود بافواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم

(١٠) لعل الأفصح : ستبتلي .

يرجع عن دينه فارموه فيها. أو قيل له : اقتحم، وكان طول الأخدود أربعين ذراعا، وعرضه اثنى عشر ذراعا، قال: ففعلوا ، فجاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال له الغلام: اصبري فانك على الحق، وقيل في هذه المرأة: أنها أسلمت مع من أسلم، ولها أولاد ثلاثة، أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك، واما ألقيتك وأولادك في النار، فابت، فاخذ ابنها الأبر فالقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فابت، فالقى الثاني في النار، ثم قال لها: أرجعي ، فابت، فاخذ الصبي منها وهو الرضيع ليلقوه في النار، فهمت بالرجوع، فقال الصبي: يا أماه لا ترجعي عن الاسلام، فانك على الحق، فلا بأس عليك، فالقي الصبي في النار فالقيت أمه على أثره، والله أعلم بالصواب، وماكتبت هذه الا عظة لمتعظ، وتذكرة لمذكر، ولا يؤخذ منه الا ماوافق الحق والصواب.

فصل

وأما الآية التي احتجت بها في أمر الذنوب، أما الذنوب بفتح المعجمة الأولى هي الدلو المملوءة، قال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً مِّثلَ ذَنُوبِ أَصحَابِهِم﴾(١١)، معناه نصيب مثل نصيب أصحابهم، أي: أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب الدلو المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، والله أعلم .

فصل

قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمتُم إِلَى الصَّلَاةِ فَاغسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ﴾(١٢)، أي: اذا أردتم القيام الى الصلاة، ونظير هذه كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأتَ القُرآنَ فَاستَعِذ بِاللهِ﴾(١٣)، أي: اذا أردت القراءة، وظاهر [الآية] توجب الوضوء على قائم(١٤) الى الصلاة وان لم يكن محدثا، والمراد من الآية أن اذا قمتم الى الصلاة وأنت على غير وضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق، لأنه جاء عن النبي ﷺ: «لاتقبل صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضا»(١٥)، وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق أربع صلوات بوضوء واحد، وقصة الخندق تركتها خوف الاطالة .

---

(١١) سورة الذاريات : ٥٩ .
(١٢) سورة المائدة : ٦ .
(١٣) سورة النحل : ٩٨ .
(١٤) لعل الصواب : على القائم ، أو على كل قائم .
(١٥) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

فصـــل

وقـيـل عـن الـنـبـي ﷺ: «مـن تـوضـا عـلى طـهـر، كـتب الله له عشر حسنات»(١٦)، وعندي ـ والله أعلم ـ أن التائب المتطهر يكون مقربا محبوبا عند الله عـز وجل ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١٧)، واختلفوا في تفسير هذه الآية، فبعض قال: معنى التوابين من الذنوب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال بعض : التوابين من الذنوب المتطهرين من الشرك، وقيل : التوابين من الشرك المتطهرين من الذنوب، والنظر يوجب عندي ـ والله أعلم ـ أن التوابين من الشرك والمعاصي والخطايا ظاهرا أو باطنا، المتطهرين من الذنوب والأنجاس ظاهرا أو باطنا، والله أعلم .

فصـــل

وأما تفسير الوجه، اعلم أن حد الوجه مايجب غسله من منابت شعر الرأس الى الذقن طولا، ومابين الأذنين عرضا، يجب غسله كله في الوضوء، ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين، وأحداث العينين، والشارب، والعذراء(١٨)، والعنفقة، وان كانت كثيفة، وأما العارض واللحية وان كانت كثيفة لايرى البشرة من تحتها، لايجب غسل باطنها في الوضوء بل يجب غسل ظاهرها، وغسله لوجهه برفق ثلاثا ولا يدلكه دلكا، والله أعلم .

فصـــل

وسأذكر بعض ماجرى من الكلام، أما الأهداب، جمع هدب بضم المهملة الأولى وجزم الثانية، وهو للعينين والثوب، وقيل: الهدب المهملتين، واذا طال هدب العين، بكسر مهملة الماضي وفتحها من المستقبل، والواحدة هدبة، والله أعلم .

وأما الذقن، بفتح المعجمة الأولى وجزم الثانية، هو ذقن الانسان، قال الله عز وجل: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾(١٩)، أي: فايديهم الى الأذقان، ولم نذكر الأيدي لأن المعنى معروف، كما قال الشاعر :

وما درى اذا تممت روضا ... أريد الخير أنهما

الخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي لا

وورد في الحديث ـ لعله عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ـ أنه قال :

---

(١٦) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٢٠٤ .

(١٧) سورة البقرة : ٢٢٢ .

(١٨) لعل الصواب : والعذار .

(١٩) سورة يس : ٨ .

«الذقن من الرأس، فلا تخمروه»، يعني في الاحرام، وذقنت الرجل اذا ضربت ذقنه، بفتح معجمةالماضي وضمها من المستقبل، والله أعلم .

وأما العذر بكسر المهملة هاهنا شعر العارض، وتسمى الطريق عذارا، وعذار اللجام معروف، ويقال للمهتك في الغي، قد خلع عذاره، والعذار وشم في القفا الى جانبي العنق، والعذر بكسر المعجمة الثانية، وهي الدال لفناء الدار، قال الحريري(٢٠): أيصلي الرجل على العذرة؟، قال: وليجانب القذرة، أراد بالأولى فناء الدار، لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أتقوا عذراتكم، فان اليهود أنتن الناس عذرات»، قال الشاعر :

لعمري لقد جربتكم فوجدتكم قباح الوجوه سيء العذرات

وأما قوله : «وليجانب القذرة» وهي العذرة النجسة، سميت بذلك، لأنها تلقى في الأفنية، وهو جمع فناء، كما سموا الغائط بالغائط، وهو المتطمئن من الأرض، لأنهم كانوا اذا أرادوا قضاء الحاجة عمدوا الى مكان مطمئن، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «نهى عن بيع العذرة والخمر والخنزير»، وعندي ـ والله أعلم ـ أن العذرة اذا كان خالطها تراب تسمى سمادا، والسماد يجوز بيعه ، والله أعلم .

قال الناظر، وأظنه الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي (رحمه الله) في هذه المسألة: ففي جواز بيع العذرة وحدها ومع التراب اختلاف.

فقيل : يجوز بيعها وحدها ، وكذلك مع تراب أو سماد.

وقول : لايجوز بيعها وحدها ولا مع غيرها من التراب، وغيره،

وقول : يجوز بيعها مع التراب أو السماء، ولايجوز بيعها وحدها، هكذا يوجد عن أبي سعيد (رحمه الله وغفر له)، والله أعلم .

وأما العذرة بسكون الذال المعجمة، هو وجع في الحلق، وشعر الناصية كذلك، ومن النجوم خمسة كواكب، وأبو عذرتها الذي افتضها، وقبيلة باليمن، والله أعلم .

فصل

وأما الأفعال ، عذر فلان فلانا اذا قبل عذره، والمعذر الذي لا عذر(٢١)، وهو يرى أنه معذور، لقوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾(٢٢)

(٢٠) لعل الصواب : قيل للحريري .
(٢١) لعل الصواب : لا عذر له .
(٢٢) سورة التوبة : ٩٠ .

ـ الآية ـ ، قرأ يعقوب ومجاهد ﴿ الْمُعَذِّرُونَ ﴾ بالتخفيف، وهم المبالغون في العذر. وقرأ الآخرون بالتشديد. ويقال: ﴿ الْمُعَذِّرُونَ ﴾ المعتذرون، وهم رهط عامر بن الطفيل، جاؤوا الى رسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم، فقالوا: يارسول الله، ان نحن غزونا معك تغير أعراب طي على حلائلنا وأولادنا ومواشينا، معناه اذا سرنا معك ستغير أعراب طي على نسائنا وأولادنا ومواشينا، قال لهم رسول الله ﷺ: «قد نباني الله من أخباركم، سيغنيني الله عز وجل عنكم»، والله أعلم .

فصل

وأما الفعل المخفف ، يقال عذر الفرس يعذر بفتح المعجمة من الماضي وضمه من المستقبل، ومعناه اذا ألبسه العذار، وهو لغة في عذر بالتشديد، ويقال: عذره اذا جعل له عذرا. وهو بفتح المعجمة من الماضي وكسرها من المستقبل، ومثله عذره فيما صنع له عذرا، قال الله عز وجل قصة عن موسى والخضر عليهما السلام : ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾(٢٣)، تركت قصتهما خوف الاطالة ، والله أعلم .

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من لم يقبل عذر معتذر لم يرد حوضي يوم القيامة»(٢٤)، وكذلك قال الأعر :

أقبل معاذير من ياتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من ياتيك معتذرا

وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة ،والله أعلم .

والعنفقة بفتح المهملة الأولى مع جزم المعجمة الثانية، وفتح المعجمة الثالثة وهي الفاء، والرابعة وهي القاف: هي شعيرات مجتمعات فوق لحية الرجل.

وأما قوله كثيفة، أي : كثيرة ، وأصل الكثيف الملتف، يقال سحاب كثيف، وشجر كثيف، أي: ملتف، وفعله كثف كثافة، بضم المعجمة المثلثة من الماضي والمستقبل.

وأما البشرة بفتح المعجمة الأولى والثانية هي ظاهر جلد الانسان، وبشرة الأرض ماظهر من نباتها، والبشرة التي وصفتها هي واحدة البشر،

---

(٢٣) سورة الكهف : ٧٦.

(٢٤) أخرجه بمعناه أبو حنيفة في مسنده ١٦٢، وورد في جامع مسانيد أبي حنيفة ١/ ٤٦٣.

قال الله عز وجل : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾(٢٥)، أي : مسودة لأعالى الجلد، لائحة للناس، وقريء بالنصب على الاختصاص ـ رجعنا الى ذكر الوضوء ـ

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾(٢٦)، أمر بغسل اليدين الى المرافق، وقيل: ﴿إِلَى﴾ بمعنى مع المرافق، كقوله عز وجل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾(٢٧)، أي: مع أموالكم، وقال أيضا عز وجل في موضع آخر قصة عن عيسى عليه السلام : ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾(٢٨)، أي : مع الله، وأكثر العلماء أنه مستحب غسل المرفقين ، والله أعلم .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(٢٩) قرأ نافع والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام عطفا على اليدين، وقرأ الآخرون بكسر اللام عطفا على رؤوسكم، واختلفوا في مسح الرأس، فبعض رأى أن يمسح كله، وبعض استحب أن يمسح مقدمه، وهذا الأكثر من الأقوال في زماننا هذا، وكذلك اختلافهم في المسح، والعمل المستحب اليوم ثلاث مرات، والله أعلم، تركت الاختلاف خوف الاطالة .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾(٣٠)، أي: فاغتسلوا، والجنب الذي اصابته الجنابة، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع، لأنه يجري مجرى المصدر، وفي الحديث عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: «ان رسول الله ﷺ كان اذا أراد الغسل من الجنابة بدأ بغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يمد أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله الى أن تطيب نفسه»(٣١)، والله أعلم، لأن الاغتسال من الجنابة فرض واجب مع حضور وقت الصلاة، فنغتسل بالماء ان أمكن والا بالصعيد، لقوله عز وجل:

---

(٢٥) سورة المدثر : ٢٩ .
(٢٦) سورة المائدة : ٦ .
(٢٧) سورة النساء : ٢ .
(٢٨) سورة آل عمران : ٥٢، سورة الصف : ١٤ .
(٢٩) سورة المائدة : ٦ .
(٣٠) سورة المائدة : ٦ .
(٣١) أخرجه الامام الربيع .

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾(٣٢)، لأن العبد مخاطب بالطهارتين جميعا عند حضور الصلاة، وهما طهارة الأنجاس والوضوء، والله أعلم .

فصـــل

والواجب على المغتسل من الجنابة أن يعم سائر جسده بالماء، لأنه روي عن النبي ﷺ، أنه قال : «بلوا الشعر وانقوا البشر فان تحت كل شعرة جنابة»(٣٣)، وليس الغسل بالماء واجب عند الاضطرار، وذلك من عدم الماء وشدة البرد وكثرة الأوجاع، لما روي في الحديث أن عمرو بن العاص أجنب وهو أمير على جيش في غزوة ذات السلاسل، فخاف من شدة الماء، فتيمم وصلى، فلما قدم على رسول الله ﷺ أخبر أصحابه عنه بذلك، فقال: ياعمرو لما فعلت ذلك؟ أو قال: من أين علمت ذلك؟ فقال: يارسول الله اني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٣٤)، معناه بالاسراف، وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغرور والانفاق فيه، فانه يقوي العدو يسلطهم، ويسلطه على اهلاكهم، ويؤيده ماروي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: لما أعز الله الاسلام، وكثر أهله، ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا انا تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الاسلام، ونصر الله نبيه، فلما (٣٥) رجعنا الى أهلنا وأموالنا فاقمنا فيها وأصلحنا ماضاع منها، فانزل الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٣٦)، والتهلكة الاقامة في الأهل، لأن الامساك وحب المال يؤدي الى الهلاك. وعندي أن ذلك كذلك اذا نوى به تفاخرا ورفعة وجاها في الدنيا. ومعنى الامساك هاهنا منع الزكاة، لأن من أدى الزكاة لم يكن معذبا بامساكه اذا استقام حق الاستقامة للرواية الواردة عن النبي ﷺ، فيما قيل: أنه سأله رجل، «فقال : يارسول الله هل يكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم، قال : وهل يكون المؤمن جبانا عن الحرب؟ قال : نعم، قال: وهل يكون كذابا؟ قال: لا»(٣٧). فاعتبروا ، اخواني، بقول النبي ﷺ، ولا

---

(٣٢) سورة النساء : ٤٣، سورة المائدة ٦ .
(٣٣) أخرجه الامام الربيع ١/ ٣٠، للمزيد عن تخريجه، انظر موسوعة أطراف الحديث ٤/ ٢٨٦.
(٣٤) سورة البقرة : ١٩٥ .
(٣٥) لعل الصواب : فلو .
(٣٦) سورة البقرة : ١٩٥ .
(٣٧) أخرجه مالك في الموطأ، كلام ١٩ .

تبخلوا فتندموا ، والله أعلم .

ومعنى ﴿وَلَا تُلقُّواْ﴾ أي: لا توقعوا فيما قيل، والله أعلم، وقيل غير ذلك تركته خوف الاطالة، والله أعلم .

فصل

وأصل الصعيد التراب الذي صعد على وجه الأرض لقول النبي ﷺ: «الصعيد الطيب طهور لمن لم يجد الماء، ولو الى عشر سنين»(٣٨)، والصعيد الطريق، تجمع على صعد وصعدات، مثل طريق وطرق وطرقات، وفي الحديث: «اياكم والقعود بالصعدات»(٣٩)، أي: الطريق، والصعيد الأرض المستوية، قال الله عز وجل : ﴿فَتُصبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾(٤٠)، أرضا جرداء ملساء، وقيل: تزلق فيها الأقدام والله أعلم .

وأما الصعود نقيض الهبوط، يقال : صعد في السلم، بكسر مهملة الماضي، وفتحها من المستقبل صعودا، قال الله عز وجل: ﴿إِلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ﴾(٤١)، بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، فان العمل لايقبل إلا بالتوحيد، وقيل: هو قول الرجل سبحان الله، والحمدلله، ولا اله الا الله، والله أكبر، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

وفي الحديث : «لايقبل الله قولا الا بعمل، ولا عملا الا بقول ونية واخلاص»(٤٢)، ولايقبل عمل الا أن يكون صادرا عن التوحيد والاعتقاد الحقيقي، فانظروا، اخواني، كيف السلوك مع هؤلاء العقبات الوعرات، وكيف التخلص الى سلوكهن ، ولا قوة الا بالله.

فصل

والصعود أيضا المشقة من الأمر، والعرب تقول : ألا رهقتك(٤٣) صعودا، أي: لاكلفتك مشقة. قال الله عز وجل : ﴿سَأُرهِقُهُ صَعُوداً﴾(٤٤)، أي: ساكلفه

---

(٣٨) أخرجه الامام الربيع وأبو داود والترمذي .
(٣٩) انظر فتح الباري ٨/ ٥٦٠، تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٩، علل الحديث للرازي ٢٣٤٠.
(٤٠) سورة الكهف : ٤٠ .
(٤١) سورة فاطر : ١٠ .
(٤٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف ١٠/ ٣٤، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات ٩٩٦.
(٤٣) لعل الأنصح : لا أرهقتك .
(٤٤) سورة المدثر : ١٧ .

مشقة من العذاب، لا راحة له فيها. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا»(٤٥). وفي خبر آخر : هو جبل مدار، يكلف أن يصعده، فاذا وضع يده ذابت. وقيل: صخرة ملساء في النار، يكلف أن يصعدها، لايترك أن يتنفس في صعوده، يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع من حديد، فيصعدها في أربعين عام، فاذا بلغ ذروتها أنزل الى أسفلها، والله أعلم .

فصل

ومعنى أن هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يسمى وحيد قومه، قال الله عز وجل: ﴿ذَرْنِي وَمَن خَلَقْتُ وَحِيداً﴾(٤٦)، وفي الحديث، لما أنزل الله عز وجل هذه الآية فيه، وهي قوله عز وجل : ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾(٤٧)، المعنى في هذا فيما قيل : لما أنزل الله عز وجل على النبي ﷺ: ﴿حم، تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيهِ المَصِيرُ﴾(٤٨)، قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما نظر النبي محمد ﷺ، أعاد قرأ الآية، فانطلق الوليد حتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: الله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس، ولا من كلام الجن، ان له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلا عليه، ثم انصرف الى منزله. فقالت قريش: صبا والله الوليد. فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا كفيكموه. فانطلق أبو جهل، فقعد الى جنب الوليد حزينا، فقال له الوليد: ما لي أراك حزينا ياابن أخي؟ قال : وما يمنعني عن الأحزان، وانك قد زينت كلام محمد، فغضب الوليد، ثم قام مع أبي جهل وأتى مجلس قومه فقال لهم : أتزعمون أن محمدا مجنون، فهل رأيتموه يتجن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال : أفتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتمون ينطق بشعر؟ قالوا: لا، قال: أتزعمون أنه كذاب، فهل رأيتموه كذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله ﷺ يُسمىٰ الأمين قبل النبوة من صدقه، فتفكر في نفسه ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ ﴾،

---

(٤٥) انظر تخريجه في موصوعة أطراف الحديث ٥/ ٣٨١.
(٤٦) سورة المدثر : ١١ .
(٤٧) سورة المدثر : ١٨ .
(٤٨) سورة غافر : ١ ـ ٣ .

أي: كلح، وكسر وجهه، ونظر بكراهة شديدة، فقال: مارأيتموه الا ساحرا يفرق بين الرجل وولده وأهله. كذب الوليد ومن معه على الله وعلى رسوله، والله أعلم. فذلك قوله عز وجل قصة عن كلامه : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(٤٩)، معنى يروى ويحكى عن السحر، كذب الوليد ومن معه، والله أعلم.

فصل

وأما الصعد الشاق، قال الله عز وجل : ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾(٥٠)، قال ابن عباس: معناه شاقا، والمعنى ذا صعد، أي : ذا شقة، والأصل أن الصعود يشق على الأنسان. رجعنا الى ذكر الوضوء والطهارة.

فصل

وأما فرض الوضوء واجب من كتاب الله ومن سنة رسوله محمد ﷺ لقوله عز وجل: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾(٥١)، أي: الجنابة، لأنها من تخيله ووسوسته، وتجويعه اياهم من العطش. يروى أنهم(٥٢) نزلوا في كثيب أغفر تسوح فيه الأقدام على غير ماء، وناموا فاحتلم أكثرهم، وقد غلب المشركون على الماء، فوسوس اليهم الشيطان، وقال: كيف ينصرون وقد غلبتهم على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا، فانزل الله عليهم المطر فامطروا حتى جرى الوادي واتخذوا حياضا على عدوته، وسقوا جميع دوابهم، واغتسلوا، وتوضؤوا، وملؤوا الأسقية، وطفؤوا الغبار، ولبدو الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت الوسوسة باذن الله عز وجل .

فصل

والكثيب : الرمل الكثير، ومعنى أغفر، لأن الرمل الكثير الدقيق لايسال من أجل لينه ودقته، فاذا ضربه صلب واعتدل، والله أعلم.

فصل

ويروى في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع الله به الدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال : اسباغ

---

(٤٩) سورة المدثر : ٢٤ .
(٥٠) سورة الجن : ١٧ .
(٥١) سورة الأنفال : ١١ .
(٥٢) لعل الصواب : أنه .

الوضوء في المكاره، وكثرة الخطا الى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، قالها ثلاثا»(٥٣)، وعنه عليه الصلاة والسلام، انه قال : «اذا توضا العبد المؤمن خرج من وجهه كل خطيئة نظرها بعينه مع آخر قطر الماء، ثم اذا غسل يديه خرجت من بدنه كل خطيئة بطش بهما، ثم كذلك الى أن يخرج نقيا من الذنوب»(٥٤)، والله أعلم، وعنه عليه الصلاةوالسلام انه قال : «الوضوء على الوضوء نور على نور»(٥٥)، وهذا حث على تجديد الوضوء. وعن النبي ﷺ انه قال : «من توضا فاسبغ الوضوء وصلى لله ركعتين لم يحدث نفسه من أمور الدنيا خرج من الدنيا كيوم ولدته أمه»(٥٦)، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه قال : الوضوء الصالح يطرد الشيطان، ولا يتوضا بماء مستعمل، ولا بخل ولا لبن ولا بزاق، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، وما صفة الماء المستعمل الذي لايجوز الوضوء به، ولايطهر النجاسة ؟

الجواب وبالله التوفيق : هو الذي يستعمل من المستعمل لها، مثل الذي يغسل به الوعاء أو يغسل به الثوب أو يغسل به الجسد أو بطبخ شيء أو يقطر من المتوضي أو الفاسد، والمستعمل كثير لايمكن أن نذكره كله، ويعجبني أن نغسل به النجاسة، ولايستعمل للوضوء ولا غسل حيض ولا نفاس، والله أعلم .

فصل

وقال أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي (رحمه الله ورضي عنه)، قال الله عز وجل : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾(٥٧)، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾(٥٨)، فالماء الطاهر مانزل من السماء، وما يخرج من الأرض لا خلاف في ذلك بين أهل العلم قبل

(٥٣) أخرجه الامام الربيع ومسلم والترمذي وابن ماجه .
(٥٤) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح ٢٨٥، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٦.
(٥٥) أخرجه كثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ٤٨٧.
(٥٦) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٨/ ٢٠٨.
(٥٧) سورة الفرقان : ٤٨ .
(٥٨) سورة الزمر : ٢١ .

أن يختلط بغيره أو يضاف الى شيء يعرف به، وقال النبي ﷺ، وقد سئل عن ماء البحر، فقال: «الطهور ماؤه والحل ميتته»(٥٩)، وهو داخل في جملة ماتلونا من كتاب الله عز وجل، فكل مانزل من السماء أو وجد على وجه الأرض أو نبع من موضع فهو الماء الذي جعله الله طهورا عذبا كان أو مالحا، خالطه ما مر عليه أو لم يخالطه، كالماء الجاري على السبخة والحمادة(٦٠) ونحو ذلك مالم يخرجاه من عموم الآية، ولايجوز التطهر بماء الورد، وماء الزعفران، وماكان من نحوهما، لأنه خارج من عموم الآية، لأنه استحال من الماء المطلق الذي هو طهور بغير اضافة، ولايجوز أيضا الطهور [بنسخة](٦١) الوضوء بماء البواقلاء والحمص، لأنه في جملة المأكولات كالمرقة التي يتادم بها، ولايجوز التطهر بالنبيذ، ولأن الخل لا يجوز التطهر به وهو أطهر منه، والماء الذي يطهر به أو اغتسل منه فان التطهر منه لايجوز لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه نهى عن الجنب أن يغتسل في الماء الدائم، قيل له: ياأبا هريرية كيف يفعل؟ قال: يتناوله تناولا(٦٢)، فلولا أن غسله فيه من الجنابة يؤثر فيه تاثير المنع من استعماله لم ينه عنه، ولايجوز صرفه عنه الا بمعنى يوجب التسليم، والله أعلم .

وهذا القول يدل على المنع من استعمال كل ماقد استعمل لطهارة الصلاة، ولقول عمر بن الخطاب (رحمه الله): لا سلم ، يأكل من الصدقة يأكل من أوساخ الناس، أرأيت ان توضا بماء أكنت شاربه؟ ولقول ابن عباس (رضي الله عنه) انما يفسد الماء أن تقع فيه وأنت جنب، فاما اذا اغترف منه فلا باس، كما قال أبو هريرة حين روى في الخبر .

فصل

وروي عن علي بن أبي طالب وابن عمر أنهما قالا: خذوا للرأس ماء جديدا، وروي نحو ذلك عن النبي ﷺ، ألا ترى أنه لو غسل يديه الى المرفقين ثم رده الى الأصابع لم تعده الأمة متوضئا مرتين. ويدل على ماقلنا ماروي أن رجلا لو كان في سفر ولا ماء عنده، وعند رفقائه ماء فمنعوه منه، لم يبح له أحد من الفقهاء أن يتطهر بغسالتهم وفضل ماتطهروا به مما لاقى أعضاءهم،

---

(٥٩) أخرجه الكثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ٣١١ ـ ٣١٢ .
(٦٠) البقعة المالحة الجدبة من الأرض الصحراوية .
(٦١) كلمة غير مقروءة ، لعلها : في نسخة .
(٦٢) أخرجه الامام الربيع ١/ ٣٢، ٣٤.

قيل له: تيمم، وأبطلوا جواز الوضوء به ولا ذلك لم يجز بتيممه(٦٣)، ويجوز استعمال الماء المستعمل في ازالة الأنجاس، لأنه يزيل النجاسة بطارته في نفسه، فاما التطهر به من نجاسة في الانسان فان ذلك لاتعاد العبادة في ماء الطاهر، والله أعلم .

فصل

وقال أبو محمد (رحمه الله): والأمياه ثلاث، فماء مضافٌ الى الواقع فيه، وماء مضاف الى الخارج منه، وماء مضاف الى مكان يقوم به. فالماءان المتقدم ذكرهما لايجوز التطهر بهما وان كانا طاهرين اذ اسم الماء لايقع مطلقا، والماء الذي ورد الشرع به هو الذي استحق اسم الماء مطلقا، الا ترى الى قول الله عز وجل: ﴿فَلَم تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾(٦٤)، وماء يضاف الى مكان فجائز التطهر به، لأن اضافته الى مكان لاتخرج عن وجد الماء المطلق اذ الماء لايقوم الا في محل واحد، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): واذا وجد الرجل في ثوبه دما شائعا كان أو غير شائع، ولم يدر أنه دم بعوض أو غيره لأن البعوض كثير، ويظن أن ذلك دم بعوض أيكون نجسا أو لا؟ وماحد دم البعوض، افتنا رحمك الله.

الجواب : أما الفرق بين دم البعوض وغيره فمرجوع ذلك الى العرف والعادة وما تطمئن اليه القلوب اذا لم يعاينه من البعوض وغيره بعينه. وأما في نجاسة دم البعوض فيجري فيها الاختلاف قول قليله وكثيره، وقول: اذا صار في المقدار كظفر الابهام فلا يصلي به، وقول مالم يغلب على الثوب، وقول هو طاهر قليله وكثيره، والله أعلم .

قلت له : أفتنا عن الثوب اذا كان نجسا وكان فيه صبغ ورس أو نيل أو غيره وعلق من صبغ الثوب النجس في ثوب آخر من رواكه(٦٥)، أينجسه أم لا؟

---

(٦٣) كذا في الأصل ، والمراد غير بين .
(٦٤) سورة المائدة : ٦ .
(٦٥) الرواكه : لعل المراد : أثر اللون .

قال : ان كان هذا الثوب قد لحقته النجاسة والصباغ فيه فعلق روك من موضع النجاسة في ثوب أحد من صبغ ذلك الثوب الذي لحقته النجاسة فهو نجس عندي، لأنه ان غسل واجتهد في غسله وبقي الروك بعد ذلك فهو طاهر اذا كان الصبغ أصله من الطواهر، والله أعلم .

ومنه اليه (رحمهما الله)، وأسالك سيدي في غسل الجنابة كيف النية فيه؟ عرفني ذلك، وكذلك في الوضوء الذي ذكر في غسل الجنابة؟

الجواب: أما النية في غسل الجنابة يقول : اللهم اني أغتسل من الجنابة ومن كل نجاسة داء لما علي من فرض غسلها طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، وأما الوضوء لغسل الجنابة على الاستحباب لا على اللزوم اذا غسل موضع النجاسة أمر أن يتوضا كوضوء الصلاة قبل الغسل وان ترك ذلك فلا بأس به اذا تمضمض واستنشق وعم بدنه كله بالماء، فالوضوء للصلاة عند ذلك يجزيه بعد تمام غسل الجنابة ، والله أعلم .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وما صفة البئر التي لاينجسها شيء، لأنه قال: اذا لم تكن تنزح من غرر، ما صفة هذا النزح؟ وكم من دلو اذا زجرت ولم تنزح؟ كم حكم لها بانها لاتنزح بدلاها؟

الجواب : في مثل هذه يجري فيه الاختلاف، بعض قال: اذا كان ماؤها قدر أربعين قلة فلا تنجس الا أن تغلب على مائها النجاسة، وبعض قال: اذا كانت تنزحها الدلاء الا ممتلئة(٦٦) ولو زجرت ليلا ونهارا فهذه هي التي لاينجسها شيء الا ماغلب عليه، ويعجبني هذا القول. وبعض قال: ولو لم تطلع الدلاء ممتلئة مادام الماء لم ينقطع فهي مستبحرة. وفيها أقاويل غير ماذكرتها ولكنها يقرب بعضها من بعض، ولا فرق عندي بين أطوى البيوت والأموال. وأما الدلاء التي يزجر بها البئر اختلف فيها اذا طهرت البئر، وكذلك الحبال التي تدخل في ماء البئر مع الدلاء، فبعض قال: تطهر بطهارة البئر، وبعض قال: تغسل، وأما القفة اذا لحقها رطوبة من الماء النجس، والحبل الذي لايدخل في ماء البئر، فيعجبني أن يغسلا، والله أعلم .

قلت له : واذ وجد أثر كلب في حوض طين فيه ماء قليل، أيكون حكم الماء نجسا أو لا، ولا ندري أن الأثر كان من قبل الماء ووطي فيه الكلب وبه الماء أم غير ذلك؟

(٦٦) لعل الصواب : الممتلئة .

قال : ان كان قليلا تبلغ فيه النجاسة ووجد الأثر فيه الماء فارجو أن لايخلو فيه من الاختلاف بين نجاسته وطهارته، والله أعلم .

قلت له : وماتقول في خزق الغربان اذا كان لايمتنع منه مثل الباطنة وغيرها هل تجد رخصة في ذلك؟

قال : الرخصة فيه موجودة وليس بمجتمع عليه، والله أعلم .

الخزق بفتح المعجمة الأولى على ماسمعته من بعض الأخوان، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه أيضا الى الشيخ صالح بن سعيد المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، وما تقول سيدي في نية الحائض والنفساء اذا طهرتا وأرادتا الغسل، ماتكون نيتهما لغسل أيديهما؟

الجواب : أما قبل الطهر فتكون نيتهما غسل النجاسة، وأما عند الاغتسال فتقولا: أغتسل من المحيض من كل نجاسة، غسل الفريضة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ.

قلت له : فيمن قطع شعرة من لحيته بيده أو باسنانه وهو متوضيء، أينتقض وضوؤه بذلك أم لا ؟

قال : أما الشعرة الواقعة فلا باس قطعها بيده، وأما باضراسه فمكروه ذلك عندي ولا يبلغ ذلك الى نقض وضوئه، وأما ان قطع شعرة من لحيته ثابتة متعمدا لقطعها من غير عذر فعسى أن يلحقه النقض على قول من يقول بنقض الوضوء بمعنى الاثم، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه الوالي عبدالله بن محمد بن غسان الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ حمد بن مسعود المعمري النزوي(٦٧) (رحمه الله)، وقد سمعت بعض المسلمين يرفع عن الشيخ الولي القاضي المعظم محمد بن عمر بن مداد (رضي الله عنه) في البئر اذا تغير ريحها واستقى أو توضأ أهلها منها بعدما أنتنت، ثم ظهرت فيها ميتة أنه لاباس عليهم في صلاتهم وثيابهم وهي طاهرة الا بعدما ظهرت فيها الميتة، فاريد صحتها؟

الجواب : نعم هذا في الحكم لأن الحكم لايكون الا بالصحة النية(٦٨)، بلا شك ولا ظن، وقد جاء في الأثر أن موسى بن علي (رحمه الله) توضا من

(٦٧) انظر ترجمته في الملحق .

(٦٨) لعل الصواب : الا بصحة النية .

بئر ومضى الى المسجد، فلحقه رجل فقال: ياأبا علي ان البئر التي توضات منها الساعة يوجد فيها ميتة، قال: لعلها ماتت فيها من بعد، قالوا لها: انها متقطعة، قال: لعل طائرا اختطفها وألقاها في البئر، فصلى ولم يتوضأ، وأما مايعجبني من طريق الاطمئنانة أن كانت منتنة أنه يبدلون صلاتهم ويغسلون ثيابهم وماقدروا عليه من آنيتهم ان وجدوا فيها ميتة، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، وما تقول ـ رحمك الله ـ في الصباغ اذا صبغ بصبغ نجس، أله أجرة الصبغ؟ وأي جنس الذي ينقله من الحلال الى الحرام، عرفنا ذلك؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا حل في الصبغ نجاسة ذاتية مثل بول أو عذرة أو دم حتى استهلكت النجاسة النيل، والله أعلم.

الصبغ بكسر المهملة مايصطبغ به ويصبغ، لقوله عز وجل: ﴿وَصِبغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾(٦٩)، معطوف على الدهن، وقريء ﴿وَصِبَاغٍ﴾ مع اثبات اعراب مهملة أوله، وهو الأدام الذي يلون الخبز ويتصبغ به، لأن أصل الأدام كل مايؤكل مع الخبز أيصبغ به الخبز ولا يتصبغ، وقد جعل الله عز وجل في هذه الشجرة أدما بكسر المهملة ودهنا بضمها، فالأدام الزيتون، والدهن الزيت فيما قيل. ويقال: ان طور سيناء ـ بالمد ـ خص بالزيتون، لأن الزيتون أول نبت بعد الطوفان، والله أعلم .

وأما الفعل منه صبغ الثوب صبغا، بفتح معجمة الفعلين، وقيل: بكسرها مع المضارع، واذا غمس يده صبغا صبوغا، وقيل: بضم المضارع، والله أعلم .

وأما نالها(٧٠)، مع كسر المهملة الأولى فهي الفطرة، لقوله عز وجل : ﴿صِبغَةَ اللهِ﴾(٧١)، أي: دينه وفطرته، وانما سماه صبغة فيما قيل، لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقيل غير ذلك، تركته خوف

---

(٦٩) سورة المؤمنون : ٢٠ .
(٧٠) كذا في الأصل : والمعنى غير بين ، ولعل الصواب : بالهاء .
(٧١) سورة البقرة : ١٣٨ .

الاطالة.

وأما نصبه على الاغراء، أي: ألزموا دين الله، وقيل: بدل من قوله : ﴿مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ﴾(٧٢)، وقيل: مصدر محذوف فعله، وأما الفطرة فهي الخلقة بكسر المعجمتين الأوليتين، لقوله عزوجل: ﴿فِطرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا﴾(٧٣)، أي: دين الله، انما نصب على الاغراء، أي: ألزم فطرة الله. وقيل: مصدر لما دل عليه مابعده من الفعل وهو الفطرة، وأما الفعل منه فطر يفطر فطرة، بفتح مهملة الماضي وضمه من المستقبل، وأما بزيادة المهملة الأولى، فهو من افطار الصائم، يقال: فطرت الصائم مشدد الطاء المهملة مضعفا من غير همزة فافطر، تركت مايجانسه خوف الاطالة .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وما الخفاش والخناز عرفنا ذلك ؟

الجواب وبالله التوفيق : الذي وجدته في كتاب القاموس أن الخناز كبير الأوزاع ، والخفاش طائر أسود، والله أعلم .

فصل

ومن جوابه (رحمه الله) وهذا ماكتبته سؤالا له (رحمه الله) قلت: وما تقول سيدي في المضطر اذا وجد الميتة ولحم الخنزير أو خمر أي شيء أولى بالأكل من هذه الأنجاس؟

الجواب : فاذا كان الخنزير ميتا فميتة الحلال أولى، واذا كان الخنزير مذبوحا، فقال من قال: ان هذا متساوي الحرمة، ومن أيهما شاء أكل المضطر، وأما الخمر فعلى قول من يقول : انها تعصم فجائز ذلك.

قلت له : وذبيحة السكران اذا ذكر اسم الله عليها، وأحسن الذبح، أفي أكلها شبهة أم لا؟

قال : على صفتك هذه جائزة ذبيحته، والله أعلم .

قلت له : وفيمن غيل(٧٤) غيلة بتبن نجس أو تراب نجس، وقلب الغيلة بعضها ببعض مرة بعد مرة؟

قال : على صفتك هذه تطهر على قول بعض المسلمين، وقال من قال: حتى

---

(٧٢) سورة البقرة : ١٣٠، ١٣٥، سورة آل عمران ، ٩٥، سورة النساء : ١٢٥، سورة الأنعام : ١٦١، سورة النحل : ١٢٣.

(٧٣) سورة الروم : ٣٠ .

(٧٤) غيل : لغة محلية تعني عجين الطين مع التبن ونحوه بالماء لقصد البناء والترميم به.

يبنى بهذا الطين النجس، ويجف الجدار فحينئذ تكون طاهرة، والله أعلم.

فصـــل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله) الى الشيخ الوالي صالح بن عبدالله الفلوجي النزوي (رحمه الله)، وفي قول الله عز وجل : ﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامسَحُواْ بِرُؤُوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ﴾(٧٥)، ما الفرق بين الغسل والمسح؟

الجواب وبالله التوفيق : ان محل الوجه الغسل، ومحل الرأس المسح. والفرق بينهما أن المسح وصول الماء الى أصول الشعر.

قلت له : واذا كان رجل في رأسه أو في سائر جسده قرحة مثل خرازة(٧٦) فجعل عليها الدواء، فاصابته جنابة، فخاف ان صرف عنها الدواء أن تزداد عليه العلة، وكان عرضها مقدار الدرهم أو أقل، هل يجزيه الغسل لسائر بدنه وتيمم ذلك المكان؟ والله أعلم .

قال : ان كان الدواء رقيقا يبالغه الماء فلا يحتاج الى تيمم، وان كان الدواء صلبا رغيبا ولايبالغه الماء وكان مثل الدرهم، فقال بعض المسلمين: عليه التيمم، وبعض قال: لا يتيمم عليه حتى يكون كعضو من أعضاء الوضوء وهو الأذن، والله أعلم، واذا كان مثل الدرهم ففي امامته اختلاف، وفي أكثر القول: أنه جائز اذا لم يكن تحت الدواء شيء من النجاسة: دم أو غيره، وأما اذا كان مثل الأذن، فلايعجبني امامته. وفيه اختلاف في الدرهم ، كظفر الابهام، والظفر بضم المعجمتين، والعضو بضم المهملة وضمها، والأذن بضم المهملة الأولى والمعجمة الثانية.

فصـــل

وسالته (رحمه الله) قلت له: وماتقول سيدي في رجل رمى بسهمه صيدا وذكر اسم الله عند رميه فوجده ميتا أيؤكل أم لا؟ أرأيت اذا وقع في غير المذبحة؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا ذكر اسم الله عند رميه السهم فوجده ميتا فهو حلال أكله، اذا لم يتوار عنه، وان وجده حيا فلا ياكله حتى يذكيه بذكية شرعية مع ذكر الله عند تذكيته، والله أعلم .

---

(٧٥) سورة المائدة : ٦ .

(٧٦) الخرازة : لعل المراد الخرزة ، واحدة الخرز، وهي الحبة المثقوبة من الزجاج ونحوه، تنظم منه المسابح والقلائد .

قلت له : وما تقول سيدي في الصيد التي في الأنهار أهن من صيد البر أو البحر؟ عرفنا ذلك.

قال : على ماحفظناه في الأثر أن الصيد من صيد البر لا من صيد البحر اذا كانت في الأنهار التي في البر وليست الأنهار التي فيها هذا الصيد متصلة بالبحر. وأما ان كانت متصلة بالبحر بمدها فهي من صيد البحر، وصيد البحر حلال للمحرم وغيره، وصيد البر حرام على المحرم، وعليه فيه الجزاء ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدلٍ مِّنكُم﴾(٧٧)، ان كان قتله على العمل، وان كان على الخطأ ففيه اختلاف. فقول : قيمته مثل ماجاء في غيره من الصيد الذي جاء فيه الأثر لا على قيمته بما يسوى في السوق. واختلف في المحرم اذا اضطر الى أكل الميتة ووجد ميتة وصيدا، فاكثر القول أنه ياكل من الميتة بقدر مايحي به نفسه، ولاياكل من الصيد.

فصل

النعم بفتح المعجمة والمهملة هو واحد، الأنعام وهي البهائم، قال الله عز وجل : ﴿إِن هُم إِلاَّ كَالأَنعَامِ﴾(٧٨). قال بعضهم: فاكثر مايقع عليه اسم النعم على الأبل. وقال بعضهم : اذا قلت نعم لم تكن الا الأبل، واذا قلت: أنعام وقعت للابل وكل مايرعى، وقيل: ان الأنعام، النعم يطلق على الأنعام، قال الله عز وجل : ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾(٧٩). قال الفراء : النعم ذكر ولايؤنث، يقال: نعم واردة، وأنشد الكسائي :

في كل عام نعم يحويه يلحقه قوم وتنجويه

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُم فِي الأَنعَامِ لَعِبرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾(٨٠)، ولم يقل بطونها، قيل: لأن النعم والأنعام بمعنى، وهما جمعان، فرجع الى تذكير الجمع. وحكى الفراء عن الكسائي أن المعنى نسقيكم مما في بطون ماذكرنا. وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة، قال: المعنى مافي بطون أنها كان لها لبن، وقال سيبويه العرب: تخبر عن الأنعام بخبر الواحد، وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب بفتح النون من ﴿نُّسقِيكُم﴾.

---

(٧٧) سورة المائدة : ٩٥ .
(٧٨) سورة الفرقان : ٤٤ .
(٧٩) سورة المائدة : ٩٥ .
(٨٠) سورة النحل : ٦٦ .

فصـــل

وأمـا «نعم» كلمـة ايجاب مـبنية على الوقف، وهي نقيض «لا»، ونقيض «بلى» في جـواب النفي، و «نعم» بكسر المهملة لغة في «نعم»، وبهذه اللغة قرأ ابن عـامـر وحمزة والكسـائي ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾(٨١)، بـفـتح النون وكسر العين، وكذلك ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾(٨٢)، وقـرأ البـاقون بكسر النون. واختلفوا في العين، فـقـرأ أبو عـمـرو بسكونها وهي رأي أبي عبيدة، والباقون بكسرها. واختلف نافع وعـاصم في سكونها، و«نعم» لغـة في «نعم» نقـيض «لا»، وقرأ الأعمش والكسائي ﴿فَهَل وَجَدتُّم مَّاوَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا قَالُواْ نَعَم﴾(٨٣)، بكسر العين، وقرأ الكسائي ﴿قُل نَعَم وَأَنتُم دَاخِرُونَ﴾(٨٤).

فصـــل

وأمـا النعمة بفتح المعجمة هي الدعة، قال الله عز وجل : ﴿وَنَعمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾(٨٥)، وقـيل : نعمة هي غضارة العيش ولذاذة الحياة، وقرأ أبو رجـاء ﴿وَنَـعـمَةٍ﴾ بفتح المهملة عطفا على «كم»، ﴿كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾، تركت مايجانسه خوف الاطالة، والله أعلم .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود (رحمه الله) وسـالـتـه (رحمـه الله)، عـن سماد البـقـر والغنم اذا كـان قـائما بعـينه في الجلبة(٨٦) فشربت تلك الجلبة ثلاثة أواد(٨٧) أهو نجس أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : في ذلك اخـتلاف بين المسلمين في سماد البقر ، قـول: يـطهـر اذا شربت آدا، وقـول : آدين، وقـول : ثلاثة أواد، وذلك اذا مس الروث البول، وما لم يمس البول فهو طاهر، وأما الغنم فبعرهن طاهر اذا لم تمسه نجاسة، والله أعلم .

قلت له : مـا تقـول فيمن مسه ماء حميم، فاثر به أثر بينا، أينجس ذلك

---

(٨١) سورة البقرة : ٢٧١ .
(٨٢) سورة النساء : ٥٨.
(٨٣) سورة الأعراف : ٤٤ .
(٨٤) سورة الصافات : ١٨ .
(٨٥) سورة الدخان : ٢٧ .
(٨٦) الجلبة : قطعة من الأرض تهيأ تهيئة خاصة لسقيها .
(٨٧) الأواد : مـفـردها آد، وهو الفترة الزمنيـة التي تستـحقها الأرض من ماء الفلج، أو دورها في السقي من الفلج .

مثل حرق النار أم لا ؟

الجواب : لا أحفظ في هذه المسالة بعينها غير أنا نحفظ في حرق النار اذا أثر اختلافا، وأكثر القول ان حرق النار نجس، والله أعلم، اذا احترقت يده من هذا الماء، وان أثرت في يده بغير أن يحترق فلا ينجس يده على هذه الصفة ، والله أعلم.

وحفظت من الأثر ان الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي (رحمه الله) كان يعجبه في الماء السخن وأمثاله أنه لاينجس ولو أثر في الجسد، الا أن يخرج دم فحينئذ ينجس، والله أعلم .

فصل
في ذكر الوضوء

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد بن زامل الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، واذا قال المتوضيء لعمرك يافلان أو حياتك أنه كذا وكذا أينتقض وضوؤه أم لا ؟

الجواب : اني لم أحفظ هذه المسالة بعينها من الأثر، الا أني أحفظ أنه لايجوز القسم بغير الله سبحانه بخلقه، فان أقسم الانسان بغير الله سبحانه صار ذلك منه معصية، وللمعاصي قول : تنقض الوضوء، وقول ، لاتنقضه.

قلت له، ومن كان يحدث انسانا فقال : ورأسك ، ولم ينو يمينا، أيكون مثل ماذكرت لك في نقض الوضوء.

قال : ان كان يمينا بذلك فهو معصية، وقد قلت ذلك باختلاف الوضوء في المعصية من قبل .

قلت له : ومثله اذا لاغيا (٨٨) بغير نية ؟

قال : نعم ، لأنه ماكان خارجا من الطاعة فهو معصية .

قلت له : فالمتوضيء اذا قال ان فلانا قليل الطين، وكان ذلك، كذلك أينتقض وضوؤه أم لا؟

قال : ان قال ذلك فيه وهو غائب، وكان من المسلمين، فيعجبني أن ينتقض وضوؤه ، ولو كان ذلك فيه، اذا كان يريد الاستنقاص به، والله أعلم.

---

(٨٨) لعل الصواب : لغا، أو : كان لاغيا.

فصـــل

ومن جـوابه أيضـا (رحمه الله وغـفر له)، الى الشيخ الوالي الموالي الرضي راشد بن خلف العقيد المنحي(٨٩)(رضي الله عنه)، وفيمن طرح بسرا بحصير نجس رطب، ثم رفـعـه منه وتركـه في المرجل وطبخه فيه حتى نضج، كيف الوجه في طهارته؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : في مـثل هذا يجري فـيه الاختلاف، فقول : لا سـبـيل الى طهارته مثل هذا(٩٠)، وقـول: اذا وضـع في الشـمس حـتى تذهب رطوبته، ثم يوضع في الماء الطاهر بعد ذلك حتى يدخل مداخل النجاسة، فهذا وجـه يطهـر به، وقـول: اذا ذهبت الشـمس برطوبة النجاسة منه، ولم يبق منها شيء، فقد طهر ولايحتاج الى وضعه في الماء الطاهر، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـوابه أيضـا (رحمه الله) الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مـسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله) واذا جامع الرجل زوجته بقدر مـايلتـقي الخـتـانان، ويجب عليه الغسل، ولم ينزل الماء، أيحوز له أن يقرأ القرآن أم لا؟

الجواب : هو بمنزلة الجنب ، والله أعلم .

قلت له : وهل للجنب أن يقـرأ ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِـيمِ﴾(٩١) اذا اراد غسل يديه؟ أم غير ذلك؟ وهل له أن يتشهد؟

قال : أما البسملة ، فلا ينبغي له أن يتمها، وأما الشهادة، فلا بأس بها.

قـلـت لـه : وفي الاظـهـار في قـراءة القـرآن، مـثل قـوله تعـالى : ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٩٢)، أيكون بكسر نون التنوين أم لا ؟

قال : النون ساكنة .

قلت له : وقـد وجـدت في «منهاج الطالبين» تصنيف الشيخ الرضي الولي القـاضي خميس بن سعيد الرستاقي (رحمه الله)، وهي : «كلما جاء في القرآن، ومايدريك فهو لايدريه، وما أدراك فهو يدريه»، ولم نعرف معنى ذلك ، عرفنا

(٨٩) انظر ترجمته في الملحق .

(٩٠) لعل الصـواب : الى طهارة مثل هذا .

(٩١) سورة النمل : ٣٠ .

(٩٢) سورة النساء : ٢٦، سورة الأنفال ٧١، سورة التوبة : ١٥، ٢٨، ٦٠، ٩٧، ١٠٦، ١١٠، سـورة يوسف : ٦، سورة الحج، ٥٢، سورة النور : ١٨، ٥٨، ٥٩، سورة الحجرات: ٨، سورة الممتحنة : ١٠ .

هداك الله؟

قال : ان معنى ذلك ، أن ما جاء في القرآن مايدريك الا في شيء مغيب أمره، ولم يخبره الله به، وهو مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾(٩٣)، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾(٩٤)، ولم يخبره الله تعالى أنه يزكى أم لا، والمعنى الآخر، قال الله عز وجل : ﴿وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه، نَارٌ حَامِيَةٌ﴾(٩٥)، ولم يتركه في شبهة، وأما المعنى الأول لم يخبره بشيء والله أعلم .

قلت له : وهل يجوز أن يقول الجنب والحائض: سبحان الله، والحمدلله، ولا اله الا الله، [والله] أكبر، ولله الحمد، أو يقول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، أو تبسملا؟

قال : جائز ذلك، الا قولهما ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فلا يعجبني أن لايتماها، ولكن يقول : بسم الله، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه عبدالله بن جمعة بن عبيدان النزوي (رحمه الله)، الى الأخ المحب الحبيب سالم بن محمد بن عبدالله الطيواني العقري(٩٦) (رحمه الله)، وما تقول سيدي في المرأة اذا رأت مثل مايرى الرجل في المنام من الاحتلام وغيره، أيلزمها غسل أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق : في ذلك اختلاف بين المسلمين، قال من قال : ان المرأة اذا رأت في المنام مثل مايرى الرجل، وأنزلت الماء الدافق لزمها الغسل، وقال من قال : لاغسل عليها ، والله أعلم .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، واذا كانت نسوة في يقظة فخطر بقلوبهن شهوة الرجال، فانزلن الماء الدافق، أيلزمهن في ذلك غسل أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق أنه اذا حضر المرأة شهوة وأنزلت الماء الدافق، لزمها الغسل على قول بعض المسلمين، وقال من قال : لاغسل عليها، واذا لم ينزل الماء الدافق، فلا غسل عليها، والله أعلم .

---

(٩٣) سورة الأحزاب : ٦٣ .
(٩٤) سورة عبس : ٣ .
(٩٥) سورة القارعة : ٨ ـ ١١ .
(٩٦) انظر ترجمته في الملحق .

قال المؤلف في صفة الغائط: اعلم أيها الأخ، اذا أردت دخول الخلاء لقضاء الحاجة، فقدم رجلك اليسرى وقل: بسم الله، وقل: اللهم اني أعوذ بك من الخبث والرجس والنجس الخبيث المخبث الشيطان، فاقعد الى الخلاء برفق، ولا تنزع ثيابك وأنت قائم، ولا تستقبل في ذلك القبلة، ولا تستدبرها، واحذر مناظرة الشمس والقمر، فان ذلك لايجوز، ولتكن في موضع مستتر، ومل على يسارك، فانه أسهل للبول والغائط، ولا تستنجي بروث، ولا عظم، ولا حطب، ولا غيره مما فيه منافع الناس، ولكن استنج بحجر لها أربعة وجوه أو طفالة أو تراب، وليكن ذلك بشمالك، لا بيمينك، لأن اليمين لمكارمك، والشمال لمحارمك، وانتر من ذلك ثلاث نترات ، واستبريء في ذلك كثيرا بعصر الذكر من أصله من تحت البيضتين حذا الدبر طالعا لتخرج الباقي من البول، وبالغ في ذلك ولاتهمل، لأنه في الحديث «ترك الاستنجاء من البول والغائط يولد عذاب القبر»(٩٧)، ثم قم من مكانك شاكرا الله على ماسهل عليك خروج الأذى، وقدم رجلك اليمنى وقل: الحمد لله الذي صرف عني الأذى وعافاني، فاذا جف موضع البول والغائط فانزل الى النهر(٩٨) واغسل يديك، فانه يستحب ذلك، ثم خذ مقعدتك على الماء وبالغ في العرك مكان البول والغائط، يكون اعتمادك في الماء على بطنك، حتى تظهر الشفرة من المقعدة ثم تعركها عركا جيدا الى أن تطيب نفسك قل أو كثر ، وقل مع عركك، اللهم نيتي واعتقادي أرفع لطهارتي جميع الأحداث، وأزيل بها جميع النجاسات كلها أداء للفرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله(٩٩)، فاذا فرغت من ذلك وطابت نفسك ابتديء بالوضوء بعد ذلك بقول : اللهم اني أتوضا لما شئت من أداء فرائض الله وسنته وطاعاته ثم تمضمض ثلاثا، فتقول مع ذلك؛ بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم طهر فمي من الكذب والغيبة والنميمة ياالله، فاذا استنشقت فقل: اللهم نشقني روائح رحمتك في جنتك ياالله، واذا غسلت وجهك فقل: اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك الصالحين ياالله. فاذا غسلت اليد اليمنى قلت : اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ياالله، ولليد اليسرى: اللهم لاتعطيني كتابي بشمال، ولا من وراء ظهري ياالله، وللرأس فقل : اللهم

(٩٧) الحديث مروي بالمعنى، انظر تخريجه عند الهيثمي: مجمع الزوائد ١/٢٠٧.
(٩٨) المقصود بالنهر ، في النص، الفلج .
(٩٩) أكثر القول : أن لانية في طهارة الخبث، لأنها معقولة المعنى .

توجني تاج رحمتك في جنتك يالله، وللأذنين فقل : اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه يالله. وللرقبة فقل : اللهم اعتق رقبتي من النار والعار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال يالله. وللرجل اليمنى فقل : اللهم ثبت قدمي ثباتا حكيما على الحق والصراط المستقيم يا الله. وللرجل اليسرى فقل : اللهم ثبت قدمي بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة يالله. واذا لم تقل يالله فهو كاف. ويكون هذا بعد غسله رجليه ويديه وثوبه وجميع ماعليه ان كان به نجاسة. ولا يتوضا الا بعد أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم، فان ترك ذلك متعمدا فلا وضوء له .

وفرائض الوضوء : غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس والرجلين، لقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(١٠٠) فاما حد الوجه، فهو من الأذن الى الأذن، وقيل من طرف الحاجب الأيمن مما يلي الخد من طرف الأيمن الى الأيسر، وغسل اليدين الى المرافق، وهو الكوع الذي يبتديء به للذرع ويستحب أن يجاوزه، ومسح الرجلين الى الكعبين، وهما أعلا الجوزة طرف الساق من جانب القدم، فاما مسح الرأس فانه يجزيء أن مسح مقدمه دون مؤخره، ولايجزيء مسح مؤخرة دون مقدمه.

وأما السنن في الوضوء: التسمية، وغسل اليدين، والمضمضة، والاستنشاق، ومسح الأذن، والله أعلم .

وأما الاستنجاء من البول والغائط، فهو فريضة واجبة، ولا يفتح عينيه في الوضوء، ولا يغمضها، ولا يضرب بالماء ضربا، بل يمسح وجهه وجميع جوارحه برفق ومهل، ساكنا متواضعا لله عز وجل، ويخلل بين أصابع الرجلين واليدين، لأنه روي عن النبي ﷺ انه قال : «خللوا بين أصابعكم بالماء قبل أن تخلل بمسامير من نار»(١٠١)، وقال عليه الصلاةوالسلام : «ويل للعراقيب من النار»(١٠٢)، وقال عليه الصلاةوالسلام: «ويل لبطون الأقدام من النار»(١٠٣)، وقال عليه الصلاة والسلام :"[أشربوا] أعينكم الماء لعلها لاترى نارا"(١٠٤)، فلا يغمض عينيه وليبالغ في غسل عراقيبه، وبطون قدمه،

(١٠٠) سورة المائدة : ٦ .
(١٠١) أخرجه الامام الربيع والترمذي وأحمد .
(١٠٢) أخرجه مسلم وأحمد .
(١٠٣) أخرجه الامام الربيع ١/ ٢٣.
(١٠٤) أخرجه صاحب ميزان الاعتدال ٣٣/ ١١، وابن عدي في الكامل ٢/ ٤٩٠.

وتخليل أصابعه. ولايتوضا بماء مضاف الى غيره ولا مستعمل مرة أخرى، ولا بماء الأشجار ولا بالنبيذ ولا الخل، ولا اللبن، وكل شيء خالط الماء، فلا يتوضا به، الا التراب، هذا على القول المستحب، وأما الاختلاف ، فهو غير هذا، والله أعلم، ويجوز الوضوء بالبزاق وماء البحر والندى، ان كانا يجريان والا فلا، الا أن يغسل بهذه الموصوفات الجلدة الميتة من حدود الوضوء أو الشعرة المنقطعة التي لا دم فيها اذا لم يكن معه ماء، والله أعلم .

وأما النية لغسل الجنابة ، يقول : اغتسل من الجنابة ومن كل نجاسة أداء لما علي من فرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، وصفة الغسل، قد تقدمت، والله أعلم .

وأما التيمم، فهو فرض عند عدم الماء، قال الله عز وجل : ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾(١٠٥)، والتيمم: هو القصد، والصعيد: ماصعد على وجه الأرض من التراب، والطيب : هو الحلال ، ومعناه : التراب الطاهر، والله أعلم. فاذا لم يجد ماء بعد ما سال مرارا عنه ولم لم يكن معه أحد من الناس، فلا يتيمم الا حتى يسال عنه، فاذا أراد التيمم فانه يقول: أرفع بتيممي هذا جميع الأحداث، وأتيمم للصلاة بدلا من الماء طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، هذا ان كان للصلاة، وان كان للطهارة فيذكره، أو لقراءة القرآن فيقول للطهارة أو لقراءة القرآن، أو لغير ذلك، ثم يصف يديه الابهام بالابهام، ويفرق أصابعه، ويضرب بيديه الأرض ضربة كيلا يطلع الغبار مما يلزم بَاطن كفيه، ثم يمسح بهما وجهه مسحة خفيفة، لا بدلك، ولا تشديد، ثم يضرب ثانية كما فعل بباطن كفيه، فيمسح باطن كفه الأيسر ظاهرا وباطنا يده اليمنى بباطن كفه الأيمن ظاهر يده اليسرى ظاهرا وباطنا، يبدأ بالكوع الى أطراف الأصابع، ثم يصلي ولا يتكلم بعد التيمم، والله أعلم .



(١٠٥) سورة النساء : ٤٣، سورة المائدة : ٦ .

المنثورة السابعة

في الصلاة وأحكامها، وتفسير آيات
من القرآن، والكلام العربي والأخبار،
وغير ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر يالطيف يارحيم ياذا الجلال والاكرام، الحمد لله الذي جعل الصلاة مرقاة الى درج الرحمة والرضوان، ووسيلة لقربات الملك الديان، وجنة واقية ليوم القصاص، ورحمة واسعة عند الأخذ بالنواصي، وحساما باترا لقطع الفواحش والمنكر، ولذكر الله أكبر، قال الله عز وجل : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾(١). ﴿الْفَحْشَاءِ﴾ ماقبح من الأعمال، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما لايعرف في الشرع. قال ابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهما): «في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بمعروف ولم تنهه عن منكر، لم يزدد بصلاته من الا الله بعدا»، وقال الحسن وقتادة: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه»، وفي للحديث: «أنه كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ، ثم لايدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله ﷺ حاله، فقال: «ان صلاته تنهاه يوما، فلم يبعد الى أن تاب وحسن حاله»(٢)، وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾(٣)، أي : بقراءتك، أو أراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر، وفي الحديث قال رجل للنبي ﷺ: ان رجلا كان يقرأ القرآن الليل كله، فاذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه قراءته»(٤)، وقوله عز وجل : ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ ، أي : ذكر الله أفضل الطاعات .

فصل

وروي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الأعمال وأزكاها، عند مليككم وأرفعها من درجتكم(٥)، وخير من اعطاء الذهب والورق، وان تلقوا العدو فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: ما ذاك يارسول الله؟ قال : ذكر الله»(٦)، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أي

(١) سورة العنكبوت : ٤٥ .
(٢) انظر الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٨ .
(٣) سورة الاسراء : ١١٠ .
(٤) انظر كنزل العمال ٢٤٤٣، ومشكل الآثار للطحاوي ٢/ ٤٣٠ .
(٥) لعل الصواب : لدرجاتكم .
(٦) أخرجه ابن حنبل ٥/ ٢٣٩، كنز العمال ٤٢٦٥٢ .

العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ «الذاكرون الله كثيرا» قالوا : يارسول الله وكيف الغازي في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى يكسر أو يختضب دما، لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه»(٧)، وروي أن أعرابيا قال : يارسول الله صلى الله عليك أي الأعمال أفضل؟ قال : «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»(٨).

فصل

وروي في الخبر عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه كان يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له حمدان، فقال: «سيروا هذا حمدان سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾(٩)، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ماقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة والوقار وذكرهم الله فيما عنده»(١٠). وقال قوم : معنى ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾، ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم أياه، وقيل غير ذلك، تركته خوف الاطالة .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾(١١)، أي: فرضا مفروضا، وقيل: واجبا فرضا مقدرا في الحضر أربع ركعات، وفي السفر ركعتين، وقيل: فرضا مؤقتا، وقتهم(١٢) الله عليهم. وفي الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: أنه قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام عند باب البيت مرتين فصلى بي الظهر بعد زوال الشمس، وكانت بقدر نعلي، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء الآخرة حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم»(١٣)، ولهذا تفسير يطول لحدود الصلوات، والله أعلم .

---

(٧) أخرجه بمعناه دون لفظه الكثيرون، انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/ ٧٣ ـ ٧٥.
(٨) أخرجه الطبراني : انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٧٤.
(٩) سورة الأحزاب : ٣٥ .
(١٠) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .
(١١) سورة النساء : ١٠٣.
(١٢) لعل الصواب : وقتها .
(١٣) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

فصـــل

وسأذكـر بعض دلائل أوقـات الصلوات: أمـا وقت صـلاة الظهر، فهو في منتـهى الحـر من ثلاثة أقـدام الى أربعة أقدام ونصف، والى خمسة أقدام، فهذا أحـسن الأوقـات. ومـازاد على خمسـة أقدام فاقرب الى ضيق الوقت، ولو كان وقت الصـلاة بعـده باقـيـا، وهي الى أن ينتـهي الظل الى سـبعة أقدام، فذلك منتـهى وقت صـلاة الظهـر، على بعض القـول، ودخـول وقت صلاة العصر، فـيـزداد قـدم احـتياطا، فيكون وقت صلاة العصر على ثمانية أقدام في منتهى الحـر، فاذا رجعت الشمس الى فصول الشتاء فلا زال الظل يزيد كل شهر قدما وسدس قدم، فيكون دخول وقت صلاة الظهر في منتهى الشتاء من ستة أقدام ونصف قـدم الى حد العشرة، ومن بعد العشرة فاقرب الى ضيق الوقت، هذا في منتـهى الشـتـاء، وقـبل وقت صلاة الظهر باق الى أن يكون الظل أربعة عشر قدما.

وأمـا دخـول وقت صـلاة العصر في منتـهى الشـتـاء، فهو أن يكون ظل قـامـتك أربعـة عشر قدما فيزاد قدم احتياطا، يكون وقت العصر خمسة عشر قدما، في منتهى الشتاء، وأول أوقات الصلاة أفضل.

فصـــل

وأمـا كـيفية قياس القدم، فهو أن تقيس قامتك بحبل أو غيره من منتهى قـامتك الى حد جوزة(١٤) رجليك، ثم تقـدمـه، فان وصل سبعة أقدام، أو ثلث قـدم أو نصف فـهـو حسن لقياس الظل، وان زاد على ذلك فالقدم ناقص، وان قصر ستة أقدام فالقدم زائد، لايقاس به ظل القامة .

فصـــل

وأمـا دخـول وقت صـلاة المغـرب، فـهو بعد أن تكون الشمس متوارية بالحـجاب، وتطلع من المشرق حمرة ثم تعلو تلك الحمرة رافعة قليلا قليلا الى أن يطلع سـواد من تحت الحـمـرة، الى أن يغـدو ذلك السـواد في كبد السماء، وتزول على الاحتياط، فذلك أول وقت المغرب .

وأمـا أول وقت صـلاة الـعـشاء الآخرة، فهو الى مغيب الشفق الأحمر على مـاقـيل، والمعمول به عند المسلمين بعد مغيب الشفقين الأحمر والأبيض، فهو الى ثلث الليل، وقيل: نصفه، والله أعلم.

---

(١٤) الجـوزة ، في كـتب اللغـة ، عظم نائيء في مـقـدمة العنق، وهي من الألفاظ المولدة، ولعل المراد بها في النص: أحد كعبين الرجل .

وأما وقت صلاة الفجر، فهو الى أن ينشق عمود الفجر معترضا بالمشرق، لأن الفجر فجران، فجر يطلع مستطيلا كذنب السرحان، فيبلغ ذلك البياض الى كبدالسماء، ويسمى ذلك : الفجر الأول، لاتجوز به الصلاة، ثم ينجلي البياض، ويطلع وتحته بياض مسطيلا من أعلا المشرق الى أسفله، فذلك الفجر الذي تجب به الصلاة، ويحرم به الطعام والشراب والنكاح على الصائم، لقوله عز وجل : ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الْخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الْفَجرِ﴾(١٥)، أي : الى طلوع الخيط الأسود من الليل، والله أعلم .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسطَى﴾(١٦)، أي : واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام ركوعها وسجودها وأركانها، ثم خص الله الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها. والوسطى تانيث الأوسط، ووسط الشيء خيره وأعدله، وقريء بنصب الصلاة على الاختصاص والمدح. واختلف العلماء من الصحابة في الصلاة الوسطى. فقال قوم: هي صلاة الفجر، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾، والقنوت هو طول القيام، وصلاة الفجر هي مخصوصة بطول القيام فيها والقنوت، وأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلوات، فقال عز وجل : ﴿وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كَانَ مَشهُوداً﴾(١٧)، يعني تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع، لاتجمع ولا تقصر، لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «يفضل الجمع على صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا(١٨)وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار»،وأظن ـ والله أعلم ـ أن معناه : صلاة الجماعة .

وقيل : هو أكثر القول في الصلاة الوسطى، هي صلاة العصر، وقد استدلوا بظاهر الحديث عن النبي ﷺ حين قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر [ملأ] الله بيوتهم نارا»(١٩)، وروي في

---

(١٥) سورة البقرة : ١٨٧ .
(١٦) سورة البقرة : ٢٣٨ .
(١٧) سورة الاسراء : ٧٨ .
(١٨) أخرجه البخاري والنسائي وأحمد وابن ماجه .
(١٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

الحديث، كان يقول : «بكروا صلاة العصر»، فان النبي ﷺ قال : «من ترك صلاة العصر أحبط الله عمله»(٢٠).

وقيل : صلاة الظهر ، لأنها في وسط النهار، وكانت أشق الصلاة عليهم، وعندي أن ذلك لكثرة اشتغالهم وكدهم بالنهار، فكانت هذه الصلاة أفضل، لقوله ﷺ: «أفضل العبادات أحمزها»(٢١)، أي أشقها.

وقيل : أراد بالصلاة الوسطى جميع الصلوات الخمس تحريضا لعباده أن يحافظوا عليها ويداوموا على أدائها في أوقاتها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة، واسمه الأعظم في الأسماء، ليحافظوا على أداء واجبها، والله أعلم .

فصل

وأما قوله تعالى : ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾(٢٢)، أي : مطيعين، ونصبه على الحال الصريح، والقنوت: الطاعة ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ﴾(٢٣)، أي : مطيعا، وقيل: القنوت السكوت عما لايجوز التكلم به في الصلاة، وقيل: ﴿قَانِتِينَ﴾ خاشعين، وقيل: مصلين، الدليل على ذلك قوله عز وجل على هذه الآية: ﴿ أَمَّن هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾(٢٤). قرأ ابن كثير ونافع وحمزة «أَمَّن»، بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها. فمن شدد فله وجهان: أحدهما أن يكون الميم صلة، فيكون معنى الكلام استفهاما. وجوابه محذوفا مجازه ﴿ أَمَّن هُوَ قَانِتٌ﴾ كمن هو غير قانت، كقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ لِلإِسلاَمِ﴾(٢٥)، فهو كمن لم يشرح صدره، والوجه الآخر : أنه عطف على الاستفهام، مجازه الذي جعل لله أندادا خير ﴿ أَمَّن هُوَ قَانِتٌ﴾. ومن قرأ بالتخفيف ، فهو جعل ألف استفهام دخلت على من، معناه: أهذا كالذي جعل لله أندادا. وقيل: الألف في «أَمَّن» بمعنى حرف النداء تقديره يامن هو قانت، والعرب تنادي بالألف، كما تنادي بالياء، فتقول : أبني فلان ويابني فلان، فيكون معنى الآية ﴿قُل تَمَتَّع بِكُفرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِن أَصحَابِ النَّارِ﴾(٢٦)، يامن هو قانت آناء الليل انك من أصحاب الجنة، قال ابن عباس

(٢٠) رواه البخاري وابن ماجه وأحمد .
(٢١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٧٥ ، وأحمزها ، أي: أمتنها .
(٢٢) سورة البقرة : ٢٣٨ .
(٢٣) سورة النحل : ١٢٠ .
(٢٤) سورة الزمر : ٩ .
(٢٥) سورة الزمر : ٢٢ .
(٢٦) سورة الزمر : ٨ .

(رحمه الله) في رواية عطاء، نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه). وقيل: في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة. وقال بعضهم، في القنوت: قراءة القرآن وطول القيام، وآناء الليل ساعاته، وعندي ـ والله أعلم ـ أن انتصابه على الظرف «وساجدا وقائما» على الحال من ضمير قانت، وقريء بالرفع على الحال والواو للجمع بين الصفتين، والله أعلم .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ لِلإِسلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(٢٧)، يعني المعرفة والاهتداء الى الحق، لأنه جاء في الحديث عن عبدالله ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية، قلنا: يارسول الله كيف انشراح الصدر؟ قال: «اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح» قلنا: يارسول الله فما علامة ذلك ؟ قال : «الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتاهب للموت قبل الموت»(٢٨)، ونظير تلك الآيات ﴿أَفَمَن يُلقَى فِي النَّارِ خَيرٌ أَم مَّن يَأتِي آمِناً يَومَ القِيَامَةِ﴾(٢٩)، قيل ـ والله أعلم ـ : أن الأولى نزلت في أبي جهل، والثانية قيل : هو حمزة (رضي الله عنه)، وقيل : غير ذلك، والله أعلم .

فصل

وأصل التجافي الارتفاع عن الشيء والانتهاء عنه، ولم يستقر الجنب على الفراش من خوف أو وجع، قال الله عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفاً وَطَمَعاً﴾(٣٠)، معناه داعين، والمضاجع: جمع مضجع، وهو الموضع الذي يضطجع عليه وهو الفراش، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون بالصلاة. واختلفوا في المراد بهذه الآية، قال أنس: «نزلت فينا معاشر الأنصار، كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى حالنا حتى نصلي العشاء الآخر مع النبي ﷺ». وقيل عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: ان الملائكة لعله تطوف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين. وقال عطاء: هم الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة. وقيل: هم الذين يصلون العشاء

---

(٢٧) سورة الزمر : ٢٢ .
(٢٨) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٣/٣٢٨.
(٢٩) سورة فصلت : ٤٠ .
(٣٠) سورة السجدة : ١٦ .

الآخرة والفجر في جماعة. وقيل: ذلك قيام الرجل آخر الليل في الثلث الأخير منه، والله أعلم .

فصل

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من صلى العشاء الآخرة في جماعة، كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة»(٣١)، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «لو تعلمون مافي العتمة والصبح لأتيتم اليها ولو حبوتم»(٣٢).

الحبو بضم المهملة الاسم من الاحتباء، والحبوة مايحبو به الانسان، ومتعديه حبوت الرجل حباء بكسر الحاء اذا أعطيته، وحبا الصبي حبوا اذا مشى على أربع، وحبا الشيء اذا دنى، وكل دان حاب، وحب السفينة اذا جرت، وحبا الرمل اذا أشرف على بنائه، هذه الأفعال بفتح المهملة من الماضي وضمه من المستقبل، وكثير غير هذا تركته خوف الاطالة، والله أعلم .

فصل

وروي عن معاذ بن جبل (رحمه الله) قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير، فقلت: يارسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سالت عن عظيم، وذلك يسير على من يسر الله عليه: أن تعبد الله ولاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾، حتى بلغ ﴿... جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣٣)، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: «رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: ألا أخبركم بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يارسول الله، قال : فأخذ بلسانه وقال: كف عنك هذا، فقلت : يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يامعاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا من حصائد ألسنتهم»(٣٤)، والله أعلم .

---

(٣١) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين .
(٣٢) أخرجه ابن حنبل وابن خزيمة .
(٣٣) سورة السجدة : ١٦ ، ١٧ .
(٣٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ١٢ ، وابن ماجه في الفتن ١٢ .

فصـــل

والجنة بضم المعجمة ما استتر به من السلاح كالترس وغيره ونحوه، قال الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُواْ أَيمَانَهُم جُنَّةً﴾، وقاية عن القتل والسبي، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾(٣٥)، صدا وصدودا، أي: منعوا الناس عن الجهاد، ومن الايمان بمحمد ﷺ، والله أعلم. والذروة بضم المعجمة وكسرها أعلا كل شيء، لأن ذروة كل شيء أعلاه، والجمع ذرى بضم المعجمة، وكان القياس أن تجمع على ذرى بكسر المعجمة، لأن فعلة جمعها فعل مثل قطعة وقطع، وحرفة وحرف، ونحو ذلك، وانما جمعت على ذرى بالضم لأن الكلمة من ذوات الواو، ومتولدة من الضم، فبنيت الكلمة على الضم، وكذلك ما أشبهها نحو رشوة ورشا وكسوة وكسا، والله أعلم، والثكل فقدان الحبيب، وأكثر ما استعمل في فقدان المرأة ولدها، يقال: ثكلته أمه ثكلا، فهو ثاكل وثكول، وهو بكسر المهملة من الماضي وضمها من المستقبل، والله أعلم.

فصـــل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم عند ربكم، ومكفرة لسيئاتكم، ومنهاة عن المنكر وخطاياكم»(٣٦)، وقيل عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الصوم بعد شهر رمضان صوم المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(٣٧)، وروي عن النبي ﷺ أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام(٣٨)، ومعنى تابع الصيام، أي شهر بعد شهر، مدة الزمان الا يوم الشك والأعياد، فلا يظن الجاهل مواصلة الأيام بلياليها، ومعنى ألان الكلام، أي: في محله. أي لأهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وأما غير ذلك فلا،لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِم وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَبِئسَ المَصِيرُ﴾(٣٩)، وقال تبارك وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾(٤٠)، فالواو فيه واو استئناف على

(٣٥) سورة المجادلة: ١٦، سورة المنافقون: ٢.
(٣٦) أخرجه الترمذي ٣٥٤٩، مجمع الزوائد ٢/٢٥١.
(٣٧) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.
(٣٨) أخرجه الترمذي وابن كثير في تفسيره ٤/١١٧.
(٣٩) سورة التوبة: ٧٣، سورة التحريم: ٩.
(٤٠) سورة الفتح: ٢٩.

أن ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ والمؤمنين ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، غلاظ عليهم، كالأسد على فريسته، لا تاخذهم منه رافة، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، معناه متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد على الولد، كما قال عز وجل : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٤١)،وأشداء جمع شديد، ورحماء جمع رحيم، والغلظ في الشيء نقيض الرقة، يقال شيء غليظ، أي : ضخيم، وهو بضم المهملتين من الماضي والمستقبل، غلظة بكسر المعجمة ، قال الله عز وجل : ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾(٤٢)، وقريء بفتح المعجمة، وقيل لغة بضمها، والله أعلم .

فصل

وعن النبي ﷺ أنه قال : «من صلى أربعين يوما صلاة الصبح في جماعة، لا تفوته منها تكبيرة، كتب الله له براءتين: براءة من النفاق، وبراءة من النار»(٤٣)، والله أعلم .

فصل

في الذكر : قال الله عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٤٤)، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين، وقيل: المطمئنين الى الله عز وجل، وقيل: الخاشعين، وقيل: المخلصين، وقيل: هم الرقيقة قلوبهم، وقيل: هم الذين لايظلمون، واذا ظلموا لاينتصرون، ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، والله أعلم .

فصل

والاخبات: التواضع والخشوع لله تعالى : أخبت يخبت اخباتا، اذا تواضع وخشع، قال الله عز وجل: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾(٤٥)، معناه فيما قيل ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، أي: التوحيد والقرآن، وقيل: انه التصديق بنسخ(٤٦) الله ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ، يعني أن الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ، أي: يعتقدوا باخلاص النية أنه من الله مما لاشك ولا ريب ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: فتسكن اليه قلوبهم وتطمئن به، والله أعلم .

(٤١) سورة المائدة : ٥٤ .
(٤٢) سورة التوبة : ١٢٣ .
(٤٣) انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/١٦، وكنز العمال حديث رقم ١٩٣١٢ .
(٤٤) سورة الحج : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤٥) سورة الحج : ٥٤ .
(٤٦) كذا في الأصل : والمعنى غامض، ولعل المراد : بفتح .

فصـــل

وقـال الله عـز وجل في آية أخـرى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَـمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾(٤٧)، أي: خـشـعـوا وأخلـصوا واطمانوا اليه، من الخبت، وهي الأرض المطمئنة، والخـبت المفـازة وجمعـه خبوت، قال مروة بن مستك المرادي(٤٨) في همذان وبني الحـارث، وكانوا تحالفوا على حرب مراد :

حليفان منهما وبر ونعامـة ولا تقتل الليث النعامـة والوبـر
فارض النعام كل خبت مفازة وأرض الوبار كل حزن والجبل الوعر

حليـفـان تثنيـة حليف فعيل بمعنى فاعل ومحله الرفع، أي: تحالفا على ذلك الفعل، وسماهما وبرا ونعامة في نهاية الذل، والوبر دؤيبة وجمعها وبار وهي تسكن الجـبـال: والوبر بفتح المعجمة شعر الابل والجمع أوبار، قال الله عـز وجل: ﴿وَمِن أَصـوَافِـهَا وَأَوبَارِهَا وَأَشعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾(٤٩)، يعني أصـواف الضان والابل وأشـعـار المعـز، والكنايات راجـعة الى الأنعام. وأمـا الأثاث ، قـيل : انه مـايلبس ويفرس، وقيل: الأثاث المال جمع من الابل والغنم والعـبـيد، قال الله عز وجل في آية أخرى : ﴿وَكَم أَهلَكنَا قَبلَهُم مِّن قَرنٍ هُم أَحسَنُ أَثَاثاً وَرِئياً﴾(٥٠)، أي: مـتـاعـا وأموالا، وقيل: لباسا وثيابا، وأما قـولـه: ﴿وَرِئياً﴾ ، قرأ أغلب المفسرين بالهمز، أي: منظرا من الرؤية، وقرأ ابن عامر وحفص ونافع وغيرهم ﴿وَرِيّاً﴾ مشددا بغير همز، وله تفسيران أحدهما هو الأول: الذي بمـعـنى المنظر، والثـانـي: هو أمر الري الذي هو ضد العطش، ومـعناه الارتواء من النعـمـة، فـان المنعم تظهـر فـيه ارتواء النعمة، والفقير تظهر عليه ذيول الفقر، والله أعلم. رجعنا الى تفسير البيتين.

وأمـا قـولـه : «ولايقـتل الليث النعامة والوبر» معناه لايقتلان الأسد مع ضـعـفـهما وقـوة الأسد. وقوله : «فارض النعام كل خبت مفازة» معناه لأن النعـام لايسكن الا في المفـازة التي هي بعـيـدة المسـافـة والمكان الخـالي، وأما الحـزن بفـتح المهـملة الأولى وجـزم المعجمة وهو ماغلظ من الأرض، وجمعه حزون، وقوله: «الجبل الوعر» عسر الصعود والهبوط، والله أعلم .

---

(٤٧) سـورة هود : ٢٣ .
(٤٨) انظر ترجمته في الملحق .
(٤٩) سورة النحل : ٨٠ .
(٥٠) سورة مريم : ٧٤ .

فصـــل

وأمـا الاخـبـات والخـبت قد أتيت به وكذلك الفعل المهمز، وأما بغير همز خبت النار تخبو خبوا اذا سكن لهيبها قال الشاعر :

وكنا كالحريق أصاب غابا فتخبوا ساعة وتهب ساعا

وقـال الله عـز وجل في مـعنى الخبو : ﴿مَّأْوَاهُم جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدنَاهُم سَعِيراً﴾(٥١)، أي: سكن لهيـبها، وقيل: ضعفت ، وقيل: هو الهدوء من غير أن يوجـد نقصان في ألم الكفار، لأن الله عز وجل يقول : ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنهُم وَهُم فِيهِ مُبلِسُونَ﴾(٥٢)، لايخـفـف عـنـهـم مـن فـترت عنه الحـمى اذا سكنت قليـلا، والتركـيب للضـعف، ومـعنى ﴿مُبلِسُونَ﴾، أي: آيسون من النجاة، والله أعلم، وقـيل: ﴿كُلَّمَا خَـبَتْ﴾، أي: أرادت أن تخبـو ﴿زِدنَاهُم سَـعِيراً﴾، أي : وقودا، وقـيل: المراد من قـولـه : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾، أي: نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا ماكانوا عليه(٥٣)، قـال الله عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُم جُلُوداً غَيرَهَا﴾(٥٤)، غير الجلود المحترقـة، قـال ابن عـبـاس: «يبدلون جلودا غيرها كامثـال القـراطيس». وروي في الحـديث: «ان هذه الآية قـرئت عند عـمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فـقـال عـمـر للقـاريء : أعدها، فاعادها، وكان عنده مـعـاذ بن جـبل (رضي الله عنه)، فـقال معاذ: عندي تفسيرها «يبدل في ساعة مـائة مـرة»، قـال عـمر: هكذا سمعت رسول الله ﷺ، قال الحسن: «تاكلهم كل يوم سـبـعين ألف مرة، كلما أكلتهم، قيل: عودوا فيعودوا كما كانوا».

فصـــل

وفي الحـديث عن النبي ﷺ أنه قـال : «مابين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»(٥٥)، وقـيل أيضـا عنه ﷺ أنه قـال: «ضرس الكافر أو قـال: ناب الكافر مثل أحد»(٥٦)، وهـو جـبل أسـفل المدينة مع قبر حمزة بن عبدالمطلب عمّ النبي ﷺ، وهو بضم المهملتين، والله أعلم .

فصـــل

قـولـه عـز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذكُرُواْ اللهَ ذِكـراً كَـثِيراً وَسَبِّحُوهُ

(٥١) سـورة الاسراء : ٩٧ .
(٥٢) سـورة الزخرف : ٧٥ .
(٥٣) لعل المراد : كما كانوا عليه، أي الى الحالة التي كانوا عليها .
(٥٤) سورة النساء : ٥٦ .
(٥٥) أخرجه ابن حجر في الفتح ١١/٤١٥.
(٥٦) أخـرجه الترمذي في سننه، والبيهقي في السنن الكبرى .

بُكرَةً وَأَصِيلاً﴾(٥٧)، قال ابن عباس: «لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه، ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها، فقال : ﴿فَاذكُرُواْ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُم﴾(٥٨)، بالليل والنهار، في البر والبحر، في الصحة والسقم، والسر والعلانية، وقيل: الذكر الكثير لاينساه أبدا، ومعنى ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً﴾، أي: صلوا له صلاة الصبح، ﴿وَأَصِيلاً﴾، صلاة الظهر والعصر والعشائين، وقيل: معناه قول: سبحان الله ، والحمدلله، ولا اله الا الله، [والله] أكبر، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وأما قوله: ﴿اذكُرُواْ﴾، ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾، موجهات الى البكرة والأصيل، كقولهم: صم وصل يوم الجمعة، والتسبيح من جملة الذكر، وانما اختصه بين أنواعه اختصاص جبرائيل وميكائيل من بين الملائكة، ليبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عما لايجوز عليه من الصفات، ومثال فضله على غيره من الأذكار، فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات.

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيكُم وَمَلَائِكَتُهُ﴾(٥٩)، فتفسير الصلاة قد أتيت(٦٠) ذكرها في باب صلاة الموتى. وفي الحديث عن موسى النبي عليه السلام: «ان بني اسرائيل قالت له: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله عز وجل اليه أن قله لهم : اني أصلي، وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت كل شيء»، وقيل: الصلاة من الله اشاعة الذكر الجميل له في عباده، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة.

فصل

وفي الحديث عن أنس أنه لما نزلت هذه الآية، قوله تعالى : ﴿تَحِيَّتُهُم يَومَ يَلقَونَهُ سَلَامٌ﴾(٦١)، يعني يلقون ملك الموت، لايقبض روح مؤمن الا سلم عليه. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة، وتبشرهم حين

(٥٧) سورة الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢.
(٥٨) سورة النساء : ١٠٣ .
(٥٩) سورة الأحزاب : ٤٣ .
(٦٠) لعل الصواب : قد أتيت على ذكرها .
(٦١) سورة الأحزاب : ٤٤ .

يخرجون من قبورهم. وقيل: غير ذلك، وهو لاينساغ في العقول، ولا منه فائدة، ولا محصول، فلا يظن الجهول ذلك القول مقبولا، ولا عن الأخيار منقولا، وهو قول تكذبه الآيات الواضحة، والدلائل النيرة اللائحة، والله أعلم.

فصل

قوله تبارك وتعالى في صفة التحية : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾(٦٢)، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ، ويقولون: «السام عليك» والسام الموت، وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليكم، وكان النبي ﷺ يرد عليهم ويقول: «وعليكم»، فاذا خرجوا قالوا في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول، قال الله عز وجل: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٦٣).

فصل

وقيل في الحديث عن عائشة (رضي الله عنها): «أن اليهود أتوا النبي ﷺ [.....](٦٤): السام عليك، فقال النبي عليه الصلاةوالسلام، وعليكم، فقالت عائشة (رضي الله عنها) : السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال النبي ﷺ: عليك بالرفق، واياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ماقالوا؟ قال: أو لم تسمعي ماترددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولايستجاب لهم في»(٦٥)، والله أعلم، وكثير من هذا تركته خوف الاطالة .

فصل

قال الله عز وجل : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٦٦)، أراد بذلك ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على مايستقبل من أمور الآخرة وفي طلبها ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على تمحيص الذنوب، أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الصبر على أداء الفرائض، وقيل: الصبر الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر والصلاة، وذلك أن الصوم يزهده في الدنيا، والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة، كما قال الله عز وجل : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٦٧)، أمره أن يأمر أهل بيته والتابعين له، بعد ما أمره بها ليداوموا على أدائها

---

(٦٢) سورة المجادلة : ٨ .
(٦٣) سورة المجادلة : ٨ .
(٦٤) سقطت من الأصل عبارة : فقالوا .
(٦٥) أخرجه البخاري وأحمد .
(٦٦) سورة البقرة : ٤٥ .
(٦٧) سورة طه : ١٣٢ .

ومحافظتها، وقيل: معناه استعينوا بانتظار التجرح والتقرح توكلا على الله، ومعنى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ، أي : الاستعانة ، وقيل: الصلاة ، وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها، واستجماعها ضروبا من الصبر أو حمله ما أمروا به ونهوا به عنها، ومعنى ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة شاقة ، لقوله عز وجل: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُم إِلَيهِ﴾(٦٨)، وأما قوله عز وجل : ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، يعني المؤمنين كما قال الله عز وجل: ﴿قَد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُم فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ....﴾، الى قوله : ﴿..... أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾(٦٩).

فصل

وأصل الخشوع السكون، قال الله عز وجل : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلاَ تَسمَعُ إِلاَّ هَمساً﴾(٧٠)، صوتا خفيفا، وهو صوت وطء الأقدام الى المحشر على بعض القول، وقيل عن ابن عباس (رضي الله عنه): «هو تحريك الشفاه من غير نطق»، ومن طريق آخر في المنقول عن الرسول ﷺ أنه قال: «لايكون صوت الا صوت الصور»، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلاَ تَسمَعُ إِلاَّ هَمساً﴾، والهمس صوت الصور، والله أعلم بأعدل الأقاويل .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿قَد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٧١)، قرأ ورش عن نافع ﴿قَد أَفلَحَ﴾ بالفاء حركة الهمزة على الدال المهملة وحذفها، وقريء قد أفلحوا، على لغة أكلوني البراغيث، أو على الابهام والتفسير، وأفلح اجتزاء بالضمة على الواو، وأفلح على البناء للمفعول، والله أعلم، فالذي جاء في الحديث عن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «كان اذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي نسمع عند وجهه صوتا كدوي النحل، فمكث ساعة»، وفي رواية أخرى: «فنزل عليه يوما فمكث ساعة واستقبل القبلة، ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا»، ثم قال: لقد أنزل علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَد أَفلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الى عشر آيات.

---

(٦٨) سورة الشورى : ١٣ .
(٦٩) سورة المؤمنون : ١ ـ ١٠ .
(٧٠) سورة طه : ١٠٨ .
(٧١) سورة المؤمنون : ١ .

فصـــل

وأمـا قوله : «آثرنا ولا تؤثر علينا»، معناه قدمنا ولا تقدم علينا لأن آثر الرجل الشيء اذا قـدمه، قال الله عز وجل: ﴿وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنيَا﴾(٧٢)، وفي آية أخـرى، ﴿بَل تُؤثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيَا﴾(٧٣)، والله أعلم، وأمـا قـوله عز وجل : ﴿قَد أَفلَحَ المُؤمِنُونَ﴾، ﴿قَد﴾ حرف تاكيد، وقال بعضهم، ﴿قَد﴾ تقريب الماضي من الحـال، يدل على أن الفـلاح قد حصل لهم، وأنهم عليه في الحال، وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل. والفلاح هو النجاة .

فصـــل

وقـال الله عـز وجل : ﴿الَّذِينَ هُم فِي صَلَاتِهِم خَاشِعُونَ﴾(٧٤)، قد مضى تفـسير الخـشـوع، وسأذكـر الذي لم يذكـر، قال ابن عباس (رضي الله عنه): مـعناه مخبـتـون أذلاء، وعن علي بن أبي طالب معناه : هو أن لايلتفت يمينا ولا شمالا، وقـيل: الخـشـوع في الصـلاة من لايعـرف من على يمـينه ولا عن شماله، وقـيل عن عـائشـة (رضي الله عنها) قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(٧٥)، وروي في الحـديث عن أبي ذر (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: «لايزال الله مـقـبـلا على العـبـد مـاكـان في صـلاته مـالم يلتـفت، فـاذا التفت أعرض عنه»(٧٦)، معناه لم تقبل صلاته، ولم يثبه عليها، لأن الله عز وجل لايوصف بهذه الصـفـة الا اذا كـان مـعناه عـدم القبول، والله أعلم، وقيل: الخشوع أن [لا](٧٧) ترفع بصرك عن مـوضع سـجـودك، لأنه فـيما قـيل: كان أصحاب النبي ﷺ يرفـعون أبصارهم الى السماء، فلما نزلت هذه الآية رموا بابصارهم الى مـوضع السـجـود. وروي عن النبي ﷺ أنه قـال: «مـابال قـوم يرفـعون أبصـارهم الى السماء في الصـلاة، فـاشتد قوله في ذلك حتى قال : لينتهين عن ذلك أو ليخطفن أبصارهم»(٧٨). وروي عن النبي ﷺ أنه أبصر رجـلا يعبث بلحـيته في الصلاة، فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»(٧٩)، وروي

---

(٧٢) سـورة النازعات : ٣٨ .
(٧٣) سورة الأعلى : ١٦ .
(٧٤) سـورة المؤمنون : ٢ .
(٧٥) أخرجه ابن حنبل والنسائي .
(٧٦) أخرجه ابن حنبل .
(٧٧) اللام النافية زيادة يتطلبها سياق الكلام .
(٧٨) أخـرجه الكثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٩/ ٧٢.
(٧٩) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٨٩، الألباني في ارواء الغليل ٢/ ٩٢، المندي: كنز العمال حديث رقم ٥٨٩١.

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه»(٨٠). ونظر الحسن الى رجل يعبث بالعصى وهو يقول : اللهم زوجني بالحور العين، فقال: بئس الخاطب أن يخطب وانت تعبث. وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها والتدبر والتفقه فيما يجري على لسانه فيها من القراءة والذكر لله عز وجل، وأما قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغوِ مُعرِضُونَ﴾(٨١)، قيل: عن الشرك، وقيل: عن كل لهو وباطل من جميع المعاصي، وقيل: هو معارضة الكفار من الشتم والسب فيهم، كقوله جل وعلا : ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾(٨٢)، أي اذا سمعوا القبيح أكرموا أنفسهم أن يدخلوا فيه وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغوَ أَعرَضُواْ عَنهُ﴾(٨٣)، وذلك أن المشركين كانوا يسبون المؤمنين من أهل الكتاب، ويقولون: تبا لكم تركتم دينكم، فيعرضون عنهم ولايردون عليهم شيئا. وأما قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُم لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(٨٤)، أي: للزكاة الواجبة مؤدون، وقيل: الزكاة هاهنا العمل الصالح، والله أعلم بذلك، وأما قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزوَاجِهِم أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُهُم﴾(٨٥)، أي: يحفظون فروجهم من الزنا وركوب الحرام ﴿إِلاَّ عَلَى أَزوَاجِهِم﴾، والأزواج جمع زوج وهي الزوجة، كما قال الله عز وجل: ﴿أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ﴾(٨٦)، ومعناه ﴿إِلاَّ عَلَى أَزوَاجِهِم﴾ الذين تزوجوا على حكم كتاب الله عز وجل المنزل، وسنة نبيه المرسل، وبولي وعدلين أو أربعة من سائر الناس. وقوله : ﴿وَمَا مَلَكَت أَيمَانُهُم﴾(٨٧)، يعني الإماء دون الحرائر، اذا ملك الرجل الأمة بتسر أو هبة أو غنيمة فيستبرئها حيضتين، ان كانت ممن تحيض، والا فخمسة واربعون يوما، وينوي ويقول: اللهم نيتي واعتقادي اني أستبريء أمتي فلانة بخمسة وأربعين يوما ان كانت ممن لا تحيض، والا بحيضتين، ثم يطاها عند دخول

(٨٠) أخرجه أحمد بن حنبل ٥/ ١٥٠، الألباني، ارواء الغليل ٢/ ٩٧.
(٨١) سورة المؤمنون : ٣ .
(٨٢) سورة الفرقان : ٧٢ .
(٨٣) سورة القصص : ٥٥ .
(٨٤) سورة المؤمنون : ٤ .
(٨٥) سورة المؤمنون : ٥ ـ ٦ ، سورة المعارج : ٢٩ ـ ٣٠ .
(٨٦) سورة الأحزاب : ٣٧ .
(٨٧) سورة المؤمنون : ٦ .

الثالثة، والله أعلم وبه التوفيق، وهذه الآية في الرجال، ولايجوز للمرأة أن تستمتع بفرج مملوكها، والله أعلم .

فصل

فسحوا، اخواني، دم الاستعبار، وألبسوا مغفر الاستغفار، وجاهدوا باموالكم وأنفسكم لعلكم تفلحون، وحافظوا على صلواتكم وجميع أموالكم، وتدبروا في كتابي هذا ولا تلقوه وراء ظهوركم هزؤا ولعبا، لأنه جد ولا هزل، حق ولا باطل، قد حيك من عهن معاني الآيات، ورتب على قواعد الدلالات، والله أعلم بالصواب.

فصل

ومن جامع أبي محمد (رحمه الله) قال: فرائض الصلاة التي لاتتم الا بها، وهي سبعة خصال: النية، والطهارة، والسترة الطاهرة، وطهارة الموضع الذي يستقر عليه المصلي، والعلم بالوقت، والتوجيه الى الكعبة، والقيام منتصبا عند فعل الصلاة، السترة بضم السين، ما يستر به.

فالحجة في وجوب النية قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٨٨)، وقول النبي ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله»(٨٩)، معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن نية المؤمن في العمل خير من عمل بلا نية، الدليل على ذلك قوله جل ذكره : ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾(٩٠)، لا ليلة القدر فيه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «يحشر الناس يوم القيامة باعمالهم»(٩١)، والحجة في وجوب الطهارة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾(٩٢) الآية، والحجة في وجوب ستر العورة قوله جل ذكره : ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾(٩٣)، فاقول من غير رد مني على الشيخ (رحمه الله): يعني الثياب الطاهرة التي تواري العورة، لأنه جاء في الحديث أن بني عامر كانوا يطوفون بالبيت عراة، فانزل الله عز وجل هذه الآية.

---

(٨٨) سورة البينة : ٥ .
(٨٩) أخرجه الكثيرون، انظر موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ٩٢.
(٩٠) سورة القدر : ٣ .
(٩١) أخرجه أحمد بن حنبل وغيره ، انظر موسوعة أطراف الحديث ١١/ ٢٩٢.
(٩٢) سورة المائدة : ٦ .
(٩٣) سورة الأعراف : ٣١ .

فصـــل

قـال الشـيخ أبو محمـد (رحمه الله) وأجمع أصحابنا أن المصلي اذا صلى وهو عريان ويجد السبيل الى السترة الطاهرة أن صلاته باطلة، وما جاءت به السنة يؤكد ماقلنا، وهو قول النبي ﷺ: «ملعون من نظر الى فرج أخيه»(٩٤) أو قـال: «عـورة أخـيـه»، والحجة في وجوب طهارة الثوب هو ظاهر التنزيل، قوله تبارك وتعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٩٥)، وقـوله عز وجل: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾، والزينة لا تكون نجسـة مسـتقذرة، وأجمعت الأمة أنه لايجـوز أن يـصـلي بـالثـوب النجس مع الامكان لغيره، والحـجـة في طهـارة الموضع قـوله تعـالى : ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾(٩٦)، وهو الطاهر، وقـول النبي ﷺ: «جـعلت لي الأرض مسـجدا، وترابها طهورا»(٩٧)، والمسـجـد ما استقرت عليه مساجد المصلي، فاقول من غير رد مني على الشيخ (رحمه الله): المسـاجـد جمع مـسجد بفتح المعجمة وهي الأعضاء، قال الله عز وجل ذكـره : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللّهِ أَحَداً﴾(٩٨)، فعلى هذا القول: أراد به السـبعة الأعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي : الجبهة ، واليدان، والركـبـتـان، والقـدمان، نقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود هي آلة مخلوقـة لله، فـلا يسجد عليها لغيره. الدليل على ما قلنا ماروي عن النبي ﷺ أنه قـال: «أمرت أن أسجد على السبعة الأعضاء ولا أكف ثوبا ولا شعرا»(٩٩). وقـال بعض: مـعنى المسـاجـد هاهنا، المواضع التي بنيت للصـلاة وذكر الله، الدليل على مـاقلنا مـارفع الحديث أن الجن قالت للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسـجـد وأن نشـهـد مـعك الصـلاة ونحن ناؤون عنك؟، أي: بعيدون. وقال بعـضـهم: المسـاجـد بقـاع الأرض كلهـا، وعندي أن القولين الأولين أعذب في القلب، والله أعلم، رجعنا الى قول الشيخ أبي محمد (رحمه الله).

فصـــل

قال الشيخ أبو محمد (رحمه الله): ونهى النبي ﷺ عن الصلاة في معاطن الابل والمزابل والطرقـات ما(١٠٠) يدل على أنه لايصلي الا على البـقعة الطاهرة،

---

(٩٤) أخرجه الامام الربيع بن حبيب ٢/ ٦٥.
(٩٥) سورة المدثر : ٤ .
(٩٦) سورة النساء : ٤٣، سورة المائدة : ٦ .
(٩٧) أخرجه أحمد بن حنبل .
(٩٨) سورة الجن : ١٨ .
(٩٩) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .
(١٠٠) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٧١، انظر غيره في موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ١٤٧.

والحجة في وجوب الصلاة بعد العلم بدخول الوقت، وأنه لايجوز الا على غير علم، قول الله جل ذكره: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ﴾(١٠١)، يعني زوالها، فافادنا بهذه الآية مواقيت الصلاة دلالة على العلم بها. ومن اتفاق الأمة مايدل على صحته أنهم أجمعوا أن الله جل ذكره لايتعبدهم بمجهول. والحجة في وجوب التوجيه الى الكعبة ما قال الله جل ذكره: ﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَاكُنتُم فَوَلُّواْ وُجُوهَكُم شَطرَهُ﴾(١٠٢). والحجة في وجوب القيام، قول الله جل ذكره : ﴿وَقُومُواْ لِلهِ قَانِتِينَ﴾(١٠٣). وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم﴾(١٠٤)، فافادنا بهذه الآية أحوال المصلي، فحال القيام مع المقدرة، وحال القعود مع العجز، وحال الاضطجاع مع المرض وعدم الاستطاعة، والدليل على ذلك قول الله : ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُواْ لِلهِ قَانِتِينَ﴾(١٠٥)، يعني راغبين، وقيل: دائمين، وقوله عز وجل: ﴿يَامَرِيَمُ اقنُتِي لِرَبِّكِ﴾(١٠٦)، معناه القيام لربك، انقضى الذي وجدته عن الشيخ أبي محمد (رحمه الله).

فصل

والقنوت على وجوه كثيرة ، وأتيت بعضه(١٠٧) في أول الباب، وقد تاول مخالفونا أن القنوت ادامة الذكر والدعاء في الصلاة، وقد شاهدتهم في ذلك يعلنون بالدعاء اذا ارتفعوا من ركوعهم في صلاة الفجر، وقد اتفق أصحابنا أنه لايجوز الدعاء من كلام المخلوقين في الصلاة الا أدعية القرآن، والحجة في ذلك ماروي عن النبي ﷺ أنه قال : «صلاتنا هذه لايحسن فيها كلام المخلوقين»(١٠٨)، معناه لا يجوز فيها، ولايجوز كلام المخلوقين، فان قال قائل: ان توجيه النبي ﷺ من كلام المخلوقين، قلنا له ذلك بعد تكبيرة الاحرام، لأنه يحرم العبث والحركات بعد تكبيرة الاحرام وهي افتتاح

---

(١٠١) سورة الاسراء : ٧٨ .
(١٠٢) سورة البقرة : ١٤٤ .
(١٠٣) سورة البقرة : ٢٣٨ .
(١٠٤) سورة آل عمران : ١٩١.
(١٠٥) سورة البقرة : ٢٣٨.
(١٠٦) سورة آل عمران : ٤٣ .
(١٠٧) لعل الصواب : وأتيت ببعضه .
(١٠٨) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي .

الصلاة، الدليل على ذلك ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم»(١٠٩)، فقويت حجتنا بهذا الخبر، وشاع في العقل والنظر، وقد أبطل أصحابنا صلاة من يوجه بعد تكبيرة الاحرام(١١٠)، والله أعلم .

فصل

فاجتهدوا، اخواني، في صلاتكم، ﴿وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(١١١)، لأنه يروى في الحديث: «ان أول ماينظر الى عمل المرء يوم القيامة، الصلاة، فان وجدت تامة قبلت منه، وقبل سائر عمله، وان وجدت ناقصة ردت عليه، وسائر عمله»، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)كان يكتب الى عماله: «ان أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها، فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها ، فهو لما سواها أضيع». وقد عير الله أقواما وتوعدهم بالوعيد الشديد والعذاب بتضييعهم بعض حقوقها، فكيف التارك لها؟»، فقال الله عز وجل : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(١١٢)، قال وهب : الغي نهر في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه. وفي الحديث عن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه قال: من تهاون بالصلاة ثلاثة أيام مع لياليها عاقبه الله بخمس عشرة خصلة، ستة في حياته، وثلاثة عن موته، وثلاث في قبره، وثلاث في المحشر، أما اللواتي في الحياة، فنزع البركة من عمره ومن رزقه، وبنزع سيم الصالحين من وجهه، ولايستجاب له دعاؤه، ولايقبل عمله، ولايجد ثواب عمله. وأما اللواتي عند الموت: فانه يموت جيعانا، عطشانا، ذليلا، وأما اللوتي في القبر: فضيق القبر، وظلمته، وعذابه في البرزخ حتى تقوم الساعة، وأما اللواتي عند الحشر: فيسحب على وجهه، ويعذب عذابا أليما، وينادي عليه مناد هذا جزاء من ضيع ما افترض الله عليه.

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «الصلاة مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، وأصل الايمان، واجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحة في الأبدان، وسلاح على الأعداء، وكراهية الشيطان،

(١٠٩) أخرجه الربيع وغيره .

(١١٠) المسألة خلافية ، وان كان المعمول به ماذكره المصنف، وان كان فعل ذلك لايؤدي الى البطلان.

(١١١) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(١١٢) سورة مريم : ٥٩ .

وشفيع عند الموت، وسراج في القبر، وفراش لجنبه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس معه، وزائر له في قبره، فاذا كانت القيامة، صارت الصلاة ظلا فوقه، وتاجا على رأسه، ولباسا على بدنه، ونورا يسعى بين يديه. وسترا بينه وبين النار، وحجة بين يدي الرب تعالى، وثقلا في الميزان، وجوازا على الصراط، ومفتاحا للجنة»، لأن الصلاة تحميد وتسبيح وتمجيد وتعظيم وقراءة ودعاء، فيها يتوصل العبد الى الملك الأعلى، وبها يصرف عنه البلاء، كما حكي في الخبر: أن آدم عليه السلام نزلت به قرحة في ابهام رجليه، ثم ارتفعت الى قدميه، ثم ارتفعت الى رجليه، ثم الى حقويه، فقام يصلي، فنزلت الى قدميه، ثم قام يصلي ، فذهبت من جميع بدنه.

فصل

وروي عن الله عز وجل في الكتب السالفة أنه قال : «ليس كل مصلي تقبل صلاته، انما تقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتكبر علي، فاطعم الجائع لوجهي»، وقال عليه الصلاة والسلام : «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد بها من الله الا بعدا»(١١٣)، وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: قال داود عليه السلام: الهي من يسكن بيتك، ومن تقبل منه صلاته؟، فأوحى الله اليه: انما يسكن بيتي، وأتقبل عنه الصلاة من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، يطعم الجائع ويؤوي الغريب، ويرحم المصاب، فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس، فان دعاني لبيته، وان سألني اعطيته، أجعل له في الجهل علما، وفي الغفلة ذكرا، وفي الظلمة نورا، وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان، لاتجف أنهارها، ولا تتغير ثمارها، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى صلاة لوقتها فاسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني، ومن صلى الصلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، عرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، حتى اذا كانت بحيث ماشاء الله، لفت كما يلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجه صاحبها»(١١٤)، والله أعلم .

---

(١١٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ع٥، والسيوطي في الدرر المنثورة ١٦٠ .
(١١٤) أخرجه العراقي والطبراني والطيالسي، انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/ ١٢ ـ ١٣ .

فصـــل

اسـبـاغ الوضـوء: مـبالغته وتمامه ومثله قول الله عز وجل : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيكُم نِعَـمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١١٥)، أي: أتم وأكمل عليكم نعـمـه، قـرأ أهل المدينة وأبو عـمـرو وأبو حـفص بفـتح العين وضم الهاء على الجـمع، وقـرأ الآخـرون منونة على الواحـد، ومـعناه الجـمع، كقوله عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعمَتَ اللهِ لَاتُحصُوهَا﴾(١١٦). وأما النعمة الظاهرة ، فالذي ذكر في الحديث أنها الاسـلام والقـرآن، والبـاطنة الاعـتقاد الخالص بالقلب، وقيل: الظاهرة ظهور الاسـلام والنصر على الأعـداء، والبـاطنة الامـداد بالملأ. وقـيل: الظاهرة اتباع الرسول، والباطنة محبته. وقيل: غير ذلك تركته خوف الاطالة .

فصـــل

وأمـا كيفية الدخول في الصلاة ، فالواجب عليك أيها المصلي أن تطهر أولا من جميع الأنجـاس، وتسـبغ وضـوءك أحـسن الاسـباغ، وتدبر ذلك أحسن التـدبير، وقـد بينت ذلك في الباب الذي قبل هذا ـ باب الطهارة ـ فاذا تطهرت وأحـسنت الطهارة، وتوضأت أحسن الوضوء، فاقصد الى الصلاة سادما وجلا باكـيـا، خائفا من عدم القبول، مسرورا متباشرا بمناجاة سيدك وأنت تتقاصر في خطاك لتكثـر الحـسنات، لأنه جـاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من توضا فاحـسن الوضـوء ثم قصد المسجد، لم يرفع رجله اليمنى الا كتبت له حـسنة، ولا يضع رجله اليسرى الا محيت عنه سـيئة، حتى يأتي المسجد أو ليتباعد، فاذا صلى الصلاة، انصرف وقد غفر له»(١١٧). فاذا قصدت الى المسجد فاول ماتقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن ما جاء به محمد فهو الحق المبين، ثم تقرأ: ﴿إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ﴾(١١٨)، وبعـد ذلك تقـول(١١٩) تناجي سـيـدك بحـلاوة وبيـان وتدبر وتـفـكـر، واياك أن تكون أول مـبـاشرتك المناجـاة بالكذب، لأنك اذا قلت ذلك باللسـان ولم ينته قولك الى الجنان كنت كالكاذب، ومن كذب فقد عصى، ومن عـصى فقد انتقض وضوؤه، ويقول مع ذلك: لا اله الا أنت سبحانك اني كنت مـن الظالمين، اللهم اغـفـر لي ذنوبي وتب عليَّ انك أنت التـواب الرحـيم، اللهم

(١١٥) سورة لقمان : ٢٠.
(١١٦) سورة ابراهيم : ٣٤، سورة النحل : ١٨ .
(١١٧) أخرجه الزبيدي في الاتحاف ٣/ ١١، والمندي في كنز العمال ، حديث رقم ٢٠٣٠٨.
(١١٨) سورة القدر : ١ .
(١١٩) لعل الصواب : تقوم .

اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين، اللهم اجعلني عبدا طهورا، واجعلني صابرا شكورا، واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ثم تذكر الله ما استطعت ولا تفتر عن التسبيح حتى تاتي المسجد، فاذا أردت الدخول في المسجد فابدأ برجلك اليمنى، وقل: بسم الله، والحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أولياء الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وليكن قلبك حاضرا مقبلا على صلاتك بكلية همتك، واقطع علائق الدنيا واشتغالها وأحوال أمورها، واذكر مع ذلك المناقشة يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، وخف الله حق الخوف، واستشعر الصبر والخشوع والتواضع والتذلل والانقياد، وأظهر المسكنة والافتقار، لأنك واقف بين يدي رب عظيم، يقبل القليل، ويعطي الجزيل، ولاتاتي الصلاة وأنت كسلان، ولا غضبان ولا جيعان ولا ظمآن ، حتى تستقيم العبادة وتحصل الافادة، لأن سيدك خصك بهذه الخدمة ليجزل لك أفضل النعمة، وهي تتضمن على جميع طاعة المتعبدين من الملائكة المقربين، لأن الله عز وجل ﴿خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَاتٍ﴾(١٢٠)، وأفعمها بالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفتُرُونَ﴾(١٢١)، فتعبدهم بانواع العبادات. فاهل سماء قيام حتى ينفخ في الصور ، وأهل سماء ركع، وأهل سماء سجد، وأهل سماء خضع، وأهل عليين و﴿مِن حَولِ العَرشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم﴾(١٢٢)، ﴿وَيَستَغفِرُونَ لِمَن فِي الأَرضِ﴾(١٢٣) من المؤمنين، فجمع الله تلك العبادات في الصلاة، وأجزل على مؤديها من الكرامة أضعافا مضاعفة. فاذا أردت الصلاة، فلتكن نيتك الخدمة لله تعالى على معنى العبودية، مقرا له بالربوبية، وانتصب الى الصلاة جاعلا بين رجليك مسقط نعل أو أربعة أصابع، ولا ترفع احدى رجليك عند قيامك، ولتكونا مستوية(١٢٤) في القيام، ولا تلازم بين قدميك، ولا تقعي اقعاء الكلب عند جلوسك وهو أن تجلس مقعدتك ناصبا ركبتين يمينا ولا شمالا [....](١٢٥) إلتفات الثعلب ولا غيره، وليكن نظرك على موضع سجودك، وقيل: يكون

(١٢٠) سورة الطلاق : ١٢. سورة الملك : ٣ .
(١٢١) سورة الأنبياء : ٢٠ .
(١٢٢) سورة الزمر : ٧٥ .
(١٢٣) سورة الشورى : ٥ .
(١٢٤) لعل الصواب : مستويتين .
(١٢٥) سقطت عبارة : ولا تلتفت .

نظرك مايتوجه من قدامك، ولا تعتمد به الى مكان، ولا ترفعه ولا تمله يمنة ويسرة، ولتكن فاترا خاضعا، ولا تفترش في سجودك بذراعيك كافتراش الكلب، ولا تستر وجهك ولا تسدل ثوبك على جنبك فتدخل يديك تحت الثوب، ولا تتكفت بثيابك عند ركوعك وسجودك، ولا تصل وأنت حاقن البول ولا حاقن الغائط، أي مانعهما لئلا يشغلك عن صلاتك، ولا تصل وأنت عجلان لأن الله عز وجل لايقبل صلاة العجلان، وذلك الذي لايتم ركوعها ولا سجودها، ولا تحك ولا تتحرك في الصلاة الا فيما لابد منه باقل حركة، ولا تنفخ بفمك ولا بانفك الا أن يكون يمنعك عن القراءة فتصرفه باقل حركة من ذلك، ولا تتزايد في تثاؤبك ولا في عطاسك، فاذا عطست فقل: الحمد لله ولا تجهر بالحمدلة، واذا منعتك العمامة من سجودك فاصرفها باقل حركة، واذا رأيت شيئا من الدواب مما يقطع صلاتك فارفع يديك باقل حركة كانك تشير اليه بالضرب حتى يسير عنك، وذلك مثل شاة أوسنور أو بقرة أو غير ذلك من الدواب، واذا رأيت عقربا أو أفعوانا فاقتلهما، ﴿وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِت بِهَا وَابتَغِ بَينَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾(١٢٦).

فصل

ولا تكن غافلا في صلاتك، ساهيا، لاهيا بحوائج الدنيا، لأنه قال بعض أهل التفسير في هذه الآية : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَقرَبُواْ الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَى﴾(١٢٧)، أي: سكارى من حب الدنيا، لأن كثيرا من المصلين لم يشرب الخمر ولا غيره من المسكر، وقد أتوا الصلاة وهم سكارى من حب الدنيا، تتقلب قلوبهم باوديتها وشغلها حتى لايدري ماذا صلى، ولا ماترك من الركعات، ولا ماقرأ من الآيات، منتصب الجثة، ساهي القلب، محركا لسانه لم يدر بماذا يحركها، لا يعقل ركوعها ولا سجودها، ولا يتدبر مايقرأ فيها، فما لذلك الا التعب والنصب والقيام، لأنه قال النبي ﷺ : «كم من قائم ماحظه من صلاته الا التعب والنصب»(١٢٨)، وما أراد به الا الغافل عن الاخلاص، وقوله عليه الصلاة والسلام : «ليس للعبد من صلاته الا ماعقل»(١٢٩)، لأن المصلي يناجي الها عظيما، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: للمصلي

---

(١٢٦) سورة الاسراء : ١١٠ .
(١٢٧) سورة النساء : ٤٣ .
(١٢٨) أخرجه الزبيدي : الاتحاف ٣/ ١١٣، العراقي: المغني ١/ ١٥٩.
(١٢٩) أخرجه الزبيدي : الاتحاف ٣/ ١١٢، العراقي : المغني ١/ ١٦٠.

ثلاث خصال: يتناثر على رأسه من عنان السماء الى مفرق رأسه، والملائكة تحويه من لدن قدميه الى عنان السماء، وملك ينادي لو يعلم هذا المصلي من يناجي ما انفلت من صلاته»(١٣٠)، أي : لاحاد عنها ولا رغب في غيرها. فاجعل أيها المصلي كان على رأسك ساقطة، فاذا تهاونت في صلاتك سقطت عليك،وانبذ الدنيا وأهلها وراء ظهرك، واجعل النار بين عينيك كانك تنظرها، فاذا ضيعت صلاتك سقطت فيها، واحسم وسوسة عدوك الملعون بالكلية، واقبل بوجهك على الله، لأنك موقوف بين يديه وهو مطلع عليك، ولا تعرض بوجهك وقلبك عن الله طرفة عين، أما الوجه فيما أمر به من استقبال القبلة لايحاد عنها يمينا ولا شمالا، وأما القلب فحضوره وتدبره للعبادة والتلاوة وحسم غير ذلك من عوارض الدنيا، ألا ترى اذا قابلت ملكا من ملوك الدنيا لتناجيه أترضى أن تعرض عنه ولا تلتفت اليه؟ فكيف وأنت منتصب بين يدي رب عظيم علي كريم، يقبل القليل، ويعطي الجزيل من الثواب؟ فاياك أن تسهو عن مناجاته وذكره وتعجل(١٣١) في خدمته ولم تؤد فرائضه. فاذا انتصبت أيها المصلي كما وصفت لك فاعزم على اجابة الله عز وجل فيما أمرك بالصلاة، وتمام فرائضها، والكف عن مفسداتها ونقائضها، وأخلص عملك لوجه الله رجاء ثوابه وخوف أمر عقابه وطلبا لقربته في حياء من تقصيرك ووجل من تفريطك، فعند ذلك فقل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، أصلي في مقامي هذا الفريضة التي افترضها الله علي وهي صلاة الظهر الحاضرة أربع ركعات متوجها الى الكعبة، أداء الفرض، طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، فان كنت امام الجماعة فقل : اماما لمن يصلي بصلاتي ولم ياتي، وان كنت مأموما فقل : تبعا لامام الجماعة، واياك أن تقول هذا الاعتقاد بلسانك لا بجنانك، فتصير شبيه الكاذب، لأن كثيرا من الناس يصلي لسانه وقلبه ساه فاجر مسود، وذلك لأحد معنيين: أما أن يكون من كثرة همومه واشتغاله بامور الدنيا، لا يشعر قلبه أنه في الصلاة، واما أن يكون أغرق قلبه من لغاب الرياء والعجب والنفاق، والكفر والشقاق فصار يضطرب في ذلك اللغاب اضطرابا شديدا الى أن انطمست عيناه، وصمت أذناه، ومات موتة قبيحة لا يشعر برحب الايمان، ولا حلاوة ذكر الرحمن.

---

(١٣٠) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٥٠.
(١٣١) لعل الصواب : وتتعجل .

فصـــل

أن يخفف مادة ذلك اللغاب بسك السكينة والوقار، ويقطع شقشقة ريائه بصارم الاخلاص في الظاهر والاسرار، ويحسم لهاة لهوه بسكين المسكنة والذكر بالعشي والابكار يبرأ سريعا ان شاء الله. فعند ذلك فقل أيها المصلي : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ـ كل تكبيرتين على حدة ـ أشهد أن لا اله الا الله، أشهد أن لا اله الا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا اله الا الله، سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا اله غيره. فهذا توجيه النبي ﷺ، فلا تتركه لئلا تفسد صلاتك، واياك أن تقول هذا بلسانك لا بجنانك فتصير شبه الكاذب، لأنك اذا قلت : لا اله غيرك بلسانك وبقلبك غير ذلك صرت كاذبا، ومن كذب فقد انتقضت صلاته ووضوؤه. وينبغي لك أن تعتقد بقلبك عند قولك لا اله غيرك وحدانية ربك عن جميع الخلق بالالهية، والربوبية، لايشبه شيئا من خلقه، ولا تشبهه الأشياء، ولا تماثله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾(١٣٢)، وأما قولك: «تبارك اسمك وتعالى جدك»، تعتقد تعظيم الله تعالى ووصفه بجميع الصفات المحمودة الجليلة، الكاملة في ذاته وفعله عز وجل، وينبغي لك أن ترتعد فرائصك ويعرق جبينك ويكثر حنينك بقلبك طلب القبول، ويصفر وجهك من هيبة الله عز وجل، ثم توجه توجيه ابراهيم ﷺ، ولا تتركه فتنتقض صلاتك على قول، وهو : ﴿وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشرِكِينَ﴾(١٣٣)، فاياك أن تقول: وجهت وجهي باللسان دون الجنان. الوجه ها هنا القلب ليس الوجه بعينه، فلو كان الوجه بعينه لكنت متوجها الى جهة الكعبة، والله جل وعلا عن الجهات. فاحذر أن تقول هذا وقلبك متردد في رياض الدنيا ومقاصيرها وغضارتها، فاذا كنت كذلك فوجهك الى جهة الكعبة وقلبك متوجه الى شعاب الدنيا فصرت بهذا كاذبا، فاخاف عليك من نقض الصلاة والوضوء لأن من كذب متعمدا انتقض وضوؤه، ومن انتقض وضوؤه انتقضت صلاته، ومن انتقضت صلاته بطل عمله. وأما قولك : ﴿حَنِيفاً﴾، معناه مسلما مائلا من غير الله. فالواجب عليك أن يخطر بقلبك أن المسلم هو الذي يسلم

(١٣٢) سورة النمل : ٢٦ .
(١٣٣) سورة الأنعام : ٧٩.

المسلمون من يديه ولسانه، فان لم تكن كذلك صرت شبه الكاذب، ولا صلاة لمن كذب، وأما قولك: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فاحذر بقلبك الشرك الخفي وهو مثل الرياء والنفاق والإعجاب، لأن من كانت صلاته رياء وسمعة عند الخلق فهو مشرك بالله، لأن أصل الصلاة لله عز وجل، وقد قلت من قبل: أصلي لله، فان أردت بها قربة الخلائق ورضى الناس فليس هذا من خصال العبادة، لأن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال الا ماكان خالصا لوجهه، لقوله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾(١٣٤)، وأنت قد أشركت بعبادتك رضى الخلائق فلا يستقيم هذا، فكن منتفيا عن هذا الشرك الخفي ليخلص عملك، ثم جدد النية كما وصفت لك من قبل، ثم قل: ان الكعبة قبلتي، الله أكبر، بفتح الألف من الله، ولا تمده لئلا يصير استفهاما، وتمد اللام الثاني ليسمع المأموم، وتضم الهاء في الحال ولا تمدها فتصير واوا، وتبين الألف من أكبر، ولا تمد باء أكبر لئلا يصير اسم شجرة، فهذه تكبيرة الاحرام من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيهﷺ، واجماع الأمة، لانعلم خلافا بينهم غير ذلك، والله أعلم .

فصل

ولا نعلم أن الروم (١٣٥) والاشمام(١٣٦) والادغام(١٣٧) في تكبيرة الاحرام له أصل من الكتب المنقولة عن العلماء المشهورة. فان احتج محتج بأن قال: لم يكن الروم والاشمام والجزم هنا؟ قلنا له من حجج نيرة، ودلائل واضحة مبينة كالشمس الزاهرة، لا تخفى على ذي لب، ومن هذه : الحجة الأولى: أن لايجوز الجزم في الأسماء أبدا، وليس اسم أجل وأعظم من اسم الله عز وجل.

والحجة الثانية: بيان منع جزم الأسماء من كتاب الله عز وجل، وهوالأسم بعينه، مثل: الله أعلم، والله أحد، لايمكن الجزم هنا، والصفة مثل الصفة، والله أكبر على وزن أفعل، لا يتغير الاسم والصفة، ولم يرد بالقرآن

---

(١٣٤) سورة الكهف : ١١٠ .

(١٣٥) الروم : عند القراء والصرفيين عبارة عن النطق ببعض الحركة في الوقف أو عن حركة مختلسة مخفاة .

(١٣٦) الاشمام: هو النطق بحركة صوتية تجمع بين الضمة والكسرة على التوالي السريع بغير مزج بينهما.

(١٣٧) الادغام : هو ادخال حرف ساكن بحرف متحرك يجانسه أو يقاربه في المخرج من غير فصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد .

جـزم الأسماء وكفى بالقرآن حجة لمن اتبعه لقوله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُواْ أَحسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم﴾(١٣٨)، مـا قال الا في اعراب الهاء من تكبيرة الاحرام، فـالواجب اتباعه في أمره ونهيه وأحكامه وسننه، واعرابه لايحاد عنه أبدا.

والحـجـة الثالثة: أنه لايكون الجزم الا بعامل من ذوات الجزم تغيره عن حـركته الأولى وليس هاهنا عامل من ذوات الجزم، فمن المحال أن يدخل الاسم عامل جزم، والله أعلم.

والحـجـة الرابعـة: أنه لايمـر القاريء على ساكن، ولا يقف على متحرك، ولايجوز الوقوف هاهنا فيقع الجزم، والله أعلم.

والحـجـة الخـامـسـة: الحديث الوارد عن النبي ﷺ: «أنه كان اذا افتتح الصلاة قال: الله أكبر»(١٣٩)، ولم يخص بالهاء خـاص. واذا لم يخص بالهاء خاص في عام، فهو على أصله وأساسه، ولو ورد الخبر أن النبي ﷺ جزم هذه الآية من تكبيرة الاحرام لقدسنا النبي ﷺ، وتوهمنا أن الرواي تقول عليه.

والحـجـة السادسة: أن اجماع العلماء الأولين (رحمهم الله) على ضم هذه الهاء لانعلم بينهم اختلافا في جزمها ولا في رومها ولا في اشمامها أبدا.

والحـجـة الـسـابعة: لايجوز أن ينقص اسم الله من الاعراب وجميع كلام الصـلاة مـعرب اعرابا بينا، والهاء من اسم الله مجزومة مخالفة اعراب القرآن وأصول العربية، فكفى بالقرآن حجة.

والحـجـة الثامنة: أن من قال قولا لايجوز اتباعه الا بحجة ودلالة يبينها من كـتاب الله عز وجل، وسنة النبي ﷺ واجماع العلماء وأصول العربية لأن من لم يات لقوله بحجة ودلالة فلا قول له.

والحـجـة التاسعة: أن الروم محجور من الرفع، واختلف في النصب. وأما المراد بالروم فهو يدخل الجر وليس هاهنا جر، فبطل الروم بهذه الحجة.

والحـجـة العاشرة: أن من قال أن تكبيرة الاحرام بالادغام فيا سبحان الله مـا أعـقل هذا القـائل بهذه المقـالة، وأين مـوضع الادغـام في هذه الكلمة، لأن الادغـام لايكون الا مع الاسم النكرة والتنوين بفتحتين أو كسرتين أو ضمتين، أو يكون مـلازم الكلمة دون ساكن، فهذا موضع الادغام، وليس هاهنا موضع تنوين، ولا به نون ساكنة، ولايمكن الادغام هنا أبدا.

والحـجـة الحادي عشرة: أنه لو وقعت كلمة بتنوين أو نون ساكنة فلا

---

(١٣٨) سورة الزمر : ٥٥.

(١٣٩) أخرجه أبو داود في الصلاة ١١٦، والبخاري في الأذان ٨٢.

يجوز ادغامها اذا كان يتبعها حرف حلق، وهاهنا همزة وهي من أقصى حروف الحلق لاريب في ذلك، فمن قال بغير هذا فعليه اقامة الدليل.

والحجة الثاني عشرة: أنه لايكون الاشمام عند اندراج الكلام ابدا، وانما الاشمام عند السكوت وانقطاع الكلام والوقوف، ولايمكن هنا السكوت ولا يتم الكلام بهذه الكلمة، ولايمكن الوقوف أبدا، والله أعلم.

فصل

فان احتج محتج بقول الشيخ عثمان بن عبدالله الأصم (رحمه الله) أنه قال: بضمة مشمومة ، قلنا له: فما باله ماقال بضمة مشمة لتوافق الاشمام، وانما قال: بضمة مشمومة، لأن أصل المشموم من شم يشم شيما فهو مشموم، وواحدته مشمومة، والاشمام من أشم يشم اشماما فهو مشم، وواحدته مشمة لأن أصل الاشمام يتعدى الى مفعولين، والمشموم الى مفعول واحد، فمن أجل هذا بطل الاشمام. وفائدة الاشمام أن ينظره الناطق، ولا يسمعه السامع، وهو يكون عند الوقوف ليعلم الناظر محل الحرف الموقوف عليه الرفع والنصب وهو اشارة بالشفتين دون النطق، ولا فائدة له في الصلاة من تكبيرة الاحرام ولا غيرها لأن الامام وجهه تلقاء وجه القبلة، ولاينظره المأموم حتى يستفيد من الاشمام بشيء. واذا كان فعل المصلي لا فائدة فيه فيدخل في معنى العبث في الصلاة، والعبث في الصلاة لايجوز، كما أن المصلي لايفتح عينيه ولا يغمضها أكثر مما هي مخلوقة، ولايفتح فاه ولا يلمه لغير معنى القراءة، كذلك لايحرك شفتيه لغير معنى، فاذا حركها لغير معنى فقد عبث في الصلاة، فلا معنى للاشمام ها هنا أبدا، ولا الجزم، ولا الروم، ولا الادغام أبدا، والله أعلم. ونحن والحمد لله أن الحق في أيدينا غير دارس ولا مجهول، فمن قال بغير هذا فعليه إقامة الدليل فنحن تبع له ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١٤٠).

فصل

فاذا كبرت، أيها المصلي، تكبيرة الاحرام ـ كما وصفت لك ـ فاحضر بقلبك أنه لاشيء أكبر من الله عز وجل، لا كبر سن، ولا جسم، أي: بان لاشيء أجل وأعظم من الله عز وجل، واياك أن تقول هذا بلسانك دون جنانك، وأن يكون هواك غالبا عليك في أمر عبادة ربك، لأنه من غلبه هواه تراه يصلي بجوارحه ويقرأ بلسانه، وقد آسره الهوى، لايخطر بقلبه تدبر العبادة ولا طعم

(١٤٠) سورة هود : ٨٨ .

السعادة، بل قام وقعد وركع وسجد، ولم يشعر بالمعنى في صلاته، فسنان قلبه في الصلاة أو في أمور الدنيا، ولا ينجو من ذلك الا من ارتضاه الله، ولولا التوبة والاستغفار لهلك العباد، والحمد لله على ماغسل قلوبنا بالتوبة والندم، وتفضل علينا بالانابة والكرم. فاذا كبرت أيها المصلي تكبيرة الاحرام، فقف هنية بقدر ماتبلع ريقك واستعذ بالله سرا في نفسك، فاذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فاعلم يقينا أنه عدوك وخصمك قد ترصد لك ليدعوك الى الهلاك والنار، لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدعُواْ حِزبَهُ لِيَكُونُواْ مِن أَصحَابِ السَّعِيرِ﴾(١٤١)، فلا تمل اليه واستعذ منه بقلبك استعاذة يهوي بها الى أسفل سافلين. والمعنى في ذلك أن يعيذك ربك من كيده ووساوسه وأموره، فاذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم، ووقفت بقدر ماتبلع ريقك، فقل: ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١٤٢)، سرا في موضع السر، وجهرا في موضع الجهر، اذا كنت اماما للجماعة، واذا كنت مأموما فلا تكون القراءة الا سرا، فاذا سلمت فانو به التبرك والافتتاح للقراءة، وتحقق أن معناه أن الأمور كلها لله، واذا كانت الأمور كلها لله كان الحمد والشكر لله، فاقرأ فاتحة الكتاب وحدها في جميع الصلوات، اذا كنت مأموما، وأما اذا كنت اماما ففي الظهر والعصر والركعة الآخرة من المغرب والركعتين الأخيرتين من العشاء الآخرة، لا تقرأ فيهن الا الحمد وحدها، وكذلك المصلي وحده، وأما سائر الركعات من الفرائض والنوافل فلا تجزي الحمد وحدها الا بقراءة آية فصاعدا من القرآن، والله أعلم .

فصل

ورابطوا، اخواني ، على صلاة الجماعة، ولا تضيعوها لأن فضلها عظيم، وثوابها جسيم، وخاصة الصف الأول من الجماعة، الدليل على ذلك ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس مافي الصف الأول والآذان من الفضل لتجالدوا عليه بالسيوف»(١٤٣)، وصفة المجالدة ذكرتها في غير هذا الموضع، وسأذكر فضل صلاة الجماعة بعد هذا لأنه ضاق هاهنا القرطاس.

فصل

في ذكر الصلوات الخمس، وكيف كان بدؤها. قال الله عز وجل: ﴿أَقِمِ

(١٤١) سورة فاطر : ٦ .
(١٤٢) سورة النمل : ٣٠ .
(١٤٣) أخرجه بمعناه كثيرون ، انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٦/ ٧٩٢.

الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيلِ﴾(١٤٤)، أي: ميلها. وقيل: لغروبها، وأصل التركيب للانتقال، ومنه الدلك، فان الدالك لاتستقر يده، وكذا مايركب من الدال واللام، كدلج ودلف، وقيل: الدلوك من الدلك، لأن الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها، واللام للتاقيت، مثلها في «الثلاث خلون»، وقيل: دلكت غابت، قال الشاعر :

هذا مقامي قدمي رياح دنت حتى دلكت براح

ورواه الفراء براح بكسر الباء، يعني جمع راحة. يقال: يضع كفيه على عينيه ينظر هل غابت الشمس، وقيل: براح، أي: ليوم شديد الريح، يقال: يوم راح، وقال ذو الرمة:

مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك

وقيل ان بيت الراجز حجة على الزوال، وبيت ذي الرمة حجة على الغروب، حتى اختلف المفسرون والفقهاء في قوله عز وجل: ﴿أَقَمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ﴾، فمنهم من قال: يعني صلاة الظهر، كما قدمته أول الفصل، وروي ذلك عن ابن عمرو، وهو قول مالك والشافعي، ومنهم من قال: يعني صلاة المغرب، ويروى ذلك عن أبي وائل، وهو قول أبي حنيفة. والدلوك البعير الذي دلك وكد بالأسفار. وأرض مدلوكة أكل ما عليها من النبات، وذلك اليد للشيء معروف. كل هذه الأفعال بفتح المهملة من الماضي وضمها من المستقبل. وأما ﴿غَسَقِ اللَّيلِ﴾، ظلمة الليل ، وهو وقت العشاء الآخرة، قال الشاعر:

كانها والليل ترمي بالغسق

والغساق بتشديد السين وتخفيفها، قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾(١٤٥)، وهو مايغسق من صديد أهل النار، أي: من تسمل العين اذا سال دمعها، وقرأ حمزة وحفص والكسائي بتشديد السين. وغسق الليل، اذا أظلم، وغسقت غسقا وغسقانا اذا أظلمت، وهو بفتح مهملة الماضي وكسرها من المستقبل، وبهمزة اذا أخر المؤذن أذانه الى غسق الليل، للحديث المنقول عن الربيع بن جشم(١٤٦) كا يقول لمؤذنه يوم الغيم: أغسق، أي: أخر الآذان، وأما قوله عز وجل: ﴿وَقُرْآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجرِ كَانَ مَشهُوداً﴾(١٤٧)، يعني

---

(١٤٤) سورة الاسراء : ٧٨ .
(١٤٥) سورة ص : ٥٧ .
(١٤٦) انظر ترجمته في الملحق .
(١٤٧) سورة الاسراء : ٧٨ .

صلاة الصبح، وسميت قرآنا لأنه ركنها، كما سميت ركوعا وسجودا، واستدل به على وجوب القراءة فيها. وقوله تعالى ﴿مَشْهُوداً﴾، أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، وتشاهد لقدرة [.....](١٤٨) تعالى يبدل الظلمة بالضياء، والنوم الذي آخو الموت بالانتباه. والآية جامعة للصلوات الخمس، ان فسر الدلوك بالزوال، وبصلاة الليل وحدها ان فسر الدلوك بالغروب. والمشهور عند العلماء كما نقل عن أبي المؤثر (رحمه الله) أن الآية جامعة الصلوات الخمس لانه بدأ بذكر ﴿لِدُلُوكِ الشَّمسِ﴾، أي: زوالها ﴿إِلَىَ غَسَقِ اللَّيلِ﴾، أي: وفق السماء بالظلام، وذلك وقت العشاء الآخرة، وذلك حين مغيب الشفق الأبيض الذي عليه أصحابنا، ثم قال عز وجل: ﴿وَقُرْآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجرِ كَانَ مَشهُوداً﴾، معناه يجتمع الحرسان فيه، حرس الليل، وحرس النهار، وقد قدمت ذكره في هذا الفصل مايغني عن ذكره مرة، والله أعلم. وفي الحديث عن السلف، وسميت صلاة الفجر، والفجر الصباح، لأن انفجار الصبح بدؤه وظهوره، كما يقال: انفجر عليهم صبح القوم، وانفجرت عليهم الدواهي، أي: ظهر عليهم الكثير منها بغتة، وسمي الفجر لبدئه وظهوره بغتة، وقيل: الفجر من انفجار الصبح اذا بدأ، كما يقال: انفجر الماء اذا بدأ وظهر، والجرح بالدم اذا بدأ منه الدم، وفجرت الماء فجرا اذا بجسته وهو بفتح جيم الماضي وضمه من المستقبل، وقرأ عاصم والكسائي قوله تعالى: ﴿حَتَّىَ تَفجُرَ لَنَا مِنَ الأَرضِ يَنبُوعاً﴾(١٤٩)، والباقون بالتشديد، وأجمعوا على التشديد في قوله تعالى : ﴿فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلَالَهَا تَفجِيراً﴾(١٥٠). وعن يعقوب: ﴿وَفَجَّرنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً﴾(١٥١)، بالتخفيف، والفجور الزنا. يقال: فجر يفجر فجورا. وفي المنقول عن الرسول ﷺ قال لرجل واقع امرأته نهارا في شهر رمضان: «ان فجر ظهرك فلا يفجر بطنك»، وفجر فجورا، أي: الكذب. والفاجر المائل عن الصدق، كما يقال: الكذب فجور لأنه مال(١٥٢) عن الصدق، قال الله عز وجل: ﴿بَل يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفجُرَ أَمَامَهُ﴾(١٥٣)، أي: يميل في تكذيبه بيوم الحساب عن الصدق. ونصب «يفجر» بأن مقدرة، أي: بأن

(١٤٨) لعل الصواب : تشاهد قدرة الله .
(١٤٩) سورة الاسراء ٩٠ .
(١٥٠) سورة الاسراء : ٩١ .
(١٥١) سورة الكهف : ٣٣ .
(١٥٢) لعل الصواب : ميل :
(١٥٣) سورة القيامة : ٥ .

يكذب يوم القيامة، واللازم مزيده(١٥٤)، وقيل: تسويف التوبة، وقيل: هو الكافر يمضي قدما في المعاصي. وفي الحديث المنقول عن محمد بن يزيد معناه: أن الانسان يجب أن يعلم ما أمامه وان كان لايصل اليه، ودل عليه قوله تعالى : ﴿يَسَأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾(١٥٥)، أي: متى يوم القيامة، وسؤاله استهزاء واستبعاد، والله أعلم.

فصل

وفي المنقول عن النبي ﷺ قال: «ثم جاء جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ حين انفجر عليهم عمود الصبح فصلى به ركعتين»، ومن حديث آخر: «ان أول من صلى هذه الصلاة آدم، صلوات الله عليه، حين أخرجه الله عز وجل من الجنة، فجن عليه الليل، وأظلمت عليه الدنيا، ولم ير ذلك آدم، صلوات الله عليه، في الجنة من قبل لأنها كانت أول ليلة دخلت عليه، فخاف من ذلك خوفا شديدا، فلما انفجر الصبح، وأضاء النهار صلى ركعتين شكرا لله تعالى برجوع النهار اليه، وكان منه تطوعا، فامرك الله يامحمد بذلك، وبذلك أذهب عنك ظلمة المعصية، كما أذهب عن آدم عليه السلام ظلمة الليل، ونورك بالطاعات كمانور آدم عليه السلام بضوء النهار، وصارت عليك فريضة». ومن حديث آخر: «أن الملائكة عليهم السلام كانوا لا يعرفون الليل من النهار الى أن أمر الله جبريل عليه السلام فمسح من القمر تسعة وستين جزءا كما قيل، لأن الشمس والقمر كان متوهما واحدا، فعند ذلك استبان الليل من النهار فركعت الملائكة عليهم السلام عند ذلك أربع ركعات عند طلوع الفجر»، ومن حديث آخر عن النبي ﷺ: «أن الشمس تطلع بين قرني الشيطان، ويسجد كل كافر لها من دون الله عز وجل، فامر الله لي ولأمتي(١٥٦) بصلاة ركعتين قبل أن يسجد الكفار لغير الله عز وجل، فما من مؤمن ولا مؤمنة يصليها أربعين يوما في جماعة الا أعطاهما الله براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق»(١٥٧)، ومن حديث آخر: «أول من صلى الفجر آدم صلوات الله عليه، وذلك أنه تيب عليه مع الفجر، فصلى ركعتين شكرا لله تعالى، فاقرت»، ومن حديث آخر: «وأول من سن ركعتي الفجر حبيب بن عدي النجار»، ويروى بالخاء،

---

(١٥٤) العبارة غير واضحة في النص .
(١٥٥) سورة القيامة : ٦ .
(١٥٦) لعل الأفصح : أمرني الله وأمتي .
(١٥٧) أخرجه الكثيرون مع بعض الاختلاف. انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٣/ ٨٦.

والله أعلم.

فصـــل

وفي المنقـول عن الرسـول ﷺ قال : «من جلس حين يصلي الغداة ـ وهي الفـجـر ـ يذكـر الله تعـالى حتى تطلع الشمس كانت مثل غزوة في سبيل الله». وفي المنقـول عن الرسـول ﷺ يقول: «من صلى الغداة في مسجد، وجلس يذكر الله عـز وجل الى أن تطلع الشمس، فاذا طلعت اجتهد في الشكر والحمد لله على مـاأعطاه ووفـقـه لذكره. ثم قام وصلى ركعتين أعطاه الله بكل ركعة ألف ألف قصر في الجنة، في كل قصر ألف ألف حـورية، مع كل حـورية ألف ألف خادم، وكـان عـند الله من التـوابين»، وذلك اذا كـان بيـقين صـادق، وعـمل خـالص محسوم منه أسباب المعاصي.

فصـــل

ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق ابن عباس (رضي الله عنه) قال: «من صلى الفـجـر في جماعـة ثم اعـتكف يذكر الله الى طلوع الشمس، ثم صلى أربع ركـعـات مـتـواليـات يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي(١٥٨) ثلاث مـرات، وفي الركـعـة الثانية فاتحة الكتاب، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾(١٥٩)، وفي الركـعـة الثـالثة فاتحة الكتاب، وماتيسر من القرآن، وفي الركعة الرابعة فـاتحـة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(١٦٠) ثلاث مرات، بعث الله تعـالى سبعين ملكا، من كل سماء عشرة من الملائكة معهم أطباق من أطبـاق الجنة، ومناديل من مناديل الجنة، فـيـحـملون تلك الصـلاة على تلك الأطبـاق، ثم يصـعـدون بها، فـلا يمـرون بقـوم من الملائكة الا اسـتـغـفروا لصاحبها، فاذا وضعت بين يدي الجبار، قال الله تعالى: «لي صليت، ولي عبدت، فـاسـتـانف العـمل، فـقـد غفرت لك». وفي المنقول عن الرسول ﷺ عن ربه عز وجـل: قـال: «يا ابن آدم صل أول النهـار أربع ركـعـات، أكـفك آخـره». ومن حـديث آخـر، عنه ﷺ، من طريق أبي هريرة، قـال: «ان بابا من أبواب الجنة يقـال له : الضحى، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد، أين الذين يصلون صلاة الضحى مداومين عليها؟ أدخلوا برحمة الله تعالى»(١٦١)، ومن حديث آخر عنه ﷺ، قـال: «من صلى اثنتى عشرة ركـعـة صـلاة الضـحى، فـقرأ في كل ركعة

---

(١٥٨) هي الآية رقم ٢٥٥، في سورة البقرة .
(١٥٩) سورة الطارق : ١ . (١٦٠) سـورة الاخلاص : ١ .
(١٦١) أخـرجه الطبراني في الأوسط، انظر الزبيدي ، الاتحاف ٣/ ٣٧٠.

فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، نزل من كل سماء سبعون ألف ملك معهم قراطيس بيض، وأقلام من نور يكتبون الحسنات الى أن ينفخ في الصور، فاذا كان يوم القيامة أتته الملائكة، ومع كل ملك حلة وهدية، فيقومون على قبره، ويقولون: ياصاحب القبر قم باذن الله تعالى، فانك من الآمنين»، وذلك اذا كان من التوابين المخلصين، والله أعلم.

فصل

في صلاة الظهر، تسمى الظهر والهاجرة، والهجر ماخوذ من الهاجرة، وهو شدة الحر، ويقال: قام قائم الظهيرة، ويقال: صام النهار عند انتصافه أي قام، يعنون بذلك استقامة الشمس، واختلف في وقفة الشمس نصف النهار من قوله عز وجل : ﴿وَالشَّمسُ تَجرِي لِمُستَقَرٍّ لَّهَا﴾(١٦٢)، فذهب علماء أصحابنا أن استقرارها عند انقطاع الدنيا، وأنها قائمة(١٦٣) الجري، لا تستقر في سيرها بدليل القرآن ﴿لِمُستَقَرٍّ لَّهَا﴾، ولا معنى لمن قال: بوقفتها نصف النهار، وقيل: ﴿لِمُستَقَرٍّ لَّهَا﴾، أي لمنتهى مقدر كل يوم من المشارق والمغارب، فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا، تطلع كل يوم من مطلع، وتغرب من مغرب، ثم لاتعود اليها الى العام القابل. وقيل : لمنقطع جريها عند خراب العالم، كما تقدم ذكره من قبل ، والله أعلم.

فصل

ويسمى الظهر: الظهيرة والهجير، للحديث المنقول عن الرسول ﷺ، كان يصلي للهجير حين الشمس، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾(١٦٤). وهي أول صلاة فرضت فيما وجدته عن ابن عباس (رضي الله عنه) وهي الأولى من الصلوات الخمس، فبذلك سميت الظهر، لأنه أول صلاة ظهرت من الصلوات الخمس، للحديث المنقول عن جبريل عليه السلام: «أنه جاء الى النبي ﷺ وهو بمكة حين زالت الشمس، فصلى بالنبي ﷺ الصلاة الأولى، صلاة الظهر، والمسلمون خلف النبي ﷺ يقتدون به، والنبي يقتدي بجبريل صلوات الله عليهما»، ومن حديث آخر: «أن أول من صلى الظهر ابراهيم صلى الله عليه [وسلم] أربع ركعات، وذلك حين أمر بذبح ولده اسماعيل عليه السلام،فقال له: ﴿يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذبَحُكَ

(١٦٢) سورة يس : ٣٨ .
(١٦٣) لعل الصواب : دائمة .
(١٦٤) سورة النور : ٥٨ .

فَانظُر مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افعَل مَاتُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(١٦٥)، ولكن لي اليك ثلاث حاجات، أن تشد لي يدي ورجلي عند الذبح، لكي لاتمنعك الشفرة(١٦٦)، من ذبحي، وأن تودع والدتي، فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم: أفعل ذلك، فاخذ السكين فوضعها على حلقة فلم تقطع، فلما نودي : ﴿أَن يَاإِبرَاهِيمُ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيَا﴾(١٦٧)، ففداه الله بالذبح وهو الكبش، فذلك قوله تعالى: ﴿وَفَدَينَاهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ﴾(١٦٨)، أي: عظيم الجثة سمين، وقيل: عظيم القدر، لأنه يفدي به ألله نبياً ابن نبي، وهو الذي من نسله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، قيل: كان كبشا من الجنة، وقيل: وعلا أهبط عليه من ثبير، والفادي هو ابراهيم عليه السلام، وانما قال: ﴿وَفَدَينَاهُ﴾، لأن الفداء كان بامره له عز وجل وعطائه واجازته لفدائه عليه السلام، وكان ذلك وقت الزوال، فلما نظر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الفداء، وكان في أربع أحوال: الأولى: ذبح الولد، وفقه الله لمعالجة ذلك، والثانية: غم الولد، فكشف الله عنه ذلك. والثالثة: فداه بذبح عظيم، والرابعة: رضى الله عنه تبارك وتعالى، فصلى مع ذلك ابراهيم صلوات الله عليه، أربع ركعات، كل ركعة شكرا لصنع من صنائع الله عز وجل معه، فامر الله تعال نبيه محمد ﷺ بذلك، وقال له : صل أربع ركعات وقت الزوال لأوفقنك طاعتي حتى تذبح ابليس ـ لعنه الله ـ كما وفقت خليلي لمعالجة ذبح الولد، وأنجيك من الغم، كيوم نجيت ابراهيم من غم الولد، وأفديك بمن يجوز ذبحه من الكفارات، كما فديت خليلي بما يجوز ذبحه بالكبش، وأرضى عنك، كما رضيت عنه، ومعنى ذبح أبليس ـ لعنه الله ـ حسم وساوسه البتة.

فصل

وروي في الحديث أن اليهود ـ لعنهم الله ـ سألوا النبي ﷺ، على وجه الامتحان في أشياء ، ثم سألوه عن ثواب من صلى هذه الصلاة، وهي الظهر، فلعله قال: «هذه الساعة التي يؤتى فيها جهنم يوم القيامة بسبعين ألف زمام من نار، فيؤتي بها بين يدي الرحمن فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة الا حرم الله عليه نفحات جهنم»، والله أعلم .

---

(١٦٥) سورة الصافات : ١٠٢ .
(١٦٦) لعل الصواب : الشفقة .
(١٦٧) سورة الصافات : ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(١٦٨) سورة الصافات : ١٠٧ .

فصـــل

وأمـا صـلاة العصر، فـفرضـهـا في كتاب الله عز وجل: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(١٦٩)، فـافـادنـا بهـذه الـصلوات الخـمس، وسـاذكـرها مع صـلاة المغرب.

وأمـا العصر في اللغـة على وجـوه كثيرة، فمن ذلك أن العصر هو الدهر، قـال الله تـعـالى: ﴿وَالـعَـصرِ إِنَّ الإِنسَـانَ لَفِي خُسرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَـمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾(١٧٠)، والعصر هاهنا هو الدهر، لاشـتمالـه على الأعاجيب، وقيل: مـعـنـاه في هذه الآية أن العصر، صـلاة العصر، وأراد بذلك عصر النبـوة، أو مـابعد الزوال الى الغروب، والعصران: الغداة والعشي، قال الشاعر :

المطعم الناس اختلاف العصرين

وفي المنقـول عن الرسـول ﷺ، قـال: «حافظ على صلاة العصرين»(١٧١)، يعني صـلاة الصـبح، والعصر، سماهما بوقتهما، والعصر عند الغروب، بعد ابراد الهاجرة الى تطفيل (١٧٢) الشمس، وبه سمت صلاة العصر. وفي المنقول عـن الـرسـول ﷺ، من طريق ابن عـبـاس (رضي الله عنه)، أن جبريل عليـه الـسـلام ، جـاء الـنـبي ﷺ فـصلى به العصر حين صـار ظل كل شيء مـثله، والعصران: الليل والنهار، قال النابغة :

لم يلبثا العصران أن عصفا بهم ولكن باب يسرا مفتاحا

وأمـا قـولـه عز وجل : ﴿بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾(١٧٣)، جمع غـداة، والآصال جمع أصيل، وهو مابين العصر والمغرب .

فصـــل

وفي المـنـقـول عـن النبي ﷺ من طريق أبي نصرة الغـفـاري ، انه صلى العصر، وقـال : «انت هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حـافـظ عـلـيـهـا مـنكم أوتي أجـره مـرتين، ولا صـلاة بعـدها حـتى يطلع الشاهد»(١٧٤)، وهذه هي الصـلاة الوسطى للحديث المنقول عنه ﷺ انه قال: «شـغلونا عن الصـلاة الوسطى ـ صلاة العصر ـ ملأ الله بيوتهم ناراً»(١٧٥)،

(١٦٩) سـورة الروم : ١٨ . (١٧٠) سورة العصر : ١ ـ ٣ .
(١٧١) أخرجه أبو داود ، وكنز العمال ١٩٣٠١، انظر موسوعة أطراف الحديث.
(١٧٢) التطفـيـل : يقـال طفلت الشمس طفولا: طلعت ودنت للغروب واحمرت .
(١٧٣) سورة الأعراف : ٢٠٥، سورة الرعد : ١٥ ، سورة النور : ٣٦ .
(١٧٤) أخـرجه الطبراني في الكبير، انظر مجمع الزوائد ٣٠٨/١ .
(١٧٥) أخـرجه الزاز ورجاله رجال الصحيح .

وقيل: غير هذا، وقد أتيت بذكر الاختلاف في أول الباب .

فصـــل

ومما يستـدل به ويؤيد القـول فيه أن العصر هي الصلاة الوسطى، ما حكى عنه [عليـه] الصـلاة والسلام في هذه الرواية، وكذلك اختلاف العلماء في السـاعـة المجـابة فيها الدعوة من يوم الجمعة وليلتها، فقيل: ان هذه الساعة بعـد صـلاة العصر، وقـد وردت جمة من الفـضائل بعد هذه الصلاة من يوم الجمعة، فمنها ماروي في الحديث المنقول عن السلف : «أن من قرأ آية الكرسي سبع عشرة مرة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، في موضع خال وحده من قلبـه، حـالة لم يرها، فاذا دعا في تلك الحالة استجيب له دعاؤه»(١٧٦)، وغير ذلك من الفـضـائل لم أذكرها خوف الاطالة. وقال بعضهم: ان هذه الساعة في وقت الظهـر والامـام في المسجد، ويؤيد هذا القول، ماروي عن عبدالله بن عمر ابن الخطاب أنه قـال: «من كـانت له الى الله حـاجـة مـهـمة، فليصم الاربعاء والخـمـيس والجـمعة، فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح الى الجمعة، وتصدق بصـدقـة، قلت أو كـثرت، مابين الرغيف الى مافوق ذلك، وما كثر فهذا أفضل، فـاذا صلى الجـمـعـة قـال: اللهم اني أعـوذ باسمك، بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الَّـذِي لَا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَـالِمُ الغَـيبِ وَالشَّـهَـادَةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِـيمُ﴾(١٧٧)، وأدعـوك باسـمك، بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِـيمِ الذي ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَاتَاخُـذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(١٧٨)، الـذي حللت (١٧٩) عظمـته السماوات السبع، وأدعـوك بـاسـمـك، بـسـم الله الـرحمن الرحـيم، الذي لا اله الا هو، عنت له الوجـوه، وخـضـعـت له الرقاب، وخشعت له الأبصار، ووجلت منه القلوب، وذرفت منه العـيون، أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأن تعطيني حـاجـتي، وهي كـذا وكذا»، وكان يقول: لا تعلموها سفهاءكم، فيدعو بعضهم على بعض فيستجاب لهم.

فصـــل

ويؤيد أيضا ماروي عن النبي ﷺ، من طريق ابن عباس (رضي الله عنه) قـال: «من صلى يوم الجـمعة بين الظهر والعصر ركعتين، في أول ركعة فاتحة

(١٧٦) ورد الحديث كثيرا، الا انه لم يخصص بيوم الجمعة، انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(١٧٧) سورة الحشر : ٢٢ .

(١٧٨) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(١٧٩) لعل الصواب : حلت .

الكتاب، وآية الكرسي مرة واحدة، وخمسا وعشرين مرة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾(١٨٠)، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(١٨١)، مرة و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(١٨٢) خمسا وعشرين مرة، فاذا سلم قال: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خمسين مرة، فلا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة، أو يرى له(١٨٣). وقال بعضهم، ان هذه من يوم الجمعة اذا استقلت الشمس وارتفعت بقدر الرمح. ويؤيد هذا القول ماوردت عنه ﷺ من ذكر فضل الصلاة وشرفها في هذه الساعة، وقد بينت ذلك في باب فضل الجمعة وشرفها، وهو بعد سياتي(١٨٤) ان شاء الله في باب المساجد والخطب، وقال بعضهم:ان هذه الساعة في الثلث الأخير من ليلة الجمعة، ويؤيد ذلك ماروي في الكتب المنزلة من طريق ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: «اذا كان ليلة الجمعة نادى الجليل تبارك وتعالى : من أعظم مني جودا، وأكرم مني خلقا، الخلائق لي عاصون، وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم كانهم لم يعصون، ومن جودي وكرمي أقبل على المذنب اذا تاب الي كانه لم يذنب فيما بيني وبينه، وأنا الجواد وأنا الكريم، مني الكرم، أجيب سائلي، وأبدأبالعطية قبل المسالة، ولو أن عبادي أقبلوا الي بقلوبهم، ودعوني بنية صادقة لأعطيتهم الدنيا بحذافيرها، ولم ينقص ذلك من ملكي مثقال ذرة، وكيف ينقص ملك وأنا قيمه، فاين مني يلتجيء العاصون، وأين تهرب الخلائق، هل من تائب فاتوب عليه؟ وهل من مستغفر فاغفر له؟ وهل من طالب حاجة فاهبها له؟ وأنا أرحم الراحمين». ومن حديث آخر عنه ، ﷺ، أنه قال: «والذي بعثني بالحق نبيا، لقد خرج من عندي جبريل عليه السلام، فقال لي: يامحمد ان لله ملكا يقال له : دردبائيل له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى بسبعين ألف لغة، لا يشبه التسبيح بعضه بعضا، ينادي في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل: معاشر الناس، شوقناكم فلم تشتاقوا، وخوفناكم فلم تخافوا، ألا قد أعذر من أنذر، بشر المنافقين بعذاب أليم، ألا ان لله سيفا لاينام، مهملا مهملا، ألا ان لله سطوات ونقمات، فاتقوا

(١٨٠) سورة الفلق : ١ .
(١٨١) سورة الاخلاص : ١ .
(١٨٢) سورة الناس : ١ .
(١٨٣) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٧٧.
(١٨٤) لعل الأفصح أن يقول : وسيأتي ان شاء الله بعد هذا في . . .

سطواته ونقماته، وداووا قلوبكم، فلولا رجال خشع وأطفال رضع وبهائم رتع ومشائخ ركع، لصببنا عليكم العذاب صبا، ولرضضناكم رضا رضّا، ولكان فيكم دوي كدوي الصواعق»، وكثير مثل هذا تركته لأني لم أقصد هنا باستئصال ذكر هذا الفن، والله أعلم.

فصل

وقال بعض العلماء: ان الله أخفى هذه الساعة في هذا اليوم والليلة ليجتهدوا في ذكره عز وجل، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، والاسم الأعظم في الأسماء ليجتهدوا في قيام شهر رمضان، وتلاوة جميع الأسماء، والتصديق بها. واقد اختلفوا في هذا المعنى اختلافا كثيرا تركته خوف الاطالة.

فصل

ومن حديث آخر في ذكر صلاة العصر، وقيل: ان في هذه الساعة أعني صلاة العصر، وهي التي وسوس الشيطان فيها لآدم عليه السلام حتى أكل من الشجرة، فطار عنه الحلي والحلل، فما من مؤمن ولا مؤمنة يصلي هذه الصلاة الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهي أربع ركعات، وأول من صلاها يونس عليه السلام، وذلك حين أخرج من بطن الحوت وظلمة البحر، وظلمة الليل، قال الله عز وجل قصة عنه: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١٨٥)، فصلى مع ذلك يونس أربع ركعات، كل ركعة شكرا لصنع من صنائع الله عز وجل، فقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: «صل أربع ركعات في وقت العصر لأنجيك من ظلمة الخطايا والزلة، كما أنجيته من ظلمة الماء، وأنجيك من ظلمة جهنم، كما أنجيته من ظلمة الليل». ومن حديث آخر: «أن أول من صلاها - أعني العصر - خرمائيل، وذلك أنه ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا....﴾، إلى قوله: ﴿.... فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾(١٨٦)، مع العصر، فقام فصلى أربع ركعات، كل ركعة شكر لله تعالى. ومن حديث آخر عن ابن عباس (رحمه الله) أنه هو العزير، كان رجلا من عُلماء بني اسرائيل، مر على قرية وهي قد خرب(١٨٧)، فقال ذلك، وقصته في القرآن، تركتها خوف الاطالة.

فصل

وأما صلاة المغرب، ففرضها في كتاب الله عز وجل، لقوله تعالى:

---

(١٨٥) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(١٨٦) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(١٨٧) لعل الصواب : قد خربت .

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(١٨٨). ففي المنقول عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن هذه جامعة للصوات الخمس: ﴿تُمْسُونَ﴾، صلاة المغرب والعشاء الآخرة، و﴿تُصْبِحُونَ﴾، صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيّاً﴾، صلاة العصر، و﴿تُظْهِرُونَ﴾، صلاة الظهر، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ﴾، أي: سبحو الله ، يعني صلوا لله عز وجل في هذه الأوقات، وروي عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، أنه قال: «من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ ....﴾الآية إلى قوله: ﴿.... وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(١٨٩)، [أدرك] مافاته (في) من ليلته، ومن قالها حين يمسي أدرك مافاته من يومه» . وسميت المغرب العشاء، لأن العشاء آخر ساعة من النهار عند المغرب، وهو أيضا أول الظلام، والعشاء، عند العامة، عند غروب الشمس الى أن يولي صدر الليل، وبعض يقول:هو طلوع الفجر، ومن حديث آخر، سميت صلاةالمغرب لأنها تقام بعد غروب الشمس، ويقال لها: العشاء الأولى بكسر المهملة الأولى، وبفتحها وهو معروف وهو الطعام الذي يؤكل في ذلك الوقت، وأصله في العشوة وهي الظلمة، ويقال: عشوت اليه، أي: أتيته، وعشوت الى النار اذا أتيتها طالب حاجة، وقريء عشوا وعشوا وعشوت الطريق بضوء النار، أي: أتيتها واستدللت بضوئها عليه، ولا يكون ذلك الا ببصر ضعيف، وفي المنقول عن ابن المسيب، قال وهو ابن أربع وثمانين، وقد ذهب احدى عينيه وهو يعشوا بالأخرى: ما أخاف على نفسي فتنة أشد من النساء يعشو بها، أي: يبصر بها بصرا ضعيفا، قال الشاعر :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير متوقد

وأما قوله عز وجل : ﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَنِ﴾(١٩٠)، أي: يتعامى، مشتق من العشاء، وهو ضعيف البصر، وقيل: يعرض: لأنه يقال: عشا الى النار اذا أتاها على ضعف، وعشى فيها، أي أعرض، كما يقال: مال اليه ومال عنه وعشا، أي عشاه، قال الشاعر :

كأن ابن أسماء يعشوه ويصبحه من هجمته كغسيل النخل داري

---

(١٨٨) سورة الروم : ١٧ ـ ١٨ .
(١٨٩) سورة الروم : ١٩ .
(١٩٠) سورة الزخرف : ٣٦ .

وعشوت، أي: تعشيت، كل هذه الأفعال بفتح المعجمة من الماضي، وضمها من المستقبل، والله أعلم .

فصل

وأول من صلى هذه الصلاة ـ أعني صلاة المغرب ـ داود عليه السلام، وذلك أنه تيب عليه مع غروب الشمس، فقام فصلى ثلاثا، ولم يقدر على أكثر منها لما كان فيها من الجهد، شكرا لله تعالى، فأقرت. ومن حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «تلك الساعة التي تاب الله على آدَمُ عليه السلام فيها، لقوله تعالى:﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١٩١)»، يعني ساعة المغرب، وقرأ ابن كثير بنصب ﴿آدَمُ﴾، ورفع ﴿كَلِمَاتٍ﴾، واختلفوا في هذه الكلمات. فقال بعض أهل العلم قوله: سبحانك اللهم، وبحمدك ، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا اله الا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي، فانه لايغفر الذنوب الا أنت. ومن حديث آخر عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: قال آدم عليه السلام: يارب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: يارب ألم تنفخ في الروح من روحك؟ قال : بلى، قال: يارب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: يارب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: يارب ان أتيت اليك أراجعي الى الجنة؟ قال: نعم.

وأما قوله : من روحك، أي: كان احياؤه بنفخ الروح، واضافته الى الله عز وجل تشريفا لآدم عليه السلام، لأن الروح جسم لطيف يحيي الانسان بنفوذه فيه، والله عز وجل حي بلا روح ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَالسَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١٩٢).

فصل

ومن حديث آخر : وصلاة المغرب ثلاث ركعات ، وأول من صلاها عيسى صلوات الله عليه، وذلك حين أخبره الله عز وجل: أن قومك يدعونك ثالث ثلاثة، فلما سمع ذلك صلى ثلاث ركعات، وكان ذلك وقت المغرب، فالركعتان الأوليان لنفي الألوهية عن نفسه وأمه، والثالثة لاثبات الالوهية لله عز وجل. ألا ترى الأوليتين متصلتين، والثالثة منفردة في معنى التشهد، فاذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل : ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَينِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَايَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَالَيسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلتُهُ فَقَد

(١٩١) سورة البقرة : ٣٧ .
(١٩٢) سورة الشورى : ١١ .

عَلِمتَهُ﴾(١٩٣) الآية. ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَومُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدقُهُم﴾(١٩٤)، وقرأ نافع بنصب ﴿يَومُ﴾، على أنه ظرف لقال، وخبر هذا محذوف، أو هو ظرف مستقر وقع خبرا، والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى صلوات الله عليه واقع يوم القيامة ﴿يَومُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدقُهُم﴾، وقيل: انه خبر عن ذلك اليوم، فيكون عبارة عن ذلك اليوم الذي ينفع فيه ﴿الصَّادِقِينَ صِدقُهُم﴾، أي: يهون الله على الصادقين الحساب، وينجيه من النار، ويؤمنه من الفزع الأكبر، فأمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ وقال له: صل ثلاث ركعات وقت المغرب لأهون عليك الحساب، كما أهون على عيسى، وأنجيك من النار، كما أنجيته منها، وأؤمنك من الفزع الأكبر ، كما أمنت عيسى منه.

فصل

ومن حديث آخر عن النبي ﷺ : «أن صلاة المغرب التي تاب الله على آدم عليه السلام في وقتها لقوله عز وجل : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ﴾(١٩٥) ـ وقد تقدم ذكر(١٩٦) الكلمات ما فيه الكفاية ـ فما رفع من قوله عليه السلام، وكان بين أكل الشجرة وبين توبته ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا، ومن أيام الآخرة ثلاث ساعات، فصلى آدم عليه السلام ركعة للخطيئة، وركعة للتوبة، وركعة للحظوة، فافترضها الله علي وعلى أمتي، فما من مؤمن ولا مؤمنة يصلي هذه الصلاة طائعا راغبا فيما افترض الله عز وجل، لم يسأل الله عز وجل في ظلمة الليل والنهار شيئا الا أعطاه». وفي المنقول عن الرسول ﷺ من طريق عائشة (رضي الله عنها): «ان أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب، لم يحطها الله جل وعلا عن مسافر ولا مقيم، افتتح الله بها صلاة الليل، وختم بها صلاة النهار، فمن صلى بعدها ركعتين فما سأل الله تعالى بعدها شيئا الا أعطاه»(١٩٧). وفي المنقول عن الرسول ﷺ، من طريق عائشة (رضي الله عنها) قال: «ما من صلاة أحب الى الله عز وجل من صلاة المغرب يختم بها النهار، ويستفتح بها الليل، فاذا صلاها المصلي ثم صلى ركعتين من غير أن يكلم أحدا، رفعت وكتبت في عليين، ومن صلاها وصلى أربع ركعات بعدها، بنى الله له قصرا في الجنة مكللا من الدر والياقوت،

(١٩٣) سورة المائدة : ١١٦ .
(١٩٤) سورة المائدة : ١١٩ .
(١٩٥) سورة البقرة : ٣٧ .
(١٩٦) لعل الصواب : وقد تقدم في ذكر الكلمات .
(١٩٧) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/٣٥٧.

لايعلم فضلها الا الله عز وجل، ومن صلى ست ركعات غفر له الله ماتقدم من ذنبه وما تاخر»(١٩٨). ومن حديث آخر عنه ﷺ ، من طريق عائشة (رضي الله عنها) : «فمن صلى بعدها ركعتين فلم يكلم أحدا، بنى الله له قصرين في الجنة فيهما من الأنهار والأشجار مالايعلمه الا الله»، ومن قال بعد صلاة المغرب ـ قبل أن ينحرف ـ : بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، دفع الله عنه تسعةوتسعين نوعا من البلاء، منها الجنون والجذام والبرص»(١٩٩). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أنس بن مالك: «من صلى ركعتين بعد صلاة المغرب، ولم يتكلم بينهما بشيء من أمر الدنيا، فقرأ في أول ركعة: الحمد الى آخرها(٢٠٠)، وأربع آيات من أول سورة البقرة، الى: ﴿....وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢٠١)، واثنتين من أوسطها، قوله جل ذكره: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ....﴾، إِلَى قوله : ﴿.... لَأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾(٢٠٢)، وخمس عشرة مرة ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٢٠٣)، ثم ركع وسجد وقام فقرأ: الحمد وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وخمسة عشرة ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، بنى الله له في جنات عدن ألف مدينة من در وياقوت وزمرد، في كل مدينة مائة ألف قصر، في كل قصر مائة ألف دار، في كل دار مائة ألف مقصورة، في كل مقصورة مائة ألف بيت، في كل بيت مائة ألف خيمة، في كل خيمة مائة ألف سرير قوائمها من جواهر شتى، على كل سرير منها مائة ألف فراش بطائنها من استبرق، وظهائرها من نور، منظرها من هذا الطرف مائة ألف مرفقة، ومن الجانب الآخر مائة ألف مرفقة، على كل ذلك له زوجة من الحور العين، لم توصف بشيء من الأشياء الا ازدادت عليه جمالا وكمالا ونورا وبهاء، لايراها ملك مقرب، ولا نبي مرسل الا افتتن بها»، ومعناه الا أولع بحبها أو قتل نفسه لله من أجلها، من قوله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَاتِ﴾(٢٠٤)، أي: قتلوا، »ولو بدت كفها الى الدنيا لأطفا نور الشمس الضاحية، ونور البرق، ولو بدت الى أهل الأرض تشاجر عليها أهل

(١٩٨) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٤٥٨.
(١٩٩) أخرجه بمعناه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٠٧.
(٢٠٠) سورة الفاتحة .
(٢٠١) سورة البقرة : ١ ـ ٥.
(٢٠٢) سورة البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢٠٣) سورة الاخلاص : ١ .
(٢٠٤) سورة البروج : ١٠ .

الأرض كلهم جميعا، عليها ألف حلة من أثواب شتى، لا تواري الحلة الحلة، ولا يواري الحلل كلها الجلد، ولا يواري الجلد اللحم، ولا يواري اللحم العظم، تستبين بعضه من بعض كما يستبين السلك في الياقوتة الصافية، لها مائة ألف وصيفة، ولها مائة ألف قهرمان على قصورها وضياعها سوى ما لزوجها، في كل خيمة نهر يستبان من الكوثر، ونهر من تسنيم، ونهر من سلسبيل، وعين من كافور، وعين من زنجبيل، وغصن من شجرة طوبى، وغصن من سدرة المنتهى، في كل خيمة مائة ألف مائدة من الذهب مكللة بالدر وأنواع الجواهر، في كل صحيفة ألف لون من الطعام مختلف ألوانه وريحه ومذاقه، ويعطيه الله عز وجل من القوة ماياتي على ذلك الطعام والشراب في مقدار يوم من أيام الدنيا»، ولا يتاتى ذلك الا من حسم أسباب المعاصي ظاهرا وباطنا، ووساوس الشيطان حركة وفعلا، لأنه في الحديث المنقول عن السلف: أن الشيطان ـ لعنه الله ـ قال : أريد من ابن آدم خصلة واحدة، ولا أعارضه بعد ذلك في شيء من أعمال البر، يعمل ماشاء وأراد، فقيل له: وما هذه الخصلة ياعدو الله؟ فقال: أن يكون ماكله ومشربه من حرام، لأنه اذا كان كذلك كان مصليا وفي بطنه حرام، ولم تقبل له صلاة، وداعيا لم يقبل دعاء على ستر حرام، ومؤديا زكاته من حرام، وحاجا من حرام، ومتصدقا فعلا من حرام، ومتزوجا من حرام، ومفطرا من صومه بحرام، وجميع مايعمله من أعمال البر مختوما بحرام، فاذا قدرت عليه بهذه الخصال فلا يرجى فلاحه أبدا»، فانظر ، ياابن آدم ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾(٢٠٥)، ولا يغرنك لمعان بوارق المطامع الموسومة بالحرام، لأنه في المنقول عن الرسول ﷺ: «فان الصفاة الزلاء التي لا تثبت عليها أقدام العلماء الطمع». وقال ﷺ: «أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع»، وغير هذا كثير لم أذكره هنا، وقد سبق ذكره في أول الكتاب، والله أعلم .

فصل

وأما صلاة العتمة ، ففرضها في كتاب الله عز وجل، وذلك في الآية التي تقدمت من قبل، وحين يذهب بياض النهار ويظلم الليل، وهي صلاة النبيين، وسميت العتمة المظلمة، لأن العتمة من الليل بعد غيبوبة الشفق الأبيض، فلا يكون في الأفق الا ظلمة، وهي وقت العشاء الآخرة، والعتمة اسم للعشاء في العتمة سمي باسم الوقت، وفي الحديث المنقول عن السلف من العرب: أنها

(٢٠٥) سورة النساء : ٧٦ .

تقول للهلال اذا كان ابن ليلة: عتمة سحيلة حل أهلها برميلة، ولابن ليلتين: حديث متين وكذب ومين، ولابن ثلاثة: حديث قبنات غير مؤتلفات، ولابن أربع: عتمة أربع غير جائع ولا مرضع، ولابن خمس: عشاء حلفات تعس غير مكث، الهلال في هذه الليالي كمكث هذه الأشياء، ويقال: سميت العتمة بالوقت من الليل، وهي بالثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق، ويقال: أعتم الرجل اذا سار في ذلك الوقت، وعتموا تعتيما اذا ساروا في ذلك الوقت، وصدروا في تلك العتمة. وانما سميت العتمة لتاخر وقتها من قول العرب: قد أعتم الرجل اذا أخره، وكره قوم أن تسمى العتمة، ويقال أول من سماها الشيطان. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «فلا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، وانما اسمها العشاء، وانما تعتم نجلات الابل»(٢٠٦). وقوله : تعتم نجلات الابل عن عتمة الليل، وقال قوم: عتمته ظلامة، ففي الحديث المنقول عن السلف: «ما من مؤمن ولا مؤمنة [مشيا](٢٠٧) في ظلمة الليل الى صلاة العتمة الا حرم الله عليهما قيود النار، ويعطيهما الله نورا يجوز(٢٠٨) به الى الجنة». وفي الحديث : «أن أول من صلى العتمة نبينا وصفينا محمد ﷺ، وذلك أنها افترضت عليه من غير سبب، فثبتت فريضة على أمته، وافترضت عليه الصلاة المتقدمة فضلا من الله علينا، ويسرها لنا». ومن حديث آخر: أن أول من صلى العتمة موسى صلوات الله عليه حين ضل الطريق في وقت خروجه من مدين، وكان في غم المرأة وغم هارون وخوف فرعون، ومع ذلك كان متحيرا سمع مناديا ينادي: ياموسى اني انا ربك، اني هاديك، وأنا كافيك ومظفرك على فرعون. فلما سمع ذلك موسى عليه السلام، صلى أربع ركعات في وقت العشاء الآخرة، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : يامحمد صل هذه الصلاة لأهديك كما هديت موسى، وأكفيك كما كفيته، وأجمعك مع النبين والصديقين، كما جمعت موسى وهارون، وأنجيك من الغم، كما أنجيت موسى من غم المرأة، ألم تر أن مايكون للأنبياء حلالا يكون لك، وأعطيك كما أعطيتهم وزيادة، وهو أن صلاتهم كانت تطوعا، وصلاتك فريضة، والفرق بين الفريضة [و] التطوع ما لايعلمه الا الله. ومن حديث آخر كتبته لأن فيه ذكر بدء الصلوات الخمس، وأول من قال: يارب، جبريل عليه السلام، فقال:

(٢٠٦) أخرجه البزار وأبو يعلى ، انظر مجمع الزوائد ١/ ٣١٤.
(٢٠٧) في الأصل : مشينا .
(٢٠٨) الصواب : يجوزان به، أي يدخلان به.

يارب كم مر من الدهر قبل أن يكون لديك أرض مدحية، ولاسماء مبنية، ولا ملك مخلوق، ولا جني ذرا، ولا انسي برا؟ فقال : ياجبريل خلقت هواء، وخلقت في ذلك الهواء أرضا، وخلقت في تلك الأرض ألف ألف بحر، في كل بحر ألف ألف جزيرة، في كل جزيرة اثنا عشر ألف دار، وملأت كل دار حب خردل، وخلقت طيرا أبيض وأمرته أن ياكل سنة من سنين الآخرة حبة واحدة، فلما افنيت خلقت الدنيا. ومن حديث آخر لعله من مناجاة موسى عليه السلام، ثم اني خلقت ثمانين ألف مدينة، كل مدينة مثل دنياكم هذه سبع مرات، ثم ملأت كل مدينة من الخردل الأبيض، وخلقت طيرا أبيض، وقلت للطير: ان هذه المدائن وما فيها من الخردل رزقك، فكل هنيئا مريئا، فاذا أفنيت رزقك ذقت سكرات الموت، فجعل ياكل في كل شهر حبة واحدة مخافة من الموت وسكراته، فلما رأى من الحب نقاصانا جعل ياكل كل سنة حبة حتى أكل مافي الثمانين ألف مدينة، فبعد مافرغ آخر حبة منها صاح بالبكاء، ونادى بالويل من سكرات الموت وحره، قال: يارب ماجعلت لي عمرا طويلا، ولا رزقا كثيرا، هون علي سكرات الموت، فاني سبحتك بعدد كل حبة سبعين تسبيحة، وسبعين تحمدية، فلما سلطت عليه الموت، قال: يارب ما أشد الموت، ثم مات، ثم خلقت بعد ذلك في كل مدينة من تلك المدائن سبعين ألف رجل، لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الانس، بل خلقتهم من در وياقوت، وعمرت كل واحد منهم سبعين ألف عام، كل عام مثل أعوامكم الف عام، فعصاني رجل واحد منهم، فضربت تلك المدائن بعضها على بعض بذنب رجل واحد، فقال موسى: يارب وما كانت تلك المعصية؟ قال لأصحابه: الخير مني والشر منهم.

قال المؤلف ، ولعل ذلك من طريق الرياسة في القلب، كانه جعل ما يكون منه الاالخير، وما يكون من أصحابه الا الشر، فتعاظم في نفسه حتى تكبر، والله جل وعلا يقول : ﴿مَّا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٢٠٩)، ولعل سبب الانتقام لتلك المدائن، لأنه لما عصى هذا الرجل ربه لم ينكر عليه منكر، ولم يغير عليه مغير من أولئك الرجال، ولعلهم رضوا بمجاهرتهم الله في تلك المعصية، فحل ماحل من الانتقام، وحاشا لله أن ينتقم من قوم يعبدون الله تعالى، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر بمعصية رجل واحد، لأن الله جل وعلا حليم لايعجل، كريم لايبخل، لايؤاخذ

(٢٠٩) سورة النساء : ٧٩.

الناس بما كسبوا ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٢١٠)، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٢١١). وهذا يتاتى بالرضى بالمناكر، وترك النكير، كما سلف ببني اسرائيل أن يمسخهم الله قردة وخنازير من أجل ترك النهي عن المعاصي، قال الله عز وجل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢١٢). رجع الى ذكر الحديث .

ثم اني خلقت بعد ذلك ستمائة ألف عام نور صفي محمد ﷺ من نوري، فقام بين يدي سبعة عشر ألف سنة، فقبضت قبضة من نوري ورششتها عليه فسجد لي، فاوجبت عليه صلاة الصبح من ذلك السجود، ثم دخل في الصلاة فلم يزل قائما في الصلاة سبعة عشر ألف سنة، فجعلت عليه خلقة من نوري، فسجد لي، فاوجبت عليه صلاة الظهر، فهكذا كان دأبه، قام لي الى خمس مرات في كل مرة سبعة عشر ألف سنة، كلما جعلت عليه خلقة من نوري سجد لي سجدة الى أن أوجبت عليه خمس صلوات في خمس سجدات، كل سجدة سبعة عشر ألف عام، ثم بعد ذلك ستمائة ألف عام خلقت العرش على الماء، ثم خلقت ملكا من الملائكة فامرته أن يحمل العرش الى منتهاه فلم يقدر، ثم خلقت ملكا آخر، فلم يقدر، فخلقت الثالث، فلم يقدر، فخلقت الرابع، فلم يقدر، فخلقت نملة على قدر الابهام، فامرتها أن تحمل العرش، فقالت: بسم الله توكلت على الله، واعتصمت بالله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، فرفعت العرش الى منتهاه، فقلت للملائكة لو ذكرتموني مثل ماذكرتني هذه النملة لأعطيتكم من القوة مثل ماأعطيتها، ثم خلقت الكرسي من نور العرش، وخلقت الشمس من نور الكرسي، وخلقت القمر من سدس شعاع الشمس، والعرش والكرسي والشمس والقمر من عشر نور محمد ﷺ، ونور محمد من نوري، ثم خلقت الأرض من زبد الماء والجبال من أمواجها، ثم خلقت الجنة من در وياقوت ولؤلؤ وجوهر ومرجان وعقيق وفضة، وخلقت فيها لمن أطاعني ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم خلقت النار من غضبي وسخطي، وناري أنتقم بها ممن عصاني، ثم خلقت الجان من نار السموم، ثم خلقت آدم وعمرته عشرة آلاف ثم مات، ثم خلقت عشرة آلاف آدمي مثل أبيك آدم فعاش كل واحد منهم عشرة آلاف سنة،

---

(٢١٠) سورة النحل : ٦١، سورة فاطر : ٤٥ .
(٢١١) سورة الأنعام : ١٦٤، سورة الاسراء : ١٥، سورة فاطر: ١٨، سورة الزمر: ٧.
(٢١٢) سورة المائدة : ٧٩ .

هل أحصيت ياموسى ماخلقت من الثمانين الف مدينة، والخردل والطير. ثم بعد تلك المدائن خلقت في كل مدينة سبعين الف رجل، وعمرت كل رجل سبعين الف عام مثل أعوامكم ألف عام، ثم من بعد بستمائة الف عام خلقت العرش، ثم بعده بستمائة ألف عام خلقت الجنة، ثم بعد ذلك بستمائة عام خلقت النار، ثم بعد ذلك بستمائة ألف عام خلقت عشرة آلاف آدمي، كل آدمي عاش عشرة آلاف عام، وقبل هذا كله الدرة التي خلقتها قبل كل شيء بستمائة ألف عام، فهل أحصيت ياموسى وأنا القديم الذي لم يزل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢١٣)، فخر موسى ساجدا، حتى غشى عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢١٤)، لا أسالك بعد هذا عن غامض علمك وباطن قدرتك».

فصل

واختلف العلماء في بدء فريضة الصلاة، فقال بعضهم: افترضت في إبتدائها صلاة السفر ركعتين، ثم زيدت في صلاة المقيم، وتركت صلاة المسافر بحالها، وروي هذا القول عن طريق عائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة. ومن حديث آخر: أن الصلاة فرضت أربعا للمقيم، ثم نقصت في السفر، فكان هذا القول يحلو في القلب، ويؤيده قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبتُم فِي الأَرضِ فَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَقصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ﴾(٢١٥)، والقصر هو النقصان، لايدخل الا على شيء تام فافادنا عز وجل بهذه الآية وأباح لنا القصر في السفر بعد الاتمام، وكذلك يؤيده في ظاهر المعنى، كانها فرضت أربعا أن صلاة المغرب ثلاث ركعات، واذا لم يخص خاص في تمام فهو على أصله وأسامه، وفي ظاهر الآية أن العصر مفترض على التمام، والله أعلم .

وقال بعضهم : ان الصلاة التي افترضها الله تعالى في القرآن جملة ثم بين الرسول ﷺ هذه الجملة بالسنة، فبين أن الفرض في الجملة على المقيم ماهو عليه الناس من صلاة المسافر، ويؤيد ذلك ماروي عن النبي ﷺ وأصحابه قبل نزول فرض الصلاة بالقرآن انما كانوا يصلون نوافل، فلما جاء فرض الأمر باللازم في الجملة، وبينه رسول الله ﷺ بالسنة أزاح الشبهة، فلو كان الفرض لازما في ابتداء الصلاة ركعتين وزيدت في صلاة المقيم، لكانت صلاة

---

(٢١٣) سورة الأنبياء : ٢٥ .
(٢١٤) سورة الأعراف : ١٤٣.
(٢١٥) سورة النساء : ١٠١.

المغرب ركعتين، والى هذا القول يذهب الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي (رحمه الله) وفي المنقول عن الرسول ﷺ من طريق أبي هريرة، قال: «حدثني جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى، قال: من صلى الظهر في جماعة، فكانه أنفق كثيبا من ذهب في سبيل الله»، وقال: «حدثني جبريل عليه السلام أن من صلى العصر في جماعة، فكانه أعتق سبعين رقبة من ولد اسماعيل». وقال ﷺ: «حدثني جبريل عليه السلام ان من صلى المغرب في جماعة، فكانه قد حج سبعين حجة وعمرة غير حجة الاسلام»(٢١٦)، وقال ﷺ : «حدثني جبريل عليه السلام أن من كان في جواره مسجد وسمع آذان العشاء الآخرة وخرج من بيته بعد أن أسبغ الوضوء ولا يمسح الماء عن أذراف يمينه وأنامله، وسار الى مصلاه، ويقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله أكبر كبيرا، وله الحمد، خلق الله تبارك وتعالى له من ذلك اللفظ أملاكا شتى يسبحون الله تعالى بلغات شتى، لعله ويستغفرون لكل من يدمن على صلاة الجماعة ويزيده زيادة، قلت وما هذه الزيادة؟ قال: قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء، يرى ظاهره من باطنه بلا دعامة من تحته، ولا علاقة من فوقه، في ذلك ست وستون مقصورة، في كل مقصورة سرير عن يمينه وسرير عن يساره، على كل سرير فراش من استبرق، مابين الفراش الى الفراش نهر من خمر ونهر من لبن، فلا البواطن تبدو الى الظواهر، قال: كل ذلك لمن يدمن على صلاة الجماعة». ومن حديث آخر عنه ﷺ قال: «من صلى الفجر في جماعة كان له من الفردوس سبعون درجة، مابين درجتين كخصر الفرس الجماد المضمر سبعون سنة»(٢١٧). ومن حديث آخر: «ومن شهد الظهر في جماعة كان له في جنات عدن خمسون درجة مابين كل درجتين كخصر الجواد المضمر سبعون سنة»، ومن حديث آخر: «من شهد العصر في جماعة كان كمن أعتق ثمانية من ولد اسماعيل كلهم رب نيت(٢١٨) يعتقهم، ومن شهدالمغرب في جماعة كان له حجة مبرورة وعمرة مقبولة، ومن شهد العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام ليلة القدر». ومن حديثا آخر عنه ﷺ أنه قال: «من شهد الصلاة ـ لعله الصلوات الخمس ـ في جماعة أربعين يوما، لا يحرم منهن صلاة ولا تكبيرة الافتتاح الا وهو في المسجد كتب الله له براءة

(٢١٦) ورد ذكره في الجامع الكبير ٢/ ٢٨١، انظر موسوعة أطراف الحديث .
(٢١٧) ورد ذكره في الجامع الكبير ، انظر موسوعة أطراف الحديث ١/ ٣٦٣.
(٢١٨) كذا في الأصل، والمعنى غير بين.

من النار»(٢١٩). ومن حديث آخر عنه ﷺ، قال: «من توضا في بيته وأحسن وضوءه، ثم يأتي المسجد قرب أو بعد، كتب الله بكل خطوة حسنة حتى ينتهي المسجد، فاذا قضى صلاته رجع وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق أم حبيبة، قال: «اثنتا عشرة ركعة من صلاها بنى الله له بيتا في الجنة، أربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان قبل الفجر». ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق أنس بن مالك، قال: «من صلى الفجر في جماعة أكرمه الله تعالى بخمس خصال: أولاهن: يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. والثانية: يجعل حبه في قلوب المؤمنين. والثالثة: يرزقه الله تعالى بغير مشقة. والرابعة: يرفع الله عنه عذاب القبر. والخامسة: يقضي الله له حوائج الدنيا والآخرة». ومن حديث آخر عنه ﷺ، أنه قال: «اذا قام الرجل في محرابه وتواترت الصفوف من ورائه، نزلت عليهم من السماء مائتا رحمة، خمسون منها مع الامام خاصة، وخمسون منها مع يمينه، وخمسون منها مع شماله، وخمسون منها مع القوم».

فصل

ومن حديث آخر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: «من فاته ورده من الليل فليصل قبل الظهر أربع ركعات، فانها تعدل بصلاة الليل». ومن حديث عنه ﷺ، أنه قال: «من صلى قبل الظهر أربع ركعات حرمه الله على النار»(٢٢٠). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: صلى بنا الرسول ﷺ صلاة الصبح في جماعة، فلما انفلت من محرابه أقبل علينا بوجهه الكريم، وقال: «معاشر الناس، رجل من أمتي يدخل المسجد فلا صلاة له حتى يعيدها، ورجل من أمتي له فضل صلاة واحدة، ورجل آخر من أمتي يدخل المسجد له فضل عشر صلوات، ورجل آخر من أمتي يدخل المسجد وله فضل خمس وعشرين صلاة، ورجل آخر يدخل المسجد وله فضل ثلاثين صلاة، ورجل آخر من أمتي يدخل المسجد وله فضل خمسون صلاة»، فقلنا فدينك بالآباء والأمهات يارسول الله، عرفنا القوم؟ فقال: «فالذي لاحظ له في الصلاة، رجل يكون من وراء الامام فيركع قبل

(٢١٩) أخرجه الترمذي وأورده العراقي وصاحب القوت ... انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/ ١٦.

(٢٢٠) أخرجه الترمذي وغيره ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٣.

ركوع الامام، أو يسجد قبل سجوده، فلا صلاة له حتى يعيدها، وأما الذي له فضل صلاة واحدة، فرجل ركع مع الامام، وسجد مع سجوده، وأما الذي له فضل عشر صلوات، فرجل يدخل المسجد فيكون وراء الامام، فيركع بعد ركوع الامام، ويرفع بعد الامام، ويسجد بعد الامام، فله فضل عشر صلوات، والصلاة في جماعة تزيد على صلاة المنفرد بخمس وعشرين صلاة، والمؤذن له فضل ثلاثين صلاة، والامام له فضل خمسين صلاة»، قلنا: يارسول الله كل من أذن وأم كان له فضل ذلك؟ قال: «اذا كان المؤذن قنوعا صبورا محتسبا يريد بذلك رحمة الله، كان له فضل ذلك، واذا كان الامام قنوعا صبورا محتسبا يتم ركوعه وسجوده، والذين يصلون وراءه راضون عنه يريد بذلك وجه الله، كان له فضل ذلك، ولو علم المؤذنون والعلماء والأئمة لتجالدوا على ذلك بالسيوف»، وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة، وقد أتيت بذكره في أول الباب، والله أعلم .

فصل

أذكر ها هنا مايشتمل من صلاة النوافل في الليالي والأيام السبع. فمن ذلك مارفع في الحديث عن النبي ﷺ، من طريق أبي هريرة قال: «من صلى يوم الأحد أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾(٢٢١)، مرة، كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات، وأعطاه ثواب نبي، وكتب له حجة وعمرة»(٢٢٢). ومن حديث آخر: «وكتب له بكل ركعة ألف صلاة، وأعطاه الله في الجنة بعدد كل حرف قرأه مدينة من مسك أذفر»(٢٢٣). ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق علي بن أبي طالب: «من صلى في يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب، و﴿الٓمٓ تَنزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ ـ سورة السجدة ـ ، وفي الثانية فاتحة الكتاب ، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلكُ﴾ ـ سورة الملك ـ ، ثم يتشهد ويسلم، ثم يقوم ويصلي ركعتين آخريين، يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة، ويسأل حاجته، كان حقا على الله أن يقضي حاجته، وبازيد مما كان النصارى عليه(٢٢٤). ومن حديث

---

(٢٢١) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢٢٢) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٦.
(٢٢٣) انظر الزبيدي : اتحاف ٣/ ٣٧٢.
(٢٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٧٣.

آخر عنه ﷺ، من طريق أنس بن مالك، قال: «من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة، يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة، وصلى على النبي ﷺ مائة ثم يبرأ من حوله وقوته، والتجا من حوله وقوته ، ثم قال: أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته، وابراهيم خليل الله، وموسى كليم الله،وعيسى روح الله سبحانه، ومحمدا حبيب الله عز وجل، كان له من الثواب بعدد من دعا الله عز وجل، ومن يدعو له بعثه الله تعالى من الآمنين، وكان حقا على الله أن يدخله الجنة مع النبيين»(٢٢٥).

ومن حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم من طريق أنس بن مالك: «من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات، يقرأ في الركعة الأولى : فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات. وفي الركعة الثانية: فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عشرين مرة. وفي الركعة الثالثة: فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاثين مرة. وفي الركعة الرابعة: فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أربعين مرة، ثم تشهد وسلم(٢٢٦)، ثم قرأ ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمسا وسبعين مرة، واستغفر لذنبه ولوالديه خمسا وسبعين مرة، ثم سأل حاجته، كان حقا على الله أن يعطيه سؤله»(٢٢٧). وهي تسمى صلاة الحاجة. ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أبي أمامة: «من صلى ليلة الاثنين ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمسة مرات، و﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، و ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، كل واحدة خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم خمسة عشرة مرة آية الكرسي، ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة، غفر الله له ذنوبه السر والعلانية، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة، وان مات مابين الاثنين الى الاثنين مات شهيدا، وذلك اذا كان مخلصا لله عز وجل تائبا من جميع ذنوبه»(٢٢٨). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق جابر بن عبدالله: «من صلى لله يوم الاثنين ركعتين عند ارتفاع النهار، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مرة، والمعوذتين مرة، فاذا سلم استغفر عشر مرات، وصلى على النبي ﷺ عشرة مرات، غفر الله له ذنوبه»(٢٢٩). ومن حديث آخر عنه ﷺ من

---

(٢٢٥) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٤.
(٢٢٦) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٤.
(٢٢٧) المصدر السابق . (٢٢٨) انظر الزبيدي : الاتحاف ٩/ ٣٧٩.
(٢٢٩) انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٦.

طريق أنس بن مالك: «من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة، فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، فاذا فرغ من صلاته قرأ اثنتى عشرة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، واستغفر الله تعالى اثنتى عشرة مرة، ينادي يوم القيامة اين فلان بن فلان، فلياخذ من عند الله عز وجل، فاول مايعطى من الثواب ألف حلة، ويتوجهه(٢٣٠)، ويقال له : أدخل الجنة، فليستقبله الف ملك، مع كل ملك هدية، ويمشون معه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ»(٢٣١).

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ، أنه قال: «من صلى ليلة الثلاثاء اثنتى عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة، فاتحة الكتاب، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ خمس مرات، بني الله له بيتا في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات»(٢٣٢). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أنس بن مالك، أنه قال: «من صلى يوم الثلاثاء عند انتصاف النهار ـ ومن حديث آخر عند ارتفاع النهار ـ يقرأ في كل ركعة، فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما، فان مات في السبعين يوما، مات شهيدا، وغفر له ذنوب سبعين سنة، وهو اذا كان مجتنبا جميع الكبائر التي نهى الله عن ركوبها»(٢٣٣)، والله أعلم.

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ، قال: «من صلى ليلة الأربعاء ركعتين: يقرأ في الركعة (٢٣٤) الأولى، فاتحة الكتاب مرة، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ عشرة مرات، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ عشر مرات، ينزل من كل سماء سبعون ألف ملك، يكتبون ثوابه الى يوم القيامة»(٢٣٥). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق معاذ بن جبل (رحمه الله) قال: «من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات،

(٢٣٠) كذا في الأصل ، ولعل المراد : ويتوجه اليه .
(٢٣١) انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/ ٣٧٤.
(٢٣٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف بلفظ ركعتين، انظر ٣/ ٣٨٠.
(٢٣٣) الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٧٥.
(٢٣٤) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٤.
(٢٣٥) انظر نفس المصدر ٧/ ٣٧٧.

وكذلك المعوذتين، نادى به ملك من تحت العرش ياعبدالله استانف العمل، فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك، ودفع عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته، ودفع عنك شدائد القيامة»(٢٣٦).

ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أبي هريرة : «من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمس مرات، والمعوذتين(٢٣٧) خمس مرات، فاذا فرغ من صلاته استغفر الله عشر مرات أعطاه الله تعالى مايعطي الصديقين والشهداء»(٢٣٨). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق ابن عباس (رحمه الله): «من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مائة مرة، وفي الركعة (٢٣٩) الثانية فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مائة، ويصلي على النبي مائة مرة، أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان، وكان له من الثواب مثل حاج البيت الحرام، وكتب له بعدد من آمن بالله تعالى وتوكل عليه»(٢٤٠).

فصل

ومن حديث عنه ﷺ، من طريق جابر بن عبدالله أنه قال : «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء الآخرة اثني عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، فكأنها عند الله اثني عشرة سنة، صائما نهارها، وقائما ليلها»(٢٤١)، ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق أنس بن مالك: «من صلى ليلة الجمعة صلاةالعشاء الآخرة في جماعة، وصلى بعدها ركعتي السنة، ثم صلى بعدها عشر ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين مرة مرة، ثم أوتر بثلاث ركعات، ونام على جنبه الأيمن ووجهه الى القبلة، فكانما أحيى ليلة القدر»(٢٤٢)، وأما فضل صلاة يوم الجمعة، فقد ذكرتها في باب فضائل الجمعة، وهو باب المساجد والخطب، وسياتي بعد هذا، ان شاء الله تعالى .

---

(٢٣٦) انظر نفس المصدر ٨/ ٣٧٤.
(٢٣٧) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٧.
(٢٣٨) انظر نفس المصدر ٨/ ٣٧٤.
(٢٣٩) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٧.
(٢٤٠) انظر المصدر السابق ٨/ ٣٧٤.
(٢٤١) نفس المصدر : ٨/ ٣٧٤.
(٢٤٢) انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/ ٣٨١.

فصـــل

ومن حـديث آخـر عنه ﷺ، من طريق أنس بن مالك، أنه قال: «من صلى يوم السـبت بين المغـرب والعـشاء الآخرة اثني عشرة ركعة، بنى الله له قصرا في الجنة، وكان حقا على الله أن يغفر له»(٢٤٣). ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق أبي هريرة: «من صلى أربع ركـعـات، يقـرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، و﴿قُل يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾(٢٤٤) ثلاث مرات، فاذا فرغ من صلاته وسلم، قرأ آية الكرسي، كـتب الله له بكل حـرف حـجة وعمرة، ورفع له بكل حرف اجر سنة صائما نهارها وقائما ليلها، وأعطاه الله بكل حرف أجر شهيد، وكان تحت ظل عـرشه مع النبيين والشهداء»، وهذا اذا كان مخلصا لوجه الله الكريم، حاسما جميع مـعـاصـيـه، ولايكتـفي بهذه الصلوات التي ذكـرتها عن سائر أعماله، واقـامـتـه لفـرائض الله وسنته. والركعتين اللتين ذكرتهما من قبل، والتي هي بعـد المغـرب، وذكـرت فـضـائلهـا، فلا ينبغي أن يقطع النية، لأن لها فضلا عظيما، وقد سبق ذكره عند ذكر صلاة المغرب، والله أعلم .

فصـــل

أذكـر هاهنا طرفـا من صلاة الحاجة. اعلم أن الصلاة عماد الدين، ونور الاسـلام، وبها يبلغ العـبد منازل الدرجات العلى دنيا وأخرى، وذلك اذا أهمك أمـر من أمـور الدنيا وعسر عليك، وكان لابد منه، فادع الله عز وجل أن يسهل عليك ويقضي حـاجـتك، ولكن أساله بقلب خـاشع، ويقين صادق، ولاتدعه الا وأنت طاهرا ظاهرا وباطنا مـتـيـقنا بالاجابة في أسرع ماكان، لأنه في الحديث المنقـول عن النبي ﷺ، قـال: «لايدع أحدكم الا وهو متيقن بالاجابة»، لأن الله عز وجل قريب لمن دعاه، مجيب لمن ناداه، بصير باحوال المخلوقين، لقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٢٤٥)، فـان وافق دعاؤك عقب فـريضة فحسن جدا، لأنه في المنقول من الحديث: «أن أبواب السماء تفتح كل يوم وليلة خمسـة مـرات»(٢٤٦)، وذلـك في وقـت الـفـرائض، فـارغـب الى الله واضرع اليـه واعبده وتوكل عليه، وانصب في الدعاء والذكر، قال الله عز وجل

---

(٢٤٣) موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٧٤.
(٢٤٤) سورة الكافرون : ١ .
(٢٤٥) سورة البقرة : ١٨٦ .
(٢٤٦) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٢/ ١٤ ـ ١٥ .

لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغتَ فَانصَب، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارغَب﴾(٢٤٧)، أي: فاجتهد في الدعاء الى أن تتعب بعد فراغك من الصلاة، ومن حديث آخر: «فاذا فرغت من التبليغ من دنياك فانصب لآخرتك»، ومن حديث: «فانصب في قيام الليل»، ومن حديث آخر: «فاذا فرغت من الذي لابد لك منه فانصب في عبادة الله عز وجل»، وادعه عقيب الصلوات المكتوبة، لأن الدعاء مخ العبادة، ولا تدعه وقلبك ساه ولاه بامور الدنيا وأحوالها، فتصير في قولك في دعائك: يارب اغفر لي وارحمني، شبيه الكاذب، لأن لسانك اذا كان يدعو الله تعالى بحروف مركبة، وقلبك حايد عن معناها، فلا محصول لتلك الحروف، ولا فائدة لكلام مركب باللسان دون الجنان، ولكن ادع الله بقلب حاضر، وطرف ناظر، ويقين صادق، وايمان تام، لأن المصلي اذا انفلت من صلاته ولم يدع الله بشيء، قالت الملائكة عليهم السلام: استغنيت عن رب كريم، يعطي الجزيل، ويقبل القليل. فاضرع الى الله تعالى واساله حوائجك يقضها لك كائنة ماكانت. وان لم توافق صلاة مكتوبة، وأهمك أمر عظيم فقم وتوضا أحسن الوضوء، واخلص العمل للحي القيوم، وصل لله ركعتين، تقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة، و﴿قُل يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ عشرة مرات، وفي الثانية، الفاتحة مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، ثم تسجد بعد تسليمك من صلاتك، وتصلي على النبي محمد ﷺ في سجودك عشر مرات، ثم تقول في سجودك: سبحان الله ، والحمدلله، ولا اله الا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات، وتقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢٤٨) عشرة مرات، ثم تساله حوائجك، فانها تقضى باذن الله تعالى. ومن حديث آخر: »من أراد أن يصليها ، فليغتسل ليلة الجمعة، ويلبس ثيابا طاهرة، ويصليها عند السحر، وينوي قضاء حاجته، فانها تقضى باذن الله تعالى». ومن حديث آخر: «أنه يصلي أربع ركعات بتشهدين وتسليمين، يقرأ في الركعة الأولى بعد فاتحة الكتاب ﴿رَبِّ اشرَح لِي صَدرِي﴾(٢٤٩) ـ الآية ـ عشر مرات، وفي الثانية فاتحة الكتاب و ﴿فَستَذكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُم﴾(٢٥٠) ـ الآية ـ عشر مرات، وفي الثالثة بعد فاتحة الكتاب: ﴿رَبَّنَا أَتمِم لَنَا نُورَنَا﴾(٢٥١) ـ الآية ـ عشرة مرات، ثم يسجد بعد الفراغ، ويقول في سجوده:

---

(٢٤٧) سورة الشرح : ٧ ـ ٨ .
(٢٤٨) سورة البقرة : ٢٠١ .
(٢٤٩) سورة طه : ٢٥ .
(٢٥٠) سورة غافر : ٤٤ .
(٢٥١) سورة التحريم : ٨ .

﴿لَّآ إِلَهَ إِلَّآ أَنتَ سُبحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاستَجَبنَا لَهُ﴾(٢٥٢) ـ الآية ـ إحدى وأربعين مرة، ثم يسأل حاجته، تقضى باذن الله تعالى».

فصل

ومن حديث آخر: «واذا أهمك أمر عظيم وأردت [أن] ترى عاقبته، ففيما ورد في المنقول عن علي بن أبي طالب، أنه قال: من أراد أن يريه الله تعالى في منامه مايريد من حوائجه، فليصل ست ركعات قبل أن ينام، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة و﴿ وَالشَّمسِ وَضُحَاهَا ﴾(٢٥٣) سبع مرات، وفي الثانية الفاتحة و﴿ وَاللَّيلِ إِذَا يَغشَى ﴾(٢٥٤) سبعا ، وفي الثالثة الفاتحة و ﴿ وَالضُّحَى ﴾(٢٥٥) سبعا، وفي الرابعة الفاتحة و ﴿ أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَكَ ﴾(٢٥٦) سبعا، وفي الخامسة الفاتحة و﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيتُونِ ﴾(٢٥٧) سبعا، وفي السادسة الفاتحة و ﴿ إِنَّا أَنزَلنَاهُ ﴾ (٢٥٨) سبعا، فاذا فرغ أثنى على الله تعالى وصلى علي النبي ﷺ، ثم يقول: اللهم رب محمد ورب ابراهيم ورب موسى ورب اسحاق ويعقوب ورب جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، ومنزل التوراة والانجيل، والزبور والفرقان العظيم، أرني في منامي الليلة ما أنت أعلم به مني، فان رأى في الليلة الأولى أو الثانية أو الثالثة، والا فما يبلغ السابعة الا وقد أتاه من يقول له : الأمر كذا وكذا ان شاء الله تعالى .

فصل

ومن حديث آخر في صلاة الكفاية، وهي كفاية العدو، وهي ركعتان يصليهما في أي وقت كان، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وعشرة مرات ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وخمس عشر مرة ﴿فَسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾(٢٥٩)، ثم يسلم، ويدعو هذا الدعاء وهو : ياالله يارحمن يامنان ياديان يامن هو مسبح بكل لسان، يامن يداه بالخير مبسوطتان، ياكافي محمد شر الأحزاب، وياكافي ابراهيم النيران، وياكافي موسى فرعون، ياكافي عيسى

---

(٢٥٢) سورة الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢٥٣) سورة الشمس : ١ .
(٢٥٤) سورة الليل : ١ .
(٢٥٥) سورة الضحى : ١ .
(٢٥٦) سورة الشرح : ١ .
(٢٥٧) سورة التين . ١ .
(٢٥٨) سورة القدر : ١ .
(٢٥٩) سورة البقرة : ١٣٧ .

الجبابرة، ياكافي نوح الغرق، ياكافي لوط فحش قومه، ياكافي من كل شيء، ولا يكفي دونه شيء، وياكافي كل شر، ولا يكفي دون شيء، وياكافي عائشة وآسية، اكفني عظيم البلاء من كل شيء، حتى لا أخاف ولا أخشى مع اسمك العظيم الاعظم، فانه يكفي شره وهمه بعد صلاته باذن الله تعالى. ومن حديث آخر: «ومن أراد أن يكفي شر خصمه يصلي أربع ركعات بتسليمة واحدة، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة ، وعشر مرات ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وفي الثانية الفاتحة مرة، وعشر مرات ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وثلاث مرات ﴿قُل يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾. وفي الثالثة الفاتحة مرة ، وعشرة مرات ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، و﴿أَلهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(٢٦٠). وفي الرابعة الفاتحة مرة، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، وآية الكرسي مرة، فانه يكفيه الله أمرهم». والمامور به أن يصلي هذه الصلاة في سبعة أوقات: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وآخر جمعة من رمضان، ويوم العيدين، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، فانه يبلغ مراده باذن الله تعالى .

فصل

في صلاة العتقاء في شوال . ومن حديث آخر عن الرسول ﷺ، من طريق أنس بن مالك، قال: «من صلى في شوال ثماني ركعات ليلا كان أو نهارا، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وخمس عشرة مرة ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فاذا فرغ من صلاته سبح الله تعالى سبعين تسبيحة، وصلى على النبي ﷺ سبعين مرة»، ففي الحديث المنقول عنه ﷺ قال: «والذي بعثني بالحق نبيا، ما من عبد يصلي هذه الصلاة الا أنبع الله ينابيع الحكمة من قلبه، وأنطق بها لسانه، وأراه دواء الدنيا وداءها». ومن حديث آخر: «والذي بعثني بالحق نبيا، من صلى هذه الصلاة على ماوصفت لا يرفع رأسه من آخر سجدة حتى يغفر الله له، وان مات مات شهيدا مغفور له». ومن حديث آخر: «مامن عبد يصلي هذه الصلاة في السفر الا سهل الله تعالى عليه المسير الى موضع مطلوبه، وان كان مديونا قضى الله تعالى عنه دينه». ومن حديث آخر عنه ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبيا مامن عبد يصلي هذه الصلاة الا أعطاه الله بكل حرف وبكل آية مخرفة في الجنة»، قيل : وما المخرفة يارسول الله؟ قال: «بساتين في الجنة يسير الراكب في ظل شجرة من أشجارها لايقطعها». ومن حديث آخر: «ان هذه الصلاة تدفع عذاب القبر، وذلك اذا كان مخلصا لله عز

(٢٦٠) سورة التكاثر : ١ .

وجل». ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق عبدالله بن الحسين بن علي(٢٦١): «من صلى ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة من أول سورة المؤمنون، حتى يبلغ ﴿.... فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٢٦٢)، فانه يامن شر الجن والانس، ويعطى كتابه بيمينه يوم القيامة ، ويوقى من عذاب القبر، ومن الفزع الأكبر، ويعلمه الكتاب، وينزع منه الفقر، ويؤتيه الله الحكم، وينصره الله في كتابه الذي أنزله على نبيه، ويلقنه حجته يوم القيامة، ويجعل النور في قلبه، ولا يحزن اذا حزن الناس، ولا يخاف اذا خافوا، وينور بصره، وينزع حب الدنيا من قلبه، ويكتب عند الله من الصادقين»(٢٦٣).

فصل

ومن حديث آخر عن النبي ﷺ، من طريق أنس بن مالك أنه قال: «من كان له حاجة الى الله ـ حاجة مهمة ـ فليسبغ الوضوء وليصل ركعتين، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وفي الثانية فاتحة الكتاب و﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾(٢٦٤) الى آخر السورة ثم يتشهد ويسلم، ويدعو بهذا الدعاء فان حوائجه تقضى باذن الله تعالى، وهو هذا الدعاء: اللهم يامؤنس كل وحيد، ويامصاحب كل فريد، ويامن هو قريب غير بعيد، ويامن هو شاهد غير غائب، ويامن هو غالب غير مغلوب، أدعوك باسمك بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ الحي القيوم الذي لاتاخذه سنة ولا نوم، وأدعوك باسمك الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات، ووجلت منه القلوب، أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأن تجعل لي من أمري فرجا، وتقضي حاجتي، انك على كل شيء قدير».

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ، من طريق جابر بن عبدالله، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «اذا هم أحدكم بأمر أو بارادة خروج الى سفر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ويقرأ فيهما ماينبغي بعد الفاتحة، آية الكرسي، و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، ومايسر الله من القرآن، ثم اذا سلم من صلاته يقول: اللهم اني استخيرك فيما أنت

---

(٢٦١) انظر ترجمته في الملحق .
(٢٦٢) سورة المؤمنون : ١ ـ ١٤ .
(٢٦٣) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٩/ ٣٧٢.
(٢٦٤) سورة البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

أعلم به مني، وأستقدرك فيما أنت أقدر به مني، وأسالك من فضلك العظيم، فانك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر - وتسميه بعينه - خير لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فقدره ويسر لي، ثم بارك لي فيه، وإلا فاصرفه عني، ويسر لي الخير حيث ماكنت، واجعلني راضيا بقضائك يأأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»(٢٦٥).

فصل

وسأذكر الأسباب المفضية بالعبد الى اجابة الدعوة من صلاة وغيرها. فاما الأسباب المفضية بالعبد الى اجابة الدعوة، فامعان النظر العقلي والعمل به في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ﴾(٢٦٦)، وذلك للحديث المنقول عن الرسول ﷺ، قال: «لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم»، فانظر أيها المجاهد نفسه الى قول الرسول ﷺ: من كفاية هذه الآية دنيا، ودينا، وآخرة، ولايتاتى ذلك الا برياضة النفس، وحسم أحوالها من الرياسة والعجب والكبر والرياء والنفاق، ومجاهدتها لطوارق أحوال وساوس الشيطان، مع خوف الله عز وجل، لأنه في المنقول من الكتب المنزلة: ياابن آدم خفني مثلما تخاف الذئب، وفر من غضبي كما تفر من الأسد، وذلك على معنى ماحفظته من الأحاديث، أي: ابتعد عن الأمور التي يغضب منها الله عز وجل، كما أنك تبتعد من الأسد، فلا تقترب منها طرفة عين، وكن كانك موقوف بين يديه، تنظر بعين قلبك، وينظرك بعين علمه تعالى خالي الفؤاد عند الالهية، فاتر الطرف مسترخي الجوارح عند المخاطبة الربانية، مستكن الحواس، متماوت الجسد عند الدعوة الصمدانية، زائل الهوى، متحدر المفاصل عند المقالة المقدسية، لاحس لك ولا أثر ولا حركة ولا اضطراب لك، ولا انقلاب ولا انفلات عند الزجرة الرحمانية، لاتدع من نفسك شيئا عند نهيه تعالى، وتنح عنها وانعزل عن ملكك وأمرك مع الملكة الموسومة بالعظمة والسلطان، وسلم الأمر اليه تعالى انه هو العظيم الشان، وامتثل لأمره امتثالا أثبت من النقش على الصفاء وكن مسرعا لجميع أوامره كالنجم القامع، أو البرق اللامع، مفرغا اليه قلبك بالكلية، لاتدع في قلبك

(٢٦٥) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/٤٩٧.
(٢٦٦) سورة الطلاق : ٢ - ٣ .

وسمعك وبصرك، [و] جميع جوارحك مثقال ذرة من القوة الا أخرجتها في طاعته تعالى، ولا همة الا بعتها في ذاته عز وجل، لأنه يقول في كتبه المنزلة : يابن آدم، اني أنا الله الذي لا اله الا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون، وقال تعالى : يادنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه وأتعبيه، أخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك، فالتسارع والتقادم لأمره تعالى، والتقاصر والتباعد عنه نهيه عز وجل، والتماوت والتساكن في القدر، لأنه في المنقول من الأحاديث عن السلف : «من ترك الكل حاز الكل»، أي: من ترك كل معاصيه حاز كل موعوده تعالى، لأنك اذا كنت في أمره تعالى كانت الأكوان في أمرك، واذا كرهت نهيه عز وجل قربت منك المكاره أينما كنت وحللت، ولايحصل لك ذلك الا اذا كنت حاسما عن جوارحك الكسل، ونفسك عن المال، وعقلك عن الجدل، وقلبك عن الزلل، وروحك عن بعد الأمل، ويترك عن رؤية العمل، أو ماتلبس قاعدة التحقيق الا سابقة التوفيق ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلَامِ﴾(٢٦٧)، ويسر أمره، ويرفع في عليين ذكره، ويحسم من صحيفة الحفظة دينه، واصره، ولايحصل لك ذلك الا أن تخلو بنفسك كثيرا، وتخلع بدنك خاليا وتسير كأنك مجرد بلا بدن يعرى من الملابس الطبيعية، ترى من لو أحق بالجسم الخشن بالكلية، فيكون حينئذ هذا دأبك خارجا عن جميع الأشياء مجموعا اليك عليك، مصروف البال، اليك مستوى الحال في ذات الله عز وجل، فترى في ذلك من النور والبهاء والرفعة والسناء ماتبقى له متعجبا متحيرا، فتعلم حينئذ أنك صرت جزءا من أجزاء الجبروت الأعلى ودرر حياة نافذة وخيرات ثابتة. ثم اذا كنت في أمر مهم وأردت اضمحلاله فاحفظ أبدا أمر الله تعالى عليك، وانته أبدا بنهيه، وسلم اليه مقدوره البتة، ولا تشرك به شيئا من خلقه، فارادتك وشهواتك وهواك خلقه، فلا يسرك بعبادته شيئا من ذلك، وكن قويا في جاشك وجوارحك لمحظوره وأعدائه، لينا ودودا عطوفا لأحبائه وأصفيائه، ثم سر كأنك مجذوب العقل الى مقصدك، حاسما كل الهمم عما ورائك، فقم وتوضأ أحسن الوضوء، بقلب حاضر، ولسان ذاكر، وخاطر الى موعود الله تعالى مشغوف ناظر، فان وافقت مكتوبة فحسن جدا، والا تخير من الأوقات المباركة، ثم قم بين يدي الله تعالى متجردا من طبيعة النفس، خاليا من أسباب الهوى، قاطعا أبدا من وساوس الشيطان، واعقد النية وثبت الأمنية

(٢٦٧) سورة الأنعام : ١٢٥ .

بثماني ركعات مابين الركعتين تسليمة، تقرأ في الأول فاتحة الكتاب والمعوذتين، و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٢٦٨)، و﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(٢٦٩) ـ التي في سورة البقرة ـ وآية الكرسي، ثم تركع وتسجد سجود الأوابين المجتنبين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢٧٠)، ثم تقرأ فاتحة الكتاب في الركعة الثانية، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٢٧١)، وأول سورة آل عمران إلى قوله : ﴿.... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢٧٢)، ﴿شَهِدَ اللهُ ....﴾(٢٧٣) ـ الآية ـ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ....﴾ إلى قوله : ﴿.... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢٧٤)، ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢٧٥) الآية التي في سورة النساء، ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾(٢٧٦) ـ الآية ـ و﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾(٢٧٧) ـ الآية ـ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ...﴾ إلى قوله ﴿... أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(٢٧٨). ثم يركع الثانية ويقرأ التحيات إلى : عبده ورسوله، ويسلم بعقد النية، وتصلي ركعتين أيضا، تقرأ في الأولى فاتحة الكتاب و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٢٧٩)، ثم تقول : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ....﴾ إلى قوله : ﴿.... وَهُوَاللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢٨٠)، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٢٨١) ـ الآية ـ و﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾(٢٨٢) ـ الآية ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾(٢٨٣) ـ الآية ـ و ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى ....﴾ الآية التي بعدها، إلى قوله : ﴿.... يَعْدِلُونَ﴾(٢٨٤)، ﴿وَمَا أُمِرُوا

(٢٦٨) سورة القدر : ١ .
(٢٦٩) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٢٧٠) سورة الأنفال : ٢ .
(٢٧١) سورة الأخلاص : ١ .
(٢٧٢) سورة آل عمران : ١ ـ ٦ .
(٢٧٣) سورة آل عمران : ١٨ .
(٢٧٤) سورة آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢٧٥) سورة النساء : ٨٧ .
(٢٧٦) سورة الأنعام : ٣ .
(٢٧٧) سورة الأنعام : ١٣ .
(٢٧٨) سورة الأنعام : ٥٩ ـ ٦٢ .
(٢٧٩) سورة الناس : ١ .
(٢٨٠) سورة الأنعام : ١٠١ ـ ١٠٣ .
(٢٨١) سورة الأنعام : ١٠٦ .
(٢٨٢) سورة الأنعام : ١١٥ .
(٢٨٣) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٢٨٤) سورة الأعراف : ١٥٩ ـ ١٨١ .

إِلاَّ لِيَعبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً﴾(٢٨٥) ـ الآية ـ ﴿فَإِن تَوَلَّواْ فَقُل حَسبِيَ اللهُ﴾(٢٨٦) ـ الآية ـ ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ﴾(٢٨٧) ـ الآية ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَيَرجُونَ لِقَاءَنَا ....﴾ ـ الآية ـ إلى قوله : ﴿.... أَنِ الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾(٢٨٨)، ﴿فَإِن لَّم يَستَجِيبُواْ لَكُم﴾(٢٨٩) ـ الآية ـ ﴿اللهُ يَعلَمُ مَا تَحمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾(٢٩٠) ـ الآية ـ ﴿وَلِلهِ يَسجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾(٢٩١) ـ آية السجدة ـ ثم يسجد سجدة القرآن، ثم يقوم فيقول: ﴿قُل هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾(٢٩٢) ـ الآية ـ ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾(٢٩٣)، ويقرأ أول سورة النحل، إلى قوله : ﴿.... فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾(٢٩٤)، ﴿ أَوَ لَم يَرَواْ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ....﴾ إلى السجدة ﴿.... وَيَفعَلُونَ مَايُؤمَرُونَ﴾(٢٩٥)، ثم يسجد ثانية سجدة القرآن، ثم يقوم فيقرأ: ﴿وَقَالَ اللهُ لَاتَتَّخِذُواْ إِلَهَينِ اثنَينِ ....﴾ إلى قوله : ﴿....أَفَغَيرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾(٢٩٦)، ﴿قُلِ ادعُواْ اللهَ أَوِ ادعُواْ الرَّحمَنَ....﴾(٢٩٧) إلى آخر السورة، ثم آخر سورة الكهف ـ الآية ـ ثم يسجد للركعة الثالثة . ثم يقوم فيقرأ الفاتحة و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وأول سورة طه إلى قوله: ﴿.... لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى﴾(٢٩٨)، ﴿وَأَنَا اخترتُكَ﴾(٢٩٩) ـ الآية ـ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ﴾(٣٠٠) ـ الآية ـ ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ..﴾ إلى قوله : ﴿.... وَلَا هَضماً﴾(٣٠١)، ﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾(٣٠٢) التي في سورة الأنبياء. ﴿وَذَا النُّونِ ....﴾ إلى قوله : ﴿.... المُؤمِنِينَ﴾(٣٠٣)،

---

(٢٨٥) سورة التوبة : ٣١ .
(٢٨٦) سورة التوبة : ١٢٩ .
(٢٨٧) سورة الأنعام : ٣٨ ، سورة هود : ٦ .
(٢٨٨) سورة يونس : ٧ ـ ١٠ .
(٢٨٩) سورة هود : ١٤ .
(٢٩٠) سورة الرعد : ٨ .
(٢٩١) سورة الرعد : ١٥ .
(٢٩٢) سورة الرعد : ٣٠.
(٢٩٣) سورة ابراهيم : ٥٢ .
(٢٩٤) سورة النحل : ١ ـ ٤ .
(٢٩٥) سورة النحل : ٤٨ ـ ٥٠.
(٢٩٦) سورة النحل : ٥١ ـ ٥٢.
(٢٩٧) سورة الاسراء : ١١٠ـ ١١١.
(٢٩٨) سورة طه : ١ ـ ٨ .
(٢٩٩) سورة طه : ١٣ .
(٣٠٠) سورة طه : ٩٨ .
(٣٠١) سورة طه : ١١١ ـ ١١٢ .
(٣٠٢) سورة الأنبياء : ٢٥ .
(٣٠٣) سورة الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ الآية التي في سورة الحج، إلى قوله: ﴿.... وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ﴾(٣٠٤)، ﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ....﴾ إلى قوله: ﴿.... إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾(٣٠٥)، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ﴾(٣٠٦) ـ الآية ـ ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ...﴾(٣٠٧) إلى آخر السورة، ثم يركع الركعة الرابعة، ويقرأ التحيات إلى: عبده ورسوله، ثم يسلم، وتكون السنة ركعتين، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٣٠٨)، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ ...﴾ إلى آخر السجدة ﴿.... هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾(٣٠٩)، ثم يسجد سجدة القرآن، ثم يقرأ: ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ﴾(٣١٠) ـ الآية التي في آخر سورة القصص ـ ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(٣١١)، وأول سورة السجدة، إلى قوله: ﴿... جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣١٢)، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾(٣١٣) ـ الآية ـ، ﴿الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾(٣١٤)، أول سورة فاطر إلى قوله: ﴿....أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣١٥)، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ...﴾ إلى قوله: ﴿... مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(٣١٦)، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ...﴾(٣١٧) إلى آخر سورة يس، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً

---

(٣٠٤) سورة الحج : ١٨ ـ ٢٤ .
(٣٠٥) سورة الحج : ٥٦ ـ ٦٦ .
(٣٠٦) سورة الحج : ٧٠ .
(٣٠٧) سورة المؤمنون : ١١٦ ـ ١١٨ .
(٣٠٨) سورة الناس : ١ .
(٣٠٩) سورة النمل : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٣١٠) سورة القصص : ٧٠ ـ ٨٨ .
(٣١١) سورة الروم : ١٧ ـ ٢٧ .
(٣١٢) سورة السجدة : ١ ـ ١٧ .
(٣١٣) سورة القصص : ٨٣ .
(٣١٤) سورة سبأ : ١ .
(٣١٥) سورة فاطر : ١ ـ ٦ .
(٣١٦) سورة يس : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٣١٧) سورة يس : ٨٢ ـ ٨٣ .

كَبِيراً...﴾ إلَى قوله: ﴿... إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾(٣١٨)، ﴿سُبحَانَ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِهِ...﴾ إلَى قوله : ﴿... السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٣١٩)، ﴿سُبحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ...﴾ إلَى قوله: ﴿...فَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾(٣٢٠)، ﴿سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...﴾(٣٢١) إلَى آخر السورة، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ...﴾ إلَى قوله : ﴿... لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصرَفُونَ﴾(٣٢٢)، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾(٣٢٣) ـ الآية ـ ثم يركع ويسجد. الركعة الخامسة، ثم يقوم فيقرأ فاتحة الكتاب و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، ثم أول ﴿حمٓ...﴾ ـ سورة غافر ـ إلَى قوله عز وجل : ﴿... إِلَيهِ المَصِيرُ﴾(٣٢٤)، ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ ..﴾ إلَى قوله: ﴿... إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾(٣٢٥)، ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ...﴾ إلَى قوله: ﴿... الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾(٣٢٦)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ..﴾ إلَى قوله: ﴿... تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٣٢٧)، ﴿حمٓ عٓسٓقٓ...﴾ إلَى قوله: ﴿... إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣٢٨)، ﴿وَمَا اختَلَفتُم فِيهِ مِن شَيءٍ...﴾ إلَى قوله: ﴿... إِنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾(٣٢٩)، ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ...﴾ إلَى قوله: ﴿... وَمَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٣٣٠)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ...﴾ إلَى قوله: ﴿... وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ﴾(٣٣١)، ماشئت بعدها من الآيات إن زاد كان أفضل، أول سورة الدخان إلَى قوله : ﴿... رَبُّكُم وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾(٣٣٢)، ﴿فَلِلَّهِ الحَمدُ...﴾(٣٣٣) إلَى آخر السورة، ﴿فَاعلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾(٣٣٤) ـ الآية ـ ﴿كُلُّ مَن عَلَيهَا فَانٍ...﴾ إلَى قوله : ﴿... كُلَّ

(٣١٨) سورة الاسراء : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٣١٩) سورة الاسراء : ١ .
(٣٢٠) سورة المؤمنون : ٩١ ـ ٩٢ .
(٣٢١) سورة الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢ .
(٣٢٢) سورة الزمر : ٥ ـ ٦ .
(٣٢٣) سورة الزمر : ٤٦ .
(٣٢٤) سورة غافر : ١ ـ ٣ .
(٣٢٥) سورة غافر : ١٢ ـ ١٧ .
(٣٢٦) سورة غافر : ٦٢ ـ ٦٥ .
(٣٢٧) سورة فصلت : ٣٠ ـ ٤٢.
(٣٢٨) سورة الشورى : ١ ـ ٥ .
(٣٢٩) سورة الشورى : ١٠ ـ ١٢ .
(٣٣٠) سورة الشورى : ١٩ ـ ٢٠ .
(٣٣١) سورة الشورى : ٢٥ ـ ٢٨ .
(٣٣٣) سورة الجاثية : ٣٦ ـ ٣٧ .
(٣٣٢) سورة الدخان : ١ ـ ٨ .
(٣٣٤) سورة محمد : ١٩ .

يَومٍ هُوَ فِي شَانٍ﴾(٣٣٥)، ﴿تَبَارَكَ اسمُ رَبِّكَ﴾ (٣٣٦) ـ الآية ـ من أول سورة الحديد، إلى قوله ﴿... وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٣٣٧) ـ الآية ـ ، ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(٣٣٨)، ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾(٣٣٩)، ﴿وَاذكُرِ اسمَ رَبِّكَ...﴾ إلى قوله: ﴿... فَاتَّخِذهُ وَكِيلاً﴾(٣٤٠)، ثم يركع الركعة السادسة، ويقرأ التحيات إلى عبده ورسوله، ثم يسلم، ثم يعقد النية بركعتين بغية الثمان الركعات، يقرأ في الأولى الفاتحة و ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٣٤١)، ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٣٤٢) ـ الآية ـ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً﴾(٣٤٣) ـ الآية ـ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ ...﴾ (٣٤٤) إلى آخر سورة البقرة، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغ قُلُوبَنَا...﴾ إلى قوله: ﴿... إِنَّ اللهَ لَا يُخلِفُ المِيعَادَ﴾(٣٤٥)، ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَاللهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوَابِ﴾(٣٤٦)، ثم يركع الركعة السابعة، ثم يقوم فيقرأ في الركعة الثامنة الفاتحة و﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، ﴿رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ...﴾ إلى قوله: ﴿... يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾(٣٤٧)، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدخِلنِي مُدخَلَ صِدقٍ﴾(٣٤٨) ـ الآية ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾(٣٤٩) ـ الآية ـ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحمَةً﴾(٣٥٠) ـ الآية ـ ﴿الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ...﴾ إلى قوله: ﴿...وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾(٣٥١)، ﴿رَّبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلنَا...﴾ إلى قوله: ﴿... العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(٣٥٢)، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعدِهِم...﴾ إلى قوله ﴿... إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣٥٣)، ثم يقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ

---

(٣٣٥) سورة الرحمن : ٢٦ ـ ٢٩ .
(٣٣٦) سورة الرحمن : ٧٨ .
(٣٣٧) سورة الحديد : ١ ـ ٦ .
(٣٣٨) سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٤ .
(٣٣٩) سورة التغابن : ١٣ .
(٣٤١) سورة الناس : ١ .
(٣٤٣) سورة البقرة : ٢٠١.
(٣٤٥) سورة آل عمران : ٨ ـ ٩ .
(٣٤٧) سورة ابراهيم : ٤٠ ـ ٤١.
(٣٤٩) سورة المؤمنون : ٩٧ .
(٣٥٠) سورة الكهف : ١٠ .
(٣٥١) سورة غافر : ٧ ـ ٩ .
(٣٥٢) سورة الممتحنة : ٤ ـ ٥ .
(٣٥٣) سورة الحشر : ١٠ .
(٣٤٠) سورة المزمل : ٨ ـ ٩ .
(٣٤٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(٣٤٤) سورة البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
(٣٤٦) سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٥.
(٣٤٨) سورة الاسراء : ٨٠ .

اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٣٥٤) ـ الآية ـ ، ثم يسجد الثامنة، ثم يقرأ التحيات إلى آخرها، ثم يسلم ويقول بعد ذلك: «أشهد أن لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لاشريك لَهُ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن ماجاء به محمد فهو الحق المبين»، ثم يقرأ بعدها الفاتحة وآية الكرسي و﴿شَهِدَ اللهُ﴾(٣٥٥) ـ الآية ـ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾ إلى قوله :﴿... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣٥٦) ، فهذه الآيات مباركات جداً، تقرأ دبر كل صلاة مكتوبة وغير مكتوبة. للحديث المنقول عن الرسول ﷺ، من طريق علي بن أبي طالب، قال: «ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من سورة آل عمران: ﴿شَهِدَ اللهُ..﴾ إلى قوله: ﴿.. إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلَامُ﴾(٣٥٧)، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾ إلى قوله : ﴿... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣٥٨)، مشفعات، مابينهن وبين الله حجاب»، أي: عن رضاه وقبول عمله إذا كان مخلصا، فينبغي أن تقول بعد قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلمِ قَائِمَا بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(٣٥٩): وأنا أشهد بما شهد الله لنفسه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة، تقول ذلك ثلاث مرات، ثم تقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلَامُ﴾(٣٦٠).

ومن حديث آخر عنه ﷺ ، قال: «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل: ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من أوفى بالعهد، أدخلوه الجنة». ومن حديث آخر عنه ﷺ، أنه قال: «لما أراد الله أن ينزلهن ـ أعني هذه الآيات المشفعات ـ تعلقن بالعرش، وقلن: أتهبطنا الى من يعصيك؟ فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لايقرؤكن أحد من عبادي في دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثاوه، على ماكان منه، وأسكنته حظيرة القدس، نظرت اليه كل يوم سبعين مرة، قضيت اليه كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة». ومن حديث آخر عنه ﷺ، أنه قال: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لايمنعه من دخول الجنة الا الموت، ولايداوم عليها الا صِديق أو عابد». ومن حديث

(٣٥٤) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(٣٥٥) سورة آل عمران : ١٨ .
(٣٥٦) سورة آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣٥٧) سورة آل عمران : ١٨ ـ ١٩ .
(٣٥٨) سورة آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧.
(٣٥٩) سورة آل عمران : ١٨ .
(٣٦٠) سورة آل عمران : ١٩ .

آخر عنه ﷺ، أنه قال: «أن لها لسانا تقدس الله تعالى عند ساق العرش». ومن حديث آخر عنه ﷺ، أنه قال: «من قرأها دبر كل صلاة كان الذي يقبض روحه ذو الجلال والاكرام». ومن حديث آخر عنه ﷺ، قال: «أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام أن من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته ثواب الشاكرين، وأجر النبيين والصديقين، وعمل الصادقين، وأبسط عليه رحمتي، ولم يمنعه من دخول الجنة الا الموت». وفضائل آية الكرسي جمة تركتها خوف الاطالة، الا اني ذكرت طرفا لأحرض على قراءتها وقراءة الآيات التي ذكرتها دبر كل صلاة .

ثم أنه ينبغي لك اذا قرأت هذه الآيات بعد فراغك من صلاتك التي وصفتها لك، أن تسبح الله ماقدرت عليه من التسبيح والتهليل والتقديس والتكبير، وتصلي على النبي محمد ﷺ، لأنه في المنقول لايقبل دعاء الا أن يصدر فيه بتوحيد الله عز وجل، ويختم بالصلاة على النبي محمد ﷺ، ثم بعد ذلك يقرأ هذا الدعاء المبارك وأنت ساجد ان أمكنك والا فقاعد: «اللهم انك أنت الله الذي لا اله الا أنت الحي القيوم، أنت خير مامول وأكرم مسؤول، أنت الكريم الذي لايبخل، الحليم الذي لايعجل، أنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، أنت ذو الجلال والاكرام، والجود والاحسان، والفضل والامتنان، أنت عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير، أنت على كل شيء قدير، أنت بما نعمل بصير، أنت الذي تعطي الجزيل وتقبل القليل، أنت الذي تقبل التوبة عن عبادك، وتعفو عن السيئات، وتعلم مانفعل، أنت الذي تجيب الدعوات، وترفع الدرجات، وتنزل البركات من فوق السبع سماوات، أنت خالق كل شيء، ومالك كل شيء، لا اله الا أنت رب العرش العظيم، استجب دعوتي، وارحم شكواي، واغفر لي ذنوبي السالفة، واعصمني فيما بقي من عمري، ياالهي انك على كل شيء قدير، الهي أدعوك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم، العلي العظيم، ذو الجلال والاكرام، أن ترزقني واخواني ايمانا تاما، ودينا قيما، ويقينا صادقا، وعملا صالحا، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وبدنا صابرا، وعملا نافعا، ورزقا حلالا واسعا، وسعيا مشكورا، وذنبا مغفورا، وتوبة نصوحا، وشفاء من كل داء، وعافية وسرورا وجنة وحريرا، والنجاة من النار، ياذا الجلال والاكرام، يامن بيده ملكوت كل شيء، لا اله الا هو الحي القيوم، العلي العظيم، ذو الجلال

والاكرام، أن تدبرني واخواني لأحسن التدبير، وتسهل علينا كل عسير، وتجعل خاتمتنا خيرا، وعاقبتنا خيرا بمنك وفضلك وكرمك، ياذا الجلال والاكرام، يامن بيده ملكوت كل شيء، لااله الا هو رب العرش العظيم، الهي وسيدي ومولاي أدعوك باسمك بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ الذي لَا إِلَهَ إِلاَّ هو الحي القيوم العلي العظيم، ذو الجلال والاكرام، أن تنزع من قلوبنا الوساوس الشيطانية، والخواطر البهتانية، وكل نية فاسدة، وتشرح صدورنا للاسلام بمنك وفضلك ياذا الجلال والاكرام، يامن بيده ملكوت كل شيء، لا اله الا هو رب العرش العظيم»، ثم تصلي على النبي محمد ﷺ، ثم تسجد وتسبح الله وتهلله وتقدسه بما تيسر لك، ثم تقول وأنت ساجد بقلب خاشع، وخاطر حاضر: «الهي أنت أعلم بما توسوس به نفسي، ويكنه صدري، الهي مالي الى حسن ظني بك ورجائي في عفوك، فارحمني وتقبل توبتي، وأقلني عثرتي، وتجاوز عن خطيئتي، وضع عني وزري، الهي اهدني واخواني للهدى، ووفقني للتقوى، وعافني في الآخرة والأولى، وآغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات انك أنت الغفور الرحيم، الهي أعوذ بك من شر الأشرار، وأعوذ بك من النار والعار، وأعوذ بك من طوارق الليل والنهار، وأعوذ بك من عداوة الأهل والجار، وأعوذ بك من مصائب الدنيا وعذاب الآخرة، وأعوذ بك من الفتن ماظهر منها وما بطن، وأعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة، ان ربي آخذ بناصيتها، ان ربي على صراط مستقيم، وأعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون»، ثم تكثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

فهذه صلاة الأوابين ، ودعاء التائبين، والكبريت الأحمر، والفوز الأكبر، قد تضمنت اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب، واذا سئل أعطى، من وفقه الله لشروطها ودعواتها كان لايحصى ماله عند الله من الأجر العظيم، والثواب الجسيم، ويرى البركات والثبات في دينه ودنياه، ومايسر خاطره ويروق ناظره، فلاينبغي أن اذا قدر الانسان على فعلها أن يقطع النية لأنه في المنقول عن الرسول ﷺ، قال: «خير الأعمال أدومها وان قل». فالواجب ادامة العمل ولا يسأم الداعي ولا يمل، اذا طرقه النوم وهو في الدعاء أو الصلاة فليمسك قليلا حتى يذهب عنه النوم، لأنه لا فائدة لدعائه وصلاته اذا كان بهما نوم ويخاف أن يزل لسانه بشيء من اللحن في توحيد الله عز وجل، لأن الثمرة

لاتحصل في هذا الا بقلب حاضر غير ساه، والله أعلم.

مسألة

في فضل صلاة الجماعة، وذلك ماروي في الحديث عن النبي ﷺ، قال: أتاني جبريل عليه السلام بعد العصر ومعه سبعون ألف ملك، فقال لي: يامحمد، ان الله يقرئك السلام ويقول لك قد أهدى اليك هدية، فقال: ياجبريل وماهذه الهدية؟ فقال: صلاة الوتر وصلاة الخمس في جماعة، فقلت: ياجبريل وما لأمتي من صلى الخمس جماعة؟ فقال: يامحمد ان كانا اثنين كتب الله لكل واحد منهما بكل ركعة ثواب مائة وخمسين صلاة، وان كانوا ثلاثة كتب الله لكل واحد بكل ركعة ثلاثمائة، وان كانوا أربعة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ستمائة، وان كانوا خمسة كتب الله لكل واحد منهم ثواب ألف صلاة ومائتي صلاة، وان كانوا ستةكتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب ستة آلاف وثمانمائة صلاة، وان كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب تسعة آلاف وستمائة صلاة، وان كانوا تسعة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثمانية وثمانين ألف صلاة وأربعمائة صلاة، فان زادوا على العشرة، فان كان البحر مدادا والأشجار أقلاما والثقلان كتابا لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة من صلاة الجماعة، يامحمد تكبيرة واحدة يكبرها المصلي المؤمن مع الامام خير له من عبادة سنة، وركعة واحدة يركعها المؤمن مع الامام خير له من عتق رقبة»، والله أعلم.

فصل

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «من صلى أربعين يوما صلاة الصبح في جماعة لاتفوته منها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين، براءة من النفاق، وبراءة من النار»(٣٦١). وكثير من فضل الجماعة تركته خوف الاطالة. وينبغي للامام أن يحضر قلبه للصلاة ويحفظ ركوعها وسجودها وكذلك المأموم اذا نسي الامام أن يسبح له ليرجع عن نسيانه، واذا لم يسبحوا له وأتموا صلاتهم على غير المعنى فلا صلاة لهم، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي امام جماعة كبر تكبيرة الاحرام

(٣٦١)انظر الزبيدي : الاتحاف ٣/١٦ ، وكنز العمال حديث رقم ١٩٣١٢ .

سرا سهوا منه ولم يسبح له الجماعة نسيانا منهم أو جهلا حتى قضى صلاته بتلك التكبيرة، أتم صلاة الامام وصلاة من صلى خلفه أم لا؟

الجواب : أما صلاة الامام ففيها اختلاف، وأما المامومون فعليهم النقض، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي الذي بقي عليه شيء من قراءة الحمد، فعند وثبته نسي تكبيرة القيام أيلحقه في صلاته فساد أم لا؟ أرأيت ان ذكر وهو خار فكبر أيجزيه ذلك أم لا؟

الجواب : لا تفسد صلاته على النسيان وتكبيرته هذه لا تجزيه ولاتنقض عليه صلاته، والله أعلم.

قلت له: وفي المصلي اذا أحس بريح يخرج من دبره حتى أمسك فذهبت ولم يعلم بخروج شيء ثم أحس بها ثانية أيلزمه في صلاته شيء في مثل هذا أم لا؟

قال: مالم تشغله هذه المعالجة عن صلاته فلا تنتقض، والله أعلم.

قلت له: وفي الركعتين اللتين بعد سنة المغرب أتذكر نافلة أم طاعة؟

قال: كله جائز.

قلت له : في امام الجماعة اذا قام الى الصلاة أيجوز له اذا أحس باحد داخل في الصلاة أن يقرأ سورة طويلة ليلحق معه أو يتباطا في القراءة؟

قال : لايعجبني ذلك ، وفيه اختلاف.

قال المؤلف: لاينبغي لامام الجماعة أن يقف في صلاته ولا يتباطا لأجل الداخل، بل يرتل القرآن فيها ترتيلا بخشوع وخضوع وسكينة ووقار، ولا يشتغل بلحوق الداخل معه بل يخلص العمل لله وحده لأن الله عز وجل لايقبل من الأعمال الا ماكان خالصا لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾(٣٦٢).

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي المصلي اذا كان عليه قراءة الفاتحة، فنسي حتى بدأ بآية الكرسي، فذكر وقد بلغ إِلَىٰ ﴿إِلَهَ﴾ أيجوز له أن يقف قبل قوله ﴿إِلَّا هُوَ﴾، أم يكمل اللفظة كان اماما أو مامووما أو يقرأ سرا أو جهرا؟

الإجابة: أما اذا كان يقرأ سرا فعندي أنه لايضيق عليه الوقوف لأنه

(٣٦٢) سورة الكهف : ١١٠.

يعرف نفسه ليس اعتقاد ذلك وهو يستثني بقلبه، وأما اذا كان يقرأ جهرا فيعجبني أن يتم الشهادة ولا يقف على النفي.

قال المؤلف: أنه لايقف على ﴿إِلَهَ﴾ و﴿إِلَّا﴾ بل يتم الاستثناء، فان وقف ولم يتمه، فقد قيل: ينتقض وضوؤه، ولاشك أن من انتقض وضوؤه انتقضت صلاته، ومثله اذا كان قاصما للآية من كتاب الله عز وجل، مثل: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾(٣٦٣)، ومثله: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾(٣٦٤)، ومثله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(٣٦٥)، وأمثال هذه الآيات لا يقول القائل: قال الله كذا وكذا مثل هذه الآيات، لأنه من قال كذلك سمع السامع كانه يخاطب غيره ويدعوه ليغفر له ويقبل عمله فيصير عند السامع كانه كفر، ولكن يقول: قال الله قصة عن فلان بن فلان ولو لم يذكر القائل، ولكن يقول قصة، والله أعلم.

فصل

قلت له : وفي المصلي في السفينة قاعدا أو نائما أين يضع يديه في الحال الذي يكون في معنى القيام؟

قال : أما النائم فيضعها كما يضع النائم، وأما القاعد فيعجبهم أن يكون في حال القيام، يرسلها، وفي حال الركوع يضعها على فخذيه، وفي حال السجود ان كان يوميء يضعها على ركبتيه، وفي حال التحيات ان شاء وضعها على ركبتيه أو على فخذيه وان وضعهما في جميع صلاته على ركبتيه وكان يوميء لم يبلغ ذلك به الى نقص صلاته على ماسمعته من الأثر، والله أعلم.

قلت له : واذا أراد المسافر أن ينفل بشيء من الصلوات أيذكرها صلاة مسافر أم لا؟

قال : نعم يذكرها صلاة مسافر ، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) قلت له: واذا أطعم في كفارة صلاة مسكينا واحدا ستينا يوما أيجزيه أم لا؟

قال : يجزيه ذلك في أكثر قول المسلمين.

---

(٣٦٣) سورة ص : ٣٥ .
(٣٦٤) سورة نوح : ٢٨ .
(٣٦٥) سورة إبراهيم : ٤٠ .

قلت له: والمصلي على التراب ورجلاه ومقدمته على جص ماحال صلاته؟
قال: صلاته تامة اذا كان التراب يمكن السجود عليه، والله أعلم.

قال المؤلف: الجص بكسر المعجمة. أما السجود فلا يجوز الا على الأرض وما أنبتته، الدليل على ذلك قول النبي ﷺ:«جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا»(٣٦٦)، فكفى حجة ودلالة بهذه المقالة، وعلمنا أنه لايجوز السجود الا على ماأنبتت الأرض لأن الذي ليس من الأرض ولا من نباتها ليس بموضوع لسجود المصلي، كما أن مالم يكن ترابها لم يكن طهورا مطهرا المصلي اذا عدم الماء. فان احتج محتج بأن قال: أن النبي ﷺ أمرنا أن نسجد على الأرض وما أنبتت ولم ينهنا عن غيره، واذا لم ينهنا عن غيره لم يقع التحريم في تلك الأشياء. قلنا له: ليس لحجتك أصل راسخ ولا معنى موافق لكتاب الله عز وجل، لأنه اذا وردت الاباحة عنه عليه الصلاةوالسلام خاصة في شيء من عموم الأشياء علمنا أن ذلك الشيء مباح وتلك الأشياء محجورات ولو لم يرد النهي عن تلك الأشياء، وقد ازددنا يقينا ودلالة بالحديث الوارد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ما استطعت اليه سبيلا، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما تطفيء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ..﴾ حتى بلغ ﴿... يَعْمَلُونَ﴾(٣٦٧)، تركت بقية الحديث خوف الاطالة. فانظر أيها المجادل أنه لم يرد منه نهي ولا حجر عن شيء من الزنى والسرقة والقتل والرياء والنفاق والعجب والكبر والحسد والحقد والبغي والظلم، ومعلوم لاريب في ذلك أن من صلى وصام وجاهد في سبيل الله وتصدق وقام ليله وصام نهاره ولم يتكلم الا بذكر الله تعالى وكان يزني ويقتل بغير الحق ويسرق ويتكبر على العباد ويعمل لأجل الشهرة مع الناس ومات على هذا فهو في جهنم خالدا مخلدا لا يموت ولايحيا، وكذلك الحجة الواضحة كتاب الله عز وجل، وهو قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾(٣٦٨)، أي: مطهرا

(٣٦٦) أورده كثيرون. انظر في ذلك موسوعة أطراف الحديث ٤/٤٩٨.
(٣٦٧) سورة السجدة : ١٦ ـ ١٧ .
(٣٦٨) سورة الفرقان : ٤٨.

لجميع الأنجاس، ولم ينه عن ماء الأشجار والماء المستعمل ولا غيره مما ثبت عليه اسم الماء من سائر الأشياء، فعلمنا أن تلك الأشياء لايجوز التطهر بها ولا الاغتسال منها، فكفى بحججنا حجة وبرهانا، وكذلك الصلاة لاتجوز الا على الأرض وما أنبتت بصحة هذه الرواية وكذلك ماوردت الأخبار في أحكام الصلاةعنه عليه الصلاةوالسلام أنه قال: «لايصلي في المنحرة، ولا المجزرة ولا المزبلة ولا المقبرة ولا معاطن الابل ولا قارعة الطريق»(٣٦٩)، ولا على موضع نجس ولا على فراش نجس ولا على عود - وهو عود الخشب - الا ما استوى على الأرض، ولا على وسادة ولا مسواك ولا على ظهر دابة ولا على الصفا الصغير - اذا كان صلدا منقطعا - ولا على الجص الآجر لأنه محروق بالنار ولا على الحديد ولا الصفر ولا الشبه ولا الرصاص ولا النحاس ولا الحرير ولا الابرسيم ولا على الجلد ولا الشعر ولا على الذهب ولا الفضة، ولا على الصوف ولا على الخز الملحم ولا على النجاسة من سائر الأشياء، ومثله في السجود، لأن من سجد ولم يات بفرائض الصلاة لايسمى مصليا، ومن صلى ولم يسجد لم يكن مصليا ولا ساجدا فلا ينفصل أحدهما عن الآخر في الصلاة، فيكفي بهذه الحجج حجة وبرهانا، والله الموفق الى طريق الصواب.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): اذا أسر الامام القراءة في موضع الجهر ولم تسبح له الجماعة جهلا منهم أو عمدا، وصلى بهم تنتقض صلاتهم أم صلاة الامام وحده؟

الجواب : يعجبني أن يكون صلاة الامام تامة وصلاة الجماعة منتقضة اذا كان ذلك منه على السهو، والله أعلم.

قلت له : في جيوب قميص المصلي اذا كانت حريرا أتجوز الصلاة بها؟ وما صفة الحرير الذي تنتقض الصلاة بها في الثوب؟

قال: أما الجيوب فلا بأس بها وأما الذي ينقض من الحرير اذا كان في الثوب أكثر من موضع أصبع طولا وعرضا مصدرا وسداة، فهذا عندي الذي ينقض الصلاة على ماسمعته من الأثر.

قلت له : وما صفة المشتمل في الصلاة والمرتدي؟

قال: على مابان لي في فهمي أن المشتمل الذي لايصل ثوبه الى ستر ظهره وصدره، وانما يصل منه شيء قليل الى رقبته، والمرتدي الذي يستغرق ثوبه

(٣٦٩) أورد ابن عبد البر في التمهيد ٥/ ٢٢٥.

صدره وظهره.

قلت له: واذا نسي المصلي كلمة من الفاتحة ثم ذكرها، وهو لم يكمل قراءتها، ونسيانه مثل : ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ أو ﴿غَيرِ المَغضُوبِ﴾، فلما ذكر رجع فبدأ من حد نسيانه أيتم صلاته أم لا ؟

قال : ان كان ذلك منه على السهو أو النسيان أو الجهل، فيعجبني أن لانقض عليه في صلاته.

قلت: واذا نسي صلاة أو نام عنها ثم ذكرها، فاراد أن يصليها أيذكرها حاضرة أو فائتة؟

قال: ان كان فات وقتها ، فيذكرها فائتة .

قلت له : واذا أقيمت الصلاة في المسجد أيجوز لأحد أن يصلي على سطح المسجد أو جانب الأرض اذا لم يسمع الامام؟

قال : لايعجبني ذلك .

قلت له : وما تقول في المصلي اذا مر عليه سنور بين السترة وسجوده، وكذلك رأس الغنم أو غيره من الأنعام ؟

قال : ان كان مرور هذا السنور خلف موضع سجوده لم تنقض(٣٧٠) عليه، ولو قطع بينه وبين السترة، وان كان مروره في موضع سجوده أو أقرب من ذلك، قدام وجهه، تنتقض عليه صلاته على ماسمعته من الأثر.

قال المؤلف : السترة بضم المهملة ، وفعله بفتح معجمة الماضي وضمه من المستقبل، وأما قوله لم تنتقض عليه، ففعله بفتح معجمة الماضي وضمه من المستقبل .

قلت له : وكذلك مرور الكلب والجنب والحائض خلف السترة وكانت تلك السترة مثل خط أو حصاة هل تنتقض صلاة المصلي أم لا ؟

قال : على ماسمعته ، من الأثر، أن الكلب والجنب والحائض وما أشبههم، اذا مر أحدهم خلف السترة، لم تنتقض صلاته، ولكني سمعت بعضا يرفع عن بعض أشياخنا، أن الكلب والحائض يحتاجان الى سترة تسترهما عن المصلي، فعلى هذا القول لا تكفيه السترة التي لاتسترهما عنه، والله أعلم.

قلت له: واذا صلى على جص جهلا منه أو عمدا كيف القول في تلك الصلاة ؟

قال: في ذلك اختلاف ، فبعض لم ينقض عليه صلاته، وبعض نقضها اذا

(٣٧٠) لعل الصواب : تنتقض .

كان الجص قد أحرق بالنار،، واذا لم يحرق بالنار فلا باس بالصلاة عليه اذا تمكنت الجبهة عليه، والله أعلم .

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله) ومـا يقـول سـيدي اذا كان الامام عليه القراءة سرا، فـقـرأ جـهـرا ناسـيـا، ثم ذكر، أيبني على صلاته بعدما ذكر أم يبتديء القراءة؟

الجواب : في أكثر القول يبني على ماقرأ، والله أعلم.

قـلـت لـه : واذا اشـتريت من اليـهـودي أو النصراني أو غيرهما من ملل الشرك ثوبا أيجوز أن أصلي فيه أم لا؟

قـال : على مـاسمعته من الأثر، اذا كان الثوب مصبوغا بالشوران(٣٧١)، فلا يصلي به حتى يغسله.

قلت له : فان كان مقصفا (٣٧٢) مقموطا (٣٧٣)؟

قال : حكمه الطهارة حتى تعلم نجاسته.

قلت له : واذا كنت أصلي فلما كنت في مـوضع قـراءة فاتحة الكتاب قرأت التـحيات سهوا مني في ذلك الموضع، فلما ذكرت عدت الى قراءة فاتحة الكتاب، ولم أدر ماذا قرأت منها، أتتم صلاتي أم لا؟

قال : نعم تتم صلاتك اذا كان ذلك منك على السهو، ولكن تسجد سجدتي السهو اذا سلمت من صلاتك، والله أعلم.

قـال المؤلف : اذا لم يدر مـاذا قـرأ من الحـمد فيبتديء على أغلب ظنه في انتـهـائه من قـراءة الحمد ولم يتبين له أنه قرأ من قبل شيئا أو ما قرأ حتى تحير في ذلك، فـالمسـتحب له أن يبتديء بقراءة الفاتحة، ولا يعتمد لتكريرها، والله أعلم.

قلت له: واذا قـمت الى الصلاة فهبت الريح فقذفت في عيني التراب أيجوز لي أن أغمضها أم لا؟

قال : في ذلك اختلاف، اذا كان لاصلاح الصلاة فبعض أجازه، وبعض لم يجزه.

قـلـت لـه : وامـــام الجماعـــة اذا كـان عـلـيـه قـراءة ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(٣٧١) الشـوران: العصفر وهو صبغ ونبت يهريء اللحم الغليظ ويستعمل في صبغ الثياب.
(٣٧٢) مقصفا : ملفوفا ومطويا .
(٣٧٣) مـقموطا : مربوطا بقماط وأصله خرقة عريضة تلف على الصغير.

العَالَمِينَ﴾(٣٧٤)، وحدها، فقرأهما سرا هي والسورة ولم يجهر بالركوع سهوا منه، فلما سبح له الجماعة رجع، وابتدأ قراءة الفاتحة وأتمها وركع، أتتم صلاته بهذا؟

قال: على صفتك هذه ان هذا الامام عليه اعادة الصلاة فيما يعجبني من الأقاويل.

قلت له: واذا كان الثوب مصبوغا بورس، هل تجوز به الصلاة للرجال أم لا؟

قال: ان الصبغ بالورس ليس فيه نص تحريم على الرجال، الا أنه اذا كان الثوب اذا لبسه الرجل خرج الى زي النساء، فلا يجوز للرجل أن يتزى بزي النساء على التعمد منه بذلك من غير ضرورة، ولم أحفظ أنه ينقض الصلاة اذا صلى بالثوب الذي فيه الورس، وعندي أنه لاتنقض الصلاة.

قلت له: وفي تجديد النية للصلاة مثل الاقامة يحرك بها لسانه وجاء ذكرها في كتاب البصيرة يقرأها بقلبه أتنقض صلاته أم لا؟

الجواب : على ماسمعناه من الأثر أنه يحرك بها لسانه ولايسمعها أذنيه، فاذا أسمع أذنيه لم يعجبني أن يبلغ به الى نقض صلاته، ولو جاء ذلك في بعض الأقوال الشاذة، والله أعلم .

قلت له : أنبئني عن الاستعاذة بعد تكبيرة الاحرام، كيف تفعل أنت بالقلب أم باللسان؟ عرفني ذلك .

قال : أقولها باللسان ولا أسمع بها الأذنين، فان أسمع بها الأذنين على الجهالة والتعمد، ففي أكثر القول تنتقض الصلاة بذلك الا أن يكون من عذر وسواس، والله أعلم.

قلت له : والمرأة اذا وجهت توجيه ابراهيم عليه السلام، تقول حنيفا أو حنيفة؟

قال : على ماسمعته من الأثر أنها تقول انها تقول حنيفا، لأن هذا من القرآن ولايجوز تبديله، والله أعلم.

قلت له: واذا كان امرؤ من أهل الخلاف أيجوز أن يكون سترة خلف الامام؟

قال: اذا كان من أهل الخلاف لدين المسلمين فلا يترك سترة خلف الامام، أو ينبغي للصالحين أن يبعدوه عن السترة، وكذلك الرجل الفاسق، وأما

(٣٧٤) سورة الفاتحة : ١ .

الرجل فينبغي لك أن تقدمه اذا كان أفضل في ظاهر الأمر وأولى بالامامة .

قلت له: واذا كانت النار امام المصلي الى كم من الحدود التي يقطعها كانت جمرا أو مستعملة؟

قال : أما الجمر فلا تقطع، وأما النار الموقودة، فعلى قول: اذا كانت دون خمسة عشر ذراعا قطعت على المصلي صلاته، وأما السراج فلاباس به ، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وماتقول سيدي في مسافر صلى مع مسافرين صلاة المغرب والعشاء الآخرة، فلما سبقه الامام آخر قراءة الحمد ليدرك الجماعة، فلما صلى المغرب نسي أن ياتي بالحمد، فذكر بعدما صلى العشاء الآخرة، تتم صلاته أم لا؟

الجواب : في ذلك اختلاف، فبعض نقض عليه صلاته لنسيانه فاتحة الكتاب، وهذا على قول من ألزمه اتيان مافاته مع الامام من قراءة فاتحة الكتاب، لأنه لاتنفع بعد صلاة العشاء الآخرة، وعلى قول: من لايلزمه ذلك فصلاته عندي تامة، والله أعلم.

قلت له: والمسافر اذا أراد أن يبدل صلاته الحضر مايذكرها كان بدله عن بدله أو عن لازم أو احتياط؟

قال: أما اللازم فلا يذكرها سفرا، وأما عن اللازم يذكرها سفرا.

قلت له : والمصلي اذا صلى صلاة الظهر قصرا في السفر ودخل وطنه ووقتها باق أيصليها تماما ثانية أم قد أجزته تلك الصلاة؟

قال : قد أجزت عنه الصلاة الأولى .

قلت له: والصلاة في بلد معدومة الأذان جماعة جائزة هي أم لا؟

قال : في ذلك اختلاف، بعض نقضها، وبعض لم ينقضها.

قلت له: والوكيل اذا كان مع الوالي في خدمة المسلمين وكان ذلك الوكيل يقصر الصلاة والوالي يتمها، أيصلي الوكيل بصلاته أم لا؟

قال : الذي جعله الوالي في عمل من أعمال المسلمين، وكان في نيته أنه لايخرج من البلد الا بأمر الوالي، ولايخرج دون أذنه فيتم، الصلاة بتمام الوالي، فيما يعجبني في تلك البلد على هذه الصفة.

قلت له : انه اذا كانت نيته أنه يخرج متى أراد، أذن له الوالي أم لم

يأذن، ولم يتخذ البلد وطنا.

قال: لايتم الصلاة على هذه الصفة .

قلت له : واذا تزوج رجل امرأة تقصر الصلاة وهو يتمها، فاتمت المرأة الصلاة بتمام زوجها ما تكون صلاة المرأة؟

قال : تقيم على تمامها الى أن تخرج من البلد، وتتعدى الفرسخين، فان عادت اليه بعد ذلك مسافرة قصرت الصلاة.

قلت له : والوالي اذا كان من تحت وال ماتكون صلاته في بلد ذلك الوالي الذي ولاه؟

قال: سمعت في ذلك اختلاف من آثار المسلمين، فقيل: انه يكون تبعا لمن ولاه في التمام، وقيل: لايكون تبعا له اذا لم ينو بلد الوالي وطنا.

قلت له : ومن وصل الى موضع لحاجة، فالتبس عليه أنه موضع قصر أو تمام، فصلى تماما، فلما وصل بلده قيل له: ان ذلك الموضع موضع قصر، ماترى في صلاته؟

قال : لابدل عليه على هذه الصفة وهي تامة، لأنه صلاها على السنة.

قلت له: وفي عامل الوالي اذا اشترط على الوالي أنه يعمل الى مدة معلومة، ونيته يقصر الصلاة أيجوز له ذلك أم لا؟

قال : اذا كان نيته لايريد السكن في ذلك البلد لم يضيق عليه ذلك عندي، وان كان نيته السكن فيها، فلايجوز له أن يحتال على قصر الصلاة، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي الذي ركع ركعتي الفجر، ثم أحدث أو نام أيجزيه أن يصلي الفرض ويكتفي بتلك الركعتين؟

قال: ان كان ركعهما قبل الفجر فنام أو جامع بعد ذلك، فاكثر القول أنه يعيدهما، وأما سائر الأحداث فلا باس عليه، وان كان بعد الفجر فلا ينقضهما حدث، والله أعلم.

قلت له : واذا صلى مصل عند الامام فسبقه الامام بقراءة الحمد، فلما قضى صلاته مع الامام نسي أن ياتي بها فسلم، أتتم صلاته أم لا؟

قال : على القول الذي نعمل عليه أنه اذا لم يدبر (٣٧٥) بالقبلة أو يتكلم بكلام غير أمر الصلاة لم تنتقض الصلاة اذ أتي بما سبقه الإمام.

(٣٧٥) لعل الصواب : يستدبر القبلة .

قلت له: واذا سهـا الامـام فـقـرأ جهرا في موضع السر أو سرا في موضع الجهر، فسبح له الجماعة، فما يعجبك، سيدنا، أيرجع الى الحد الذي سها عنه أم يستانف الصلاة؟ ومـا الصفـة التي اذا سـهـا الامام وجاوز الحدود أن يستانف الصلاة؟

قـال: أمـا اذا جـهر في موضع السر ساهيا، ففي أكثر القول لانقض عليه وتجـزي عنه على السر، وأما اذا أسر في موضع الجهر ساهيا فان ذكر وهو في القراءة أو في الركوع كان له أن يرجع، يقرأ بالجهر، وان ذكر وقد صار في حد السجود فقد انتقضت صلاته في أكثر القول، وفي البداية بها يجري الاختلاف، قـول: يبتديء بها من الاقامة، وقول: من التوجيه، وقول: من تكبيرة الاحرام، ويعجبني أن يبتديء بها من التوجيه.

قلت له : واذا كنت أصلي فاردت قـراءة فاتحة الكتاب، فقرأت آية الكرسي نسـيـانا مني لذلك، فـذكـرت وأنا على الاستثناء قبل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فذكرت عند﴿إِلَهَ﴾ فاتممت الاستثناء، أتنتقض صلاتي أم لا؟

قال : يعجبني أن تبتديء صلاتك، وفيه قول: لابدل عليك.

قلت له: واذا نسـيت فـقـرأت ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فـذكرت عند قولي ﴿قُل هُوَ﴾، فامسكت عن القراءة لاقرأ فاتحة الكتاب، أيلحقني في صلاتي شيء؟

قال : لايضيق عليك الوقوف هنالك، ولا تنتقض صلاتك.

قلت له : ومـا تقـول سـيـدي في المصلي اذا كـان عليه سروال، وقد غطى سرته الى ركبتيه، ولبس ثوبا يصف، أتتم صلاته؟

قـال : صـلاته تامـة اذا كان المصلي رجلا، وأما المرأة الحرة فلايجوز لها ذلك.

قـلت له : وهل في الثـوب الذي يصف أو يشف فـرق في الصـلاة في الليل والنهار؟

قال : لا فرق في ذلك عندي لأن الستر على المصلي واجب في الليل والنهار.

قلت له : واذا سـهـا الامـام فقرأ سرا في موضع الجهر، وقرأ المأموم خلفه ﴿الحَـمـدُ لِلهِ رَبِّ العَـالَمِينَ﴾ أو بعـضـها ساهيا، ثم ذكر الامام فقرأ جهرا، على المأموم أن يبتديء الحمد أم يبني على ماقرأ من السهو؟

قـال : أرجـو أن في ذلك يجري فيه الاختلاف، ويعجبني أن يبتديء بعد الامام، والله أعلم.

قلت له : وفي الذي نام عن صلاته وقد دخل أول وقتها، أتلزمه كفارة اذا كان نيته انه يقوم يصلي؟ أرأيت اذا لم ينو النوم الا مد ظهره(٣٧٦)، وغلبه النوم؟

قال : لايعجبني أن تلزمه كفارة على الوجهين الا أن يكون علم أن وقت الصلاة ضاق، وتعمد على النوم(٣٧٧) بعد ذلك على أوجه المخاطرة.

قلت له : ومن بنى مسجدا في مال غيره، هل يجوز لمن صح عنده أن الأرض لغير الباني فيها أن يصلي في ذلك المسجد أم لا؟

قال : اذا كان بناؤه مغتصبا أو متعديا على صاحب المال بغير الحق، لم يعجبني أن يصلي فيه، وان صلى فيه أحد غير المغتصب لم تنتقض صلاته.

قلت له : ومن نام عن صلاة قد دخل أول وقتها حتى فات وقتها أتلزمه كفارة اذا كان نيته أن يقوم يصلي ؟

قال : لايلزمه كفارة عليه الا أن يكون نومه آخر الوقت.

قلت له : وما تقول في رجل اذا صلى هو وزوجته متصافين متحاذيين، أتتم صلاتهما أم لا؟ وهل فيه فرق بين الجماعة والفرادى؟ وهل يؤم الرجل في صلاة الفريضة بزوجته أم لا؟

قال : أما اذا صلى كل واحد منهما صلاة نفسه فلا يضرهما ذلك، وأما اذا صليا جماعة فيعجبني أن يكون سجودها حذو منكبيه ولا يصليا جماعة الا في النافلة، وأما الفريضة فلا، وكذلك اذا كانت تصلي وحدها مع الامام ولم يكن معها أحد من الرجال، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): ومن صلى بالجماعة على جنازة، ونسي أن ينوي أنه امام لمن يصلي بصلاته، أتتم الصلاة أم لا؟ وأي شيء يستحب أن يقرأ في الركعة الثانية؟

الجواب وبالله التوفيق : أما الذي أم بالقوم ولم ينو أنه امام لمن يصلي بصلاته، فان كان ترك النية باللسان ونوى ذلك في قلبه، فيعجبني تمام صلاتهم، وان كان لم ينو بلسانه ولا بقلبه، فلا تتم صلاتهم بصلاته، لأنه هاهنا يصلي وحده الا أن صلاة الجنازة يكفي فيها البعض عن البعض، ولا يضرهم ذلك، والله أعلم. وأما مايقال بعد التكبيرة الثانية من الدعاء للولي

(٣٧٦) لعل الصواب : الا أنه مد ظهر .
(٣٧٧) لعل الصواب : تعمد النوم .

وغير الولي، فهو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحمَةً وَعِلماً...﴾ إلَى قوله: ﴿.... وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾(٣٧٨).

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): واذا كان الجماعة يصلون في مسجد أو غيره، فجاء رجل يصلي وحده أتتم صلاته أم لا؟

الجواب: ان كان في غير مسجد فصلاته تامة عندي.

قلت له : وهل تجوز الصلاة في سطح صباح الحصن(٣٧٩) اذا كان جامعا أم لا؟

قال : فنعم على هذه الصفة .

قلت له : ومثله في الجواز للصلاة فوق سطح باب الحلة، مثل باب عقر نزوى؟

قال : اذا كان هذا السطح ثابتا من قبل ولم يكن محدثا على الباطل فلا باس بالصلاة فيه.

قلت له : ويجوز للمصلي وحده قرب جماعة في واد أو فلاة غير المسجد؟

قال : جائز ذلك ولم أحفظ لذلك حدا .

قلت له : والمصلي اذا كان يقرأ فاتحة الكتاب فيجيء في حلقه شيء من البزاق أو غيره فيترك الحرف من أول الكلمة ويرجع يكرر الكلمة مثل يقول : ﴿اهدِنَا﴾ فترك الهمزة فرجع مبينا لهذه الهمزة أتفسد صلاته؟

قال : لاتفسد صلاته اذا كان ذلك على التثبت ، والله أعلم.

قال المؤلف : البزاق بضم المعجمة محققا وهو لغة في البصاق بالمهملة وضم التحتية الأولى محققا، وأما الفعل منه بصق يبصق وبزق يبزق على وزن فعل يفعل مخففا، بنصب مهملة الماضي وضمها من المستقبل، والله أعلم.

قلت له : وامام الجماعة اذا كبر تكبيرة الاحرام وابتدأ بقراءة الحمد سرا، سهوا منه، فلما سبح له الجماعة كبر تكبيرة الاحرام وابتدأ بفاتحة الكتاب، جهار، فتبعه الجماعة، أتنتقض صلاته أم لا؟

قال: لا وهكذا ينبغي له اذا أعاد تكبيرة الاحرام بالجهر، يعيد قراءة فاتحة الكتاب وعلى الذين خلفه أن يكونوا تبعا له.

---

(٣٧٨) سورة غافر : ٧ ـ ٩ .

(٣٧٩) صباح الحصن : فناء الغرف الفرنية من الحصن يكون مسقوفا. ويطلق عليه أيضا ليوانا، والكلمتان محليتان .

قلت له : واذا توزر(٣٨٠) هذا الامام فوق القميص بازار أو ثوب مع عدم سروال، أتنتقض صلاته أم لا؟

قال : ذلك مكروه ولا يبلغ به عندي الى نقض صلاته، فان كان الذين يصلي بهم فيهم سراويل، وكان الامام يصلي في الأرض مع عدم السروال وتقابل عورته الأرض، ففي نقض صلاته اختلاف.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي المسافر اذا التبس عليه وقت الظهر من وقت العصر الى أن يصلي ولا يذكرها ظهرا ولا عصرا أم يقف الى وجوب العصر؟

الجواب : جائز ذلك على ماسمعته من الأثر، والله أعلم.

قلت له : والمسافر اذا دخل المسجد فوجد امام الجماعة يصلي العشاء الآخرة، والمسافر يريد أن يصلي المغرب أيجوز له أن يصلي والامام يصلي؟

قال : اذا قام الامام يصلي بالجماعة في المسجد فليس له أن يصلي حتى يفرغ الامام والجماعة من صلاتهم.

قلت له : واذا صلى مقيم بمسافرين، أيجوز ذلك؟

قال : جائز ذلك بلا اختلاف نعلمه.

قلت له : وصلاة المسافر بالمقيم؟

قال : في ذلك اختلاف، ويعجبني اجازة ذلك في صلاة المغرب والفجر، وأما في غيرهما من الصلوات فلا يعجبني ذلك الا أن يكون خلف الامام الأكبر أو قاضي المسلمين أو عالم من علماء المسلمين لايمكن التقدم عليه. وصفة الصلاة خلفه أن يصلي بهم ركعتين فاذا سلم هو، لم يسلموا معه حتى يتموا الركعتين الباقيتين فرادى، والله أعلم.

قلت له : وماتقول سيدي في المسافر اذا كان يصلي مع امام مقيم في ناحية من المسجد، فلما قضى الامام صلاته، قام المسافر ليصلي فرض العصر، فقام امام آخر فصلى في المحراب بقوم آخرين، فصار المسافر يصلي العصر والامام وأصحابه يصلون الظهر، أتتم صلاة هذا المسافر وهي العصر أم لا؟

قال : نعم تتم صلاته، والله أعلم .

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) : وفي رجل يقعد أمواله النخل بالتمر نسية،

(٣٨٠) لعل الصوال : أتزر .

أيجوز أن يصلي خلفه الفريضة أو النافلة أم لا؟

الجـواب : ان كـان يقـعد نخلا بتمر، فلا يجوز كان بنقد أو نسية الا أن يكون الثـمـرة النخل قـد أدركت، والثـمن حـاضر مع الثمرة، فان كانت قعادة أرض بزرع فـجـائز ذلك، كـان الثمن حاضر أو نسية، وأما الصلاة خلف من يعمل المعاصي ففيه اختلاف، قول كصلاة المنفرد، وقول لايجوز.

قلت له : وما تقول في امرأة تزوجها رجل، فلما سار الى بلده طلقها ثلاثا، بعـدمـا دخل بها، فـسـارت الى بلد أبيها، فوجدته قد تحول الى بلد آخر، ولم تعلم بنيـتـه أنه تحـول عنها أو قد أثبتها وطنا كما كانت، أتتم هذه المرأة في بلد أبيها الأولى كما كانت اذا لم تعلم به، أم كيف ذلك؟

قـال : التمام أولى بها على هذه الصـفة حتى تعلم أن أباها قد تحول عن هذه البلد واتخذ وطنا غيرها وتخرج منها متعدية الفرسخين، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـوابه (رحمه الله)، ومـا تقـول سيدي في الذي حلف عن سكن بلد وانتـقل منهـا وأتاها مـسافرا يقصر فيها الصلاة، ومكث بها أياما يخدم شيئا من الصناعـات، أيحنث اذا قـام بها على نيـة السفر مثل عشرة أيام أو أقل أو كثر، بين لنا ذلك؟

الجـواب : ان كـان لهذا الحالف نية في يمينه في سكن هذا البلد أن معناه في ذلك أنه لايتخذه وطنا، فعلى مانوى في يمينه ولا يحنث على هذه الصفة اذا مكث فـيه أياما وهو على نية السفر، فان كان أرسل في يمينه ولم تكن له نية، فـفي بعض القـول: أن النوم سكن، وكـذلك الأكل سكن وكـذلك الجماع سكن، فـعلى هذا اذا فـعل شيئا من هذا في هذا البلد فقد حنث في يمينه، وقول لاحنث عليـه حتى يسكن السكن المعروف، فعلى هذا القول ان سكن بيتا في هذه البلد مادام مقيما في صنعته، ولو سكن فيه يوما أو يومين، فقد حنث في يمينه لأنه لايسمى(٣٨١) ساكنا في البلد، ولو كان على نية السفر.

فصـــل

ومـن جـوابه (رحمه الله) : واذا كـان يقـرأ المصلي: ﴿رَبَّنَا أَتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٣٨٢)، أيقـرؤها من أول الآية أم يكفيه هذا، واذا قرأها تكون قراءته على وجه الدعاء أم الدراسة؟

---

(٣٨١) لعله : يسمى ، بحذف اللام .

(٣٨٢) سورة البقرة : ٢٠١ .

الجواب : ينوي المصلي في قراءته القرآن بمعنى الدراسة ولا ينوي بمعنى الدعاء، وأما اذا قرأ : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ولم يقل: ﴿وَمِنهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا﴾، فلا باس اذا نوى قراءة القرآن.

قلت له : وامام الجماعة اذا كان في موضع مرتفع عن الجماعة بذراع، أتجوز الصلاة خلفه أم لا؟

أرأيت اذا كان موضع الامام أنزل من موضع الجماعة أكله سواء أم لا؟

قال : يعني اذا كان مع الامام صف في المكان المرتفع أن تجوز الصلاة لمن كان أسفل منه وان لم يكن معه صف، ولا يعجبنا أن يصلي خلفه من كان أسفل. وأما اذا كان الامام أنزل، ومكان الجماعة أرفع ففيه اختلاف، ويعجبنا أن لايجوز. وأما حد الخفض والرفع، فقول : اذا ارتفع الامام قدر شبر، وقول: قدر ثلاثة أشبار، اذا كان الارتفاع غير متساند.

قلت له : وماصفة المشتمل في الصلاة والمرتدي؟

قال : المشتمل فيما عندي الذي يسدل برداء على منكبيه ورقبته، وأما المرتدي الذي يسدل ويخالف بين طرفيه فهذا ماتوهمته، وخذ بما بان لك صوابه.

قال المؤلف : أما قوله سدل رداءه وكذلك سدل الستر، هذان الفعلان بفتح المهملة من الماضي وضمه من المستقبل، ولا يسدل ثوبه في الصلاة لما نهى عن ذلك النبي ﷺ أنه قال : «السدل في الصلاة محجور»، قيل له: وما السدل يارسول الله؟ قال: «هو أن يجعل الثوب على الرأس والكتفين ثم يرمل أطراف جانبه من جوانبه»(٣٨٣)، كتبت هذا الخبر على المعنى لا على اللفظ بعينه، والله أعلم.

قلت له : واذا كان جماعة يصلون في المسجد العتمة أو المغرب وفي المسجد ظلمة شديدة، فقام الامام للقراءة، وقعد الجماعة سهوا منهم الى أن سمعوه يكبر للركوع، أتفسد صلاتهم أم لا؟

قال : يعجبنا اذا ركع الامام وهم في القعود أن يعيدوا صلاتهم لأنه قد صار بينه وبينهم حد، وليس لهم أن يتموها فرادى.

قلت له : ومن كان عليه القراءة في القعود، فهم بالقيام، فبدأ بالتكبير أخذا بالقيام، فلما ذكر رجع قاعدا، أعليه سجدتا السهو أم لا؟

(٣٨٣) الحديث ورد بلفظ : «نهى النبي ﷺ عن السدل ....» وهو متفق عليه.

قال : لا سهو على هذا عندي حتى يستوي قائما، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفقيه القاضي خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي (رحمه الله)، الى الوالي عامر بن محمد المعمري السعالي (رحمه الله): وما تقول في مصل داخل المسجد والجماعة في الدرجة السفلى يصلون؟

الجـواب : اذا أقـيـمت الصـلاة المكتـوبة في المسـجد جماعة فلا صلاة الا بصلاة الامام حتى يسلم الامام.

قلت له : واذا كان المصلي مكشوف الرأس هل فيه كراهية أم لا؟

قـال : لانعلم فـيـه نقـضـا، وأما الكراهية فلا، ويستحب تغطية الرأس وحسن الهيئة ، لأنها أفضل، والله أعلم .

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وفي امـام جماعة كبر تكبيرة الاحرام سرا سهوا منه، ولم يكبر له الجماعة نسيانا أو جهلا، حتى قضى صلاته بتلك التكبيرة، أتتم صلاة الامام وصلاة من صلى خلفه؟

الجـواب : أما صلاة الامام ففيه اختلاف، وأما المامومون فعليهم النقض، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الوالي الموالي عـبدالله بن محمد بن غسان الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشـيخ حمد بن مـسـعـود المعمري السعالي النزوي (رحمـه الله): وهـل تجـوز الـصـلاة بـالـزربـول(٣٨٤) أو الـكـوش(٣٨٥) والوطايا(٣٨٦) أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفيق : أما الصلاة بمثل هذا في حال الضرورة جائزة مـثل الخـوف أو برد شـديد، أو حـر شـديد، أو خوف فوت أصحابه اذا كان يصلي به طاهرا، وأما غيره فلا.

قـال المؤلف : قـولـه اذا كان طاهرا فنعم كذلك، ولكن اذا كان الذي يصلي به نجـسـا ولم يمكنه غـسله ولم يمكنه أن ينزعـه منه من حر شديد أو برد شـديد أو كـثـرة الطعن من الشـوك وغيره وكـان ماشيا ليلا أو نهارا أو غير

---

(٣٨٤) الزربول : لغـة محلية بمعنى الجوارب .

(٣٨٥) الكوش : لغـة محلية بمعنى الحذاء المغلق يربط بخيط ونحوه.

(٣٨٦) الوطايا : جمع وطيـة : النعل أو الحذاء المفتوح .

ماش فعندي انه يجزيه تيمم ذلك النعل أو الكوش أو غيره، ويصلي به اذا كان من ضرورة، وأما الوطاء بكسر المهملة الأولى مايطا به، وفي لغة وطايا بالفتح أيضا، وقرأ أبو عمرو وابن عامر أسد قرطاء بالفتح وهو من المواطاة وهي الموافقة، أي: يوافق السمع والبصر والقلب، وقريء وطاء بفتح الواو وقصر المدة، أي: كلفة وثبات قدم، فعسى أن يكون في ذلك مصدر وطي بكسر مهملة الماضي وفتحها من المستقبل، قال المعري :

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد

فصل

ومنه (رحمه الله)، الى الشيخ عبداله بن عامر بن بلحسن السعالي النزوي (رحمه الله): ومن نسي صلاة أو نام عنها كيف لفظها؟

الجواب : تقول أصلي فريضة الظهر الفائتة أربع ركعات اذا كان وقتها قد فات.

قلت له : أرأيت اذا أراد يبدل صلاة فاسدة أو منتقضة؟

قال : القول مكان الفائتة المنتقضة أو مكان الفائتة الفاسدة ان كانت فاسدة ولا فرق في هذا بين المقيم والمسافر.

قلت له : وما تقول في مسافر يصلي مع مقيم صلاة الظهر، وأضاف اليها صلاة العصر، فلما قضى صلاته مع الامام، قام ليصلي العصر، فقرأ الحمد وشيئا من ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فذكر (٣٨٧) وقد نطق بالصمد فظن انه قد انتقضت صلاته، فاستانفها، وصلى ركعتين، أتتم صلاته على هذا أم تنتقض.

قال : ان كان لما جرى عليه هذا الذي وصفته أتم صلاته، ولم ينقضها ثم استانف صلاة ثانية من بعد لم يلزمه عندي شيء، وان كان حين جرى عليه هذا نقض صلاته ولم يتمها، ثم صلاها ثانية وحدها في ذلك الوقت، ولم يؤخرها الى العصر فيعجبني أن يكون عليه بدلها اذا لم يصلها عصرا، أو يعذر عن الكفارة لجهله.

قلت له : وما تقول في اعراب غرم يغرم؟

قال : بكسرها من الماضي وفتحها من المستقبل.

قلت له : واذا نسي أمرؤ صلاة في بلده فذكرها وهو في حال السفر، أيصلها حاضرا وكذلك اذا نسيها وهو مسافر فذكرها وهو في حال الحضر، كيف يصلي هاتين الصلاتين.

---

(٣٨٧) لعل الصواب : تذكر.

قال : على الوجهين جميعا يصليها صلاة الحضر على القول الذي يعجبني، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، قلت له: والمصلي اذا كبر قبل الامام تكبيرة الاحرام، وقرأ شيئا من سورة الحمد، ثم كبر الامام تكبيرة الاحرام، أيرجع المأموم يكبر تكبيرة الاحرام، ويبتديء بقراءة الحمد، ويسجد سجدتي السهو أم لا؟

الجواب : فنعم ، فيكبر بعد الامام تكبيرة الاحرام ولا عليه سجود سهو في هذا الموضع.

قلت له : ويكره للمصلي وحده أن يصلي على المحراب؟

قال : مكروه ذلك بغير نقض ولا أعلم فرقا بين أن يصلي فيه جماعة أو لايصلي فيه جماعة.

قلت له : والصيغة اذا كانت مجوفة أتجوز الصلاة بها؟

قال : على ماسمعته من الأثر جائزة الصلاة بها، ويعجبني بعد أن يغسل ظاهرها، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الزاهد الولي الرضي سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ محمد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي: وأسأل الشيخ الفقيه (رحمه الله) عمن أراد البدل للصلاة أو غير ذلك، ماكيفية النية في ذلك؟

الجواب : يقول : أصلي فريضة صلاة الظهر الحاضرة أربع ركعات بدلا من صلاة لزمتني، اذا كان على سبيل الاحتياط، متوجها الى الكعبة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا اله الا الله، أشهد أن لا اله الا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا اله الا الله. سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا اله غيرك. وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. أصلي فريضة صلاة الظهر الحاضرة أربع ركعات، وأن الكعبة قبلتي، الله أكبر.

قلت له: ومايعجبك من ألفاظ الاعتقاد في هذا ؟

قال : يقول : أصلي في مقامي هذه الفريضة التي افترضها الله علي، وهي فريضة صلاة الظهر الحاضرة أربع ركعات متوجها الى الكعبة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، الى تمام الاقامة.

قلت له : واذا كان الامام سريعا، فسبقني بشيء من الركعات كيف ذلك؟

قال : صل ما أدركت وابدل مافاتك .

قلت له : فاذا أردت أن أصلي في النهار أذكرها طاعة أم نافلة أو في الليل، بين لي ذلك؟

قال : حفظت عن الشيخ مسعود بن رمضان (رحمه الله) يذكرها طاعة ليلا ونهارا وكان يقول : أصلي الطاعة شكرا لله وقربة اليه، متوجها الى الكعبة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، والله أعلم .

فصل

ومن جواب الشيخ القاضي الامام في الدين خميس بن سعيدالشقصي الرستاقي (رحمه الله)، الى من سأله من المسلمين، وذكرت، سيدي، أن أبين لك ما أنا عليه من تكبيرة الاحرام، فاعلم، سيدي، أن الذي أقوله في تكبيرة الاحرام «الله أكبر» بفتح الألف من اسم الله، لأن تجديد النية تفصل عن تكبيرة الاحرام بسكتة قصيرة وابتداء ألف الوصل اذا كان بعد سكتة يكون محركا فلأجل هذا ثبتت الحركة من اسم الله، وادغامها في اللام الثانية، وتشديد اللام الثانية، لأن من عادة الادغام اخفاء الحرف الأول وتشديده واظهاره، ثم تمد اللام الثانية بمدة غير مطولة الا بقدر الاستظهار على استخراج اسم الله من مخرجها من الجوف، وتضم الهاء من اسم الله ضمة خفيفة قصيرة غير متمكنة لئلا تشتبه بالواو، وليس هاهنا جزم لأن «الله أكبر» لا وقف بين اسم «الله» وبين «أكبر» فتسكن الهاء، وانما هاهنا اتصال لا وقوف، ثم تفتح ألف أكبر لأنها ألف قطع فتحة بينية غير مطولة، ويسكن كاف أكبر، ويفتح الباء من أكبر فتحة قصيرة غير مطولة، ويسكن الراء من أكبر لأن هاهنا موضع وقف، فهذا سيدي ما أنا عليه من تكبيرة الاحرام.

قال المؤلف : ويفخم الراء من أكبر لأن هاهنا موضع رفع ولا يحسن ترقيقه لأن الراء ترقق اذا كان بعد كسر مثل بصير، وخبير، ومذكر، فما نذر، وغير ذلك من الوجوه، ولا ترقق الراء اذا كان قبله ضمة أو فتحة، بل تفخم

تـفـخـيما بـينا، ولا يليق الجـزم ولا الاشمام ولا الروم ولا الادغـام هنا، والله أعلم.

فصـــل

ومـن جـوابـه (رحمه الله)، الى الأروع الأمجد ذي الجـود والسـؤدد ذلك الطاهر الولي الزاهد الرضي قـاضي المسلمين أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي المحـمـودي المنحي (رضي الله عنه): ومـا تقـول (رحمك الله) في الاشمام الذي جعله أصحابنا اليوم في تكبيرة الاحرام، كيف أصله وموضعه، لأني لم أعرف أصل هذا الاشمام ومـوضـعه، وهو الذي جعلوه على الهاء من اسم الله تعالى، ونـظرت في جملة من الكتب التي فـيـهـا أصل الاشمام مـثل كـتب التـيـسير والشـاطبـيـة وغيرها من الكتب التي فيها مقاريء القرآن والتجويد، فما رأيت له موضعا في تكبيرة الاحرام غير الراء من أكبر، لأنه هو موضع الوقوف وهو مـضـمـوم، وساقص عليك شـيئا مما وجـدته، ان كـان صـحـيـحا، وهو أن يكون(٣٨٨) الاشمام الا بعـد الوقـوف على كـلام آخـره مـتـحـرك بضـمة أو ضمتين...(٣٨٩) اعـرابا كـان أوبناء، وأمـا اذا كـان آخـره متحركا بخفض أو نصب، أو يكون آخـره سـاكنا فلا اشمام فيه، ولو وقف عنه، ففكرت ونظرت أن أقف عند قولي لتكبيرة الاحرام «الله» فلم أرى لوقوفي هنا موضعا ولا معنى لقلة مـعـرفـتي، وان أنا مـررت لم أر للاشمام هنا مـوضعا، مع أني رأيت في كـتـاب «الضـيـاء»: ومن قال الله ثم سكت لم يكن مكبرا حتى يقول : الله أكبر، وهل الاشمام الذي جـعلوه على الهاء من اسم الله تعالى مخالف للاشمام الذي يروى عن أبن عـمـر والكوفـيين، فـمن كرمك أن تفيدنا ان كنت تجد للاشمام موضعا في الهاء من اسم الله تعالى، ولك الأجر ان شاء الله؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : اني لم أجد للاشمام موضعا في الهاء من اسم الله تـعـالى في تكبيرة الاحـرام، لأن التكبير لايتم الا بوصل «أكبر» باسم «الله» تعـالى، ولايكون الاشمام الا مع الوقف على المرفوع والمنصوب، ولا وقف هاهنا على الهاء، وهذا أرجـو أنه غلط من القائل بالاشمام هاهنا، لأن الاشمام اشارة من غير نطق، وقـد أجمع جميع أهل القبلة، لانعلم أن أحدا شذ عنهم، أنهم في جميع خطبـهم لجـمـعـهم وأعـيـادهم وغير ذلك من الخطب في أدعـيـتهم وفي ركـوعـهم وسـجـودهم في صـلاتهم عن اعـراب الهاء من اسم الله عز وجل في

(٣٨٨) لعل الصواب : لا يكون .
(٣٨٩) الكلمة غامضة في الأصل.

قولهم «الله أكبر» ولا نعلم علة في افراد تكبيرة الاحرام عن هذا التكبير الذي ذكرته لك، وان كان أحد من المسلمين ياتي بحجة، أو يقيم دليلا على خلاف هذا، فنحن ان شاء الله تبع لمن أوضح الحجة البينة وأقام الدليل من الأصول التي أمرنا الله تعالى باتباعها والأخذ بها وهي: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، والسنة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، واجماع أمة محمد ﷺ الذي لا تنازع فيه، والله أعلم.

قال المؤلف : والحجة البالغة والحجة السابغة المانعتان عن جزم الهاء من تكبيرة الاحرام في الدلائل الواضحة التي أوردناها صدر هذا الباب، ومن البراهين التي زادتنا بيانا واثباتا في ضم هذه الهاء من تكبيرة الاحرام ألفاظ رقيقة ومعان دقيقة من الأثر القديم، كانها من ألفاظ الشيخ أبي محمد عبدالله ابن محمد بن بركة البهلوي (رضي الله عنه)، وهي هذه :

فصل

وسالته عن تفسير قول أهل العلم في : أن التكبير مجزوم أهو من طريق الاعراب أم من طريق المد؟

قال : معي أنه انما يجزم من طريق لايمد، وأولى به الاعراب الا ماوقف عليه المكبر من آخر كلمة، فانه أولى فيها الجزم عن الاعراب، لاتفاق الأمة في القراءة، أن القاريء لايعرف ماوقف عليه ويعرف ماسواه.

قلت له : فان قال قائل: أن المعنى في ذلك من طريق الاعراب أنه لايعرب ما الحجة عليه؟

قال : تقول : أنه أخل في معنى الدين، والصلاة من الدين، ولأن الدين نزل أصله وتفسيره بلسان عربي، على لسان نبي الله محمد ﷺ، فجميع أحكامه أحكام العربية الا ماخصه دليل، والصلاة من أوثق عرى الدين ولا تجوز الا بالتكبير، كذلك ثبتت السنة فعلا وأمرا، ومما يدل على ذلك ويقوي معناه قول المسلمين، من أهل العلم منهم، أنه يستحب مد تكبيرة الاحرام، وتكبير الصلاة على الجنازة، وتكبير صلاة العيدين، يسمع الناس بذلك ويجزم ماوراء ذلك من التكبير، فهذاهو المعنى الموجود بمن يشهد، وبها الاستغناء عما سواه، أن الجزم لم يكن هاهنا ترك الاعراب، بل في مد التكبير وجزمه.

قلت له : والأذان هو عندك كغيره من التكبير أم يختلف فيه، أعني في

مده وجزمه؟

قال : عندي أن التكبير كله والأذان والاقامة مجزوم، ولا أعلم فيه اختلافا، وانما قيل الجزم ويرفع الصوت في الصلاة، فتاولها بعض من لم يبصر المعنى في ذلك، وأخطا بتاويله الأصل المؤثر عن أهل العلم والبصر أن جزمه هو لايعرب وليس كذلك، بل الأثر المعروف الذي جاء به الأثر من قول أهل النظر أن الجزم لغير مد مع ثبوت الاعراب، وليس من حق الصلاة أن تؤدى بتلحن الكلام الذي يقال، بل كلما قدر على شيء من تفسيرها وتعظيمها لم يجب التقصير دونه الا من عذر عندي، والله أعلم. والدليل على ذلك أيضا قول النبي ﷺ، أنه قال: «يؤذن لهم أفصحهم»(٣٩٠)، مع ثبوت الأذان عنه جزما، ولا تقوم الفصاحة الا بالاعراب، في معنى الاتفاق، ولا أعلم في ذلك اختلافا أن الفصيح لايكون الا معربا، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه : محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وما تقول في رجل دخل مع الامام في الصلاة وظن أنه لايدرك القراءة فترك قراءة ﴿الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ ليستمع السورة، فلما بدأ الامام بقراءة سورة طويلة من القرآن، ظن المأموم أنه يدرك قراءة الفاتحة قبل فراغ الامام، فقرأها والامام لم يكمل من قراءة الآية والسورة، أتتم صلاته على هذه الصفة أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا دخل المأموم في استماع القراءة من الامام فليس له أن يترك الاستماع ويدخل في قراءته الحمد، ولو كان الامام يقرأ جزءا من القرآن، فهذا القول الذي يعجبني وأعمل به، وأما اذا فعل هذا المأموم ما وصفت واستمع قراءة الامام آية فصاعدا بعد فراغه من قراءة الحمد، ففي ذلك قول من أقول المسلمين، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه ايضا (رحمه الله)، الى الشيخ الفقيه خلف بن سنان الغافري (رحمه الله): والجنب، اذا وجد بعد الغسل شيئا لم يمسه الماء، وهو قد توضا أتلزمه اعادة الوضوء أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : في ذلك اختلاف بين المسلمين ، قال من قال:

(٣٩٠) أخرجه بمعناه الخمسة الا الترمذي .

عليه غسل ذلك المكان وحده ويعيد الصلاة، وقال من قال من المسلمين: عليه اعادة المكان واعادة الوضوء والصلاة، وقال من قال: عليه اعادة جميع بدنه والوضوء والصلاة، اذا جف بدنه.

قلت له : واذا كان له على رجل بدل صلوات متتابعة وغير متتابعة، فلما أراد البدل قدم الآخر على الأول أيجزيه ذلك؟

قال : لايجزيه ذلك حتى يبدأ الأول فالأول.

قلت له : واذا كان رجل معه عيال يلزمه عولهم وحضر وقت الصلاة فان قام يصلي ماتوا من الجوع ولم(٣٩١) يصل لم يموتوا، أيجوز له أن يقصر الصلاة ولو كذا كذا يوما، أم يتركهم يموتون؟

قال : على صفتك هذه جائز له تاخير الصلاة.

قلت له : والثوب النجس والعذرة الى كم يقطعا الصلاة ؟

قال : يقطعان الصلاة الى دون ثلاثة أذرع وهو أكثر القول، وقول: لا يقطعان عليه.

قلت له : والميتة الى كم تقطع؟

قال : الى دون خمسة عشر ذراعا.

قلت له: والرجل اذا كانت به نجاسة فمر قدام المصلي الى كم يقطع؟

قال : اذا كانت النجاسة غير مستترة عن المصلي فانها تقطع الى دون ثلاثة أذرع، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله)، الى الشيخ سعيد بن عامر بن بلحسن المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وعن الجنب والحائض اذا مرا قدام المصلي وكانا مستترين يقطعان عليه صلاته؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا كانت السترة التي عليهما طاهرة ولم يظهر شيء من بدنهما فلا يقطعان عليه الصلاة، هكذا حفظته من جزء من «بيان الشرع»، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله)، الى الأخ الرضي محمد بن سعيد بن غانم ابن سرحان النزوي (رحمه الله): واذا قهقه الرجل في الصلاة، وقد بلغ من التحيات ماتتم صلاته، أتنتقض صلاته أم لا؟

(٣٩١) لعل الصواب : وان لم .

الجـواب : اذا لم يقـهقه عمدا، وقد بلغ من التحيات ماتتم به الصلاة فلا نقض عليـه، واذا قـهـقه عمدا، فان كان بلغ من التحيات الى : أشهد أن محمدا عـبـده ورسـوله، فـقـد تمت صلاته، وان لم يبلغ الى ذلك، فيعجبني أن يعيد صلاته، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـوابه (رحمه الله)، الى من ساله من المسلمين، والمصلي اذا ارتفـعت ركـبـتـاه عند قـعوده للتحيات وعند انخراره(٣٩٢) للسـجـود على العـمد أو النسيان، أتنتقض صلاته أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : اذا كان على العمد فصلاته منتقضة، وأما على النسيان فلا نقض عليه، على أكثر قول المسلمين، والله أعلم.

قلت له : والمصلي اذا نالت أنثـيـاته الأرض، أتنتـقض بذلك الصلاة مثل الذكر أم لا؟

قـال : هما عندي أهون من الذكـر، والذكر اذا نال الأرض من فوق بساط فـفيه اختلاف، قول: تنتقض الصلاة اذا نال الأرض من فوق البساط، وقول: لاتنتقض الصلاة، والله أعلم.

فصـــل

وهذا مـاسألتـه (رحمه الله) قلت له: والمسافر اذا صلى الظهر والعصر في وقت العصر وانتقضت عليه صلاة العصر، فكيف الحكم في ذلك؟

الجـواب : ان في تمام صـلاة الظهر اختلافا، وأما اذا صلى العصر في وقت الظهر فانتقضت عليه صلاة العصر، فيعجبني أن يؤخرها الى وقتها.

قلت له : والامـام اذا كـان يصلي بجماعـة فصلى ركعتين أو ثلاث ركعات وكان عليه القيام، فسبح له بعض الجماعة فاشكل عليه، فقعد ثم سبحت له الجماعـة للقـيام فقام، أتتم صلاته اذا سكت بقدر ثلاث تسبيحات أم لا؟ واذا كانت منتقضة أيصلون فرادى أم جماعة؟

الجـواب وبالله التـوفيق : على صفتك هذه صلاته تامة، وأما اذا انتقضت صلاة الجماعة، بنقض صحيح فجائز أن يصلوها جماعة في الوقت، الا أنه قد قال بعض المسلمين : يذكرونها بدلا في وقتها، وقال من قال: لا يذكرونها بدلا، وهذا القول الأخير أحب الي .

قلت له : واذا أخـذ رجل بعض سترة الامـام فـصلى ركـعـة ، وبعد ذلك

(٣٩٢) انخراره : حالة يهوي المصلي الى السجود.

انتقضت صلاته، فخرج من الصف، فالتفت الجماعة على الصف، أتنقض صلاتهم اذا مشوا وقد صلوا ركعة؟ أرأيت اذ يلتفوا(٣٩٣) لسد الفرجة فبقيت فرجة من بعض السترة الى أن صلوا، أتنتقض صلاتهم أم لا؟

قال : اذا مشت هذه الجماعة لسد هذه الفرجة وكان مشيا رقيقا، فاكثر القول صلاتهم تامة، واذا لم يسد الجماعة هذه الفرجة، وكان أحد من الجماعة أخذ شيئا من السترة، فصلاة الجميع تامة واذا لم يأخذ شيئا من السترة، فلا يجوز للجماعة ترك هذه السترة، وعليهم أن يسدوا هذه الفرجة السترة، والله أعلم. سددت الشيء سدا بفتح معجمة الماضي وضمه من المستقبل.

قلت له : واذا تزوج رجل من أهل ازكي امرأة من أهل نزوى على أن شرط سكنها بها، فسار الرجل الى بلده زمانا وتبعته أتتم، تمامه أم تقصر اذا لم تبطل شرطها؟

قال : في ذلك اختلاف بين المسلمين، فقال من قال : أنه يجوز لهذه المرأة أن تصلي تماما في بلد زوجها تبعا له، وتصلي تماما في شرط سكنها، وقال من قال: انها تصلي قصرا في بلد زوجها مالم تهدم شرط سكنها، ويصلي بها تماما في موضع شرط سكنها، وكل قول المسلمين صواب. الهدم: النقض بفتح الدال المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي صالح بن عبدالله الفلوجي النزوي (رحمه الله): ومن كرر فاتحة الكتاب أو السورة عمدا أو نسيانا أتنتقض صلاته أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : أما اذا كرر فاتحة الكتاب أو بعضها على العمد، فصلاته فاسدة، وأما على النسيان فصلاته تامة، وأما تكرير السورة أو بعضها ففي ذلك كراهية، ولا أقدم على نقض صلاته.

قلت له : فان سها فقرأ مكان الحمد التحيات، أو قرأ مكان التحيات الحمد، أو غيرها من السور، هل عليه نقض في صلاته؟

قال : اذا أتم قراءة الحمد في موضع التحيات أو أتم التحيات في موضع قراءة الحمد، فقال من قال من المسلمين: صلاته فاسدة، وقال من قال : صلاته تامة وعليه سجدتي الوهم. وأما اذا لم تتم القراءة كلها في موضعها فصلاته

(٣٩٣) الصواب : لم يلتفوا .

تامة.

قلت له : والأعمى يصلي طرف الصف الأول أو الثاني ثم انتقضت صلاة الذي يليه فجره الرجل الذي انتقضت صلاته فدنا قليلا وظن أنه قد وصل الجماعة وبقي بينه وبين الجماعة فرجة تسع رجلا أو أقل، أتفسد صلاته على هذا المعنى أم لا؟

قال : أما اذا كان في الصف الأول وبقيت بينه وبين الصف قدر مقام رجل، فاكثر القول عليه بدلا صلاته كان على العمد أو النسيان على أكثر القول، وأما في الصف الثاني أيضا ففيه اختلاف، وقال من قال: عليه بدل صلاته، وقال من قال: لا بدل عليه، والبدل أحب الي.

قلت له : ورجلان صليا خلف امام، أحدهما أحرم وركع مع الامام في الركعة والثاني لم يدركهما في الركعة الأولى، ولكنه بقي قائما مكانه حتى قام الامام، فاحرم الرجل وركع معهما في الركعة الثانية، ماترى في صلاة الأول؟

قال : في ذلك اختلاف ويعجبني تمام صلاة الجميع.

قلت له : ومن نسي صلاةونام عنها حتى فات وقتها، هل يجوز له تاخيرها بعدما ذكرها؟

قال : يصليها اذا ذكرها وان كان نائما، فانه يصليها اذا انتبه من نومه، ولايجوز له تاخيرها، على أكثر قول المسلمين، فان أخرها بعدما ذكرها، فاكثر القول عليه الكفارة. وأما الصلاة المنتقضة فان علم بنقضها بعد فوت وقتها، فيعجبني أن يصليها من حين ماعلم بها، فان أخرها فلا كفارة عليه، على العمل الذي نعمل عليه، لأنها تكون دينا عليه.

قال المؤلف : أما قوله : اذا ذكر الصلاة الفائتة فليصلها حين ذكرها والا فعليه الكفارة، فنعم كذلك، الا اذا ذكرها وقت مالاتجوز الصلاة فيه، وذلك قبل طلوع الشمس بقليل، وقبل المغرب بقليل، فان ذكرها في هذين الوقتين فانه يجوز له تاخيرها الى وقت تجوز الصلاة فيه.

قلت له : واذا سها المصلي فقرأ مكان التحيات الحمد، وقرأ مكان الحمد التحيات، أو الاقامة، أو سورة من القرآن، أترى عليه سجدتي الوهم أو نقضا في صلاته؟

قال : اذا أتم قراءة الحمد في موضع التحيات أو أتم التحيات في موضع القراءة، فاكثر القول عليه الاعادة، وقال من قال: لا اعادة عليه كان اماما أو

ماموما، وعليه سجدتا الوهم على هذا القول.

قلت له : ومن رأي في ثوبه دما، ثم نسي وصلى به، ثم ذكر قبل فوات الوقت أو بعده، هل ترى عليه بدلا على كل حال أم لا؟

قال : يعجبني أن يبدل صلاته على كل حال كان في وقت الصلاة أو بعدها.

قلت له : ومن سها فكرر السورة أو شيئا منها في الفريضة أو كرر الحمد أو شيئا منها سهوا منه، هل عليه نقض؟

قال : لانقض عليه على السهو، وكان التكرار في الحمد أو غيرها، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ محمد بن راشد الريامي (رحمه الله)، الى القاضي الولي الزاهد عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رحمه الله): وفي المصلي اذا كان عليه قراءة الحمد وحدها، فلما قرأ ابتدأ بآية الكرسي نسيانا منه لذلك، فلما انتهى قوله تعالى : ﴿اللهُ لَاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ فذكر في موضع ﴿إِلاَّ﴾ أيقف أم يقول ﴿إِلاَّ هُوَ﴾؟

الجواب : يعجبني أن يتم ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لأن الوقوف لا يجوز هنا وان احتاط أن يبدل صلاته، فقد أخذ بالاحتياط ، وان لم يبدل فلا أقول تنقض صلاته على القطع، لأن هنا موضع لايجوز له فيه الوقوف ذلك لو تعمد لقراءة شيء بعد أن ذكر، ويجوز له الوقوف كان عليه النقض، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ العالم النزيه الوالي سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري (رحمه الله): واذا سها المصلي في صلاته، وذلك أنه وقف عند قوله ﴿مَلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ فظن أنه انتهى ﴿وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ فقال: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ ثم ذكر أنه ترك شيئا فاستانف وقال : ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ ومر في القراءة، أيلحقه في صلاته شيء أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : فعلى صفتك هذه فيه اختلاف، وأكثر القول والمعمول به على ماسمعناه وحفظناه أنه اذا كان على سهو فلا نقض عليه،

على صفتك هذه، والمراد والمامور به، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) واذا ولدت المراة ولدا وبقي ولد آخر في بطنها وحضرتها الصلاة أعليها أن تصلي أم لا؟ وهل يجوز لزوجها ان يجامعها أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : أما الصلاة فقال من قال: اذا ضربها الطلق فلا صلاة عليها، وقال من قال : اذا انفقأ الهادي(٣٩٤)، وقال من قال: اذا ولدت، وأما الجماع فلا يعجبني له ذلك، وأما العدة فلا تنقضي بذلك ولا يجوز لها أن تزوج اذا كانت مطلقة الا حتى تضع الثاني، وأما انقضاء النفاس للصلاة، فقيل: تحسبه من الأول، وهو أكثر القول، وقيل: من الآخر، وهو للولي من الآخر على الاحتياط على قدر عادتها في نفاسها.

قلت : وفي رجل يصلي بالناس فنسي آية من الحمد فذكر قبل أن يجاوز الحمد، أيجوز له أن يرجع ويقرأ الآية ويكرر الذي قرأه أم يبتديء بالصلاة أم لا؟

قال : ان له أن يحكم مانسيه من الحمد مالم يجاوزها الى حد ثالث ولا نقض عليه في صلاته اذا لم يبدل آية الغضب رحمة أو آية الرحمة غضبا. وأما تكرير مابقي بعد النسيان فيه اختلاف، وأكثرالقول : له أن يكرره لأنه يعتد بالقراءة التي قرأها قبل النسيان، والله أعلم.

قلت له : واذا قال الامام : ﴿أَنعَمتَ﴾ بضم التاء، أيجوز له أن يكرر الآية ليحكمها أم لا؟

قال : اذا كان يصلي وحده وغلط غلطا زللا من لسانه من غير قصد الى ذلك، فله أن يحكمه ويبني على صلاته، وان كان على الجهل، فلا يعدم من الاختلاف، وأكثر القول عليه النقض. وأما اذا كان يصلي بجماعة فعليه النقض والتوبة عند الجماعة، لأنه أظهر شيئا يكفره أن لو لم يكن مخطئا. وأما الجماعة ففي نقض صلاتهم اختلاف، فقول لهم أن يقدموا اماما غيره يصلي بهم، وقول يصلون فرادى بغير امام، وقول يعيدون الصلاة، والله أعلم.

قلت له : والمسافر اذا صلى مع امام مقيم فانتقضت صلاة المسافر من قبله لا من قبل الامام، أيصليها في وقتها بصلاة الامام أم صلاة السفر؟ أرأيت

(٣٩٤) الهادي : ماء ينزل من الحامل عند المخاض يخرج بعده الولد.

بعد فوت الوقت صلاة الامام أم صلاة نفسه؟

قال : اذا اتتقضت صلاة المسافر وكان صلاها خلف امام مقيم، فاذا علم بفسادها في الوقت، وقت تلك الصلاة، فانه يصليها صلاة نفسه، وهي صلاة المسافر، وان علم بفسادها بعد أن فات الوقت، ففي ذلك اختلاف بين المسلمين، قال من قال من المسلمين: يصليها صلاة نفسه، وقال من قال: يصليها صلاة الامام، ويعجبني هذا القول، وأما اذا كان الفساد من قبل الامام فانه يصليها صلاة نفسه في الوقت، وبعد الوقت، وكذلك اذا كان الماموم جنبا أو في ثوبه نجاسة لعلة، فعلم قبل أن يدخل في الصلاة، فانه يصليها صلاة نفسه في الوقت وبعد الوقت، لأن صلاته من أولها فاسدة لم يكن اعتراها النقض من بعد، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، وهذا ماسالته (رحمه الله)، قلت له : وفيمن تمادى من صلاته فوجد في الحين بللا في ثقب غرموله، أيبطل صلاته بذلك أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان كان يمكن أن يخرج من بعد الصلاة فان احتاط والا فلا نقض عليه، وان لم يمكن ذلك فيعجبني أن يبدل احتياطا، والله أعلم.

الثقب بكسر المعجمة الأولى وجزم الثانية واحد الثقوب، وفيه لغة تفتح الأولى والفعل منه ثقب الشيء اذا أخرزه، وثقوب النار والنجوم تودها، قال تعالى : ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(٣٩٥)، ثاقب معنى كانه ثقب الخويصرة، وثقب الناقة عررها، كل هذه الأفعال بفتح معجمة الماضي وضمه من المستقبل، والغرمول بضم المعجمة الأولى هو الذكر.

قلت له : واذا حولق(٣٩٦) في الصلاة نسيانا أو عمدا، ماترى في صلاته؟

قال : ينقضها بعد تكبيرة الاحرام نسيانا أو عمدا، وكان جائزا في بدء الاسلام، ثم نسخه قول النبي ﷺ: «صلاتنا هذه لا يصلح فيها كلام الآدميين»(٣٩٧)، حولق، أي: قال: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

قلت له : واذا أغرورقت عيناه بالدموع شجوا من عذاب الآخرة أيصرفه

---

(٣٩٥) سورة الصافات : ١٠ .

(٣٩٦) لعله : حوقل .

(٣٩٧) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي .

باقل حركة اذا شغله عن صلاته، وكذلك اذا كان مصابا بفقد بعض أولاده؟

قال : اذا كان بكاؤه من عذاب الآخرة، فلا نقض عليه فيه، وله أن يصرف دموعه باقل حركة اذا شغلته عن صلاته، وهذا اذا لم يستجلبه، وأما اذا كان على فقد ولده، فان غلبه فلا نقض عليه، وان استجلبه فعليه النقض، والله أعلم.

شجاه شجوا : اذا أحزنه حزنا، وهو بفتح المعجمة من الماضي وضمها من المضارع، وقيل: بالهمزة ليكون رباعيا.

قلت له : واذا كان ببياله مقة صفراء أو بيضاء فمذل باكيا بعدما فاتته، ماترى في صلاته؟

قال : أخاف عليه النقض، لأن عليه أن يتوكل على الله، ولا يحزن على مافات.

البال ، الخاطر ، ومقة مصدر، ومق يمق مقة، فهو وامق اذا أحب شيئا، وهوبكسر مهملة الماضي والمستقبل، ومذل يمذل، أي : قلق وهو بفتح معجمة الماضي وضمها وفتحها من المستقبل، ومذل اذا أظهر الشيء، قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

مذلت ولم تكتم هواك تكتم ان الذي يمق المذول المغرم

والصفراء والبيضاء، كناية عن الذهب والفضة، والمعنى أنه بكى في صلاته بعدما فاتته الدراهم.

قلت له : ومن تمادى من صلاته فنطر دما من منخره، ماترى صلاته؟

قال : اذا كان يابسا فيعجبني اعادة صلاته، اذا علم أن الدم في موضع تقبله طهارة الماء، وأما الرطب فينقض صلاته على ماقيل، لعله فلا ينقض صلاته اذا نظر بعدما تمادى من صلاته، لأنه يمكن حدوثه على كل حال، والله أعلم.

قلت له : ومن جعفل في صلاته بعدما أحرم؟

قال : عليه النقض. جعفل، أي : قال جعلت فداك.

قالت له : والماموم اذا كان في تكبيرة الاحرام والامام في قول: «سمع الله لمن حمده»، أيكون مدركا للامام أم لا؟

قال : ان كان الماموم خر راكعا قبل أن يخر الامام ساجدا، ولكنه صار في قول : «سمع الله لمن حمده»، ففي نقض صلاته اختلاف.

قلت له : ويجوز السجود على الرصاص والصفر والزجاج والآنية التي هي من الطين والذهب والفضة؟

قال : الذي حفظته من أجزاء «بيان الشرع» أنه لايجوز السجود على النحاس ولا الرصاص ولا الصفر ولا الذهب ولا الفضة، وأما آنية الطين، فلم أعرف مامعنى، فان كانت الآنية غير محروقة بالنار، وكان يمكن السجود عليها فارجو أنه جائز.

قلت له :ووجدت في «الجامع» وليس على أهل السفينة صفوف، وان كان خلف الامام أو بحذاه من الصراري وغيرهم أن يصلوا بصلاة الامام، ما صفة الصراري؟

قال : الصراري البحارة على ماوجدته مؤثرا بعينه، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الوالي علي بن عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي، الى الأخ الحبيب خلف بن محمد بن علي بن محمد بن خنبش السعالي النزوي(٣٩٨) (رحمه الله): وما تقول سيدي في رجل يصلي الصلاة ولا يدري أربع ركعات أو ثلاث ركعات من كثرة شغله بأمر الدنيا، أتتم صلاته أم لا؟

الجواب : اذا كان مشتغلا بأمور الدنيا على العمد منه، فلا تتم صلاته، فان كان مشتغلا على السهو منه، واذا ذكر ذلك رجع عنه وأقبل على صلاته، واذا سها اشتغل وعلى هذه الصفة فلا نقض عليه في صلاته.

قال الناظر وهو الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي (رحمه الله): أما اذا شك بعدما خرج من الصلاة فاكثر القول أن صلاته تامة، وفيه اختلاف في لزوم بدلها. وأما اذا شك وهو في الصلاة أنه صلى ثلاث ركعات أو أربع ركعات فاكثر القول عليه بدلها. وفيه اختلاف اذا أراد ركعة، وعلى القول الذي يوجب عليه بدلها، فقول أنه يتمها على حسن ظنه ويصلي غيرها، وقول أن يهملها من ساعة ماتلتبس عليه ويصلي غيرها، والله أعلم.

قلت له : واذا قرأ المأموم الحمد، فلما قضى القراءة منها سمع قراءة الامام في آخرها، فقرأها المأموم ثانية، أتتم صلاته أم لا؟

قال : اذا قرأها ثانية أن يكون تابعا للامام فصلاته تامة، وأرجو أن

(٣٩٨) انظر ترجمته في الملحق .

لايخلو من الاختلاف. وان كان الامام ابتدأ بقراءة الحمد قبل المأموم، وأتمها المأموم قبل الامام، فصلاته تامة فيما عندي، والله أعلم. وقال: اذا قرأ الحمد متعمدا فلا تتم صلاته وان نسي، فيعجبني إعادة صلاته.

قال المؤلف : قد تقدم القول فيمن نسي من الحمد شيئا من جواب الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي (رحمه الله).

قلت له : ومن قرأ سورا في موضع قراءة الفاتحة وحدها مثل الظهر والعصر أتنتقض صلاته أم لا؟

قال : اذا لم يتعمد فلا، ولكن يسجد سجدتي السهو.

قلت له : واذا كان الامام كثير اللحن، ولم يقدر الا على ذلك، أيصلي خلفه أم لا؟

قال : اذا كان هذا اللحن مفسدا للصلاة، فلا يصلي خلفه، وان كان اللحن لم يفسد الصلاة، فلا تضيق الصلاة خلفه، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، وسالته قلت له: وفيمن يصلي جماعة، فبقي عليه شيء من الفاتحة، فلما قضى صلاته نسي أن ياتي بما بقي عليه أيضر صلاته اذا أتى به بعد أخذ عمامته من قدامه مع ادباره عن القبلة؟

الجواب وبالله التوفيق : فالذي يوجد في آثار المسلمين أن المصلي اذا فاته شيء من فاتحة الكتاب، فلما قضى صلاته نسي أن ياتي بما فاته فما لم يدبر بالقبلة(٣٩٩)، أو يتكلم بكلام اذا أتى بما فاته فهو جائز، وصلاته تامة، والكلام المذكور هنا هو الحديث غير الدعاء والقراءة، فقد قيل: اذا قرأ شيئا من الآيات أو دعا بشيء من أمور الآخرة وأتى بذلك فهو جائز، وأما أخذه بعامته بعد أن أتم صلاته ولم يدبر بالقبلة ولم يتكلم بعد، فلم أحفظ فيها شيئا في الأثر الا أنه يوجد في الأثر ترخيص لمن بقي(٤٠٠) شيء من الفاتحة اذا كان أقل من النصف، وقيل: لو كان أكثر اذا كان خلف الامام ولو لم يات بما بقي عليه، فعلى هذا القول صلاته تامة.

قلت له : ومايعجبك من بدل السنن اذا انتقضت عليه صلاة يوم أو يومين، فأراد أن يبدل الفرائض؟

قال : تبدل السنن المؤكدة مثل ركعتي الفجر وركعتي المغرب، والله أعلم.

---

(٣٩٩) لعل الصواب : لم يستدبر القبلة .

(٤٠٠) لعل الصواب : بقي عليه .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقـيـه العـالم النزيه صـالح بن سـعـيد الزاملي الخـراسـيني النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عـامر بن محمد بن مسعود المعـمـري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي امرأة لها على زوجها شرط سكنها في بلدها، ثم سـافـر زوجـهـا وألزمت نفسـهـا اتباعه معتقدة أنها تتبعه اذا أرادها، أعليها أن تصلي في بلدها صلاة زوجها أم لا؟

الجـواب : ان كـانـت هـدمـت عنه شرط السكن ونوت أنها تسكن حـيث يسكن زوجـهـا، فعلى هذه الصفة اذا خرجت من بلدها حتى تعدت الفرسخين تقصر فـيـه اذا رجـعـت اليه ان كان زوجها ممن يقصر فيه، أعني بلدها، والله أعلم.

قـال المؤلف : الهدم : النقص وكذلك نقض البناء، وهو جائز بالتضعيف والتـخـفيف، وقد قريء بالوجهين جميعا في الآية التي في سورة الحج، وفعله مخففا بفتح المعجمة من الماضي وكسرها من المستقبل [رجع].

قـلت له : والمصلي اذا أحس بريح يخرج من دبره فامـسك حـتى ذهبت، ولم يعلم بخـروج شيء منهـا، ثم صلى بعض صلاته ثم أحس بها ثانية ولم يخرج شيء، أتتم صلاته أم لا؟

قال : مالم تشغله هذه المعالجة عن صلاته فلا تنتقض، والله أعلم.

فصـــل

ومما أظنه أنه من جـواب الشـيخ الفـقيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عـبـيـدان (رحمه الله)، الى الوالد الحبيب عبدالله بن عامر بن عبدالله بن سعيد العـقـري النزوي (رحمه الله): وفي صلاة المريض بالكبر، هل يقطعها مايقطع صلاة المصلي الصحيح؟

قال : في ذلك اختلاف ، والله أعلم.

فصـــل
في كفارات الصلوات

ومن جـوابات الشـيخ الفـقـيـه العـالم النزيه صـالح بن سعيد الزاملي الخـراسـيني النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عـامر بن محمد بن مسعود المعـمـري السعـالي النزوي (رحمه الله): وأسالك سـيـدي في كفارة الصلوات أيجـوز نصف صـاع من الأرز أم بقـيـمـة البر، وكم لكل مـسكين من الرطب،

وكذلك في كفارة الايمان وغيرها من الكفارات؟

الجـواب : أمـا الأرز فلم نسـمع فيه حدا في آثار أصحابنا في اخراجه عن الكفـارات الا على قول مجمل أن الانسان يطعم بقيمة البر ماشاء من الحبوب، والبر لكل مـسكين نصف صـاع لكل صـلاة أو يمين، وأمـا التـمر على قول من أجـازه من السائر ثلاثة أمنان الا ثلث، ومن الفرض ثلاثة أمنان. وسمعت أن الرطب اذا أراد أحـد اخـراجـه عن التمر زاده ثلثا في الوزن مكان ثلاثة الأمنان من التـمـر، اذا كـان فـرضـا أربعـة أمنان ونصف من، وقال بعض ان التمر لايجوز في الكفارات، وهو أكثر القول، والله أعلم.

فصـــل

ومـنه اليـه (رحمهما الله): وعن امـرأة حلفت بالحج أنها لا تسكن البلد الفلانية، ولا تشرب من مائها، فارادت أن تسكن ذلك البلد، ألها ذلك؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : فعلى ماسمعته من الأثر اذا حلف أحد بحجة ولفظ ذلك أن يقـول: ان فـعلت كـذا وكـذا فعلي حجة الى بيت الله الحرام، فان فعل، فبعض يلزمه صوم شهرين ان كان فقيرا، وقول ان قدر على الحج لزمه الحج، وان لم يقـدر فـلا شيء عليـه، ويعـجـبني أن يوصي به ان لم يقدر في حياته.

قلت له : فان حلف رجل لاياكل السمن، فاكل الحلوى أيحنث أم لا؟

قـال : فيما يعجبني أنه يحنث اذا أكل الحلوى المصبوغة بالسمن، وكان السمن باقيا فيها، والله أعلم.

قلت له : وفـيـمن لزمتـه كفارة شهر رمضان، أيكون مخيرا بين الصوم والاطعام والعتق أم لا؟

قال : انه مخير، وقول يكون العتق أولا ثم الصيام ثم الاطعام.

قلت له : ومـا تقـول فـيـمن كان بيده أو رجله جراحة أو في موضع من مـواضع الوضـوء ويخاف إن أصـابه الماء أن تزايد به الجـراحـة، ماتقول في صفة وضوئه؟ وما صفة الذي يجب عليه التيمم اذا كان به أذى في جوارحه؟

قـال : أمـا لزوم التيمم اذا كان الذي يتركه أقل الجارحة، فلا يلزم تيمم، وان كـان الذي يتركه أكثر الجارحة وكان الجارحة من الفرائض فعليه التيمم في أكـثـر القـول الا تكون هذه الجـارحة رأسه، فاذا مسح من قدام رأسه ولو بقـدر ثلاثة أصـابع فـلا تيـمم عليـه، والتـيـمم يكون ضربة للوجه وضربة

لليدين، ولفظ التيمم يقول: أرفع بتيممي هذا جميع الأحداث وأتيمم للصلاة، بدلا عن الماء طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، وان كان جنبا، فيقول: أتيمم للصلاة أو أتيمم للجنابة، ويعجبنا أن يتيمم للصلاة تيمما ثانيا، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة العبيداني السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): واذا أعطي رجل فقير حبا من كفارات صلوات وغيرها فمات من قبل أن ياكله، أيبرأ بذلك المعطي أم لا؟

الجواب : اذا قبض الفقير ما أعطي من الكفارات ثم مات بعد ذلك فان ذلك يجزي عن المعطي، أكل الفقير ذلك أو لم يأكل.

فصل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله)، الى الشيخ صالح بن عبدالله الفلوجي (رحمه الله): وفيمن عليه كفارة صلاة، هل يجوز له أن يعزلها ويطعمه يتيما الى أن تفرغ أم لا؟ وهل يكون ما أوصى به من الصلوات مثله أو بين الوصية وهذه فرق؟

الجواب وبالله التوفيق : أنه لايجوز أن يطعم الصبي جميع الكفارة، والكفارة تطعم ستين مسكينا، ولا فرق بين الوصية والكفارة التي ذكرتها، والله أعلم.

فصل

ومنه (رحمه الله)، الى الشيخ محمد بن عبدالله بن سليمان الريامي (رحمه الله): والفطيم يعطى من الكفارات أم لا؟

الجواب : في ذلك اختلاف، ويعجبني أن يعطى من ذلك، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه الرضي سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): ورجل فقير له زوجات عند بعضهم مال تجب فيه الزكاة، أيجوز لهذا الفقير أن يعطى من كفارة الصلوات له ولزوجاته، ولجميع من يلزمه عوله؟

الجواب وبالله التوفيق : ان الفقير جائز أن يعطى من كفارة الصلوات،

وأما الزوجات الغنيات فلا يعطين من الكفارات.

وأما قولك الذي عنده شهادة وطلبت منه ليؤديها في غير بلده، وكان يمكنه بغير ضرر، فقيل عليه أن يؤديها الى القريب والبعيد، والكراء والمؤنة عليه اذا كان يمكنه ذلك، وقيل ليس على الشاهد أن يخرج الى غير بلده، وقيل له الزاد والراحلة ان كان ممن يركب من عند الذي له الشهادة، وأما الذي لايمكنه من فقر أو مرض أو زمانة، فاما الفقير فان أعطاه الذي له الشهادة الذي يحتاج اليه فعلى ماعرفتك من قبل، وأما المريض والزمن فلا يكلفان الا فيما(٤٠١) يطيقان، لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾(٤٠٢)، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه محمد بن راشد بن سالم الريامي الازكوي (رحمه الله)، الى الأروع الأمجد ذي الفضل والسؤدد عبد الله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رضي الله عنه): وفيمن به قرحة في غير موضع الوضوء وبرئت الا أن القذاة التي عليها بعد لم تزل عن القرحة وهي يابسة مقدار الفلس أو أقل أو أكثر، وأصابته الجنابة واغتسل منها، وعم جميع بدنه بالماء الا أن الماء لم يداخل تلك القذاة التي من صديد القرحة من قيح أو يبس، هل يجوز لهذا الرجل أن يؤم الجماعة على هذه الصفة أم لا؟

الجواب : ان كانت القذاة جلدا ميتا يمنع وصول الماء الى الجلد الصحيح، فيعجبني له التنزه عن الامامه، وغيره أصح منه أولى بالامامة، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ القاضي العالم المرضي خميس بن سعيد الرستاقي (رحمه الله)، الى الولي الرضي القاضي عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رضي الله عنه): وفي الوصي اذا اشترى حبا من السوق أو غيره لكفارة الصلوات عن هالك، وأراد حمله الى بيته ليفرقه على المساكين، أيكون كراء الحب من مال الموصي أم ذلك مال الوصي اذ لايمكنه أن يفرقه في السوق أو حيث اشتراه؟

الجواب : ان كان يمكن للوصي أن يفرقه حيث اشتراه، فلا يكاري عليه من مال الورثة الا باذنهم ان كانوا بالغين حاضرين، وان كان لايمكنه أن

(٤٠١) لعل الصواب : بما .

(٤٠٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

يفرقه في موضعه الذي اشتراه منه طلبا لراحة نفسه ولأجل الرفق فيه لنفسه لأجل عدم الفقراء في ذلك الموضع، فارجو أن لايلزم الورثة ذلك. وان كان رأي الصلاح والتوفير لمال الورثة في الشراء، والأجرة على حمله أوفر لهم وأصلح من أن يشتريه من موضع يمكنه فيه التفريق، فارجو أن لا يضيق على الوصي أن يستاجر من مال الهالك على حمله اذا رأى الصلاح والتوفير في ذلك، والله موفق كل مجتهد طالب رضاه.

قلت له : أرأيت ان اشترى الحب من بلد غير بلده وبلد الموصي، وأراد حمله الى بلده وبلد الموصي، أيكون الكراء من مال الموصي، أم من مال الوصي، اذا كان شراؤه أرخص من بلده وأوفق؟

الجواب : ان كان يمكنه تفريق الكفارات في البلد الذي رأي السعر أرخص فيه فلا يكاري عليه، ويفرقه في الموضع الذي اشتراه فيه، لأنه يوجد يجوز للوصي أن يشتري الحب من بلد غير بلد الموصي اذا رأى السعر فيه أرخص، ويفرقه في ذلك البلد، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ القاضي العالم النزيه سليمان بن محمد بن مداد العقري النزوي (رحمه الله)، الى القاضي الرضي عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (٤٠٣) (رحمه الله): وما تقول في الكاتب اذا كتب في الوصية: أوصي فلان بن فلان الفلاني بثلاث كفارات أيمان مرسلات، كفارة كل يمين فهي اطعام ستين مسكينا، أتنفذ الكفارات كما أوصى بها الموصي أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : لم أعلم من كتاب الله ولا من قول أصحابنا (رحمهم الله) أن كفارة يمين المرسلة اطعام ستين مسكينا، وانما هي كما قال الله تعالى : ﴿لَا تَبدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾(٤٠٤)، قال الله عز وجل : ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِن أَوسَطِ مَاتُطعِمُونَ أَهلِيكُم أَو كِسوَتُهُم أَو تَحرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّم يَجِد فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيمَانِكُم إِذَا حَلَفتُم﴾(٤٠٥)، وإذا أوصى الموصي بخلاف ماجاء في كتاب، فليست من أحكام الله الثابتة في كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل، ولو أنه أوصى بكفارة يمين مغلظة ﴿إِطعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لم تعتد عندي، من قول أصحابنا، اذ الايمان قيل أنها كلها مرسلة،

---

(٤٠٣) انظر ترجمته في الملحق .
(٤٠٤) سورة يونس : ٦٤ .
(٤٠٥) سورة المائدة : ٨٩ .

والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليــه (رحمهما الله): وفي الوصي اذا فـرق عن الهالك حبا عن كفارة صـلاتين، فرأى في الوصية مكتوبا صلاة واحدة ويمينا مغلظة، هل تجزئه أن ينوي بعد مافرق الحب أن يكون الصلاة واليمين، وما صفة خلاصه من ذلك؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : فـاذا قـصد الوصي ونوى بتفريقه الحب عن كـفارة صلاتين بظنه أن الهالك أوصى بكفارة صلاتين، ثم صح فيه أن الهالك أوصى بكفـارة واحـدة وكـفارة يمين مغلظة، فقد قيل أن النية تكون في تفريق ذلك قـبل وقوع الفعل عند تفريقه الحب تخصيصا منه لذلك بنية مفردة لكل كفارة وحدها مخصوصة عند تفريقه الحب لها، فاذا لم يخص بتفريقه الحب لها نفـسـها، فقد صار بفعله ذلك غير منفذ لها اذا لم ينو بتفريقه الحب لها ، وانما هو لصـلاة غيرها لم يكن الهالك أوصى بهاوهو عندي بمنزلة الخطا في مـال الهالك، والخطا في الأمـوال مضمون ، وقد حفظنا أن الوصي اذا جمع حب الصلوات وكـفـارة الايمان، وصـار يفـرق ذلك الحب عن جميع الكفـارات ولم يخص بتـفـريقـه الحب كـفـارة بعينها مفردة من تلك الكفارات غير أنه نواه لجـمـيـعهن، فقد قالوا أن ذلك غير مجزي حتى يخص بتفريقه الحب، ويميز بين كـفارة الصلاة وكفارة اليمين، وقد رخص في ذلك من رخص، ولم يخطيء من فعل ذلك لثبوت النية الجامعة لهن، والله أعلم.



المنثورة الثامنة

في الصلاة على الموتى
وتكفينهم ومواراتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر، الحمد لله الذي مّن علينا بالطهر والاكفان حين تغشانا طوارق السام، وأكرمنا بعد ذلك بالمواراة تحت السدوك والرغام(١)، حتى جعل علينا الحثاء(٢) فوق ظلمات اللحود، الى أن تبدو مع ذلك مبديات الأسود(٣) وزجر عن الصلاة على المنافقين دون المتقين والموافقين لقوله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيهِم إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُم﴾(٤)، ذلك لاهل الطاعة، وفي موضع لاهل النفاق ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُم عَلَىٰ قَبرِهِ﴾(٥). قال أهل التفسير : نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي بن سلول، لما مرض بعث الى رسول الله ﷺ وهو مريض، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ، فقال له : «أهلكك حب يهود» فقال: يارسول الله لم أبعث اليك لتؤنبني، ولكن بعثت اليك لتستغفر لي، وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه، فالذي قيل عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: لما مات عبدالله بن أبي بن سلول، دعى رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت عليه فقلت: يارسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول، وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا، أعدد له قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «أخر علي ياعمر!»، فلما أكثرت عليه، قال: «اني خيرت فاخترت، لو أعلم أني زدت على السبعين يغفر له زدت عليها»(٦) قال: فصلى رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من (براءة)(٧) : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُم عَلَىٰ قَبرِهِ...﴾، إلَى قوله : ﴿... وَهُم فَاسِقُونَ﴾(٨)، قال: فعجبت من جراتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم.

فصل

وأصل الصلاة ، الدعاء للميت والاستغفار، وهو ممنوع في حق الكافر،

---

(١) الرغام : التراب أو الرمل المختلط بالتراب .
(٢) الحثاء : التراب التي يحثى ويدفن به القبر .
(٣) مبديات الأسود : سؤال الملكين في القبر منكر ونكير، ومايتعلق بأهوال يوم القيامة.
(٤) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٥) سورة التوبة : ٨٤.
(٦) لعل الصواب : لزدت عليها .
(٧) سورة التوبة .
(٨) سورة التوبة : ٨٤ .

والصلاة من الله تعالى الرحمة بعباده، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِم وَرَحمَةٌ﴾(٩)، والصلاة من الملائكة الاستغفار، ومن الناس الدعاء، والصلاة على الميت دعاء له، والله أعلم.

فصل

السام والرغام التراب ، قال أبو الطيب :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

والسدوك : جمع سدك، وهو مايسدك على الانسان من التراب وغيره، يقال: سدك بكسر دال الماضي وفتحها من المستقبل، وسدك به اذا ألزمه، ورجل سدك خفيف العمل بيديه، وكذلك قال الشيخ أحمد بن النظر (رحمه الله):

يهيلون التراب ولست تدري بخشب وسدوك ولا دقاق

والخشب بفتح المعجمة الأولى وهو الغليظ الخشن، ويقال: طعام خشب ليس معه ادام، وهو بفتح المعجمة من الماضي والمستقبل، والله أعلم.

فصل

وأما قوله : ﴿وَصَلِّ عَلَيهِم إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُم﴾(١٠)، أي : دعاءك رحمة لهم، قال ابن عباس (رحمه الله)، وقيل: طمانينة لهم وسكن لهم أن الله قد قبل منهم. وقال أبو عبيدة: تثبيت لقلوبهم. وقرأ حمزة والكسائي بنصب التاء، وفي سورة هود ﴿أَصَلَاتُكَ﴾(١١)، وفي سورة المؤمنين، وكلهن على التوحيد، ووافق حفص هاهنا وفي سورة هود، والآخرون بالجمع فيهن ويكسرون التاء هاهنا وفي سورة المؤمنين ولا خلاف، والتي في سورة الأنعام: ﴿وَهُم عَلَى صَلَاتِهِم يُحَافِظُونَ﴾(١٢)، ولا التي في سورة الواقعة: ﴿وَالَّذِينَ هُم عَلَى صَلَاتِهِم يُحَافِظُونَ﴾(١٣)، انها جميعا على التوحيد .

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿لَّهُدِّمَت صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيراً﴾(١٤)، والصوامع يعني صوامع الرهبان، وقيل: صوامع النصارى، والصلوات كنائس اليهود، واحدتها صلاة، ويقال: ان أصلها

(٩) سورة البقرة : ١٥٧ .
(١٠) سورة التوبة : ١٠٣ .
(١١) سورة هود : ٨٧ .
(١٢) سورة الأنعام : ٩٢ .
(١٣) الصواب : في صورة المعارج : ٣٤ .
(١٤) سورة الحج : ٤٠ .

بالعبرانية صلوتا، وقيل: هو على اضمار تركت صلوات، وقيل: بمعنى موضع صلوات، وقيل: هدم الصلوات تركها، وبيع النصارى جمع بيعة، وهي كنيسة النصارى، والمساجد مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ. ومعنى الآية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمان موسى عليه السلام الكنائس، وفي زمان عيسى عليه السلام البيع والصوامع، وفي زمان محمد ﷺ المساجد، والله أعلم.

والهدم بتحريك الدال مايهدم من جوانب البير، وكذلك مايهدم من البناء، ودم هدم، أي: هدر بتحريك الدال ويروى في الحديث، قالت الأنصار، لعله لرسول الله ﷺ: أرأيت يارسول الله ان حاربنا فيك الأبيض والأسود قطعنا فيك الأرحام تصبح غدا بقومك وتدعنا، فقال: «معاذ الله الدم والدم، والهدم والهدم»، بجزم المهملة، أي: ماطلب منه من الدم وعفي عنه، فامرنا فيه واحد، ويروى: محيانا محياكم، وممانا مماتكم، وقيل الهدم البيت، أي: بيتي مع بيوتكم، وقيل يجوز أن يكون الهدم القبر، أي : مقابرنا واحدة، والهدمة بفتح الدال الصيغة، يقال: للناقة هدمة، والهدم بكسر الهاء الثوب الخلق وجمعه أهدام، وفعله بفتح مهملة الماضي وكسره من المستقبل، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث عن ابن عباس (رحمه الله) أنه قال: لما حضرت آدم الوفاة أتته الملائكة بحنوط من الجنة فغسلوه ثلاث غسلات أولهن بماء قراح، والثانية بماء فيه سدر، والثالثة بماء فيه كافور، وكفنوه في ثلاثة أثواب، وصلوا عليه، وقالوا ياآدم هذه سنة ذريتك من بعدك. وقيل أن النبي ﷺ أمر بغسل ابنه ثلاثا. فغسل الميت واجب لقول النبي ﷺ: «اغسلوا موتاكم»(١٥)، وهو على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين. وفي الرواية عن النبي ﷺ: «يغسل المحرم بماء وسدر».

ويستحب للغاسل أن يبدأ عند غسل الميت بميامنه، الفرض في ذلك غسلة واحدة، والمامور بثلاث (١٦) غسلات، ولاينظر الغاسل الى عورة أخيه لنهي النبي ﷺ عن نظر عورة أخيه المسلم(١٧).

---

(١٥) أخرجه الامام الربيع بن حبيب ٢/٢٣.
(١٦) لعل الصواب: المأمور به ثلاث .
(١٧) أخرجه بمعناه مسلم وأبو داود والترمذي.

فصـــل

ووجدت من جامع أبي محمد (رحمه الله)، وللزوجين أن يغسل كل واحد منهما صاحبه، لأن العصمة باقية بينهما بعد الموت، لقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ نِصفُ مَاتَرَكَ أَزوَاجُكُم﴾(١٨)، وقال في آية أخرى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزوَاجاً﴾(١٩)، والمدعي قطع العصمة بينهما محتاج الى دليل.

العصمة بكسر العين وهوالسبب والحبل، والجمع منه عصم بكسر العين وفتح الصاد لقوله عز وجل : ﴿وَلَا تُمسِكُواْ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾(٢٠)، الكوافر جمع كافرة، نهي الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركين، يقول: من كانت له امرأة لعلة فلا يتمسكن بها قد انقطعت عصمة الزوجية بينهما، وقيل في الحديث لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) امرأتين كانتا له بمكة مشركتين، تركت قصتهما خوف الاطالة.

واذا ماتت المرأة وقد طهرت من الحيض، أو مات الجنب أجزأه غسل واحد لأن غسل الميت فرض على الأحياء، وغسل الحائض والجنب هو المتعبد به في حال حياته. فلا تنتقل الى غيره، والغسل من الجنابة والحيض والنفاس تجب بالطهارة للصلاة، والميت قد زالت عنه الصلاة.

ولايؤخذ من شعر الميت ولا من أظفاره وان كان فاحشا، والمحرم اذا غسل لم يكفن الا في ثوبين ولا يمس بطيب ولا يخمر رأسه لما روي في الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن الماء القراح جائز لغسل الأحياء والأموات، والمقتول في المعركة لا يغسل، لما روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «دم المقتول في سبيل الله يفوح مسكا يوم القيامة»(٢١). واختلف الناس في حكم الميت: فقال بعضهم هو طاهر لقوله ﷺ: «المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا»(٢٢)، وذهب بعض العلماء أنه نجس عيني، أنهم جعلوه بمنزلة الميتة، والله أعلم.

فصـــل

واختلف في كفنه، فقال بعضهم انه من ثلث المال، وقال بعضهم انه من رأس المال، وهذا المعمول به، لما روي في الحديث عن النبي ﷺ في ميت مات

(١٨) سورة النساء : ١٢ .
(١٩) سورة البقرة : ٢٣٤ ، ٢٤٠.
(٢٠) سورة الممتحنة : ١٠ .
(٢١) أخرجه بلفظ قريب أحمد بن حنبل .
(٢٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس، كتاب الجنائز ٨ .

بحضرته، فقال: «كفنوه بثوبيه»(٢٣)، فاضاف الملك اليه. والمرأة يفرق شعرها عند غسلها، للرواية الواردة عن النبي ﷺ حين سئل عن امرأة ماتت فامر أن يفرق شعرها عند غسلها، ولا يشق بطنها اذا كانت حاملا، والله أعلم.

فصل

ووجدت في جامع أبي محمد (رحمه الله) قال: يكره تضعيف الثياب وكثرتها على الميت، لما روت عائشة (رضي الله عنها) «أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة»(٢٤)، ومن طريق غيرها «أنه كفن في ثوبين»(٢٥).

والمامور به في الكفن البياض من الثياب للذكور والاناث، لما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: عليكم بهذه الثياب البياض ألبوسها أحياؤكم وكفنوا بها موتاكم، فانها من خيار ثيابكم»(٢٦).

وقال الشيخ أبو محمد (رضي الله عنه): ولايجوز الكفن للرجال اذا كان من القز أو الحرير، لقول النبي ﷺ وقد أخذ قطعة من ذهب وخرقة من حرير وقال: «هذان محرمان على رجال أمتي ومحللان لنسائها»(٢٧)، وكفن المرأة في خمسة أثواب للرواية الواردة عن النبي ﷺ انه دفع لتكفين ابنته أم كلثوم خمسة أثواب(٢٨). قال الشيخ أبو محمد (رضي الله عنه) يستحب الطيب للميت ويتبع به مواضع السجود، ويستحب تعجيل دفن الميت للرواية الواردة عن النبي ﷺ أنه قال: «لاينبغي أن تحبس جيفة مسلم بين ظهراني أهله». القز بفتح المعجمة هو ضرب من الابرسيم، والله أعلم.

فصل

ومن «بصيرة» الشيخ عثمان بن عبدالله الأصم (رحمه الله) أنه قال: اذا جئت الى المريض وهو في الموت، فاقرأ عليه سورة يس، وان استقبلت به القبلة فحسن والا فدعه كما هو، فاذا مات فاتركه هنية ليبرد ولا تطل ذلك ثم ارفعه واجعله في موضع مستتر ثم تجعله في الماء(٢٩) مستقبلا به القبلة ان

(٢٣) انظر موسوعة أطراف الحديث ٦/ ٤١٤.
(٢٤) أخرجه الجماعة.
(٢٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٣.
(٢٦) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي.
(٢٧) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي بمعناه دون لفظه.
(٢٨) رواه أحمد وأبو داود.
(٢٩) لم أحد أصلا لوضع الميت في الماء، وانما هي العادة والعرف.

أمكنك ذلك، وان لم تفعل فلا باس، ثم نزعت ثيابه الا خرقة تستر بها عورته، وتقول عند ذلك بسم الله الرحمن الرحيم، أنا على تادية ما أمر به رسول الله ﷺ من غسل، أغسل به فلان بن فلان الميت، غسل الميت أداء لفرض الميت طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، ثم غسلت يديك ثلاثا وأخذت الماء، فاول ماتبدأ به تبلله كله بالماء، حتى يلين، فاذا بللته كله بالماء أقعدته على رفق قليلا، وجعلت تعصر بطنه برفق قليلا قليلا، تعصر بطنه بيديك، ثم تاخذ خرقة نظيفة وتلويها بيدك اليسرى، ثم تدخلها تحت ستر الميت لغسل فرجه كما تستنجي للصلاة حتى ينقى، فاذا استنجيت بالماء، فوضئه وضوء الصلاة، ولا تولج الماء داخل فمه، ولكن مضمضة من على .....(٣٠) ولا تدخل الماء داخل أنفه تحت العظم، فاذا وضيته غسلت شق رأسه الأيمن على لحيته، والأيسر على لحيته، ووجهه وعنقه وصدره، ثم يده اليمنى ومايليها من يديه، ثم اليسرى وما يليها من يديه، فاذا عممت بدنه كله بالماء القراح عمدت الى الغسل فاغشيته جميع بدن الميت، وغسلت شعر رأسه حتى ينقى ثم غسلت جميع بدنه بالغسل حتى ينقى جميع بدنه بالسدر والأشنان، تفعل ذلك ثلاث مرات ثم تغسله بالماء القراح، ثم رجعت غسلته بالماء القراح غسلة واحدة يكون في غسلتك هذه شيء من الكافور، ثم تنقى بدنه كله وتنظر الى أظفاره وأضراسه ان كان بها شيء من الأوساخ فتدعك أضراسه بقطنة دعكا رفيقا، ومناخره تنقيها بالرفق، فاذا فرغت من غسله وضيته وضوء الصلاة، ولا تدخل الماء واليج فمه ولا واليج منخريه في تحت العظم، وقد تم غسله، وقيل: ان الخرقة التي يغسل بها الميت تغسل ثلاث مرات، وقيل: مرتين، وقيل: مرة كافية. فاذا فرغت من غسله جففته في ثوب نظيف ثم أدرجته في أكفانه تدرجه في لفافة وتجعله في طول الثوب ثم تكفنه في ثلاثة أثواب بالثوب الممدود قميص وازار ولفافة، تلبسه القميص، ثم توزره من فوق القميص من تحت اليدين، والمرأة توزر من تحت القميص من فوق الثديين، وتكفن أيضا فيما يكفن فيه الرجل، وقيل خمسة أثواب، ثم تاخذ من الحنوط القطن والذريرة(٣١)، فجعلت تنتف القطن نتفا وأنت تدر على كل نتفة قليلا ذريرة فتحشوا بها أبواب الميت كلها، فتبدأ أولا بالفم، ثم بالمنخر الايمن، ثم الأيسر، ثم العين اليمنى، ثم اليسرى، ثم الأذن اليمنى، ثم اليسرى،

(٣٠) الكلمة غامضة في الأصل .
(٣١) الذريرة : مسحوق الورد الطبيعي المجفف.

ولا يدخل القطن داخل الفم، ولكن تجعل ذلك بين الشفتين، ثم تاخذ قطنة في سعة الوجه كله فتذر عليها ذريرة، ثم تضعها على الوجه كله، ثم تجعل ذلك بكفه الأيمن ثم الأيسر ثم أبطه الأيمن ثم الأيسر ثم تجعل الخرقة بيدك فتجعل في فرجيه القطن مذرورا عليه ذريرة، ثم اخذت بطرف اللفافة اليمنى فجعلتها على صرار الميت، ثم أخذت اليسرى وجعلتها على صدره تلك اللفافة، ثم حزمته بالخيوط أو باصناف تلك اللفافة تشق جانبا من طرف تلك اللفافة من ناحية الرأس فتلوي بها الميت من ناحية رأسه هابطا الى رجليه، ثم تشق طرف اللفافة الآخر من ناحية الرجلين فتلوي بها على الميت صاعدا الى الرأس حتى تلتقي الضنفتان(٣٢)، فاذا حزمتهما من حيث يلتقيان، ثم رفعته الى السرير وأخذت المغبار(٣٣) وجعلت تغبره من تحت السرير، تدير السرير المحمر، السرير كله كل كته ثلاث مرات، تدير ذلك على اليمين وأنت تقول: أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله): واذا أراد الرجل أن يغسل ميتا فانه ينزع عنه ثيابه ان كان فيه ثياب الا خرقة يستر بها عورة من السرة الى الركبة ثم بعد ذلك تاخذ خرقة صفيقة، وهي الغليظة، التي لا يحس من ورائها عورة الميت، وان كانت رقيقة رضفتها لكيلا يحس فرج الميت، ثم يفرك بها دبر الميت وفرجه. ويقول مع ذلك أغسل هذا الميت غسل السنة الواجبة التي أمر بها رسول الله ﷺ وطهارة له من كل نجاسة وتادية لما لزمنا من غسل الموتى طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، فاذا غسل دبره وفرجه وضاه كوضوء الصلاة، الا أنه لا يدخل الماء في فمه ولا منخريه الا من أعلى الشفتين، وأول يغسل المنخر ويقول: عفوك اللهم عفوك، فاذا وضيته فابدأ بشق رأسه الأيمن بالماء القراح ثم شق رأسه الأيسر ووجهه وعنقه وأنفه ثم يده اليمنى وما يليها، ثم يده اليسرى، وما يليها من خده، ثم من صدره وبطنه وظهره، ثم رجله اليمنى ثم اليسرى ثم يعرك كل عضو ثلاث عركات، مع كل عركة صبة من الماء اذا لم يكن داخل النهر أو ماء غزير، وان كان داخل الماء فيكفي العرك في الماء ولا يحتاج الى صب، فاذا غسلته فاعجن له السدر والأشنان بالماء وضعه

(٣٢) كذا في الأصل، ولعل المراد : طرفا اللفافة.
(٣٣) المغبار : موقد صغير نقال يوضع فيه البخور بعد ملئه بالجمر.

على جسده كله ثم اغسله عنه ثم تستقبل أيضا بعد ذلك غسلة ثالثة تفعل به كما وصفت لك في الغسل الأول وتنظر في الغسلة الثالثة أظفاره وأضراسه ان فيه وسخ فتنفيه ثم بعد ذلك توضيه وضوء الصلاة وتقول مثلما قلت لك في الوضوء الأول، واختلفوا في شعر رأس المرأة، بعض قال: يترك بحاله، وبعض قال: يجمع بين كتفيها، فاذا وضاه رفعه في ثوب نظيف يجففه فيه ثم يدرجه في أكفانه ولا يدخل رأسه ولا وجهه في الماء، وغسلة واحدة تكفي لتادية الفريضة، والله أعلم. ثم ترفعه الى النعش فتفعل به مثلما تقدم من صفة الشيخ ابن أبي عبدالله الأصم (رحمه الله).

فصل

وأذكر الصلاة على الجنازة من املاء الشيخ العالم صالح بن سعيد بن مسعود الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله) ، تقول :

«أصلي لله تعالى على هذا الميت السنة التي أمر بها رسول الله ﷺ أربع تكبيرات، فان كان ماموما قال: بصلاة الامام متوجها الى الكعبة طاعة لله ولرسوله ﷺ. فاذا كبر التكبيرة الأولى وهي تكبيرة الاحرام، استعاذ سرا في نفسه ثم قرأ الحمد سرا، ثم كبر الثانية وقرأ الحمد سرا بغير استعاذة. ثم يكبر الثالثة، ثم يقول بعدها الحمد لله الأول والآخر الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، الحمد لله الذي منه المبدأ واليه الرجعى، وله الحمد في الآخرة والأولى، الحمد لله الذي يميت الأحياء ويحيي الموتى ويبعث من في القبور». وان كان الميت غير ولي، قرأ هذه الآيات: ﴿رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحمَةً وَعِلماً...﴾ إلَى قوله : ﴿... وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾(٣٤)، وان كان الميت وليا، قال: «اللهم ان فلانا عبدك وابن عبدك وابن امتك، توفيته وأبقيتنا بعده، والبقاء بعده قليل، اللهم لاتحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده، اللهم اغفر له ذنوبه، وارفع درجته وبدله دارا خيرا من داره، وقرارا خيرا من قراره، وأهلا خيرا من أهله، وأصعد روحه في أرواح الصالحين، واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عن أهلها النصب واللغوب». ثم يكبر الرابعة، ثم يقول سرا في نفسه: السلام على رسول الله ﷺ، ثم يقول كلاما خفيا: سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركات، ويصفح وجهه يمينا وشمالا لايكاد يسمعه الا من كان بقربه.

ومن املائه رحمه الله:

---

(٣٤) سورة غافر : ٧ ـ ٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم، أصلي لله تعالى على هذا الميت السنة التي أمر بها رسول الله ﷺ بأربع تكبيرات متوجها الى الكعبة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، ثم ان شاء بعد قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، وان شاء وجه كتوجيه الصلاة وهو: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا اله غيرك، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، ثم يجدد النية، يقول: أصلي على هذا الميت سنة صلاة الميت الواجبة باربع تكبيرات، والكعبة قبلتي، ثم يكبر، ثم يستعيذ، ثم يقرأ الحمد، ثم يكبر الثانية، ثم يقرأ الحمد، ثم يكبر الثالثة، ثم يقول: الحمد لله الذي منه المبدأ واليه الرجعى، وله الحمد في الآخرة والأولى، الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، الحمد لله الذي يميت الأحياء، ويحيي الأموات، ويبعث من في القبور، فان كان غير ولي قرأ هذه الآيات : ﴿رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحمَةً وَعِلماً فَاغفِر لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ إِلَى قوله: ﴿...وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾(٣٥)، وان كان الميت وليا قال: «اللهم ان فلانا عبدك وابن عبدك وابن أمتك، توفيته وأبقيتنا بعده، والبقاء بعده قليل، اللهم اغفر له ذنبه، وألحقه بنبيه محمد ﷺ وافسح له في قبره ، وعظم له أجره، اللهم لاتحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده، اللهم ارفع درجته وصعد روحه في أرواح الصالحين، وبدله دارا خيرا من داره، وقرارا خيرا من قراره، وأهلا خيرا من أهله، وافسح له في قبره، واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحبة، ويذهب عن أهلها النصب واللغوب، ثم يكبر الرابعة، ويقول سرا في نفسه ويحرك لسانه: السلام على رسول الله ﷺ وعلى أولياء الله، ثم يسلم كتسليم الصلاة بخفض صوت لايكاد يسمعه الا من كان بقربه، فهذه صفة صلاة الميت، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه أيضا (رحمه الله) الى الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): واذا ماتت الميتة تعطر عطر الميت؟

الجواب : فنعم تعطر عطر الميت لأنه لاتعبد عليها بعد الموت.

قلت له : أنبئني عن وضوء الميت وغسله، كيف يكون الدعاء عند وضوء الميت؟

قال : يوضيه كوضوء الصلاة بعد أن تنضح عليه ويعصر بطنه عصرا

(٣٥) سورة غافر : ٧ ـ ٩.

رقيقا ويعرك موضع فرجيه الا أنه لايدخل الماء والج فمه ولا منخريه، والدعاء تقول : «عفوك اللهم عفوك».

قلت له : فالرجل يحضر مع أهل الخلاف لديننا وهم يصلون على ميت، أيصلي معهم على الميت أم لا؟ وان مات خلافي أيصلى عليه اذا لم يكن معه أحد من أهل دينه؟

قال : على ماسمعته من الأثر أن صلاة الميت واجبة على جميع أهل القبلة الا من أخرجه التخصيص منه مثل البغاة على المسلمين اذا أقبلوا في محاربة المسلمين، والمرجوم على الزنا من غير توبة، وما أشبه هذا، وجائز له أن يؤمهم في صلاة الميت وغيرها اذا لم يفعلوا في الصلاة ماينقضها.

قلت له : وتجوز الصلاة على الميت في المسجد ؟

قال : مكروه ذلك بلا نقض اذا كان من ضرورة.

قلت له : واذا صلى على الميت وكان رأسه الى سافل؟

قال : اذا استقبل شيئا من الميت تمت صلاته ولو كان رأسه الى سهيل.

قلت له : ويجوز تكفينه بالحرير أو الصوف أو الثوب الأسود أم لا؟

قال : يعجبني أن يكون الكفن من الثياب البيض، وأما عند العدم فجائز، والله أعلم.

فصل

ومنه الى الولي الرضي القاضي عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رضي الله عنهما): وفي ترتيب غسل الميت عند عدم الماء، كيف صفة غسله والنية فيه؟

الجواب وبالله التوفيق : أما صفته فهو أن يضرب المتيمم بيده الأرض، ثم يمسح بهما وجه الميت، ثم يضرب بهما ثانية، فيمسح بهما كفي الميت الى الرسغين، وأما لفظ النية فيه، فيقول: اللهم نيتي واعتقادي أني أيمم هذا الميت بالتراب بدلا للماء طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه الرضي الولي سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله): وما تقول في مولود وجد ميتا قد أكلته الكلاب وبقي صدره ورأسه، أيصلى عليه؟ وتكون الصلاة فرضا عليه، أم حتى تصح حياته؟ عرفنا ماترى ولك الأجر؟

الجـواب، ومـا توفـيقنا واياك الا بالله عز وجل: وأما ماذكرته في أمر هذا المولود، فـانك لم تبينه يقينا شافيا، ولا أدري ما أردت الا أني أذكر لك مايسر الله مـالدي، حـفظتـه من آثار المسلمين(رحمهم الله) اخـتلافا في المولود اذا تم خلقـه ولم تصح له حياة، فقال من قال : ان الصلاة عليه ثابتة اذا كان ولدا للمـسلمين، وقـال من قـال: لا يصلي عليه حتى تتبين حياته وتستهل، وان لم يعـرف خـرج حـيـا أو ميتا؟ ففيه اختلاف، قول: يصلى عليه حتى يصح أنه خـرج ميتا، وقول: لا يصلى عليه حتى تصح حياته، وان صحت حياته وهو جسد وفيه رأسه، فالصلاة واجبة عليه، وان ذهب الرأس وبقي مافي الانسان، فـالصـلاة واجـبـة عليـه أيضـا، وان وجـد الرأس ، ففي الصلاة عليه أيضا اخـتـلاف، وان وجـد نصـفـه مما يلي الرجلين، فـلا يصلى عليـه، وفيه أيضا اخـتلاف، قول: يصلى عليه ، وقول: لا يصلى عليه، وهو أكثر القول، وان كان مـعـنـا أنـه لا يعـرف من المسلمين ولا من المشركين، فـقـيل: ان كـان في بلاد المسلمين فحكمه حكمهم، وان كان في بلاد المشركين فحكمه حكمهم، حتى يصح خـلاف ذلك، وقـول: ينظر الى زيه ولباسه ان كان لباسه لباس المسلمين فهو منهم.



المنثورة التاسعة

في الآذان والخطب وغيره من الأخبار والتفاسير القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل النداء ترجمانا للعبادة، وسلما لمدارج السعادة، يحييه المخبت إلى ربه، الصاقل من درن القساوة نواضر قلبه، لقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(١)، فالذي ورد في الحديث انه كان (٢) نادى منادي رسول الله ﷺ الى الصلاة وقام المسلمون اليها، قالت اليهود: قد قاموا ولا قاموا، وصلوا ولا صلوا، على طريق الاستهزاء وضحكوا، فانزل الله عز وجل هذه الآية، وقيل: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة، كان اذا سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمدا رسول الله»، قال: أحرق الله الكاذب، فدخل خيمته ذات ليلة هو وأهله نيام، فتطايرت شرارة في البيت فاحرقته وأهله. وقيل: ان الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا المسلمين، فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: يامحمد لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم، فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء عليهم السلام، فمن أين لك صياح كصياح العير، فما أقبح من صوت، وما أسمج من أمر، فانزل الله عز وجل هذه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣)، وهذا على بعض القول في المؤذنين، وقيل: ان هذه الآية نزلت في رسول الله حين دعا بشهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقيل: هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس الى ماأجاب اليه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ في اجباته، ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، ولهذا تفسير يطول، تركت شرحه خوف الاطالة.

وعندي ـ والله أعلم ـ أن نصب ﴿هُزُواً وَلَعِباً﴾ على الغلبة قياسا على قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُم هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ مِن قَبلِكُم وَالكُفَّارَ أَولِيَاءَ﴾(٤)، قيل: انها نزلت هذه الآية في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث، أظهرا الاسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادوهما(٥)، فانزل الله عز وجل هذه الآية باظهار

(١) سورة المائدة : ٥٨.
(٢) لعل الصواب : كلما .
(٣) سورة فصلت : ٣٣ .
(٤) سورة المائدة : ٥٧ .
(٥) الصواب : يوادونهما.

ألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر، وقد رتب النهي عن موالتهم على اتخاذهم ﴿هُزُواً وَلَعِباً﴾ على العلة، تنبيها على أن هذا، من شانه، بعيد من المولاة، جدير بالمعاداة والبغضاء، و﴿قَوْلاً﴾ منصوبا على التمييز، والله أعلم.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾(٦)، أي: في يوم الجمعة ، كقوله عز وجل: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرضِ﴾(٧)، أي: في الأرض، وأراد بهذا النداء هاهنا ، الآذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة. وقرىء : ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بسكون الميم، وقرأ العامة بضمها، واختلفوا في تسمية هذا اليوم (جمعة)، منهم من قال: لأن الله عز وجل جمع فيه خلق آدم عليه السلام، وقيل: لأن الله عز وجل فرغ فيه من خلق الأشياء، أي: أكمل فيها خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات، وقيل: لاجتماع الجماعات فيها، وقيل: لاجتماع الناس فيها، وغير ذلك تركته خوف الاطالة.

فصل

وفي بعض الروايات: وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه على ماجمعه ذكره(٨) أهل العلم، أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الأثنين لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول حين ابتدأ الضحى، فاقام يوم الأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم في يوم الجمعة عامدا المدينة، فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، في بطن واد لهم (اتخذ الآن مسجدا) فجمع هناك خطب(٩)، والله أعلم، قباء بضم القاف وهو اسم موضع بالمدينة في أعلاها على جرى الماء، والله أعلم، وبفتح القاف هو معروف.

فصل

وبلغنا عن ابن عباس (رحمه الله) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة يوم القيامة على كثبان من مسك أسود، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مابين الناس، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأما به قوما وهم به راضون، ورجل أذن في مسجد ولا ياخذ على أذانه طمعا، ودعا الى الله

---

(٦) سورة الجمعة : ٩.
(٧) سورة فاطر : ٤٠. سورة الأحقاف : ٤ .
(٨) لعل الصواب : بأصحابه ما أجمع على ذكره أهل.
(٩) الصواب: وخطب.

ابتغاء وجهه، ورجل ابتلي بالرق في الدنيا ولم يشغله ذلك عن عبادة ربه وأدى حق ربه»(١٠)، وأصل الكثبان جمع كثيب، وهو القطعة من الرمل مستطيلة، قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾(١١). رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته، وقيل: عن الرمل(١٢) الذي اذا اخذت منه شيئا اتبعك مابعده، يقال: هلت الرمال أهيله هيلا. اذا حركت أسفله حتى انهار أعلاه، وانكثب الشيء اذا انصب، وانكثب الرمل اذا انصب واجتمع وانهار، أي: سقط. قال الله عز وجل: ﴿أَمَّن أَسَّسَ بُنيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾(١٣)، ﴿شَفَا﴾، اي : على شفير. قرأ ابو عمرو وأبو بكر وحمزة ﴿جُرُفٍ﴾ ساكنة للراء، وقرأ الآخرون بضم الراء، وهما لغتان، وهي البير التي لم تطو، وقيل: الجرف جانب الوادي، وذلك اذا جرف السيل أصله وأشرف أعلاه، فاذا تصدع أعلاه فهو الهار. وأصل الهول الفزع والمخافة، يقال: هاله اذا أفزعه، وأصل الفزع الذعر والخوف، وهو بكسر راء الماضي وفتحه من المستقبل، يقال: فزعت منه، أي: خفت، قال الله عز وجل: ﴿لاَ يَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكبَرُ﴾(١٤)، قال ابن عباس: ﴿الفَزَعُ الأَكبَرُ﴾، النفخة الأولى بدليل قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرضِ﴾(١٥)، المعنى هاهنا، أي: ماتوا من الفزع ، وهو النفخة الأولى، وقيل: ﴿الفَزَعُ الأَكبَرُ﴾، حين يؤمر بالعبد الى النار، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة. وفزع اليه، أي : التجا معه، وأفزعه، أي: أذعره وأرعبه، وأفزعه اذا أغاثه، وفزعه وأقرعه، أي: أرعبه، وفزع عن قلبه، أي: كشف عنه الفزع، قال الله عز وجل : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم﴾(١٦)، قرأ ابن عباس ويعقوب بفتح الفاء والراء على بناء الفاعل، وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الراء، أي: كشف الفزع وأفرج عن قلوبهم. واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم : هم الملائكة. واختلفوا في ذلك السبب، فقال بعضهم: انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل، وفي

(١٠) أورده القرطبي : أحكام القرآن ١١/ ٣٤٦. انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث٤/ ٤٧٣ .
(١١) سورة المزمل : ١٤ .
(١٢) لعل الصواب : هو الرمل.
(١٣) سورة التوبة : ١٠٩ .
(١٤) سورة الأنبياء : ١٠٣ .
(١٥) سورة الزمر : ٦٨ .
(١٦) سورة سبأ : ٢٣ .

الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اذا أراد الله أن يوحي بالأمر يكلم بالوحي أخذت السماوات من رجفة- أو قال: رعدة شديدة - خوفا من الله تعالى، فاذا سمع بذلك أهل السماوات صلوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلمه الله من وحيه بماأراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها»، وذلك قوله تعالى أخبارا عنهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾(١٧)، قيل: فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله تعالى، وقيل: كانت الفترة من عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسون، وقيل: غير ذلك، فلم تسمع الملائكة فيها وحيا، فلما بعث الله محمدا ﷺ كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد ﷺ، فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمدا ﷺ، بعثه عند أهل السماوات والأرض، من أشراط الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة، فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم، فيقول بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾، ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾، يعني الوحي، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، وقيل: غير ذلك تركته خوف الاطالة .

وروي في الحديث عن النبي ﷺ : «لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس الا شهد له يوم القيامة»(١٨)، وعن عمر عنه ﷺ أنه قال: «المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله مادام في أذانه، ويشهد له كل رطب ويابس، فاذا ما مات، لم يدود في قبره». وأصل التشحط الاضطراب في الدم والتلطخ به، يقال: الولد يتشحط في.....(١٩)، وشحطه بدمه، أي: لطخه به، والشحط: البعد، يقال: شحط بفتح مهملة الماضي وكسرها من المستقبل شحطا وشحوطا، قال الشاعر الأديب، سعيد بن غانم بن سرحان:

أيدنو حبيب بعد شحط المنازل ويرجع ما اتبرته أيدي النوازل

أتبرته، سلبته أيدي النوازل.

فصل

وعن عمر (رضي الله عنه) أنه قال : «لو كنت مؤذنا لكمل أمري»، لعله من طريق آخر، قال عمر (رضي الله عنه): «لولا امارتكم هذه لكنت مؤذنا

---

(١٧) سورة سبأ : ٢٣ .

(١٨) أخرجه أحمد والبخاري وابن ماجه.

(١٩) الكلمة غامضة في الأصل.

لكمال أمري، وما باليت أن أنتصب الى قيام ليل ولا صيام نهار، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اغفر للمؤذنين»(٢٠)، وفي الرواية عنه ﷺ قال: «لو تعلم أمتي فضل الأذان لتجادلوا عليه بالسيوف»(٢١)، قال: قلت يارسول الله: تركتنا ونحن نتجالد على الأذان بالسيوف، فقال: «كلا ياعمر، ياتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم، فتلك لحومهم حرمها الله على النار»، يعني لحوم المؤذنين، التجالد: التضارب، والمجالدة: المضاربة، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الامام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين». وقيل: ان المؤذنين أطول أعناقا يوم القيامة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لايجدوا الا أن يستهيموا عليه لاستهموا»(٢٢). وأصل السهم النصيب، للحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه غنم الفارس سهمين والرجل سهما. والسهم واحد السهام، وهو سهم القوس، وسهام: اسم موضع، وسهم من أسماء الرجال، والسهام بفتح السين هو داء يصيب الابل كالعطاس، والسهام بضم، وهج الصيف، والسهام مثله هو الضمر والتغير، وكذلك السهوم مثله وهو التغير من حر، ورجل سهام الوجه، وفي الحديث قالت أم سلمه للنبي ﷺ: أراك سهام الوجه، من علة؟ قال: «لا ولكنها السبعة الدنانير التي أتينا بها أمس في خصم الفراش ولم أقسمها»(٢٣). خصم بضم الخاء المعجمة واسكان الصاد المهملة وهو الجانب، يقال: خصم كل شيء جانبه وجمعه أخصام. وفي حديث سهل بن حنيف، لما حكم الحكمان، ان هذا الأمر لايسد الا انفتح علينا خصم آخر، والله أعلم. وابل سواهم غيرها السفر، وفعله سهم بفتح الهاء من الماضي وضمها من المستقبل سهوما، اذا تغير من الحر ومن السفر، والله أعلم. وكذلك يقال: سهم الرجل يسهم بضم المهملتين فهو سهوم اذا أصابه السهام، ويقال: ساهم، أي: قارع، قال عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾(٢٤)، أي: فقارع، والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة، وذلك أن قوم يونس لما أرسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فكذبوه وأصروا عليه، فوعدهم بالعذاب الى ثلاث، وقيل: الى أربعين . فلما دنا الموعد

(٢٠) أورده الهندي : كنز العمال ٢٣١٥٨.
(٢١) سبق تخريجه.
(٢٢) متفق عليه .
(٢٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٦/٢٩٣، مع اختلاف بسيط في الرواية.
(٢٤) سورة الصافات : ١٤١ .

غامت السماء غيما أسود دخانا شديدا فهبط جبريل عليه السلام حتى غشي مدينتهم فهربوا وطلبوا يونس فلم يجدوا، فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها، فحن بعضهم الى بعض وعلت الأصوات والعجيج، وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان، وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم، وكانوا لعله في يوم عاشوراء يوم الجمعة، وكان يونس قد خرج فاقام ينتظر هلاك قومه ولم ير شيئا فذهب يونس بن متي مغاضبا على قومه فاتى البحر فاذا أقوام يركبون السفينة فحملوه بغير أجر، فلما توسطت به البحر ركدت السفينة، فقالوا: ان لسفينتنا لشانا، قال يونس : عرفت أن شانها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة، قالوا له : من هو ؟ قال: أنا، أقذفوا بي في البحر، قالوا: مانقذفك يارسول الله حتى نعذر في شانك، فتساهموا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات، فقال يونس: انكم والله لتهلكن جميعا أو لتطرحوني في البحر، فطرحوه، فسارت بهم السفينة، فالتقمه الحوت وهو مليم، داخل في الملامة أو أتى بما يلام عليه، فاوحى الله تعالى الى ذلك الحوت أني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك قوتا، فقيل: انه لبث في بطنه أربع ساعات، وقيل: أربعين يوما ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٢٥)، فاجاب الله دعاءه، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾(٢٦) ومعنى ﴿لَّن نَّقْدِرَ عَلَيهِ﴾، لن نضيق عليه، أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر، ويعضده أنه قريء مثقلا، أو لن تعمل فيه قدرتنا، وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظن ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾ في مراغمته قومه، من غير انتظار لأمرنا، أو خطرة شيطانية سبقت الى فمه ظنا للمبالغة، وقريء بالياء، وقرأ يعقوب على البناء للمفعول، وقريء به مثقلا، والله أعلم.

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ: «من دعا بدعاء ذي النون كشف الله عنه كل هم وغم»(٢٧). وقيل لما استجاب الله دعاء يونس أمر الحوت بان ينبذه

(٢٥) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(٢٦) سورة الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢٧) أورده الشجري : الأمالي ١/ ٢٨.

على ساحل البحر، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾(٢٨)، العراء: الأرض الخالية من الشجر والنبات، ومعنى ﴿سَقِيمٌ﴾ مما ناله. قيل: صار بدنه كبدن الطفل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾(٢٩)، تنبسط على الأرض ولا يقوم على ساقه، تفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به، وقيل وهو الأكثر: أنها شجرة الدبي غطته باوراقها عن الذئاب لئلا تقع عليه، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة، تركت بعض القصة خوف الاطالة، والله أعلم.

فصل

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾(٣٠)، إنما يقيم عمارتها هؤلاء الجامعون للكمال والخصال التي ذكرها الله عز وجل من عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسراج، وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها، وصيانتها عن حديث الدنيا، والذكر للناس والغيبات والتجسس على العورات. وأما في زماننا هذا فقد زينوا مساجدهم بالنقوشات الرائعة، والعمارات الشائقة، والأحاديث الباطلة، والأماني الكاذبة، لا تلقى جماعة في المساجد الا وحديثهم بالتجارات والزراعات والصنائع المختلفات، والتجسس على العورات، والبحث والسؤال عن عيوب الاخوان، والغيبة والنميمة، كأن لم يصدقوا بالسور والآيات، والأخبار والسير المؤثرات، قد اشتريت قلوبهم من موارد المطامع والفخار، وطلب الرئاسة في الأرض والاستكبار، ثم ان جمة منهم لم يطلعوا المساجد الا للتقدمة للامامة، والطمع في التفرقة والقسامة، فلا زالوا كذلك حتى كثرت منهم العداوة والبغضاء، وابتلوا بالشنئان والشحناء، فهاجروا من ذلك المساجد، ولم يعلموا أن لله جميع المساجد، وقد صدق رسول الله ﷺ فيما قال: «ياتي في آخر الزمان أناس ياتون المساجد، يقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة»(٣١)، وفي الخبر: «الحديث في المساجد ياكل الحسنات، كما تاكل البهائم الحشائش»(٣٢)، فاحذروا اخواني موافقة الشيطان، وكثرة الطمع في العاجل مع عبادة الرحمن، الله ، الله

(٢٨) سورة الصافات : ١٤٥ .
(٢٩) سورة الصافات : ١٤٦ .
(٣٠) سورة التوبة : ١٨ .
(٣١) أورده بمعناه الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٦٣ .
(٣٢) أنظر تخريجه بلفظه: موسوعة أطراف الحديث ٥٦٧/٤ .

اخواني، اعمروا مساجدكم بدراسة العلوم، وعبادة الحي القيوم، لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني، فحق على المزور أن يكرم زائره»(٣٣)، وقال ﷺ : «رهبانية أمتي عمار المساجد»(٣٤)، والصحيح في ذلك قول الله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾(٣٥)، وقرىء بكسر الباء، فمن قرأ كذلك، أضاف الفعل الى الرجال، ومن فتحها جعل الوقف على الآصال، والله أعلم. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(٣٦)، تضطرب وتتغير من الهول، وتتقلب ﴿الْقُلُوبُ﴾ من وقع النجاة وخوف الهلاك، ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾، أي: من ناحية أخذهم واعطائهم كتابهم، وقوله عز وجل : ﴿فِي بُيُوتٍ﴾، متعلق على الآية الأولى وهي : ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾(٣٧)، أي : ذلك المصباح ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾، والبيوت هي المساجد، لأنه جاء في الحديث: «المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»، وقيل: هي أربع مساجد لم يبنها الا نبي، بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء، أسس على التقوى، بناه رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾(٣٨)، يعني مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ، وصلى فيه أيام مقامه بقبا من الأثنين الى الجمعة، وقيل: انه مسجد المدينة، والله أعلم. وأما الرابع فانه المسجد الحرام بناه خليل الله ابراهيم عليه السلام. فالذي قيل في الحديث أن قصة بنيان بيت الله الحرام، وذلك أنه قيل: لما أتى ابراهيم عليه السلام باسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة، وحديثهما يطول تركته خوف الاطالة، فمضت على ذلك مدة في مكة حتى أقبل قوم من اليمن يريدون الشام، فكان طريقهم على الحرم، فرأوا طيورا تهوي الى الأرض فعجبوا من ذلك، وقالوا: لا تنقض الطيور الا

(٣٣) أنظر المصدر السابق ٣/٢٩٨.
(٣٤) أورده بلفظ قريب الزبيدي: اتحاف ١٠/٢٣، العراقي : المغني ٤/٣٥٩.
(٣٥) سورة النور : ٣٦ .
(٣٦) سورة النور : ٣٧ .
(٣٧) سورة النور : ٣٥ .
(٣٨) سورة التوبة : ١٠٨.

على المواضع المائية المعمورة، ولم يروها كذلك، فاخذوا يتصفحون تلك المواضع حتى نظروا الى هاجر وابنها والى عين ماء معهما، فقالوا لها: من الجن انت أم من الأنس؟! فقالت: من الانس، وأنا هاجر جارية ابراهيم خليل الرحمن، وهذا ابني منه، وذكرت أنه خلفها هناك وانصرف الى الشام، فشربت القوم من ذلك الماء، ثم قالوا لها : هل أحد ينازعك في هذا الماء؟ فقالت: لا، بل أخرجه الله عز وجل لولدي، فقالوا لها: ان جئنا باهلنا هاهنا وأسكنا مؤنسين لك فهل تمنعينا هذا الماء؟ فقالت: لا فانه لله عز وجل. قال صاحب هذا الحديث: فرجعوا واحتملوا أهليهم ومواشيهم ونزلوا معها فصاروا أنسا لها في قبول دعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾(٣٩) ـ الآية ـ فقال : ونشا اسماعيل عليه السلام حتى بلغ مبلغ الرجال، وكان يخرج الى الصيد معهم ويرجع، فماتت أمه هاجر فزوجوه جارته منهم، فلما بلغ ابراهيم عليه السلام موت هاجر، اشتاق أن ينظر الى ولده اسماعيل، فاستاذن سارة في ذلك، فاذنت له، وجاء ابراهيم عليه السلام بفرس فركبه وسار حتى وقف على بيت اسماعيل عليه السلام، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت له: ذهب يتصيد. فقال لها ابراهيم عليه السلام: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي شيء. وسالها عن عيشهم. فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت اليه. فقال لها: اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه.

قال المؤلف : العتبة بفتح المهملة الأولى وفتح المعجمة الثانية وأصل العتبة أسفله الباب، وقد يكنى عن المرأة بعتبة الباب في العبارة. فلما جاء اسماعيل عليه السلام وجد ريح أبيه وقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشانه. قال لها: فما قال لك؟ قالت: قال لي: اقرئي السلام على زوجك، وقولي له : فليغير عتبة بابه. قال لها : ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي باهلك، فطلقها، فتزوج منهم امرأة أخرى، فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استاذن سارة أن يزور اسماعيل عليه السلام، فاذنت له وشرطت عليه أن لاينزل، فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى بيت اسماعيل عليه السلام فقال لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: ذهب يتصيد، وهو يجيء الآن ان شاء الله، فانزل رحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم ، فجاءته باللبن واللحم وسالها عن عيشهما، فقالت:

(٣٩) سورة ابراهيم : ٣٧ .

نحن بخير وسعة، فدعا لها بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا أو شعيرا أو تمرا، فقالت له: أنزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل فجاءته بالمقام .....(٤٠) فوضعته على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته الى شقه الأيسر فغسلته، فبقي أثر قدمه عليه، فقال: اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك فامسكها، فلما جاء اسماعيل عليه السلام وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت : نعم، شيخ أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا، وقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه، فقال لها: ذلك ابراهيم وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك، وروي في الحديث أنه لبث عندهم ماشاء الله، ثم خرج بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: ياسماعيل ان الله امرني بامر تعينني عليه، قال: أعينك عليه؟! قال: أمرني ربي أن أبني هاهنا بيتا، وكان ابراهيم عليه السلام لم يعرف حدوده فانزل الله عز وجل غمامة على قدر البيت، فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام أن أحفر ولا تجاوز الغمامة فاخذ في بنيانه فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ﴾(٤١)، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني، فلما ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام ابراهيم على حجر المقام، وسمعت أن الحجر التي هي وسط مقام ابراهيم عليه السلام، قد كسيت بالكسوة الفاخرة المذهبة، فلما قام ابراهيم عليه السلام واسماعيل يناوله وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾، إِلَىٰ آخر الآيات، وفي الخبر أن المقام والركن ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا مامسته أيدي المشركين لأضاءتا مابين المشرق والمغرب، والله أعلم.

رجعنا الى ذكر المساجد وصلاة الجمعة، مما وجدته في الأثر عن أبي سعيد (رحمه الله) أنه قال : لا جمعة إلاَّ في مصر جامع ونحو ذلك مما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا جمعة الا في مصر جامع وامام»(٤٢)، لأن صلاة الجمعة حق مع الأئمة، وحيث تقام الحدود، ولا تجوز الجمعة الا

---

(٤٠) الكلمة غامضة في الأصل .

(٤١) سورة البقرة : ١٢٧ .

(٤٢) انظر تخريجه بروايات متعددة في موسوعة أطراف الحديث ٧/ ٢٣٥.

في مصر أو في موضع اقامة الامام، فاما المصر فلأجل أن عمر بن الخطاب (رحمه الله) مصر الأمصار للجمعة، فصار على ذلك الاتفاق، فالحجة به أن النبي ﷺ لم يرو عنه أنه صلى الجمعة في شيء من أسفاره، وان كان مروره على قرى كثيرة، الدليل على أن أهل الأمصار متى تركوا الجمعة عوقبوا وسقطعت عدالتهم، وليس كذلك شان أهل القرى ولا يقيمها الا ذو سلطان أو بامره، لأن فرض الظهر لايسقط الا بثبوت شرائط الجمعة، وفي شرطها الامام المطلق، أو امام بامره، الا ترى ماروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»(٤٣). ولا تكون صلاةالجمعة الا في المسجد الجامع من المصر. وصلاة الجمعة واجبة بعمان اذا كان بها إمام عدل، فمن تركها ترك الفريضة، وأما اذا كان حاكم جور فليس على من تركها اثم، وان صلى فحسن، ووجدت في كتاب «القناطر» تاليف اسماعيل المغربي النفوسي (رحمه الله) أن يوم الجمعة يوم عظيم، عظم الله بها الاسلام، وخص به المسلمين لقوله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ فَاسعَوا إِلَى ذِكرِ اللهِ وَذَرُوا البَيعَ﴾(٤٤)، حرم الاشتغال بامور الدنيا، وبكل صارف عن السعي للجمعة، وجاء عن النبي ﷺ : «أن الله فرض عليكم صلاة الجمعة في يومي هذا، في مقامي هذا»(٤٥)، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من ترك الصلاة من غير عذر طبع الله على قلبه»(٤٦)، وفي لفظ آخر : «فقد نبذ الاسلام»، وفي الحديث أنه جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنه، فقال له: ياابن عباس ماتقول في رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يحضر جمعة ولا جماعة ويموت على ذلك؟ قال : هو في النار، قال: فاختلف اليه شهرا أو هو يساله عن ذلك، فقال: هو في النار، وذلك اذا كان تركه لصلاة الجمعة لغير عذر، ومات مصرا على تركها، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه مرآة، فقال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من

---

(٤٣) انظر المصدر السابق ٦/ ٦٣٣.
(٤٤) سورة الجمعة : ٩ .
(٤٥) أورده الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ٣/ ٢١٤.
(٤٦) أورده كثيرون بألفاظ قريبة. انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ١٨٢ ـ ١٨٣ .

بعدك، قلنا: فما لنا فيها؟! قال: لكم خير ساعة من دعاه فيها بخير هو له، قسم أعطاه الله أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه، وان تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه، وهو سيد الأيام»(٤٧)، وعنه ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، خلق الله فيه آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط الى الأرض، وفيه تاب الله عليه، وفيه تقوم الساعة»(٤٨)، وفي الخبر أن لله عز وجل في كل شهر ألف عتيق من النار، وقال ﷺ: «اذا سلمت الجمعة سلمت ساير الأيام»(٤٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله، وان جهنم لاتسعر فيه»(٥٠)، ويقال أن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة، فتقول : سلام سلام يوم صالح. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد، ووقي فتنة القبر»(٥١)، وقيل: من صام أربعين جمعة غفرت له ذنوبه ويستحب أن يصوم قبلها يوم الخميس، لأنه قيل: من صام يوم الجمعة كان كمن صام خمسين ألف سنة، ويستحب له أن يغتسل ويتطهر يوم الجمعة، وينبغي له أن يشتغل في ليلة الجمعة بقراءة القرآن والصلاة، ويستحب مجامعة الأهل ليلة الجمعة، فقد استحب ذلك قوم وحملوا قول النبي ﷺ: «رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل»(٥٢)، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «مامن عبد مؤمن قام يوم الجمعة اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك، فتوضأ وأسبغ الوضوء وصلى ساعة الضحى ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة، ومحا عنه مائتي سيئة، ومن صلى أربع ركعات رفع الله عز وجل له أربعمائة درجة، ومن صلى ثمان ركعات رفع له الله في الجنان ثمانمائة درجة، وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنى عشر ركعة كتب الله له ألفا ومائتي حسنة، ومحا عنه ألف ومائتي سيئة، ورفع له ألفا ومائتين درجة». وفي الحديث: «أن من دخل الجامع يوم الجمعة وصلى أربع ركعات قبل صلاة

(٤٧) أورده الزبيدي : اتحاف ٣/ ٢١٥.
(٤٨) أخرجه كثيرون . انظر في ذلك مجموعة أطراف الحديث ٤/ ٦٦٠.
(٤٩) انظر المصدر السابق ١/ ٣٣٢,
(٥٠) أورده الزبيدي : الاتحاف ٣/ ٢١٧، والعراقي : المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٧٩.
(٥١) أورده الزبيدي وغيره. موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٥٦٦.
(٥٢) أورده الزبيدي : اتحاف ٣/ ٢٤١.

الجمعة، يقرأ في كل ركعة الحمد، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له»(٥٣). وقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قالا: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يومها أعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة، وغفر له الى الجمعة الأخرى، وفضل له ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء والدملة وذات الجنب وداء البرص والجذام وفتنة الدجال. وقيل: كان العابدون يستحبون أن يقرؤوا يوم الجمعة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ الف مرة، ويقال: أن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين ركعة فهو أفضل من ختمة، وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة. ويتسحب أن يقصد الجامع لصلاة الجمعة من فرسخين ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر، وقيل: البكور عظيم، وينبغي أن يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا، وبالاعتكاف في المسجد قاصدا للمبادرة الى اجابة نداء الله عز وجل الى الجمعة، والمسارعة الى مغفرته ورضوانه، لأنه قال ﷺ: «من راح الى الجمعة في الساعة(٥٤) فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة، فاذا خرج الامام طويت الصحف، ورفعت الأقلام، واجتمعت الملائكة المنبر(٥٥) يستمعون الذكر، فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء»(٥٦)، وعنه ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن : الأذان، والصف الأول، والعدو الى الجمعة»، وقيل أفضلهن العدو الى الجمعة، وفي الخبر: «اذا كان يوم الجمعة، قعدت الملائكة على أبواب المساجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأول فالأول على مراتبه»(٥٧)، وجاء في الأثر: «الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقت يوم الجمعة ، فيسال بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وماالذي أخره؟ فيقولون: الله أخره(٥٨) فقر فاغنه،

(٥٣) أورده الزبيدي : اتحاف ٣/٣٧٦، العراقي : المغني ١/١٩٩.
(٥٤) الصواب : الساعة الأولى .
(٥٥) لعل الصواب : عل المنبر، أو عند المنبر.
(٥٦) أخرجه الامام الربيع وغيره .
(٥٧) أورده ابن حجر: الكاف الشاف ١٧٠، النسائي : السنن ٣/٩٧.
(٥٨) لعل الصواب : اللهم ان كان أخره.

وان كان أخره مرض فاشفه، وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك، وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك». ويكره للمصلي أن يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، ولا يلغو الرجل يوم الجمعة عند الخطبة لأنه من قال: صه! فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له، ولا يقرأ المأموم فيها الا الحمد وحدها، والامام يقرأ الحمد وماشاء من السور. ويستحب أن يقال بعد الفراغ من الصلاة: اللهم ياغني ياحميد يامبدي يامعيد يارحيم ياودود، أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك. يقال: من داوم على هذا الدعاء ، أغناه الله سبحانه عن خلقه، ورزقه من حيث لايحتسب. ولا تجب صلاة الجمعة على طفل، ولا على مجنون، ولا على مريض، ولا على عبد، ولا على مسافر، ولا تصلى فرادى، ولا تصلى في الصحراء، ولا في البوادي، ولا بين الخيام، الا في مصر من الأمصار التي مصرها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهي سبعة أمصار ، مع حضور إمام عادل يصلي بهم، وكذلك اذا كان في غير تلك الأمصار، فلا تترك مع وجود الامام العادل، ولا تصح الجمعة الا بخطبة، والله أعلم.

فصل

وفي الأثر المنقول عن النبي ﷺ من طريق جابر بن عبدالله، قال : خطب بنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: «يأيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا الى الله بالأعمال الصالحة، تؤجروا وتقربوا اليه بالصدقة سرا وعلانية ترزقوا وتنصروا، ثم اعلموا أن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في ساعتي هذه، في يومي هذا، في جمعتي هذه، في شهري هذا، في عامي هذا، فريضة واجبة الى يوم القيامة، فمن تركها جحودا لها واستخفافا بها، وعليه أمير برا كان أو فاجرا فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له،ألا ولا حج له، ألا ولا صيام له، ألا ولا بر له، ألا ولا جهاد له، فمن تاب تاب الله عليه»(٥٩).

فصل

وينبغي أن يلي الخطبة من كان ذا صوت رفيع بين، لأنه واعظ يعظ الناس، وان كان يشغله عن احسان(٦٠) الصوت شيء من ضعف قوة الحاسة فيعالجه بالأدوية، وقد سألت الشيخ الرضي الطبيب علي بن عامر العقري (رحمه الله)، فكان جوابه (رحمه الله): وأما ماذكرت في الذي يصفي الصوت

(٥٩) أورده السيوطي : الدر المنثور ١/ ٣٥٤، القرطبي : تفسير ١١٩/١٨.
(٦٠) لعل الأفصح أن يقال : تحسين .

ويذهب بالبحوحة، وخشونة الحلق، وثقل اللسان وعقدها والفافاة والثمثمة والتصاق اللسان بالحنك والسلاق(٦١)، فلنذكر لك طرفا منها ان شاء الله تعالى. فاعلم ياأخي ان كان ريق الانسان مالحا وملجا(٦٢) سمجا فحلوى اللوز في الفم وضعا وأكلا، والزنجبيل المربى وضعا وأكلا، وماء الحلبة المطبوخة بالسكر شراب، وان كان ريقه حلوا فالليمون الرطب المحرر على النار مع قليل من زعفران مصا وشربا، وغموز اللومي(٦٣) اليابس والمدقوق في الهاون، وهي الموقعة(٦٤) مع نصفه سكر وضعا ومصا. وان كان سبب ثقل اللسان وعقدها والفافاة(٦٥) والتمتمة فتمضمض بعرق القرح(٦٦) المطبوخ أو التمضمض باللبان اذا نقع في الماء. وان كان اللسان لاصقة بالحنك فعرق البح أكلا في ووضعا عام عرق البح والصعتر(٦٧) وقشر عرق اللصافة مطبوخة بالخل مضمضة ووضعا. وان كان من سبب قروح باللسان مثل حرق النار أو غيره أو ورم يتمضمض بماء الجلجلان الأخضر أو بماء لسان الجمل أو بالعدس المطبوخ مع الورد والحلتيت(٦٨). وان كان حرق النار من سبب الدم دلالته حمرة اللسان والوجه فتدلك اللسان بالاهليج(٦٩) الأصفر أو بالكريرة اليابسة وماء الورد والخل مطبوخا، ويتمضمض به ويدلك اللسان. وان كان من صفراء دلالته صفرة اللسان والوجه، ويكون شديد التقرح فعلاجه قشر الرمان والكافور والصندل الأحمر تدلك له وبماء طبيخ الآس(٧٠) والخل يتمضمض به وبماء الكريرة الرطبة، ويفصد ويحتجم، ويشرب ماء الشعير بالابريهق(٧١). وان كان من بلغم

---

(٦١) السلاق : بثر يخرج على أصل اللسان .

(٦٢) ملجا : يقال ملج الصبي أمه ملجا: تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها، ورجل ملجان: لئيم

(٦٣) اللومي : لغة محلية تعني الليمون ، وغموزه.

(٦٤) الموقعة : لغة محلية : أي : المهراس .

(٦٥) لعل الصواب : الفأفأة .

(٦٦) عرق القرح : ماء القرح، والقرح هو البثر اذا ترامى الى فساد، لسان العرب م٢/٥٥٧ .

(٦٧) الصعتر : نبات طيب الرائحة حريف، زهره أبيض الى الغبرة يخلف بزرا دون بزر الريحان الى سواد وحمرة، يقال له : السعتر والزعتر عند العامة .

(٦٨) الحلتيت : صبغ الانجذان، والعامة تسميه حنتيت بابدال اللام نونا.

(٦٩) الاهليج : لعله الاهليلج : ثمر ذو أصناف كثيرة منه الأصفر الفج ومنه الأسود المندي وهو البالغ النضيج، ومنه كابلي .

(٧٠) الآس : شجر ينبت بكثرة في أودية عمان ، يتداوى به .

(٧١) الابريهق : البح ، اللصافة، الكريرة : نبات وأعشاب يتداوى بها .

علامته بياض اللسان والوجه، فعلاجه أن تدلك اللسان بالسكر والحناء والشب(٧٢) والسمد(٧٣) يغسل ويتمضمض بطبيخ ورق الرتبق وهو السمن، وان كان من سوداء علامته سواد اللسان وكمودة اللون، فعلاجه أن تدلك اللسان بالزبيب منزوع العجم ودهن ورد معجون بعسل. وان كان انشقاق الشفتين فعلاجه بوضع فوقه دهن ورد وشحم الغنم ومثمع ولعاب الابريهق أو عفص، وقيل: ان دهنت المقعدة والسرة بدهن البنفسج تبرأ شقوق الشفة باذن الله عز وجل.

وهذه الخطبة لمن ابتلي بشقوق الشفة فيخطب هذه الخطبة منزوعة حروف الشفة ، وهي الفاء والواو والميم والضم، وهي هذه:

هلل جناني الخلاق الشاكر، الرزاق الساتر، العادل الصادق، السريع الخالق، صادع عثار العثعثة، جاذع عرانين الهثهثة، داحض دلائل الالحاد، ناشر رسائل السداد، ساطح الأرض لخلقه، جادع أهل الألحاظ لحقه، راضيا عن أهل الرشاد، ساخطا على أهل العناد، كاسرا جلاجل الأجال، عادا درر الأصال، غنيا عن الرد، عاليا عن الند، لقد صارت شهادتي خالصة لألوهيته، صالحة لاقرار أزليته، صادقة الذكر، حافظة الاصر، كاسية لحدس كساء الجذل، صادقة لذلك كرات العلل، صادرة لأهلها راح الراحة، دارة لخلها صلاحه أرسل خير خلقه يس، داعيا الى شريعة الدين، سادا طريقة قاطني السحين، سالا عيدان العدل، لتحصيل قدر الهداية، حالا عند أهل الدراية، خالص الجنان لالهه، ناسخا لرسائل أخدانه، قاطعا ليط الألطاط(٧٤)، هاديا الى نهج الصراط، تاليا للآيات الزاهرة، داعيا لاله الساهرة، صلى عليه صلاة عالية الجد الأسعد، نبرة السناء الأرشد، طاهرة التحية، قاصدة الى أعدل الشجية عدد الدراري الطالعات الشارقات الزاهرات، خلق الله، لقد صدرنا أنهار الانتهاء لناي انقضاء الأجل، تاسين طلعة الردى كانا قد عهدنا أن لا يغشانا على عجل، كلا ليجري لهلاكنا جري السجسج(٧٥)، كاسراعه لهلاك الجرزج(٧٦)، خاطا سير سيرنا الى الحدث، حاطا علائق سرير حياتنا الى

---

(٧٢) الشب : صخر ملحي أبيض .
(٧٣) السمد : هو اللك: نبات يصبغ به وتدبغ به الجلود.
(٧٤) ليط الألطاط : الليطة هي قشر القصبة والقوس.
(٧٥) السجسج : مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، كناية على السرعة .
(٧٦) الجرزج : لم أجد له تفسيرا .

أسرة الجدث(٧٧)، لا ندري لأي حين سرعة جيشه كاردا(٧٨) علينا عساكر طيشه، أين الهادي الصالح؟ أين العادي الطايع؟ أين العاري الخادع؟ أين الساري الجادع؟ أين الساهي الضال؟ أين الساقي العال؟ أين اللاهي الشغيل؟ أين العالي العليل؟ أين الآكاسرة(٧٩)؟ أين الأقاصرة(٨٠)؟ أين الدهانقة(٨١)؟ أين السيار؟ أين الطيار؟ أين العساكر؟ أين الحرابر؟ أين الحلاحل(٨٢)؟ أين الحلايل؟ لقد أدار الردى على ذيالك(٨٣) القرون رحاه، طاحنة لجدل الحياة عند تلقاء سناء، تائل علينا داعية الى العلة ليكسر عنا صدور الغلة، صايحا عند انتهاء الحرحرة، قابضا عند انقطاع الجرجرة(٨٤)، كاشرا عن أضراسه قالعا للعليل أصل أساسه، حتى اذا قطع الحديث عن أهليه صاح الذي يليه آها على خدني، آها على شجني آها على أنسي عند الركدة، آها على ضجيعي عند الرقدة، حزني على خل صديق، خالص شفيق، كلا لا راد للحق، كلا لا هذيان عن الصدق، تذكرني لك يائسا هي الخاطر، ياغاشي الجرابر، لتذكر حال صلصلة الطيحة، حال شهقة الصيحة، حال زلازل الزلل، حال زفير سقر، حال أحداث الكدر، لتنتهي الصاخة ناجيا عن الهلكة، عاليا عن طلايع الدركة، راعيا يانع الرضى، عاليا عن شارع القضاء. ألا أسعد الهي جدنا، أخلص لله شبحا عن نكال السعير، حزن الخاطر عند انتهاء الحال اليسير، حتى هيىء الراد للطريق لئلا يحيد على حضيض سحيق، لتحقيقه ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾(٨٥)، حين صعقة النادي لحضرة الغاشية. الهنا ، نجنا عند الحشر زئير النار(٨٦)، كذلك ضع عنا ثقل الآصار حتى نصير صادرين سلسال الرحيق، شاطنين عن الشهيق، نائين عن الأنين، جذلين عند الصديقين، عالين درجة عليين، على أسرة زاهرة، عالية اهرة، حتى

(٧٧) الجدث : القبر .
(٧٨) كاردا : اسم فاعل من كرد يكرد ساق، والعدو طرده، والشيء قطعه.
(٧٩) الأكاسرة : مفردها كسرى، لقب لملوك فارس قبل الاسلام .
(٨٠) لعله القياصرة، مفردها قيصر، لقب ملوك الروم قبل الاسلام.
(٨١) الدهانقة: لعله الدهاقنة: مفردها دهقان وهو القوي على التصرف مع حدة ، وهو التاجر، وزعيم فلاحي العجم ، ورئيس الأقليم.
(٨٢) الحلاحل : السادة الشجعان الكثيرو المروءة.
(٨٣) ذيالك : اسم اشارة للبعيد : وهو تصغير ذا وذاك وذلك .
(٨٤) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته، والمراد هنا انقطاع الصوت أو ضعفه.
(٨٥) سورة غافر : ٥٩ .
(٨٦) لعل الصواب : من زئير النار .

يزدراح كاس داهق، نضير رائق، على يدي ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾(٨٧)، خاضعات الجنان، نيرات الأسنان، داخل رياض الجنان، عند رضى العزيز الديان، الهي صل على خير الثقلين الطاهر عن الشين، الحسن الأخدعين، أعني سيدنا طه، كاسيا رداء الراحة، الذي استهدى كذلك عدة آله الأطهار، الأتيقاء الأخيار، عدد القطر النازل الثادق السائل. الهي أعز الرئيس السيد السني الجيد، النحرير العزيز، الصادق الحريز، ذا الجد العالي، صادع سجيل القالي، رادع ثرثار الشر، قاطع أعناق الضر، ساجر سجين القاسطين، حاسر ذراعه لعز الراشدين، شاك ثعثع (٨٨) الصادقين، راض دلائظ(٨٩) الحاقدين، الساكن حصن العقر، حاصر سعسعة الكدر(٩٠) ، دارع سدرة الاحسان، أعني سيدنا سلطان، الهي أعله أعلى الدرجات حتى ينتهي الى أقصى الغايات، ليعيش شاكرا على العطايا، حاملا خاطئة الخطايا، الهنا اشرح صدرنا لنهج دينك الشهير، الدال الظهير ليعي خير النذير، حتى يذكر عند تلقاء الهرير انك على هدايتنا لقدير:

دخلنا لشرح النثر حاز قريحة ... لنكسر سد الحصر حين اسدادها
سهرنا لها ليلا لئلا ينالنا ... تعدي ردى التغيير عند انسرادها
تركنا لهذا الحظ راح لذاذة ... لئلا نرى نقطا على رأس صادها
نائيا عن الأعداء حين اختراعها ... لنخدع عرنينا سعى لارتدادها

فصل

ومما سالت عنه الشيخ الطبيب على بن عامر العقري النزوي (رحمه الله) في معنى آخر في أدوية اللسان وتحسين الصوت، قال: ان كان احتباس الصوت من سبب قصر في اللسان من قبل وتر وهو قهر العصب، فيقطعه بالآلة التي يقطع بها الأوتار، وان كان من سبب رطوبة الآلية تسيل منه رطوبة علاجه يدلك الفم بالملح والشاذر والفلفل والزنجبيل. وان كان فتور الصوت من سبب البحوحة في الحلق فدلالته ان كان من الدم حلاوة الفم وحمرة اللسان والوجه يفصد أو يحتجم، ويشرب ماء الليمون بالسكر أو ماء الشعير باللوز، وان كان من الصفراء فعلامته ماذكرت في صفة اللسان من

(٨٧) سورة الرحمن : ٧٠ .
(٨٨) تعثع : الثعثع هو اللؤلؤ والصدف والصوف الأحمر .
(٨٩) دلائظ : من دلظه يدلظه دلظا ضربه أو دفعه في صدره، وفي سيره مر مسرعا، ولعل المراد هنا شر الحاقدين ومكرهم .
(٩٠) سعسعة الكدر : ذهابه وانتهاؤه. ومنه تسعسع الرجل : كبر وهرم وفني.

قبل، ويكون ريقه مرا فعلاجه ماء الشعير وأكل القرع بالسكر وحليب الغنم والشبشتان وهو المبوا والأبريشا(٩١) وهو السك. وان كان من بلغم فعلامته ماوصفت لك من قبل في اللسان. وأما علاجه أكل حلوى الزنجبيل وأكل السكر. وان كان من السوداء علامته ماوصفت لك من قبل أدوية اللسان. وأما علاجه شرب حليب البقر أو الزبد والسكر أو اللوز والسكر. وان كان بسبب دعدعة زكام، علاج عام له يؤخذ الزباد يدلك بقطن ويوضع في خرقة، ويقبض باصبعيه على الأنف القارعة، ويجر نفسه صاعدا حتى يحس برائحة الزباد وصلت الى دماغه، وتارة يكون الزباد في الأنف اليمنى، وتارة في الأخرى، ويصب على رأسه ماء حميما ويتبخر بالميعة. صفة أخرى: يفرك ورق الأراك ويفعل به مثل الزباد ويتبخر بالقرطاس، والله الشافي والمعافي لجميع العلل، انقضى شرح الشيخ علي بن عامر.

واذا كان الخطيب قد تالم قليلا من حلقه فينزع حروف الحلق من خطبته لئلا يبتلى بالحروف، وهي: العين والغين والحاء والخاء والهاء وهمزة القطع وهي هذه :

قدست ربي فاطر السماوات، وكاشف البليات، وفارض الصلوات، وبين الزكوات، ومدمر منازل المصرين، ومسدد صياصي المصلين، ومجري جواري الراشدين، ومجزي صيب القاصدين، وموثق فلك الكافرين، ومكدر موارد الكاسرين، ومقدر منازل القمر [.....](٩٢) والشمس والبروج والكواكب، والنفوس والضوارب، والمساقط والمشارق، والسواري والبوارق، ومنزل سور الكتاب المستبين، ومورد المستقيم مورد الكرامات، وملبس الكريم برود السلامات، تقديس من طمس طلول الباطل، وسار سيرة التقي الباسل، وارتقى درج الفضل والشرف، وبكى مدكرا أقرن من مضى وسلف، وبات الليل باكيا متولولا، ساجدا ومتوسلا، قد نظر الدنيا نظرة مسلم مدبر، قال مستتر، ماركد بتلك المنازل ليقضي لبانات، ولا ليكتسب نقل الجنايات، لا يرى فظا قاسي القلب، ولا سادما كثير الكرب، بل تكمم بكمة الكمال، وركب جمل الاجمال، لا متصديا لكظة(٩٣) القبقب(٩٤)، ولا بالطمث ولذة الذبذب(٩٥).

(٩١) الشبشتان ، الأبريشا، أسماء لأعشاب ونباتات يتداوى بها .
(٩٢) عبارة غامضة وغير مقروءة .
(٩٣) لكظة : من لكظه يلكظه، ضربه بجمع الكف.
(٩٤) القبقب : اللسان .
(٩٥) الذبذب : ذكر الرجل وغرموله .

رب دلني دلالة ذلك الولي ، ونجني من وسوسة الشيطان الشقي، وثبت بقلبي شكر من قدس صفتك من صفات المترددين، ومثلات المتصددين، لا شريك لك، ربي في ملكوتك، ولا وزير لك في سلطانك وجبروتك، كذلك لا ولد لك والد، ولا ند لك ولا مضادد، كرمت نبيك المزمل تكريما مفضلا، يفوق كافة الرسل بتنزيل كتابكم الشريف مقدساً بتقديسك المنيف، فاستقام رسولك بتلاوة الذكر والفرقان، ودرس كتابك بطول الملوان(٩٦)، فنشر جلباب الصراط المستقيم بكل المنازل، ورسل طروس الديانات لكافة القبائل، فتمايست شيب السرور، واندرست كبار الكفور(٩٧)، وطفت نيران الفتور، وتفرقت جرجور(٩٨) الجريرة، بظلمات الكدورات، وقدست صدور السلم من درن القاذورات، ونبت طفطاف(٩٩) الطيبات بفدفد الرضى، وطفست نقنقة التصبصب(١٠٠) بمناظرة فضفاض الغضا، وركدت صرصر المصر لنشر ثجاج الجود والرشاد، وطار صلصل الضنى، وقت تجلي بدور التشرف والسداد، وطفرت قدود القلا بقرقر النكال والفساد، نصر ربي نبينا نصرا قويما مفضلا كريما، كذلك كافة المشفقين المتمسكين بالقرآن المبين ما نشنشت(١٠١) سجيح(١٠٢) السجايا بجذل الجميل، وقرقرت طيور البلايا بنفس كل سليل فطرة ربي، لقد صدرتم مصادر الصدود، ورتبتم بليت صدوركم كلكل الكنود، ونسيتم زجر زماجر النقود، وطمستم تذكار صدور الورود، وتلذذتم بركوب سرير سرور الدنيا، وتسليتم بلذاذة المن والسلوى، واصطفيتم قسقاس(١٠٣) القساوة مقدما لمصادرة تذكركم وطلول الطراوة بصيرة لتبصركم، ودرستم نسل قسورة نكدكم، وانسداد سلوة سدمكم، وطروق تبليل بليل بلبالكم(١٠٤) وقصم قصور صلصاكم، وفض فم كلامكم، وقفول تقضقض كلامكم، فسوف ترون سير المسير قد سطرت، وزنور(١٠٥) القلق قد نشرت، وفجاج قد سدت،

(٩٦) الملوان : تداول الليالي والأيام ومرورها.

(٩٧) كبار الكفور : القرى النائية البعيدة عن الأمصار ومجتمع أهل العلم، فالجهل عليهم أغلب وهم الى البدع والأهواء المضلة أسرع.

(٩٨) جرجور: الجماعة .

(٩٩) طفطاف : الجانب اللين المسترخي من الشيء وأطرافه.

(١٠٠) التصبصب : التفرق . تصبصب الليل ذهب أكثره، وهي أيضا الغلظة والشدة .

(١٠١) نشنشت : أحدثت صوتا خفيفا .

(١٠٢) سجيح : السهل ، الخلق السمح .

(١٠٣) قسقاس : من قسقس ، أي أسرع، والقسقاس السريع .

(١٠٤) بلبال : شدة الهم والوسواس .

(١٠٥) زنور : لعله جمع زنار ، وهو مايلبسه النصارى والمجوس حول الخصر .

وبسط الكدور قد مدت، ومراقي الوقاية قد كسرت، وزلازل الزلة قد رجفت، وألسن النكتة(١٠٦) قد سلقت، وباب اللقلقة(١٠٧) قد ذلقت، فينزل بكم ساد مجاري النفس، ومسكن البرية ظلمات الجدث، فتضج لموتكم الوالدان والشيب والنسوان، فينشر قصص منونكم بكل مكان، ويمتد نسب تبكم(١٠٨) في كل البلدان، ويبكي مودكم في نفوذ الجوايز وصلصلة زخير الجنايز، فماذا تجيبون وقت دلوك شمسكم، وورود مراقد رمسكم، ولزوم كتاب كدكم، وموقف مناقشة ربكم؟ فرجفت في تلك اليوم الرواجف، وترادفت الروافد، ووجفت القلوب، وتكاثرت الكروب، ودكت الجبال دكا دكا، وقامت الكاتبون صفا صفا، وكورت الشمس، وانتشرت البرية في الرمس، وشاب المولود، واستقام في ذلك اليوم المقصود، وسجن المجرم بنار لظى، وسكن المسلم دار الرضى، دار قاصرات الطرف، صافيات الجنان، ساترات مسرات باللسان والبنان، وسط تلك الجنان، ورضى الملك المنان، لقد نضر ربي شفيقا تذكر رجفة زلازل ذلك اليوم، وتجنب لذاذة الطيش والنوم، ولبس جنةالصلاة والصوم، وسل صمصام الصبر، وادكر مقام القبر، وبكى من شدة التتلتل(١٠٩)، وقلق من سدم التبلبل(١١٠)، وشرب من سلسبيل منة الديان طول الزمان والقتيان، وقتم، سادتي، صدمة فسادكم، وقصمة بلادكم، وكفيتم كيد شيطانكم، وكسر دول سلطانكم، وشب فتن جيرانكم، وقرار ظلمات نيرانكم، وكسيتم ثوب رضوانكم، ورزابي صفاوة جنانكم، ربنا سلمنا وكرمنا، ورفقتنا وجيرتنا، بمنك وفضلك ياكريم، ياولي ياقديم، يامصور يامدبر، ياقاضي لباناتنا، وكاشف كرباتنا، ومقوم قناتنا ومنساتنا، وناصر جيوشنا وكراتنا، وصارف سدمنا وقلقنا، ومذلل دول ضدنا وندنا، ومجير نفوسنا وقلوبنا، ومقوي دولة امامنا وسيدنا ومولانا، ذلك السيد الولي، السيد الرضي التقي النقي، سلطان بن سيف بن مالك النزوي الرستاقي، وقي كيد الشياطين ، وسطوة السلاطين، وبطشة الجبارين، وكره الظالمين، وظلم القالين، ونج من شر كل طيف، وصدمة كل سيف، ولبس مئزر الحتف، وسكن في صياصي الفضل والشرف. ربنا نجنا من نكال نارك سقر،

(١٠٦) النكتة : لعله الكلام المذموم .
(١٠٧) اللقلقة : صوت اللسان ، وكل صوت في اضطراب .
(١٠٨) تبكم: هلاككم .
(١٠٩) التلتل : شدة البلايا .
(١١٠) سدم التبلبل : السدم : الهم. والتبلبل : شدة الهم والوسواس .

وجـاورنا بمن صدق وشكر واستبشر وبشر، وجنبنا من فتنة من كفر وبسر وتكبر وتجبر، ياذات الملكوت والسلطان والملك والشان.

فصـــل

وكـذلك ان كـان عند التـقـاء الشـفتين قد جف من قوة السلاق، فعلاجه ماذكره الشيخ الطبيب علي بن عامر العقري (رحمه الله) وهو أن تاخذ الأبلح والعـفص وتدقـه دقـا ناعما وتفـرك به ذلك الموضع، وكذلك اللسان نافع له الدواء، وكـذلك وقد وصف التنبوك(١١١) والقـاط خـاصة اذا كان من رطوبة، وقـد جربت العفص والأبلح فوجدته طيبا شافيا لتلك الأدواء، وقد أتيت بهذا لأنني لم آت به من قـبل، وكـذلك ان كـان الخطيب قد جف عند التقاء شفتيه من قـوة السـلاق، وأراد أن يخطب وكان لايقدر أن يفك فاه، فينزع الألف والمد من خطبته، وقد شرحت له خطبة منزوعة الألف والمد ، وهي هذه :

حمدت ربي خير من تجلت بقلبي شـمس مـعـرفته، وتحكمت في بصري بدور حكمـتـه، وتسلسل في صدري عذب توحيده، وتسعسع(١١٢) في روحي روح تسـديده، وهو لطيف بجـمـيع عبيده، رؤوف بمن علم حقيقة تمجيده، جليل عن تبـعـيـضه وتحديده، رحيم بمن خلصت لتقديسه نيته، وخضعت لندبه وحظره قرونته(١١٣)، وتقـررت لتهليله مهجته وهمته، وتثبتت بحكم كتبه ضيعته وحرفته، وهو ذو نيل قد غرقت في بحر عظمته رؤوس خليقته، وكرم قد جذلت تسلسل سعته نفوس بريئه، وعفو يسيح في موج دروره، من حمل وزره وندم عليـه، ومكر يهوي في هوة تنكيله من تعدى حدوده ولم يلق توبتـه لديه، وعـزيز في ذروة تعززه من تبع رسله، وحرز يلبس خط حفظه مـن نـصر دوله، وطول يرعى زهر سروره من سلك رشـده وسـبله، وحـول سـجن سـجين نكده من ضيع شغله وعمله، خمد من طمس نقوش غيظه عن حـزبه بسكين سكينتـه، وعـسـعس ليل حـقـده على من شطن عن كلمة ربه وعزيمته، وسل سيف تشميره لنصرة حقه ودينه، وبسط بسط بسطه لمحبه وخـدينه، وجمع سرد تبـسـمـه بخير جميله ولطفه، وسمع همم مودته بسر خـضـوعـه وعطفه، ودر در صلحه على خميلة خليله، وسح سح سمحه على مـورد سـجـيله وسليله، نشـهـد لله بربوبيته وقدمه، عز وجل عن شريك في

---

(١١١) الأبلح ، العـفص، التنبوك : نبات وأعشاب يتداوى بها.
(١١٢) تسعسع : يقال تسعسع الشهر ذهب أكثره ، وحاله انحطت .
(١١٣) قرونته : نفسه .

خلقه وتدبيره، وصنعته وتقديره، وعن ند في عظمته وملكوته، وعن ضد في سلطنته وجبروته. نزل وحيه على خير خلقه محمد رحمة لمن خضع وسلم، وحلم وتعلم، وتفضل وتكرم، وسدم وتندم، ونقمة على من عصى وتمرد، وتكبر على نبيه وتردد، وكرع في سوق تفريطه، وشرع دعوة تجبره في سطور تسليطه، حتى حسم محمد جذل كفر من كفر، وطسم طلول من عبس وبسر، وجذع خرسوم من ظلم وتعدى، وصدع جيوش من ملك وتصدى، ونصر كرة من رقي سلم تسليمه لكتب ربه، وقوم سبل من همته تصفية قلبه، حتى يظهر حكمه في كل معهد، وصدر علمه بكل مقصد، وتفرقت شهبه لدى كل مرصد، صلى عليه ربي صلاة تصدره كوثر رحمته وجنته، وتنفي عنه علقم غضبه ونقمته، وعلى جميع ذريه وحزبه وشيعته وصحبه كل سويعة وحين، وطول دهر معدود بخط مبين، خليقة ربي. قد غركم غرور تمنيكم وشغلكم عن شريعة دينكم طول تعديكم، وترفهتم عن ورد سعدكم بزينة عرسكم، وتفكهتم عن حلو ذكر ربكم بنشوة غرسكم، حتى خلتم حدث عللكم قد رفع، وظننتم كمد سدمكم قد حصر ومنع، وحسبتم قطب منيتكم قد كسر وحسم، وهول هلككم قد قطع وصرم، وهو عن قليل ستدور على رؤوسكم رحيته، وتصدر عليكم خطيته وحينته، وتقفل لديكم عسكره ورجفته، وتنزل فيكم كرته وخطفته، فستسمعون مع ذلك صلصلة سكينة، وتعلمون صدقه من مينه، تنظرون شقشقته تهدر بصدوركم، وزلزلته تتزلزل بخدوركم، وسمومه قد شيبت بعذب مرحكم، قد هبت لنسف روحكم، فليحذره كل منكم لتسهل عليه صدمة نكده وليتزود كل منكم حتى تهون عليه صكة تهديده، فسوف يرقيكم على علم مسيره، ويحملكم على كتف سريره، ليرينكم صورة هريره، ويدخلنكم في قرن تدبيره، فيسدم سجيركم، ويحزن سميركم ويصيح: حرقتي حرقتي، على خليلي في منزلي، شفقتي شفقتي على رفيقي في موئلي، وهو محصل في شبكة منونة مسجون في صندق حيزبونه يسمع نوح عبيده ووليدته، وصيحة زوجته وشيبته ولطم خد عجوزه وبنيه، وشهقة محبيه وذويه، فعند ذلك كورت شموس حياته وعيشته، وكشطت سقف تدبيره وحركته، فيسرع كل منهم لتغسيله وتكفينه وتسجيله، حتى يضعوه تحت لحد بلقع وحش كل من وحشته يغرق ويفزع، فهو به حتى ينفخ ملك ربي في صوره، وينشره بربية لحكمته وتدبيره، فيقومون من قبورهم، كل مهموم

من كثرة ذنبه، فتحسر على مافرط في جنب ربه، مشفق من صعقة منشرة، سدم من هول محشره، فرق من تشقق مطلعه، وله من رجفة مروعة، حتى تزلزلت به زلزلة زلله، ونشرت عليه صحف عمله، فبعث من ظلمه لحده، وسئل عن شغله وكده، وعوقب بعمله وكسبه، وسقي من يحموم حميمه وكربه، ذلك بيع ليس فيه ولا خلة، وليس للظلوم شفيع له تقع غلة، فعند ذلك يعض على يديه ويقول ليتني كنت تربة، ولم يتبع قلبي دعوة خليل ليتحده قربه، فيسمع مع ذلك زفير جهنم، ويهوي في ويل من سجين سدمه مظلم. لقد رحم ربي من سمع دعوته، وتبع كلمته، وقصد رشده، وقطع حقده، ورفع غين غيه، وطمس عين عينه، حتى تزود لسفره، وعمل لله في مغيبه ومحضره، وقيتم شيوخي معصية ربكم، وكفيتم شر عدوكم، وحرزتكم عن ضر ضدكم وغيظ ندكم. جعلكم ربي في خير وسرور، ورحمة وحبور، فليذكر كل منكم بعظتي وتفهم .....(١١٤) خطيتي، وليصل كل منكم على نبيه، وسيده وصفيه، ويثني على جميع من تبع طريقته، وسلك مسلكه وسيرته. رب صل عليه وعلى صحبه، عدد قطر مطرك، وورق شجرك، وليلك وضده، ورملك وده، صلاة تعليه درج عليين وتفضله على كل رسول مبين، كذلك خص برحمتك خدينه حين هزمته كثرة عدوك من مكة بغير دين وحجة حتى سترته بحبلك وعصمته بحبلك، وهو ذو مقة رضية، وثقة مرضية، ذلك صهره وخدنه، وضجيعه وشجنه، عتيق ربه، وصديقه بدينه وقلبه، وبعد ذلك خص ربي بمغفرتك رئيس كل ولي ومدمر كل عتيد غوي مقر جيوش من حمد وشكر ، عنيت بذلك سيدي عمر، وخص بعد ذلك جميع من قرأ كتبك واتبع رسلك حتى ينقضي عمره، وينقطع ثمره، فينقلب من دنيته في نعيم ورحمة، بعيد عن كربة ونقمة، وكذلك رب سلم من النكد روح مهلك جحفل من بعد عن طريقتك، وخبب نفسه عن شريعتك، ومدمر عهد من سعى لنقض عهدك، وركب سهوة تعمده ليحيد عن ذكرك ونهيك، ومعلم خلقك علم خلق علوية، وسيرة نبوية، عنيت به من سكن نزوى، وكفي من كل بلوى، وطهر من كل حيف، ذلك سيدي سليل سيف، رب سكنه درجة قربك وقوة بمعونة حزبك، ولبسه بردة كرمك، وصدره مورد نعمك بمنك ولطفك، لكي نعيش بطعم هني، وصدق وفي، ويزد من رحيق مختوم، ويظهر على كل مكتوم. رب هب لي من لدنك رحمة تغشى روحي وروحه، وجميع من طرد عدوه وطلت

(١١٤) كلمة غير مقروءة .

علوه. فليسلك كل منكم سيرته ويتبع طريقته، يغفر لكم ربكم ذنوبكم، ويضع عنكم ثقلكم ووزركم، ويقبل عملكم وتوبتكم، وهو غني عنكم، ولعلمكم بصير، وهو على كل شيء قدير.

فصل

وهذه خطبة منزوعة الحروف المعجمة وهي الحروف المهملة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العالم مصادر أعداد الحواس وأحوال الأهماس، ومصور رمم الأرماس وطلاسم جسم الوسواس، ومعلم العالم علم الاسلام وسيلة الحلال والحرام، والطاسم أعلام الالحاد، عدم الكمال والسداد، ومدمر أرواح رواح العاطل، وحسم درر الهواطل، ومورد المؤمل موارد الكرم، والمهمل مصادر السدم، عطاؤه ممدود وموارده مورود، أحمده حمد مهلل موحد مسلم مهود، وأسأله ملة الورع العادل السدم العامل، وهو الله لا اله الا هو الملك المحمود الواحد الودود ولا مساعد معه ولا .....(١١٥)، أرسل محمدا دلالة للعالم، ورحمة للعالم، وموردا للسؤال، ومعلما سطور المحارم والحلال، ومؤسسا لأصول السلامة وورد كرم الكرامة، سهل الله مطلعه ومراحه، ورحم روحه وأراحه، وأسعد آله السعداء الكرام، وأهله الأوداء الاسلام، ما أهل هلال السعادة وورد مهلل مراده، وهد رعد وسط الركام، وسح سحوح الماء الوارد الأكمام، اعملوا، عالم الله، العمل الصالح، واطمسوا مهالك الكدر الطالح، واسلكوا مسلك الطاعة، واحسموا الطماعة، واسمعوا كلمة الله وعوها، وصرموا المطامع ودعوها، واردعوا الأهواء وردوها، واطمسوا الأصرار وهدوها، وسدموا الغدو للمراح، وهدم المراح، ودروس أهلة المراح، وادكروا مسألة الملك، ومصادرة المهالك، ووحدة اللحد والرمس، وأهوال الساعة والهمس، واكدحوا لروح الراحة، وعهد الصلاح والسماحة، وكرروا كرة الدهر، وحوله صدمة الردى ووصوله، كم درس المعاهد، وطمس المراصد وطسم المعالم وأسدم العالم، وأسر المكارم، وأمر المطاعم، وطحطح الاعلام، وهدم الأكمام، وململ الأمراء والحكام، همهم الملك من الأحرار عددا، ومن الأعوام عددا، وصدع كرة الملوك، ومواصلة الودود الصلوك(١١٦)، وكم حملوا المحامل ، وصدروا الغواسل، وعمروا المراسم، وسدو المعاطس، وكم أعدوا للاصرار عدة، وطال لهم العمر، وصدوا للأعمال

(١١٥) كلمة غامضة .

(١١٦) الصلوك : لعله الصلود، أي الشديد القوي .

مدة، وأجادهم العد والمر، وكم سلوا حسام السطوة للأساد والأساود، والمحسود والحاسد، والمرصود والراصد، والأحمر والأسود، والوالد والولد، وكم عطلوا حدود الله، وأهلكوا كل ورع أواه، مع حمل أصارهم علوا سرر المسرة، وكسروا عررة المغرة، ودرسوا أركان حصاد الأرواح، وصدور عدم الصلاح، وحسن صدمة الحمام، وصلصلة صوارم السمام، وهدد حواس الأمال، ومما راسد ماس(١١٧) الأعمال الأهم سادم الأهم للمحارم صادم الا صدور معلومة الورع، الا مدامع هاملة لوصول الهلع، ما ملك الا ملك ودمر وأهلك، وما أصر الا وسدم وهدم وعدم، وما صال الا وأصل وحمل وحصل. الله الله أهل الحلوم والعمارة والعلوم الام اضراح(١١٨) دواء المراهم. ومصاهرة وداد المرح والمكارم، وعدم الوله مع درار الصحة وحصول اللهو مع عدم السحة، أما السام داهمكم والسام واردكم، أماالكمد عاصركم والدرك أبتركم، أما الرمس مصدركم، والمطلع مسدمكم، أما الحسرة مصمدكم، والطامة موعدكم، أما دار المصر الموصدة المستعرة والملحدة الحطمة المدمرة مأكله السمام، وعلة المهل والكلام، مع عمدة ممدودة، وحرس مهدودة، ومهاو مكمدة، ودراع مرددة، وسعر مسودة، وسموم ممهدة، وأرواح مسدومة، ورؤوس محطومة، ألا رحم الله امرءا عمل عملا صالحا وملك هواه ولا سار سارحا وحسم أصول اصراره وأصلح روعه مع كل أسراره ودرس عدة العداوة والكدور ودرس أسطر العدل والسرور، وأمسك سلم السلامة لصعود محل السعادة، وصد مداد الدواء لعلوا علا الارادة، وملك عمله الستور والدلالة والأسطر والرسالة، وسرح آماء الأموال، وطمس أسماء الآمال، ولا صدعه راح الدراهم، وسلسال المجارم، ولا دهمه السام والملل، ولا هاله العدم وكثرة الدول، ولا سادة ملغ زال الردى وطلوع عدو الاهداء آها لها عدوة كمدها واصل، وكدرها حاصل، لا مرد لها الا سل صمصام الحكم، وعلى حسوة الرحمة والسلم، عمر الله عمركم، وأرسى أصلكم، وأطال صدركم، ودمر أعداءكم، وكسر أعدامكم، وأدام دولة امامكم، وكلمة حكامكم، وأدار لكم رحى الأحكام، وملككم أهل العلم والأحلام، وأحلكم دار السعادة والسلام، وهو الراحم لكل الاسلام.

---

(١١٧) كلمة غامضة .

(١١٨) اضراح : رمي الشيء والقاؤه .

خطبة تجمع الحروف:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المسطع أهلة الحق، الرافع سماء أدلة الصدق، المتعالي عن ادراك مبديات ملامح النواظر، وحركات حوادث الخواطر، واعتراء طوارق البلية، وضيث براثن القضية، مهلك عالم الملحدين، ومدمر معالم المجرمين، ومنير أنوار الراشدين، ومعلم أعلام القاصدين، ومجري حوارى المجرين، ومزجي نحو المستنجدين، العالم بخفيات خواطر الضمير، ذي الطول لا اله الا هو البصير، أحمده حمد بر البر وأخلص له في العلانية والسر، وأشكره شكر من صفح سلم السلم للواحد الحكم، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة تصقل نواضر النظر، ليوم الفزع الأكبر، وتجلب فرائد الفرق من أسواق السياق الى المحشر، وتمطر اخلاص الايمان بجنان الجنان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الموضح نجم النجاة، والموجد حياء الحياة، والمطفيء نيران النفاق، والمشيد بنيان الانفاق حتى أرسله بهدهد الهداية، وولايم الولاية، وصفا الصفاوة والنبوة، ومروة السعادة والمودة، فجاء ﷺ بشهاب حق ترجم رؤوس الشياطين، وروائح ملك تروح بارواح السلاطين، وحلل حلم قد فصلت من رفوف الرأفة وجلابيب رفق قد حيكت من عهن اللطافة، فتسلسل عذب زلال مقته في صدور المهتدين، وتسعسع سعال مقته في حناجر المعتدين، حتى تعالت مراتب الأمين، وتداركت كواكب الدين، وسلت سيوف السلامة، وشدت خياشيم الملامة، وقطع خلوف التخلف، ونمايش حلوف التشرف، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكواكب النيرة، والسحايب الممطرة، واللجج الزاهرة الزاخرة، ما انفجر صباح الصلاح، وحيعل محيعل الفلاح.

أيها الناس أوردوا ظما قلوبكم من سلسبيل الصبر، واقطعوا أكبر حوبكم بسكين الفكر، واسمعوا كلامي في هذا ولاتتخذوه لغوا وهزلا، ولا تستصغروه من صغيركم، وعوه فصلا فصلا، فالى كم قلبكم ينقلب في قالب القربات لأهل المال والبديهات، ويتسابق مع سابق الشهوات في ميادين بيداء الغفلات، ويأكل لذاذ المضحكات، من زهر حدائق اللهوات حتى ورد كل منكم آجن هوى نفسه، ودخل في سنا شموس زينة عرسه، ومدد مداد ماله بأيسر غرسه، وأطعم من مراهم الامساك قيلة فلسه، ونسي ورود وقوع رمسه. أعلى الغيور عطاؤها؟ أم على الجفون غشاؤها؟ أم على الأكنان وكاؤها؟ أم على

القلوب أقفالها؟ أم واليتيم ولاة البليات أو صحبتم قضاة القضيات؟ أم وافقتم فرسان الغرار بنسلها يوم النشور؟ ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخسِفَ بِكُمُ الأَرضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(١١٩). ألا قلب ينظر ببلور الأفكار؟ ألا عين ترمق أكوار الأسفار؟ ألا أذن تعي خطيب الزواجر؟ ألا ألسن تحسم زخير الزماجر؟ قد غركم باواء البيوعات في الأسواق، فانستم تذكرة الحسرات في يوم التلاق، وألهتكم روائح ثغور الأشراق عن طاعة القوي الخلاق، ولبستم سرابيل الاختلاف لأهل الشقاق والنفاق، من ﴿صَيحَةً وَاحِدَةً مَّالَهَا مِن فَوَاقٍ﴾(١٢٠)، أين الصياصي المشيدة؟ أين الغواني المزينة؟ أين العظماء المتجبرة؟ أين الكبراء المتكبرة؟ أين الذين رفعوا راية المملكة ، ولم ينتبهوا برواية المهلكة؟ أين الذين حملقوا سوءة السيئات وطمثوا خاطئة الخطيات؟ قد تغطرفوا في مطارف المطايب، وتهنسوا بعباءة المعايب، وملكوا الفيافي والقفار، وكان ملكا مبذولا: ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعداً مَّفعُولاً﴾(١٢١)، وركبوا الخيول والركايب، وشيدوا القواعد والمراتب، وزرعوا جرجر الحرایر بخمایل الخيانات، وجمعوا سرد الكبرياء تحية الجنايات، الى أن توالت عنهم السنون وزمانها، وأمطرتهم شآبيب المنون من صوبها وتهتانها، ودار عليهم قطب القطيعة وانفقل عليهم فجر الفجيعة حتى حملتهم عطارف الغروب على وادي المغيب، وناءت بهم عن خلال الخليل الحبيب، وقذفتهم بحراء الحراب الى بيوت البلى والتراب، فهم بنكباء النكال تعصفهم، وروأجف الوبال تقذفهم، وعرقة اللقاء تعرقهم، وشقائق الشقاء تفرقهم، وبوارق النقم تلمعهم، ومقامع السدم تقمعهم، وتسفعهم بنواصيهم أيدي الغضب، وتقلبهم على وجوههم أكف الكرب، فتزلزلت بهم زلازل الزلات، وتهاوت بهم مهاوي الهفوات، وأحاط بهم ماكانوا يلعبون، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّاكَانُواْ بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾(١٢٢)، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم مَّاكَانُواْ يَفتَرُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّهُم فِي الأَخِرَةِ هُمُ الأَخسَرُونَ﴾(١٢٣)، فرحم الله امرأ ألقى عيان العيان بذهاب النساء والولدان، وتطيب بعنبر العبرة، وقطع مفاوز الحظرة، وصال بحور الحلال، وقال صدق المقال، وقطع شقاق الشقاق،

(١١٩) سورة الملك : ١٦ .
(١٢٠) سورة ص : ١٥ .
(١٢١) سورة الاسراء : ٥ .
(١٢٢) سورة هود : ٨، سورة النحل : ٣٤، سورة الزمر : ٤٨، سورة غافر: ٨٣، سورة الجاثية: ٣٣، سورة الأحقاف : ٢٦ .
(١٢٣) سورة هود : ٢١ ـ ٢٢.

وطرد نفر النفاق. جعلنا الله واياكم ممن أصبح مصباح الصفاوة بمشكاة النقاوة وأتم بهادي الولاية في كعبة الولاية، ومن علينا وعليكم بجزيل نعمه، وعدم نيل نقمه، وتفضل علينا وعليكم باعز مذهب وأكرم مطلب، وأنعم علينا وعليكم بالدين الحنيفي المحمدي الوهبي، وعمنا واياكم بامره المتبوع، ونهيه المسموع، الذي بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وأمر بذلك جميع المؤمنين والمسلمات والمسلمين، فاعد لهم بطاعته أجرا عظيما، ورزقهم بذلك رزقا كريما، فقال عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلِّمُواْ تَسلِيماً﴾(١٢٤)، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك المطهر، وصفيك ذي الجد الأكبر، الصادق المصدوق، خير كل مخلوق ومرزوق، المعفو عنه بنص القرآن، والمحمود في آيات الفرقان، عدد القور والأكام والأنعام والأكرام والأشجار والأوطار والأوكار والأكوار، صلاة دائمة الشرف والفضل، جامعة جوامع المعالي والعدل، عالية على كل التحية، واردة بأجمل السجية، اللهم وارض عمن جعلته أنيس نبيك في الغار، ولؤلؤة صدقك في الاعلان والاسرار، ذي الرأفة الوفية، والطافة البهية، معدن التصويب والتصديق، ومغار التسديد والتوفيق، امام البررة أبي بكر الصديق، اللهم وارض عن سحابة القسط والعدل، ودعامة الحق والفضل، شهاب الأعداء وصيب الأوداء، صالح المؤمنين وجامع شمل المسلمين، وليث التصديق والصواب، وكم الكمال والكتاب، أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وارض الله تعالى عن جميع أصحاب النبي ذي الفضل والوداد وسيد المسود والأساد، وعلى زوجاته أهل القناعة والكفافة والزهادة والعفاف، وتابعيهم وتابعي تابعيهم الى يوم القصاص والأخذ بالنواصي.

خطبة أخرى بجميع الحروف:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العالم بحركات خواطر القلوب، وخفيات سرائر الغيوب، وكيفيات مصادر صواعد الأنفاس، ومبديات حوادث مقاصد الأرماس، الكاسر بصمصام قهره أعلام الكفار، والناشر جلباب رحمته على أرواح الأبرار، الطامس حنادس البطالة بسنا شموس الحجة الظاهرة، الدارس مدارس الجهالة بضياء أهلة المحجة الباهرة، المتعالي عن ادراك أوصاف الحواس، وكيفية أجزاء القياس، البصير ليس باعين ترمق مصادر

---

(١٢٤) سورة الأحزاب : ٥٦ .

الأشياء المؤتلفات، السميع ليس بآذان تصغى نفي زماجر الأشياء المختلفات، الحكيم ليس بقلب يبتدع غرائب الأمور، الدائم الذي لاتبليه حوادث الدهور، يدرك الأشياء بلا خبرة مخبر يرفع له خبر الأخبار، ويهلكها بلا مشاورة مشير يشير اليه من قرائح الأفكار، يعلم ماكان ومايكون، ومالم يكن اذ لو كان كيف كان يكون.

أحمده حمد من طمس نفوس الرياء من صحيفة حدسه، عدته الاخلاص، ودرس أروش الكبرياء من جراحة نفسه بدية ذكر أهوال القصاص، وأشكره شكر من زهرت جنان جنانه بامواه اليقين، وظهرت براهين ايمانه في قبول أفواه المتقين، وأشهد أن لا اله الا هو وحده لاشريك له، شهادة تصرف غشاوة الغفلات من بلور النباهات، وتكشف عماية اللهوات من نور الهدايات، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله حين جن ظلام الظلمة، وحن رعد الفسقة لوابل المظلمة، فجاء ﷺ بنيرات حق تكشف ظلام الباطل، وذاريات صدق تعصف غمام العاطل، فانفجر فلق مصباح البيان، وازدهر قارح التبيان، حتى طلعت شموس الايمان بسماء القرآن، تجر برود البرهان، وأقلت بدورا بظلماء الامتحان، تسحب زلازل الكفر والبهتان، صلى الله عليه وعلى آله الذين استضاؤوا بنور أفعاله مالمع بقاع صفصف البهماء، وطلاع هلال الشرف في السماء، أما بعد :

فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، وأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، واللزوم على طاعته، فان تقوى الله حصن يحصنكم عن خواطف عساكر الوابال، ورواف زماجر النكال، فاخطروا لذكر الموت ببال وصعقات صوايح البلبال، فان الله زجركم بزاجرات آي كتابه، وحذركم موبقات أليم عقاب. حتى صبت عليكم شآبيب احسانه نواضر الأنعام، ومصادر موارد الاكرام، فلبستم لذلك جلابيب عصيانه بالكبائر العظام، وسرابيل خلافه باكتساب الآثام، فهلا أجرى لكم الأنهار لتستقوا بها حدائق اللذات ، وأضاء لكم النهار لتعرفوا بها حقائق سلامة الذات، أم لا أيقظكم من رقدة الغفلات، وبعدم قبايح الثقلات، حتى أدخلتم في توبتكم سوف وعسى، وانتظرتم لأوبتكم صباحا ومساء، أعقدتم عقدة الأمنية، بيشرك سنان المنية، أو صحبتم فرسان القضية باجمل السجية، أم ارتقيتم موانع الأعلام عن طروق طوالع السام، أم افتديتم بنضار الفدا عن رهان أسباب الرداء، ألا أذن تسمع

طوفان العظة، ألا أعين تدمع من غشيان النهضة، ألا قلب ينظر بنواظر الفكرة، ويسح دموع العبرة، بينا أحدكم يرفل في جلبوب صباه، وهبوب صباه، قد أبطرته فكاهة نعمه، وعدم مباهاة نقمه، الا أن لاء لاء له آل المشيب، وحيعل عليه قول الخطيب، فخطبه خاطب البليات، واختطفه خاطف القضيات حتى أمرحته(١٢٥) على فرش السدم، وأسرة الندم، فاصطد قلبه، واشتد كربه، وعرق جبينه، وانذلق أنينه، وكثر عويله، وبكى سليله، فقال: هل من طب، يطب مرضي ويقضي عرضي، فلما جاءه بمراهم الدواء، فقال له: نفذ أمر داء، فبقي المريض ينظر مكفهرا بطرف خفي، ويتكلم بصوت شجي، الى أن نزل به الموت بكاس الفوت، ممزوجا به طعم الحباب وناي الأحباب، فلما اكتظ مراحه وصل الى القبر مراحه، شاع ذهاب روحه في الناس، وخطاب بوجه لحال الاياس، وأفول شمس حياته واقبال عنس وفاته، فاسرعوا ليحملوه على أكتاف السرعة، ويضعوه في الضيق بعد السعة، فمع ذلك نادى منادي القيل في المقيل: ألا كم خلا من نواضر الثرى، وأنشد نشيد الأهلا، ألا كم عملا قدم به الى بطون الثرى، وهو ثاو في وحشة اللحود، ولنقسة الدود الى أن حالت أحوال القيامة، وانهالت كثبان الندامة، ولمعت أبارق الحساب، وكفكت أباريق الكتاب، وفتشت أحمال الأعمال، فتمنى هنالك كل امرئ برجوع الآجال، ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾(١٢٦)، اذا اشتد ازار الأوزار، ولا عتاب بعد ورود الانذار، ولا توبة حين نزول الممات، ولا أوبة بعد حلول الفوات، رحم الله امرأ مر على نوادي الدنيا، فنأى عنها ونظر الى نوادي الأخرة، فقرب منها ، وسارع الى اصلاح الضمائر، حين اضطرب جنوب الحرائر، وصبر في دنياه صبر أولي العزم من الرسل، وبادر الى أوضح مسلك السبل، وكشف عن ساق الجد لصرفان العدواة، وبسط بساط الجهد بصفوان الصفاوة، جعلنا الله واياكم ممن صفد ماورد هواه، وقصد موارد هداه، وكبل شيطان الشهوات، وغربل سلطان اللهوات، وسل سيوف عزمه لقطع غضروف خصمه، ولبسنا واياكم لباس البرهان، ورفع عنا وعنكم بأس البهتان، وأعزنا وأياكم بطاعته، وأسكننا وأسكنكم دار نعيمه وجنته، في رياض رضوانه ورحمته.

فصل

ووجدت في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «من بنى لله مسجدا، ولو مثل

(١٢٥) لعل الصواب : طرحته .
(١٢٦) سورة القيامة : ١١ .

مفحص قطاة، بني الله له بيتا في الجنة»(١٢٧)، ونهى النبي ﷺ عن النقوشات في المساجد وقال: «ما ساء عمل قوم الا زخرفوا مساجدهم»(١٢٨)، وفي الحديث: «أن العرش أفضل من الكرسي، والكرسي أفضل من السماء، والسماء أفضل من الأرض، وليلة القدر أفضل من ألف شهر، ليست فيه ليلة القدر، والمسجد الحرام أفضل من المسجد الأقصى، والشام أفضل من العراق، والحجر الأسود أفضل من الركن اليماني، والركن اليماني أفضل من قواعد البيت، والمسجد أفضل من الحرم، والحرم أفضل من بقاع تهامة، وأفضل البقاع عند الله المساجد، وهي سوق من أسواق الآخرة». وفي هذه الرواية دلالة على أن الكرسي جسم وخلق، وأكثر أصحابنا يقولون: الكرسي هو العلم، والله أعلم.

فصل

واذا دخلت المسجد فابدأ برجلك اليمنى، وقل: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أولياء الله، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك. واذا خرجت فابدأ برجلك اليسرى، وقل: اللهم صل على محمد ، وافتح لي أبواب فضلك. وينبغي لمن دخل المسجد أن لايجلس حتى يركع ركعتين. ونهى النبي ﷺ عن البيع في المساجد وعن اقامة الحدود(١٢٩)، وقال النبي ﷺ : «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم ورفع أصواتكم وسل سيوفكم»(١٣٠)، وكذلك لا تجوز الاحداث في المساجد، مثل أن يزاد فيها شيء، ويؤجر عليه من ماله، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي (رحمه الله)، الى الأمجد الأروع الوالي الولي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي (رحمه الله): وفي مسجد زاده جماعته زيادة عن عادته الأولى من مالهم وعمروه من مالهم ـ أعني عمار الزيادة ـ حتى صارت الزيادة والمسجد الأول مسجدا واحدا، ثم بعد ذلك خرب المسجد جميعه، فهل يجوز أن تعمر الزيادة من مال المسجد أم لا؟ وما القول المعمول به ؟

(١٢٧) أخرجه ابن عدي في الكامل٢/ ٥٤٢، انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث ٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣

(١٢٨) أورده الهندي في كنز العمال ٢٠١٢٠، انظر أيضا حلية الأولياء ٤/ ١٥٢.

(١٢٩) انظر موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ١٣٧، ١٤٠

(١٣٠) انظر المصدر السابق ٤/ ٥٠٣.

الجـواب وبالله التوفيق: فالقول الذي يعجبنا ونعتمد عليه، أنه لا يجوز الزيادة من مال المسجد الأول، ان كانت الزيادة من غير بقاع المسجد الأول، الا أن يكون أوصى لهذا المسجد بعدما زيد، فجائز أن يعمر من الوصية الأخيرة، وان كـانت الزيادة في بقعة المسجد الأول، وانما زيدت لصلاحه ولتقويم جدره المتـقـدمـة وتسديدها لم يضق أن يكون ذلك من ماله، على نظر الصلاح، والله أعلم.

قلت له: واذا أراد واحـد أن يحدث كنيـفـا يبنيـه تحت جدار جاره، وكان بذلك الجدار مماريق(١٣١) تنفـذ الرائحة الى بيت جاره، فاحتج الجار بالمضرة من رائحة الكنيف، وأكل السماد الجدر، أيمنع هذا المحدث أم لا؟

قـال: لايجوز له أن يحدث كنيفا تحت جدار جاره، حيث يضر به وعليه أن يصرف المضرة عنه، ويكون نظر ذلك عند حكام المسلمين.

وسـمـعنا في الفسح عن جدار جاره انه أن يجعل بينه وبين جدار جاره ثلثي ذراع من الظفر بالحصى الذي يمنع وصول ضرر السماد أن يلعبه ذلك، ولكن ليس أن يضره برائحة الكنيف، وعليه صرفها، والله أعلم.

فصـــل

قـال المؤلف : ولايجوز حدث الكنيف قرب المساجد، ويصرف عنه واطران القصار(١٣٢) والرحا ودبغ الجلد وعمل النشا(١٣٣) وسراح الصل(١٣٤)، وغير ذلك من الروائح الخـبـيثة والأصوات المؤذية، لايجوز حدثها قرب المسجد اذا لم تكن من قـبل، والله أعلم، وكـذلك لا تحدث على صرحه غرف يمينا وشمالا، وقـبلة ووراء، ولا تحـدث قـبالته مصابيح ولا تركز فيه أوتاد ولا تحدث فيه زوارن، والله أعلم. (رجع).

فصـــل

ومنه اليـه (رحمه الله): وفي أرض مسجد أراد امرؤ التطرق بها الى بيته، أيجوز أن يعقد بقدر مايمر الى بيته مع كتاب عليه أن هذه الأرض لمسجد كذا،

---

(١٣١) مماريق : لعل المراد فتحات تنفذ منها الرائحة .

(١٣٢) اطران القـصـار: القـصـارة: بالضم مايخرج من القت ومـايبقى في السنبل من الحب بعد الدوسة الأولى .

(١٣٣) عمل النشا: هو الدقيق الذي يستخلص من القمح والحبوب.

(١٣٤) سراح الصل: لم أجـد من بين مـعناه أو أشـار اليه، ولعل المقصود سداح البصل يجب أن تكون هذه الأعمال بعـيـدة عن المسـجـد وسـاحـاتها لأنها مـدعـاة للجلبـة والضـوضـاء، ويصرف عنهـا كل ما من شأنه أن يشوش على المصلين وزوار المساجد ويؤذيهم.

ويتطرق فيها بسبب القاعدة اذا كان صلاحا للمسجد أم لا؟

الجواب: على ماسمعته من الأثر أنهم لايجيزون ذلك خوف ثبوت الحجة على أرض المسجد، لأن الشهود يموتون، وتبقى الحجة على أرض المسجد والأوراق تتلف.

قلت له : واذا جرت عادة أناس اذا أقسموا بمسجد أهدوا اليه شيئا من الدراهم أو الطعام أو الطيب وتركوه في المسجد، ولا نية له غير هذا، ماترى سيدي في هذا الطعام؟

قال : حكم ما أهدوه لهم ولا يخرجه ذلك عن ملكهم، والله أعلم.

قلت له : مايقول في نخلة نبتت بصرح المسجد، فاراد الجماعة صرفها من أجل ضيق المسجد أيجوز صرفها أم لا؟

قال : فنعم جائز صرفها اذا كان صرفها أصلح للمسجد وكانت حادثة.

قلت له: وفي النخلة الموصي له بها لفطرة شهر رمضان، فاحتسب لها محتسب، أيجوز له أن ياخذ من ثمرتها جزءا أجرة له على انفاذها، أو يعطي غيره جزءا أم لا؟

قال: أما هو فليس له أن يدفع لنفسه. وأما اذا دفع لغيره على القيام بها محتسبا اذا كان ذلك صلاحا لم يضيق ذلك عندي اذا لم يقم بها غيره أولى منه.

قلت له: وأسألك سيدي في «البانيان» أيجوز لنا أن نتركهم يدخلون صرح المسجد أم لا؟

قال : يمنعون من دخول المسجد، كان في الصرح أو غيره.

قلت له: وهل يمنع وكيل المسجد امرأ اطلع عليه أفطر من غير فطرة المسجد اذا أراد أن يفطر من فطرة المسجد في تلك الليلة ؟

قال : اذا اطلع أنه أفطر باكل أو شرب من غير المسجد، ولم يخف منه ضررا في مال أو نفس فيها، حق النهي عن ذلك، لأن عليه حفظ مال المسجد والذب عنه بكل مقدرته، لانه أمانة في يده. وأما من أكل من ثمرة الفطرة أولا، ويأكل شيئا من غيرها في مكانه ذلك، أو شرب ماء في مكانه ذلك، ورجع ياكل من الفطرة بعد ذلك، ففي ذلك اختلاف، وأكثر القول أنه جائز. وأما اذا تحول من مكانه ذلك وخرج من المسجد فليس له أن يرجع ياكل من تمر المسجد.

قلت له: وماتقول في نخلة مزناج أدركت، يتهجرون بها رطبا بعد

صلاةالظهر في مسجد معروف، فادركت ثمرة هذه النخلة في شهر رمضان، أيجوز أن تطني ويشترى بثمنها رطبا ليتهجر بها في الفطر أم لا؟

قال : عندنا أن تمر المزناج(١٣٥) ليس بجيد، وان كان تمرها يخاف منه أن لاياكله الناس لضعفه، واذا تركت آلت الى الضياع، فعلى نظر الصلاح لايضيق عندي طناؤها ليشترى بثمنها رطب وبسر، يؤكل في ذلك الوقت على سنتها هي من قبل، والله أعلم.

قلت له : أرأيت اذا كانت هذه النخلة يتهجرون بثمرتها في مسجد معلوم، وأخرى مثلها، ثم ان واحدة منها طاحت، أيجوز أن تطنى القائمة ويشترى بثمن طنائها صرمة(١٣٦) لتفسل موضع التي طاحت؟

قال : أما في الحكم فلا يجوز، وأما في نظر الصلاح ان كان جنس النخلتين واحدا، لافرق بينهما فلا يضيق عندي ذلك اذا خيف أن تفسل من غير غلة صاحبتها التلف، ولم يحصل منها شيء، وان كان يوجد لها حيلة أن يفسل من غير غلة صاحبتها من ثمن جذرها أو عطية أحد، لم تفسل من غلة صاحبتها، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وسالته عن المحتسب لمال المسجد، وكان المال في يد رجل من قبل، فقال: من كان المال في يده أن النخلة الفلانية لفطرة شهرة رمضان، وأن المال الفلاني للهجور، والمال الفلاني لعمار المسجد، أيكون مقبولا في ذلك أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: على ماسمعنا من بعض المسلمين أن من كان في يده مال المسجد فقوله مقبول على مافي يده أنه لكذا وكذا من أمر المسجد، ولافرق في ذلك عندي بين المحتسب والوكيل.

قلت له: ومثله اذا قال جماعة المسجد، وغيرهم من البلد ان هذه النخلة لمسجد كذا، وهذه الفسيلة لمسجد كذا، وهذا الموضع للمسجد، واطمان القلب الى ذلك؟

قال : عندي أن أكثر أموال المساجد تحاز الى المساجد على الاطمئنان لأنهم يتبعون النسخ والنسخ(١٣٧) الا على الاطمئنان، وتواتر الأخبار عندي أقرب

---

(١٣٥) مزانج : رطب أحمر اللون يكون في أول موسم النخيل، لايصلح أن يعالج ويدخر تمرا.
(١٣٦) الصرمة : صغير النخل، يقلع للغرس، أي : الفسل .
(١٣٧) لعله : ولا يكون نسخ الا على .... والنسخ.

الى الاطمئنان من النسخ، والله أعلم.

قلت له: واذا كان مال هذا المسجد من قبل في يد رجل، وكان قد أطنى شيئا من مال المسجد، وصارت عنده دراهم للمسجد، فاراد أن يأخذ منها لنفسه بزعمه أن له أجرة من مال هذا المسجد، أيجوز للوالي أن يتغافل عن هذا الرجل فيما يأخذه من الدراهم لنفسه أم لا؟

قال : ان كانت هذه الدراهم التي عند هذا الرجل لم تكن من اكتساب هذا الأجير، وانما اكتسبها الذي هي في يده، فلا يضيق عليه عندي اذا تغافل عنها لانها أمانة عند غيره، وانما عليه أن يحتفظ على مااكتسبه هو أو أمر ببيعه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وأسالك سيدي في مال المسجد اذا جعل للمسجد ولم يجعل لشيء معروف، أتشترى منه البسط للمسجد أم لا؟

الجواب : على ماسمعته من الأثر أن الذي يجعل للمسجد ولم يجعل لشيء معروف من المال يصرف في جدره وعماره في أكثر القول، وقول يجوز أن يصرف في البسط والسراج، وأما لشرب الماء فلا، والله أعلم.

قلت له : واذا كان مسجد بينه وبين رجل طريق لأهل البلد، وكان بيت الرجل أعلى من المسجد، فاراد أن يبني غرفة، أيجوز له ذلك أم لا؟

قال : ان هذا يحتاج الى نظر، وعلى مجمل القول: ان كان البناء يكرب(١٣٨) المسجد في النظر عن مهاب الرياح، لم يجز ذلك، واذا كان يمنع الرياح عن المكان الذي يكون فيه عمار المسجد في زمان الحر، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله)، وأسالك سيدي عن مال المسجد، خمسه لعمارته، وخمسه لفطرة شهر رمضان، وخمسه للهجور(١٣٩)، هل يجوز أن يطنى هذا المال وتقسم دراهمه؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا أدركتموه يطني وتقسم دراهم، فلاباس بذلك ان اقتفيتم بما أدركتم من السنة ان شاء الله، وان كنتم أدركتموه يقسم تمرا وخفتم ان تركتموه الى أن يصير تمرا يتلف أو يتلف الكثير منه، وان أطمنيتموه كان محصودا، فلا أقول ان ذلك يخرج من الصواب على نظر

(١٣٨) يكرب : يضيق ، يمنع.

(١٣٩) الهجور : مايؤكل في الهاجرة ، أي : القيلولة .

المصلحة.

قلت له: ومن أقر بنخلات للمسجد سنة، ثم بعد ذلك باعها على رجل، والرجل قد علم بإقراره؟

قال: فاذا صح الاقرار من هذا المقر فلا رجعة له بعد الاقرار في معنى الحكم، وليس لمن علم بإقراره أن يشتريها منه، ولا تقبل حجته هذه، الا أن يصبح باطل اقراره بوجه يبطله، والله أعلم.

قلت له: واذا ادعى عمار المسجد على رجل حقا للمسجد، فانكر الرجل ولم يصح عليه ماأراد المحتسب للمسجد أو العمار، نامر هذا الرجل أيحلف أم لا؟

قال : لايمين في مال المسجد على ماسمعته من الأثر الا أن يكون المخاصم للمسجد في شيء ان لم يقر به الخصم ضمنه المخاصم من ماله باع عليه شيئا من مال المسجد، فانكره الثمن، وكان البيع عليه نسية، فعسى أن يكون في مثل هذا اليمين، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، الى الشيخ صالح بن سعيد المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي وكيل المسجد أو اليتيم أو وكيل الامام في يده مال يشتري لهم مايحتاجون اليه ويتجر على مال(١٤٠) المسجد أو اليتيم ولم يحضره شيء من الدراهم عند الشراء، أيجوز له أن يستقرض عند أحد من الناس، أو يسلم هو من عنده ليأخذ عوضه؟

الجواب : أما وكيل المسجد واليتيم اذا أقرضهما من عنده على نيته أن يأخذ عوضه من مالهم مثل ماأقرض، فلا يضيق ذلك عندي، وأما وكيل مال المسلمين فلم أحفظ فيه شيئا بعينه ويعجبني جواز ذلك اذا جعل له ذلك الامام أو الوالي الذي وكله. وأما أن يستقرض من غيره اذا كان احتاج الى ذلك، فارجو أن في ذلك في اختلافا، أن يستقرض لليتيم والمسجد، ويعجبني جواز ذلك اذا احتاجا اليه. وأما القرض في بيت مال المسلمين فجائز ذلك اذا احتاجوا لعز الدولة، وأما هو أن يقرض من أمانته فلا يعجبني له ذلك، واذا اقترض شيئا ضمنه ولايبرأ اذا رده الى أمانته حتى يقبضه من يبرأ بقبضه منه، والله أعلم.

وقلت له: اذا كان وكيل المسجد غير ثقة أيكون قوله مقبولا؟

(١٤٠) لعل الصواب : بيال .

قال : فعلى ماسمعته من الأثر اذا كان مال المسجد في يد غير ثقة، فقوله مقبول على مافي يده، أن هذا للعماروأن هذا للفطرة أو غير ذلك، فلا أحفظ خلافا بين الدراهم والاصول والتمر، والله أعلم.

قلت له: واذا انخرق جدار أو انصدع أيجوز هدمه أم لا؟

قال : يحتاج هدمه الى نظر العدول، فان قالوا أنه مخوف جاز هدمه، والمخوف على ماجاء به الأثر اذا كان انصداعه عرضا، ولم يكن صاعدا من الأرض الى السماء. وأما في العرض للمسجد فلا يضيق ذلك، ان شاء الله، على وكيله على بعض القول. وأما بيع أصله في عمارة فلا يجوز اذا كان الأصل موقفا وان لم يكن موقفا وخيف على المسجد الذهاب، فقيل انه جائز ذلك، والله اعلم.

قلت له : وما تقول في امريء جاء الى جماعة مسجد وقال: على هذا المسجد مائتا لارية وخمسون لارية فضة، ولم أجد دراهم وأريد أن أبايعكم المال الفلاني بهذه الدراهم فرضوا(١٤١) به الجماعة، ورأوا صلاحا للمسجد، واستغلوه سنينا فانهدم شيء من المسجد، ولم يكن عنده دراهم لعماره، فأراد الجماعة بيع هذا المال، فقال البائع الأول أنا اشتريه منكم بمائتي (لارية) فضة، فبايعوه(١٤٢) الجماعة، أيجوز الشراء للمسجد أم لا؟

قال : أما الشراء للمسجد فلا يجوز الا على نظر الصلاح، والله أعلم.

قال المؤلف : واذا لم يحصل له دراهم لبنائه فجائز بيع أصل ماله لما يحتاج اليه اذا خيف خرابه، والله أعلم. رجع.

فصل

قلت له : واذا غير البايع الأول بادعائه الجهالة بعدما ارتجعه، أيجوز لك أم لا؟

قال: لم يعجبني أن يكون له رد المال على المسجد بعدما ارتجعه وقبله في معنى الحكم، الا أن يكون على نظر الصلاح برأي الجماعة من المسلمين.

قلت له : واذا احتاج مال المسجد للفسل(١٤٣) والماء والهيس(١٤٤)، أيجوز أن تطنى ثمرته ويفعل بها كذلك، والمال في الأصل سهمان للفطرة،

---

(١٤١) لعل الأنصح : فرضيت .

(١٤٢) لعل الأنصح : فبايعته.

(١٤٣) الفسل : الغرس ، فسل الصرمة : غرسها.

(١٤٤) الهيس : حراثة الأرض .

وسهمان للهجور، وسهم للعمار؟

قال : أما في صلاح المال وفسله من علة، فيعجبني جوز ذلك على نظر الصلاح اذا كان، ان لم يعمر من غلته، وقع عليه الخراب والضياع، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن جمعه بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): واذا أراد رجل أن يبني مسجدا قرب مسجد سابق من قبل، هل لذلك حد وذرع معروف أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان في ذلك اختلافا بين المسلمين، قال من قال من المسلمين: أنه يفسح المسجد عن المسجد بقدر ما لايرى المسجدان. وقال من قال: بقدر ما لو أراق الرجل من البول وقام ليتوضا لم يدرك الصلاة مع الجماعة في المسجد السابق، وقال من قال من المسلمين: أن المسجد يفسح عن المسجد بقدر ما لايخرب المسجد الأول بعمارة المسجد الثاني. وقال من قال: لانمنع أن يبني مسجد قرب مسجد، والله أعلم.

قلت له : واذا أوقف رجل نخلة لمسجد للهجور أو للفطرة وقفا مؤبد الى يوم القيامة، أيجوز له أن ياكل منها في المسجد؟

قال : في ذلك اختلاف، قال من قال: ياكل منها، وقال من قال: لا ياكل منها، والله أعلم.

فصل

ومنه أيضا (رحمه الله)، الى الوالي صالح بن عبدالله الفلوحي النزوي (رحمه الله): وفي مسجد وجد جداره قائما مقدار قامة أو قامتين أو أقل أو أكثر وفيه مكان أرفع من الآخر، ولم يوجد له غماء، وفي الظن أنه منهدم، هل يجوز أن يرفع جداره على قدر الاعلاء منه ويغمى، أم لا يجوز ذلك حتى يصح بالنسبة العادلة، أم الشهرة في هذا تكفي؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا اطمان القلب أن الموضع الخافق (١٤٥) منهدم، فجائز أن يرفعه على قدر الاعلاء منه، وفيما عندي أن هذا الذي وصفته منهدم، وكذلك الشهرة في مثل هذا، اذا لم تكن انها تشهره واطمان قلب المبتلى به، فلايضيق عندي ذلك. وكذلك اذا اشهر شهرة لا ترد أن هذا

(١٤٥) الموضع الخافق: الموتع المنخفض.

المسجد يفطر فيه من ماله وأن هذا المال يفطر بغلبة صائمي شهر رمضان في المسجد الفلاني، فاذا اطمأن القلب بذلك فلا يضيق ذلك، وأما عدد الشهرة، فقال من قال: ماعدا شهود الزنا وهو خمسة، وقال من قال: أربعون وفيهم عالم، وقال من قال: أحد عشر رجلا، وقال من قال: اذا اشتهر الأمر وكثر فالقوا(١٤٦) الخبر، فذلك حد الشهرة، وقال من قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكل قول المسلمين صواب معمول عليه(١٤٧)، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول سيدي في وكيل المسجد اذا اشترى بهما مثل نصف أو ثلث أو ربع أو أقل أو أكثر، وطلب شركاؤه المقاسمة، هل يجوز له أن يقاسمهم بنفسه، أم يحتاج هذا الى حضرة حاكم من حكام المسلمين، أم بحضرة جماعة المسجد، كيف ذلك؟

الجواب وبالله التوفيق : انه ثقات(١٤٨) المسلمين والبائع لهذا المسجد هذا السهم ويقسم هذا المال بين المسجد والشركاء، لأنه يوجد في الأثر أن من أزال حصة له من مال المسجد أو شيء من الوقوفات، فانه يؤخذ بمقاسمة ذلك اذا طلب الشركاء ذلك، والله أعلم، وأما وقف هو الذي يأكله الجماعة يرونه من مال المسجد وهو الذي يوصى به للوقف ليأكله الجماعة على رأيهم، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي خلف بن سنان الغافري (رحمه الله): وما معنى الرواية التي جاءت في الأثر: «المؤذنون أمناء والأئمة ضمناء»(١٤٩)؟

الجواب وبالله التوفيق : ففي ذلك اختلاف، فقيل: في القراءة اذا أدركه راكعا، وقيل: انما هو بما يغيب من الجماعة من أمره من نية أو طهارة أو قراءة السر، وأما المؤذن فانه ظاهر يشترك فيه جميع الناس وكل مؤذن مؤتمن في دينه بمعرفة الوقت، والله أعلم.

---

(١٤٦) الصواب: ناقلو.
(١٤٧) الصواب : معمول به .
(١٤٨) السياق يوحي بنقص في الكلام.
(١٤٩) أخرجه بمعناه أحمد وأبو داود والترمذي .

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الوالي عـامـر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله) وسالتـه عن مسجد عادته الوقود بالنار عن البرد، فاراد الجماعـة مكان الوقود هنا للسراج لأجل القراءة حتى يقيم المسجد، وكان مال المسـجـد على رأي الجماعـة. أرأيت اذا لم تكن له عـادة في وقـود النار، فاراد الجماعة أن يجعلوا هنا للسراج، أيجوز ذلك أم لا؟ بين لنا ذلك؟

الجـواب وبالله التـوفيق : جائز ذلك على نظر الصلاح لعمار المسجد على بعض قـول المسلمين، وأمـا اذا كـان مـال المسـجـد وقـفا ينفذ على رأي عمار المسـجد، فاراد العمار أن يجعلوا في هذا المسجد سراجا من المسجد، فجائز ذلك ولو لم يكن لهذا المسجد عادة، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، وهذا ماسالته عنه (رحمه الله)، قلت له: صف لي سيدي لفظ وكالة المسجد اذا أراد الحاكم أن يوكل أحدا، عرفنا ذلك؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : أمـا لفظ عـقد وكالة المساجد فهي: «بسم الله الرحمن الرحيم، قد أقمناك يافلان وكيلا لمسجد كذا من قرية كذا في القيام به، والقـيـام بمـصالحه، والقيام بماله، والقيام بمصالح ماله، ومقاسمة شركائه، وحـفظ ماله، وحصاد غلة ماله، وبيع ماجاز بيعه من ثمار ماله الذي يؤول اليـه لعمار أو لما يؤكل فيه من فطرة أو وقف، أو لمن يسال فيه من السائلين، أو غير ذلك مما ينسب اليـه، وفي انفـاذ ماله في مواضع. وقد دفعنا لك لوكالة هذا المسـجـد التي شرطناها عليك عشر غـالة أمـواله من ماء وأروض ونخل وغير ذلك مما له غلة، وعلى أن لاخـدمـة عليك لنفسك. وان خدمت مع الأجير شـيئا من خـدمـة هذا المسـجـد فلك أجرتك من مال هذا المسجد مثل أجير من الأجراء الذين استخدمتهم لهذا المسجد في الخدمة التي خدمت فيها. وقد دفعنا لك هذه الشروط التي شرطتـهـا علينا لوكـالة المسـجد من حطب ودراهم من غلة غـالة مـاله ومال وقفه، ومال سائله ومال فطرته في كل سنة تدور، فهذا والله الموفق الى طريق الحق والصواب.

فصـــل

قـال المؤلف : أمـا قـول الشيخ (رحمه الله) في الرواية المتقدمة: المؤذنون

أمناء والأئمة ضمناء، فما شرع(١٥٠) بجهد طاقتي من الكتب وغير ذلك. أما قوله: «الأئمة ضمناء»، أصل الضمين الكفيل الذي يقال ضمن الشيء يضمن اذا كفل به، وهو بكسر ضم الماضي وكسر فتحة من المستقبل، والمعنى مافسره الشيخ من قبل. وأما قوله: «المؤذنون أمناء» لأن ذلك شاهر ظاهر في الناس، وهو مؤتمن في دينه على الوقت في حال معرفته، لأن أصل الأذان الاعلام، يقال آذن وأذن، أي: أعلم بالشيء، وقد قريء به في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ﴾(١٥١)، أي: أعلم، والمشهور في القراءة ﴿وَأَذِّنْ﴾ بالتشديد، وصفة المامور به قد ذكرته في باب الحج، ومعناه أعلم في الناس، أي: أسمعهم بذلك، وقال تعالى في آية أخرى قصة عن القائل: ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾(١٥٢)، أي: أعلمناك ما من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا لما عنهم عاينا الحال، فيكون السؤال عنهم للتوبيخ، أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا، وقيل: هو قول الشركاء، أي: مامنا من يشهد له بأنهم كانوا محقين، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث لايؤذن لشيء من الصلوات قبل دخول وقتها، الا الفجر فانه جائز أن يؤذن لها قبل دخول الوقت الا في شهر رمضان، فلايجوز الآذان الا بعد طلوع الفجر، والله أعلم.

فصل

ومن جامع الشيخ أبي محمد (رحمه الله): والذي يؤمر به المؤذن اذا أراد الأذان أن يكون على طهارة للصلاة ولا يؤذن الا في أوقات الصلوات، الا في صلاة الصبح، فقد اتفق الناس على اجازة ذلك الا في شهر رمضان، فانه لايؤذن الا بعد طلوع الفجر لما في ذلك من منع الناس من الأكل وخاصة العوام الذين لايعرفون الأوقات، فانما يرجعون في ذلك الى تقليد المؤذنين. وينبغي له أن يرفع صوته بالآذان لما في ذلك من الفضل، وفي الخبر: «أن كل شيء بلغ اليه صوته يشهد له يوم القيامة»(١٥٣)، وقيل: يستغفر له، وكان بعض يختار أن يكون المؤذن حسن الصوت عاليا، وكان بعض الفقهاء

---

(١٥٠) كذا في الأصل : ولعل المراد : فأنا أشرحه.
(١٥١) سورة الحج : ٢٧ .
(١٥٢) سورة فصلت : ٤٧ .
(١٥٣) رواه بمعناه أحمد والبخاري والنسائي.

المتقدمين من أصحابنا قد ذكره الشيخ لي انه كان يقول: اني راغب أن أكون مؤذنا وأكره التقديم، وروي عن ابن عباس (رحمه الله) عن النبي ﷺ انه قال: «ليؤذن لكم خياركم وليؤمكم اقرؤكم»(١٥٤) . ويستحب أن يكون المؤذن فقيها عارفا بالأوقات بصيرا بما يجب على المقيم للصلاة مما يفسدها ويثبتها، وقد بلغني أن محمد بن محبوب (رحمه الله) رأى رجلا يقيم الصلاة، ثم أراد أن يتاخر عن موضع الاقامة فامسكه ولعل ذلك كان امام المسجد، لأن محمد ابن محبوب يؤكد في الاقامة، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ فَاسعَواْ إِلَى ذِكرِ اللهِ﴾(١٥٥)، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا نَادَيتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً﴾(١٥٦). واتفقوا على أن الآذان المقصود به للصلوات المفروضات. واتفقوا على أن التطوع لا آذان له. واتفقوا على أن من أدرك شيئا من الجماعة فلا أذان عليه ولا اقامة. واختلف في تقليد المؤذنين والصلاة باذانهم. قال بعضهم: لا تقليد في أوقات الصلاة وأن الفرض لايؤدى الا بيقين، قال الشيخ (رضي الله عنه): كان قول ابن عمر أخذه عنه بعض المتقدمين من أصحابنا. والجمهور من الناس يذهب الى أنهم حجة في أوقات الصلوات لأن أهل الاسلام حجة، والدليل على ذلك ما عليه الناس أن القوم يكونون في المسجد ويأتي المؤذن فيؤذن ويقيم ويصلي بهم أو يكون الامام غيره وهو في جماعتهم، قد تقدم قعوده مع القوم قبل دخول الوقت، وكذلك المرأة تكون في منزلها أو الرجل والأعمى يسمعان الآذان في الوقت الذي يرجونه ولا يكرهونه، فيصلون باذان المؤذن، ولا نجد الفقهاء يمنعون من ذلك ولا لهم مع تعليمهم الناس أمر الدين يشترطون عليهم ترك تقليد المؤذنين. وقال كثير من أصحابنا: باجازة الآذان قبل دخول وقت صلاة الجمعة والفجر، ووجه قولهم: أن بلالا كان يؤذن بليل فرد الجمعة قياسا على السنة من فعل بلال. فان قال: لم تردوا غير الجمعة من الصلوات قياسا على الفجر كما رددتم الجمعة؟ وما الفرق بين الجمعة وغيرها من سائر الصلوات من الجماعات وغيرها؟ قيل له : لما نهى النبي ﷺ عن الفعلة التي أوجبت اجازة الأذان للفجر قبل وقته لقوله عليه الصلاة والسلام: «ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»(١٥٧)، ثم قال في خبر:

---

(١٥٤) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة ٦١، وأورده المندي في كنز العمال ٢٠٩٦٩ .
(١٥٥) سورة الجمعة : ٩ . (١٥٦) سورة المائدة : ٥٨ .
(١٥٧) أخرجه الجماعة ، وهو متفق عليه .

«ان بلالا يوقظ نائمكم ويرد غائبكم»، فكانت هذه العلة موجودة في صلاة الجمعة، لأن أكثر عادة الناس في أيام النبي ﷺ أن صلاة الصبح تفوتهم عند النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «من سمع نداءنا فليجب»(١٥٨)، كانت الجماعة عنده اذا فاتت لم تلحق، وكذلك الجمعة اذا اشتغل الناس عنها بنوم أو غيره، والله أعلم.

والقول الثاني لأصحابنا، أن الآذان لايجوز قبل دخول وقت الصلاة، الا صلاة الفجر يوجبه ظاهره لعلة النظر عندي وذلك أن النبي ﷺ قال: «اذا حضرت الصلاة فاذنا وأقيما»(١٥٩)، فهذا الخبر يوجب ظاهره لأن(١٦٠) لايجوز الآذان الا بعد دخول الوقت وهو حضور وقت الصلاة ، فكان جواز الآذان للفجر قبل وقته مخصوصا من جملة مانهى عنه لأن أمره بالآذان بعد حضور الوقت، وقت الصلاة نهى عن ذلك قبل دخول الوقت، والله أعلم.

فصل

ومن جزء «بيان الشرع»، قيل: ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة، يلبي الملبي ويؤذن المؤذن ويغفر للمؤذنين مد أصواتهم، ويشهد للملبي والمؤذن كل شيء سمع صوته من شجر أو حجر أو مدر أو رطب أو يابس، ويكتب للمؤذنين بكل انسان يصلي في ذلك المسجد مثل حسناتهم ولاينقصون من حسناتهم شيئا، ويعطيهم الله مابين الآذان والاقامة كل شيء يسأل ربه، اما أن يعجل له في الدنيا أو يصرف عنه السوء ويؤخر له في الآخرة، وله مابين الآذان والاقامة كالمتشحط بدمه في سبيل الله يوم يؤذن فيه مثل أجر خمسمائة شهيد، وله أجر القائم بالليل والصائم بالنهار، والحاج والمعتمر، وأجر حامل القرآن والفقه واقام الصلاة، وصلة الرحم، وأول مايكسى يوم القيامة خليل الرحمن بحلته، ثم محمد ﷺ، ثم النبيون والمرسلون ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة عليهم السلام يوم القيامة على نجائب من ياقوت أحمر، أزمتها من زمرد أخضر ألين من الحرير، ورحلها من الذهب الأحمر مكلل بالدر والياقوت، عليها جباذ من سندس ومن فوق السندس الاستبرق، ومن فوق الاستبرق حرير أخضر، على كل واحدة ثلاثة أساور، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي أعناقهم

(١٥٨) أورده الكثيرون، انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣١٦.
(١٥٩) أخرجه أحمد بن حنبل ٣/ ٤٣٦، ابن عدي: الكامل ٣/ ٩٩١.
(١٦٠) لعل الصواب: يوجب ظاهرة عدم جواز الأذان .

الذهب مكلل بالدر والياقوت والزمرد والزبرجد، نعالهم من ذهب وشراكها من الدر، ولنجائبهم أجنحة تضع خطوها مد نظرها على كل واحد فتى شاب أمرد جعد الرأس له كسوة على مااشتهت نفسه حشوها المسك الأذفر(١٦١) ولو تناثر منها مثقال دينار بالمشرق لوجد رائحته أهل المغرب، أبيض الجسم، أنور الوجه، أصفر الحلي، أخضر الثياب، يشيعهم سبعون ألف ملك من قبورهم الى المحشر، يقولون: تعالوا لينظر الى حساب بني آدم وبني ابليس كيف يحاسبهم ربهم، وبين أيديهم سبعين ألف حربة من نور البرق، فذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفداً وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرداً﴾(١٦٢)، والوفد : جمع وافد، والجميع الوفود، أي: وافدين عليها كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين اكرامهم وانعامهم، وفعله وفد يفد وفادة بفتح مهملة الماضي وكسرها من المستقبل، والله أعلم.

فصل

وفي المنقول عن الرسول ﷺ من طريق أنس بن مالك أنه قال: «من أذن سبع سنين محتسبا، حرم الله لحمه ودمه على دواب الأرض»(١٦٣)، ومن حديث آخر: «غفر الله له ذنبه»، ومن حديث آخر: «حرم الله لحمه ودمه على النار»، ومن حديث آخر من طريق أبي هريرة: «أن أطول الناس أعناقا يوم القيامة المؤذنون»(١٦٤). واختلفوا في معنى قوله ﷺ: «أطول أعناقا»، فقال أبو بكر: يعني أطول الناس أعناقا بالثواب، وقال بعضهم: معناه على ظاهره، وأن الله يحدث في أعناقهم طولا، علامة لهم في المحشر وتخصيصا، وقال بعضهم: أطول الناس أعناقا، أي: جماعات، نقول: هؤلاء عنق من الناس، قال الله عز وجل : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(١٦٥)، أي: منقادين، وأصله فظلوا لها خاضعين، فافخمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله، وقيل: لما وصفت الأعناق بصفة العقلاء أجريت مجراهم، وقيل: المراد بها الرسالة والجماعات، وقولهم: جاءنا عنق من الناس يفوح فيهم. والأعناق جمع عنق، بضم العين والنون، وهو عنق الانسان وغيره وهو معروف، يذكر ويؤنث، قال الله عز وجل: ﴿فَاضْرِبُواْ فَوقَ الأَعْنَاقِ﴾(١٦٦)،

(١٦١) الأذفر: ذو رائحة الذفر الطيبة ، والذفر : الطيب الرائحة.
(١٦٢) سورة مريم : ٨٥ ـ ٨٦.
(١٦٣) أخرجه الترمذي : السنن ٢٠٦، البغوي : شرح السنة ٢/ ٢٨٠.
(١٦٤) أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه.
(١٦٥) سورة الشعراء : ٤ .
(١٦٦) سورة الأنفال : ١٢ .

أعـاليـهـا التي هي المذبح أو الرؤوس، وتقول العرب في استخلافها، أمانة الله في عنقك، ولذلك قـيل في عـبـارة الرؤيا: العنق مـوضع الأمانة والدين، فتكون قـوتها وزيادتها قوة لصاحبها على أداء الأمانة وضعفها عجز عن ذلك، وقيل: الأعناق أشراف الناس وسراتهم، وقـيل: معناه في الآية الأولى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَـاضِـعِينَ﴾، فاخر عن المضاف اليه، وجاء بالمضاف مفخما توكيدا لأنهم اذا ذلوا ذلت رقابهم واذا ذلت رقابهم ذلوا، قال الشاعر:

رأت مـر السنـين أخذن مني كما أخـذ السـرار من الهـلال

وقال أيضا :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

وقـال الكسائي : أي خاضعيها هم (١٦٧)، وعـند البصريين لايجوز هذا الحـذف، وقال بعضهم: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، أي: جماعاتهم، ولو أراد جمع عنق من البـدن لقـال: خـاضعة، وفي اللغة عنق بضم النون لغة في عنق، والعناق بفتح المهملة الأولى والمعجمة الثانية وهو الأنثى من أولاد المعز والجميع عنق وعنوق، قال الشاعر :

اذا مرضت منها عناق رايقه

ومثله كثير ، تركته خوف الاطالة .

فصـــل

ومن حـديث آخـر عنه ﷺ من طريق أبي هريرة وابن عـباس (رضي الله عنهما) قـال: «من تولى الآذان في مـسـجـد من مـسـاجـد الله صـابرا محتسبا حافظا(١٦٨) على المواقـيت، يريد وجـه الله، أعطاه الله ثواب أربعين ألفا»(١٦٩)، ومن حـديث آخـر عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي يشرب منه أنا ومن آمن بي ومن استسقاني من الأنبياء، ويبعث ناقة ثمود لصالح، فـيـحـتلبـهـا ويشرب منها والذين آمنوا من قومه، يركبها من عند قبره حتى يوافي بها المحشر، لها رغـاء.....(١٧٠) عليـها» فقال: معاذ يارسول الله، وأنت تركب العـضـبـاء، قـال: «لا، ولكن تركـبـهـا ابنتي فاطمة، وأركب أنا البراق اخـتـصصتها من دون الأنبياء، ثم نظر الى بلال وقال: هذا يبعث يوم القيامة

---

(١٦٧) لعل الصواب : خاضعيها هم .

(١٦٨) لعله : محافظا .

(١٦٩) أورده ابن حجر : المطالب العالية ٢٤٤.

(١٧٠) العـبارة غير واضحة في الأصل.

على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالأذان مخلصا أو حقا، فاذا سمعت الأنبياء وأمتها، أشهد أن لا اله الا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، نظروا اليه كلهم، فيقولون: شهدنا على ذلك، فيقبل من قبل ورد ورد(١٧١) عليه، فاذا فرغ من أذانه، استقبل بحلة من الجنة فلبسها، وأول من يكسى من حلل الجنة، النبيون، ثم الشهداء، ثم بلالا، ثم صالح المؤذنين»(١٧٢)، ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق ابن عباس (رحمه الله): «تفتح أبواب الجنة لثلاث خصال، لمناداة الصلاة، ولقاريء القرآن، وعند نزل الغيث تستجاب الدعوة، وفي الصف عند الصلاة، ولدعوة المظلوم تبرز شرر كشرر النار، لا ترد دعوته دون العرش، يقول لها: أبشري أبشري أنتصر لك عاجلا وآجلا»(١٧٣).

فصل

وأما البراق بفتح الباء والراء وهي ماروي في الحديث أنه ركبها رسول الله ﷺ لما عرج به، وناقة بروق تلمع بدنها من غير لقاح. وبرقان البرق لمعانه، وفعله بفتح مهملة الماضي وضمها من المستقبل، وبرق البصر برقا بكسر المهملة من الماضي وفتحها من المستقبل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾(١٧٤)، تحير عند الموت، وفي الحديث أن عمرو بن العاص كتب الى عمر أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف، دود على عود بين برق وعرق، قال الشاعر :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافرا كاد يبرق

ويقال : برق: أي : طمح ، وبرقت الناقة اذا اشتكلت من أكل البروقة، وقرأ نافع في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾، بفتح راء الماضي، أي : لمع وشخص من هول يوم القيامة، وأما قوله: مي، بفتح الميم مشدد، اسم امرأة، ومية كذلك اسم امرأة والله أعلم.

فصل

وأما تفسير الآذان والاقامة ، فمعنى قول المؤذن : «الله أكبر الله أكبر»، فمعناه التعظيم لله عز وجل، والذكر له بذلك، والوصف له بهذه الصفة

---

(١٧١) لعل الصواب: ورد من رد عليه.
(١٧٢) أورده الزبيدي: اتحاف السادة ١٠/٥٠٧، المندي: كنز العمال ٣٩١٧٩.
(١٧٣) أورده بمعناه الزبيدي : اتحاف السادة ٥/٣٣.
(١٧٤) سورة القيامة : ٧ .

المحمودة الشريفة، لا كبر جثه ولا شخص، وانما المراد بذلك كبر القدر والمنزلة وعلو الشرف الذي ولايوصف به الا هو سبحانه وتعالى عما يصفه الملحدون علوا كبيرا، ومعنى الله أكبر، والله الأكبر، والله الكبير، والله الجليل، والله العظيم، كله بمعنى واحد، ولكن لايقال في الآذان والاقامة الا ماعليه المسلمون من قولهم: «الله أكبر»، ومعنى : «أشهد أن لا اله الا الله»، أي: أعلم يقينا أن لا اله الا الله، لاتجب الشهادة الا بعد العلم اليقين، فينبغي للمؤذن والمقيم وغيرهما أن يذكرا ذلك بقلوبهما، لأن هذه لفظة الايمان الا بها وهي مخرجة العبد من الكفر الى الايمان، لقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله»(١٧٥)، ولايجزي سواها لأنها أعظم الأذكار، وهي المنجية من عذاب النار لقوله ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا اله الا الله مخلصا من قلبه، حرمه الله على النار»(١٧٦)، وهو مفتاح الجنة لقوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة»(١٧٧)، فهذا الاسم الكريم به يدخل الجنة، وبه يحرم على النار وبه الايمان والاسلام، وبه حصن العبد عن القتل في الدنيا، وهو مفتاح الصلاة، ومفتاح الآذان وخاتمته ، ولا يجزيء عنه غيره، لأن الصلاة لايصح فتحها الا به باتفاق علماء الأمصار، وهو أصل الأدعية والأذكار، والرقيا الشافية ولا تبنى الا عليه، وهذا هو الاسم الأعظم الذي خص الله به خواصه وأولياءه من ملائكته وأنبيائه ورسله وأصفيائه الذين نالوا درجات فضله وكرمه، من أمعن النظر فيه وفقه(١٧٨) الله على سره نال مالايبلغ كنه فهمه من لطائف الله وكراماته في الدنيا والآخرة، لما ورد في الخبر المنقول عن أهل العلم أن من أخلص المجاهدة والرياضة، وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة والأعمال القبيحة الرديئة، وجلس في مكان خال، وغلق طرق الحواس، وفتح عين الباطن ، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت، وقال: الله، دائما بالقلب دون اللسان الى أن يصير لا خبر له من نفسه ومن العوالم، وبقي لايرى شيئا الا حضوره بالله تعالى، فينفتح له طاق(١٧٩) ينظر منه، أبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، وتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والأصوات الحسان الجميلة، وتنكشف له ملكوت السماوات

---

(١٧٥) متفق عليه .

(١٧٦) أورده بمعناه كثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٥٦٤.

(١٧٧) أنظر المصدر السابق .

(١٧٨) لعل الصواب : أوقفه الله على سره .

(١٧٩) الطاق ، لعل المراد : نافذة أو كوة.

والأرض وراء ما لايمكن شرحه ولا وصفه، كما قال ﷺ: «طويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...»، وقال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾(١٨٠)، معناه الانقطاع من كل شيء والابتهال الى الله بالكلية، وتجرد النفس عما سواه، وهي طريقة أهل التحقيق العارفين بالله حق المعرفة.

فصل

ومن حديث منقول عن أهل العلم والعلماء بالله واليوم الآخر، أنه قال بعض الأئمة لصاحبه : أريد أن أعلمك فائدة ان قدرت عليها. قال: نعم، فقال: تدوم على قولك: الله الله، لا تذكر سواه وتصوم نهارك، وتقوم ليلك بما استطعت، وتدوم على هذا الذكر، لاتفارقه ليلا ولا نهارا، ولاتكلم أحدا، ولكن في موضع خال عن الناس، سبعة أيام تظهر لك العجائب، ثم دم على ذلك سبعة أيام تظهر لك عجائب السماوات، ثم دم على سبعة أخرى، يظهر لك الملكوت الأعلى، فان بلغت أربعين يوما أظهر الله لك الكرامات وأعطاك التصريف في الوجود. ويؤيد ذلك ما روي في الكتب المنزلة بقول الله عز وجل: «يابني آدم لو ذكرتموني مثل مايذكر بعضكم بعضا لسلمت عليكم الملائكة بكرة وعشيا»، فهذه درجة النبيين والصديقين الذين استاثرهم الله باسمائه الحسنى وآياته العلى حتى بلغوا مابلغوا من خروق العادات ما تفحم عقول ذوي الألباب، وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة، لئلا نطول في هذا الكتاب من هذا الفن الدقيق، ولكن، ان شاء الله ، ان ساعد الزمان فنضف كتابا يحتوي على استئصال هذا الفن بالكلية، ونسال الله أن يوفقنا وجميع المسلمين لما يحب ويرضى، انه على كل شيء قدير.

فصل

وأما المعنى في : «أشهد أن لا اله الا الله»، معناه لايستحق اسم الألوهية والربوبية الحقيقية الا هو، له الملك وله الحمد والأمر، بيده ملكوت كل شيء، وأن ماسواه فهو مخلوق محتاج اليه، وأنه لاتحق العبادة الا له، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١٨١)، قد خلق الخلق على مشيئته وارادته، لايستكثر بهم عن قلة، ولايستعين بهم على دفع شيء، بل خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه ويهللوه ويعظموه حق التعظيم، لقوله عز وجل: ﴿وَمَا

(١٨٠) سورة المزمل : ٨ .
(١٨١) سورة النمل : ٢٦ .

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(١٨٢).

ويعني : «أن محمدا رسول الله»، أي: أعلم ذلك علما يقينا أنه رسول الله، وأن ماجاء به فهو الحق من عند الله، وأن رسالته صحيحة لاريب فيها، وأن ما أتى به واجب لايجوز الا اتباعه والأخذ به، وما نهى عنه فلايجوز الا الانتهاء عنه والتجنب عن فعله، وأن من خالفه فقد استوجب العقاب، ومن اتبعه فقد استوجب الثواب من عند الله عز وجل.

ومعنى قوله : «حي على الصلاة»، فهو الحث على فعل الصلاة، والعرب تحث بحي، أي: أسرع وبادر الى الصلاة، وأما قوله: «حي على الفلاح»، فالفلاح في اللغة على وجوه، فمنهم من قال: الفلاح، النجاة وقال بعضهم: الظفر، وقال بعضهم: الحياة، وقال بعضهم: السعادة، والفلح والفلاح البقاء، والله أعلم، وأما قوله: «قد قامت الصلاة»، اخبار عن اقامتها والانتصاب اليها، والله أعلم. فهذا مايسر الله من بيان الآذان وكثير غير هذا، تركته خوف الاطالة.

فصل

فينبغي للمجتهد في طلب الآخرة أن لايكون أمره وحاله منقلبا، تارة يرابط على أذانه، ورباطه في المسجد لصلاة الجماعة، والذكر لله عز وجل، وتارة مهملا ذلك، لاحظ له في ذلك، بل يكون أمره ثابتا، قويا بجاشه، مسارعا بجوارحه، دائما في أعماله، لأنه في المنقول عن الرسول ﷺ قال: «خير الأعمال أدومها وان قل»(١٨٣)، وقال الله عز وجل في كتبه المنزلة من لم يكن كل يوم في زيادة في دينه فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فما أسرع ذهابه وانسلاخه عنه واستلاب المعرفة من قلبه، فهذه هي البلية العظمى والداهية الدهياء، والمحنة الكبرى، نعوذ بالله من ذلك ومن شر جميع المهالك. وكذلك ان حصلت له خصال من ورد صلاة، أو ذكر الله عز وجل، أو صوم، أو صدقة، أو غير ذلك من أعمال البر، فلا يترك خصلة قد آلفها من قبل من أعمال البر، بحدوث التي هو عليها آلفا مثل الذي يصوم فلا يسارع الى الآذان في المسجد لصلاة الجماعة من أجل أن به جوعا أو ظمأ، فقعد في بيته ليسارع الى الأكل والشرب، أو مثل الذي يتصدق على فقراء قد آلفهم بذلك من قبل، فيتصدق على

(١٨٢) سورة الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨ .
(١٨٣) أورده الزبيدي : الاتحاف ٨/ ٥٧٠ .

آخرين ويترك أصحابه الذي ألفهم بصدقته السالفة، أو مثل الذي رتب ورده كذا كذا ركعة بالأسحار، فعطلها بفعل غيرها من البر، أو قراءة كل يوم في صباحه جزئين أو ثلاثة أجزاء من كتاب الله العزيز ، فتركه بفعل غيره من البر، فصار كلما حصل وردا ترك الآخر، فانما مثله كمثل التاجر ببضائع كثيرة معه، كلما ربح في بضاعة ترك ربح الأخرى بسروره بربح هذه التي ربحها، فصار بلا ربح أو كالذي يجني جرادا كلما حصل واحدة فرح بها، فشغلته عن حبسها، فطارت عنه، أو كالذي تعلم مسائل الشرع كلما حفظ مسالة نسى الأخرى، فكذلك المجتهد في طلب الآخرة كلما حصل وردا قصر عن الآخر، فليس له زيادة، ولاحظ في فعله هذا بتقلبه في أحواله وأموره، بل يكون ثابتا في جميع مايتعوده من خصاله الحسنة ان كان يطلب الزيادة في أجره وفضله وألا يثبت على ورده بالذي عود نفسه من قبل، لأن خير الأعمال أدومها وان قل، فاذا أراد أن يزيد وردا على ورده فلايترك ورده الأول لتحصيل الكرم الجسيم والأجر العظيم، من عند الله العزيز الحكيم.

فصل

وكذلك ان أراد أن يعود نفسه من الأوراد الايمانية والخصال الاحتسابية التي هي فضائل وشعار أنبياء الله وأصفيائه، فلايسلكها الا بعد تخليصه من الفرائض التي أوجبها تعالى عليه، لأن الاشتغال بالسنن من دون الفرائض حمق ورعونة، فان اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم تقبل منه، ولحقه الهوان والذل والصغار عند الله والعذاب الشديد، فانما مثله كمثل أجير أجر على أن يعمل شيئا قد أراد الذي أجره أن يعمله في نهاره ونهاه أن يعمل غيره دون أن يتخلص من هذا الذي أجره عليه، فحاد من عمله الذي أجره عليه الى عمل آخر وأتعب نفسه في عمله ذلك وترك الذي ندب اليه وقد توعد عليه صاحبه أن يتركه ووعده أن فعله، فلما أن خالف طرده عن خدمته، ومنعه أجرته، فما لذلك الا النصب والتعب والذل والهوان، أو كالذي أمره الملك بخدمته وخصه بخدمة معلومة، فابى وصار يخدم وزيره، وهو خادم الملك وتحت يده وولايته، كما روي في الحديث عن الرسول ﷺ من طريق علي بن أبي طالب، أنه قال: «مثل المصلي للنوافل قبل الفرائض كمثل حبلى حملت، فلما دنا نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل، ولا ذات ولادة»، فكذلك المصلي لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة، ومثل

المصلي كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى ياخذ رأس ماله، وكذلك المصلي لايقبل الله له نافلة حتى يصلي الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم تترتب مع الفرائض ولم ينص عليها، فمن الفرائض ترك الحرام، والشرك بالله تعالى بخلقه، والاعتراض عليه في قدره، واجابة الخلق وطاعتهم، والاعراض عن طاعة الله عز وجل وطاعته، كما قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١٨٤).

فصل

وحكي لنا أن بعض المشائخ الدينونة من نزوى قبل امارة الامام ناصر ابن مرشد (رضي الله عنه) قد اجتهد في صلاته وصيامه وقيام ليله والذكر لله عز وجل بلسانه وطهارته من الأنجاس الظاهرة حتى لم ترض نفسه بطهارة خلواء نزوى(١٨٥)، وابنة فواكههم، وهو بثياب مبيضة، وهيئة كهيئة أهل الرياضة العارفين بالله عز وجل، وهو مع ذلك أول من يقدم على ظلم الناس ظاهرا وباطنا. فانظر كيف كان اجتهاده مع تحصيل الوسائل والفضائل من كثرة الصدقة والقيام بالليل والطهارة الكاملة، مع ترك الفرائض الواجبة عليه فعلها من ترك أخذ أموال الناس، ورعونة النفس، وتغرير بغير الحق كالذي يفعله أهلا الخلاف لديننا، بأن ينهب أحدهم جمة من أموال الناس، ثم يتصدق به على جمة من الفقراء، متاولين أن تلك سيئة واحدة وهذه جمة من الحسنات، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(١٨٦)، وما ذلك الا بلية عظيمة، ومحنة شنعاء، فانما مثله كمثل الذي يصلي صلاته بخشوع وخضوع ويتلو ويرتل وقد حمل عذرة في ثوبه يصلي بها، فما لذلك المصلي الا النصب والتعب، أو مثل التاجر الذي حصل له خير كثير من صدقه في بيعه الموسوم بالشرع والربح القليل والرزق الكامل لمؤنته وعياله، فسولت له نفسه ليدين دين(١٨٧) الربا، ليذهب الأصل والفرع، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(١٨٨)، فهذا حال من ترك الفرائض التي أمر الله بادائها، وارتكب النواهي التي نهى الله عن فعلها، فلو تجنب هذا الرجل أموال الناس البتة وجميع المناهي، وقام بجميع الأوامر، وكان على ترتيبه الذي ذكرته من قبل

(١٨٤) أخرجه الكثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ٧/ ٢٦٥.
(١٨٥) خلواء نزوى، لعل الصواب : حلوى نزوى.
(١٨٦) سورة هود : ١١٤ .
(١٨٧) لعل الأفصح : أن يستدين بالربا .
(١٨٨) سورة البقرة : ٢٠٥ .

من سهر ليله لقيامه، وصيامه بالنهار، لرأى ما رأى من لطائف الله وصنائعه وكرامته ورحمته ما لايمكن شرحه، لأن اليقظة لطاعة الله عز وجل شعار أنبياء الله ورسله وأصفيائه من خلقه، والنوم من الأوصاف التي هي أدنى من اليقظة، فكذلك ربنا جل جلاله نزه نفسه عن السنة والنوم لأن الأوصاف الجليلة الكاملة الشرف لا تليق الا به عز وجل، وكذلك ملائكته لما قربوا منه تعالى نفي النوم عنهم، وأهل الجنان لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأعلاها وأشرفها نفي النوم عنهم، فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، لأن من أكل بهوى نفسه، أكل كثيرا، وشرب كثيرا، ونام كثيرا، وندم كثيرا على ماقصر من قيامه بطاعة ربه عز وجل، وفاته من ذلك خير كثير يعجز عن وصفه، ومن أكل قليلا من الحرام كان كمن أكل كثيرا من المباح بهواه، لأن الحرام يطمس القلب ويعميه عن نظره الى ملكوت السماوات والأرض، كما أن الخمر تظلم العقل وتذهبه، فاذا أظلم القلب ذهب الإيمان، واذا ذهبا الإيمان فلا صلاة، ولا اخلاص، ولا فكر في ملكوت السماوات والأرض، فكذلك من أكل الحلال كثيرا بهواه يدخل في حيز الذين قال الله فيهم: ﴿وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُم﴾(١٨٩)، لأن ذلك يؤدي الى الشرب الكثير والنوم الكثير، ثم انه يتولد منه جماع كثير، فاذا تولد منه جماع كثير احتاج الى كثير من المال ليقيم بأحوال أهوائه وتطلبه اليه، فاذا تعبت نفسه في جمع الدنيا وطلبها والحرص عليها فيظهر بذلك مزاج شره وبطر في النفس، كان كامنا من قبل، فيتولد من هذا المزاج تفاخر وتكبر وتطاول على الغير، فصار يحسد كل من طاوله، ويغتاب كل من حسده، فحينئذ يغرق في بحر عميق قعره، شديد أمره، فظيع عومه، عسير رومه من المعاصي الباطنة التي نكتت في القلب من الغل والحسد والكبر والنفاق والتكبر والتغرير بغير الحق فامتلأ القلب من ذلك، فانطمست أنواره، وانتهكت وأظلمت أقطاره، خباط عشواء في ليلة مدلهمة ظلماء، ان لألا له سنا الايمان لم يشعر به من كثرة اشتغاله وامتلائه من هذه الخصال المذمومة، وان ترقرق له آل الجمع، والتطاول والحرص انشرح به صدره، وانفسح أمره، وقوي ذكره، وزال مابه من الهموم والغموم فيسرع اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم، وفتر البتة عن طاعة الله عز وجل. فكل هذا يتولد من اتباع الهوى النفساني من أكله وشربه الذي هو على غير القصد، قال الله عز وجل: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ

(١٨٩) سورة محمد : ١٤ ، ١٦ ، سورة القمر : ٣ .

لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(١٩٠)، وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم وَلَا تَعتَدُوا إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعتَدِينَ﴾(١٩١)، وقد شرحت بيان هذه الآية في غير هذا الموضع، فانظر أيها المجاهد نفسه فيما نهى الله عز وجل عن الاسراف والاعتداء في الأكل، وذلك كله يعم الحرام والحلال المباح اذا كان على غير المقصود الا بهوى النفس ورعونتها لأن على المرء أن يكون ناظرا لنفسه نظرا يؤدي بها الى المصالح الخيرية، وقد نهى الله عز وجل أن يسرف في الأكل الحلال المباح، وأن يقيد حدوده فيما حرم من الأكل وغيره، فلايجوز الا اتباع ما أمر الله عز وجل، ورسوله محمد ﷺ لأن الحلال المباح نور على نور، اذا كان من غير اسراف ولا اتراف. والحرام ظلمة على ظلمة، ولو نقيرا ومثقال ذرة لا خير فيه، فاكل الحلال بهواه كاكل قليل من الحرام، كله بهوى نفس، يجلبان الظلمة في القلب ويورثان القساوة. فنعوذ بالله من ذلك ومن شر جميع المهالك. ولو أردنا أن نشرع في هذاالفن لطال الكتاب، وما أردنا في كتابنا الاطالة غير هذا(١٩٢)، وسنشرح ان شاء الله تعالى كتابا آخر في هذا المعنى من بعد أن وفق الله وطال العمر، والحمد لله كثيرا.

فصل

وسأذكر طرفا من فضائل الجمعة لم أذكره في أول الباب، ففي الحديث عن النبي ﷺ من طريق أبي هريرة أنه قال: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الثالثة فكأنما قرب كبشا، ومن راح في الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الخامسة فكأنما قرب بيضة، فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر»(١٩٣)، وقد ذكرت أول الباب [فضائل الصلاة] وظيفة ترتيب الملائكة في المسجد، فالساعة الأولى تكون بعد صلاة الصبح، والثانية عند ارتفاع الشمس، والثالثة عن انبساطها، وهو الضحى الأعلى اذا رمضت الأقدام بحر الشمس، والرابعة تكون قبل الزوال، والخامسة اذا زال الشمس أو مع استوائها.

---

(١٩٠) سورة الأعراف : ٣١ .
(١٩١) سورة المائدة : ٨٧ .
(١٩٢) لعل المراد : أكثر من هذا، أكثر مما ذكرنا.
(١٩٣) سبق تخريجه.

فصـــل

ومن حـديث آخـر عن الرسـول ﷺ من طريق ابي هريرة : «ياابا هريرة اغـتسل كل يوم جمعة، ولو صار أن شراء الماء بقوت يومك» ، فغسل الجمعة مسـتـحب عند المسلمين، وينوي بغسله خدمةمولاه. وان أصبح جنبا توضا واغـتـسل، فـان نوى بغـسله للجـمـعة والجنابة أجزاه ذلك، ويتنظف باخذ شـعـره وظفره وقطع رائحـتـه النتنة، ويلبس أحسن ثيابه البيض الطاهرة مـنـهـا، ويـتـعـمم ويرتدي، لما جـاء في الحـديث : «ان الملائكة تصلي على أهل العمائم يوم الجـمـعـة»، ويتطيب باطيب رائحة طيبة، مما ظهر ريحه، وخفي لونه، وليخرج من بيته الى الجامع وعليه السكينة والوقار، خاشعا متواضعا مخبـتـا مـفـتـقـرا الى الله عـز وجل، مكثرا من دعائه واستغفاره والصلاة على رسـول الله ﷺ، وينوي بخـروجـه زيارة مـولاه في بيـتـه، والتقرب اليه باداء فـرائضه، والعكوف في المسجد الى حين انقلابه الى بيته، ويكف جوارحه وقلبه عن هوى نفـسـه في طريقـه، وفي المسـجـد وبخلع ثوب راحـتـه يوم الجمعة وليلتها وليحتسم(١٩٤) جميع حظوظ دنيـاه، وليـواصل الأوراد والعـبادة في هذا اليـوم العظيم، فـيجعل أول نهاره الى انقضاء صلاة الجمعة لخدمة مولاه من أوراد الصـلاة وغيرها، ثم يجعل من انقـضـاء صـلاة الجـمـعة الى صلاة العصر لاسـتماع الذكـر، وبعـد صـلاة العصر الى غـروب الشـمس تسـبيحا واستغفارا. وأفضل مايشتغل به في هذا الوقت في كل يوم وليلة من الأذكار أن يقـول : لا اله الا الله وحـده لاشريك له، له الملك وله الحـمـد، يحيي ويميت، وهو حي لايمـوت، بيـده الخير، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، اللهم صل على محمـد عـبـدك ورسولك النبي الأمي ونبيك، مائة مرة، واستغفر الله الحي القـيـوم وأساله التـوبة، مائة مرة، ماشاء الله لا قوة الا بالله، مائة مرة، فذلك سـبـعمائة مـرة من أنواع الأذكار، وان قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ الف مرة في يوم الجـمـعـة في عشر ركـعـات أو عشرين ركعة أو في غير صلاة، كان أفضل من خـتـمـة القـرآن، ويكثـر من الصـلاة على النبي ﷺ، فـانه يوم تضـاعف فيه الأعمال، وتجنب في الأشـغـال. قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١٩٥)، وقد بينت ذكر هذه الآية وتفسيرها، وفضائل الصلاة في

(١٩٤) غير واضحة في الأصل .
(١٩٥) سورة الجمعة : ٩ .

أول البـاب، والله أعلم، وان اتفق أن يكون ورده في يوم الجـمـعة وليلتها تلك الصـلاة التي شرعتها في باب الصلاة، وهي صلاة المخبتين، فقد فاز فوزا عظيما، ان كان على نية اخلاص مع حسم جميع المعاصي، والله الموفق لطرائق الحق والصواب.



المنثورة العاشرة

في الزكاة وغيرها ومايجوز

من ذلك وما لا يجوز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طهر أعراض الأموال بسيول تسليم الصدقات، صقل نواظر الأملاك بوقت وجوب الزكوات، وأمر بتسليمها جميع المسلمين والمسلمات من أهل الدراهم والحيوانات، حتى أوجب لمسلمها الصلاة على نعشه، وطهره بذلك من جميع غشه، لقوله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١)، هذه الآية ـ والله أعلم ـ انها نسق على ماقبله، وهي التي قال الله تبارك وتعالى اخبارا عنهم: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، قيل ـ والله أعلم ـ : أن هذه الآية نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، وقالوا: أنكون في الظلال مع النساء، ورسول الله ﷺ في الجهاد واللأواء، فلما قرب رسول الله ﷺ لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون الرسول ﷺ هو يطلقنا ويعذرنا، فاوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرآهم، فقال : «من هؤلاء؟» فقالوا: هؤلاء الذين تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لايطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت تطلقهم وترضى عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أقسم بالله أن لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أؤمر باطلاقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين»، فانزل الله عز وجل هذه الآية، فارسل اليهم رسول الله ﷺ فاطلقهم وعذرهم، فلما أطلقوا قالوا: يارسول الله ، هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا، فانزل الله تعالى هذه الآية، وقريء ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ بسكون الراء جوابا للأمر، وتطهرهم من أطهره.

فصل

تبوك ، بفتح المعجمة الأولى وتخفيف الثانية، وهو موضع، ويقال: ان تاءه زائدة وهو تفعل من البوك، وهو استخراج الماء، اللأواء: الشدة والمشقة، وفي الحديث: «من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهم كن له حجابا من النار»(٣)، وقال الحريري في خطبته: «الحمد لله المحمود اللآلاء، الواسع

(١) سورة التوبة : ١٠٣ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٢ .

(٣) أخرجه مطولا الزبيدي في الاتحاف ٥/٣١٦، أحمد بن حنبل ٢/ ٢٣٥، والترمذي حديث رقم ١٩١٦.

العطاء، المدعو لحسم الأذاء»، معناه أن الله تبارك وتعالى يدعوه الداعي أن يحسم عنه جميع المشاق والشدائد. وأصل الحسم القطع، يقال: حسم يحسم حسما بفتح المهملة من الماضي وكسرها من المستقبل، ومنه سمي السيف حساما. وحسم العرق متابعة كيه بالنار كي لايسيل دمه، يقال: اذا كويت فاحسم، وأما قوله عز وجل: ﴿سَبعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾(٤)، أي: متابعة بالعذاب، فحسوما على هذا القول: جمع حاسم، مثل جلوس جمع جالس. ويقال: حسوما مصدر، وحسمتهم حسوما، أي: قطعتهم ، وتقديره ذات حسوم، وقيل: الحسوم، السوم، وقيل: يجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة، بمعنى قطعا، والله أعلم.

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿سَبعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، هي الأيام التي سمتها العرب أيام الفجور ذات برد ورياح شديدة، وقيل : سميت عجوزا لأنها في عجز الشتاء، وقيل: سميت بذلك لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتتبعتها الريح فقتلتها، والله أعلم بصحة ذلك، وأما حسم بضم الحاء: أسم موضع، قال النابغة :

عفى حسم من قرينا فالقوارع

والله أعلم بذلك. وقوله في رواية القوم : لنوثقن أنفسنا بالسواري، وهي جمع سارية، وهي الاسطوانة، والسارية السحابة تاتي بالليل، لأنها تسري:

وسارية تستصحب الضحك والبكاء ... وعنها بالدمع مع ذاك تسجم
فباتت وشرق الأرض منها وغربها ... آناء من الماء المنزل مفعم
فقلت لها مهلا فمنك ابن مرشد ... امام الهدى أندى وأسخى وأكرم

وضحكة بضمها، يقال: ضحك يضحك ضحكا بكسر المهملة من الماضي وفتحها من المستقبل، قال الخليل: والضحك بكسر الضاد، ولو قيل : ضاحكا على الأصل كان قياس، قال الله عز وجل : ﴿وَامرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَت﴾(٥)، أي: سارة، وهي امرأة ابراهيم الخليل عليه السلام. واختلف في ضحكها، قيل: أنها حاضت في الوقت، قال الحريري: قال: فان ضحكت المرأة في صومها، قال: بطل صوم يومها، كما تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت، وقال الأكثرون: ان الضحك من امرأة ابراهيم عليه السلام هو الضحك المعروف. واختلفوا في

(٤) سورة الحاقة : ٧ .
(٥) سورة هود: ٧١ .

سبب ضحكها، فقيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن ابراهيم عليه السلام، حين قالوا: ﴿لَاتَخَفْ﴾(٦)، وقيل: لما قرب ابراهيم الطعام اليهم فلم ياكلوا فخاف ابراهيم، فظنهم لصوصا، وقال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾(٧) قالوا: لناكل طعاما الا بثمن، قال ابراهيم عليه السلام: فان له ثمنا، قالوا، ومانمنه، قال تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبرائيل الى ميكائيل، وقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا. فلما نظر ابراهيم عليه السلام وزوجته سارة ﴿أَيْدِيَهُمْ لَاتَصِلُ إِلَيْهِ﴾(٨)، أي: الى العجل الحنيذ، المحنوذ: هو المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سمينا يسيل دسمه لقوله تعالى في موضع آخر : ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾(٩)، فلما نظر ابراهيم وزوجته سارة أيدي الملائكة لاتصل الى العجل ﴿نَكِرَهُمْ﴾، وضحكت سارة وقالت: ياعجبا لأضيافنا أنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم، وهم لاياكلون طعامنا. وقيل: ضحكت من غفلة قوم لوط، وقرب العذاب منهم. وقيل: ضحكت تعجبا بان يكون لها ولد، في كبر سنها وسن زوجها. وقيل: سرورا بالبشارة. وقيل: غير ذلك تركته خوف الاطالة، وأما عدد الرسل الذين دخلوا عليه فيما قيل ـ والله أعلم : أنهم كانوا ثلاثة، جبرائيل وميكائيل واسرافيل، وقيل: كانوا تسعة، وقيل: كان جبريل ومعه سبعة، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة. وأما الضحك بفتح المعجمة، يقال كافور النخل وهو طلعه حين ينشق، وقيل: هو الثلج، وقيل: هو الزبد، وقيل: الشهد. ومتعديه أضحك فلان فلانا، اذا فعل له ليتعجب منه، فيضحك، لقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾(١٠)، فهذا يدل على ماكان يعمل الانسان فبقضائه وقدره حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر، وفي الحديث قيل لجابر بن سمرة: «أكنت تجالس النبي ﷺ، فقال : نعم، وكان أصحابه يجلسون ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم معهم اذا ضحكوا، يعني النبي ﷺ»، وفي الحديث سئل ابن عمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون، قال: نعم، والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

(٦) سورة هود : ٧٠، سورة الذاريات : ٢٨ .
(٧) سورة الذاريات : ٢٦ .
(٨) سورة هود : ٧٠ .
(٩) سورة الذاريات : ٢٦ .
(١٠) سورة النجم : ٤٣ .

وأما قوله في بثينة :

وأعينها بالدمع مع ذاك تسجم

وأصل السجوم : السيلان، يقال : سجم الدمع، والمطر سجوما وسجما فهو ساجم، وسجم الدمع من عينيه، فهو مسجوم، يتعدى ولا يتعدى، وهو بفتح المعجمة من الماضي وضمها من المستقبل قال الشاعر :

تذكرت شجوا ضاقني بعد هجعة على خالد والعين دائمة السجم

الشجو : الحزن ، والله أعلم، يقال : شجاه يشجوه شجوا، أي: خزنه(١١)، والله أعلم.

فصل

وأما قوله عز وجل : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾(١٢)، قال ابن عباس: الذين لايقولون لا اله الا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، وقيل: معناه لايقرون بالزكاة، ولا يرون اتيانها واجبا، وكان يقال: الزكاة قنطرة الاسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك وغوى.

فالله الله ، اخواني، في أداء زكاة أموالكم، وحسم أمنيات آمالكم، وأحسنوا لأقربائكم، وارحموا كربة ضعفائكم، واسمعوا قول أئمتكم وعلمائكم، ولا تبخلوا بصدقاتكم وقرباتكم، ولا تكتموا ما آتاكم الله من فضله، لقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١٣)، محل ﴿الَّذِينَ﴾ النصب على البدل من قوله من كان، وقيل: منصوب على الذم أو رفع على تقديره هم الذين يبخلون، وقيل: مبتدأ خبره محذوف تقديره ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾، وقرأ حمزة والكسائي بفتح الباء والخاء. والبخل معناه في كلام العرب: منع السائل فضل مائدته، وفي الشرع: منع الواجب. قيل ـ والله أعلم ـ : ان هذه الآية نزلت في اليهود، بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكتموها. وقيل: نزلت فيمن يبخل بالعلم ويكتمه. وقال ابن عباس (رضي الله عنه) : نزلت في قوم بني زيد، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن النابوت، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحر بن أبي عمر، وكانوا ياتون رجالا من الأنصار

---

(١١) لعل الأنصح : أحزنه .

(١٢) سورة فصلت : ٦ ـ ٧.

(١٣) سورة النساء : ٣٧ .

ويخالطونهم ويقولون: لا تنفقون(١٤) أموالكم، فانا نخشى عليكم الفقر، ولا تدرون مايكون، فانزل الله عز وجل هذه الآية، والله أعلم.

فافهموا ، اخواني، واعتبروا وأدوا الواجب الى امامكم ولا تكنزوا دراهمكم فتهلككم يوم القيامة لقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١٥). يجوز ان يراد به ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطفا على ماقبله ﴿إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ﴾ يفعلون كذلك، فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والفتن به، أو المراد به المسلمين الذي يجمعون المال ولا يؤدون منه الواجب، وقيل ـ والله أعلم ـ : لما نزلت هذه الآية كبر على المشركين، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فقال له: «ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها مابقي من أموالكم»(١٦)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «أي مال أدى زكاته فليس بكنز»(١٧)، وأما قوله عليه الصلاة والسلام : «من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها»(١٨)، أو نحوه، أراد اذا لم يؤد المفروض منها، والله أعلم. «صفراء أوبيضاء» يعني: الذهب والفضة، وقوله : كوي، أي: تصفح صفائح من نار، فَيُكوَى بِهَا وجهه وجسمه، لقوله عز وجل: ﴿يَومَ يُحمَى عَلَيهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُم وَظُهُورُهُم﴾(١٩)، المراد ﴿يَومَ يُحمَى عَلَيهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ توقد النار ذات حمى شديد عليها، وأصله تحمى النار، فجعل الأحماء للنار مبالغة ، ثم حذفت النار وأسند الفعل الى الجار والمجرور، تنبيها على المقصود، فانتقل من صفة التانيث الى صفة التذكير.

فصل

وجاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كانت يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله اما الى الخير واما الى النار. وما من صاحب ابل لايؤدي

(١٤) الأفصح : لاتنفقوا .
(١٥) سورة التوبة : ٣٤ .
(١٦) أخرجه الكثيرون : انظر موسوعة أطراف الحديث ٣/ ١٨٣ .
(١٧) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٣٣.
(١٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠/ ٨٤.
(١٩) سورة التوبة ٣٥ .

حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر أوفر ماكانت لايفقد منها شيئا، لايفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار. وما من صاحب غنم ولا بقر لايؤدي صاحبها منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح بقاع قرقر أوفر ماكانت، لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء(٢٠) ولا جلحاء(٢١) ولا عضباء(٢٢) تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، اما الى الجنة واما الى النار»(٢٣). أعاذنا الله وجميع المسلمين منها، وعندي أن المؤمن المخلص عمله لله عز وجل لايمنع الزكاة ولا يفعل به هكذا، لأن الايمان لايتجزأ وقد شرحت ذلك في غير الموضع(٢٤)، والله أعلم.

فصل

وروي في الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة بشجاع أقرع له رأسان يطوقه يوم القيامة، ثم ياخذ بلهزمتيه، يعني: شدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَل هُوَ شَرٌّ لَّهُم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٢٥). القراءة فيه: من قد قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولا، أي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يامحمد بخل ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، ﴿هُوَ خَيْراً لَّهُم بَل هُوَ شَرٌّ لَّهُم﴾، ومن قرأ بالياء: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ الباخلون البخل ﴿خَيْراً لَّهُم بَل هُوَ شَرٌّ لَّهُم سَيُطَوَّقُونَ﴾ به، معناه في ماذكرته من قبل، وقيل: غيره، ذلك تركته خوف الاطالة، وقيل ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾، أي: يحملون وزره واثمه. وقيل: معنى ﴿يَبْخَلُونَ﴾ أنها نزلت في اليهود الذين ذكرتهم في ذكر الآية التي قبلها. وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة، والله أعلم.

---

(٢٠) عقصاء: الأعقص من التيوس ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه.
(٢١) جلحاء: البقر التي لا قرون لها.
(٢٢) عضباء: هي الناقة المشقوقة الأذن.
(٢٣) أخرجه كثيرون. انظر موسوعة أطراف الحديث ٩/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(٢٤) لعل: هذا الموضع.
(٢٥) سورة آل عمران: ١٨٠.

فصـــل

وسأذكر طرفا من تفسير هذه الروايات والأحاديث، أما قوله: بقاع قرقر، هو القـاع الأملس، وقـرقـر باثبـات الألف، هو اسم مـوضع وبفـتح القافين، وقـوله، تطؤه باخـفـافها، والأخفاف جمع خف بضم الخاء وهو خف البعير، والخـف الذي يلبـسـه الانسـان وهو مـعـروف، أمـا الخف بكسر الخـاء هو الخفيف، قال امرؤالقيس :

يزول الغلام الخف عن صهواته ويلوي باثواب العنيف المثقل

وأمـا قـوله : تعـضه بافواهها، والعض بالأسنان معروف، وفعله عض يعض بفـتح عين الفـعلين، قـال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَقُـولُ يَالَيـتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾(٢٦)، أراد بالظالم عـقـبة بن أبي مـعيط، وذلك أن عقبة كان لايقدم من سفر الا صنع طعاما فدعى اليه أشراف قـومـه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فقدم ذات يوم من سفر، فصنع للناس الطعـام، ودعـا برسـول الله ﷺ فلما قـرب الطعـام، قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل طعـامك حتى تشهد: أن لا اله الا الله وأني محمد رسول الله، فقال عقبة: أشـهـد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، فاكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكـان عـقـبة صديقا لأبي بن خلف، فلما أخبر أبي بن خلف، قال له: ياعقبة صـبـات، قـال: لا، والله مـا صـبـات، ولـكن دخل علي رجل فابى أن ياكل من طعـامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له، فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبدا الا أن تاتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عـقـبـة، فـقـال عليه الصلاة والسلام: لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسـيف ، فـقـتل عقبة يوم بدر صبرا، وأما أبي بن خلف فقتله رسول الله ﷺ يوم أحـد، وقـيل: لما بزق عـقبة بي أبي معيط في وجه رسول الله ﷺ، رجع بزاقـه في وجهه فاحترق خداه، فكان أثر ذلك حتى الموت، حتى أنزل الله عـز وجل في عـقبة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ﴾ندما وأسفا على مافرط في جنب الله، وأوثق نفـسـه بالمعـصية والكفر بالله لطاعة خليله الذي صده عن طاعة ربه. قال عطاء: ياكل يديه حتى يبلغ مرفقيه، ثم ينبتان ثم ياكل، هكذا تنبت يداه(٢٧) أكلها تحسرا على مافرط في جنب الله، والله أعلم.

ومـعنى جنب الله ، الطاعـة، لقوله عز وجل: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسرَتَى

(٢٦) سورة الفرقان : ٢٧ .
(٢٧) لعل الصواب : كلما نبتت يداه .

عَلَى مَافَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾(٢٨)، أي : في طاعة الله، وقيل: في أمر الله، وقيل: ضيعت في ذات الله، وقيل: قصدت في الجانب الذي يؤدي عن(٢٩) رضى الله تعالى، وغير ذلك، وقيل: العارية، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة، والله أعلم.

فصل

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة ﴿أَرَأَيتَ﴾(٣٠)، غفر الله له، ان كان مؤديا للزكاة». فالله الله، في قراءة كتابي هذا والتدبير لمعانيه، والعمل بما فيه، واحذروا نقض العهود في جميع أفعالكم وصدقاتكم، ولا تعاهدوا الله عهودا تؤول سرابا لقوله عز وجل قصة واخبارا عن ثعلبة: ﴿وَمِنهُم مَّن عَاهَدَ اللهَ لَئِن أَتَانَا مِن فَضلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَا أَتَاهُم مِّن فَضلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعرِضُونَ﴾(٣١)، قيل: انها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري، لأنه جاء الى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، أدع الله أن يرزقني مالا، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك ياثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه»، ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يارسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، فقال رسول الله ﷺ: «أما لك في رسول الله أسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو أردت الجبال ذهبا لكان ذلك»، ثم أتاه بعد ذلك، فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالا، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالا»، قال: فاتخذ ثعلبة غنما، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل وادي البلى، وكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى انقطع عن المدينة فصار لايشهد الا الجمعة، حتى كثرة ونمت، فصار لايشهد جمعة ولا جماعة، وكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ليسالهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «مافعل ثعلبة؟» قالوا: يارسول الله، اتخذ ثعلبة غنما لايسعها واد، فقال رسول الله ﷺ: «ياويح ثعلبة» ـ ثلاثة مرات فيما قيل ـ فانزل الله تعالى آية الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلا من بني سليم، ورجلا

---

(٢٨) سورة الزمر : ٥٦ .
(٢٩) لعل الصواب : يؤدي إلى .
(٣٠) سورة الماعون : ١ .
(٣١) سورة التوبة : ٧٥ ـ ٧٦ .

من بني جهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة، كيف ياخذان ويذران، فقال لهما، مرا بثعلبة بن حاطب، وبرجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسالاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ماهذه الا جزية، هذه أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا، ثم عودا الي. فانطلقا وسمع بهما السليمي، فنظر الى خيار أسنان ابله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ماهذا عليك؟ قال: خذاه فان نفسي بذلك طيبة، فمرا على الناس وأخذا الصدقات، ثم رجعا الى ثعلبة، فقال: أرياني كتابكما، فقرأه، فقال: ماهذه الا جزية، وهذه أخت الجزية. اذهبا حتى أرى رأيي، قال: فانطلقا، فلما رآهما رسول الله ﷺ قبل أن يتكلما، قال: «ياويح ثعلبة، ياويح ثعلبة» ثم دعا للسليمي بخير، فاخبراه بصنيع ثعلبة، فانزل الله عز وجل: ﴿وَمِنهُم مَّن عَـٰهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ...﴾، إلَى قوله: ﴿... وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾(٣٢)، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه، فقال : ويحك ياثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا. فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فساله أن يقبل منه الصدقة، فقال: «ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك»، فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني»، فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض الصدقة منه، رجع الى منزله، فلما توفي رسول الله ﷺ جاء ثعلبة بالصدقة الى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال له: اقبل صدقتي، فلم يقبلها منه، فلما قبض أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ولم يقبلها، جاء بها الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: اقبل صدقتي، فقال عمر (رضي الله عنه): لم يقبلها منك رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر الصديق، أقبلها أنا؟ ثم ولي عثمان ، فجاء بها اليه، فلم يقبلها، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان، والله أعلم.

فصل

وقد تجب الصدقة في الذهب والفضة والمواشي والابل والبقر والغنم والحبوب، وغير ذلك ..... (٣٣) منها شيئا بجهد طاقتي.

فصل

ولا زكاة في العبيد ولا في الخيل، ولا في البغال، ولا في الحمير، الا أن يراد بهؤلاء للتجارة(٣٤)، ففيه ربع العشر، ولا يجمع بين مفترق، ولايفرق بين

(٣٢) سورة التوبة : ٧٥ ـ ٧٧ .
(٣٣) هكذا في الأصل ، ولعل هناك نقصا في الكلام تقديره سأشرح .
(٣٤) لعل الصواب : بها التجارة .

مجتمع حذار الصدقة، كما قال عليه الصلاة والسلام(٣٥). واختلف المسلمون في تاويل ذلك. فقال بعضهم: مثل ذلك اذا كان ثلاثة رجال لكل واحد أربعون شاة، وقد وجبت عليهم الصدقة، فاذا طلبهم المصدق جمعوها لتكون فيها شاة واحدة، وقد وجبت عليهم ثلاث شياه، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، ولايفرق بين مجتمع، وذلك مثل رجلين لهما أربعون شاة شركة بينهما، فلما أحال عليها الحول ووجبت فيها الزكاة وطلبها المصدق، قسماها وأباناها عن بعضها بعض. فهذا مانهانا عنه رسول الله ﷺ.

وصدقة الغنم في كل أربعين شاة شاة، ثم لاشيء في زيادتها حتى تبلغ مائة شاة واحدى وعشرين شاة، ففيها شاتان، حتى مائتي شاة وشاة ففيها ثلاثة شياه، وليس في هذا الفصل اختلاف، واختلفوا فيما زاد على ثلاثمائة، فقيل: لاشيء في الزيارة حتى تبلغ أربعمائة ففيها أربع شياه، وقيل: ان زادت واحدة على ثلاثمائة شاة ففيها أربع شياه، وقيل: ان زادت على ثلاثمائة شاة أربعون شاة، ففيها أربع شياه، وشيخنا (رضي الله عنه) يحب القول الأول، ولا اختلاف بينهم فيما زاد على أربعمائة شاة، الا ماقالوا اذا صار أربعمائة شاة، ففي كل مائة شاة شاة، وان ذهب جزء من غنمه التي تتم بها الصدقة فاستعاد قبل شهره الذي يزكي فيه، ماتجب به الصدقة فعليه الصدقة واجبة. وان ذهب غنمه كلها ثم استعاد ماتجب فيها الزكاة قبل(٣٦) أن يدخل الشهر الذي يزكي فيه، فلا عليه صدقة حتى يحول عليها الحول من يوم ملكها. ومن ذهب له غنم قد زكيت قبل أن تؤول اليه بشهر أو أقل أو أكثر، فعليه زكاتها مع غنمه. ومن كان له غنم وضان فان كانت في قيمتها متساوية فلا فرق في أخذ المصدق الصدقة من أي جنس كان، وان كانت مختلفة القيمة والمقدار أخذ من كل جنس ماوجب فيه بالحساب، وان صدعت الغنم(٣٧) نصفين فاختار رب الغنم نصفا، يختار من النصف الآخر شاة وجاعد ليكون الخيار للمصدق ان شاء جاعدا(٣٨)، ولاياخذ المصدق للصدقة الكراز، وهو الذي يحمل عليه الراعي زاده، وهو بفتح الكاف وتشديد الراء، كما قال الشاعر :

---

(٣٥) أخرجه كثيرون : انظر موسوعة أطراف الحديث ٧/ ٣٤٢.
(٣٦) لعل اصواب : بعد .
(٣٧) صدعت الغنم : افترقت .
(٣٨) الجاعد : الأنثى من ولد الضأن .

ولا يجوز للساعي أن يأخذ الفحل ولا التيمة، وهي الشاة المعلوفة لتسمن ويريد ربها أن يذبحها، وليس على الساعي أن يأخذ الجذعة ـ بفتح المعجمتين ـ بنت سنة، ولا الهرمة، ولا ذات العوراء(٤٠) وهي ذات العيوب، ولا يأخذ الساعي ماخضا(٤١)، الا أن يشاء رب المال، ولاياخذ الساعي عوراء ولا جرباء، وان أتى رب المال الى المصدق حقه فهو مصدق في ذلك، وان اختلفا ووقفا على الغنم، فقيل لرب المال: أن يصدعها نصفين، ثم يختار أي النصفين أراد، ثم يختار من النصف الآخر شاة، ويختار المصدق شاة، ثم هو على ذلك حتى يستوفي ذلك، والله أعلم.

فصل

والتيعة أربعون شاة، ولا خلاط ولا وراط، أي: لايفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق، ومن أحبى فقد زنى، وهو بيع الثمار قبل ادراكها، وفي السيوب الخمس وهو الركاز، بفتح الراء وفتح الكاف مخففا وهي التبر الجاهلي، وأما الركز بكسر الراء هو الصوت الخفي، قال الله عز وجل: ﴿هَل تُحِسُّ مِنهُم مِّن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا﴾(٤٢).

فصل

وما كان من خليطين فيترادان، ولا صدقة في الأوقاص. والوقص هو مابين الفريضتين وهو بفتح الواو والقاف، وفي الرقة(٤٣) ربع العشر وهو مائتا درهم فضة أو عشرون مثقالا ذهبا، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، والوسق ستون صاعا وهو بفتح المهملة الأولى وسكون الثانية. وليس فيما دون خمسة أواق صدقة، والوقية أربعون درهما. وفي الذود شاة وهو خمس من الابل، والله أعلم.

فصل

وفرائض الزكاة ثلاث، كمال النصاب، واستقرار الملك، وكمال الحول، وأما الابل اذا بلغت خمسا ، ففيها شاة وسطة اذا حال عليها الحول عند صاحبهن، فليس فيها شيء حتى تبلغ عشرا، فاذا بلغت عشرا ففيها شاتان،

---

(٣٩) بياض بالأصل .
(٤٠) لعل الصواب : ذات العوار .
(٤١) ماخضا : شاة ذات حمل .
(٤٢) سورة مريم : ٩٨ .
(٤٣) الرقة : الذهب والفضة .

ولاشيء في زيادتها حتى تبلغ خمسا وعشرين، ففيها ابنة مخاض من الابل وهي ابنة سنة، فان لم يوجد في الابل ابنة مخاض والا فابن لبون ذكر وهو ابن سنتين.

قال الناظر: وأظنه الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك الكندي السمدي النزوي (رحمه الله) فاذا بلغت الابل ستا وثلاثين ففيها ابنة لبون (رجع).

فاذا بلغت الابل ستا وأربعين ففيها حقة طروقة للفحل، وهي ابنة ثلاث سنين، وهي بكسر الحاء، وكذلك الحق من الابل، وكذلك الحقة مصدر الحق. فاذا بلغت الابل ستين، وزادت واحدة ففيها جذعة، وليس فيها جذعة الا في هذا الموضع. الجذع والجذعة بفتح الجيم والعين هو الذي مضت عليه أربع سنين ودخل في الخمس، ومن الشاء ماتمت له سنة، فاذا بلغت الابل ستا وسبعين ففيها ابنتا لبون. واذا بلغت تسعين وزادت واحدة ففيها حقتان، واذا بلغت مائة وعشرين وزادت على ذلك واحدة ففيها ثلاث بنات لبون. واذا كان الابل أكثر من ذلك فليس فيما لايبلغ العشر منها شيء حتى تبلغ العشر ويأخذ المصدق على حساب ذلك. فكلما زادت الابل عشرا ففيها ابنة لبون، ففي الأربعين ابنة لبون، وفي الخمسة حقة، وفي أي السنين هذين شاء المصدق أخذ هذه الفريضة، ومن أي سن أخذ المصدق فان لرب المال أن يختار من ذلك السن بعيران ثم يختار المصدق بعيرا، ويجوز للمصدق أن يبيع لرب المال مايأخذ منه بعد قبضه له، وقيل: ولو قبضه. وقيل: ان كان على صاحب الابل جذعة فلم توجد في الابل جذعة ووجد فيها حقة فله أن يأخذها ويرد صاحب الابل فضل الجذعة على الحقة، وذلك ان وجد الجذعة ووجب حقه ولم يجد الحقة فله أن يأخذها، ويرد على صاحب الابل فضل الجذعة على الحقة، وكذلك ماكان على هذا النحو فهو مثله. وشيخنا خميس بن سعيد (رحمه الله) يرى له أن يرد من الدراهم والغنم والعروض بالقيمة. ومن وجبت عليه الصدقة من المواشي فلا يذبحه ليسلمه الى الفقراء لحما ولكن يدفعه اليهم ليتصرفوا فيه ماشاؤوا من بيع أو هبة أو ذبح أو غير ذلك، وقيل: في الذي يشتري الماشية من الابل والبقر والغنم ويشترط الخيار أو يشترطه(٤٤) البائع حتى حال عليها الحول في أيام الخيار أن الزكاة على البائع كان الخيار له أو للمشتري أو لهما جميعا.

(٤٤) لعل الصواب : أو لم يشترطه .

فصـــل

وأمـا البقر فزكاتها مثل زكاة الابل من الخمس، كذلك مثلها في الزيارة من الشـياه، الى أن تبلغ خمسا وعشرين ففيها بقرة جذعة، في سن ابنة مخاض في الابل، فـاذا بلغت ستا وثلاثين ففيها ثنية سن ابن لبون من الابل. فاذا بلغت سـتـا وأربعين فـفيها بقرة رباعية سن الحقة. فاذا بلغت احدى وستين ففيها سـدس سن الجذعة من الابل. فاذا بلغت ستا وسبعين ففيها بنتان من البقر، ثم تجـري على مـاتجـري عليـه صـدقة الابل، فاذا تمت ثلاثمائة فليس دون الأربعين شيء.

فصـــل

واخـتلفـوا في أخـذ الصـدقة من العوامل من البقر والابل، وكذلك السائمة من الغنم اخـتلفـوا فيها، والسائمة التي ترعى للتجارة، وروي عن النبي ﷺ: «أنه لايوجب في الكسـعة صدقة»(٤٥)، والكسـعـة بضم المهملة وهي العوامل من الابل والبـقر والحمير، وسميت كسعة لأنها تكسع أي تضرب، وهي بفتح سين الماضي والمسـتقبل، وأصل الكسع أن يضرب الضرع بعد أن يضرب بالماء البارد ليصعد اللبن.

وأمـا ثمـرة النخل اذا أدركت وصـارت تمرا يابسـا ثلاثمائة صـاع ففيها الصدقة العشر فيما سقته الأنهار والسماء وجميع مايثمر بغير سقي، ونصف العشر فـيما يسـقى بالدلاء والزجر والنواضح. النواضح جمع ناضح بالحاء المهـملة وهي التي يسنى عليها. والتمر اذا يبس في رؤوس النخل فما أكل منه رب المال حصي عليـه كله وأخـذت منه الزكـاة، وأما مايطعم الصارم فانه ان كـيل وعرف كيله ففيه الزكاة، وان لم يكل فلا، وقيل: كيل أو لم يكل، فلاشيء فيه، وقيل: كيل أو لم يكل ففيه الزكاة. والذي يحب شيخنا خميس بن سعيد (رحمـه الله) أن الـنخل اذا ينعت ثمـرتها فـلا يؤكل منهـا الا بكيل لأن فـيـه الزكـاة، وقـال من قـال: يؤكل منه، وليس فيما يؤكل منه زكاة، وقيل: ما أكل من المصطاح(٤٦) مـن الرطب، والخـمل(٤٧) فـلا زكـاة فـيـه، وقول شيخنا (رحمه الله) ينعت ثمـرتها مـعناه: اذا نضجت وهو بفتح نون الماضي وكسره من المسـتـقـبل، يقـال: ينعت الثـمـرة، ينعا وأينعت ايناعا، لقوله عز وجل :

---

(٤٥) أخـرجه بمعناه الطبراني في المعجم الكبير، انظر الهيثمي: مجمع الزوائد ٣/ ٦٩.

(٤٦) المصطاح : المكان المهيأ لدوس الحصيد، ونشر الثمر قصد تجفيفه.

(٤٧) الخـمل : مأخوذ من خمل البسر خملا، وضعه في الجرة أو نحوها كي يلين.

﴿انظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦ﴾(٤٨)، أي: نضجه وأدركه، قرأ حمزة والكسائي ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ بضم الثاء والميم، هذا ومابعده وفي يسر (٤٩) على جميع الثمار، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الثمرة، والله أعلم. وقول شيخنا خميس بن سعيد (رحمه الله) وأما مايطعم الصارم، فالصارم هو الجاذ، لأن الصرام بكسر الصاد اسم للجذاذ، يقال: صرم النخل صرما اذا جذها، وهو بفتح راء الماضي وكسره من المستقبل. قال الله عز وجل: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾(٥٠)، أي: ليجذنها اذا أصبحوا قبل أن يعلم بهم أحد. تركت هذه لأني أتيت ببعض ذكرها في باب الجهاد، والصرام: القطع، وفعله في التصريف واحد، قال الشاعر :

اذا مادعى للصرم خل أجبته اليه ولو كان الردى في صرامه

والصارم : السيف القاطع، وصرام اسم للحرب بضم المهملة، لأنها تصرم الأرحام والمودة وتقطعها، وصرام هي الداهية، تتقارب في المعنى، قال الشاعر :

وهل يخفين السر دون وليها صرام وقد أبلت عليها وآلها

ويقال في المثل : حلبت صرام لكم صراها، بضم الصاد المهملة، كما قال الشاعر :

ألا أبلغ بني سعد رسولا ومولاهم فقد صلت صرام

أي: فقد بلغ الشر آخره، وأقعد صراها. الصرى الحنظل، واحدته صراية بالياء التحتية والهاء، والله أعلم. رجعنا الى ذكر الزكاة .

فصل

والبسر المطبوخ اذا يبس فهو بمنزلة التمر وهو محمول عليه في الزكاة لأنه من جنس واحد وثمرة واحدة، وأجاز بعض المسلمين اخراج التمر عن البسر اذا كان التمر من نخلة البسر، وأما شيخنا خميس بن سعيد (رحمه الله) فقد وجدت في تاليفه أن يكون اخراجه بالقيمة لأنه ربما كان البسر أكثر قيمة ثمنا من التمر، ويقع نقصان القيمة في التمر، وربما كان أكثر ثمنا من البسر، وينظر الأوفر للزكاة، والله أعلم.

---

(٤٨) سورة الأنعام : ٩٩ .
(٤٩) كذا في الأصل : والمعنى غير واضح.
(٥٠) سورة القلم : ١٧ .

فصـــل

والعـسل اذا خرج من التمر لم تخرج(٥١) زكـاته، ولم يعرف ربه كيله ولا وزنه، فـفـيـه الزكـاة، وان كـان رب التـمر يعرف كيله ووزنه فعليه أن يخرج من التـمـر بالوزن الا أن يتـغير التمر عن حاله، فعليه ان يخرج تمرا غير متغير مثل التمر الذي لزمه من الزكاة، والله أعلم.

فصـــل

وساذكـر طرفـا من زكاة الحبوب، مما وجدته في تاليف شيخنا وبركتنا خميس بن سـعـيـد الرسـتـاقي (رحمه الله) أنه قـال: اتفق المسلمون على أن الزكـاة فـيما أنبـتت الأرض في الأصناف السـتـة وهي: التمر والزبيب والذرة والبر والشعير والسلت، بضم السين.

واخـتلفوا في معنى السلت، فقال من قال: انه الشعير الأقشر وهو قشرته صـغيرة وحـبـه صغير، وفي الحديث: سئل سعد بن أبي وقاص عن البيضاء بالسلت فكرهه ـ البـيضاء جنس من الحنطة ـ قال شيخنا خميس بن سعيد (رضى الله عنه) فـالذي يثـبت هذا القول لايرى مما أنبتت الأرض صدقة غير هذه الصنوف الستة، وقال من قال : أن السلت هو سائر الحبوب مما يبقى في أيدي الناس، ويقـتـاتون به مما هو سنبل، وما كان غير سنبل فلا زكاة فيه، وقـال من قـال: ان السلت هو جميع مـاوقع عليـه اسم حب مما كـان سنبلا وقـرونا، مـثل البـاقـلا واللوبيا وأشباه ذلك، وماكان سنبلة فهو مثل الدخن والذرة والشـعيروالبر والأرز وأشـبـاه ذلك. قـال شـيـخنا خميس بن سـعيد (رضي الله عنه): فـعلى حـسب هذا تخرج معاني قولهم عندي ولا أعلم في غير هذا الصنوف منهم زكـاة ولو بقي في أيدي الناس وذلك مـثل الثـوم والبـصل وأشـبـاه ذلك ولو كان يقتات به، ولا أعلم مقدار قولهم ان الزكاة تجب في شيء مما أنبـتت الأرض الا في الماكـول، الا أنه قـد يوجـد عن بعضهم أن في القطن الزكـاة، ولا أعلم ذلك مما عـمل به الأئمـة، الا أنه قد يوجد أنه قد عرض على بعـضهم فلم ينتبه، فقال لهم السائل: أفاضرب عليه؟ قال: لا ، والله أعلم، وما أراد بذلك أنه لم يخرج معه الى معنى الباطل أو كان له فيه نظر.

وقـال بعض الفـقـهـاء : الصدقـة أيضـا في السمسم والعدس والدرشق والدخن والماش والجـرجر، الجرجر بكسر المعجمتين، في كلام أهل العراق، هو

---

(٥١) الصواب : ولم تخرج .

الفول وهو الباقلاء، وأما الدورشق(٥٢) لم أعرفه. وقال من قال: الصدقة في الحبوب كلها الماكولاة الا حب البذور مثل البقل والبصل والقضب وماكان شبهه، والله أعلم. والقضب هو القت، لقوله عز وجل : ﴿فَأَنبَتنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَباً وَقَضباً﴾(٥٣)، قيل هو القت الرطب، لأنه يقضب في كل أيام، أي: يقطع، وقيل: القضب العلف للدواب، والله أعلم.

وأما الحبوب فهي مثل التمر اذا بلغت ثلاثمائة صاع بالصاع الأول وهو صاع النبي ﷺ، ففي كل عشرة أصواع صاع، وليس فيما دون العشرة شيء حتى تتم عشرة، بعد أن تتم ثلاثمائة صاع، وقيل: غير ذلك.

والذي يحمل بعضه على بعض، فالذي وجدته من تاليف شيخنا خميس ابن سعيد (رحمه الله) أنه قال: في الذي عرفنا في الحيوان أن الغنم تحمل على الضان، والبقر تحمل على الجواميس، والابل تحمل على النجائب، ولا أعلم أن أحدا من المسلمين قال: يحمل شيء من الحبوب بعضه على بعض في الصدقة غير هذه الصنوف الثلاثة على الصنوف التي ذكرناها والثمار، فاختلف الفقهاء في حمل الشعير على البر، والبر على الشعير، قال بعضهم: يحمل بعضه على بعض، وقال آخرون: لا يحمل بعضه على بعض في الزكاة، وأما الشعير الأقشر فمحمول على سائر الشعير، والله أعلم.

فصل

واختلف أيضا في الزبيب والتمر، فقيل: يحمل بعضه على بعض في الزكاة، وقول: لايحمل، وهو أحب عند الشيخ (رحمه الله). وأما النخل وان اختلفت أسماؤها وألوانها فمحمول بعضها على بعض في الصدقة، ولا نعلم في ذلك اختلافا، ولانعلم فيها شيئا يشبهها من الحبوب، وكذلك البر يحمل بعضه على بعض في الصدقة وان اختلفت أسماؤه وصنوفه، ومن زرع سريعة وبطيئة وكان بينهما أقل من ثلاثة أشهر من حصاد هذه، وحصاد هذه حملت الذرتان على بعضهما بعض وان اختلفتا في التسمية، وكذلك النضار. واذا كان لرجل زرائع متفرقة في قرى متفرقة ولا تبلغ الزكاة في زراعة منها على الانفراد اذا جمع بعضها على بعض بلغ فيها نصاب الزكاة، حملت بعضها على بعض في الزكاة، والعامل تبع للزارع في ذلك، والله أعلم.

قال الناظر: وأظنه الشيخ سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي

(٥٢) الدورشق : لم أجد من أشار اليه أو بين معناه، ولعله من نفس شاكلة الأصناف المذكورة معه.
(٥٣) سورة عبس : ٢٧ ـ ٢٨ .

السمدي (رحمه الله) هذا اذا كانت من جنس واحد، أما تسقى بالفلج كلها أو بالزجر كلها فهو محمولة بعضها على بعض. وأما اذا اختلف بالفلج أو الزجر، فلا يحمل بعضها على بعض، لأن الزجر لايحمل على الفلج، ولا الفلج على الزجر، وهذا اذا كان معتادا سقيه كذلك، والله أعلم، فينظر في هذا اللفظ الأخير لأنه من غير قول الشيخ (رحمه الله) وهو من كلها، (رجع).

فصل

وأما الفضة فهي محمولة على الذهب في الزكاة. واختلف في كيفية حمل بعضه على بعض. فقيل: يحمل الأقل على الأكثر. وقيل: ينظر في الأوفر للزكاة، والمعنى في حمل بعضه على بعض بالقيمة لا بالعدد، وذلك أنه ينظر قيمة الذهب فان كان اذا جمع الى الفضة كان جميع ذلك مائتي درهم كان فيها الزكاة، وان كان معه من الذهب والفضة فاذا حمل الفضة على الذهب بالصرف لحق ذلك عشرين مثقالا كان فيه الزكاة، واذا كان الحلي ذهبا وفضة حمل بعضه على بعض وأخرجت منه الزكاة، ووجوب الزكاة في الدراهم والدنانير ففيها ربع العشر خمسة دراهم، ثم ليس فيها زكاة حتى تصير أربعين درهما ومائتي درهم ثم تخرج منها ستة دراهم، ثم ليس فيها زيادة حتى تزيد أربعين درهما، فكلما زادت أربعين مثقالا كان من الأربعين درهما درهم، وان نقص عن المائتين درهم فلا زكاة فيها. والدرهم هو الدرهم المعروف بعمان، وأما الذهب فاذا بلغ عشرين مثقالا ذهبا ففيه نصف مثقال ربع العشر. وما لم يبلغ عشرين فليس فيه صدقة، حتى يبلغ أربع مثاقيل، ففيه عشر مثقال، وقيل: مازاد من الذهب والفضة من قليل وكثير ففيه ربع العشر، وهذا القول الأخير الذي تميل اليه النفس، والله أعلم. وكذلك من اشترى آنية لينتفع بها للتجارة واشتراها على هذه النية ولم ينو بها الربح، وان نوى بها الربح ففيها الزكاة.

فصل

وكل شيء يشترى للربح من أصول أو عروض أو حيوان أو عبيد أو غير ذلك من الأمتعة أو شيء من المعادن أو الجواهر ففي كل هذا الزكاة ربع العشر لقول النبي ﷺ: «في الرقة ربع العشر»(٥٤)، ولاتجب حتى تبلغ النصاب، وهو من الورق درهم ومن العين عشرون مثقالا، هكذا روي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس فيما دون خمسة ذود صدقة،

(٥٤) أخرجه مطولا البيهقي في السنن الكبرى ٤/١٣٤.

وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»(٥٥). والذود خمس من الابل، والوقية أربعون درهما، والوسق ستون صاعا. هكذا وجدته من جامع الشيخ الرضي أبي محمد عبدالله بن بركة البهلوي (رضي الله عنه)، الورق الفضة، والعين الذهب، والله أعلم.

فصل

وأما زكاة الفطر هي فريضة وقد ثبت أن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر على كل نفس من المسلمين، صاعا من تمر ان كان لاياكل الا تمرا، أو صاعا من بر ان كان ماكله برا، أو الشعير وغيره مما يكون ماكله وقوته، والأفضل أفضل، وهي صاع بصاع النبي ﷺ وهي زكاة الأبدان، يخرجها المرء عن نفسه وعن من يمونه من أولاده وزوجته وعبيده، ولايلزم من يتحمل لأجلها دينا ولكن يعطيها من عنده فضل من قوته وجميع من يلزمه نفقته يوم الفطر أو ليلته، وان كان ماكله من حبوب مختلفة فليخرجها من أي جنس شاء والحنطة أفضل، وان كان يقتات من اللحوم أو البقول أو الألبان فليخرج منها صاعا، وأفضل ذلك أن يخرجها يوم الفطر قبل صلاة العيد، والله أعلم.

فصل

ووجدت ، في الأثر، أن عبيد التجارة ليس على مالكهم من زكاة فطرتهم شيء، وكذلك الزوجات التي لم يدخل بهن، والله أعلم.

فصل

من كتاب «القناطر» تاليف الشيخ اسماعيل النفوسي (رحمه الله) أنه وجد في كتاب نسب الى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (رحمه الله) قال: اذا حضر اخراج زكاة مالك من الذهب والفضة أو التجارة أو الحرث أو الماشية فاركع ركعتين وقل: «اللهم أقني(٥٦) شح نفسي واجعلني من المفلحين»، وتردد هذا ثلاث مرات، وأخرج أطيب مالك وأجوده فان الرب أحق باطيب مال العبد. قال: واذا أردت تفريقها بنفسك فقل: «اللهم فرضت الزكاة ، وأمرت باداثها، وجعلتها مقرونة بالصلاة، اللهم ارزقني اقام الصلاة وايتاء الزكاة، وأن أضعها في مواضعها، وسددني وارشدني وسلمني من كل جبار فاسق ومكر ومخادع، واهد قلبي وبدني لمواضعها، كما ألهمتني اخراجها، اللهم ان

(٥٥) أخرجه الامام الربيع وغيره .
(٥٦) الصواب : قني .

أصبت مواضعها تقبل ذلك مني وبارك فيه واجعل لي بها طهارة وزكاة ووسيلة، اللهم وان أخطات مواضعها فلا شيء حتى ترزقني اخراجها وان أضعها مواضعها، انك أنت علام الغيوب، فاني لم اتعمد خلافك ولا خلاف رسولك فارشدني ووفقني، ولا تذرني في عمى، ولا تسلمني الى هوى، ولا تزين لي ضلالة، ولا تعمني عن الهدى، وارزقني ما يرضيك، كما رزقتني مايرضيني من سعة فضلك، فان ذلك من عطائك وفضلك ورزقك، فبارك لي في عطائك، وبارك لي في رزقك وفضلك، وبارك فيما أعطيتني، واجعلني لانعمك من الشاكرين»، ويكون نيته في ذلك اخراج زكاة الفريضة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، ويعطيها لوجه الله مخلصا، لا لرياء ولا لسمعة ولا طمعا في مخلوق ولا خوفا منه، بل يخلص لله عمله ويفوض لله أمره، يشرح بذلك صدره.

فصل

وفي الحديث : «سبق درهم مائة ألف درهم»(٥٧)، وذلك أن يخرجه الانسان من أطيب ماله راضيا فرحا باعطائه لله تعالى فيكون ذلك الدرهم أفضل من مائة ألف درهم مع كراهية وعدم اخلاص. قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(٥٨)، فلا يقبل عمل من جاء اليه كارها سدما فارقا من المخلوقين اذا تركه، والله أعلم الهادي الى طريق الحق والصواب.

فصل

والواجب على مؤدي الصدقة أن يستصغر عطيته ولا يعظمها فان عظمها فقد أعجب بها، والعجب من المهلكات، وقد ذكرت طرفا منه في باب الزهد، وكذلك الواجب عليه أن لايبطل صدقته بالمن والأذى، لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾(٥٩)، واختلفوا في حقيقة المن والأذى، فقيل: المن أن يذكرها، والأذى أن يظهرها. وقيل: المن استخدام المعطى، والأذى تعييره بالفقر، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لايقبل الله صدقة منان»(٦٠)، وساشرح أصل تولد المن والأذى.

---

(٥٧) أخرجه الزبيدي : الاتحاف ٢٩٦/٩، وابن خزيمة في صحيحه تحت رقم ٢٤٤٣.
(٥٨) سورة التوبة : ٥٤.
(٥٩) سورة البقرة : ٢٦٤.
(٦٠) أخرجه الزبيدي : الاتحاف ١١٩/٤، العراقي : المغني عن حمل الأسفار ٢١٧/١.

اعلم أن أصل المن والأذى قد تفرع من شجرة الحمق والبطر، وقد نبتت تلك الشجرة في وسط القلب، وأصل نبتتها من سبب فضولات البخل والامساك للمال مع قلة التوكل على الله عز وجل، فصارت تسقي تلك الفضولات تلك الشجرة بآجن الأحاديث الكاذبة، والأماني الباطلة، وكان القائم بتلك الشجرة ابليس ـ لعنه الله ـ فقد فت ثمرتها بابانة اللسان، فسقطت على السائل كانها شرر من شدة حرارتها، فحرم المرء من أجل ذلك جزيل ثواب ربه.

فصل(٦١)

أن يقبض بانامل عزمه صمصام الصبر، والتوكل على الله عز وجل، والتفويض اليه، والعلم به أنه لا رازق غيره، وأن المال الذي هوفي يده هو مال الله يؤتيه من يشاء، ويعلم علما حقيقا أنه لايملك لنفسه ضرا ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ثم يرفع ذلك الصمصام فيحسم به تلك الشجرة، ويتلو عند حسمه عزيمة الايمان بالله عز وجل والاخلاص لوجهه ليطرد إبليس ـ لعنه الله ـ ثم يأخذ بعد ذلك جزء من كركم الكرامة، وجزء من مخ الحمد والشكر لله، ويضعه في اناء الرضى بما قسم الله له من فضله، ثم يحممه على نار السخاوة ويحركه بمغراف الفرح والسرور لسؤاله لأنهم منوا عليه بقبولهم صدقته، فالواجب عليه أن يخضع لهم ويتلطف لهم كانه هو السائل لهم، ولا يرى نفسه أنه منعم عليهم ومحسن اليهم، بل يجعل سؤاله المنعمين عليه المطهرين لذنوبه لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «تصدقوا ولو بتمرة فان الصدقة تطفيء غضب الرب»(٦٢)، فلو لم يكن أحد من الفقراء لما جازت الصدقة ولا ضوعف أجرها، والله الموفق لذلك.

فصل

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب الا كان الله عز وجل ياخذها فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ مثل أحد»(٦٣)، وهو جبل قرب المدينة. وجاء عنه ﷺ أنه قال: «الرجل

---

(٦١) السياق يوحي بخلل في الربط، ونقص في الكلام.

(٦٢) أخرجه الزبيدي: الاتحاف ٤/ ١٦٥، العراقي: المغني ١/ ٢٢٦، الهندي: كنز العمال ١٥٩٤١.

(٦٣) أخرجه الشافعي في مسنده ١٠٠، والحميدي في مسنده ١١٥٤، والسيوطي: الدر المنثور ٣/ ٢٧٥.

في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي بين العباد»(٦٤)، وعنه ﷺ أنه قال: «الصدقة تسد سبعين بابا من الشر»(٦٥)، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لأصحابه: «تصدقوا»، فقال رجل: عندي دينار، فقال عليه الصلاة والسلام: «أنفقه على زوجتك»، قال: عندي آخر، قال عليه الصلاة والسلام: «أنفقه على ولدك»، قال: عندي آخر، قال عليه الصلاة والسلام : «أنفقه على خادمك»، قال : عندي آخر، قال عليه الصلاة والسلام : فانت أبصر به»(٦٦).

فصل

وعن النبي ﷺ أنه قال: «اذا سال سائل فلا تقطعوا عليه مسالته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين وبذل ورد جميل، فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان يخبركم كيف صنعكم فيما خولكم الله عز وجل».

فصل

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت ستة أيام، وعن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله تعالى ماكانت عليه منه رقعة»(٦٧). وعنه ﷺ أنه قال: «من أطعم مسلما تمرة أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»(٦٨)، وعنه ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة، يوم لا ظل الا ظله: امام عادل، وشاب نشا في طاعة الله عز وجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا وافترقا على ذلك، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع من خشية الله عز وجل، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: اني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماأنفقت يمينه»(٦٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «رائح باهله الى الجنة».

فصل

وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «في الجنة قصر من ياقوتة حمراء، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، فقيل: لمن هو يارسول

(٦٤) أخرجه الهندي : كنز العمال ١٦١٠٩، العجلوني : كشف الخفاء: ١/ ٥١٠.
(٦٥) أخرجه كثيرون . أنظر موسوعة أطراف الحديث ٥/ ٣٧٩.
(٦٦) أخرجه كثيرون . أنظر نفس المصدر ٤/ ٣٧٧.
(٦٧) أخرجه الزبيدي : اتحاف ٤/ ١٧٢، العراقي: المغني ١/ ٢٢٧.
(٦٨) أخرجه الإمام الربيع ١/ ٦٨، ولغيره مثله. انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ١٠١.
(٦٩) أخرجه الامام الربيع وغيره. انظر موسوعة أطراف الحديث ٥/ ٢٠٩.

الله؟ فقال: لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وأفشى السلام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قيل: يارسول الله ومن يطيق هذا؟ قال: أنتم، قالوا: كيف يارسول الله؟ قال: ألستم تقولون: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله أكبر؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: هذا أطيب الكلام، قال: ألستم تنفقون على أهليكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال ﷺ: فهذا اطعام الطعام، قال: أو ليس الرجل منكم يلقي أخاه المسلم فيسلم عليه؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: هذا افشاء السلام، قال: أولستم تصومون شهر رمضان؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال : هذا ادامة الصيام، قال: ألستم تصلون العتمة؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: فانها صلاة تثقل على غيركم، فهي صلاة بالليل والناس نيام. والذي بعثني بالحق لايلقى أحدكم ربه بهذه الخمسة الا دخل الجنة»(٧٠).

فافهموا ، اخواني، واعتبروا ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون﴾(٧١)، والله الموفق والهادي الى طريق الحق والصواب.

فصل

ومما وجدته في رقعة من جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي نضارة الذرة الذي يحمل على الزرع الأول في الزكاة، أيكون حده ثلاثة أهلة، أم تسعين يوما، ويكون حسابه مذ أدرك الأول الى أن يدرك الثاني؟ أم يكون الحساب من جز الزرع الأول الى جز الثاني؟ أم كيف ذلك؟ عرفنا سيدنا ولك الأجر العظيم.

الجواب: ان مضت ثلاثة أهلة وهو ثلاثة أشهر بعد أن أدرك الزرع الأول الى أن يدرك الثاني، لم يحمل الآخر على الأول، وأما ان أدرك الزرع الأول آخر الشهر فمضت عليه ثلاثة أهلة ولم تمض عليه ثلاثة أشهر كاملة، حمل الآخر على الأول على هذا القول، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي رجل وجبت عليه زكاة الدراهم، ثم أنه طلب أجلا الى ثلاثة أيام ليؤدي مالزمه فلم يجيء، فسمعنا أنه وجد على

(٧٠) أخرجه المنذري في الترغيب ١/ ٤٢٤، والرازي : علل الحديث ٢٨١٢.
(٧١) سورة الروم : ٣٨ .

ساحل البحر ميتا، قد قذفه البحر، الا أنه لم يصح معنا أنه هو، لأنه قد تغير لونه، وقد اطمأنت القلوب بذلك من تغير هيئته، وقد وجد شيء من كسوته، وشيء من علامته، أتؤخذ الزكاة من ماله التي عليه أم لا؟ وان أرادت زوجته التزويج بعدما اطمأن طلبها بموته، أتمنع عن ذلك أم لا؟

الجواب: أما الزكاة اذا صح وجوبها في مال هذا الرجل وهو حاضر في البلد ولم يحتج بحجة تبطلها، وكان صاحب الأمر جائزا له أيجبر على الزكاة؟ فجائز له عندي على هذه الصفة أخذ الزكاة من مال هذا الرجل. وأما الزوجة اذا قالت أنها قد صح عندها موت زوجها، فليس للحاكم أن يدخل في تزويجها ولا يعارضها عند التزويج، على قول سعيد بن المبشر. وأما ان قالت ان قلبها قد اطمأن من غير صحة الا بالظن، فانها تعارض عن التزويج، لأن ﴿الظَّنَّ لَايُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيئاً﴾(٧٢)، واذا لم يعرف الرجل بلون، فهذا(٧٣) الا ظن، والظن لاعمل عليه، والله أعلم.

قلت له: واذا كان رجل له نخل كثير يزيد على نصاب الزكاة، وقد صارت النخل قد آن حصاده، فاتى عليه السيل أو الريح، ولم يبق في النخل الا قليل لم يبلغ نصاب الزكاة، أتجب الزكاة فيما بقي أم لا؟

قال: ان كان لاشك فيه أن لو سلم من الجائحة لبلغ تمره نصاب الزكاة أو أكثر، فيعجبني أن تكون الزكاة فيما بقي ولو لم يبلغ نصاب الزكاة على القول الذي يعجبني، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي ثلاثة بيادير(٧٤) اشتركوا في عمل نخل للناس، منهم من بلغ في ماله الزكاة، ومنهم من لم يبلغ فيه الزكاة، أيحمل نصيب هؤلاء البيادير على بعضهم بعض، وتؤخذ منه الزكاة ان بلغ نصاب الزكاة تام، كيف يحكم في ذلك؟

الجواب: ان كان البيادير شركاء في العمل، وثبت لهم نصيبهم في التمر قبل أن تدرك من قبل عملهم فيها، وكان نصيبهم جزءا من الثمرة حمل نصيبهم كله من الأموال كلها، فان بلغ نصاب الزكاة، فيعجبني أن يسلموها من جميع نصيبهم على القول الذي يعمل به، والله أعلم.

---

(٧٢) سورة يونس : ٣٦ ، سورة النجم : ٢٨ .

(٧٣) لعل الصواب : فان هذا .

(٧٤) بيادير : مفردها بيدار، وهو العامل في المزرعة بأجر.

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وفي امـرأة لها حق على زوجـهـا ـ وهو عاجل صداقها ـ وهو يجد نصاب الزكاة، حتى حالت عليه سنون، وكانت لو طلبت حـقها عند الوالي لأخذته، ثم وقع بينها وبين زوجها شقاق حتى اختلعت منه بالحق الذي عليـه لها، أتجب عليـها الزكاة في هذا الحق الذي اختلعت منه أم لا ؟

الجـواب: يعجبني أن يكون عليها الزكاة على هذه الصفة لكل حول حال عليـهـا في هذا الصداق، وهو يبلغ نصاب الزكاة قبل أن تختلع من زوجها اذا كان قد وجب لها على زوجها، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وفي امـرأة لها على زوجها شهر معروف تزكي فـيه حليها، وكان لها نفقة على أولادها لم تستوفها، والنفقة قد فرضها الحاكم الذي هو من حكام المسلمين، وصارت لها دينا على أولادها في مالهم، يحمل هذا الدين على زكاة حليها وتؤخذ منه الزكاة أم لا؟

الجـواب: أما الحب والتمر فلا تحمل على رأس مالها مالم يقوما بالدراهم أو بالدنانير أو بذهب أو بفـضـة أو أحـد منهما وتقـبـضه، وأما الذي لها من الدراهم والذهب والفـضـة على أولادها، وقـد استحقته عليهم، وكانت على قدرة من قبضه فهو محمول على رأس مالها في الزكاة، والله أعلم.

قلت له: واذا كـان لرجل ثلاثة مـزارع، فأعطى كل رجل مـزرعـا لزرعـه بالثلث، فـوجـبت الزكـاة في مـزرع واحد، ولم تجب في الاثنين، أيحمل نصيب صـاحب الأصل من القطعـتين التي لم تبلغ فـيـهما الزكـاة على نصـيـبه من القطعـة التي وجـبت فـيـه الزكـاة اذا كـان، اذا جمع نصـيبه كله لم تلحقه الزكاة؟ عرفنا ذلك ولك الأجر العظيم ان شاء الله.

الجـواب وبالله التـوفـيق: في ذلك اختلاف. يعجبنا قول من قال: لا زكاة عليه في نصيبه من القطع التي لم تبلغ فيهما الزكاة.

قلت له: واذا كان رجل له أربعون شاة تجري فيه الزكاة ثم انها أنتجت أنتـجـة بعد ماحال عليها الشهر الذي تخرج زكاتها فيه، أتحمل هذه الأنتجة أم لا، وكـذلك اذا اسـتـفـاد غنما بعـد دخـول شهره التي تزكى فيه، وقبل أن ياتيه المصدق، أتحمل فائدته على غنمه الأولى أم لا؟

قال: أما مانتجته من الأنتجة، فبعض قال: يحمل عليها ولو كان ليلة مجيء المتصدق، وبعض قال: لاتحمل عليها الأنتجة الا ماكان منها ياكل الشجر ويشرب الماء، وبعض قال: لايحمل عليها الا ماصار يرعى معها، الا أن تكون أم النتاج لم تبق، فحينئذ يحمل على سائر الغنم، واذا استفاد غنما على غنمه الأولى قبل أن يزكيها فهي محمولة عليها على القول الذي نعمل به، والله أعلم. النتاج مصدر نتجت نتجا ونتاجا بفتح تاء الماضي وكسرها من المستقبل، وهذا الفعل كله سواء متعديه وغير متعديه.

قلت له: والولد البالغ الذي كان في حجر أبيه أيحمل عليه في زكاة النقود أم لا؟ أرأيت اذا كان الولد غير بالغ فاعطي شيئا من الصيغة أيحمل على زكاة أبيه في النقود أم لا؟

قال: أما البالغ فلا يحمل على أبيه في زكاة النقود، وان ثبتت العطية للصبي في زكاة النقود حملت على أبيه الزكاة، على ماسمعنا في الأثر.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي من ملك ثمانية عشر مثقالا ذهبا، ولم يكن عنده شيء من الفضة، لا من المتاع للتجارة، وكانت قيمة الذهب أكثر من مائتي درهم، أتكون في قيمة هذا الذهب زكاة، أكان الذهب للتجارة أو لغير التجارة؟ وان كان عنده مائة درهم فضة، وعنده مائة درهم فلوس صفر، وحال على ذلك الحول، ولم تكن الفلوس عنده للتجارة، بل ادخرها ليصرفها على نفسه، أترى عليه زكاة أم لا؟

الجواب: أما الذي عنده أقل من عشرين مثقالا ذهبا، ولم يكن عنده شيء من الفضة، فلا زكاة عليه، ولو نوى بيع الذهب، وأما الذي عنده مائة درهم فضة، وقيمة مائة فضة نحاسا، ونيته ليشتري مايحتاج اليه، وحال الحول على هذا الحال في يده، فعندي أنه تلزمه الزكاة على هذه الصفة، والله أعلم.

قلت له: ومن كان عنده أربع نيق وله نصف ناقة عند رجل آخر، وذلك الرجل لم يبلغ بركابه الزكاة، هل على صاحب الأربع والنصف زكاة أم لا؟.

قال : ان كانت له هذه الناقة التي له نصفها مجتمعة في بلد في المرعى والمربض والحلب، اذا كان بها لبن، ففي هذه الخمس شاة، ويحاصصه الذي له نصف الناقة بعشر هذه الشاة، وان كانت غير مختلطة في ابله، ولم يكن من سبب في نيته تربيته، أخرجها من ابله لمن يربيها لم يكن عليه عندي في

هذه الأربع ونصف الناقة زكاة، والله أعلم.

فصـــل

وأسالك، سيدي ، عن هؤلاء الغرباء ان قدموا الينا وكانوا يقرون أن حاكمهم مشرك، وأنه لاياخذ من المسلمين اذا قدموا اليه، بل ياخذ من المشركين، أيجوز لنا أن ناخذ من المسلمين خاصة، كما يقرون أنه ياخذ من المشركين خاصة، أم نعرض عن المشركين والمسلمين؟ أرأيت اذا سار هؤلاء القادمون من صور، فوصلوا الى بندر مسكد، وأخذ منهم اخواننا من أهل مسكد مما باعوه هنالك، لم ندر أنهم أخذوا على أي وجه، لنا أن ناخذ منهم مما بقي في صور من تجارات ونقتدي باخواننا من أهل مسكد؟

الجواب وبالله التوفيق ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ﴾(٧٥): اذ أنا ليس(٧٦) من أهل الفتيا، وانما ألجاني الى ضرورة أهل الزمان الذي قد صار فيه الجاهل عالما لعدم أهل العلم، ولست أفتي بوحي ينزل علي، وانما أخبر عما أسمعه من آثار المسلمين، وقد سمعت من آثار المسلمين أن زكاة البحر كزكاة البر، لافرق في ذلك، الا أنهم بينوا في زكاة البحر وجوها لم يبينوها في زكاة البر، قالوا : ان كان القادم الى بندر المسلمين من غرباء المسلمين الذين هم ليسوا من سكان أهل المصر الذي ملكه المسلمون، فان كانوا قدموا بمالهم من بلدان المسلمين التي ليست في حماية الذين قدموا اليهم، فلا تؤخذ منهم الزكاة حتى يحول الحول على أموالهم في حماء أهل الشرك الخارجين من طاعة المسلمين وذمتهم الى بندر المسلمين، فقلبوا أموالهم الى شيء من الأمتعة، وباعوها على سبيل التجارة، كان للمسلمين أن ياخذوا منهم الزكاة من أموالهم التي باعوها أو قلبوها على قول بعض المسلمين، ولو لم يحل عليهم الحول، ولو كانوا ليسوا من أهل حمائهم. وأما أخذ سلطانهم اذا لم يصح معه بصحة لايرتاب فيها، من طريق تواتر الأخبار، أو بينة عادلة، أو باقرار منهم، فليس لك أن تقدم على مجهود فيهم، والتمسك بالحق أولى والنصر من الله جل جلاله، ليس بكثرة المال ولا غيره، وأما الذين خرجوا من حمايتهم مسافرين، فرجعوا اليهم كان لهم أن يأخذوا زكوات أموالهم، ولو لم يحل عليهم الحول بعدما قدموا، اذا حال عليهم الحول في سفرهم، فقدموا الذين(٧٧) لم تجر عليهم ذمة من المسلمين ولا صلح، فانه يؤخذ منهم

---

(٧٥) سورة يوسف : ١٨ .

(٧٦) الأنصح : لست .

(٧٧) الأنصح : فقدم .

مـايأخذ سلطانهم من المسلمين اذا قدموا اليه، وقول: يؤخذ منهم العشر، وأما اذا قـدم يهودي من دار أهل الحـرب بمال الى بندر المسلمين، واليهودي بنفسه ليس محاربا للمـسلمين، فـانه يؤخـذ منهم نصف العشر، فهذا ماسمعته من آثار المسلمين، ولا أعلم وجها غير هذه الأوجه، ولا يعجبني لك أن تأخذ اقتداء بمن أخذ لأنك لم تعرف الأصل الذي أخذ بسببه، فان عرفت الأصل الذي أخذ الآخـذ بسـببه، وكان الآخذ من أهل العلم الذين يقتدي بهم جاز لك أن تقتدي به على وجـه القـبول للحق لا على التقيد(٧٨) له، كـان مـبطلا أو محقا، وكل مخصـوص يعلم. لأن الأخـذ له وجـوه، منهـا باطل ومنهـا حق، ولايجوز الا اتباع الحق ونبذ الباطل، والله أعلم.

وقلت: اذا قـالوا: ان سلطانهم يأخـذ من المشتري، ومـعـروف عندهم أن ثمن السلة (٧٩) تسـقط منه قـدر مـاياخـذه السلطان، علم البائع ذلك أو لم يعلم، أيعرض عنهم على هذه الصفة أم لا؟

فـاعلم ياأخي ، لم أحـفظ هذه المسالة بعينها منصوصة في الأثر، الا أنه عندي اذا كـان القـادم عليهم من المسلمين، لم يعرضوا له بأخذ شيء من ماله، وانما ياخـذون ممن اشترى من رعـيـتهم، فليس عندي هذا أخذا من المسلمين، لأن المسلمين ان شـاء باع في بلدهم على مايسوى، وان شاء أخرج ماله وباعه في غير بلدهم، والله أعلم.

وقلت: اذا قـالوا: ان سلطانهم لايأخـذ شيئا من الغرباء اذا قدموا، فاردت أن تأخذ منهم العشر، فلما طلبتهم بالعشر قالوا: ان سلطانهم يأخذ كذا وكذا، أقل من العشر، ألنا أن نأخذ منهم ما أقروا أم لا؟

قـال: فاعلم، هداك الله وأصلح بالك، لاتعجبني أن تأخذ منهم على صفتك هذه، لأن هذا اقرار منهم على غير الاختيار، وبالله التوفيق.

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): واذا كـان للمفقود دراهم تجب فيها الزكاة عند أمين، ولم تخرج منهـا الزكـاة الى أربع سنين، والأمين ينفق منهـا على عـيـال المفقود في الأربع السنين، كيف الوجه في اخراج الزكاة منها، لأني لم أعرف كم عـدهـا مـن الدراهم، وكم الذي أنفق الأمين على عـيـال المفـقـود، وكم بقي من الدراهم؟

---

(٧٨) لعله : التقليد .

(٧٩) لعل الصواب : السلعة .

قال: فاعلم ، هداك الله، أنه لايعجبني أن يأخذ من مال المفقود، مادام في أجل فقده، لأنك لم تدر ماحاله، وانما يأخذ الزكاة من ورثته بعد أن يحكم بموته، اذا حال على ماورثوه منه حول بعد أن استحقوه، وكان مما تجب فيه الزكاة من بلوغ النصاب لكل واحد منهم، ويحمله على ماله منهم المتقدم، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) : وما تقول في امرأة تقول: لها صداق آجل على رجل هالك، فانكر ورثته، ولم يكن عندها صحة تجوز عند المسلمين، فحضر بينهم أناس على الصلح بشيء من الدراهم مما تجب فيه الزكاة، أتى الزكاة على هذه المرأة في دراهمها هذه اذا كان قد حالت عليها أحوال من قبل؟

فاعلم، هداك الله ، أن هذه عندي بمنزلة المال الميؤوس منه اذا أنكرها الورثة، ولم تكن لها صحة، وأشياخنا يعملون في المال الميؤوس منه بوجوب الزكاة فيه للسنين الماضية الى أن تصير لم تبلغ نصاب الزكاة، ويسقطون كل زكاة تجب فيه للسنة الماضية ويزكون مابقي منه. والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) : واذا أتى رجل بدراهم الى الوالي، وقال: هذه زكاة خذها، فنظرها فاذا هي بورا، أياخذها ولا يلتفت اليها، أم يردها اليه؟

الجواب: هو مخير في ذلك ان شاء أخذها، وان شاء باحث صاحب الزكاة في ذلك، والله أعلم.

قال المؤلف قوله : بورا، أي : كاسدة، يقال: بار الشيء يبور بورا، أي: كسد، قال الله عز وجل: ﴿يَرجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾(٨٠)، أي: لن تفسد ولن تهلك، والمراد بالتجارة، وعد الله من الثواب، وقوله : ﴿يرجون﴾، جوابه لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾، والله أعلم، وأباره، أي: أهلكه، لأن أصل البوار الهلاك، لقوله عز وجل: ﴿وَكُنتُم قَومًا بُورًا﴾(٨١)، أي: هلكى، غلب عليهم الشقاء والخذلان، يقال: رجل بائر، وقوم بور، وأصله البوار، وهو الكساد والهلاك، ومنه بوار السلعة، وهو كسادها، وقيل: هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمؤنث والمذكر، والله أعلم . (رجع).

---

(٨٠) سورة فاطر : ٢٩ .

(٨١) سورة الفتح : ١٢ .

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وفي رجل من البـانيان(٨٢)، ألقي الينا، فاقـام مـعنا نصف شهر، أناخذ منه الجزية بحساب الدراهم، اذا كان مسكنه مسكد، أو غيرها من قرى الامام، أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفيق : اذا أقام نصب شهر فلا تؤخذ منه الجزية، الا أن يصح أنه أقـام في عمان تمام الشـهـر ولم تؤخـذ منه الجزية، أو يقر هو بذلك، والله أعلم، وأمـا مـايؤخـذ منه فاقلهم درهم، والدرهم عندنا اليـوم أكثر من نصف لارية.

قلت له : واذا أعطيت من مالي وقت الجداد العذق والعذقين، أو مليء اناء رطبا، أو نخلة، أو أقل أو أكثر، أعلّي فيه زكاة اذا كان المعطى فقيرا أم لا؟

قـال : ان كـانت عطيـتك من البسر والرطب ، ولم يكن عوضا عن غيره، انما هو تطوع منك، فاكلهـا المعطى رطبـا أو بسرا، فـلا زكـاة عليك، ان كانت العطيـة نخلة أو أقل أو أكثر، وان كنت أعطيت هذه العطية وقد صارت تمرا، وكـانت في زمن امـام عـادل، قد وجبت له الزكاة بالحماية لهم، لم تبطل عنه الزكاة فيما يعجبني، والله أعلم، العذق بكسر المهملة.

قلت له: واذا كـان مـال مـوقـفـا على بني فلان الذكور دون الاناث، وقفا مؤبدا الى يوم القيامة، هل تجب فيه الزكاة اذا بلغ النصاب أم لا؟

قال : اذا بلغ النصاب وجبت فيه الزكاة.

قلت له: وصف لي سيدي اجتماع الغنم التي يحمل بعضها على بعض في الزكاة ؟

قال : الذي حفظناه من الأثر أن اجتماعها في المحلب، اذا كان يخلط لبنها عند الحلب، والله أعلم.

قـال المؤلف : الحلب بالفـتح مصدر حلب اللبن، وحلب بلد بالشام، قال الحريري في الوجهين جميعا:

ونســوة بين لحـــن من حـــلب صبحـــن كاظـمة مـن غـير تعب

حلب هاهنا بلد، وكـاظمة، أي: كاظمة الغيظ، وكاظمة اسم بلد بعيد عن حلب، وأظنها باليمن(٨٣). وقال في الوجه الثاني:

ومدلجين سروا من أرض كاظمة وأصبحوا حين لاح الصبح في حلب

أي : يحلبون الابل، وكاظمة هنا اسم بلد، (رجع).

(٨٢) البانيان : اسم محلي يطلق على الهنود الهندوس . (٨٣) الصواب : أنها من مدن الشام .

فصـــل

قلت : واذا أحضرت زكـاة الماشـيـة، وكانت الماشية هزيلة، أيجوز لنا أن نؤخرها الى أن تسمن أم لا؟

قـال: اذا وجـب أداء الفـرض، فـتـعـجـيل آدائه أولى من تاخيره خـوف الحوادث، والله أعلم.

قلت له: ورجل من أهل ذبول(٨٤) سافر الى بلد أهل الشرك، فجاء من بلد أهل الشرك الى بندر عمان وباع متاعه، هل عليه زكاة أم لا؟

قـال: على ماسمعته من الأثر أن الغريب اذا وصل دار أهل الشرك، وأقبل منهـا بتجارة فباعها في عمان أو قلبها في سلعة غيرها ففيه قولان: قول: تؤخذ منه الزكاة من حينها، وقول: تؤخذ(٨٥) منه الزكـاة حتى يقر أنه حال عليه الحـول في عمان، وأرجو أن فيها قولا ثالثا: أنه لاتؤخذ منه الزكاة على الجبر، الا حـتى يحول(٨٦) عليـه الحـول في حمى المسلمين، وهذا اذا كـان الغـريب مسلما، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وأمـا قـولك في النخل اذا كـان أصلهـا تزجـر فضربها السيل في وقت التنبيت(٨٧)، ولم يسقها الى وقت الجداد، فقلت: أيجب نصف العشر في هذه النخل أم لا؟

قـال : فـعلى صـفـتك هذه عندي أن الزكـاة يكون فيها العشر تاما، والله أعلم.

قلت : واذا اشتريت من ثمـرة مـالي الادام وغيره في زمن القـيظ من التمر اليابس أو الرطب، أعلي فيه زكاة أم لا؟

قـال: في ذلك اخـتـلاف، قـول: تلزمك فـيـه الزكاة، وهو بمنزلة المطنى، وأرجو أن الأئمة تعمل بهذا القول، والله أعلم.

قلت له: والبـيـدار اذا كـان له تمر من بيـدارته، وعليـه دين يحيط بما معه، وحضر وقت اخراج الفطرة، أتلزمه الفطرة أم لا؟

---

(٨٤) أهل ذبول : لعل الصـواب : دبيل، كما ورد في الجزء الثالث من الكتاب، وهو موضع يتاخم أعراض اليمامة. الحموي : معجم البلدان ٢/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

(٨٥) لعل الصـواب : لاتؤخذ منه.

(٨٦) الأفصح أن يقال : لاتؤخذ منه الزكاة على الجبر حتى يحول.

(٨٧) التنبيت : لغة عمانية تعني، تأبير النخل .

قال : لاتلزمه على صفتك هذه، والله أعلم.

قلت له: والنخل اذا سقيت بالنهر، ثم بالزجر، ثم بالنهر، كيف يكون اخراج الزكاة منها؟

قال: نحن نعمل بقول من قال: تكون الزكاة على مأدركت عليه الثمرة من زجر أو نهر، وادراكها اذا ظهر فيها البسر، والله أعلم.

قلت له: واذا جد الرجل نخلا له بسر، وفيها قليل من الرطب، أتؤخذ من البسر كان جداده ليأكله رطبا أو يطعمه دوابا أم لا؟

قال : أما مايريد صاحب المال أكله رطبا أو بسرا أو لدوابه، فلا زكاة عليه.

قلت له: واذا صار في المصطاح تمرا يابسا، أو فيه شيء من الرطب، فاراد صاحب المال أن يقسم التمر اليابس، وتسليم الزكاة منه، ويؤخر الى أن يصير تمرا، فابى المصدق ألا تسلم زكاة الجميع، ونية صاحب المال أن يأكل من الرطب الذي تركه في المصطاح، كيف الوجه في ذلك؟

قال : اذا أراد أن يتمره من البسر والرطب، فعليه فيه الزكاة، وان كان قال: انما أراد أن يأكل من الذي في المصطاح رطبا، وتمر الباقي، فيقال له : أن يعزل الذي يريد أن ياكله رطبا، ويزكي الذي يريد أن يتمره، وقول: الزكاة فيما جمع المصطاح، والله أعلم.

قلت له: واذا أعطى رجل رجلا نخلة، وقد صار بسرا وقارينا، أتحمل على المعطي أم لا؟

قال: ان كانت العطية من غير عوض وأكلها المعطى رطبا وبسرا، فلا زكاة فيها، وان تمرها حملت على المعطي، وان كانت العطية عن عوض متقدم، فيعجبني أن يكون بمنزلة المعطاة ثمرتها، والله أعلم.

قلت له : وما تقول في صاحب المال اذا خاير المصدق في زكاة التمر ، مثل أن يفرقه عشرة كدوس أو غير ذلك؟ قال له: اختر واحدا من غير وزن ولا كيل، أيجوز للمصدق ذلك أم لا؟

قال : اذا لم يكن في ذلك حيف على الزكاة، وكان ذلك بطيب نفس صاحب المال، فلا يضيق ذلك على المصدق، والله أعلم. الكدس بضم المهملة، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وسالته عمن تجب عليه الزكاة، فتلفت دراهمه،

ثم استفاد شيئا بقدر كمال النصاب، بعد حوله الذي كان يزكي فيه، أتؤخذ منه الزكاة أم حتى يستفيد تمام النصاب قبل حلول حوله؟

الجواب: حتى يستفيد قبل حلول حوله على بعض قول المسلمين.

وما قولك: في هالك خلف مالا لورثته ببيع الخيار، فقلت : أتحمل الدراهم كلها على بعضها بعضا، أم على كل وحده؟ أرأيت ان أفدي من بعض الورثة بقدر نصيبه كيف يكون ذلك؟

فعلى ماوصفت، وعلى ماسمعناه في الأثر، أن الهالك اذا خلف مالا مجتمعا كانت تجري فيه الزكاة في حياته، ولم يقسم بعد موته، فقول: ان الزكاة تجري عليه مثل ماكانت تجري على الهالك في حياته ولو كان كل واحد من الورثة لايبلغ نصيبه منه نصاب الزكاة، وهو الذي يعملون به في زماننا هذا. وأما اذا فدى نصيب أحد الورثة، ولو كان الذي بقي من المال لايبلغ نصيب كل واحد منهم نصاب الزكاة، وليس معهم من المال يحملونه عليه، لم يعجبني أن يأخذ منه الزكاة لأنه قد وقع فيه شبه القسم، والله أعلم.

قلت له: واذا كان فلج ضعيف لايسقي الا قليلا، دون أن يزجر عليه، أيكون حكمه حكم الزجر أم حكم الفلج؟

قال: يعجبني في هذا أن يكون الحكم للأغلب منها اذا كان الفلج أكثر من الزجر، وغالبا ماؤه على ماء الزجر، فالزكاة زكاة الفلج، وان كان الزجر غالبا ماء الفلج، فالزكاة زكاة الزجر، هكذا يعجبنا، لأن هذه المسالة لم نجدها بعينها، وذاكرت فيها بعض الاخوان، فقال: ان هذا يعجبه.

قلت له: وما تقول في رجل له مال تجب فيه الزكاة، وليس عليه عنده شيء من القدام(٨٨)، فقال لرجل : أعطيك نخلة مطرحي(٨٩)، واعطني أنت نخلة سيدي(٩٠)، ولك زيادة كذا من الدارهم، فاعطاه صاحب المال نخلة مطرحي لم تدرك، وأعطى المعطى صاحب المال النخلة السيدي، فلم تبلغ في ماله الزكاة، وصاحب نخلة المطرحي تبلغ في ماله الزكاة، أيكون في نخلة المطرحي زكاة التي هي عوض نخلة السيدي أم لا؟

قال: ان هذا بيع لايجوز، ولصاحب نخلة السيدي على من أكلها قيمة

---

(٨٨) القدام : هي النخلة التي تنضج وتدرك في أول الموسم .

(٨٩) مطرحي : صنف من التمر لايتلف بنزول المطر .

(٩٠) سيدي : صنف من النخيل يعطي رطبا ذات لون أحمر مائل الى السواد وهو من أوسط أنواع الرطب .

مـاأكله من رطب أو بسر، ولصاحب نخلة المطرحي تمره ان كان مدركا بحاله وتكمل به الزكاة، وان لم تدرك فله قيمته وتكمل به الزكاة،

قلت له: واذا كـان لرجل دين أجل، وقـد سلم زكاة رأس ماله وأخر زكاة ذلك الدين حتى يحل ويقبضه، ثم استفاد فائدة، أعليه في الفائدة زكاة أم لا؟

قال: لم يعجبني أن تكون الفائدة على هذه الصفة.

قلت له : ووالي اليـتـيم اذا ساله الوالي عن زكـاة اليـتيم، فسلم شيئا من الدراهم، وقـال: هذه زكـاة عن اليتيم، أيقبضها الوالي اذا كان الولي(٩١) ان على اليتيم زكاة؟

قـال: على مـاسمعته من الأثر اذا لم يقر الذي قبضه أنها من مال اليتيم، وانما قـال: هذه زكـاة عن اليـتـيم، لم يضيق على والي امام المسلمين في قبضها منه، ولو كان غير ثقة.

قلت له: واذا احـتـاج هذا اليـتـيم الى اقامة وكيل، أيكتفي الوالي بذلك اذا كان غير ثقة؟

قـال : لايجوز أن يوكل على اليـتـيم في اخراج زكاة ماله من ماله اذا كان غير ثقـة، ولو صح مع الوالي مـال اليـتيم الذي تجب فيه الزكاة، ولايجوز في هذا الا الثقة العدل المأمون على مال اليتيم، والله أعلم.

قلت له: واذا ادعت امـرأة على زوجـهـا دراهم من حقها العاجل، فقال: قد وجب لها منذ سنة زمان، فلما طلبت منه الدراهم، أنكر ذلك أو بعضه، أعليها زكاة فيما مضى وأنكرها إياه؟

قـال: لايعـجـبني أن يجبر على الزكـاة فيما لم يحصل لها منه شيء ولم تقبضه.

قلت له: وكـيف رأيك في هؤلاء الغـرباء وقـد كـثرت عليك السؤال فيهم، وقد قدموا علينا، فسالناهم عن ملكهم، فقالوا: انه مشرك باقرار صحيح، لكنه يسلم السلطان من المسلمين يدافعه عن نفسه وأن يسلم اليه يخاف محاربته، وهـذا المشرك قـاطع بنظره في رعـيـتـه مـاترى لنا في أخـذ الزكـاة من هؤلاء الغرباء؟

قال: لم أحفظ المسالة بعينها من الأثر، وفيما عندي على قياس ماجاء في أثـار المـسـلمين أنه مـايؤخـذ من المشركين كما ياخـذ سلطانهم الا على وجـه الاستنصار، فعلى هذا الوجه ان كان هذا السلطان ياخذ من المسلمين اذا قدموا

(٩١) يبدو سقط كلمة تقديرها : أمر الولي .

اليه بتجارة، فللمسلمين أن ياخذ من تجار أهل دينه اذا قدموا الى المسلمين من عنده، كما ياخذ هو من المسلمين على وجه الاستنصار منه من حزبه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِن عَاقَبتُم فَعَاقِبُواْ بِمِثلِ مَاعُوقِبتُم بِهِ﴾(٩٢)، فهذا ماعندي والله أعلم.

قلت له: ومن كان عنده صك مكتوب له فيه حق على رجل، ومكتوب له ذلك الحق ببيع الخيار، فلما سالناه عن الزكاة قال: ان ذلك الحق لولدي فلان، أيقبل قوله اذا كان ممن يتهم بكتمان الزكاة أم لا؟

قال: يقبل قوله عندي، ويرد أمره الى الله، والله غني حميد.

قلت له : أرأيت ان كان الولد في حجره أكله سواء؟

قال : هكذا عندي، الحجر (بفتح الحاء) والله أعلم.

قلت له: وفي دراهم المفقود اذا كانت تجري فيها الزكاة، أتؤخذ منها الزكاة أم لا؟

قال : لاتؤخذ منها الزكاة، الا أن يكون له وكيل أقامه لاخراج الزكاة من ماله (دراهمه) قبل أن يفقد.

قلت له: واذا كانت نخل لم تسق وهي تثمر الا أنها اذا سقيت تزيد ثمرتها قدر الثلث أو النصف أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر، فما الذي يعجبك في اخراج زكاتها اذا أشربت بالزجر؟

قال: ان كانت هذه النخل اذا زجرت، سقيت بالزجر، كثرت ثمرتها، واذا لم تسق بالزجر قلت ثمرتها وضعفت، فيعجبني اذا سقيت بالزجر على هذا أن يؤخذ(٩٣) منها الا نصف العشر، وان تركت لم تزجر أخذ من ثمرتها العشر، وذلك ان سقيت بالزجر حتى تدرك، والله أعلم.

قلت له: واذا قال صاحب الابل: انه قد باع من ابله ناقة أو قعودا، ولم ياخذه المشتري، هل يحمل على البائع أو المشتري؟

قال : على قول من يقول : بالخلطة قبل الزكاة باختلاط هذا البعير، وكذلك المشتري يحمل عليه بسبب الملك، الا أن المشتري اذا كان معه أربعة أبعرة لم يحمل عليه هذا البعير، الا بعد أن يحول عليه الحول منذ اشتراه، وان كان معه خمسة أبعرة فعليه شاة، وعليه أن يحاصص البائع بما يلزمه من زكاة بعيره، لأن البائع ليس عليه زكاة هذا البعير، وانما تبلغ عليه

(٩٢) سورة النحل : ١٢٦ .

(٩٣) لعل الأفصح : لايؤخذ .

الزكاة عليه باختلاط في ابله، والله أعلم.

فصـــل

ومـنـه الـيـه (رحمـهما الله): وفي الذي يسكن في بلد الامـام (رحمه الله) بـعض سنة، وبعض لم يسكن(٩٤) في بلد لم يحمـه الامـام (رحمه الله)، ألنا أخـذ الزكـاة منه أم لا؟ أرأيت ان أعطانا الزكاة بعدما قلنا له (٩٥) تسليمها، أيسـعنا أخـذها أم لا؟ واذا أقـر أنه لم يسلمـهـا في بلده التي لم يحمها الامام (رحمه الله) أيجبر عليها أم لا؟

الجـواب : على مـاسـمـعته من آثار المسلمين انه اذا كان الرجل مقيما في حمى المسلمين وانما يـخرج مـسافرا، فهذا حكمه حكم أهل عمان في أخذ الزكاة، وان كـان هذا الرجل من الغـرباء، وكان لايقعد مع المسلمين الى أن يحول عليه الحول، واذا خرج خرج بماله، فهذا عندنا لايجوز جبره على أداء الزكاة الا أن تطيب نفـسه بذلك، والذي لايجوز جبره لا يجوز له أن يقول له الوالي: تسلم لنا ماعليك من الزكاة، لأن هذا يشبه الجبر من الوالي، الا أن يكون هذا الغريب يحول على ماله الحول في حمى المسلمين، والله أعلم.

قلت له: والذي حضر وقت زكـاة دراهمه وكـان له دين على رجل غـائب، وقـد ارتهن به رهنا مـقبوضا، فلم يسلم زكاة ذلك الدين الى أن استفاد فائدة، أعليه زكاة ما استفاد أم لا؟

قـال : ان كان هذا الرهن يقوم بدينه كله أم ببعضه، فيعجبني أن تلزمه الزكاة في الفائدة، اذا لم يزك مايقوم به الرهن من دينه.

قلت له: وعـامل المسـجـد تجب عليـه الزكـاة فـيما ينوبه من عمل مال المسجد، ويحمل على ماله أم لا؟

قـال : أمـا في نصـيـبه من ثمرة النخل فلا زكاة عليه فيها، ولايحمل على نصـيـبـه من غير مـال المسـجـد، وأما الزرع ففيه الزكاة ان بلغت في نصيبه الزكاة، وان لم تبلغ ومعه زرع غيره حمل على نصيبه منه.

قلت : واذا كـانت امـرأة مـعها حلي تجب فيها الزكاة، فلم تسلمها الى أن تزوجت، فـوجب لها صـداق، فـقـضاها مالا أصلا بالصداق بعدما دخل بها، أيحمل عليها ذلك الصداق أم لا؟

قـال : اذا كـان الصـداق أصله ذهبا أو فضة، أو فضة وذهبا واستقضت

---

(٩٤) لعل الصواب : وبعضها يسكن في بلد لم يحمه .

(٩٥) الأنصح : طلبنا منه .

به بعدما وجبت عليها الزكاة، والله أعلم.

قال المؤلف : فعندي أنه اذا استقضت ذهبا أو فضة أو ذهبا وفضة، وقد وجبت زكاة حليها، ولم تسلمها بعد، فيحمل عليها ذلك الذي استقضته كان دراهم أو حليا، وهذا اذا كانت قادرة على تسليم أداء زكاتها، وان كانت قد تركت تسليم زكاتها عن عجز ولم تكن قادرة على ذلك فالذي يختاره علماؤنا (رحمهم الله) أن لاتحمل الفائدة في هذا اذا كان ترك التسليم عن غير مقدرة منها. وأما اذا استقضت مالا أصلا عن صداقها فلا يحمل عليها في الزكاة، هكذا عرفته من المسلمين، فينظر في ذلك، ولايؤخذ منه الا ماوافق الحق والصواب، (رجع).

قلت له: وفي فطرة شهر رمضان اذا وجبت أيجوز تاخيرها الى وقت يرجو فيه السعة أم لا؟

قال : في ذلك قولان: قول : لايجوز تاخيرها عن يوم العيد، وقول: اذا وجبت صارت مثل الدين اذا أخرها الانسان على نية الأداء لم يضيق ذلك والتعجيل أفضل.

قلت له: وما تقول (رحمك الله) في رجل عنده مائة لارية وله عشرون لارية على رجل مفلس، هل عليه زكاة المائة اللارية أم لا؟

قال : أما في اللزوم فان كانت هذه الدراهم قد يئس منها فلا تلزمه زكاة في المائة، اذا لم تبلغ دون المائة مائتي درهم، ولكن ان حصلت له تلك العشرون لزمت الزكاة فيما مضى على قول المسلمين، وهو المعمول به عندنا.

قال المؤلف : المفلس ، بضم المهملة الأولى وفتح المهملة الثالثة وتشديدها، وان خففت فباسكان المعجمة الثانية، يقال: أفلس الرجل افلاسا، اذا قل ماله، وأصله من الفلس اذا صار ذا فلوس بعد أن كان ذا دراهم. الدلالة على ماقلناه، قول النبي ﷺ: «من باع سلعة ثم أفلس صاحبها فوجدها بعينها فهو أحق بها من الغرماء»(٩٦) (رجع).

فصل

ومنه اليه (ر حمهما الله): وأما ما سألتني عن زكاة هؤلاء الغرباء القادمين المبتلى بهم في بلدك، فانبئك بما سمعته من جزء «بيان الشرع»، ومن جزء «المصنف» عن أبي سعيد بن محمد بن سعيد الكدمي (رحمه الله)

---

(٩٦) أخرجه الدارقطني في السنن ٤/ ٢٣٠.

لعله في يهود العرب، ونصارى العرب، يؤخذ منهم نصف العشر. وان كان هذا الغريب من أهل الشرك الذين قد ثبت لهم ذمة مع المسلمين، ومسكنهم في أمصار المسلمين، وتجري عليهم الجزية، فهذا الصنف ليس عليهم زكاة ولا عشر، وانما عليهم الجزية، عندي أنه لا يصح هذا للمشرك أنه من أهل الذمة، الا اذا صح بالصحة، اذا لم يقر هو أنه مستسلم للمسلمين، ويؤدي مايلزمه من الجزية لأن أصل الشرك حرب للمسلمين، الا من صح استسلامه منهم للجزية، أو لصلح جرى بينه وبين المسلمين، والله أعلم. وأما الغريب اذا قدم من دار أهل الشرك، وكان مسلما، ولم يكن ماله الا دراهم ودنانير، فعلى ماسمعته من الأثر، ومن «بيان الشرع»، و«المصنف»، أنه لاتؤخذ منه الزكاة على الجبر حتى يحول عليه الحول مع المسلمين حيث يحمونه، وان قدم بذهب وفضة من غير الدراهم والدنانير المضروبة فهي بمنزلة البضاعة ان قلبها في شيء أو باعها ، أخذت منه الزكاة، ولو قبل الحول، فهذا على معنى ماسمعته فيما عندي، واعتبرته وأمعنت فيه النظر بجهدي، وما التوفيق الا بالله، عليه توكلت، واليه أنيب.

قلت له : وفي هالك خلف مالا، وبين ورثته أيتام وبلغ، فسلم البالغ المال، ولم يكن للأيتام وصي ولا وكيل، وكان المال تجب فيه الزكاة جملة، فلما قسم لم تجب في نصيب كل واحد منهم على الانفراد، كيف الحكم في ذلك؟

قال : ان كان هذا القسم دخل فيه المسلمون، أو نظر فيه المسلمون أنه صلاح للأيتام، ولو لم يدخلوا فيه عند القسم، فيعجبني سقوط الزكاة من جملته، اذا لم تجب عند تفرقه، والله أعلم.

قلت له: ومن وجبت عليه زكاة، وكان بيده عبيد، فلما طولب في الزكاة(٩٧)، قال: واحد من عبيدي لخدمتي، فاذا بعته سلمت زكاته، فبعد ذلك باعه، أتجب عليه زكاة أم لا؟

قال : ان كان باعه بعد أن أخرج زكاة ماله، فليس عليه في ثمنه زكاة حتى يحول عليه الحول الثاني، وعنده ذلك الثمن، فانه يحمله على دراهمه التي كان يزكيها.

قلت له : وفي رجلين لهما غنم مجتمعة في الحول، غير أنهما فرقاها في أيام من ذلك الحول، أيحمل بعضها على بعض، فرقت في شيء من أيام الحول قليلا أو كثيرا أم لا؟

(٩٧) الأفصح : طولب بالزكاة .

قال : ماسمعته من الأثر أنها لاتحمل بعضها على بعض الا اذا اجتمعت حولا كاملا في المحلب والمرعى والمربض، على قول من يقول: وجوب الزكاة بالاجتماع، والله أعلم.

قلت له : ورجل تزوج بامرأة، ولم يدخل بها، الى أن خلت سنتان أو أكثر، وهو لم يوفها عاجلها، ويبلغ فيها نصاب الزكاة، ثم دخل بها بعد ذلك، ولم يوفها عاجلها، ويبلغ فيها نصاب الزكاة، ثم دخل بها بعد ذلك، ولم يوفها من حينه الا بعد مدة طويلة، أيحسب عليها الزكاة منذ تزوج بها أم عند وفائه لها؟

قال في مثل هذا يجري فيه الاختلاف، والقول الذي يعمل به: اذا تزوج بها ورضيت به زوجا، يحسب عليها النصف من عاجلها قبل الدخول بها. وأما بعد الدخول فيحسب عليها عاجلها كله، منذ دخل بها، ولو لم تقبضه. لأنها قد استحقته، فان كان زوجها مليا، متى ماقامت عليه أخذت حقها بحكم أو بغير حكم، فيعجبني أن تاخذ زكاة صداقها العاجل اذا حال الحول على النصف بعد أن تزوج بها ورضيت به زوجا. واذا حال الحول بعد أن دخل بها أخذت الزكاة منها بعد أن يبلغ نصاب الزكاة، وان كان مفلساً، فيعجبني أن لاتجبر على أداء الزكاة الا حتى تقبضه(٩٨)، فاذا قبضته وجبت عليها الزكاة في السنين الماضية فهذا مايعجبني، والله أعلم.

قلت له: واذا منحت هذه المرأة ولدا لها مالا، وصار المال بيده وفي حوزه ويخدمه، وله الغلة، وأصل المال لم يبلغ نصاب الزكاة، والمرأة لها أموال تبلغ فيها الزكاة، أيحمل على زكاتها هذا المال أم لا؟

قال : اذا استحق الولد الثمرة قبل أن تدرك، فادركت في يده فلا يحمل على أمه.

قلت له : واذا كانت له هو نخل أيحمل عليه هذا المال أم لا؟

قال : ان كانت له نخل حملت عليه، والله أعلم.

قلت له: واذا هلك رجل وخلف أموالا يبلغ فيها نصاب الزكاة، وترك ورثة وزوجة، وقد كتب لزوجته ثلث ماله بحق لها عليه، فاذا أخذت الزوجة هذا الثلث بقي المال لم يبلغ فيه نصاب(٩٩) الزكاة، واذا كان جملة بلغت فيه الزكاة، والأموال لم تقسم بعد، أتحمل هذه الأموال جملة ويؤخذ منها الزكاة

(٩٨) الأنصح : لا تجبر على أداء الزكاة حتى تقبضه.

(٩٩) لعل الأنصح : بقي من المال دون النصاب .

أم لا؟

قال: على صفتك هذه يجري فيه الاختلاف، وأرجو أنها تحمل على هذه الصفة.

قلت له : ومن كان يزكي بشهر معروف، فاشترى ثيابا وتجارة وغيرها ليدفعها الى امرأة ليتزوجها، فبقي ذلك في يده لم يدفعه الى امرأته، الى أن دخل شهره الذي يزكي فيه، أيلزمه زكاة في هذا الذي اشتراه أم لا؟

قال: لازكاة عليه اذا لم يرد به للتجارة(١٠٠)، اذ اشتراه قبل دخول وقت دخول وقته على ماسمعنا من الأثر، والله أعلم.

قلت له: وهل تجب الزكاة على من أصاب من المال الموقوف على أبواب البر اذا كان نصيبه بقدر ماتبلغ فيه الزكاة؟

قال: لا زكاة عليه فيه على القول الذي نعمل عليه، ولايخلو من الاختلاف، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمه الله) : وما تقول في المفقود اذا كان له مال من الورق، وكان قبل فقده تجب فيه الزكاة، ولما فقد بقي المال مجتمعا، أتؤخذ منه الزكاة كما كانت أم لا؟

الجواب : لايعجبني أن تؤخذ الزكاة من دراهم المفقود لأنه لايدري كيف حاله، فاذا انقضى أجله وورثها ورثته وحال عليها الحول بعدما ورثوها، وكان نصيب كل واحد تجب فيه الزكاة، فحينئذ تجب فيها الزكاة. وان كان معه دراهم من قبل اذا حملوا هذه عليها وجبت فيها الزكاة، فهي عندي بمنزلة الفائدة للورثة حين ورثوها، والله أعلم. وأما زكاة الثمرة، فانها تؤخذ من مال الغائب المفقود اذا وجبت فيها، اذا كان الامام يجوز له أخذ الزكاة، والله أعلم.

قلت له: واذا كان ورثة أيتام وبلغ، قسموا مالا بينهم من غير أن يكون للأيتام وكيل ولا وصي من قبل أبيهم، ولا من قبل الحاكم، أيخرج اذا وجبت في المال جملة، اذا لم تجب في نصيب كل واحد من الشركاء؟

قال: لايعجبني أن يحملوا على بعضهم بعض اذا كانوا قد قسموا مالهم، لأن القسمة مؤجلة الى بلوغ الأيتام، فان أتموها تمت وان نقصوها انتقصت، وحملهم على بعضهم بعض على الجبر دخول في الشبهة لأنه اذا أتم الأيتام

(١٠٠) الصواب : اذا لم يرد به التجارة .

هذا القسم تم من أوله، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي البانيان اذا سكنوا في بلاد المسلمين ويسيرون الى مسكد واليمن والهند وغيرها من البلدان، ولم يكن لهم أهل ولا امرأة، أو كان لهم امرأة وأولاد في بلاد المسلمين، أتؤخذ منهم الجزية لما أقام(١٠١) في بلاد المسلمين، وتسقط عنه اذا سافر عنها؟

قال : لاتؤخذ منه الجزية في الأيام التي خرج فيها عن حمى المسلمين حيث يحمونه، ولا أحفظ فرقا أن يكون له أهل في بلاد المسلمين أو لم يكن له أهل، والله أعلم.

قال المؤلف : الحمى، بكسر المهملة وفتح المهملة وهي الميم، هو خلاف المباح للحديث الوارد: «لا حمى الا لله ولرسوله»(١٠٢)، وهو ماخوذ من حميت، أي: منعت، يقال: حميت الشيء حميا، أي: منعته، وحميت القوم حماية، أي: نصرتهم، وحمى من الشيء حميته، أي: أنف. كل هذه الأفعال بفتح ميم الماضي وضمه من المستقبل. وأما قوله عز وجل: ﴿مَاجَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾(١٠٣)، فالذي وجدته عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: البحيرة هي الناقة التي ولدت خمسة أبطن، بحروا أذنها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم نظروا الى خامس ولدها، فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء، وان كان أنثى نحروا أذنها، أي: شقوها وتركوها وحرموا على النساء لبنها، وكان مامعها للرجال خاصة، فاذا ماتت للرجال والنساء، وأما السائبة فهي فاعلة بمعنى مفعولة، وهو البعير الذي يسيب، وذلك أن الرجال من أهل الجاهلية اذا مرض أو غاب له قريب فقال: ان شفاني الله عز وجل أو شفى مرضي أو رد غائبي، فناقتي هذه سائبة، ثم سيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء. وأما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة اذا [ولدت] سبعة أبطن، فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكله الرجال والنساء، وان كان أنثى تركوها في الغنم، وان كان ذكرا وأنثى استحيوا الذكر لأجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، فكان لبن الأنثى حراما على النساء، فان مات

---

(١٠١) الأفصح : عند اقامته.

(١٠٢) أخرجه كثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ٧/ ٢٤١.

(١٠٣) سورة المائدة : ١٠٣ .

منهما شيء أكله الرجال والنساء، وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده، وقالوا اذا نتج عن صلبه عشرة أبطن، قالوا: حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء، فاذا مات أكله الرجال والنساء، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي الغنم اذا كانت فيها الزكاة قدر رأس غنم، فلما حال عليها الحول ووجبت الزكاة، توالدت حتى تجب فيها شاتان، أيؤخذ شاتان من تلك الغنم، أم حتى يحول عليه الحول منذ وجبت فيها شاتان.

قال: ماسمعته من الأثر ان منزلة الغنم في الزكاة اذا زادت بعد الحول، قبل أن يخرج منها الزكاة، منزلة الفوائد في الدراهم، لافرق في ذلك، وأما الأولاد للمواشي، كانت ابلا أو بقرا أو غنما، في أكثر القول أنها تحسب اذا كانت راعية مع أمها ان كانت أمها ترعى، وان كانت محبوسة في البيت فاكلت الشجر حسبت مع أمها في الزكاة، والله أعلم.

قلت له: واذا كان رجل يزكي دراهم في شهر معروف، فلما [آتى] شهره الذي يزكي فيه أخذ بضاعة قبل أن يخرج زكاته، أتحمل عليه البضاعة أم لا؟

قال : على ماسمعته من آثار المسلمين (رحمهم الله) أن في مثل هذا يجري فيه الاختلاف، قول هو بمنزلة الفائدة، ولايسقط عنه الدين الذي عليه، وأرجو أن الامام (رحمه الله) يأخذ بهذا القول، وقول: فيسقط(١٠٤) عنه بقدر ماعليه من الدين ويحسب مابقي، والله أعلم.

قلت له: ومن استقعد صافية للمسلمين، الأرض والماء، بدراهم مسماة، ومنحه القائم غلة النخل، أتحمل غلة الصافية على غلة مال المقتعد، ويؤخذ منه الزكاة أم لا؟

قال : لايحمل نخل الصافية على نخل المقتعد، وكذلك كل [صافية] وقعت، ويطلب منها الزكاة كانت لمسجد أو لغير مسجد، وانما يحمل الزرع من الصافية اذا كان للمقتعد، والله أعلم.

قال المؤلف : المنح الاعطاء وهو بفتح نون الماضي والمستقبل. وقيل: بكسره، وفي الحديث: «من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه»(١٠٥)،

(١٠٤) الأفصح : يسقط .

(١٠٥) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير ١١/ ٥٠، انظر تخريجات أخرى. موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٥١٣ ـ ٥١٤.

(رجع).

قلت له: وفي الذي أعطى ولدا بالغا مالا له يستغله فحوزه اياه منذ سنين، والولد شيء له غير ذلك المال، والمال لايبلغ نصاب الزكاة، أيحمل ذلك المال على مال الوالد أم لا؟

قال : اذا استحق الولد ثمرة المال قبل أن تدرك، وأدركت في يده لم يحمل على مال الأب، اذا كان الولد في غير حجر أبيه، والله أعلم.

قلت له: واذا كان امرؤ في يده مال دين أجل، وعنده مايبلغ نصاب الزكاة والدين على امريء غني، فهل يحمل الدين للأجل على الذي في يده أم لا؟

قال : يعجبني في الدين الأجل من الدراهم والدنانير أن يحمل على المال الذي في يده في الزكاة ، ولكن لا منه الزكاة (١٠٦) ، الا اذا حل اذا كان على غني وفي، أو يقدر صاحبه أن يأخذه في الحكم، والله أعلم.

قلت له: واذا حصل لامريء، من زرع ماله، حب كان من زجر أو نهر، وكان قد أخرج شيئا من رأس ماله، أيحمل عليه من زكاة الدراهم وجبت في الحب زكاة أو لم تجب، وكذلك القطن والقت وغير ذلك؟

قال : ان كان زرعه للتجارة ووجبت فيه زكاة الثمرة، ففي ذلك اختلاف، قول: يزكى زكاة الثمرة، وقول: يزكى زكاة التجارة، وقول: يؤخذ بالأوفر للزكاة، وأنا يعجبني من الأقاويل: ان وجبت فيه زكاة الثمرة، فيؤخذ منه في تلك السنة زكاة الثمرة، وان لم تجب فيه زكاة الثمرة أخذت منه زكاة التجارة أوفر(١٠٧) لبيت مال المسلمين، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفسر لي سيدي المسألة التي كنت سألتك عنها التي هي في أمر الجزية في الذمي اذا كان ساكنا في بلد المسلمين فسار الى بلد المشركين لقضاء حاجة، فقلت لك أتؤخذ منه الجزية في الأيام التي سار فيها، فأجبتني أنه على قول : اذا كان له مال وأهل في بلاد المسلمين، أن عليه الجزية، أرأيت سيدي ان لم يكن له نخل ولا أرض ولا بيت طين في بلد المسلمين، وانما له خيمة خوص، أعليه الجزية أم لا؟ وكيف صفة المال الذي اذا كان له في بلد المسلمين وجبت عليه الجزية ؟

---

(١٠٦) لعل الصواب : لاتخرج منه الزكاة الا.

(١٠٧) الأفصح : وذلك أوفر .

قال: لم أحفظ لذلك حدا معروفا في المال والأهل، وفيما عندي أنه يقتضي معنى هذه المسألة ان كان هذا الذمي في خروجه مسافرا، ونيته أن يرجع الى بلده هذا، وقد أتخذه وطنا أو سكنا، وكان له فيه أحد من الأهل الذي يأوي اليه أو له مال يأوي اليه، قل المال أو كثر، فيكون معنى المسألة عندي على هذا، وأما خيمة الخوص اذا كانت الأرض ليست له فعندي أنها لايعتد بها، والله أعلم.

وأما قولك : فيمن أقر أن معه دراهم لليتيم، فقلت : أتقبل قوله اذا قال: أنه حال عليها حول أم لا؟ فان أقر من في يده الدراهم أنها لليتيم فانه يقبل قوله، وتكون الدراهم لليتيم، وأما قوله: أنها قد حال عليها حول، فلا يقبل الا بالصحة، اذا كان غير ثقة، ويحسب حولها منذ أقر بها هذا المقر، فاذا حال عليها الحول منذ أقر بها وكانت فيها الزكاة، أو اذا حملت على غيرها من مال اليتيم وجبت فيها الزكاة، فحينئذ يقام لليتيم وكيل يقبض ماوجب فيها من الزكاة للمسلمين، اذا كان قد جاز الجبر للمسلمين على قبض الزكاة، وأما الثمار فللمصدق قبضها اذا وجبت في مال اليتيم، اذا كان الامام قد جاز(١٠٨) له الجبر على الزكاة، والله أعلم.

مسألة: وهالك أوصى أن تنفذ وصيته من ماله الفلاني، فاعطي الورثة المال لانفاذ الوصية، أفي المال زكاة أم لا؟ وان كان المال وحده لاتبلغ فيه الزكاة، والورثة تبلغ في أموالهم الزكاة أيحمل على الورثة أم لا؟

قال : فيما عندي اذا لم يوص بالثمرة بعينها لأحد أو لنوع من الأنواع مما تجوز فيه الوصية، وانما أوصى ببيعها لانفاذ شيء من الوصاي، فلا تبطل الزكاة منها اذا وجبت فيها بأي وجه كان، والله أعلم.

قلت له: واذا لزمت الوالي زكاة هل يجوز له أن يعطيها أحدا من عماله ليدفعها له أم لا؟

قال: يعجبني له أن يدفعها الى أحد من العمال قد جعل له قبض الزكاة، فاذا قبضها المجعول له قبض الزكاة بريء منها، اذا كان القابض لها أمينا ثقة، والله أعلم.

قلت له: واذا أوصى هالك في ماله لمسجد، كل سنة ستين منا تمرا، والمال معين معروف، وفي المال عامل يعمل فيه بالسدس، والمال واسع، فاخذ العامل حصته من جملة المال، هل عليه زكاة في جميع حصته من هذا المال، أم يسقط

(١٠٨) الأفصح : قد أجاز .

عنه بقدر سدس الوصية؟

قال : على هذه الصفة اذا بلغت في المال الزكاة، وكان العامل يعمل بجزء من الثمرة، مثل عشرا أو أقل أو أكثر، فعلى العامل زكاة حصته من التمر من هذا المال، على القول الذي يعمل به، ولا يسقط عنه من الستين شيء، لأن ذلك متعلق في أصل المال على من يملك المال ان شاء أعطى من تمر المال، وان شاء من غيره من أوسط التمر، اذا لم يكن في الوصية من تمر ذلك المال، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول في فطرة الأبدان، هل للمصدق بيعها الذي تجب عليه قبل قبضها أم لايجوز؟

الجواب وبالله التوفيق : انها بمنزلة الزكاة على قول، فيجوز فيها مايجوز في الزكاة، وقول: انها غير الزكاة، فلا يعجبني فيها قبل قبضها، لأنها تختلف أحوالها على المتعبدين بها، منهم من يعطي البر أو الأرز، ومنهم من يعطي الذرة والشعير، وكل يخرج مما ياكل الا أن يتفضل أحد بافضال من ذلك، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): ومن كان عنده غنم وأخرج منها سمنا، ثم جاء شهره الذي يزكي فيه ورقه، أيحمل عليه السمن اذا كان للتجارة أم لا؟

الجواب : ان كانت هذه الغنم أخذت للتجارة وجاء منها سمن ينويه للبيع، وكان بعد أن زكى غنمه ولم يبق عليه شيء من زكاة الورق، ولا من زكاة الذهب والفضة، ولاشيء من زكاة التجارة، لم يحمل عليه ذلك السمن، وان بقي شيء من زكاة الدراهم، حمل عليه ذلك السمن بالقيمة، اذا كان بقي عليه شيء من الزكاة لم يتركه من عذر الا على سبيل التاني، أو نواه للأكل، عليه فيه زكاة، والله أعلم.

قلت له : اشرح لي سيدي أحكام الحربي، اذا قدم الينا لأخذ الزكاة؟

قال : على ماسمعته من آثار المسلمين أن الحربي اذا قدم بمال الى بندر المسلمين يؤخذ منه مايأخذ سلطانهم، فعلى هذا القول لايكون ذلك الا بالصحة أو باقرار من أصحاب المال، لأنه جاء في الأثر قولا مجملا: أن الحربي اذا قدم بمال الى بندر المسلمين وحدر(١٠٩) معهم، أخذ منه العشر. أما المسلم اذا قدم بمال، من دار أهل الشرك، الى بندر المسلمين، جاز للمسلمين أن يسالوه عن

(١٠٩) كذا في الأصل : والمعنى غير بين .

الزكـاةحين مـاباع سلعته أو قلبها الى نوع آخر حتى جاء فيه قول عن محمد ابن محبـوب (رحمه الله) أنه لو سـافـر بماله الى أهل الشرك في السنة مـرارا، فكلما قدم بماله من دار أهل الشرك الى بندر المسلمين، وقلب متاع آخر، وباعه، جـاز أخـذ الزكاة منه، وأما سليمان بن الحكم (رحمه الله) فقال: لا تؤخذ منه الزكـاة الا في كل سنة مـرة، وأمـا الفـرق بين أهل الذمة وأهل الحرب: أما أهل الذمـة الذين خـرجـوا من دار قد صالح أهلها المسلمين على تسليم الجزية لهم أو على تسليم شيء من أموالهم الى المسلمين، وان كان لم يكن منه شيء من هذا فـهم أهل حـرب، والله أعلم، وأمـا المشرك اذا قـدم بمال في يده أنه لمسلم، وهو المال الذي قـدم به الى بندر المسلمين، فـعندي أنه لم يخرج من الاخـتـلاف في تصـديقـه على مـاأشـبـه هذه المسالة من المسـائل، فقول: انه يصدق، وقول: لايصدق اذا اتهم، اذا كان قد وجب فيه حق للمسلمين، والله أعلم.

فصـــل

مـسالة : ومنه اليه (رحمهما الله) : وعن رجل عنده أربعون شاة، فحال عليـهـا حول ولم يقف عليها المصدق، فلما جاء المصدق بعد شهر أو شهرين، وجدها يجب فيها رأسان(١١٠)، أعليه رأس أم رأسان، أم كيف الحكم في ذلك؟

الجـواب : ان ترك تادية الزكاة من عذر ينتظر بها الوالي لأن الوالي ليس بقربه، فلا يـعجبني في الفائدة عليه زكاة، وكذلك ان تلفت دوابه وهو على هذه الصـفـة فليس عليـه زكاة ماتلف منها ولو بعد الحول، وترك مابقي اذا كان التلف على غير تضييع منه، والله أعلم.

قلت له: والمشرك اذا كـان سكنا دار الاسلام، أيجوز للوالي أن يسقط عنه الجـزية اذا كـان يستخدمه في شيء من أمور المسلمين مثل نقد دراهم أو غيره، أو أنه ترجمان لحديث الغرباء أم لا؟

قـال : واذا كان أمر المسلمين قائما، وكان هذا المشرك ممن تلزمه الجزية، وكـان في حمى المسلمين، لم يجز أن تحط عنه الجـزية التي أوجـبها الله عليه لأجل نفـعـه، الا أنه اذا أراد الوالي أن يعـوضه على قدر نفعه للاسلام من مال المسلمين لم يضيق عليه ذلك، والله أعلم.

قلت له: وفي امـرأة مـات زوجـها ولها عليه صداق آجل، فلما مات وحل صداقها عليه لم يوفها الوصي الى سنين، أيجب عليها تسليم الزكاة قبل قبضه لما مضى من السنين التي مضت ولو لم تقبضه؟

(١١٠) لعل الأفـصح : وقـد وجبت فيها الزكاة رأسين .

..... وإن(١١١) كانت لم تقدر على أخذه وهي ممنوعة عنه(١١٢) فلا تجبر على أداء الزكاة عنه، فان قبضته بعد ذلك فيعجبني أن تؤدي الزكاة عن السنين الماضية، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في زكاة المواشي اذا كانت تزكى في شهر ذي الحجة، فاخرها المصدق الى شهر ربيع من أجل اشتغال منه، وكان على أحدهم رأسان، فتناتجت في تلم الشهور التي أخر تادية الزكاة فيهن، فصارت تجب فيهن على كل واحد ثلاثة أرواس(١١٣)، أتؤخذ منهم الزكاة؟

قال : ان زكاة الغنم مثل زكاة الدراهم، تحمل عليها الفائدة ما لم يخرج زكاتها كما تحمل على الدراهم، في أكثر قول المسلمين، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في من عنده نصاب تجب عليه فيه زكاة الورق، وعنده سفينة يصيد عليها السمك فجمع فيها سمكا كثيرا، ونيته أن يبيعه، أيحمل على دراهمه؟

قال : على صفتك هذه لا يحمل على دراهم ما لم يبع على القول الذي نعمل به.

قلت له : أنبئني عمن اشترى مالا ببيع الخيار فاستغل من الثمرة أقل مما تجب عليه من زكاة الدراهم المبتاع بها المال، أعليه زكاة تلك الدراهم أم لا؟

قال : عندي على قول من يقول : ان الزكاة في الدراهم المشترى بها أصل الخيار لا ينظر الى كثرة الغلل وقلتها، وانما ينظر الى الدراهم ان كانت تبلغ نصاب الزكاة، والله أعلم.

وأما قولك في زكاة الابل، أما الذي عنده عشر من الابل ولغيره فيها ثلث ثلاثة أبعرة، فعليه فيها شاتان، ويحاصصه الذي له ثلث الثلاثة الأبعرة بخمس شاة، وأما الذي له سبعة أبعرة وله ثلث ثلاثة أبعرة، لم تكن مختلطة في ابله لم يكن عليه من الزكاة الا شاة، فان كانت الأبعرة التي له فيها الثلث مختلطة مع ابل تلزمه فيها الزكاة حاصصهم بما يقع عليه، وان لم تكن تلزمه فيها الزكاة، فالشاة تكفيه الا أن تكون هذه الأبعرة التي فيها الثلث أصلها من أبعرته الا أنه أقناهم اياها بالثلثين للبرنية، فعلى قول:

---

(١١١) يوحي السياق بنقص في الكلام .

(١١٢) الصواب : منه.

(١١٣) الصواب : رؤوس أو أروس .

تلزمه شاتان ويحاصصه أصحابه بنصيبهم، وأما الذي يدعي صاحبه أنه للسفر، وهو متروك في السائمة، فلا يعجبني أن يصدق اذا كان متهما، وان كان يحمل عليه ساعة يحتاج اليه، وان استغنى عنه تركه في السائمة فلا يبطل عندي هذا منه الزكاة، والله أعلم.

قلت له: واذا اشترى رجل من رجل مالا، فمكث المال في يد المشتري زمانا، فبعد ذلك غير فيه بالجهالة، وجاز له الغير، ووجبت له دراهمه، أتجب عليه الزكاة في السنين الماضية، أعني زكاة دراهمه أم لا؟

قال : ان كانت هذه الدراهم يبلغ فيها نصاب الزكاة، فعلى ماسمعته من الآثار أنها لاتبطل منها الزكاة للسنين الماضية اذا نقض البيع بالجهالة، فان كان المسلمون أخذوها من البائع، ردوها عليه من مال المسلمين، وأخذوها من المشتري، هكذا سمعته من الأثر، والله أعلم.

قلت له: وفي الذي له أجرة في بيت المسلمين، وعليه زكاة أيجوز له أن يقاطع زكاته بأجرته أم لا؟

قال : لايعجبني أن يخرج من الاختلاف، وأنا يعجبني الموافاة في هذا، والله أعلم.

مسألة: ومنه اليه (رحمهما الله): وفي رجل عنده خمسة وثلاثون رأس غنم، وله نصيب في أربعين رأس غنم عند أناس، أن لو قسمت هذه الأربعون لجاءته خمسة أرواس غنم، وتلك الأربعون يزكيهن من هو في يده، عرفنا هداك الله؟

الجواب وبالله التوفيق : يعجبني في هذا قول من يقول: ان عليه في هذه الخمس والثلاثين رأس غنم الا ثمن رأس اذا كانت معتزلة عن الغنم التي لها [فيها] نصيب، والله أعلم.

قلت له: وفي الهالك اذا [كان] عنده مال ببيع الخيار، فاوصى بالمال الذي عنده ببيع الخيار للحجة، أتجب الزكاة في ذلك المال، زكاة التمر، وزكاة الدراهم، أم لا؟

قال : أما في الدراهم فيعجبني أن لازكاة فيها على صفتك هذه، وأما التمر ان بلغ النصاب ففيه الزكاة اذا كان لم يوص الا بالدراهم والله أعلم.

قلت له: وفي الزرع من قطن وغيره أيحسب في الزكاة في ثمنه أم لا؟ ويحمل على الدراهم أم حتى يباع؟

قال : ان كان زرع للتجارة، حسبت قيمته مع الدراهم، وان كان زرع لغير التجارة لم تجب حتى تبلغ [و] تباع، والله أعلم.

قلت له: في الابنة الصغيرة اذا أعطتها أمها صوغا أتحمل على أبيها في زكاة الدراهم، اذا لم يكن لأمها شيء من الصيغة أم لا؟

قال : اذا استحقته الابنة بوجه من الوجوه، وصار لها دين، تحمل على أبيها في الزكاة، ولا تحمل على أمها الا اذا كانت أعارتها اياها لتلبسه، فانه يحمل على أمها ، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في زكاة الابل والبقر عند هؤلاء العامرية(١١٤) اذا أرسلنا المصدق ليقبض زكواتهم، فيقول أكثرهم أنها ودائع وخلائط، ولم يحل عليها حول، أياخذ المصدق من كل ماوجده معهم من الابل والغنم؟ أم يصدقهم فيما يدعون ؟ أم كيف ذلك؟

قال : على ماسمعته من الأثر أن المصدق اذا خرج لقبض زكاة الماشية، قول: ياخذ الزكاة من كل غنم وجدها مجتمعة ولو كانت كل شاة من عند أحد، ولا ينظر في قول من في يده الغنم أنها لايحل(١١٥) عليها حول في الاختلاط، وقول: ياخذ منها الزكاة، فان احتج صاحبها على أنها لم يحل عليه حول تركه، وقول: لايطيب له الأخذ منها الا اذا علم أنها قد حال عليها حول، أو صح معه ذلك، فيقر صاحبها أنها قد حال عليها حول، والله أعلم باعدل الأقاويل. وأرجو أن الامام المؤيد المنصور المسدد ناصر بن مرشد بن مالك (رضي الله عنه) أن أحدا من بني هناة في زكاته(١١٦)، تظاهرت عليه التهمة بالكذب في قوله: ان ماله لم يحل عليه حول، فاخذ فيه بقول من قال: لايقبل قوله، لأنه بينه اليقين أنه كاذب، والله أعلم.

قلت له: واذا استقعد رجل أموالا موقوفة على شيء من أبواب البر أيحمل على نخله في الزكاة أم لا؟

قال: لايحمل النخل على ماله على هذه الصفة، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وعن بيع الصدقة قبل قبضها، كان القابض لها فقيرا أو من قبل الامام؟

---

(١١٤) العامرية : لعل المراد بذلك قبيلة العوامر من البدو .

(١١٥) الأنصح : لم يحل .

(١١٦) كذا التعبير في الأصل، ولعل المراد : كذب في زكاته فتظاهرت.

الجـواب وبالله التوفيق : يجري في مثل هذا الاختلاف، ويعجبني إن كان القـابض لها من قـبل الامـام جواز ذلك رآها المصدق أو لم يرها، اذا رأى ذلك أوفر للمسلمين، وان كان القابض لها فقيرا فلا يجوز ذلك، والله أعلم.

قلت له: وفي المال المبيع بالخيار هل في ثمنه زكاة؟

قـال : ان كان ثمنه باقيا في يد البائع حتى حال عليه الحول، وهو يبلغ نصـاب الزكـاة، أو مـعه شيء من الدراهم يحمله عليه، ففيه الزكاة، ولا فرق فـيـه بين الذي عند البـائع من الدراهم وبينه هو، لأن ماله يتصرف فيه على مايشاء، والله أعلم.

قلت له. واذا كـان امـرؤ يعـرف بكتمان الزكـاة، ووجد في يده مال يبلغ نصـاب الزكـاة، وقـال انه ليس له، أيكون القول قوله وتسقط عنه الزكاة أم لا؟ وكـذلك كـان حق مكتـوب بصك على رجل، فقال لابنه أو لغير ابنه وليس هو له، أيكون القول قوله اذا تبين منه كذب وكتمان الزكاة أم لا؟

قـال : أمـا قـوله : انه ليس له ولم يقـر به لأحـد، فليس يقـبل قوله في ابطال الزكاة، وأما اذا أقر به لأحل، فيطلب منه الزكاة من الذي أقر له به، ان كـان يدرك، فـان صدق اقراره أخذت الزكاة منه على مايوجبه الحق، وان أنكر اقـراره رجـعت الزكـاة على من في يده المال. وان أقـر به لمن لاتجب عليـه فيه الزكـاة مـثل الذمي، فـفي ذلك اختلاف، قول: لا يقبل قوله، وقول: يقبل، والله أعلم.

قـلت له: واذا اسـتطنى رجل نخـلا من بلد وحمل البسر المغلو(١١٧) أو التـمـر الى بلد آخـر، وأخرج الزكاة من البلد(١١٨) الذي حمل اليـه التـمر أو البسر، أعلى الزكاة نصيبها من الكراء أم لا؟

قـال : اذا كـان التـمـر والبسر حمل من بلد يمكن ترك الزكاة فيه الى ان يجيء القـابض يقـبـضها، لم يعجبني أن يكون على الزكاة كراء اذا حملها الى غير ذلك البلد، وان كان وقع الحمل لهذه الزكاة من موضع لايمكن تركها فيه، وليس فيه أحد يقبضها، فعلى هذه الصفة على قول من يقول: ان الزكاة شريك يكون عليـهـا حصتها من الكراء، وعلى قول من يقول: انها مضمونة في الذمة، لم يكن عندي عليها كراء، والله أعلم.

---

(١١٧) البسر المغلو : لعله المغلي، أي المطبوخ، اذ من العادة معالجة بعض أصناف الرطب كالمبسلي والمدلوكي ونحوهما.

(١١٨) الأفصح : في البلد .

وأما قولك في الذي عنده من الابل، ولغيره فيها ثلث ثلاثة أبعرة، فعليه فيها شاتان، ومحاصصة الذي له ثلث ثلاثة أبعرة بخمس شاة، وأما الذي له سبعة أبعرة، وله ثلث ثلاثة أبعرة، لم تكن مختلطة في ابله، لم يكن عليه من الزكاة الا شاة، فان كانت الأبعرة التي له فيها الثلث أصلها من أبعرته التي أقناهم اياهما بالثلثين للرقبة، فعلى قول: تلزمه شاتان ويحاصصه أصحابه نصيبهم، وأما الذي يدعي صاحبه أنه للسفر وهو متروك في الساعة(١١٩)، فلا يعجبني أن يصدق اذا كان متهما، وان كان يحمل عليه ساعة يحتاج اليه، وان استغني تركه في الساعة، فلا يبطل هذا عندي من الزكاة، والله أعلم.

قلت له: وفي مال موصى فيه بوصية أن يخرج من غلته كل سنة كذا وكذا، من تمر لفطرة شهر رمضان، أتخرج الزكاة قبل هذه الوصية، أم تخرج الوصية قبل الزكاة؟ وهل تحمل هذه الوصيلة على مايبقى من غلة المال؟

قال : لا ، الا حتى يبقى نصابا تاما، بعد اخراج هذه الوصية، لأن الوصية لا زكاة فيها، والله أعلم.

قلت له: في نخل يسقى وقت الشتاء بالزجر، وفي وقت الحر يقطع عنها [ماء] الزجر، وتدرك تمرتها بغير ذلك؟

قال : ان كانت هذه النخلة اذا لم تسقى بالزجر أثمرت ثمرة هينة، وان سقيت بالزجر أثمرت ثمرة جيدة، وبان صلاح الزجر فيها صلاحا واضحا، فلا يعجبني أن يؤخذ من هذه النخل أكثر من نصف العشر، كان السقي جرى عليها الى أن تدرك وقطع عنها قبل أن تدرك، اذا كان صلاحه في الثمرة، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي رجل سافر الى عدن قبل محل زكاته بشهر، وأقام ماشاء الله من الشهور في عدن، ثم جاء ومعه عبيد، وبن، وورس، فلما أن سئل عن الزكاة، قال: عنده واحد لرجل غائب، وواحد لخدمته البيت، والورس عنده أمانة للناس، والبن أخذه من عدن بالدين وباعه في مسكد، ووافاه الديان ولم يبق له منه شيء، وهو قد دخل بلده بماله كله، وسار بعده الى مسكد وباع البن وهو يقول: انه أوفاه الديان الذي عليه(١٢٠)؟

قال: أما الذي أوفاه في الدين بعد أن وجبت عليه الزكاة فلا تبطل الزكاة

---

(١١٩) كذا التعبير في الأصل .

(١٢٠) الأنصح : في الذي عليه .

الا أن يكون عليه هذا المال قبل وجوب الزكاة عليه، ففي ذلك اختلاف، فقول: يسقط عنه الدين، وقول: لايسقط، وبهذا ياخذ الامام (رحمه الله). وأما الذي أقر به لغيره من المال الذي جاء به، فسمعت أن الامام المؤيد ناصر بن مرشد ابن مالك(رضي الله عنه) لايقبل قوله، اذا كان غير ثقة، ومتهما بكتمان الزكاة، وأما العبد الذي أقر به للبيت ولم ينوه للتجارة، فليس عليه فيه زكاة، وقوله فيه مقبول الا أن يكون اشتراه بعد وجوب الزكاة فيه، والله أعلم.

قلت له: وفي امرأة هلكت، ومعها حلي تجري فيه الصدقة، فماتت قبل محل زكاتها، وبقي الحلي لم يقسم الى أن وجب الشهر الذي تزكي فيه حليها، ووجب لها بعد موتها أجل صداقها على زوجها، مايجب في هذا الصداق؟

قال : أما اذا ماتت المرأة قبل وجوب الزكاة، وبقي غير مقسوم حتى جاء وقت زكاتها، ففي ذلك اختلاف، فقول: أنه تجب فيه الزكاة كما كانت تجري فيه من قبل، في حياة المرأة، ولاينظر الى نصيب الورثة، فعلى هذا القول كل مال لها تجب فيه الزكاة اذا حمل على هذه الصيغة من الذهب والفضة، كان من الصداق الذي لها على زوجها أو غيره، اذا لم يقسم لهو تابع للصيغة، وان أبرأ الورثة الزوج منه قبل وجوب الزكاة، يطلب الزكاة اذا كانوا ممن تجوز براءتهم من حقوقهم، وبالله التوفيق.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) قلت له: وماتقول سيدي في رجل عنده ثلاثة وعشرون بعيرا الا ثلث بعير وفيها أربع عوامل، ومعه زوجه عندها اثنا عشر من الابل، ويقول الزوج ان ابل زوجته يرعاها راع غيره ومحلبها غير محلب الزوج لكن في المسير والمجيء جميعا، وكل واحد اذا أراد أن يحلب ابل صاحبه لم يمنعه أتكون خلطه أم لا؟

قال : اذا كانت هذه الزوجة لم تفوض زوجها في مالها فعلى صفتك ليس هذه خلطة، اذا كان راعي ابله غير ابل زوجها، لأنا حفظنا من الأثر في أكثر القول الذي يعملون به أن الخلطة في المواشي التي من أجلها على بعضها بعض اذا اختلطن في المرعى والمحلب والمربض، والله أعلم.

قلت له: ومن كان مال (١٢١) موقوف، وقد أوصى له بكذا وكذا منا من تمره أجرة له على قيامه، أتحمل تلك الأجرة على ماله في الزكاة؟

قال : ان كان هذا المال قد وقف جميعه، وانما أوصى لهذا الوصي بهذه

(١٢١) الأفصح : من كان له مال .

الأجـرة على القيام شرط القيام وان لم يقم بها لم يكن له شيء، فعندي أن هذا لا تلزمـه الزكـاة فـيما وقع له من أجرته من ثمرة النخل، ولاتحمل على ماله، لأن الوقف في أكـثـر القـول لا زكاة فيه من ثمرة النخل، وانما الزكاة في الزرع اذا زرعها من تلزمه الزكاة خاصة لنفسه، والله أعلم.

قـال المؤلف : قوله موقوف هو من وقف ماله بالتخفيف وفتح القاف في الماضي وكسره من المسـتـقـبل، يتعدى ، ولا يتعدى، قال امرؤ القيس، في الذي لايتعدى :

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بربع النوى بين الدخول فحومل

وقال أيضا في الذي يتعدى :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسي وتجمل

والحجة البالغة قول الله عز وجل: ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَّسئُولُونَ﴾(١٢٢)، أي: أحـبـسـوهم ، لأنه يقـال: وقـفته وقفا فوقف وقفا ووقوفا، وأما قول الشيخ الفـقيه (رحمه الله): مال موقوف، معناه محبوس ممنوع عن الأكل منه الا لمن وقف له، لأنه يقـال: وقف مـاله على فـلان، أي: حبسه له عن غيره، ولايقال: أوقف مـاله، وكـذلك في الحـديث المنقول عن الأمة السالفة: «أن عثمان اشترى بئرا ووقـفـهـا على جميع المسلمين، وجعل دلوه فيها كدلاء المسلمين»، والأصل لايجوز فـيـه بيع الوقف، ولا هبـتـه، ولا الرجـوع فـيـه عن الأكثرين(١٢٣)، والوقف أيضا السوار من العاج وغيره، قال الحريري :

فان أمهم من في يده وقف قال تعيدون ولو أنهم ألف

أمـهم في الصـلاة، ووقف من التـوقـيف، بمـعنى وقف، وغير هذا تركته خوف الاطالة، (رجع).

قـلـت لـه: ومـا تـقـول في نضـارة الذرة اذا لم يبق الا آدا أو آدين(١٢٤) بالزجـر، والزرع الأول على الزجـر، وأدرك هذا النضار بآدين، أيحمل الأول في الزكـاة؟ أرأيت ان لم يسق النضار وأدرك من غير سقي ولا غيره، وحمله أحد على الأول، وأخذ منه الزكاة، أيكون عليه رد مأخذه على هذا الوجه أم لا؟

قـال : ان كـان الزرع الأول أسس على الزجـر ونضر نضـارا، ولم يسق

---

(١٢٢) سورة الصافات : ٢٤ .

(١٢٣) الأنصح : عند الأكثرين .

(١٢٤) الآد : هو الدور من الماء الذي يسـتـحـقـه المزارع من الفلج. والمقـصود هنا أن يسقى مرة أو مرتين.

النضار فلج ولا مطر حتى أدرك، فهذا عندي زرع زجر، لأنه أسس على الزجر ولم يسق بغيره، وسمعنا شيخنا خميس بن سعيد (رحمه الله) يقول: يعجبه أن يكون في هذا النضار العشر، ويقول فيه اختلاف، فعلى هذا القول، لايحمل على الزرع الأول، فان حمله أحد فعليه رد ماأخذ ان كان لم تبلغ فيه الزكاة بعينه، ورد مثله ان تلف، والله أعلم.

قال المؤلف : قوله النضار ماخوذ من الحسن والنضار، لأن الشجر والزرع أول نبته يروق في العين من حسنه ونضارته، لأنه يسمى في اللغة النضر ، بفتح النون وجزم الضاد هو الشجر الأخضر الرطب، وكذلك الذهب، وكذلك النضر اسم من أسماء الرجال، فمثل بذلك نضارا مثل الذهب، لأن النضار بضم النون هو الذهب الخالص كذلك، نضار الزرع هو خالص في الخضرة غض نضر ليس بموات ولا غيره، فاستخرج هذين النوعين من الحسن والنضارة، وأما فعله نضر ينضر بضم المعجمتين من الماضي والمستقبل، قال الله عز وجل: ﴿تَعرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضرَةَ النَّعِيمِ﴾(١٢٥)، أكثر القراء على الخطاب من ﴿تَعرِفُ﴾ بالتاء الفوقية ونصب الهاء من ﴿نَضرَةَ﴾ إلاَّ يعقوب بضم التاء من ﴿تَعرِفُ﴾، وضم الهاء من ﴿نَضرَةَ﴾، وقيل: نضر وجهه بفتح ضاد الماضي، كما يقال: نضر وجهه نضرة ونضورا فهو ناضر، ونضر الله وجهه نضرا مخففا فهو منظور يتعدى ولا يتعدى، للحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها»(١٢٦)، أي: حسنه، ويجوز نضره من التفعيل، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) قلت له: أنبئني عن رجل أفتاه بعض المسلمين أن الدخل الأبيض هو السهوى يضاف الى الدخن الأسود، فصار ياخذ الزكاة من ذلك ويضيف الدخن الأسود على الدخن الأبيض، ثم سال بعد ذلك أحدا من المسلمين ، فقيل: لايحمل، أيلزمه ما أخذه؟

قال : لايخرج ذلك عندي من جميع الأقاويل ولا أقدر على تخطئة من عمل بقول من أقاويل المسلمين، فان أراد المصدق الاحتياط لنفسه فذلك اليه، والله يحب المحسنين.

---

(١٢٥) سورة المطففين : ٢٤ .

(١٢٦) أخرجه ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ١٥٩/٦، انظر روايات أخرى للحديث في موسوعة أطراف الحديث ٣٥/١٠.

قلت له : وما تقول في رجل عنده نصاب الزكاة يسلمها كل سنة وباع سلاحا أو غيره من الأمتعة والحيوان بعدما وجبت عليه الزكاة، وقيل أن يسلم شيئا من الزكاة، فلما سالناه عن ذلك احتج أنه باع ذلك ليقضي به دينا عليه عابرا، ماتقول سيدي في ذلك؟

قال : على قول من يقول: ان الزكاة في الفائدة اذا استفادها رب المال بعد أن دخل وقت زكاته، وقبل أن تخرج زكاته ففي ذلك الزكاة، على قول من يقول: أنه لايرفع الدين عن صاحب الزكاة، ولو أراد قضاءها في سنته، وأرجو أن الامام أعزه الله ونصره أخذ بهذا القول.

قلت له: ومن أعطاه الامام أو الوالي صافية ليستغلها أتحمل غلة هذه الصافية على ماله؟ أرأيت ان لم يكن له مال غيره، أتلزمه فيها الزكاة أم لا؟ وكذلك عامل الصافية، أتحمل حصته على غيرها أم لا؟

قال : كل هذا في النخل لا زكاة فيه، وأما الزرع ففيه الزكاة.

قلت له: وما تقول في أناس بيدهم أموال يقولون: انها لمساجد قلهات، وهم يبيعونها ويرهنونها، والمساجد غير معروفة، وهي خراب غير معينة، أيحمل هذا المال الذي بيدهم على مالهم في الزكاة أم لا؟

قال : اذا أقر من بيده هذه الأموال انها لمساجد قلهات، فلا يعجبني أن يؤخذ منها الزكاة،لأن كل من أقر بما في يده بشيء من الأشياء التي يمكن ملكها لذلك الشيء، فاقراره مقبول، ويعجبني الوالي غير بيعها(١٢٧) اذا أقروا أنه لمساجد قلهات، ولم تعرف المساجد ولو كانت خرابا، لأنه يمكن أن تعود اذا كانت أرضا قائمة، ولايعجبني أن يجعل لبيت مال المسلمين على هذه الصفة، وترك الشبهات أولى، وترك الدخول للمرء في شيء لايبصر المخرج منه أولى، والله أعلم بالصواب.

قلت له: وما تقول سيدي في امرأة لها حق آجل على رجل، والحق تجب فيه الزكاة وليس معها شيء غيره الا ذلك الحق الآجل، أتجب عليها الزكاة بعد حول مذ دينت الرجل أم اذا حال الحول على دينها؟

قال : على ماسمعته من الأثر، قول: يحسب عليها الحول مذ يوم دينت الرجل، وتقبض منه الزكاة اذا حل، وقول: يحسب عليها الحول منذ حل دينها، وأرجو أن الامام ـ أعزه الله ونصره على أعدائه ـ يعمل على القول الأول، والله أعلم، وهذا اذا باعت عليه شيئا من السلع مما لم تجب عليها فيها

(١٢٧) الأفصح أن يقال : ولا يعجبني للوالي أن يبيعها .

الزكـاة من قـبل، ولم تكن اشترتها بالدراهم والدنانير للتـجـارة، فان كان هذا الدين مما مال(١٢٨) وقع في يديه من الذهب والفـضـة، أو من الذهب والفضة مـايجب عليـهـا فيه الزكاة، فحكم الحول عليها مذ وقع هذا المال في يدها، والله أعلم.

قلت له: وفي امـرأة هلكت، وكـانت في حـيـاتها تسلم الزكـاة في كل سنة اثنتي عشرة لارية فـضـة، فلما مـاتت تبين أن مـعـهـا سـتين مـثـقالا ذهبا، وتـسـعمائة لارية ذهبـا وفـضـة، وتسـعمائة لارية بصرية، وتسـعـة عشر حرفا(١٢٩) ذهبـا، مايقول سيدي في زكاة هذه التي مضت من قبل، وهذا باقرار الورثة، أيؤخذ من هذه الدراهم والذهب الزكاة أم لا؟

قـال : على صـفـتك هذه أنه لايحكم بالزكـاة فيما زاد من الذهب والفضة بعـد مـوت هذه المرأة من غير صـحـة أن كان لها في سنة كذا وكذا، ولم تزل مـعـهـا الى أن ماتت، ولزمها فيه زكاة كذا وكذا من السنين، ولم تخرج زكاتها الى أن مـاتت، فان لم يصح عليهاهذا والا فلا يحكم بالزكاة فيما زاد على مالها الأول، لأن الأمـوال تحـدث الا أن يقر الورثة بزكاة في هذا المال، اذا كانوا ممن يجوز اقراره على نفسه، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول في البيادير اذا عزلوا جلبات(١٣٠) من الزرع لأنفـسهم يوم النذر، الا أنه قبل دراك الزراعة ، أتحمل تلك الجلبات على زراعة الطوي(١٣١) في الزكاة أم لا؟

قـال : ان كـان زرعـا خاصا لهم، فلا يحمل على الطوي، وانما يحمل على نصيبهم، والله أعلم.

قلت له: واذا جـاءت الزراعـة ثلاثين جـريا وأربعة مكاكيك(١٣٢)، أتجب الزكاة في هذه الكسور أم لا؟

---

(١٢٨) كـذا ورد التعبير في الأصل ولعل المراد : من مال.

(١٢٩) الحرف الذهب : لعله شكل من أشكال العملة الذهبية المتداولة في عصر المؤلف.

(١٣٠) جلبـات : مفردها جلبة، والمراد هنا جزء خاص من الزرع .

(١٣١) الطوي : هو البئر، ولعل المقـصـود في النص الزراعة التي تسقى بالزجر والنضج من البئر.

(١٣٢) مكاكـيك مـفردها مكوك: وهو كيل يسـاوي صاعا ونصفا، أو نصف رطل الى ثمان أواقي أو نصف الوريبـة. والوريبـة اثنان وعشرون أو أربع وعشرون مـدا بمـد النبي ﷺ. (الفيروز أبادي : القاموس المحيط . مادة م . ك . ك).

قال : في ذلك اختلاف، لعل أشياخنا يأخذون بقول من قال: ان الزكاة تؤخذ في الجبر والكسور جميعا، وأما العامل اذا لم تجب عليه في نصيبه الزكاة فهو تابع لمن تجب عليه الزكاة في حصة من وجبت عليه الزكاة، والذي لاتجب عليه الزكاة فعامله تابع له، الا أن لم تجب على العامل وحده زكاة، وازدد من سؤال المسلمين، ولا تاخذ الا بما وافق الحق والصواب، وسمعت من الأثر أن الزرع اذا أصابته جائحة منبعد دراكه قبل أن يعرف كيله، كانت الجائحة دوابا أو سيلا أو جبارا، فبقي منه شيء أقل من نصاب الزكاة، ففي ذلك اختلاف، قول: لازكاة عليه فيما بقي، وقول: يزكى مابقي منه ان كان أصله تبلغ فيه الزكاة ان لو سلم. وأما ان غرم له صاحب الدواب حبا كان الزرع قد أدرك حين أكلته الدواب فلا يضاف الى حبه، وان غرم له دراهم، فارجو أنه جاء في الأثر لازكاة في الدراهم، وأنا متعجب من هذا القول، والله أعلم.

قلت له: ورجل وجبت عليه الزكاة، وبعد حوله بأيام جرت عليه آفة من حرق أو غيره، وتلف ماله أو بعضه، أتكون عليه الزكاة أم لا؟

قال : ان كان هذا الرجل بعدما وجبت عليه الزكاة أمكنه أداؤها الى أحد ممن يستحقها فلم يؤدها حتى هلك المال بآفة فعليه أداؤها، والله أعلم.

قلت له: وما تقول سيدي في خمس من الابل أو أكثر بين مسلم وكافر، هل على المسلم زكاة بمثل هذا أم لا؟

قال : ليس على المسلم في حصته زكاة الا أن تكون الماشية أصلها من مواشي المسلمين التي تجري فيها الزكاة، فعسى أن يكون فيها الزكاة على قول، والله أعلم.

فصل

ومنه (رضي الله عنه) الى الشيخ صالح بن سعيد المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفيمن عنده عشرون من الابل، تسلم عليهن الزكاة كل سنة، ونتجت قبل محل الزكاة شهرا أو أقل أو أكثر، أيحمل النتاج قبل محل زكاته أو بعدما حلت زكاته؟

.....(١٣٣): ففي ذلك اختلاف، قول: محمول على كل حال، وقول: يحل اذا أكل الشجر وصار يرعى مع أم أو مع غيرها. وأما اذا اشترى ابلا أو أعطى ذلك من الفوائد، فهو محمول عليه في أكثر قول المسلمين.

(١٣٣) سقطت كلمة : قال .

قلت له: واذا لقط الصبيان من مال أهليهم، أو مال الناس، أتحمل في الزكاة على مال آبائهم؟

قال: أما مالقطوه من مال أبيهم، فهو محمول على مال آبائهم، وأما من غير مال أهلهم، فلا يحمل على آبائهم، والله أعلم. لقط الشيء لقطه بفتح قاف الماضي وضمه من المستقبل، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): ومن أطنى ماله ببهار(١٣٤) تمرا، يحاسب على البهار في الزكاة أم يؤخذ من عند المطني، كيف ذلك؟

الجواب : ان كان هذا الطنى ببهار تمر، وبهار التمر حاضر عند النخل المطناة، فعندي أنه في مثل هذا للمصدق الخيار، ان شاء أخذ من المال المطنى، وان شاء أخذ من قيمة التمر، وان كان بهار التمر غائبا، فهذا طناء لايجوز وهو حرام، والزكاة في المال [الحلال]، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في شريكين ، في مال معروف، تبلغ فيه الزكاة، فجاء رجل فعمر المال بالنصف من ثمرة النخل، ثم قسم الشريك المال، وبقي العامر يعمر فيه مثل ماكان عليه من قبل، ماتقول في الزكاة، أتؤخذ من هذا المال جملة أم لا؟

قال: اذا قسم المال فليس على شريكهم زكاة الا اذا بلغت الزكاة في نصيب. ولايتبعهم في أموالهم غير هذا المال، الا أن يكون عاملا، فان العامل يتبع صاحب المال ولو لزمته الزكاة في غير المال في أكثر قول المسلمين، والله أعلم.

قلت له: واذا كان لرجل أربع من الابل وله ثلث ناقة أخرى أتجب عليه الزكاة أم لا؟ وتسقط عنه بحساب ثلثي الناقة أم كيف يكون ذلك؟

قال: على ماسمعته من الأثر، لا زكاة عليه الا أن تكون في ابله فيكون عليه الزكاة في الابل، وفي نصيبه من الناقة على سبيل ماجاء في الخلطة على قول من يقول بذلك، أو تكون الناقة أصلها من نتاج ابله، ودفعها الى رجل يعلفها أو يرضعها ابله بجزء منها، فمعي أنه قيل: تلزمه الزكاة على السبيل، وقيل: لاتلزمه الزكاة الا أن يكون معه خمس من الابل، أو تكون خمس من الابل مختلطة حتى يحول عليها الحول على قول من يقول بالخلطة، والله أعلم.

---

(١٣٤) البهار : كيل يساوي ثلاثمائة رطل أو أكثر على الخلاف.

قلت له: وما تقول في رجل وأولاده مختلطين، ولو عرف كل واحد بعيره فيحملون على بعضهم بعض في الزكاة، وكذلك ان كانوا في حجره ولم يخرجوا عنه، والله أعلم.

قلت له: ومن كان عنده أربع من الابل وعنده بعيران يسير عليهما، أتجب في هذه الزكاة؟

قال: على قول من يقول: ليس في العوامل صدقة، ليس عليه زكاة في الأربع، وهذا القول عليه العمل عندي، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول في هؤلاء البدو، أن عندهم السمن والغزل والصوف والشعر والدواب، ولم يكن عندهم حب ولا تمر، عليهم فطرة الأبدان أم لا؟

الجواب: ان الفطرة تلزم من يقدر عليها ويتحملها بدين ولا يضر فيها بعياله. وحد القدرة عليها فيه اختلاف، قول من كان معه قوت سنة من غالة مال أو غنم أو غير ذلك، وتفضل معه مايخرج عن نفسه الفطرة بعد السنة، وقول مايفضل عن قوته بعد شهر وقوت من يلزمه قوته بعد شهر، وقيل غير ذلك. وسمعت أن الشراة يعملون من أيسرها بعد شهر. وأما ان اشترى الصوف والسمن من عندهم، فان كان بالجبر فلايجوز، وان كان بطيبة أنفسهم من غير تقية ولا مداراة، ولابنقصان ثمن، فلايضيق عليه ذلك عندي، وان كان تلزمهم فيحتالون هم لأنفسهم كيف شاؤوا، ويخرجون هم الفطرة اذا لزمتهم، والله أعلم.

قلت له: وما تقول فيمن عنده ست بقرات : وبقرتان لبنات أخيه يتيمات، وبقرتان لابنه، وهو صبي، وبقرتان لنفسه، أتجب عليه الزكاة وكلهن في يده؟

قال : عندي ان في ذلك اختلاف، قول: ليس على اليتامى خلطة، وقول: عليهم الخلطة، وهم كغيرهم، فعلى هذا القول الأخير فتلزمهم كل واحد منهم ماينوبه على قول من يقول بذلك، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في أيتام وبلغ، ومعهم بقر خلفهن أبوهم، وكلهم خلطاء فيها، فلما سالهم المصدق عن ذلك، قالوا: كل واحد منا له بقرتان، أو ثلاث بقرات، وقد قسم أبونا كذلك، أتجب فيهن الزكاة، اذا كانت كلها تاوي

جميعا عند أمهم أم لا؟

قال : ان صح أن هذه الماشية كانت لأبيهم، وتجري عليها الزكاة في حياة الهالك الى أن مات، وثبتت على خلطها الى أن جاء وقت زكاتها عند أبيهم، ففيها الزكاة فيما عندي على أكثر القول والمعمول به، والله أعلم.

قلت له: وما تقول فيمن عنده ماشية وعليه زكاة، فوقفنا عن أخذ الزكاة منه لنسال المسلمين عنها، فزادت الماشية، أيحمل الزائد أم لا؟

قال : ماسمعته من آثار المسلمين (رحمهم الله) أن الزكاة اذا وجبت في الماشية ولم تؤخذ حين ماوجبت ثم استفاد صاحبها غنما، ان كانت ماشيته غنما، فعليه في الفائدة زكاة، وسواء كانت الفائدة من سبب نتاج، أو شري، أو عطية في سنته تلك التي وجبت فيها الزكاة، الا أن يكون ميز زكاة غنمه، وأراد دفعها الى الوالي، فلم ياخذها منه، وتركها تنتظر الوالي، فيعجبني أن ليس عليه في الفائدة زكاة، بعدما ميز الزكاة على هذه الصفة، والابل والبقر كذلك، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول في الخرص(١٣٥) في النخل اذا كان أوفر للزكاة، أتامرنا أن نخرص عليهم؟

الجواب وبالله التوفيق ، والهادي الى طريق الحق والصواب، أن الخرص في الأثر يرفع عن النبي ﷺ، ولايضيق على الوالي فعله، ولكن لاياخذه بخرصه عند حصاد الثمرة الا ماجاءت الثمرة كان أقل أو أكثر، ولكن الخرص تهيب لمن أراد كتمان الزكاة، والله أعلم.

قلت له: وفيمن عنده خمس بقرات، ويزجر على واحدة منهن مقدار ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر من السنة، ولايزجر عليها السنة كلها تحسب هذه البقر من العوامل، أم تحمل على بقرة(١٣٦) الأربع وتؤخذ منها الزكاة أم لا؟

قال : ان كان اتخذ هذه البقرة ليزجر عليها، ولو لم يزجر عليها السنة كلها، اذا لم يجعلها سائمة، فعلى قول من يقول: لازكاة عندي، انها لاتحمل على البقر السائمة، والله أعلم.

قلت له: وما تقول فيمن أسترهن رهينة، وسلم على الدراهم التي أسترهن بها الزكاة، فبعد ذلك أنكر الراهن، ولم تكن عند المسترهن بينة، أيجب علينا

(١٣٥) الخرص : هو تقدير كمية الرطب في النخل تمرا جافا .
(١٣٦) لعل الصواب : البقرات .

أن نرد عليه ماسلم من الزكاة؟

قال : ان كنتم أخذتم الزكاة من هذا على سبيل الجبر، فيعجبني أن تردوا عليه، وان كان أعطاكم متبرعا، وقال هذا من الزكاة، لم يكن له عليكم رد عندي، والله أعلم.

قال المؤلف : وجدت عن الشيخ الفقيه خميس بن سعيد الرستاقي (رحمه الله)، قال: أرجو أن ما أخذه منه قبل أن يجحده الراهن، فلا رد عليه فيه، لأنه اخذه بحق، ولاحجة عليه فيما ظلمه هو فيه الراهن، والله أعلم.

قلت له: في مال فيه وصية ثلاثون منا تمرا لفطرة شهر رمضان، أتخرج الفطرة قبل اخراج الزكاة، أم الزكاة قبل. واذا كان [كانت] الفطرة لم تجب فيها الزكاة، أيبلغ بها نصاب الزكاة ، اذا بلغ في باقي المال بعد اخراج الفطرة، أم كيف الحكم في ذلك؟

فكان جوابه (رحمه الله): ان كل مال الله تعالى من جميع الوقوف كلها لازكاة فيه، ولا يتم به نصاب الزكاة، وهذا من أبواب البر، ولا أقول ان فيه الزكاة، ولا يتم به النصاب، والله أعلم.

قال المؤلف: النصاب بكسر المعجمة الأولى وتخفيف المهملة الثانية، وكذلك أصل كل شيء وكذلك نصاب السكين، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه الى من سأله من المسلمين في رجل مات وخلف مالا عنده ببيع الخيار بمائة لارية فضة وعشرن لارية، وأوصى من هذه الدراهم بمائة لارية للحجة من هذا المبيع الخيار، أتجب فيه الزكاة في العشرين أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان كان الموصي خص هذه اللاريات التي له، في هذا البيع أنها لحجته، فلا يعجبني أن تؤخذ منها زكاة، وأما العشرون اللارية، فان كان الورثة عندهم شيء من الدراهم كل واحد منهم مايبلغ النصاب، فيحمل على كل واحد سهمه من هذه العشرين عند وجوب الزكاة، وان كان نصيب كل واحد منهم من هذه العشرين اللارية اذا أضافه الى ماعنده من الدراهم مابلغ النصاب، فحتى يحول عليهم الحول بعد كمال النصاب، والله أعلم.

قلت له: وفيمن عنده أربع من الابل وثلاثة أرباع ناقتين، هل تجب عليه زكاة أم لا؟ وهل على شريكه في الناقتين اذا وجبت عليه ـ أعني الأول؟

قال : فيما أرجو اذا كانت هاتان الناقتان مختلطة(١٣٧) في ابله الأربع، وحال عليها الحول فعليه فيها شاة وفي محاصصة شريكه في الشاة على قدر نصيبه من الناقتين اختلاف، فقول: عليه بقدر نصيبه، وقول: لاشيء عليه، لأن الشاة لازمة عليه على كل حال، ولم تلزمه بسبب شريكه الزكاة، وان كانت هذه الناقتان ليست مختلطة(١٣٨) في ابله، فعليه هو الشاة وحده، والله أعلم.

قلت له: ومن كان عنده عشرون بعيرا، وله نصف بعيرين، وله سدس بعيرين وله ربع بعير آخر، أتجب عليه زكاة ابنة مخاض، ويسقط عنه بقدر الذي لشركائه، اذا كانت في أيديهم؟

قال أما صاحب العشرين فان كانت هذه الأبعرة الخمسة التي له فيها نصيب قد خلطت في ابله في المرعى والمربض والمحلب، ان كان فيها حليب، وحال عليها الحول وهي مختلطة،فاكثر القول ان عليه فيها ابنة مخاض، ومحاصصة الشركاء بقدر نصيبهم من الابل، وان كانت غير مختلطة مع ابله العشرين، ولم يكن أصلها من ولد ابله ووضعها مع شركائه على سبيل القنية(١٣٩) بالحصة، فالزكاة عليه أربع شياه، وان كان أصلها من ولد ابله، ووضعها عند أحد يربيها بجزء منها، وهي خمس من الابل فوق العشرين، ولم يكن قد فرغ أجل التربية حتى يستحق الذي يربيها نصيبه بالحكم، فأرجو أنها تحمل عليه في الزكاة على ماجاء به الأثر، ويكون فيها ابنة مخاض. فانظر مسالتك من أي الوجوه تخرج، فقد بينت لك هذه الوجوه كلها، والله الموفق لطريق الحق والصواب.

قلت له: واذا كان لرجل ثمان من الابل، وله نصيب في ناقتين، أيكون عليه شاتان، أو كان معه تسعة أبعرة، وله نصف بعير؟

قال : الجواب في صاحب الثمان والتسع، كالجواب في صاحب العشرين، لأن مسالتهما سواء.

قلت له: وما تقول في ثلاثة أخوة ومعهم ابل، ورثوها من أبيهم، وابل ورثوها من أمهم، فالتي من عند الأب، يقولون: قد قسمت، والتي من عند الأم

(١٣٧) الصواب : مختلطين .

(١٣٨) الصواب : هاتان الناقتان ليستا مختلطتين .

(١٣٩) القنية : المقصود بالقنية تنمية المال بأن يعطي الرجل الناقة مثلا لآخر يقوم بشؤونها على أن يكون النتاج بينهما.

لم تقسم، أيجب لكل واحد ماينوبه من ابل أمه على الذي في يده من ميراث أبيه أم لا؟

قال : يحسب ماينوبه من الابل التي من قبل أمه على التي له من قبل أبيه، فان بلغت النصاب فعليه فيها الزكاة بعد الحول، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وما تقول فيمن عنده أربعة عشر، ومعه ناقة كبيرة السن، مايرجو منها نفعا بزعمه، ولا هو ميؤوس منها، أتحسب عليه في الزكاة أم لا؟

قال : على ماسمعناه من الأثر أنه لايسقط عنه شيء من الابل عن صاحبها في معنى الزكاة، الا التي أخذها ليعمل عليها، على قول بعض المسلمين، وكذلك الذي ولد ولم يخط الوادي مع أمه راعيا، فارجو أن بعضا قال: لايحسب ، وبعضا قال : يحسب.

قال المؤلف: أما قوله يخط الوادي، يقال: خطا الرجل يخطو خطوا وخطوة بفتح طاء الماضي، وضمه من المستقبل، والخطوة بضم الخاء ما بين القدمين، وهو الاسم من الخطو، وبفتح الخاء المرة الواحدة، وجمع الخطوة بضم الخاء خطا بالضم، وخطوات، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾(١٤٠) ، وأما الخاطيء بالهمز من خطا الرجل خطأ، اذا أتى بالذنب متعمدا، وهو بكسر طاء الماضي وفتحه من المستقبل، قال الله عز وجل: ﴿لَّا يَاكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ﴾(١٤١) ، أصحاب الخطايا، من خطا الرجل اذا تعمد الذنب، من الخطأ المضاد للصواب، وقريء ﴿الخَاطِيُونَ﴾ بقلب الهمزة ياء، و ﴿الخَاطِونَ﴾ بطرحها، والله أعلم. (رجع).

قلت له : وصاحب الماشية اذا تلفت ماشيته بعد انقضاء شهر الزكاة، أتجب عليه الزكاة فيما بقي ؟

قال : ان كان صاحب الماشية لما جاء وقت زكاته وقف ينتظر المصدق، لأنه لم يكن بحضرته، وكان توانيه من عذر، فتلفت الماشية قبل أن يجيء المصدق، لم يكن عليه زكاة الا فيما بقي من ماشيته، فيما عندي من الحساب فيما ينوبها من الزكاة، والله أعلم.

قلت له : أرأيت اذا جاء المصدق الى صاحب الماشية فحاسبه على اقراره

(١٤٠) سورة البقرة : ١٦٨، ٢٠٨، سورة الأنعام : ١٤٢، سورة النور : ٢١ .
(١٤١) سورة الحاقة : ٣٧ .

الا أنه وجد معه بضاعة، فان أراد أن يحسبها في الزكاة فادعى أنها مكسورة، أيقبل في ذلك؟

قال : على هذه الصفة اذا كان هذا المتاع لم يصح أنه له، ولم يقر هو أنه له فلا يعجبني أن تؤخذ منه الزكاة على هذا.

قلت له: أرأيت اذا أراد المصدق أن ينبش بيت أحد على سبب كتمان الزكاة أمحجور ذلك الفعل أم لا؟

قال : ترك التنبيش للبيوت أولى فيما عندي، ويترك صاحب الزكاة الى أمانته، فان خان فيها لم يخن الا نفسه، والله أعلم، والله غني حميد.

قلت له: أنبئني عن المصدق اذا وجد الماشية مجتمعة، فقال له الراعي أو صاحب الماشية: ان هذه الماشية اختلطت هذه الساعة أو من يومين، أيكون قوله مقبولا؟

قال : أرجو أن في هذه المسالة ثلاثة أقاويل، قول لايطيب للمصدق اذا وجد الماشية مجتمعة أخذ الزكاة منها بالاجتماع حتى يصح معه أنه حال عليها حول وهي مجتمعة مبينة، أو اقرار من صاحبها اذا كان ممن يجوز اقراره على نفسه في ماله، وقال اذا وجدا مجتمعة أخذ الزكاة فيها بالاجتماع، فان احتج صاحبها أنه لم يحل عليها حول وقف عن أخذ الزكاة منها حتى يحول عليه الحول، وقول: اذا وجدها مجتمعة أخذ الزكاة منها ولاينظر في الحول ولا غيره، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمها الله): وما تقول سيدي في رجل له مال، ببيع الخيار في جعلان، ويسلم على تلك الدراهم الزكاة، دراهم البيع الخيار، والرجل ساكن ببلد صور، فجاء شهره الذي يزكي فيه ماله، فلم يسلم الزكاة، فبعد ذلك مات الذي له البيع الخيار، هل على الورثة تسليم الزكاة التي وجبت على هالكهم أم لا؟ وهل يحمل ماتبع من الورثة على ماخلفه الهالك، اذا لم يخرج في الأول؟

الجواب: على ماسمعته من الأثر أن كل مال لأناس كانت تجري عليه الزكاة في ماله في حياته، فحال وقت زكاته فمات قبل أن يخرجها فلوالي الامام، أن يأخذها من مال الهالك اذا صح ذلك عنده، اذا كان الامام يجبر على الزكاة، فان باع الورثة بالدراهم والدنانير قبل أن تخرج الزكاة التي وجبت

في مـال هالكهم، وكان المال مجتمعا لم يقسم، فعندي أنها بمنزلة الفائدة، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشيخ القاضي خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي (رحمه الله)، الى من ساله من المسلمين (رحمهم الله): وفي امـرأة لها حلي قـيـمـته مما تجب فيه الزكاة، فارهنت منه شيئا أو جميعه أيسقط الرهن في الزكاة أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : اذا لم يبق من قـيمة الحلي بعد أن يرفع منه الرهن مـايبلغ به نصاب تام أن لازكاة فيه، واذا بقي مما يبلغ فيه نصاب تام أخرج منه مايجب فيه ويطرح قيمة الرهن.

قلت له: وفي الفـضـة اذا كانت جيدة ورديئة أتحسب بحساب الرديء أم الجيد؟

قـال : اذا بلغت الفـضة مائتي درهم ففيها الزكاة، كانت جيدة أو رديئة، اذا كـانت تعـرف أنه فـضـة، والله أعلم، ويخرج من الجيد بقدر مايجب فيه، ومن الرديء بقدر مايجب فيه، والله أعلم.

فصـــل

ومنه اليـه (رحمهما الله): وفي مجوسي سـاكن في جـعـلان، ويسـافـر الى صور، ويقعد فيها الشهر والشهرين، ويرجع الى جعلان، ماحال جزيته؟

قـال : عليـه ثابتـة في كل شـهـر، اذا كان في أرض الاسلام وأمانهم، والله أعلم.

قلت له: واذا أعطت المرأة ابنتـهـا حليا وهي صبية أيحمل الحلي على الأم أم على الأب في الزكاة أم لا؟

قال : الحلي الذي من عند الأب يحمل على الأب، والذي من عند الأم يحمل عـلى الأم، والـذي مـن عند غيرهما، لايحمل عليـهما، الا أن يبلغ الحلي نصـابا تاما، والله أعلم.

قـلـت لـه: وفي رجـل عنده رهينة بمائة وعشرية لارية، وهو يقـول: ان عليـه لولده ثلاثين لارية، فأحال له من هذه الرهينة بقدر دراهمه التي عليه، والولد صـبي في حجر أبيه، أتسقط عنه الزكاة، أم يحمل مال الولد على والده في حـال الصغر؟ أرأيت ان كانت الرهينة والكتاب له، فقال:ان لابنه كذا وكذا، ولزوجته كذا وكذا، أيكون قوله مقبولا؟

قال : اذا كان الولد في حجره، فهو محمول عليه، كان بالغا أو غير بالغا، واذا كان بالغا بائنا عنه لم يحمل عليه، وأما زوجته فلا تحمل عليه في النقود وتحمل في الغلة، اذا كانا متفاوضين، واذا قال: ان هذا لي وهذا لزوجتي فهو مصدق في ذلك الا أن يتبين كذبه ، والله أعلم.

قلت له: أنبئني عن رجل له أربعون شاة، فلما جاءه المصدق، قال: على نذر مذ سنتان(١٤٢) وهو جدي اذا ولدت الغنم، وهو هذا الجدي، ولم يكن خصه عند النذر، ولكن خصه مذ يوم أو يومان(١٤٣) ، أتسقط عنه الزكاة على هذه الصفة أم لا؟

قال : فيما عندي أنه لايسقط من زكاته اذا كان بعده في غنمه، ولم يزله الى مانذر به، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في رجل باع على زوجته مالا ببيع خيار من عاجل صداقها، ومضى له سنون ببيع الخيار أجازته أو لم تجزه، فبعد ذلك وقع بينهما خلع وافتدت المرأة بهذا الحق، أيكون عليها زكاة فيما مضى من السنين أم لا؟

قال : فديتها بصداقها العاجل لا تبطل الزكاة بعدما وجبت فيه، والله أعلم.

قلت له: ومن أطنى نخلة مزناج(١٤٤) ، ويسلم الزكاة من الدراهم، فبعد ذلك طلب المطني أن يقيله المطنى، أو ردها بعيب، فقال صاحب النخلة: أنا أكلها رطبا وأطني غيرها وأحاسب بما أخذ من الزكاة من طناء المزناج، أله ذلك أم لا؟

قال : على ماسمعته من الأثر ان كان المصدق أخذ زكاة هذه المزناج، ثم ردت على صاحبها بعيب أو باقالة وأطنى من المطنى فهي ماله في الزكاة، ان أكلها رطبا أو بسرا فلا زكاة عليه فيها، وان تركها حتى صارت تمرا ففي تمرها الزكاة ان وجبت فيه الزكاة، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في رجل ادعى على رجل أنه قتل أخاه فوقع بينهما صلح على أن يعطيه ثلاثة آلاف لارية، وكان اتفاقهما على أن يعطيه كل سنة

---

(١٤٢) الصواب : منذ سنتين .

(١٤٣) الصواب : يومين .

(١٤٤) نخلة مزناج : صنف من أصناف النخيل، له ثمرة مميزة، لايصلح أن يكون تمرا جيدا، وانما يؤكل رطبا.

خمسمائة، ماحال الزكاة في هذه الدارهم اذا حال عليها الحول؟

قال : فيما أرجو ان كان هذا الصلح وقع على الانكار منه للقتل، فلا زكاة عليه في الدراهم الا اذا قبضها، وحال عليه الحول بعد القبض، وهي تجب فيها الزكاة، وان كان بعدما أقر بالقتل، وكان القتل عمدا واصطلحا على أن يعفو عنه ويعطيه ثلاثة آلاف على أن كل سنة يعطيه خمسمائة، فهذا أيضا لايعجبني أن تؤخذ الزكاة منه الا بعد الحول، اذا قبضها منه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفيمن معه غنم قدر ماتجب فيه الزكاة، فقال: ان في هذه قدر ثلاثين رأسا أو أربعين رأسا للعيد، ويقولون: أنهم يذبحون من هذه الغنم يوم العيد، أيكون قوله مقبولا أم لا؟

الجواب: ان كانت هذه الغنم التي أقر بها لعيد أو غيره من قبل وصية أوصى بها هالك أن تذبح للعيد أو لوقت من الأوقات، وأنه ميزها في حياته، فلا زكاة عليه فيها، وان كانوا في معنى اقرارهم أنهم أرادوا أن يذبحوها للعيد أم لوقت من الأوقات، وهي من أموالهم، فلا يبطل قولهم عندي الزكاة اذا حال عليها الحول وهي في غنمهم، والله أعلم.

قلت له: وفيمن يأكل البر والذرة وأراد أن يسلم دخنا لفطرة الأبدان، أيقبل منه أم لا؟

قال : يناصح هذا الانسان، ويقال له: عليك أن تخرج الفطرة مما تأكل، فان أبى، فلا يعجبني أن يحبس، والله غني عن العبد.

قلت له: ماتقول في شركاء في زرع ذرة، فلما صيفوا(١٤٥) هذه الذرة، والزرع قد نضر بعضه وبعضه لم ينضر، فصار كل واحد منهم يسقي ويعمر قسمه، أيجوز قسمتهم في هذه الفروق اذا كان أصله مشروكا(١٤٦) أم لا؟ واذا وجبت في نصيب كل واحد منهم الزكاة أتؤخذ منه الزكاة أم لا؟

قال : ان كانوا قسموها بعدما نضرت ليتركوها حتى تدرك، فقسم الزرع قبل ادراكه لايجوز، والزرع بحاله على الشركة، وان كانوا قسموا الجذور ليقلعوها، وقسموا الأرض من بعد ماعزموا أن ينضر كل واحد نصيبه في نصيبه من الأرض، فهذا زرع عندي مفترق، ولم يحمل بعضه على بعض في الزكاة، وأما الأجل الذي بين النضار وصيف الذرة المتقدمة، فأكثر القول اذا

(١٤٥) صيفوا : خدموها الى وقت قريب من بدو طلاحها .
(١٤٦) الأنصح : مشتركا .

كان بينهما أقل من ثلاثة أشهر، حمله(١٤٧) بعضه على بعض، والله أعلم.

قلت له: ومن كان له دين على الناس لم يحل أجله، وعليه زكاة واجبة، مايعجبك في الدين الآجل تؤخذ منه الزكاة مع رأس ماله اذا قبضه أم كيف ذلك.

قال : ان الدين الآجل فيما يعجبني أن لاتؤخذ منه الزكاة الا اذا حل على حساب مامضى، اذا كان على قدرة من أخذه.

قلت له: وفي يتيمين لهما رهائن ستمائة لارية، وهما يسلمان عليها الزكاة، فبعد ذلك اشتريا مالا أصلا باربعمائة لارية، أتجب في المائتين الزكاة أم لا؟

قال : ليس عليهما في المائتين زكاة حتى تبلغ كل واحدمنهما النصاب، وقد سمعت في الأثر أن الهالك اذا خلف مالا مجتمعا كانت تجري عليه الزكاة فيه في حياته، فلم تقسمه الورثة حتى حال حول على الهالك، فالزكاة كما كانت من قبل، ولو لم يقع لكل واحد من الورثة ماتجب فيه الزكاة ان لو قسم، وهذا على بعض القول، والله أعلم. وأما زكاة اليتيم اذا وجب في ماله فتؤخذ من ماله، ان كانت في الدراهم أخذت دراهم، وان كانت في الثمرة أخذت ثمرة، والله أعلم.

قلت له: والمجوسي اذا كانت في يده صنعة، وقال: انه مسكين أو خدمته قليلة، أتجب عليه الجزية؟ وما حد الذي تجب عليه الجزية وما صفته؟

قال : حده اذا كان قادرا عليها بعد مايحتاج اليه من معاشه وكسوته وقضاء ديونه.

قلت : واذا جاء المصدق الى الغنم فوجد معها صبيا بالغا أو غير بالغ، وهي ليست له، كيف أخذ الزكاة من هذه الغنم؟

قال : اذا لم يعرف الغنم لمن هي، فيعجبني أن يتبين أمرها، فان كانت لذلك الصبي وصح عنده فيها وجوب الزكاة، ولم للصبي(١٤٨) وصي ولا وكيل ولا أب، وكان الامام مجبرا على أخذ الزكاة، أقام له الوالي وكيلا يقاسم المصدق غنم الصبي، وان صح عنده وجوب الزكاة في هذه الغنم وكان صاحبها غير حاضر، أقام له الوالي وكيلا ثقة يقاسم أهل الزكاة، والله أعلم.

قال المؤلف: أما قوله في يده صنعة في المسألة الأولى فهو بفتح المهملة

---

(١٤٧) الصواب : حمل أو يحمل .

(١٤٨) الأفصح : لم يكن للصبي .

الأولى لقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾(١٤٩) فالهاء راجعة الى داود عليه السلام، وأما المعنى في ذلك هو عمل الدروع وهو في الأصل اللباس.

فصل

قال : ألبس كل حالة(١٥٠) لبوسها، قيل: كانت صفائح فحلقها وسردها، و﴿لَّكُم﴾ متعلق بعلم أوصفة للبوس، وأما قوله حلقها جعل لها وسردها، أي: جعل لها مسامير، لقوله عز وجل: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾(١٥١)، وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها، أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتفلق، ولا غلاظا فتخرق، ورد بأن دروعه لم تكن مسمرة، ويؤيده قوله عز وجل: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾(١٥٢) ، أي : جلعناه في يده كالشمع يصرفه كيف شاء من غير احماء ولا طرق الابتداء(١٥٣) ، والله أعلم. (رجع).

وأما الذي قال : لم يحل على غنمه حول فأكثر القول أن قوله مقبول وان اتهم حلف، وأما الذي أقر بغنمه من الوصايا في الوقوف لأكل في مسجد وما أشبهه، فعندي أن قول مقبول وان اتهم حلف، والله أعلم.

وأما قولك في مسالة الزوجين فلا يحمل مال الزوجة على زوجها في الدراهم بسبب المفاوضة بينهما، وانما تحمل الثمار والماشية من الغنم والبقر والابل اذا خلطاها، والله أعلم.

قلت له: وفي الرجل يبيع ماله بيع خيار أو بيع قطع، وثمرته مدركة، فياخذها المشتري، أيحمل على مال المشتري أم على مال البائع؟

قال : مأدرك منها محمول على البائع، ومالم يدرك فهو على المشتري، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي أحمد بن مسعود (رحمه الله): وفيمن يجد نخلة، وقد صار البسر حارا، وهو تجب عليه الزكاة في ماله وارادته في الجداد ليعمل له عسالة، هل تؤخذ منه الزكاة؟

---

(١٤٩) سورة الأنبياء : ٨٠ .
(١٥٠) لعله : لكل حالة .
(١٥١) سورة سبأ : ١١ .
(١٥٢) سورة سبأ : ١٠ .
(١٥٣) كذا في الأصل .

الجـواب وبالله التـوفـيق: فيه الزكاة على قول من يرى في الرطب والبسر الزكاة.

قلت له : ومـا تقـول في نخل تسـقى بالنهـر، ونخل تسـقى بالزجر، ولا يبلغ فيهما الزكاة على الانفراد الا اذا حملت بعضها على بعض؟

قال : لايحمل الزجر على الفلج حتى يبلغ في كل واحد على الانفراد.

قلت له : وفي مـال فـيـه خمس لفطرة شهر رمضان، أو فيه كذا وكذا منا من تمر، ولم تبلغ في تمره الزكـاة من تلك النخـلات التي هي للفطرة، أيؤخـذ منه الزكاة، ويسقط عنه بقدر الفطرة أم لا؟

قال : اذا كانت النخل معينة معلومة فلا زكاة فيها، والزكاة فيما بقي ان وجبت فيه الزكاة، وان كان بوزن معلوم فالزكاة في الجميع.

قال الناظر يحفظه عن الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله): أن الوصية تطلع قبل الزكاة، فان بلغت الزكاة من بعد الوصـيـة أخـذت الزكـاة، وان لم تبلغ الزكـاة فـلا تحمل على المال، ولاتؤخذ الزكاة مما بقي اذا لم تبلغ النصاب، والله أعلم.

فصـل

ومن جواب الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد بن غسان الخراسيني النزوي (رحمـه الله)، الى الوالي حمد(١٥٤) بن مـسـعود المعمري النزوي (رحمه الله): ومن كان عنده رأس غنم، أو أربعون رأس غنم، فادعى صاحبهن(١٥٥) فيهن خمسة أرواس وصية لعيد الحج الأكبر، أيقبل قوله في ذلك أم لا؟

فـاعلم ياأخي اذا رأى المصـدق غنما مجتـمـعـا فـقيل: ياخذ منه الزكاة، ولايصـدق رب المال أنه حـال عليها حول أم لم يحل، ولا أنها لغيره فيها شيء ولا وصـيـة ولا وديعة ولا غير ذلك، قد عمل بهذا القول فيما بلغنا، والي الامام مـهنا بن جـيـفـر، وقـال من قـال: ان رب المال مـصدق فيما يقول ان صدقه المصـدق والا حلفـه، وقال من قال: ان كان ثقة قبل قوله، والا فلا يقبل قوله، والله أعلم.

قال المؤلف :وسمعت الاخوان يقرؤون المهنا بالهمزة، والله أعلم، (رجع).

فصـل

قلت له : ومـا تقـول في المعـاذقة لاخراج عشر عذوق النخل لأجل الزكاة

---

(١٥٤) لعله : أحمد بن مسعود .

(١٥٥) الأفصح : صاحبها .

اذا كان نفس صحاب المال طيبة وبأمره؟

فاعلم سيدي قد نهيناك عن فعل هذا مرتين، ثم قلت عن الشيخ مسعود ابن رمضان (رحمه الله) أنه أفتاك بجواز ذلك مرتين، فسكت عنك، ثم اني شككت فراجعت في المسالة الشيخ المعظم العالم المطهر أبا عبدالله محمد بن عمر بن مداد (رحمه الله)، فقال: لايجوز ذلك، وهذا عندي هو الصحيح من القول، لأنه تتعذر معرفة بزيادة أو نقصان أو ضعف أو احسان، ولا أقدر أن أقول لك غير هذا، فان كان تبرعا من رب المال غير مطلب منكم، ودفع ربه لكم وفي نظركم أنه أحسن وأوفر للزكاة فعسى يجوز ذلك، والله أعلم.

قلت له: أنبئني عن رجل له دين على رجل، فاستوفى منه ركابا أو غنما، وغير ذلك من العروض، محضر وقت زكاته، وقال: لا أسلم على هذا الجمال والغنم الا اذا بعتها، ولا أسلم الا مايسوي هذا الوقت بالنقد الحاضر؟

قال : اذا كانت هذه الجمال والغنم أخذها من التجارة وللتجارة، فعليه أن يقوم كل ماعنده من التجارة بما يسوي يوم تسليمه الزكاة، كان زائدا عن شراء أو ناقصا، ولاينظر بكم اشترى، ولا بكم استوفى، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الرضي العالم الوالي صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، إلى الشيخ عبدالله بن عامر بن بلحسن المعمري السعالي (رحمه الله)، وما تقول : فيمن وجبت عليه الزكاة، وأراد أن يؤخر تسليمها من أجل الديون الى أن يستوفيها، وكان صاحب صنعة ذات دراهم كثيرة تدخل عليه في كل يوم، فأراد أن يصرف تلك الدراهم لكسوته ونفقته، وأن يتزوج منها، أيجب عليه من قبل أن ينفدها، لأنه في الأصل عليه الزكاة في كل مايدخل عليه؟

الجواب: ان كان دراهمه التي أخر زكاتها كلها ديونا على الناس، ولم تحل، فأخر زكاتها الى أن تحل بعد أن دخل وقت زكاته، لم تكن عليه زكاة في الفائدة، وان كان معه شيء من المال في يديه، فأخر زكاته الى أن تحل الديون ليزكيه، فانه يزكي مااستعاده بعدما حلت زكاته اذا دخل دينه، وان كان الدين غير ميؤوس منه. وان كان ليس عنده شيء من المال مايبلغ نصاب الزكاة، وأخر زكاته مع دينه، فانه يزكي ما استفاده، ولو لم يحل دينه اذا استفاده بعد وجوب الزكاة عليه ولو تلف دينه، والله أعلم.

قلت له: وفي ذمي اشترى مالا تجري فيه الزكاة من قبل، أتؤخذ منه بعد ذلك أم لا؟

قال : على القول الذي نعمل عليه: اذا كانت هذه الأصول من قبل تجري فيها الزكاة عند المسلمين، فكذلك لا تبطل الزكاة منها عند الذمي، والله أعلم.

قلت له: وما تقول فيمن عنده مائة لارية حال عليها حول، فبعد ذلك وقع عنده تمر من القنط(١٥٦) ما يتم به نصاب الزكاة، أتؤخذمنه الزكاة يوم وقع في يده التمر أم لا؟

قال : اذا لم يبلغ ماعنده من الدراهم نصاب الزكاة، وكان التمر من ماله، ولم يبعه فلا زكاة عليه في الدراهم من قبل التمر، ولو حال عليه أحوال كثيرة، حتى يبيعه بثمن، اذا حمله على دراهمه وحال عليه الحول بلغ نصاب الزكاة، فحينئذ تلزمه الزكاة، ، وان كان التمر اشتراه للتجارة وحال عليه الحول مع دراهمه لزمته الزكاة، اذا كان قيمته تكمل نصاب الزكاة، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري السعالي (رحمه الله) : وما تقول سيدي فيمن بيده مال،وهو لغيره، من غير عمان، ولم يامره أن يسلم الزكاة منه. وصاحب المال غير أمين على الزكاة، هل يجوز لمن بيده المال أن يسلم الزكاة من المال الذي في يده؟ وهل يقبض منه اذا أقر أن المال الذي في يده لرجل غريب، ولم يامر أن يسلم عنه الزكاة اذا كان الأمين غير عدل؟

الجواب وبالله التوفيق : الذي وجدته في آثار المسلمين أنه ليس للوالي وغيره أن ياخذ من مال الغريب من الورق صدقة، لأنه غائب ولا يدري ماعنده الا أن يسلم ذلك اليه وكيل الغائب، فان ذلك جايز له أن ياخذ الصدقة منه على هذا الوجه. وأما أن يجبر الوكيل على ذلك أو ياخذ من ذلك، كما ياخذ من الحاضر أو من الثمار فلا، لأنه لايدري ما مع الغائب. وقال من قال من المسلمين: ليس في مال الغائب صدقة من الورق لأنه لايدري ماعنده وانما جاز ذلك لصاحب الصدقة أن ياخذ من الوكيل من غير جبر، وخصوصا اذا لم يقل الوكيل انه من مال الغائب، وأما في الثمار، فالزكاة واجبة في مال الغائب اذا صحت، والله أعلم.

(١٥٦) القنط : كذا في الأصل والمعنى غير بين .

قلت له: وان كـان في يد مشرك وأقـر به لرجل مـسلم من غير عُمان، وقد حـال على المال حـول في عمان، هل تقـبض منه الزكاة اذا سلمها عن الغائب ، ولم يقر بما سلمه أنه من مال الغائب، أو أقر أنه من مال الغائب ؟

قـال : اذا أقـر أنه من مـال الغـائب، فـلا تقـبض منه، وأما اذا سلم عن الغـائب وقال: هذه الدراهم من الزكاة عن الغائب، فارجو أنه لا يضيق قبض ذلك منه، والله أعلم.

قلت له: وفي رجل اشترى عـبـيـدا أو غيرهم من الحـيوان للتجارة، فجاء شـهره الذي يزكي فيه، ولم يسلم زكاة ماله حتى بعد وجوب زكاته شهرا أو أكـثـر ثم حـول نيـتـه في تلك العـبـيد لخدمة بيته، أتكون عليه زكاة السنة الماضية، أعني قيمة العبيد ؟

قال : على صفتك هذه تجب عليه الزكاة للسنة الماضية في قيمة العبيد.

قـلت له : ومـا تقـول في مشرك أسلم وله مـال مما يبلغ نصـاب الزكـاة وللمال مدة من الزمان، هل تجب عليه زكاة حين أسلم أم لا؟

قال : لازكاة عليه الا أن يحول عليه حول منذ أسلم، والله أعلم.

فصـــل

ومـن جـوابه (رحمه الله)، الى الشـيخ الوالي الموالي راشـد بن عـبـدالله بن مـبـارك بن راشـد بن عبدالله الكندي السمدي النزوي (رحمه الله): وما تقول (رحمك الله) في رجل عنده دراهم، فلما جـاء المصـدق ليأخـذ الزكـاة، قال ذلك الرجل : هذه الدراهم عنده أمانة، أيكون قوله مقبولا أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان قوله مقبول: ولا يجبر في مثل هذا، فان اتهمه الامام أو الوالي، فعليه يمين الله ماستر مالا تجب عليه فيه الزكاة .

قلت له: واذا كـان عنده مـال فـقـال حين جاءه المصدق : هذا المال عندي أمـانة، فمات ذلك الرجل، فـسئل المقـرور له بالمال، فـقال: ليس عنده لي مال، أياخذ من ذلك المال الزكاة أم لا؟

قـال : لايؤخـذ الا على صـحـة، فـاذا صح عند الوالي هذا المال تجب فيه الزكاة ولم تخرج منه فجائز له أخذ الزكاة.

قلت له: واذا أعطى الرجل زكـاته أو كـفارة غير الأولياء، وهو واجد لهم، وهم محتاجون أيجزيه ذلك؟

قـال : أكـثـر القـول: أنه يجوز أن يعطي زكـاته الأولياء وغير الأولياء،

وقال من قال: لايعطي زكاته الأولياء(١٥٧).

قلت له: واذا أعطى زكاته زوجة غني، وكانت فقيرة، أيجزيه ذلك أم لا؟

قال : أكثر القول : لاتجوز الزكاة لزوجة الغني اذا كان منصفا لها.

قلت له : واذا ملك هذا الرجل عشرين مثقالا ذهبا الا مثقالا واحدا وله أيضا عشرون درهما أيحمل الذهب على الفضة ويكون نصابا أم لا؟

قال : يحمل أحدهما على الآخر، وتؤخذ منه الزكاة اذا بلغت فيه الزكاة، والله أعلم.

فصل

ومنه (رحمه الله)، الى الوالي صالح بن عبدالله الفلوجي النزوي (رحمه الله): وفيمن يطني ماله، وقد أدرك بعض النخل، والبعض لم يدرك، هل يجوز لنا أن نطالبه في الزكاة قبل ادراك الجميع أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: ان النخل التي غير مدركة فلا زكاة على صاحبها فيه، الا أن يسلمها بطيبة نفسه.

قلت له: واذا وجد المصدق شيئا من ركاب الأحساء(١٥٨) عند أحد من البادية، فقال صاحبها: انه أخذها من أصحابها سرقة أو غصبا أو لم يقل هو ذلك، وكان قد اشتهر خبر ذلك الركاب أنها ماخوذة من عند أهل الاحساء بالغصب والسرق، هل يأخذ منها الزكاة أم لا؟

قال : ان الركاب المسروقة أو المغصوبة ترد الى أهلها وليس حكمها لمن يملكها بالغصب أو السرقة، ولاتجوز غنيمة أموال أهل القبلة.

قال المؤلف : لعله على هذه الصفة فلا تؤخذ منها الزكاة، والله أعلم، (رجع).

قلت له : واذا كان رجل عنده زرع تجب فيه الزكاة، استاجر على حصاده بدراهم، هل ترى عليها الزكاة بقدر نصيبها من الأجرة، مثل الأجرة بالحب على قول من يجعل الأجرة قبل الزكاة وغيرها، أم بين أجرة الدراهم والحب فرق، بين لنا ذلك ؟

قال : لايلزم الزكاة شيء من الدراهم، اذا كانت أجرة الدوس بالدراهم.

---

(١٥٧) لعل الصواب : الا الأولياء .

(١٥٨) الاحساء : هي منطقة المنوف حاليا ، على الساحل الغربي للخليج، كانت يسكنها البدو.

قلت له: واذا زرع زارع في هذه الأفلاج القوايب(١٥٩) التي يعطيهم اياها الوالي بالخمس والربع، فبلغت زراعته ثلاثمائة مكوك جميعها، هل تجب فيها الزكاة أم حتى تبلغ في نصيبه هو غير نصيب بيت المال؟

قال : اذا اقتعد الرجل أرضا لبيت مال المسلمين بجزء معلوم فجاءت الزراعة ثلاثمائة صاع بنصيب بيت مال المسلمين، ففي ذلك اختلاف بين المسلمين. فقال من قال: ان على الزارع الزكاة في حصته، ويحمل عليه النصيب الذي للمسلمين، وقال من قال: لايحمل على الزارع النصيب الذي للمسلمين الا أن تبلغ في نصيب الزارع الزكاة، فحينئذ تؤخذ منه الزكاة. وان لم تبلغ في نصيب الزارع الزكاة الا بالنصيب الذي للمسلمين، فلا زكاة على الزارع، وهذا القول الأخير أحب الي.

قلت له: واذا اقتعد أرض مسجد أو صافية، هل تحمل زراعته على الزراعة التي من أصوله؟

قال : اذا زرع زرعا في أرض المسجد، أو أرض الصافية، أو في أرض شيء من [الوقوفات] وزرع في أرض نفسه، أو في أرض أحد من الناس، فانه يحمل عليه جميع زرعه الذي زرعه في أرض نفسه، وفي أرض الناس، وفي أرض المسجد، وفي أرض جميع الوقوفات، والله أعلم.

[.....](١٦٠)

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمهما الله): وما تقول (رحمك الله) في رجل أطنى ماله ولم يقبض الثمن، فلما أراد قبض الثمن بعد مدة من الزمان، طلب منه المطني أن يحط عنه شيئا من الدراهم، فحط عنه، أعليه زكاة فيما حط عنه أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان الذي عرفناه وحفظناه في هذه المسالة اختلاف ، فقال من قال: عليه فيه زكاة الجميع، ولا تنحط الزكاة اذا ترك صاحب المال ماله، ويعجبني هذا اذا كان المطني غنيا، وأما صاحب المسالة فلم يشترط فيها شرطا، وقال من قال: اذا ترك صاحب المال من ماله ، ليسه

---

(١٥٩) لعل الصواب : الأفلاج القبلان، مفردها قبيل، وهو الفلج يؤخذ ماؤه من الغيل وهو الماء الجاري في الوادي.

(١٦٠) بياض في الأصل : موضع لكلمة «فصل».

محابيا للمطني ولا ليد(١٦١) تقدمت بينهما من قبل، ولا ليد يرجوها، فلا زكاة فيما حط من الطناء، ويعجبني هذا اذا كان المطني ضعيفا.

قلت له: واذا هلكت امرأة وتركت حليا تجب فيه الزكاة، وكانت المرأة لم تسلمها في حياتها، فأقر بعض الورثة أن هذا الحلي حالت عليه عند الهالكة أحوال كثيرة، أتوخذ الزكاة من الحلي كله أم حتى يصدق على نفسه ولا يصدق على غيره، عرفنا ذلك؟

قال : معي أنه فيما جاء في آثار المسلمين (رحمهم الله) في هذه المسالة، اذا شهد شاهدا عدل أن هذه المرأة لم تسلم زكاة هذا الحلي اذا كان من الذهب والفضة، كذا وكذا حول، وهو مما تجب فيه الزكاة، أو شهدا أن هذه المرأة أقرت أنها لم تزك هذا الحلي كذا وكذا حولا الى أن ماتت، فان صح هكذا، فتجب فيه الزكاة على ماصح، وأما اذا عدم الشهود واقرارها، الا أن أحد الورثة أقر بذلك، لا أقدر أن أحكم عليه حكما بهذا، الا أنه يقال للمقر: أعطنا ان كان عليك زكاة، وأما سائر الورثة فلا تجب عليهم الزكاة الا اذا حال على هذا الحلي حول منذ ملكوه، وكانت ان لو قسمت صح لكل واحد منهم ماتجب فيه نصاب الزكاة، فعليهم الزكاة، وان لم يصح في القسمة لكل واحد، ماتجب عليه الزكاة، فلا زكاة عليهم، على قول بعض المسلمين، وفيها غير هذا، وبالله التوفيق.

قلت له: واذا أطنى الرجل ماله، فاكله المطني رطبا، أعلى المطني زكاة أم لا؟

قال اذا كان المطني أكله رطبا وبسرا، ففيه اختلاف، فقال من قال: فيما أطنى الزكاة، وهو أكثر القول، والمعمول به اليوم فيما سمعناه، وقول: لازكاة عليه ولا على المطنى اذا أكله رطبا وبسرا.

قلت له: واذا أطنى صاحب المال بثمن ماله مالا فاكله رطبا وبسرا، أعليه فيه الزكاة؟

قال : على ماعرفتك في أول المسالة .

قلت له: واذا أطنى ماله الذي أطناه بنفسه؟

قال : لايلزمه زكاة الطناء دراهم الا اذا أراد ذلك، ولكن عليه زكاة الثمن، والله أعلم.

---

(١٦١) اليد هنا : النعمة والمزية .

[.....](١٦٢)

ومنه اليه (رحمهما الله): في رجل له نخلة مزناج أطناها غيره وأطنا هو بثمنها نخلة مزناج من عند غيره، وهل عليه زكاة في تمرة نخلته المزناج التي أطنى به نخلة غيرها وأطنى غيرها؟ عرفنا ذلك؟

الجواب وبالله التوفيق : فالذي جاء في آثار المسلمين ، أن هذا الذي ذكرته يجري فيه الاختلاف من المسلمين بالرأي، فقال من قال : فيما أكله المطنى رطبا وبسرا الزكاة، وهو على نظر المصدق الذي أقامه الامام للمسلمين ممن يكون أهلا لذلك، وأمره الامام بذلك لأنه الحاكم على الرعية، فان رأى هذا القول وأمر بالأخذ به لم يكن للرعية مخالفته، وقيل: لازكاة فيما أكله المطنى رطبا وبسرا ولو طنا به غيره ـ أعني به صحاب المال ـ وقيل: ان أطنى به غيره واستهلكه في حق العيال، فلا زكاة فيه، وفيه اختلاف كثير، أرجو أنك عارف به، والله أعلم.

[.....](١٦٣)

ومنه (رحمه الله)، وهذا ماسالنيه (رحمه الله)، قلت له: وما تقول فيمن كانت له دراهم لم تجب فيها الزكاة، فضارب بها تاجر يخلطها بتجارته، أتجب على هذا الرجل زكاة أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : الذي نحفظه من آثار المسلمين (رحمهم الله وغفر لهم) أن هذه الدراهم مالم تبلغ مائتي درهم أو قيمتها، وتكون للتجارة، ويحول الحول عليها أو على قيمتها، والا فلا زكاة فيها على أكثر قول المسلمين.

قلت له: واذا أراد امرؤ أن يعطي الامام أو الوالي دراهم من زكاة أيجب عليه أن يقول له هذه الدراهم من زكاة كذا وكذا، أم يكفيه أن يقول له هذه الدراهم من الزكاة ؟

قال : فاذا قال : هذه زكاة، أو هذه من الزكاة، جاز له ذلك للقابض أو على المعطى، كانت النخلة مدركة أو غير مدركة؟

قال : أما اذا أعطاه اياها بعد ادراكها ولم تكن عطيته ليد تقدمت، ولا ليد يرجوها، ولا تقية عن ماله، وأكلها المعطى رطبا أو بسرا، ولم يكن وقت امام عدل، وكان المعطى فقيرا فلا زكاة على زكاة أحدهما على أكثر القول فيما

(١٦٢) بياض في الأصل ، موضع لكلمة «فصل».
(١٦٣) بياض في الأصل ، موضع لكلمة «فصل».

عندنا، وأما ان كان لمكافاة أو ليد يرجوها أو تركها المعطى حتى صارت تمرا، فعلى المعطي الزكاة على قول، وقول: الزكاة على المعطي ان كان المعطى فقيرا، وان كان غنيا، فعلى المعطى الزكاة، وان كانت العطية قبل الدراك، وأحرزها المعطى قبل الدراك فهي للمعطى، ومحمولة على ان كانت تلزمه الزكاة، والله أعلم.

قلت له: ومن كان عنده آنية أو سلاح وهو مستغن عنها، أتجب عليه زكاة الفطر أم لا؟

قال : في ذلك اختلاف بالراي، فقال من قال: ان كانت الآنية والاداة لم يحتج اليها، فان كان اذا باعها تكفيه مؤونته هو ومن يلزمه عوله سنة كاملة ـ وهو أكثر القول ـ فعليه زكاة الفطر، وقد رأيت الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد بن زامل الخراسيني النزوي (رحمه الله) يفتي بهذا الا أن يتطوع المبتلى بنفسه اذا كان بالغا عاقلا. وقال من قال: اذا كانت تكفيه مؤونته هو ومن يلزمه عوله شهرا. وقال من قال: اذا كانت تكفيه هو وعياله يوما، ووجدت عن أبي عبيدة (رحمه الله) أن سائلا ساله عن زكاة الفطر تجب عليه أم لا؟ وعلى السائل ثوبان غاليان، فقال له: بعهما واشتر أدون منهما وأخرج زكاة الفطر، والله أعلم.

مسالة : ومن جواب الشيخ الوالي الموالي عامر بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، وفيمن له أروض شتى، فزرعها أناس شتى بجزء من الحب، ولم تبلغ الزكاة على الزارع على الافراد، وبلغت الزكاة على صاحب الأصل، أيكون الزارع تبعا لصاحب الأصل أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ففي ذلك اختلاف بين المسلمين، قال بعض المسلمين: اذا بلغت الزكاة على صاحب الأصل حمل عليه الزارع، وأخذت الزكاة من الجميع، وقال بعضهم: لا زكاة على صاحب الاصل وحده، اذا بلغت الزكاة في نصيبه، وهذا القول أكثر، وعليه العمل، وحفظته عن الشيخ العالم الفقيه صالح بن سعيد الزاملي (رحمه الله) وهو الذي يعجبه، وكذلك حفظت عن الشيخ الوالي راشد بن خلف العقيد المنحي (رحمه الله)، والله أعلم.

مسالة: ومنه (رحمه الله) وهذا ماسالت عنه (رحمه الله)، قلت له: سيدي فيمن وجبت عليه الزكاة ولم يجد الا فقراء أهل الذمة، أيجوز أن يعطيهم تلك الزكاة أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا لم يجد من وجبت عليه الزكاة أحدا من فقراء المسلمين أهل الاستقامة في الدين ولا فقراء أهل الخلاف لدين المسلمين من أهل القبلة، فجائز أن يعطيها فقراء أهل الذمة، وان حبسها الى أن يجد من هو أحق بها، فهو حسن، ان شاء الله.

قلت له: ومن كانت معه دراهم تبلغ فيها الزكاة، وكانت عليه دراهم تبلغ فيها الزكاة، وكانت عليه دراهم، أيسلم فيما بينه وبين الله اذا أسقط الدين على قول من يقول ان الدين يسقط؟

قال : في ذلك اختلاف، فقال من قال: جائز له أن يسقط الدين مالم يحكم عليه الامام أو الوالي بذلك، وأما اذا حكم عليه الامام أو من له الحكم في ذلك، فلا يجوز له الا ماحكم عليه له عليه، وقال من قال: اذا أخذ الامام بقول فلا يجوز له هو أن يأخذ بخلافه، والامام ـ أعزه الله ونصره ـ لم يسقط الدين وذلك مع نظر الأشياخ (رحمهم الله).

قلت له : أرأيت اذا كانت له دراهم مع واحد مفلس وكانت الدراهم التي لم تبلغ فيها الزكاة، أتحمل هذه الدراهم التي على المفلس، ويؤخذ منها الزكاة أم لا؟

قال : اذا كان له دين على مفلس لايرجوه فلا يتم بهذا الدين نصاب الزكاة، ولكن اذا ظهر دينه هذا واستوفاه، فعليه أن يزكي مامضى من السنين على القول الذي يعمل به الأشياخ، والله أعلم.

فصل

وجدته من جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة ابن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الفقيه عبدالله بن عامر ابن عبدالله بن سعيد العقري النزوي (رحمه الله) : وسالته عن أهل الأخشاب(١٦٤) اذا عناهم الخب في البحر، فطرحوا متاعهم، أيكون غرمه على الركاب والمتاع والحداق(١٦٥)، أم على أحد دون أحد؟

الجواب وبالله التوفيق : فان كان الخوف على المال خاصة، فالغرم على المال على قدره، وان كان الخوف على الأنفس، كان الغرم على الأنفس على الرؤوس، وان كان الخوف على المال والأنفس، كان الغرم على المال والأنفس والمركب.

---

(١٦٤) الأخشاب مفردها خشبة، لغة محلية تعني المركب.

(١٦٥) الحداق: لعل المراد : ربابنة السفينة وعمالها.

قلت له: مايجب على المال، ومايجب على الأنفس ؟

قال : يجب على الأنفس النصف من ذلك، وعلى المال النصف، كل بقدر حصته، على ماحفظته من جواب الشيخ [.....](١٦٦) بن سعيد بن زامل الخراسيني (رضي الله عنه).

قلت له شفاها: تكون الغرامة على ثقل المتاع وخفته أم بالقيمة؟

قال : يعجبني أن يحاصص بينهم بالقيمة، كل بقدر قيمة متاعه، لأن كثيرا من التجارة الخفيفة قيمتها تزيد اضعافا على الثقيلة مثل المسك والزباد والعنبر والرصاص والحديد وغيره من الثقيلة، فلا يستقيم هذا الا بالقيمة، والله أعلم.



(١٦٦) كلمة ساقطة في الأصل، لعلها صالح بن سعيد.

المنثورة الحادية عشرة

في الصوم وما يجوز من ذلك وما لايجوز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصوم جنة من العذاب، ومجنة من العقاب، وذروة للاخلاص، ومرقاة الى سعادة يوم الأخذ بالنواصي، حتى فرضه على عباده بنص الكتاب، الذي أنزله على نبيه المظل بالسحاب، وجعله حصنا لأوليائه من وساوس الشيطان، ودرجا الى معالي الرضوان، ودعامة من دعائم الايمان، وفريضة من فرائض الرحمن، لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾(١)، أي الصيام واجب عليكم.

والصوم والصيام بمعنى واحد، وأصل الصوم السكوت، يقال: صامت الريح صوما اذا ركدت، وصام الماء اذا دام، وصام النهار اذا استوت الشمس في وسط السماء، وقام الظل، قال امرؤ القيس:

فدعها وسل الهم عنك بجسرة أمون اذا صام النهار وهجرا

جسرة بفتح المعجمة وجزم المهملة الثانية وفتح المهملة الثالثة هي ناقة قوية ماضية في السير دائمة عليه، قال الخليل: وأقل مايقال: جمل جسر، ومنه الجسور مصدر جسر، وهو عقد الجسور وعمله، والجسارة الاقدام في الحرب وغيرها، وكذلك الناقة في سيرها، كل هذه الأفعال بفتح المعجمة من الماضي وضمها من المستقبل، وقوله: أمون، موثقة الخلق، التي أمن فتورها في السير، وقيل: هي التي أمن عثارها، والصوم القيام، والصائم القائم، قال الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

العجاج بفتح المهملة الغبار، والعجاج بتشديد المعجمة الثانية هو الذي ينثر الغبار، ومن ذلك سمي نهرا عجاجا لمائه صوت، وكذلك الفحل في هديره، والعج رفع الصوت بالدعاء، يقال: عج القوم عجا وعجيجا، وفي الحديث: «أفضل الحج العج والثج»(٢)، فالعج رفع الصوت بالتلبية، والثج صب دم الهدي، وعج الرعد والبعير صوتيهما(٣)، وكذلك العجيج، والفعل منه عج يعج بكسر مهملة المستقبل عجا وعجيجا، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة : ١٨٣.

(٢) أخرجه الهيثمي : مجمع الزوائد ٣/ ٢٢٤، المنذي: كنز العمال ١١٨٨٣، الزيلعي : نصب الراية ٣/ ٣٣.

(٣) الصواب : صوتاهما.

والعلك الذي ذكره بالبيت المقدم هو مضغ اللجام، يقال علك بفتح مهملة الماضي وضمها من المستقبل علكا والعلك بفتح المهملتين هو من شجر الجبال يشبه الفصاص الا انه أعظم منه وأطول، وله لبن غليظ أبيض يقال: أنه يخلط في السموم، والله أعلم.

وكذلك قال الأجذع بن مالك في معنى الصوم :

ويوم في مجالسنا قعودا لذي أكنافنا خيل صيام

وانتصاب قعودا على المصدر، أي: قعدنا في مجالسنا قعودا، أو أصبحنا في مجالسنا قعودا، أو على الحال بمعنى حللنا بمجالسنا قعودا، أي : قاعدين، وقوله: في أكنافنا، أي: في ناحيتنا، لأن الأكناف جمع كنف بفتح الكاف والنون وكذلك كنف الطائر جناحاه، والكنف الحرز، كما قيل في الحديث المنقول عن السلف: «أنت في حفظ الله وكنفه»، أي: في حرزه، والله أعلم. ومعنى البيت، ورب يوم قعدنا في مجالسنا ومن ناحيتنا خيل قائمة، والله أعلم. والصوم ذرق النعام، قال الحريري : «وان صلى وعليه صوم؟ قال: يعيد ولو ألف يوم». ومعناه لأن ذرق النعام بخس، والله أعلم.

فصل

وأما قوله عز وجل في الآية المتقدمة : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾(٤)، يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام، وفيه تاكيد للفعل وترغيب في الفعل، والمعنى في شهر رمضان، والله أعلم. وأما قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾، أي: لكي تتقوا جميع المعاصي والمناكر فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فالصوم له وجاء»(٥)، وفعله مهموز، يقال له: وجاه بالسكين اذا ضربه، ووجا عنقه اذا رضها والله أعلم، والمعنى في كلام الرسول ﷺ من استطاع منكم التزويج فليتزوج والا فيصوم، فان الصوم يرض شهوته ويكسرها، كما قال تبارك وتعالى : ﴿وَلْيَستَعفِفِ الَّذِينَ لَايَجِدُونَ نِكَاحاً﴾(٦)، أي: يجتهدوا في العفة وقمع الشهوة وغيرها، والله أعلم. وأياما منتصبة على الظرف، وقيل: على ما لم يسم فاعله، وقيل: على التفسير، والله أعلم.

---

(٤) سورة البقرة : ١٨٣.

(٥) أخرجه النسائي : نكاح ٣، ابن حجر: فتح الباري ١١٩/٤، الهندي: كنز العمال ٤٥٦٠١

(٦) سورة النور : ٣٣.

فصـــل

قـال الله عـز وجل : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٧) ، أي : اذا مـرض أحـدكم مـرضا شديدا ولم يقدر على الصيام، فانه يجوز له أن يفطر ويبـدل مـا أفطر اذا برىء، وكـذلك المسـافر اذا أدركه شهر رمـضان وهو في السفر فجائز له أن يفطر ويبدله اذا رجع الى بلده، وان صام في سـفـره فـهو أفضل ، والله أعلم. وقيل أيضا فيمن أجهده الصوم وخاف على نفسـه الهلاك، فله أن يأكل ويشرب بقـدر مـايحيي به نفسه، ويبدل يومه، ولايزيد في الأكل والشرب الا بقـدر مايحيي به نفسه، والله أعلم، وأما قوله عز وجل: ﴿شَـهـرُ رَمَـضَـانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(٨)، فالذي قيل: انه مرفوع على المبتدأ، وخبره مابعده أو يعدل من الصيـام على حـذف المضـاف، أي: كـتب عليكم صـوم شهر رمضان، وقرىء بالنصب على اضمار وصـومـوا شـهـر رمـضـان أو بدل من أيام مـعـدودات، والشـهـر من الشـهـرة، ورمضان مصدر رمض اذا احترق، وهو بكسر الماضي وفـتـحـه من المسـتقبل، وانما سمي ذلك لارتماضهم من الجوع والعطش، أو لارتماض الذنوب فيه، ولأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد، وكانت ترمض الحجارة، وقيل: رمضان هو اسم من أسماء الله عز وجل، يقال: شهر رمضان، كما يقال، شهر الله، وفي الحديث: فلا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان، لعل رمـضـان اسم من أسماء الله عـز وجل، وانما قـولوا جاء شهر رمضان وذهب شهر رمضان»(٩)، والله أعلم. وانما مـعنى قـوله تعـالى : ﴿أُنزِلَ فِيـهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ﴾، من الضـلالة، وهي في محل النصب على القطع. وسـمي القرآن قـرآنا لأنه يجمع السـور والآي والحـروف، وجميع القـصص والأمر والنهي، والوعـد والوعيد، والناسخ والمنسوخ، وأصل القرآن الجمع، وقد يحذف الهمز، فـيقال: قريت الماء في الحوض اذا جمعته، وقرأ ابن كثير ﴿الْقُرْآنُ﴾ بفتح الراء من غير همز، وكذلك كان الشافعي يقرأه.

واخـتلف في تفـسير نزول القـرآن في شـهـر رمـضان، فقيل: أنزله جملة واحـدة في اللوح المحـفـوظ، في ليلة القدر، من شهر رمضان، الى بيت العزة في سماء الدنيـا، ثم نزل به جبريل عليـه السـلام على رسـول الله ﷺ نجـوما في

---

(٧) سورة البقرة : ١٨٤ .

(٨) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٩) أخـرجه بمعناه كثيرون. انظر موسوعة أطراف الحديث ٧/١٨٨ .

عشرين سنة، وعن النبي ﷺ قال: «نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من الشهر، والانجيل لثلاث عشرة ليلة، والقرآن لأربع وعشرين ليلة من شهور رمضان»(١٠)، والله أعلم وبه التوفيق.

فصل

وأما قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾(١١)، ﴿الرَّفَثُ﴾ كناية عن الجماع فيما قيل. وجاء في الحديث المنقول عن السلف أنه كان في بدء الأمر اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب الى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبله، فاذا صلى العشاء، أو رقد قبلها حرم عليه الطعام أو الشراب والنساء الى الليلة القابلة، ثم ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واقع أهله بعدما صلى العشاء، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فاتى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله اني أعتذر الى الله واليك من نفسي من هذه الخطيئة، اني رجعت الى أهلي بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيب فسولت لي نفسي فجامعت أهلي، فقال النبي ﷺ : «ماكنت جديرا بذلك ياعمر»، فقام رجال فاعترفوا بمثله، فنزلت هذه الآية في عمر وأصحابه، والله أعلم، وقوله: «جديرا بذلك»، أي: خليقا له، هم جديرون بكذا وكذا، والجدير المكان بني حواليه جدار، وقال الشاعر :

وتبنون في كل واد جديرا

والفعل منه جدر فلان بفعل كذا يجدر بضم الدالين جدارة فهو جدير، أي: خليق.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(١٢)، والذي قيل: ان هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صرمة بن قيس بن صرمة، وقيل: أبو قيس صرم بن أنس ابن أبي صرمة، وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما رجع مضى الى أهله بتمر، وقال لامرأته: قدمي الطعام، فارادت المرأة أن تطعمه شيئا سخينا، فاخذت تعمل له سخينا، وكان في بدء الاسلام من نام أو صلى العشاء الآخرة حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه اذا هو قد

(١٠) أخرجه البيهقي : السنن الكبرى ٩/١٨٨، ٩٧٥، وفي الأسماء والصفات ٢٣٤.
(١١) سورة البقرة : ١٨٧ .
(١٢) سورة البقرة : ١٨٧ .

نام وكان قد أعيى وكل، فايقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبي أن ياكل، وأصبح صائما مجهودا، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه، فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ، فانزل الله عز وجل هذه الآية، فقيل: لما نزلت هذه الآية عمد رجال الى خيطين أبيض وأسود فلا يزالون حتى يتبينا لهم، فانزل الله عز وجل بعد : ﴿مِنَ الفَجرِ﴾ ، فعلموا أنه يعني بهما الليل والنهار، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ان بلالا ينادي بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم، رجل أعمى لاينادي حتى يقال له أصبحت»(١٣)، وقيل : انه يعتبره بمناخره، والله أعلم، وقوله: أمسيت طليحا، أي: معيبا. يقال: بعير طليح، وناقة طليحة، أي: معيبة، والفعل منه طلح بكسر المهملة من الماضي، يطلح بفتح المهملة من المستقبل طلاحة وطلحا اذا أعيى، والله أعلم. وكذلك أطلحت الابل اذا استنكفت عن أكل الطلع، والله أعلم.

وفي الحديث عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: «يا أيها الناس انه قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر، خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المساواة، يزيد رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء»، قالوا : يارسول الله كلنا يجد مايفطر به الصائم؟ قال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثواب من فطر فيه صائما على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله شربة من حوضي لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه أربع خصال: خصلتين ترضون بهم ربكم، وخصلتين لاغنى لكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه لجميع ذنوبكم، وأما اللتان لاغنى لكم عنهما تسالون الله

(١٣) أخرجه كثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ٣/٢٩٦.

الجنة، وتعوذون به من النار»(١٤).

فصل

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، الصيام يقول: رب اني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، والقرآن يقول: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه»(١٥). وعنه عليه الصلاةوالسلام: «لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم»(١٦). وعنه ﷺ أنه قال: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»(١٧)، والله أعلم.

فصل

وفي الحديث عن السلف من طريق ابن مسعود الأنصاري أنه قال: «من صام شهر رمضان في انصات وسكوت وذكر الله عز وجل، وأحل حلاله، وحرم فيه حرامه، ولم يرتكب فيه فاحشة، الا انسلخ عنه رمضان وقد غفرت ذنوبه كلها، ويبني له بكل تسبيحة وتهليلة بيت في الجنة من زمردة خضراء في جوفها ياقوتة حمراء، في جوف تلك الياقوتة خيمة من در مجوفة، وفيها زوجة من الحور العين».

قوله: انسلخ معناه مضى شهر رمضان، لقوله عز وجل : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾(١٨)، أي: نمضي ونكشط، ومن طريق آخر معناه نفصل منه النهار، ومن طريق آخر نزيله ونكشفه عن مكانه، مستعار من سلخ الجلد، وقوله عز وجل في آية أخرى : ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾(١٩)، معناه انقضى، وأصل الانسلاخ الشيء مما لايشبه، ماخوذ من سلخ الشاة، والأشهر الحرم التي أبيح للتائبين أن يسبحوا فيها، وقيل: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وقيل: غير ذلك، تركته خوف الاطالة، والله أعلم.

وفي الحديث يقال: «اذا كان ليلة القدر يامر الله عز وجل جبريل عليه السلام فينزل في كبكبة من الملائكة الى الأرض ومعه لواء أخضر فيركزه على ظهر الكعبة فيسلمون تلك الليلة على كل قائم وقاعد وذاكر من أمة محمد ﷺ،

(١٤) أخرجه كثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ١١/ ١٠٠.
(١٥) أخرجه كثيرون : انظر نفس المصدر ٥/ ٣٩٢.
(١٦) أخرجه المندي : كنز العمال ٢٣٥٩١، العراقي : المغني١/ ٢٣٢، الزبيدي : اتحاف ٤/ ١٩٢.
(١٧) أخرجه كثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ١٠/ ٩١.
(١٨) سورة يس : ٣٧ . (١٩) سورة التوبة : ٥ .

ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، وينادي جبريل عليه السلام: يامعشر الملائكة الرحيل، فتقول الملائكة: مافعل الله عز وجل في حوائج أمة محمد ﷺ؟ فيقول: ان الله نظر اليهم وغفر لهم الا أربعة، قالوا: وما هم؟ فقال : مدمن الخمر، وعاق لوالديه، وقاطع الرحم، ومشاحن، قالوا: يارسول الله وما المشاحن؟ قال: الذي لايكلم أخاه»(٢٠)، والله أعلم بتفسير ماجاء في هذا الحديث، الا أني أذكر من بيانه بجهد طاقتي، أما قوله: عاق لوالديه معناه ترك البر بهما والاساءة اليهما، وأما المشاحن فهو الذي لايكلم أخاه، لانه جاء في الحديث: «من هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فلا ولاية له»(٢١)، وقوله: في كبكبة من الملائكة، أي: في جماعة كثيرة من الملائكة، وهو بضم الكافين، قال الله عز وجل: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾(٢٢)، أي: الآلهة وعبدتهم، قال ابن عباس (رضي الله عنه): أي: جمعوا ، أو قيل: طرح بعضهم على بعض، وقيل الكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه، كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها، والله أعلم، وأما اللواء بكسر اللام الممدود ممدودا هو لواء الأمير، وأما اللوى المقصور هو الرمل، قال ابن دريد:

وكم عطام باللوى قد فارقت خفق اللواء

وقوله: يؤمنون على دعائهم يقولون: آمين، وأما المشاحنة العداوة، أشحن للبكاء اذا تهيأ له، وكذلك أشحنه اذا طرده، وشحن السفينة يشحنها بفتح الحائين اذا ملأها، قال الله عز وجل: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾(٢٣)، قرأ أهل المدينة وأهل الشام ويعقوب ﴿ذُرِّيَّاتَهُمْ﴾ بالجمع، وقرأ الآخرون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، والمراد بالذرية الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، وأما ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ فهو المملوء، ويكون كله واحدا، والمراد بهذه ﴿الْفُلْكِ﴾ سفينة نوح عليه السلام، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح عليه السلام، وكانوا في أصلابهم، والله أعلم.

---

(٢٠) أخرجه التبريزي : مشكاة المصابيح ٢٠٩٦، والسيوطي : در المنثور ٦/ ٣٧٧.
(٢١) أخرجه الهيثمي : مجمع الزوائد ٨/ ٦٧، الهندي : كنز العمال ٢٤٨٦٨، والحديث عند السنة بلفظ قريب.
(٢٢) سورة الشعراء : ٩٤ .
(٢٣) سورة يس : ٤١ .

فصـــل

وفي الحـديـث : «اذا كـان ليلة الفطر، سـمـيت تلك الليـة ليلة الجـائزة، فـيبعث الله الملائكة في غداة الفطر فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسـمعه جميع الخلائق الا الجن والانس، فيقولون لآمة محمد ﷺ: اخرجو الى ربكم يعطي الجـزيل، ويغـفـر العظيم، فـاذا برزوا الى مصلاهم، يقول الله عز وجل: مـاجـزاء الأجير اذا عـمل عـمله؟ قالوا: جزاؤه يوفى أجره، فيقول الله عز وجل: سلوني فـوعـزتي وجـلالي لاتسالوني اليـوم شـيئا لدينكم ودنياكم الا أعطيتكم»، والله أعلم.

فصـــل

ووجـدت في جـامع الشيخ أبي محمد (رحمه الله) قال: الفرض في الصوم خمس خـصـال: العلم بالشـهـر، والنيـة، والامـسـاك عن الطعـام والشراب، والامـساك عن الجماع، واستفراغ طرفي المفترض منه.

فـالحجة على وجوب العلم بالشهر ماقال الله عز وجل: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمهُ﴾(٢٤). والمشـاهدة على ضربين : مـشاهدة في الرؤية، ومشاهد في العلم نحـو الأعـمى ومن قصر بصره بغـيـبـة أو عـجـز عن رؤية الهلال، والعلم الثـاني هو المشـاهدة له والنظر اليـه. والحجة في الامساك عن الطعام والشراب أن الصـوم في لغـة العـرب هو الامساك، قال الله جل ذكره فيما أخبر عن مـريم ابنة عـمـران عليـهما السلام: ﴿إِنِّي نَذَرتُ لِلرَّحمَنِ صَوماً فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيّاً﴾(٢٥)، أي: امـسـاكا، والله أعلم. والحجة في النية ماتقدم ذكرنا في مـوضع الطهـارة، والحـجـة في الامـسـاك عن الجماع بالنهار قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم﴾(٢٦)، والرفث هو الجماع، وفي ذلك دليل على حصر ذلك بالنهـار بقـولـه : ﴿فَـالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابتَـغُـوا مَاكَتَبَ اللهُ لَكُم﴾، فافـادنا بهذه الآية أحكامـا ثلاثة، وهي : الامساك عن الطعام والشراب والامـسـاك عن الجماع، واستغراق طرفي المفترض وذلك من وقت طلوع الفجر الى وقت غـروب الشـمس، ومـعنى قـولـه تعـالى : ﴿فَـالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابتَغُوا مَـاكَـتَبَ اللهُ لَكُم﴾، يعني بذلك الولد وذلك بالليل، والله أعلم، ومـا اتفقت عليه الأمـة أن من وطيء بالنهـار أن عليه القضاء والكفارة، واحتجوا بما روي عن

---

(٢٤) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٢٥) سورة مريم : ٢٦ .
(٢٦) سورة البقرة : ١٨٧ .

النبي ﷺ: «أنه ألزم الواطيء بالنهار القضاء والكفارة»(٢٧)، ولايجوز صوم فرض ولا نفل الا بتبييت نية من الليل، لما روي عن النبي ﷺ: «من لم يبيت الصيام من الليل»(٢٨)، وهذا عموم يشتمل على كل صوم، والله أعلم، انقضى الذي من جامع الشيخ أبي محمد (رحمه الله).

فصل

فحافظوا ، اخواني، في صيامكم شهر رمضان، وواظبوا فيه على القيام والصيام، واقطعوا لسان الغيبة للمؤمنين، واسلكوا سبيل المهتدين، فلا تكونوا كالذي حظه من صيامه الجوع والعطش، وذلك من أجل ركوبه المحارم ظاهرا وباطنا وغيبة، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال : «النميمة الكاذبة والغيبة والكذب ينقض الصيام وينقض الوضوء»(٢٩)، وقال بعض العلماء : الكذب لا ينقض الصوم، ولكن ينقض الوضوء. وجاء في الرواية عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة في أن يدع له طعامه وشرابه»(٣٠)، والله أعلم.

فصل

فالله الله ، اخواني وقرة عيني، أن يكون قيامكم وصيامكم في هباء لترجعوا بالندامة خائبين، وتصبحوا على مافعلتم نادمين، وتحرموا دخول الجنان مع النبيين، لأنه روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس خصال لم تعطها أمة قبلهم: خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، ويستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفد فيه مردة الشياطين، فلا يخلصون فيه الى مايخلصون في غيره، ويزين الله فيه جنته، في كلمة منه ويقول: يوشك عبادي الصالحون يلقي عنهم المؤونة والأذى ويصيروا اليك، وتغفر لهم في آخر ليلة منه، وقيل: يارسول الله صلى الله عليك أهي ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل يوفى أجره آخر عمله»(٣١).

فصل

ومن حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : «الجنة لتزين من الحول الى

(٢٧) أخرج الامام الربيع ، نص الحديث مختصرا، حديث رقم ٣١٦.
(٢٨) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم ٧١، والترمذي صوم ٣٣، والنسائي : صوم ٢، والدارمي: صوم ١٠.
(٢٩) أخرجه معناه بلفظ قريب الامام الربيع .
(٣٠) أخرجه الامام الربيع وغيره .
(٣١) ذكر بعضه الامام الربيع .

الحول لدخول شهر رمضان، فاذا كان أو ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق الجنة حلق المصاريع، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتزين الحور العين حتى يقمن بين شرفات الجنان فينادين هل من خاطب الى الله فيزوجه منا، ثم يقلن: يارضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، فيقول: ياخيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان، فيقول الله تعالى : يارضوان افتح أبواب الجنة للصائمين من أمة محمد ﷺ، وياجبريل أهبط الى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال، ثم اقذف بهم في البحر حتى لايفسدوا على أمته ﷺ صومهم»(٣٢)، ويعتق الله عز وجل في كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند الافطار ألف ألف عتيق من النار، يعتقهم من النار عبيدا واماء، ويعتق في آخر الشهر مثل العتق من أوله الى آخره، وله ملك ينادي من تحت العرش هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستنصر فينصره الله؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟هل من سائل فيعطى سؤله؟. فاذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فيبعث الله الملائكة في غداة الفطر، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق الا الجن والانس، فيقولون لأمة محمد ﷺ: اخرجوا الى ربكم يعطي الجزيل، ياعبادي سلوني، فوعزتي وجلالي لاتسألوني اليوم شيئا لدينكم ودنياكم الا أعطيتكم»(٣٣).

فصل

ومن حديث آخر، مما أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام: «ياموسى اني لو أذنت للسماوات والأرض لسلمتا على صوام شهر رمضان، وكلمتاه وبشرتاه مما ذخرت لهم من الجوائز يوم فطرهم، أقول لهم: ياعبادي الذي صاموا شهر رمضان من أجلي، ارجعوا الى رحالكم ومنازلكم مغفورا لكم، قد رضيت عنكم، وجعلت ثوابكم من صيامكم، وجوائزكم يوم فطركم أن أعتقكم من النار، وأن أحاسبكم حسابا يسيرا، وأن أوسع عليكم الرزق في الحياة الدنيا ماعشتم، وأن أخلف لكم نفقاتكم، وأقيلكم العثرة، وأسيركم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، واني أقسمت بعزتي لاتسالوني بعد موقفكم هذا وجمعكم وصيام شهركم شيئا من أمر آخرتكم الا

(٣٢) يوحي السياق بنقص في الكلام.
(٣٣) أورده الذهبي في الترغيب ٢/ ٩٩، الهندي في كنز العمال ٢٤٢٨١.

أعطيتكموه، ولا شيئا من أمر دنياكم الا أنظر لكم فيه ، ياموسى قل للمؤمنين لايتسعجلوا اجابة دعوتي، ولا تبخلوا باليسير، وأني أبغض البخيل، وأنا الفتاح بالخيرات، أحق من أعطى وأكرم من سال»، والله أعلم.

فصل

ومن حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما من عبد صام شهر رمضان الا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة، كما قال الله عز وجل على لسان رسول الله ﷺ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾(٣٤)، وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة، ليس فيهن حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعين لونا من الطيب، وكل امرأة منهن على سرير من ياقوت أحمر منسوج بالدر، عليه سبعون فراشا، بطائنها من استبرق، لكل امرأة سبعون وصيفة»، هذا في كل يوم صامه من شهر رمضان، سوى ماعمل من الحسنات، ومن فضائل شهر رمضان مدارسة القرآن، والاعتكاف في المسجد.

فالواجب على الصائم مراقبة الشهر، ويحصل له ذلك بقول واحد عدل، وأما شوال فلا يحصل الا بشهادة عدلين، ولايجوز صيام يوم الشك، للحديث الوارد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: «لايجوز صيام يوم الشك»(٣٥)، وهو اليوم الذي تراكم فيه السحاب عن رؤية هلال شهر رمضان، وكذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ عن صيام يوم الشك. والمخالف لرسول الله ﷺ عاص لربه، ومن كان كذلك لم يكن مؤديا لفرضه، لأن صيام يوم الشك لم يخل من معنيين: أما أن يكون من شهر شعبان، واما أن يكون من شهر رمضان. فان كان من شعبان فلا يصح صيامه أنه من شهر رمضان، لقول رسول الله ﷺ: «لاتتقدموا صيام شهر رمضان بصيام يوم واحد أو يومين»(٣٦)، ففي هذا دلالة وحجة على أن صيام تلك اليوم(٣٧) لاتجوز، وان كان ذلك اليوم من رمضان، وهو لم يصح معه، فصام على الشك لم يكن مؤديا لفرضه، لأنه قدم عمله قبل نيته، لأن الأعمال لاتصح الا بتقديم النيات الصالحة لقول الرسول ﷺ: «الأعمال بالنيات، ولكل امريء مانوى»(٣٨)، ومن صام ذلك اليوم وكان قد غمي عليه الهلال من تراكم

(٣٤) سورة الرحمن : ٧٢.
(٣٥) أخرجه الإمام الربيع ، حديث رقم ٣٢٤ .
(٣٦) أخرجه النسائي ١٤٩/٤، وأورده ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٣٢٣/٦.
(٣٧) الأفصح : ذلك اليوم .
(٣٨) أخرجه بهذا اللفظ الامام الربيع وغيره .

السحاب، فقد قال بعض أصحابنا، ان نيته فيه ان كان ذلك اليوم من شهر رمضان، فهو من شهر رمضان، وان كان من شهر شعبان فهو تطوع، واحتاط عن صيام شهر رمضان، فان كان عند أصحابنا هذا جائز، فعندي أن نهي الرسول ﷺ عن صيام هذا اليوم يخرج على معنى الأدب، لا على معنى التحريم، لأنه لو كان معنى التحريم لم يكن لأصحابنا فيه مدخل أن يحلوا ماحرم رسول الله ﷺ، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٣٩)، ومعنى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ من الفيء والأمر، لأنه حلال لكم الذي أمركم به، فتمسكوا به، لأنه أوجب الطاعة ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، أي: عن أخذه واتيانه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾، أي: في مخالفة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ﴿إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف رسوله محمد ﷺ، فلو كان محرما البتة لم يقل أصحابنا الا ماحرم رسول الله ﷺ، وما أحله من جميع الأشياء كلها، ولكنه ان كان ذلك نهي أدب واستحباب، كما جاء في كثير من المناهي على لسانه عليه أفضل الصلاة والسلام، ولم أذكرها خوف الاطالة .

فصل

وقد وجدت عن الشيخ أبي محمد يذكر عن الشيخ أبي مالك (رضي الله عنه) أن صوم ذلك اليوم وهو يوم الشك أنه اذا نوى أنه ان كان من رمضان فهو رمضان لايجزي عمن صامه، ولو جاء بصحة دخول شهر رمضان في صدر النهار أو في آخره اذا كان انما عقد صوما على غير يقين في الابتداء، والله أعلم.

فصل

وأما صفة عقد النية في صوم شهر رمضان فهو أن يقول : اللهم نيتي واعتقادي ومعتقد على نفسي بأن أصبح غدا ان شاء الله صائما هذا الشهر المبارك وهو شهر رمضان المفترض علي صومه من أوله الى آخره، وهو ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما، وكل يوم أصبح فيه صائما من طلوع الفجر الى حضور الليل، بنية واحدة واعتقاد واحد، الا أن يبدو لي سفر أو مرض فعدة من أيام آخر، أداء الفرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، فالمستحب للصائم أن يعتقد هذا الاعتقاد أول ليلة من شهر رمضان، هذا على قول من يرى أن شهر رمضان كله فريضة واحدة فيجزيه هذا الاعتقاد، وأما الذي

(٣٩) سورة الحشر : ٧ .

يرى كل يوم فريضة، فالمستحب له أن ينوي كل ليلة، والله أعلم.

فصل

وأما كيفية رؤية شهر رمضان فهو ماذكرت من قبل الا أن هلال شوال لايجوز الا بشهادة عدلين من المسلمين يشهدان برؤيته، وان أبصره الصائم يقينا فلا يجوز له أن يظهر الأكل مع الناس، ولكنه يفطر سرا، لأنه لايجوز له أن يصوم يوم العيد وهو لا تقوم به الحجة بشهادته لهلال شهر رمضان، فيظهر علمه في ذلك الوقت، والله أعلم.

فصل

وأما كيفية دخول شهر رمضان، فالذي سالت عنه الشيخ الفقيه الطبيب علي بن عامر العقري النزوي (رحمه الله) فكان جوابه (رحمه الله): وسالت أيها الأخ عن كيفية دخول الأهلة، فالذي وجدته في الكتب عن عبدالملك بن مروان أنه قال: اذا كان الغمام في ليلة الهلال وأردت أن تعلم استهل الهلال أم لا؟ فانظر الى أول يوم دخل به المحرم الماضي واجعله خامس أول المحرم الذي أنت فيه، فانظر بم يدخل الربيع الأول بالرابع من اليوم الذي يدخل به المحرم، ويدخل جمادي الأخرى بالثاني من اليوم الذي دخل به المحرم، ويدخل الربيع الآخر بالسادس من اليوم الذي دخل به المحرم، ويدخل جمادي الأول بالسابع من اليوم الذي دخل به المحرم، ويدخل رجب بالثالث الذي دخل به المحرم، ويدخل شعبان باليوم الرابع الذي دخل به المحرم، ويدخل شهر رمضان بالسادس الذي دخل به المحرم، ويدخل شوال باليوم السابع من اليوم الذي دخل به المحرم، ويدخل ذو القعدة باليوم الذي دخل به المحرم، ويدخل ذو الحجة الذي دخل به المحرم، رؤي كل سنة كذلك، والله أعلم، انقضى الذي عن الشيخ علي بن عامر (رحمه الله).

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم»(٤٠)، قد جمع رسول الله ﷺ في زينة المباهاة بين الزهد في الدنيا، وبين الصوم، فقال: «ان الله يباهي ملائكته بالشاب العابد، فيقول: أيها الشاب التارك شهوته لأجلي، الباذل نفسه في شبابه لي، أنت عندي كبعض ملائكتي»(٤١)، والصوم في الحضر والسفر واجب، الا أن التخيير في السفر ان شاء صام وان شاء أفطر، فان احتج محتج بوجوب الافطار لما وردت الآية

(٤٠) سبق تخريجه .

(٤١) أورده الهندي : كنز العمال ٤٣٠٥٧، السيوطي: جمع الجوامع ٥١٥٧.

لقوله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٤٢)، فيقال له: ان الآية عامة ومجملة، ولكن يرجع الى السنة التي عن الرسول ﷺ بان الافطار في السفر رخصة من الله، ليس بواجب للرواية الواردة عن النبي ﷺ حين لقي رجلا قد خالطه الموت، ولعله من كثرة الجوع والعطش، فظلل عليه بثوب، فقال عند ذلك: عليكم برخصة الله فاقبلوها، يعني الافطار في السفر، فلو كان واجبا لما سماه رخصة لأن الرخصة من الله صدقة، كما كان القصر في الصلاة من الله صدقة، الا أن أصحابنا قد أوجبوا القصر في الصلاة، وأفسدوا صلاة من أتمها في السفر، وقد وردت الرواية عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ في قصر الصلاة، وقد سئل عنه فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقة الله»(٤٣)، يعني الرخصة في ذلك من بين الأضداد والأنداد وأهل الكفر والفساد، وهكذا قد شرط الله في كتابه لقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبتُم فِي الأَرضِ فَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَقصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ إِن خِفتُم أَن يَفتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٤٤)، فنفى الحرج عند فتن الكافرين، فان احتج محتج بقول رسول الله ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر»(٤٥)، قيل له: قد وردت عنه ﷺ بانه كان يصوم في السفر ويفطر فيه، وكذلك أصحابه يفعلون ذلك، فالمرء في صيامه في السفر ان شاء صام وان شاء أفطر، وليس بواجب عليه الافطار. وأما القصر في السفر فعمل به أصحابنا، ولم يعلم أن أحدا أجاز التمام في السفر، والله أعلم.

فصل

ومما وجدته في رقعة من جواب الشيخ العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي رجل لعله دخل عليه شهر رمضان وهو في السفر، فصام منه أياما، ثم أفطر أياما، ثم صام في وطنه أياما، ثم أفطر في سفره أياما، ثم صام في سفره تمام الشهر، أيتم ماصام، أم ينهدم، على القول الذي يعملون عليه، عرف خادمك؟

الجواب : نحن نعمل بقول من قال: بتمام صيام السفر، ولو أعقبه افطار

---

(٤٢) سورة البقرة : ١٨٤.
(٤٣) أورده الزيلعي في نصب الراية ٢/١٨٨ ـ ١٨٩ .
(٤٤) سورة النساء : ١٠١ .
(٤٥) أخرجه وأورده كثيرون . انظر موسوعة أطراف الحديث ٦/٦٨١.

في السفر، والله أعلم.

قلت له: ومن أجنب في شهر رمضان عمدا وكانت جنابته تلك أول بلوغه، مايلزمه؟

قال : فعلى ماوصفت فيعجبني أن يلزمه بدل مامضى من صوم شهره كله ان كان أجنب في النهار، والله أعلم.

قلت له: وفي الذي عليه بدل من شهر رمضان، أله أن يصوم تطوعا ويؤخر البدل الى وقت آخر؟

قال : ذلك مكروه، لأن تادية اللوازم أولى من النوافل، والله أعلم.

قلت له: ومن سمع أن هلال شهر شوال هل فجامع زوجته تلك الليلة، حتى أصبح جنبا وأفطر، ولم يصح بشهادة العدول، ولم يره هو، ما يلزمه؟

قال : ان صح أن ذلك اليوم من شوال بعد ذلك، فيعجبني أن لاتلزمه الا التوبة، وان لم يصح أنه من شوال فعليه بدل الشهر والكفارة ان كان أصبح جنبا على نية أنه هاتك لحرمة الصوم، وان كان جهلا منه فيعجبني أن يلزمه مامضى من صومه، وان كان ذلك منه خطا حتى انتبه لم يتوان عن الغسل، فيعجبني أن لايلزمه أكثر من يومه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي يوم الشك اذا كان سحاب وأراد أن يصبح صائما ماتكون نيته في صيام ذلك اليوم ؟

قال : تكون نيته في ذلك اليوم نية الصوم كان من رمضان أو شعبان احتياطا على نفسه لئلا يفطر يوما من رمضان اقتداء بعائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ، طاعة لله ولرسوله محمدا ﷺ.

قلت له: ومن جامع زوجته ولم ينزل، وظن أن ليس عليه غسل، وذلك في شهر رمضان، مايلزمه في الصلاة والصوم، وهل له رخصة، ويكفيه البدل بلا كفارة أم لا؟

قال : عليه ـ على بعض القول ـ البدل والكفارة ، ولايخلوا من الرخصة أن يكون عليه البدل بلا كفارة، وأنا يعجبني كفارة واحدة تجزيه مع البدل، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في رجل عليه بدل عشرة أيام، من صام شهر رمضان فصام يوما أو يومين، ثم سافر فافطر أيكون عليه بدل العشر كلها، ولا يكون

صوم البلد الا متتابعا، أم عليه بدل مابقي من الشهر، عرفني ما يجوز؟

قال : في ذلك اختلاف، قول: لايكون البدل الا متتابعا، وقول: ليس هو باشد من رمضان، فعلى هذا القول جائز له أن يفطر في سفره، فاذا رجع من سفره بنى على صومه، فان لم يبن عليه عند رجوعه فسد عليه مامضى، والله أعلم.

قلت له: وفي يوم الشك اذا كان في تلك الليلة غمام، ولم ينظر أحد الى الهلال، أيجوز له افطار ذلك اليوم بعد الانتظار الى وقت الضحى، أم لايجوز افطار ذلك اليوم أم كيف ذلك؟

قال : على ماسمعته من أشياخنا (رحمهم الله) وهوالشيخ الفقيه محمد ابن عمر، والشيخ مسعود بن رمضان (رحمهما الله) يرفعان عن الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد القرن (رحمه الله) أنه كان يعجبه الصوم في يوم الشك، اذا حال عن رؤية الهلال السحاب، وان كان ليلة الهلال ليس شيء يحول بينهم وبين رؤيته من غبرة أو حمرة أو سحاب، فيعجبني الانتظار الى الوقت الذي يقدم فيه أهل السفر، فان جاء خبر عن الهلال والا جاز الافطار، والله أعلم.

قلت له: وما تقول في المسافر اذا صام بعض رمضان في سفره، وهو أول يوم، وأفطر في سفره ثم صام هل بأس(٤٦) أم لا؟

قال : فيما يعجبني من الأقاويل أنه يتم له ماصام، ويبدل ما أفطر بين الصومين، وذلك اذا نوى الافطار من الليل، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، الى الشيخ عبدالله بن عامر بن بلحسن المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي الصائم اذا أصابته الجنابة في الليل، ونيته أن يغتسل قبل الفجر، ولم يتوان عن الغسل، لم يكن منه عندي أكثر من بدل يومه، وان كان توانى حين علم بالفجر في غير أمر الغسل لزمه بدل مامضى من صومه، وان كان حين انتبه علم أنه لايحصل له الغسل قبل الفجر لقرب الفجر، وجهل التيمم، وطلع عليه الفجر قبل أن يغتسل، لزمه مامضى من صومه.

قلت له: اذا انتبه من رقاده ليلا في شهر رمضان فجامع زوجته في الحال، ثم أدركه الصبح وهو في حال الجماع، مايلزمه في صومه؟

(٤٦) لعل الصواب : هل به بأس.

قـال : ان كـان هذا الرجل يظن أن الوقت في سعة ليجامع، ويغتسل قبل الصبح، فاخطأ ظنه في ذلك، لم يكن عليه على هذه الصفة الابدال الا بدل يومه اذا لم يتـوان حين علم بالفـجر عن الغسل وعن ترك الجماع. وان كان قد علم بضـيق الوقت وأنه لايمكن فـيـه الجماع والغسل قبل الفجر، فتعمد على ذلك، فادركـه الصـبح وهو يجامع، أو قـبل أن يغتسل، فان كان حين علم بالصبح لم يتوان فاقل مايلزمه بدل مامضى من صومه، والله أعلم.

ومنه اليـه (رحمهما الله): ومـا تقول في مسافر قاعد في بلد قد دخل عليه شـهـر رمـضـان، فصام منه عشرة أيام أو أقل أو أكثر، ثم أراد سفرا الى بلده، أفطر يوما أو يومين أو أقل أو أكثر، فصام في بلده بقية الشهر، أيتم صومه أم لا؟

الجـواب : ولا تـوفـيق لنا واياك الا بالله عـز وجل: فـيما يعـجـبني على مـاجاء في ذلك من الاختلاف أن يكون صومه الذي صامه أولا وآخرا تاما، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ عـبدالله بن محمـد بن غـسـان الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشـيخ محمـد بن عبدالله بن مبارك المسروري الريامي، ومن أراد أن يطأ زوجـتـه ، فلما هم بها منعته بعدما لمس جميع بدنها، أيجب عليه الغسل، اذا خرج من الاحليل مني بعد اضطرابه أم لا؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : فما لم ينزل النطفة باهتزاز البدن واضطراب الاحليل، فليس عليـه غـسل، الا أنه عليـه الطهـارة منه بلا اغتسال، وان كان قذف الماء الدافق باهتزاز كان عليه الغسل، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشيخ الفقيه القاضي محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السـمـدي النزوي (رحمه الله)، الى الشـيخ الوالي صـالح بن عـبدالله الفلوجي النزوي (رحمه الله): وما تقول سيدي في رجل استؤجر ليصوم كفارة، أو بدل شهر رمضان، عرفني اللفظ في ذلك؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : يقـول : غدا ان شاء الله أصبح صائما ثلاثين يومـا ان كـان هذا الرجل مـعترضا للأيام، قال: غدا ان شاء الله أصبح صائما ثلاثين يومـا بدلا وقـضـاء عن الهالك فـلان بن فلان عما لزمه من بدل أشهر

رمضان، وكل يوم من هذه الأيام أصبح فيها صائما من طلوع الفجر الى الليل. بنية واحدة واعتقاد أداء الفرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ. وان كان الصيام عن كفارة ومعترضا للأيام فانه يقول: غدا ان شاء الله أصبح صائما ستين يوما عن كفارة صلاة أو صيام أو يمين مغلظة مما أوصى به الهالك بدلا وقضاء عما لزمه من كفارة صلاة أو صيام، وكل يوم من هذه الأيام أصبح فيها صائما من طلوع الفجر الى الليل بنية واحدة، واعتقاد واحد، أداء الفرض طاعة لله ولرسوله، وان كان ابتداء الصيام بالليل لهلال فانه يقول: غدا ان شاء الله أصبح صائما هذا الشهر المبارك عن الهالك فلان بن فلان، ويكون علي ماتقدم من اللفظ. وكذلك اذا كان يصوم عن كفارة على الهالك وابتداء بالهلال، فانه يقول: غدا ان شاء الله أصبح صائما هذين الشهرين ونيتهما أن أصومهما متتابعين عن كفارة صلاة أو صيام أو يمين عن الهالك فلان بن فلان وياتي بما بقي من اللفظ، والله أعلم.

قلت له: واذا أوصى الموصي رجلا بصيام خمسة أشهر زمانا، بدلا وقضاء عما لزمه من فساد صوم أشهر رمضان؟ فقلت: أيجوز للوصي أن يستاجر أحدا من الورثة أن يصوم عن هالكه أم لا؟

قال : نعم يجوز ذلك، وكذلك ان كان وصية الهالك خمسة أشهر رمضان لجائز للوصي أن يستاجر خمسة رجال أن يصوموا شهرا واحدا كل واحد يبدأ به من أوله الى آخره، وكلهم في شهر واحد الى أن يتمموه جميعا. وكذلك جائز للورثة أن يصوموا عن هالكهم، كل واحد ماينويه من الصيام، ويأخذوا الدراهم الموصى بها لأجرة صيام الأشهر، ويسع الموصى ذلك اذا كانوا ثقات. وجائز لهم أن يصوموا كلهم في شهر واحد، اذا كانت الوصية خمسة أشهر، والرجال خمسة، فيبدأوا كلهم بشهر ويتموه صائمين، والله أعلم. وأما اذا ناب كل واحد من الورثة أقل من شهر، مثل أيام معلومة، فاذا أراد أحد من الورثة أن يصوم، فاللفظ في ذلك أن يقول : غدا ان شاء الله أصبح فيه صائما من طلوع الفجر الى الليل بنية واحدة واعتقاد واحد، أداء الفرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، واذا أراد أن يصوم بقية الشهر، فانه يصبح صائما اذا قضى الآخر صيامه ويكون الصوم متتابعا واللفظ على ماتقدم ولا يجوز الافطار بين صوم الورثة، اذا كان صيامهم كلهم الا في شهر (٤٧). فاذا أتم أحدهم صيام الشهر الذي صامه فجائز له أن يفطر، وأما أن أوصى بصيام

(٤٧) لعل الصواب : اذا كان صيامهم في شهر .

شهرين متتابعين، فلا يجوز له الافطار بين الشهرين، والله أعلم.

وأما قولك في الصائم اذا اعترض الأيام، فقلت : أيصوم ثلاثين يوما أم لا؟ فنعم يصوم ثلاثين يوما ان كان الصيام بشهر، وان كان الصيام بشهرين، فانه يصوم ستين يوما، اذا اعترض الأيام ولايجوز غير هذا. وأما اذا أفطر الصائم بالأجرة في السفر ففي ذلك اختلاف بين المسلمين، فقال من قال: يجوز له الافطار في السفر وليس هو باشد من شهر رمضان. وقال من قال: لايجوز للصائم بالأجرة أن يفطر في السفر وهو أشد من شهر رمضان، وكذلك صيام بدل أشهر رمضان على هذه الصفة.

وأما الافطار في المرض فجائز للصائم أن يفطر في المرض، كان الصائم بالأجرة أو بدل أشهر رمضان، ولايلزمه الا بدل ما أفطر في المرض، فاذا صح المريض من مرضه فانه يوصل صيامه الأيام التي أفطرها بصيام الأيام التي صامها من قبل، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله) واذا كان رجل يصوم عن الهالكين فعقد شهرا أو شهرين عن الهالك، ثم مرض فلم يطل الصوم وأفطر بعد أن صام شيئا من هذه الكفارة، ومات في مرضه ذلك أو قام، كيف حكم ذلك وما الحيلة أن يتم صيامه؟

الجواب : ان هذا الرجل اذا أدركه المرض قبل أن يتم صومه ولم يطق الصوم فينوي الافطار من الليل ثم يصبح مفطرا، فاذا أطاق الصوم بنى على صومه، وان مات من مرضه، وأصبح الوارث صائما بقية ماعلى هالكه فقد تم صومه وحلت له الأجرة، واذا لم يبن وارثه على صيامه، وتوانى أياما، ولو كان يوما واحدا فسد صوم الهالك، وليس له شيء من الأجرة، وكذلك اذا توانى هو بعد المقدرة على الصوم. وأما اذا لم ينو الافطار من الليل وأدركه الصبح وخاف على نفسه الهلاك، فجائز له الافطار، ويبني على صيامه اذا قدر، وأما اذا لم يخف على نفسه الهلاك وأفطر من غير نية من الليل، ففي ذلك(٤٨)، ويعجبني فساد صومه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وسالته (رحمه الله) فيمن جهل الوقت في شهر رمضان، فقام ياكل ويشرب، فاذن عليه المؤذن فزع من حينه، أعليه بدل

(٤٨) سقطت كلمة تقديرها : اختلاف .

يومه أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا كان هذا الآكل ياكل، وعنده انه ياكل في الليل، ثم تبين له بعد ذلك انه أكل بعد طلوع الفجر، فقال من قال من المسلمين: عليه بدل يومه، وقال من قال: لا بدل عليه. وأما اذا كان هذا الرجل ياكل وهو مخاطر بالأكل، ثم تبين له بعد ذلك أنه أكل بعد طلوع الفجر، فاخاف عليه بدل مامضى من صومه، وأما اذا كان هذا الرجل لم يتبين له أنه أكل بعد طلوع الفجر، وعنده أنه ياكل في الليل، فلا يلزمه بدل اذا لم يكن عنده أنه ياكل بعد طلوع الفجر وخاصة اذا وقف عن الأكل بعد أذان المؤذن، والله أعلم.

قلت له: وفيمن قدم من سفر، فلما انتهى فرق(٤٩) ليلا نوى الافطار ، ونيته أن يقدم الى نزوى في ذلك اليوم، وكان سبب ذلك قلة طعامه للصيام، أيلزمه شيء كان مفطرا في سفره أو صائما.

الجواب وبالله التوفيق : اذا كان هذا الرجل قدم من سفر تعدى فيه الفرسخين من وطنه، وطلع عليه الفجر وهو في بلد فرق، فاذا أكل فلا يلزمه شيء، وأما اذا طلع عليه الفجر وكان داخلا في عمران البلد، أعني بلد نزوى، فلا يجوز له الافطار، لأن هذا قد دخل عمران بلده.

قال المؤلف: عمران بضم المهملة وبكسرها المنسوبة الى الأسماء البشرية، (رجع).

فصل

قلت له: وفسر لي سيدي الذي يعجبك في الافطار والصيام، اذا كان صوم بين افطارين، ومايتقض من ذلك، وما لاينتقض؟

الجواب وبالله التوفيق : يجري في ذلك الاختلاف بين المسلمين بالرأي، في المسافر اذا أفطر في سفره، فقال من قال: كل صوم في السفر أعقبه افطار في السفر فهو منتقض، الا أن يكون صوم السفر متصلا بصوم الحضر فهو تام، وقال من قال من المسلمين: لاينتقض صوم السفر اذا أعقبه افطار في السفر الا أن يكون الصوم بين فطرين، وقال من قال: ان صوم السفر تام على كل حال ولو أعقبه افطار لأن الله عز وجل أجاز الافطار للمسافر، وهذا القول كان يعمل به الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الخراسيني النزوي (رحمه الله) على ماحفظت عنه، والله أعلم.

(٤٩) الصواب: فرقا ، وهي احدى قرى نزوى .

قال المؤلف : وجدت في جزء «بيان الشرع» وعن امرأة عالجت نفسها في شهر رمضان حتى ذهب عنها الحيض في شهر رمضان لكيلا يلزمها البدل هل عليها شيء؟ وهل يجوز صيامها؟ وهل عليها قدر أيام حيضها؟

قال أبو سعيد : اذا صاحت المرأة بعد شهر رمضان، فاني أرى عليها بدل صيام أيام حيضها في شهر رمضان، لأن دم الحيض انما انقطع بالعلاج. قال غيره: من أيقنها ان عالجت الحيض بعد أن جاءها في وقتها حتى قطعته عن نفسها فعليها بدل تلك الأيام، وان عالجت قبل ذلك الوقت وانقطع عنها الدم في ذلك الشهر فلا بدل عليها، وصيامها جائز وهذا الرأي أحب الي. قال محمد بن الحسن (رحمه الله) : بهذا ناخذ، ولعل بعضا يقول: أن ذلك العلاج ليس بشيء وأمر الدم الى النية، قال أبو الحواري (رحمه الله): قال نبهان بن عثمان (رحمه الله): ان عالجت نفسها في الحيض وانقطع فلا بدل عليها، والله أعلم.

فصل

ومما سالت عنه الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، قلت له: وما تقول سيدي فيمن خطر بباله ذكر شيء من الفروج فانزل الماء الدافق، وكان صائما، أيبطل صوم يومه ذلك، اذا لم يكن مستجلبا لذلك؟ أرأيت اذا كان مستجلبا لذكر الفروج، ولم تكن ارادته انزال الماء الدافق، فما حكم صيامه؟ سمعنا جوابك، لا وقر سمعك، ولا هرم جمعك؟

الجواب وبالله التوفيق : اذا لم يكن مستجلبا للشهوة ولا لشيء من أسبابها ، فقيل : عليه بدل يومه، وقول: لابدل عليه، وان كان مستجلبا لذكر الفروج أو للشهوة، قول: عليه بدل يومه، وقول: بدل مامضى، وهذا اذا لم يرد انزال المني، وان أراد انزال المني فهو كالمجامع، والله أعلم.

قلت له: والصائم اذا لعن أو قبح وجه ولي له ناسيا، أعليه بدل صومه أم لا؟

قال : ان كان قبح ذاته ومن لايستحق القبح واللعنة، ففي نقض صومه اختلاف ، وأكثر القول: لاينقض عليه ولايعود لمثل هذا، والله أعلم.

قلت له: والصائم اذا أراد أن يغسل فمه من النجاسة فدخل الماء في بطنه على غير اختياره، أعليه بدل يوم أم لا؟

قال : لايعدم من الاختلاف في مثل المتوضيء للصلاة اذا دخل الماء حلقه، من غير اختياره، فقيل: ان كان ذاكرا لصيامه فلا بدل عليه، وان كان ناسيا لصومه فعليه بدل يومه، وقال من قال: ان كان ناسيا لصومه فعليه البدل ولا بدل الا أن يكون وضؤوه في غير وقت الصلاة، فعليه البدل، وقيل: لابدل عليه كان لصلاة او غيرها في وقت صلاة أو غير وقت، فعلى هذا لايعجبني بدل اذا غسل فمه غسل النجاسة، ولم يزد فوق غسل مثلها، وأما ان غسلها فوق غسل مثل تلك النجاسة لغير معنى الا تمرضا، فعليه البدل، والله أعلم.

قلت له: واذا كانت امرأة عادتها عشرة أيام، فجاءها الدم ستة أيام، فطهرت طهرا نقيا، يوما أو يومين أو ثلاثة أيام، فجاءها الدم من بعد ذلك تمام عادتها، أيتم صومها الذي صامته أيام طهرها بين الدمين أم لا؟

قال : أما اذا كانت هذه الأيام التي صامته بقية أيام شهر رمضان، أو بقية أيام بدلها، أو بقية أيام كفارتها، ففي تمام صومها يجري فيه الاختلاف، فقيل: أن صومها تام وقيل: عليها بدل، واذا لم يكن كما وصفت لك، فعليها البدل لأنها كانت أيام حيضها، ولايصح لها صوم في أيام حيضها هذا، اذا راجعها الدم في أيام قرئها، هكذا حفظت عن أبي سعيد (رحمه الله)، وأما اذا لم يراجعها الدم الى أن انقضت أيام قرئها، فصومها تام لها، والله أعلم.

فصل

وسالته (رحمه الله وغفر له): وما يقول سيدي فيمن عقد ثلاثين يوما بدل شهر رمضان، احتياطا منه بذلك، وكان عقده أول شهر رجب، على أن يصومه لأجل جهله بالهلال، فهل هلال شعبان على تسعة وعشرين من شهر رجب، فأراد أن يصوم شعبان بالأجرة، أيجوز له أن يؤخر اليوم التي بقيت(٥٠) عليه من شهر رجب الى انقضاء رمضان؟ أم يصوم أول شعبان التي(٥١) عليه ويؤخر يوم الأجرة؟ عرفنا ذلك ولك الأجر العظيم؟

الجواب وبالله التوفيق : أما اذا اعترض الأيام ونوى أن يصوم ثلاثين يوما، بدل شهر رمضان احتياطا منه، فعليه أن يتم تلك الأيام كلها، وان أفطر منها شيئا من غير عذر انتقض عليه مامضى من تلك الأيام، وان أخر بعضها الى شهر بعد شهر، فلا يجوز ذلك على أكثر القول، وفيه قول غير هذا. فاذا مضت تلك الأيام، وان أراد أن يعقد شهرا بالأجرة عن غيره، واعترض

(٥٠) الأنصح : الذي بقي عليه .
(٥١) الأنصح : الذي عليه .

الأيام على هذه الصفة، وقد مضى يوم من شهر شعبان، فينوي أن يصوم ثلاثين يوما، فجائز له أن يتم مابقي عليه من شهره في شهر شوال بعد يوم العيد، ولايفطر بعد يوم العيد، فان أفطر انتقض عليه مامضى من صومه الذي هو في شهر شعبان، هكذا حفظناه في آثار المسلمين (رحمهم الله)، والله أعلم.

وأما ان كان صيامه تطوعا، فاراد أن يفطر في بعض أيامه، فقيل: لايجوز له ذلك، فان أفطر فعليه بدل ما أعقد على نفسه، وقيل: لابدل عليه، وقيل : ان كانت نيته بلسانه فعليه البدل، وان كانت بقلبه فلا بدل عليه، وقيل: عليه البدل على حاله. وقال من قال: لابدل عليه على كل حال في التطوع، وهو مخلف وعده، ويعجبنا له اتمام معاهدته لله عز وجل بفعل الطاعة، والله أعلم.

قلت له: واذا قدم المسافر من سفره، فاراد أن يجامع زوجته في شهر رمضان، أعليها بدل يومها اذا لم تطاوعه على ذلك؟

قال : الذي عندي في هذه المسالة أنه اذا قدم المسافر من سفره ووطيء زوجته وهي غير مسافرة على الاكراه منه لها، ولم تطاوعه في ذلك، ولم تباعده، فيجري في ذلك الاختلاف، فقيل: ان عليها البدل ليومها، وقيل: لابدل عليها، وقيل: انه يلزمه مايلزمها، وقيل: لايلزمه شيء، وهو مسيء في فعله، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الوالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله)، وسالته (رحمه الله) في من مات وعليه بدل شهر رمضان، أيجوز أن يصوم عنه الوصي ويأخذ أجرة الصيام أم لا؟ أرأيت اذا لم يوص بذلك، أيجوز له أن يصوم عنه وتجب له أجرة على صومه ذلك أم لا؟

الجواب : جائز ذلك بامر الورثة.

قال غيره، وأظنه الشيخ سعيد بن أحمد بن مبارك (رحمه الله): اذا لم يكن في الورثة أيتام، والله أعلم، (رجع).

وأما اذا لم يوص الميت أن يصام عنه فلا يلزمه الورثة شيء، وأما من طريق الاستحباب فحسن أن يصوم عنه ورثته، وأما الوصي فلايجوز له أن

يصوم عنه ويأخذ الأجرة من مال الهالك اذا لم يوص الهالك بصيام عنه، والله أعلم.

قلت له: ومن كان يصوم شهر رمضان بدلا يجزيه ذلك اذا كان غير متتابع من غير علة أو سفر؟

قال : حفظت ذلك عن الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله): أنه جائز وليس هو باشد من شهر رمضان على قول، والله أعلم.

وأما قولك في الصائم اذا قام من رقاده فاشكل عليه الفجر، فالذي يوجد في «المصنف» و«بيان الشرع» ، أنه قال للسائل، كل حتى لا تشك، فقيل في تفسيره كل حتى لاتشك أنه ليل، أي: بعد لم يطلع الفجر، وبعض قال: حتى لاتشك أن الفجر قد طلع، أي: حتى تعلم أن الفجر لم يطلع. وان صح أنه أكل بعدما طلع الفجر فعليه بدل يومه. وقال بعض: ان كانت فيه الدلائل ظاهرة أن لو وقف في موضع الواقف لعرفه أنه قد طلع، ومن أجل هذا الجاهل بطلوع الفجر أكل يظن أنه لم يطلع، فلا عذر له في ذلك، وعليه مامضى من صومه على قول من يقول ان رمضان فريضة واحدة. وقال من قال: عليه بدل يومه، وذلك على قول من يقول: أن كل يوم من رمضان فريضة، هكذا حفظته عن الشيخ العالم صالح بن سعيد الخراسيني النزوي (رحمه الله).

قلت له: أنبئني عن الأعمى ان كان أصم، فقام آخر ليلة من شهر رمضان فاكل وشرب بعد طلوع الفجر، مع ظنه أنه ليل مايلزمه في ذلك؟

قال : أما الأعمى اذا أكل وهو يظن أن الليل بعده باق، وأن الفجر فيما عنده لم يطلع، ولم تقم عليه حجة من أحد ممن تقوم به الحجة، ولم يضيع فيما يجب عليه من السؤال في ذلك، وصح أن أكله بعدما طلع الفجر، فعليه بدل يومه، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ القاضي محمد بن راشد الريامي الازكوي (رحمه الله)، الى القاضي الولي الزاهد أبي محمد عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رحمه الله): وفيمن صام بدلا عليه من شهر رمضان، أو كفارة صلاة أو بدل كفارة، هل له أن يفطر اذا سافر أو مرض أم لا؟

الجواب: أما في المرض فجائز اذا لم يطلق الصوم، وأما في السفر فلا

يعجبني الافطار الا أن ينزل به أمر يكون له فيه عذر ولا يطيق الصوم، وفي مجمل الأثر لايتعرى من الاختلاف، وان زالت العلة المانعة من الصوم فيبادر في الصوم عاجلا، والله أعلم.

فصل

وسالت الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): في نخل الفطرة اذا نشا تحته صرم، أيجوز أن يباع الصرم ويشتري به طعام للفطرة أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: في ذلك اختلاف ، فعلى قول من يقول: ان الصرم من الغلة، فيفعل به مايفعل بالغلة، وعلى قول من يقول: أنه من الأصل فيصلح به الأصل، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ القاضي أحمد بن خلف الأدماني الازكوي (رحمه الله): وأما الذي يصوم بدل شهر رمضان أو كفارة، فاذا سافر وأراد أن يفطر في السفر، ففي ذلك اختلاف بين المسلمين، قال من قال: انه لايجوز له الافطار، فان أفطر فانه ينتقض عليه ماصامه من البدل أو الكفارة، وقال من قال: لاينتقض، وصومه الذي صامه تام، وهو أكثر قول المسلمين، وهو المعمول به عندنا. وأما اذا أفطر من أجل المرض فصومه الأول تام له، اذا بنى على صومه حين مايصح، وأما المريض الذي يجوز له الافطار، فقال بعض المسلمين: اذا صار لم يشته الطعام، وقال من قال: اذا صار لم يقدر أن يأكل من الطعام مايبلغه من الليل الى الليل، فاذا صار بهذه الحالة، فانه ينوي الافطار من الليل، ويصبح مفطرا، وأما أن يفطر في النهار، من غير نية من الليل، فلايجوز ذلك على أكثر قول المسلمين الا أن تصيبه في النهار علة يخاف على نفسه منها الموت مثل علة العاسوق(٥٢) أو غيرها فجائز له الافطار في النهار على ماحفظته من آثار المسلمين، وأما تقطير الماء في فم المريض اذا كان صائما وخاف عليه أهله من الموت، فجائز لهم أن يقطروا في فمه الماء، ولو كان من غير مطلب منه. وأما اذا مات المريض من مرضه في شهر رمضان وهو مفطر ولم يوص أن يقضى عنه ماأفطره في مرضه فلايلزم ورثته الا أن يقضوا عنه(٥٣)، على أكثر قول المسلمين، وكذلك لايلزم المريض

(٥٢) العاسوق : علة تصيب البطن وتسبب الاسهال .
(٥٣) لعل الصواب : فلا يلزم ورثته أن يقضوا عنه

أن يوصي أن يقضي عنه ما أفطر في مرضه اذا لم يصح على أكثر قول المسلمين، والله أعلم.

فصل
(في الصيد)

من جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد ابن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): في صياد صاد الصيد بلحم ميتة، وذلك بانه ترك الطعمة لحم ميتة، أيحل أكل الصيد أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : فالذي حفظته من جزء «بيان الشرع» موثرا بعينه وهي هذه المسالة بعينها.

فصل

من الزيادة المضافة: رجل يصيد سمكا بالميتة ولحم الخنزير، لا يؤكل مايصيد بالميتة ولحم الخنزير، فهذه المسالة منقولة بعينها، فتدبر معناها، وما توفيقنا واياك الا بالله.

وحفظت مسالة من جزء «بيان الشرع» عن أبي الحواري (رحمه الله)، وسالته عن كلب الصيد، رأيته أكل ميتة، ثم أطلقه صاحبه على الصيد، فأكل الصيد فجرحه وبفمه الميتة؟

قال: ما أحب أن يأكله الا أن يعلم أنه ما لم يجر في عروقه، فليقطع ماأكله منه، وليأكل الباقي، والله أعلم.

فصل

وهذه المسالة وجدتها من رقعة من جواب الشيخ العالم النزيه محمد ابن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري النزوي السعالي (رحمه الله): وما يقول سيدي في صبي صائم شهر رمضان، أكرهته أمه على الفطر، أعلى أمه شيء من الوزر أم عليها الكفارة؟

الجواب وبالله التوفيق : فيه اختلاف، فقول : على من أفطره التكفير عنه، وقول: لا شيء عليها الا الوزر، وهو أكثر القول، والله أعلم.

فصل

أذكر هاهنا طرفا من فضائل الصوم وعلو درجته، فمن ذلك شهر

رمضان قد مضى أول الباب من فضائله مايغني عن ذكره هنا، وأما أيام البيض، ففيها فضل عظيم ، وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر من كل شهر، وسميت البيض لأنها أزهر الليالي بدوام القمر فيها من المغرب الى الفجر، ومن حديث آخر : «وانما سميت هذه الأيام أيام البيض، وذلك لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة الى الأرض، فاحرقته الشمس فاسود جسده، فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: ياآدم اتحب أن يبيض جسدك؟ قال: نعم. قال: فصم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر، فصام آدم أول يوم فابيض ثلث جسده، وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده، ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله، فسميت الأيام أيام البيض».

فصل

ومن حديث آخر في فضل هذه الأيام عن رسول الله ﷺ من طريق علي بن أبي طالب قال: «قال لي رسول الله ﷺ: ادن مني، فدنوت منه، فقال: ياعلي، يقول لك جبريل عليه السلام: صم كل شهر ثلاثة أيام، يكتب لك يوم(٥٤) عشرة آلاف حسنة، وباليوم الثاني ثلاثون الف حسنة، وباليوم الثالثة مائة ألف حسنة». ومن حديث آخر: «صيام أول يوم منه بالف يوم، وصيام اليوم الثاني بالفي يوم، وصيام اليوم الثالث بثلاثة آلاف يوم». ومن حديث آخر: «صيام أول يوم وهو يوم ثلاثة عشر تعدل صيام ثلاثة آلاف سنة، ويوم أربعة عشر تعدل صوم عشرة آلاف سنة، ويوم خمسة عشر تعدل صيام مائة ألف سنة». ومن حديث آخر عنه ﷺ: «من صام أيام البيض فذلك أيام الدهر»(٥٥). ومن حديث آخر من طريق عبدالملك، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بصيام ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر، وقال: «هي كعبة الدهر». ومن حديث آخر: «من صام يوما صادقا كتب من الصائمين، وله عند افطاره عشر دعوات مستجابات، ومن صام يومين صادقا أعطي أجر عشرين صديقا، ومن صام ثلاثة أيام صادقا أوحى الله تعالى الى الملائكة: عبدي قد وجب أجره علي، فيغفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر». ومن حديث آخر: «دخلت الجنة.....(٥٦) أكثر أهلها الذين يصومون الأيام البيض». ومن حديث آخر:

---

(٥٤) لعل الصواب : باليوم الأول .

(٥٥) أورده السيوطي في اللآلي المصنوعة ٢/ ٦٠ حسب موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٣٣٩.

(٥٦) سقط في النص تقديره : فوجدت .

«صيام أيام البيض يذهبن الغل والحسد من القلب»(٥٧). ومن حديث آخر قال: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام كانهم يرون أن كل يوم عن عشرة أيام، لقوله عز وجل: ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا﴾(٥٨)، فيؤيده هذا الخبر على أنها صيام الدهر.

فصل

وروي عن النبي ﷺ: «من صام شهر رمضان وأتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر»(٥٩). ومن حديث سئل رسول الله ﷺ: «أي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: شهر الله الأصم وهو رجب». ومن حديث عنه ﷺ قال: «شهر رجب عظيم الحرمة وتضعف فيه الحسنات، فمن صام رجب كان كصوم سنة، ومن صام سبعة أيام غلقت عنه سبعة أبواب من جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء»(٦٠). ومن حديث آخر عنه ﷺ كان اذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان»(٦١). ومن حديث آخر عنه ﷺ: «من صام أول يوم من رجب عدل صيام شهر، ومن صام سبعة أيام أغلقت عنه أبواب جهنم السبعة، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدل الله سيئاته حسنات، ومن صام منه ثمانية عشر نادى مناديه قد غفر لك، فاستانف العمل»(٦٢). ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»(٦٣). قيل له مامعنى قولك؟ قال: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله على أنبيائه، وفيه أنقذ أوليـاءه من يد أعدائه، من صام رجب استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ماسلف من ذنوبه وعصمه فيما بقي من عمره، وأما الثالث يامن

---

(٥٧) أخرجه أحمد بن حنبل، ولم ينص على أيام البيض، فقال صيام ثلاثة أيام. أنظر المسند ٣/ ٤٣٦.

(٥٨) سورة الأنعام : ١٦٠ .

(٥٩) أخرجه الامام الربيع ، حديث رقم ٣١٢ .

(٦٠) أخرجه ابن حجر : تبيين العجب ٥٦ .

(٦١) أخرجه أحمد بن حنبل ١/ ٢٥٩، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٨٣ والهندي في كنز العمال ١٨٠٤٩ .

(٦٢) أورده الهندي : كنز العمال ٢٤٢٦٢، السيوطي : اللآلي المصنوعة ٢ / ٦٥.

(٦٣) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ٥/ ١٢٠.

العطش يوم العرض الأكبر، فقام شيخ ضعيف فقال: يارسول الله اني أعجز عن صيامه كله، فقال له رسول الله ﷺ: صم أول يوم منه، فان الحسنة بعشر أمثالها، وأواسط يوم فيه، وآخر يوم منه، فانك تعطى ثواب من صامه كله، ولكن لاتغفلوا عن أول ليلة جمعة منه، فان الملائكة تسميها ليلة الرغائب، وذلك أنه اذا مضى ثلث الليل لايبقى ملك من السماوات والأرض الا ويجتمعون مع الكعبة فيقول الله تعالى : ياملائكتي سلوني ماشئتم، فيقولون: أن تغفر لصوام رجب، فيقول الله تعالى : قد فعلت ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: فما من أحد يصوم خميس من رجب ثم يصلي بين العشاء والعتمة ليلة الجمعة اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٦٤) ثلاث مرات، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٦٥) اثنى عشر مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فاذا فرغ من صلاته، صلى على نبيه سبعين مرة، يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم سجد سجدة يقول في سجوده: سبوح، قدوس، رب الملائكة والروح، سبعين مرة، ثم يرفع رأسه ويقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ماقال في السجدة الأولى، ثم يسال الله حاجته في سجوده، فانها تقضى باذن الله عز وجل».

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أبي هريرة أنه قال: «من صام اليوم السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا»، وهو يوم نزل فيه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بالرسالة. ومن حديث آخر عن ابن عباس (رحمه الله) من طريق الحسن، قال: «كان عبدالله بن العباس (رحمه الله) في اليوم السابع والعشرين من رجب يصبح معتكفا ويظل مصليا وقت الظهر، فاذا صلى الظهر صلى أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، والمعوذتين مرة، و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثلاثا، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة، ثم يخلد في الدعاء وقت العصر، ويقول: هكذا كان يصنع رسول الله ﷺ في هذا اليوم». ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق أبي هريرة وسلمان الفارسي: «أن في رجب يوما وليلة، من صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة، كان

(٦٤) سورة القدر : ١ .
(٦٥) سورة الاخلاص . ١ .

له من الأجر كمن صام سنة وقام ليلها، وهو من ثلاث بقين من رجب، وهو اليوم الذي بعث فيه نبينا محمد ﷺ»(٦٦). ومن حديث آخر: «فاذا جاء وقت افطار الصائم كان صائما فرضا أو تطوعا، يقول عند افطاره: بسم الله، اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، سبحانك وبحمدك، ربنا تقبل منا، انك أنت السميع العليم»(٦٧).

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق سلمان قال: قال رسول الله ﷺ حين استهل رجب: «ياسلمان ما من مؤمن ولا مؤمنة يصلي في هذا الشهر ثلاثين ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، و ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾(٦٨) ثلاث مرات، الا محى الله عنه ذنوبه، وأعطي من الأجر كمن صام الشهر كله، وكان من المصلين الى السنة المقبلة، فرفع له كل يوم عمل شهيد من شهداء بدر، وكتب له بصيام كل يوم عبادة سنة، ورفع له ألف درجة، ومن صلى هذه الصلاة أنجاه الله من النار وأوجب له الجنة، وكان في جوار الله سبحانه وتعالى، أخبرني بذلك جبريل عليه السلام، قال سلمان: فقلت يارسول الله متى أصليها؟ قال: تصلي في أوله عشر ركعات، والقراءة ماوصف من قبل، فاذا سلمت ورفعت يدك وقلت: لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لايموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ثم امسح بهما وجهك، وصل في وسط الشهر عشر ركعات والقراءة كذلك، فاذا سلمت رفعت يدك الى السماء وقلت: لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لايموت، وهو على كل شيء قدير، الها واحدا صمدا فردا وترا، لم يتخذ صاحبة ولا ولادا، ثم تمسح بها على وجهك ، وصل آخر الشهر عشر ركعات تفعل في القراءة ماسلف من قبل، فاذا سلمت رفعت بيديك الى السماء وقلت: لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت، وهو حي لايموت، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ثم امسح

---

(٦٦) أورده الهندي : كنز العمال ٣٥١٦٩، ابن حجر : تبيين العجب ٥٨ .
(٦٧) أخرجه أبو داود ٢٣٩٨، وأورده الكثيرون ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٢/ ٢٤٩.
(٦٨) سورة الكافرون : ١ .

بهما وجهك، وسل حاجتك يستجاب لك دعاؤك ويجعل الله بينك وبين جهنم سبعين خندقا، كل خندق كما بين السماء والأرض، ويكتب لك بكل ركعة براءة من النار وجوازا على الصراط». قال سلمان: فلما فرغ النبي ﷺ من الحديث خررت ساجدا أبكي شكرا لله تعالى لما سمعت من هذا الحديث .

فصل

ومن دعاء آخر في دعاء الليلة الأولى من رجب، فاذا فرغ المصلي من صلاته يقول: الهي تعرض لك في هذه الليلة المتعرضون، وقصدك القاصدون، ويامل فضلك ومعروفك الطالبون، ولك في هذه الليلة نفحات وجوائز وعطايا ومواهب، تمن بها على من تشاء من عبادك، وتمنعها من تشاء، وها أنا عبدك الفقير اليك، المؤمل فضلك ومعروفك، فامنن علي بفضلك وطولك ومعروفك، وصل على محمد نبيك وحبيبك يارب العالمين .

فصل

وأما ماورد من فضائل قيام ليلة النصف من شعبان، وصوم يومها ففضل ذلك عظيم وثوابه جسيم، قد يعجز الواصف أن يصفه لما فيه من لطائف الله وكرامته ورحمته على عباده، لأنها ليلة مباركة عظيمة ، وهي تسمى ليلة البراءة، لأن فيها براءتين، براءة للأشقياء من الرحمة، وبراءة للأولياء من الخذلان. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اذا كان ليلة النصف من شعبان، أطلع الله آية لخلقه باهرة للمؤمنين، ويمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»(٦٩)، هذا على المعنى، لا على اللفظ بعينه، ومن حديث أن للملائكة ليلتي عيدين (٧٠) في السماء، كما للمسلمين يوم الفطر ويوم الأضحى، عيدان في الأرض، تعتد(٧١) الملائكة ليلةالبراءة وليلة القدر، ويكون عيد الملائكة بالليل لأنهم لاينامون. ومن حديث آخر أن الحكمة في أن الله عز وجل أظهر ليلة البراءة وأخفى ليلة القدر، لأن ليلة القدر ليلة الرحمة والغفران والعتق من النيران، أخفاها الله عز وجل لئلا يتكلموا عليها، وأظهر ليلة البراءة لأنها ليلة الحكم والقضاء، ليلة السخط والرضا، ليلة القبول والرد، ليلة الوصول والصد، ليلة السعادة والشقاء، والكرامة والبقاء، فواحد فيها يسعد، وآخر فيها يبعد، وواحد يجزى وواحد يخزى،

---

(٦٩) أورده السيوطي : الدر المنثور ٦/ ٢٧.
(٧٠) لعل الصواب : ليلتي عيد .
(٧١) لعل الصواب : تعيد .

وواحد يكرم وواحد يحرم، وواحد يؤجر وواحد يهجر، فكم من كفن مغسول وصاحبه في السوق مشغول، وكم من قبر محفور وصاحبه بالسرور مغرور، وكم من فم ضاحك وهو عن قليل هالك، وكم من بيت قد زخرف بنيانه، وصاحبه قد اقترب فناؤه، وكم من مسيطر قد افتخرت به رجاله وهو يشد ركابه لسفره ورحاله، وكم من عبد يرجو الثواب فيبدو له العقاب، وكم من امريء يرجو البشارة فتبدو له الخسارة، وكم من غافل يرجو الجنات فتبدو له النيران، وكم من عبد يرجو الوصل فيبدو له الفصل، وكم من آمل يامل العطا فيبدو له البلاء، وكم من راقد يحسب له الملك بجنات النعيم فيبدو له الهلك(٧٢) بسوء الجحيم، فانتبه يامغرور بزخارف الحدائق والقصور والأبكار المقصورات في الخدور، والدراهم الموسمات بالحبور، قبل أن تدرس تحت صفائح القبور، وترخى عليك الستور، قبل أن تحل بك الشرور، وتعدم من قلبك السرور، قبل أن يحل بك كل محذور، وتحصد في أسباب الغموم والكدور، قيل: في حر كان في سالف الدهور ضائعا كذا وكذا أمد العصور، قبل أن تحرم عظيمات الأجور، حين يبسط بساط النشور، فتكبر عليك عند ذلك الأمور، وتسدم القلوب والصدور، فبرزت حينئذ محاسبة الملك الغفور والحضرة الموسومة ماحدثه(٧٣) السطور.

الله الله، ثم الله الله، استعدوا(٧٤) لذلك اليوم العظيم جوابا، واحفظوا له خطابا، بالعمل الصالح ، وحسم القبيح الطالح، ورفض هذه الدار وطاعة المهيمن الجبار، واتباع سنة النبي المختار، والسلوك(٧٥) مسلك العلماء الأخيار، وما توفيقنا الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

فصل

وحكى عن الحسن البصري أنه كان يخرج من داره يوم النصف من شعبان، وكان وجهه قد أقبر ودفن، ثم أخرج من قبره، فقيل له في ذلك، فقال: والله ماذا(٧٦) انكسرت به سفينته باعظم مصيبة مني، فقيل: ولم ذلك؟ فقال: لأني من ذنوبي على يقين ومن حسناتي على وجل، فلا أدري أتقبل مني أم ترد.

---

(٧٢) لعله : الهلاك .
(٧٣) كذا في الأصل : والمعنى غير بين .
(٧٤) الصواب : أعدوا.
(٧٥) الأنصح : سلوك .
(٧٦) لعل الصواب : ماالذي .

فصل

ومما وردت به الأخبار، وأكدته العلماء الأخيار، في الصلاة الواردة ليلة النصف من شعبان ما لايحصى من الأجر العظيم، وكذلك صيامه له شرف عظيم. وصفة الصلاة في هذه الليلة مائة ركعة، بالف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، كل ركعة عشر مرات بعد الفاتحة، وتسمى هذه الصلاة، صلاة الخير، وهي مشهورة البركة جدا، وكان السلف الصالح يصلونها جماعة ، يجتمعون لها، لما فيها من الفضل الكبير والثواب الكثير، كما ورد في الأخبار باسناد عن الحسن البصري، قال: حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ أن من صلى هذه الليلة نظر سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة، ادناها المغفرة، ونظر الله تعالى اقباله على عبده بالكرامات واللطائف الموسومات بالرحمة الواسعة من فضله وكرمه، انه هو ذو الفضل العظيم.

فصل

ويستحب أن يصلي هذه الصلاة أيضا، في أول ليلة من المحرم، وليلة عاشوراء منه، وأول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبعة وعشرين، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة، وليلتي العيدين، وخمس ليال منها في شهر رمضان، وهو وتر ليالي العشر الأواخر، وكذلك يستحب مواصلة سبعة عشر يوما بالأوراد والمواصلة على العبادة فيها، وقطع الاشتغال بالدنيا وما فيها، وهي يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوم العيدين، والأيام المعلومات، وهي: عشر ذي الحجة، والأيام المعدودات، وهي: أيام التشريق، وكدها(٧٧) يوم الجمعة، وشهر رمضان، لما روي عن النبي ﷺ من طريق أنس بن مالك، قال: «اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام، واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة»(٧٨). وعندي أنه اذا سلمت الأيام سلمت السنة، وسلمت الأيام، ولا يتباين أحدها عن الآخر، والله أعلم.

وأما مايستحب أن يصام فيه من الأيام بعد الذي ذكرت في هذا الباب، فهو يوم العاشر من المحرم، لانه فيه أنزل الله عز وجل توبة آدم صلى الله عليه وسلم، وفيه أستوت سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وفيه نجا الله يوسف عليه السلام من الجب. وصيام يوم عاشوراء له فضل عظيم جدا،

(٧٧) كذا وردت في الأصل ، ولعل المراد : وكذلك يوم الجمعة.
(٧٨) انظر تخريجه في موسوعة أطراف الحديث ١/ ٣٣٢.

لما روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه رأي يهود خيبر دخلوا المدينة صياما في يوم عاشوراء، فقال : «ما بالهم يصومون في هذه اليوم؟ قالوا: هذا يوم كان يعظمه موسى عليه السلام ويصومه، فقال: أنا أحق بارث أخي موسى، فصامه، وأمر أصحابه أن يصوموه»(٧٩).

فصل

ومن حديث آخر عنه ﷺ من طريق ابن عباس (رضي الله عنه): «من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطي ثواب عشرة آلاف ملك». ومن حديث آخر: «أعطي ثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر، وثواب عشرة آلاف شهيد». ومن حديث آخر: «ومن مسح بيده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة». ومن حديث آخر، لعله: «ومن فطر صائما مسكينا يوم عاشوراء فكانما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم». ومن حديث آخر : «ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض الا مرضة الموت». وينبغي له اذا اغتسل أن يصلي الصلاة التي ذكرتها في باب الصلاة وهي صلاة الأوابين، وهي الكبريت الأحمر، ومن حديث آخر: ومن اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عينه تلك السنة كلها»(٨٠). ومن حديث : «ومن عاد مريضا يوم عاشوراء فكانما عاد ولد آدم». ومن حديث آخر: «ومن سقى ظمآنا بشربة من ماء فكانما لم يعص الله طرفة عين». ومن حديث آخر: «ومن وسع على عياله من ماله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته»(٨١). ومن حديث آخر: «ومن أحيا ليلة عاشوراء، وصام يومه، لم يدر بغصص الموت». ومن حديث آخر: «ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات، كل ركعة بفاتحة الكتاب، وخمسين مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ غفر الله ذنوبه خمسين عاما ماضيا، وخمسين عاما مقبلا، وبنى له في الملا الأعلى ألف منبر». وذلك اذا كان مجتهدا في طاعة الله عز وجل وحسم معاصيه، لأنه لايستقيم عمل من فضيلة دون استقامة فريضته، كما ذكرته من قبل في باب الآذان، والله الموفق والهادي الى طريق الحق والصواب، وينبغي له أن يصوم يوم تاسع من المحرم لأنه قال بعض المسلمين أنه يوم عاشوراء، والله أعلم.

---

(٧٩) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥ .
(٨٠) أورده الزيلعي : نصب الراية ٢/ ٤٥٦ .
(٨١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٤٥.

فصـــل

وأمـا مـاورد في فـضل صـوم العشر الأولى من ذي الحجة والصلاة، ففي المنقـول عن الرسـول ﷺ من طريق عـائشـة (رضي الله عنهـا) أنه قال: «من أحـيى ليلة من ليـالي ذي الحـجـة فكانما عبد الله عبادة من حج واعتمر طول سنة». ومن حـديث آخـر: «ومن صـام فـيها يوما فكانما صام سائر سنته». ومن حـديث آخـر عنه ﷺ من طريق عـائشة (رضي الله عنها)، أنه قال لرجل يصـوم العشر من ذي الحـجـة: «لك بعـدد كل يوم تصـومه عتق مائة رقبة، ومائة بدنة تهديها، ومائة فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى، فاذا كان يوم التروية فلك عـتق ألف رقـبـة، وألف بدنة تهديها، وألف فرس تحمل عليها في سـبيل الله عز وجل، فاذا كان يوم عرفة فلك عتق ألف ألفي رقبة، وألفي بدنة تهديها، وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله عز وجل». ومن حديث آخر عنه ﷺ أنه قـال: «اذا دخل عشر ذي الحـجة، فجدوا في الطاعة، فانها أيام فضلها الله عـز وجل، ليلها كحرمة نهارها، من صلى في ليلة من ليالي العشر، في الثلث الأخير أربع ركـعـات، وقرأ في كل ركعة الفاتحة والمعوذتين مرة، وآية الكرسي مـرة، ويكرر سـورة الاخـلاص ثلاثا، فـاذا فـرغ من صـلاته رفع يده، وقال: سـبـحـان ذي العـز والجبروت، سـبحان ذي القدرة والملكوت، سبحان الحي الذي لايمـوت، لا اله الا هو يحيي ويمـيت وهو حي لايموت، سبحان الله رب العـبـاد والبـلاد، والحـمد لله كثيرا طيبا مباركا على كل حال، وقدرته وجلاله بكل مكان، ثم يدعـو بما شـاء، فـان له من الأجر مثل من حج الى بيت الله عز وجل، وزار قبر نبـيه محمد ﷺ، وجاهد في سبيله عز وجل، ولم يسأل الله عز وجل شـيئا الا أعطاه ذلك، وان صـلاها في كل ليلة من ليـالي العشر، أحله الله الفـردوس الأعلى، ومحى عنه كل سـيئة، وقـيل له: استانف العمل». فينبغي للعـبـد أن يكون مجتـهـدا في صـيـام هذه الأيام وقـيـامها وأن يحسم جميع المعـاصي، فـينال مـاذكره النبي ﷺ من الفضل العظيم، والثواب الجسيم، والله الموفق والهادي الى طريق الحق والصواب.

فصـــل

ومن حديث آخر : «من صام يوم خمسة وعشرين من ذي القعدة ، كانت كـفـارة لذنوبه سـبعين سنة، وهو يوم مبارك عظيم فضله، فيه أنزل الله عز

وجل الكعبة البيت الحرام، وهي أول رحمة نزلت من السماء الى الأرض. ومن حديث آخر: «من صام اليوم الثالث من المحرم ودعا الله عز وجل بما يريد، استجاب الله له دعاءه كما استجاء لزكريا عليه السلام دعاه، لأنه دعا ربه يوم الثالث من المحرم». ومن حديث آخر: «وأول يوم من ذي الحجة ولد فيه خليل الله ابراهيم عليه السلام، فمن صامه كان كفارة لذنوبه سنة». ومن حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب الى الله عز وجل من هذه الأيام، يعني أيام العشر».

ويستحب صيام الخميس والاثنين من الأيام ان قدر صيام ذلك، وان كانت به قوة فيصوم يوما ويفطر يوما، ولايصوم الدهر، تاسيا بما قاله الرسول ﷺ فيما رفع في حديث: «أن رجلا جاء يساله: فقال : يارسول الله ماذا أصوم؟ قال ابن مسعود (رحمه الله) : صم ثلاثة أيام من كل شهر، يعني أيام البيض، فانها تذهب وساوس الصدور من غل الصدر ، قال له: لست اياك أسال، انما أسال النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: صدق ابن مسعود، فقال الرجل: يارسول الله، ان لي قوة على ذلك؟ فقال له: صم الاثنين والجمعة(٨٢)، فقال الرجل: يارسول الله، ان لي طاقة على ذلك، فقال له: صم صيام أخيك داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، فقال: يارسول الله ان لي طاقة على ذلك، فقال النبي ﷺ: ماترك داود للصائمين مصاماة».

فصل

فينبغي للمجاهد في طاعة الله عز وجل أن يعتكف في شهر رمضان كله خاصة العشرة الأواخر منه وأصل العكوف ملازمة الشيء والاقبال عليه، ولايكون الاعتكاف الا في المساجد، ويؤيد ذلك ماقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾(٨٣)، فنهى عن الجماع في الاعتكاف، لأن الجماع يفسد الاعتكاف، ولا يكون الاعتكاف الا بصوم، وصلاة، وذكر الله عز وجل، ولايتحدث الا فيما لابد له منه من قضاء حوائجه، ويكون ذلك في موضع اعتكافه، ولايخرج من اعتكافه الا فيما لابد له منه من خلاء ووضوء وغير ذلك، ويلازم المسجد الذي يعتكف فيه. وان خرج لقضاء حاجة لابد له منها فلا بأس به، واعتكاف النذر، وتركت ذكر ماينقضه وما لا ينقضه خوف الاطالة، فليواظب المعتكف على اعتكافه في شهر رمضان ان يسر الله له ذلك،

(٨٢) لعله الخميس من كل جمعة .
(٨٣) سورة البقرة : ١٨٧ .

خاصة في العشر الأواخر منه، طلبا لاحياء ليلة القدر لانه من أحيى ليلة القدر بصلاته ايمانا واحتسابا غفر الله له ذنبه. وروي عن النبي ﷺ قال: «اطلبوها في العشر الأواخر من رمضان، وفي كل وتر منها»(٨٤). ومن حديث آخر من طريق ابن عباس (رحمه الله): «انها تاسعة تبقى أو سابعة أو خامسة». ومن حديث آخر عنه (رحمه ش): اذا وفي الشهر فليلة القدر ليلة أربع وعشرين، فاذا نقص فهي ثلاث وعشرين». وقيل : انها ليلة سبعة وعشرين، وهذا القول أظهر عند أئمة التفاسير، وقيل: ليلة تسعة وعشرين. والأحوط للمرء أن يجتهد في احياء العشر الأواخر كلها من رمضان لئلا يفوته شيء منها، لما روي في الحديث عن النبي ﷺ: «أنه كان اذا دخلت العشر الأواخر من رمضان، أيقظ أهله، وشد المئزر لقيامها»(٨٥)، وقيل : أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان ليجتهدوا في احياء لياليه كلها، كما أخفى اسمه الأعظم في أسمائه الحسنى ليجتهدوا في الدعاء بها كلها، وكذلك أخفى الساعة المجابة فيها الدعوة في يوم الجمعة وليلها ليجتهدوا في العبادة في هذه الليلة واليوم، وقد مر ذكر اختلاف العلماء في وقت هذه الساعةوفضائل الجمعة في الباب الأول وهو باب الصلاة، وأما فضائل صوم شهر رمضان قد أتيت به في أول الباب وصفة ليلة القدر وذكر فضلها، وذكر الملائكة ونزلهم فيها، وأما أمارتها، فانها تكون ليلة طلقة سمحة لا حارة ولا باردة، وقيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب، وتطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع كالطست(٨٦)، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب، والولاية والطاعة لمن يشاء من المؤمنين من عباده على قدر أحوالهم وأقسامهم.

فصل

وسأذكر الأسباب المفضية بالعبد الى كشف اشارات يستدل بها الى نظر عجائب ليلة القدر، فأول ذلك حسم معاصي الله البتة، وليجتهد في رياضات نفسه والاشتغال بذكر الله عز وجل وطاعاته، وأن يعتكف في شهر رمضان بطهارة كاملة البتة، وأن يطرد النوم عن نفسه خاصة في الأسحار، فيشتغل في ذلك بصلاته بخشوع وخضوع ووجل، وجد واجتهاد، مع طهارة كاملة ظاهرا وباطنا، أما الظاهر فمن الأنجاس الظاهرة في البدن والثوب، والباطن،

---

(٨٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٧٥.
(٨٥) أخرجه البخاري : ليلة القدر ٥، مسلم : اعتكاف ٧، أبو داود: رمضان ١.
(٨٦) الطست : من آنية الصفر تجمع على طساس.

فمن الوساوس الساكنة في القلب، فاذا صفا الظاهر والباطن صفا نور القلب وأضاء، فصار ينظر ماينظر من عجائب السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، ويكون ورده في شهر رمضان بالصلاة التي شرعتها في باب الصلاة وهي التي تضمنت الاسم الأعظم والنور الأقوم، لأن تلك الصلاة لاتتاتي الا لمن نفى النوم وخلع الراحة عن نفسه، ثم شد مئزره مااستطاع، ويتصدق ماقدر عليه، لأن الصدقة تطفيء غضب الرب وتنفي أنواع البلاء كما حكى عن الشيخ الولي سليمان بن محمد الخراسيني (رضى الله عنه) أنه كان عنده جمة(٨٧) تمر، فاصاب الناس جوع شديد من شدة غلاء التمر، فتصدق به كله على الفقراء والمساكين الذي أجهدهم الجوع، وكان عنده أخت فيما حكى لنا ومعها تمر كثير، فقال له: بع لي تمري كما بعت تمرك، فقال: بعته نسيئة، فقالت: بعه لي مثلك، فقال: بعته الى أجل محدود عند الله عز وجل طمعا في ثوابه وخوفا من عقابه، فقالت: بعه مثل مابعت وأنا راضية بذلك حق الرضى، أرجو بذلك ماعند الله عز وجل مما أعده لأوليائه من كل منة وجسيم ثوابه، فتصدق بتمرها مثل مافعل بتمره. وحكي لنا أنه كان اذا صفت له مكيلة حب في الجنور(٨٨)، أخذ ما أخذ منه، قدر مايحتاج له وقته ذلك، ولم يدخر شيئا الا أنه تصدق به كله في الجنور على الفقراء، وحكى عنه (رضي الله عنه) أنه كان يقعد على باب المسجد حين أراد وكيله أن يفرق على الجماعة شيئا من الحلاوات، فيسأل المثرين والمعدومين، فاذا أعطاهم الوكيل من ذلك، فان رأى الوكيل قد فضل المثرين على المعدمين في العطاء أبى ذلك، ولم يرض به، فانظر لطيف صنعه فيما نفى عن نفسه مطامع الدنيا والبتة، ولم يفرح بغلاء السعر اذا كان معه لكثرة الدراهم ولم يشتر اذا عظمه وكيل المسجد في العطاء وفضائله، وفضائل الشيخ الرضي سعيد بن عبدالله الخراسيني(٨٩) جمة لم أرد بيانها في هذا الكتاب، ولكن ان شاء الله في كتاب آخر، ان وفق الله ذلك.

فصل

فبلغ مابلغ للشيخ سليمان بن محمد (رضي الله عنه) من الفضل العظيم الى أن أطلعه الله عز وجل على كشف عجائب ليلة القدر، فيما حكي لنا أنه لقي

---

(٨٧) الجمة : لعله الكثرة .

(٨٨) الجنور : كلمة محلية تعني البيدر، وهو موضع دوس الزرع وفصل الحب عن سنبله.

(٨٩) لعله سليمان بن محمد ، والسهو كان من الناسخ.

بيـدارا قد نصب من شدة المحل لزجر ماله، فعارضه في غياهب ليالي رمضان، وقـال له: مـا تتـمنى في هذه الليلة، فقال: كشف شدة المحل لما تعب من شره، فاصـبح يسقي المال من الأودية، فلقيه ذات يوم فقال له: أعطاك الله ماتمنيت، ولـو تمـنيت غير ذلك لأعطيت، لأن تلك الليلة ليلة القـدر. فـانظر وفكر أيها الطالب، ان كانت لك همة عالية وقوة هامية(٩٠)، وعزة في قلبك صافية، حتى تجـتـهـد في طاعـة الله كل الجـهـد ولا تبخل بميسورك على الفقراء والمساكين، وليكن شروعك في هذا الشـهـر العظيم وفي غيره مسارعا الى الخيرات، مسابقا لها، حـاسما مطامع الدنيـا الا فيما لابد منه بالجد والاجهاد، لعدم الفضولات المحـرمـات، ووجود الفضائل والمفترضات، ثم انك اذا أردت أن تطلع على شيء من كـشف اشـارات تدل على ليلة القـدر، فاستقم كما أمرت، واذا أهل رمضان كن على طهـارة كاملة مقابلا هلال شهر رمضان، فكبر خمسا وعشرين تكبيرة، وهلل كـذلك، وسبح كذلك، ثم قل الهي والهك الله، ربي وربك الله، سبحان من أظهـر فـيك من محاسن أسمائه ماعمت به البركات، سبحان من شرف أوقاتك على سـائر الأوقات، سبحان من فتح فيك أبواب الاجابة للدعوات، سبحان من وصـفك بأتم الصـفـات، سـبحان من سخر فيك ملائكة الحضرات القدسيات، الهي توسلت اليك باسـمك الذي على أبواب ليلة القـدر، بالأذكـار التي ألهمت فـيـها ملائكتك، فشرفت به على ألف شهر بمستقر الروح والأملاك أن تشهدني مشاهدة هذه الليلة مشاهدة مطابقة لشهودك منها، وألهمني ذكر أسمائك التي يقـدسك بها مـلائكة الليلة حـتى تمرح الذكـران، فيعود وصفي ملكيا ونفسي روحـانيـا ياحي ياقيوم، لا اله الا أنت. تقول ذلك خمسا وعشرين مرة، تكرر ياحي ياقـيوم، لا اله الا أنت، وذلك ماورد من أسرار الفاتحة الشريفة، من أراد أن يرى ليلة القـدر أن يقـرأها وهو على طهـارة بكمالها أربعين مـرة على شق واحـد من جنبـه. ثم ينقلب على شقه الآخر، فيقرأها في الثلث الأخير من الليل سـبع مرات، فانه يرى ليلة القدر ،فيطلب حاجته، ويثبت جنانه، ويشد قلبه، ولايفـتح روعـه، لأن للفـاتحـة أسرارا عظيـمـة ولطائف عجيبة، وسميت أم القـرآن لأنها جمعت معاني القرآن من اثبات التوحيد وشرائعه، ونفي الشرك، والايمان بالبـعث، وكل مـافي القـرآن من مدح وثناء وشكر له سبحانه، تحت قـولـه: ﴿الحَمدُ لِلّهِ﴾. وكل مـافـيه من ذكر الملائكة والأنبياء والانس والجن، تحـت قـولـه: ﴿رَبِّ العَـالَمِينَ﴾. وكل مـافـيـه من رحمة ورزق، تحت قـولـه:

(٩٠) لعله نسـبة الى الهامة ، وهي أعلى الشيء ورأسه.

﴿الرَّحمَنِ﴾. وكل مافيه من عفو ومغفرة وتخفيف، تحت قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾. وكل مافيه من ذكر القيامة والصراط والميزان والجنة والنار والأهوال والحساب، تحت قوله: ﴿مَلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾. وكل مافيه من خشوع وخضوع وعبادة وأمر ونهي، تحت قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾. وكل مافيه من ذكر التوفيق والنصرة والاستعانة والعصمة عن المعاصي، تحت قوله : ﴿وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾. وكل مافيه من طلب هدايةورشد، تحت قوله : ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، وكذلك الدعاء والتضرع والثبات على الاسلام. وكل مافيه من ذكر المرسلين والصديقين والشهداء والصالحين، تحت قوله : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾. وكل مافيه من ذكر ضد، تحت قوله: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم﴾. وكل مافيه من ذكر النفاق والأهوال المختلفة والبدع، تحت قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.



المنثورة الثانية عشرة

في الحج وغيره، وما لايجوز من ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحج كفارة للذنوب، وطاهرة للحوب، وجنة للكروب، وأمنا من جميع الخطوب، فعم بذلك جميع الناس الذين يستطيعون له(١) سبيلا، فالاستطاعة على نوعين، احدهما، أن يكون مستطيعا بنفسه، والآخر: أن يكون مستطيعا بغيره.

أما المستطيع بنفسه فهو الذي يقدر على الذهاب والزاد والراحلة وعول عياله الى قدومه من سفره، وأما المستطيع بغيره فهو أن يكفيه أحد من الناس جميع مايحتاج اليه من الزاد والراحلة والعول للعيال وجميع الحقوق التي لزمته من ديون وغيرها، وكذلك أمان الطريق ووجدان الماء، يسمى ذلك من أحد وجوه الاستطاعة. وأما عليل الجسم فلازم عليه الحج اذا تفاضل(٢) في أشهر(٣). واستطاع بماله وقدر على الركوب، والا فيؤجر من يحج عنه اذا عجز هو عن ذلك وفيه اختلاف. وأما أصحابنا اليوم فاكثر ما استعملوه أن يؤتجر عنه اذا مات، والله أعلم.

فصل

واختلف الناس في مكة والبيت، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾(٤)، فقيل أو بيت ظهر على وجه الأرض الماء(٥)، عند خلق السماوات والأرض، خلقه الله قبل الأرض بالفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء قد حييت الأرض من تحتها. وقيل: ان الله عز وجل وضع تحت العرش بيتا، وهو البيت المعمور، فامر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتا على مثاله وقدره، فبنوا ذلك واسمه الصراح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. وروي أن الملائكة قبل خلق آدم بالفي عام ، وكانوا يحجونه، فلما حجه آدم عليه السلام قالت له الملائكة : بر حجك ياآدم، حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام، وقيل: غير ذلك تركته خوف الاطالة.

---

(١) الأفصح : يستطيعون اليه .
(٢) تفاضل : وجد فضلا من المال .
(٣) الصواب : في أشهره.
(٤) سورة آل عمران : ٩٦ .
(٥) المعنى غامض، ولعل المراد : فوق الماء .

فصـــل

ومن حـديث آخر، أن هذا البيت الذي هو على مثال البيت الحرام في سماء الدنيـا ويسـمى بيت العزة الذي أنزل فيه القرآن جملة من اللوح المحفوظ، في شـهـر رمـضـان، في ليلة القدر، كما ذكره الله عز وجل في كتابه، ثم أنزله عز وجل على نبيه محمد ﷺ نجوما شيئا فشيئا حتى يعقله ويحفظه ولا ينساه، ومـن حـديث آخـر، أن هذا البـيت يطوف به كل يوم سـبـعـون ألف ملك ثم لاينوبه بعـد ذلك الى يوم القـيـامـة. ومـثل هذا الحديث يطول، تركته خوف الاطالة.

فصـــل

وروي في الحـديث عن أبي ذر الغـفاري (رحمه الله) يقول: قلت يارسول الله: أي المسـجـد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسـجـد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أين ما أدركتك الصلاة فصلها فان الفضل فيه.

وأمـا تفـسير بكة، فقد اختلف فيه، قيل: هي مكة نفسها، والعرب تعاقب بين البـاء والميم، فـتـقول: سبد رأسه وسمده، وضربة لازب ولازم، وقيل: بكة مـوضع البـيت، ومكة البلد كله، وقيل: سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها، أي: يرحمون، يبكي بعـضـهم بعـضا، ويصلي بعضهم بين يدي بعض، ويمر بعـضـهم بي يدي بعض، وقـيل: سميت بكة لأن تبكت أعناق الجبابرة، أي: تدقـهـا، فلم يقـصدها بسوء الا وعاقبه الله تعالى، وأما مكة سميت بذلك لقلة مائها من قول العرب: مك الفصيل ضرع أمه، وامتكت اذا امتص كل مافيها من اللبن، وتدعى أم الرحم، لأن الرحمة فـيها تنزل. ونصب «مباركا» على الحال، أي: بركة وهدى للعالمين، لأنه قبلة للمؤمنين ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾(٦). قرأ ابن عـباس (رضي الله عنه) آية بينة على التوحيد ، والله أعلم. والفعل من البك بك يبك بكا اذا رحمه وهو بضم الباء من المستقبل، والله أعلم.

فصـــل

قـال الله عـز وجـل : ﴿وَأَذِّن فِي النَّـاسِ بِـالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾(٧)، معناه: علم(٨) وناد ﴿فِي النَّاسِ﴾، ياابراهيم، ﴿بِالحَجِّ﴾. فـقـال

---

(٦) سورة آل عمران : ٩٧ .
(٧) سورة الحج : ٢٧ .
(٨) الأنصح : أعلم .

ابراهيم : ومـايبلغ صـوتي ، فـقـال : عليك الأذان وعلي الإبلاغ، فـقام ابراهيم عليـه السـلام على المقـام وارتفع المقام حتى صار كالطول(٩) الجـبل، فاقبل بوجـهـه يمينا وشمالا، شرقا وغربا، وقال: يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى لكم بيـتـا فاوجب عليكم الحج اليـه، فاجيبوا ربكم، فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، لبيك اللهم لبيك. وقيل: ان المامور بهذا التاذين محمـد ﷺ أمـر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قـال: «يأتيها الناس فـرض الحج فحجوا». وقوله عز وجل: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، مـشـاة على أرجلهم، وهو جمع راجل، مـثل قـائم وقـيـام، وصـائم وصـيـام، وانـتـصـابـه عـلى الحـال فـيما عندي، والله أعلم. وروي بضم المهملة الأولى وتخفـيف الجـيم وتثقيله، ورجالي كعجالي، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ، وركبانا على كل بعير مـهـزول اتعـبه بعد السفر وهزله، و﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لضامر محمول على مـعناه، والذي قـرأ ﴿يَأْتُونَ﴾، جـعله صفة للرجال والركبان واستئناف، فـيكون الضمير للناس ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، أي: مكان بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، مـايرضي الله في الدنيـا والآخرة وتنكيرها، لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾(١٠)، مـعناه يوم عـرفة وأيام التشريق. وقيل: غير ذلك تركته خـوف الاطالة. وأمـا قـوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، أمر اباحة ليس بواجب، وانما قال ذلك : لأن .....(١١) كـانوا لاياكلون من لحوم هداياهم شيئا، واتفق العلماء على أن الهدي يجوز الأكل منه اذا كـان تطوعـا، ليس بلازم بوجه من الوجوه، وأما الهدي الواجب بالشرع، فلا يجوز الأكل منه، والله أعلم.

فصـــل

وأصـل الهـدي مـايهدى الى البـيت من النعم، وواحـدته هدية، وقـيل: لا واحـد له، قـال الله عـز وجل : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾(١٢)، انتـصاب هدي على الحـال في ﴿بِهِ﴾ أو من جـزاء، وقيل: غير ذلك. وانتصاب ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ على الصـفة، لأن اضافة لفظته .....(١٣). ومـعنى بلوغـه الكعبة، ذبحه بالحرم والتـصـدق به، قـال أبو حنيـفـة: يذبح بالحـرم، ويتـصـدق به حيث شاء،

(٩) الأفصح : كطول الجبال .
(١٠) سورة الحج : ٢٨ .
(١١) كلام ناقص: تقدير لأن العرب.
(١٢) سورة المائدة : ٩٥ .
(١٣) نقص في الكلام .

والمقصود عندي لايجوزالذبح بحرم الكعبة، لأن المساجد لايجوز أن توضع النجاسة فيها، والله أعلم. وان كان يعني حرم مكة فحسن، والله أعلم.

فصل

ويجب الهدي لأجل الحج على القارن والمتمتع، وتجزي كل واحد منهما شاة، ولا تجوز الشركة، والله أعلم، وأصل القران الجمع بين العمرة والحج في الحديث لقوله ﷺ: «وساق مائة بدنة»، وأمر أن يقطع كل واحد منها قطعة، فطبخت وأكلت ويحتسى من المرق، ففي هذا الخبر نظر، لأن من أهدى هديا واجبا لايجوز الأكل منه الا اذا كان تطوعا، والله أعلم.

فصل

واختلف الناس في القارن بالحج والعمرة، فقال بعضهم: عليه طوافان وسعيان، وقال آخر: يجزيه لحجته وعمرته طواف واحد وسعي واحد، لقول النبي ﷺ لعائشة (رضي الله عنها): «طوافك بالبيت وسعيك يجزيك عن حجتك وعمرتك»(١٤)، وهذاالقول الذي يميل اليه أكثر أهل العلم، لأن الأشياء اذا افرتقت وجب لكل واحد حكم، واذا اجتمعت كان حكمها واحد الا ماقام دليله، وهذا جمع بين العمرة والحج، فمن أجل جمعه لهما مالوا الى القول بطواف واحد، وسعي واحد يكفيه، والله أعلم. والفعل من القران وقرن بفتح مهملة الماضي وضمها من المستقبل قرنا وقرانا، والله أعلم.

فصل

وأما المتمتع في الحج، والمتمتع في النكاح، والاسم من تانيثه متعة بضم المهملة الأولى في المعنيين. فمتعة النكاح كانت في صدر الاسلام يتزوج الرجل المرأة الى أجل معلوم ثم ينفسخ النكاح بمضيه. وأصل المتعة حلال لكن أصحابنا عملوا بتركها والنهي عنها، خوف وقوع الريب وعسر المواريث، والله أعلم. وأما المتعة في الحج أن تضم عمرة الى حجة، قال الله تعالى : ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمرَةِ إِلَى الحَجِّ﴾(١٥)، أي: فمن استمتع وانتفع بالقرب الى الله عز وجل بالتقرب قبل الانتفاع بالتقرب بالحج في أشهره. ومعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه في الاحرام الى احرامه بالحج. والتمتع بالحج هو أن يدخل مكة معتمرا في أيام الحج، فتمتع بالعمرة الى الحج فهذا يلزم دم المتمتع فان عجز كان عليه الصيام، لقوله تبارك وتعالى :

(١٤) أخرجه أبو داود حديث رقم ١٨٩٧، انظر أيضا موسوعة أطراف الحديث ٥/ ٤١٢.
(١٥) سورة البقرة : ١٩٦.

﴿فَمَن لَّم يَجِد فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبعَةٍ إِذَا رَجَعتُم﴾، الى أهليكم. واختلف في الصوم، فقيل: يصوم العشر، وقيل: يصوم أيام التشريق، لأن الدم هناك وجب، وانما وجب الصوم بدلا من الدم، واذا رجع الى أهله صام السبعة الأيام، والله أعلم.

فصل

وأما قوله عز وجل: ﴿وَأَتِمُّواْ الحَجَّ وَالعُمرَةَ لِلّهِ﴾، فما كان في أشهر الحج فهو متعة، وما كان في غير أشهر الحج فهي تامة. ومن افرد بعمرة، وخاف أن تفوته عرفة فانه يميل بالحج ويجزيه طواف واحد وسعي واحد لحجه وعمرته. ومن اعتمر في غير اشهر الحج فحج، فلا دم عليه اذا كان معتمرا في أشهر الحج، وخرج انه معتمر فتمتع، فيلزمه الذبح. ومن أفرد بالحج فلا يلزمه دم. ومن دخل مكة وقد أحرم بالحج والعمرة، أو بالحج وحده، ففاته الحج، فليحل من أي ذلك كان بعمرة، وعليه أن يحج من قابل، ولا عليه هدي. وقيل: اذا فاته الحج فانه يحج من قابل، والله أعلم.

فصل

واختلفوا في اتمام الحج والعمرة، فقال بعضهم: هو أن يتمهما بناسكهما(١٦) وحدودهما وسننهما. وقال بعضهم: تمامها(١٧) الانتهاء عما حرم الله، والسلوك فيما أحل الله، وأن تكون النفقة حلالا له ولعياله، ولا يمزح لتجارة ولا لحاجة، لأنه جاء عن عمر بن الخطاب (رحمه الله) أنه قال: «الوفد كثير والحاج قليل». وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة جزاء الا الجنة»(١٨). وروي عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بحج»، وأهل رسول الله ﷺ بالحج فيما قيل، والله أعلم.

والعمرة على ثلاثة أوجه: الافراد والتمتع والقران، فاما الافراد فهو أن يفرد بالحج ثم بعد الفراغ يعتمر. وصفة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج من بعد الفراغ من أعمال العمرة، يحرم بالحج من البيت الحرام، وقيل من مسجد

---

(١٦) الصواب: بمناسكها.
(١٧) الصواب: تمامها.
(١٨) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٧٧.

الجن، فيصير الى منى، وصفة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل الحج قبل أن يفسخ الطواف فيصر قارنا، والله أعلم. وأما قوله عز وجل: ﴿فَإِن أُحصِرتُم فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَدىِ﴾(١٩)، معناه، منعتم، يقال: حصره العدو وأحصره اذا حبسه ومنعه من المضي، مثل صده وأصده، والمراد حصره العدو، لما جاء في الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنه): «لاحصر الا حصر العدو»(٢٠)، أو يمرض مرضا لايقدر على المسير الى الحج، لما روي عن النبي ﷺ: «من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل، ويبعث بالهدي ليحل من احرامه»(٢١)، ولا يحل من احرامه الا اذا بلغ الهدي محله، والله أعلم، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال لصاعة بنت الزبير: «حجي واشترطي، وقولي: اللهم حيث حبستني»(٢٢)، وقوله عز وجل: ﴿فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَدىِ﴾، فعليكم ما استيسر من الهدي، أي : فاهدوا ما استيسر، والمعنى: ان أحصر المحرم، وأراد أن يحل من احرامه، فيبعث بالهدي ماتيسر له من بدنة أو بقرة أو شاة، ولايحلق المحرم رأسه الا حتى يبلغ الهدي محله، لقوله تبارك وتعالى : ﴿وَلَاتَحلِقُواْ رُؤُوسَكُم حَتَّى يَبلُغَ الهَدىُ مَحِلَّهُ﴾(٢٣)، أي: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه، لأن المحل بكسر المهملة الثانية المكان، وفتحها الأجل والوقت، كما يقال: سلفته الى محل كذا وكذا. والمعنى أنه لايجب الاحلال من الاحرام ولا الحلق الا حتى يعلم بالهدي الذي بعثه بلغ أو مابلغ، الا أن يكون مريضا أو مضطرا من أجل رأسه فيحلق ويفدي لقوله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوَ بِهِ أَذىً مِّن رَّأسِهِ فَفِديَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوَ صَدَقَةٍ أَوَ نُسُكٍ﴾(٢٤)، معناه اذا كان به كذلك فيحلق رأسه لقول النبي ﷺ لكعب بن عجرة حين رآه وقمله يسقط من رأسه على وجهه، فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال: نعم، فأمره أن يحلق، وهو بالحديبية، لم يتبين لهم أنهم يحلون فيها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فانزل الله الفدية، فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم ستة مساكين، أو يصوم ثلاثة أيام، أو يذبح شاة، لأن معنى قوله تعالى : ﴿أَوَ نُسُكٍ﴾، واحدتها نسيكة، أي: ذبيحة، أعلاها بدنة وأدناها شاة وأوسطها

(١٩) سورة البقرة : ١٩٦.
(٢٠) أورده أبن حجر، تلخيص الحبير ٢/ ٢٨٨.
(٢١) أورده كثيرون : انظر موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٥٢٧.
(٢٢) أورده كثيرون انظر المصدر السابق ٤/ ٥٣٠.
(٢٣) سورة البقرة : ١٩٦
(٢٤) سورة البقرة : ١٩٦ .

بقـرة، فـهذه الفدية على التخيير، ان شاء ..... (٢٥) أو تصـدق أو ذبح، والله أعلم.

فصـــل

وأمـا مـاجـاء في اللغة من أول هذا الكلام، أما الحصر العي، يقال: حصر عن الكلام، بكسر مـهـملة الماضي يحصر بفـتحها يحصر أيضا، وحصر أيضا، أي: قل مـاله، وحصر، أي: بخل، وحصر صدره، أي: ضاق، قال الله عز وجل: ﴿أَوْ جَـاءُوكُم حَصِرَت صُدُورُهُم أَن يُقَاتِلُوكُم﴾(٢٦)، أي: ضـاقت. قرأ الحسن ويعـقـوب ﴿حَصِرَت﴾ منصـوبة منونة، أي: ضيقت صدورهم، واذا كان على هذا فـهـو منصـوب على الحال بتقديم الصفة على الموصوف. وهذه الآية فيما قـيل: نزلت في بني مـدلج، كانوا عاهدوا المسلمين أن لايقاتلوا، وعاهدوا قريشا أن لايقاتلوهم. والحصر الضيق والانقباض، والله أعلم.

وقـولـه : «بدنة»، والبـدنة واحـدة البـدن وهن الركاب، لقوله عز وجل: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ﴾(٢٧)، أراد بذلك الابل العظام الضخام الأجـسـام، كما يقـال: بدن الرجل يبـدن بضم الدالين بدانا وبدانة اذا امـتـلأ وقـوي، وقـيل: البـدن البـقـر والابل، وانتصابه بفعل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم﴾، ومن رفـعـه جـعله مـبـتـدءا، كـقـوله تعالى : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾(٢٨)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾(٢٩)، يجـوز الرفع والنصب في هذه الثـلاث الآيات وأمـثـالهن، فـمن نصـبـهن جـعلهن على المفعول المتقدم على الفعل، ومن رفعهن، جعلهن مبتدأ، والله أعلم. وأمـا قـولـه عـز وجل: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ﴾، أي: من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها، فتعلم أنه هدي، وأكثر التفسير أنها الابل. قال أسد الكامل، نحرنا سبعين ألفا من البـدن ترى الناس حـولهم ركـودا، أي: سكونا وقـعـودا. يقـال: ركد الماء والريح بفتح مهملة الماضي وضمها من المستقبل ركودا، اذا سكنا.

وفي الحـديث نهى النبي ﷺ أن يبـال في الماء الراكـد وأن يغتسل فيه من الجنابة(٣٠)، مـعناه، اذا كـان سـاكنا منقطعا لم يجر، وهو في موضع صلب، مـثل جبل أو مدر أو صاروج أو غير ذلك، وكان الماء لا تجوز به الطهار، مثل

(٢٥) في الكلام سقط تقديره : صام .
(٢٦) سورة النساء : ٩٠.
(٢٧) سورة الحج : ٣٦ .
(٢٨) سورة النور : ١. (٢٩) سورة يس : ٣٩ .
(٣٠) أخرجه بألفاظ قريبة الامام الربيع ، حديث رقم ١٦٢.

أن يكون أقل من أربعين قلة واذا حركته من جنبه لم تنته الحركة الى جانبه الآخر، وان كان هكذا فليس يجوز أن يغتسل به من الجنابة أو غيرها من النجاسات، وقيل: غير ذلك تركته خوف الاطالة، وأما البول فلا ، لئلا يصير غشا للمسلمين، وأرض الله واسعة، والله أعلم. وأما اذا كان هذا الماء في موضع الأودية أو مكان رمل أو حصاة أو غير ذلك، مما يحتمل أن يجيء اليه ويسير منه فجايز أن يغتسل به من كل نجاسة ، والله أعلم.

وركد الميزان ، اذا استوى ، وقال الشاعر :

وقوم الميزان حتى يركدا

وركد القوم ركودا اذا هدوا ولم يبق لهم صوت، وركدت السفينة اذا سكنت، قال الله عز وجل : ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾(٣١)، معناه : فيبقين ثوابت على ظهر البحر، لاتجي ولا تذهب ، والله أعلم.

وأما قوله: ﴿شَعَائِرَ﴾، فهو جمع شعار، وهي أعمال الحج وأعلامه، وجمعت على فعائل مثل عمامة وعمائم، قال الله عز وجل : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٣٢)، يعني الذين (٣٣) ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور واجتناب معاصيه وأداء فرائض الحج ومواضع نسكه، وقيل : الهدايا لأنها من معالم الحج، وهو أوفق لظاهر ما بعده. وتعظيمها أن تختار سمانا غالية الأثمان، كما روي عن النبي ﷺ : «أنه أهدى مائة بدنة، وفيها جمل أبي جهل في أنفه برة من الذهب». البرة حلقة تجعل في أنف البعير، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ كان أفضل له، لقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، أي: أن تعظيم شعائر الله من أفعال ذوي تقوى القلوب، وقوله عز وجل : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٣٤)، يعني: بأن يركبوها ويحلبوها ويستعملوها، قبل أن يسموها هديا، والأجل المسمى هو اشعارها وعلاقها وتسميتها للهدي، فلا يجوز بعد .....(٣٥) الانتفاع الا في حال الاضطرار من رضاع ولدها وحلبها اذا كان اللبن يضر بها، أو ركوبها اذا كان الرجل في مقطعة يخاف على نفسه الهلاك، فحينئذ يجوز الانتفاع بها من غير مضرة، والله أعلم. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك،

(٣١) سورة الشورى : ٣٣.
(٣٢) سورة الحج : ٣٢
(٣٣) الصواب : التي .
(٣٤) سورة الحج : ٣٣ .
(٣٥) يوحي السياق بنقص في الكلام.

أي : الى انقضاء أيام الحج، ثم محلها الى البيت العتيق، أي: محلها منتهية الى البيت التي ترفع فيها الأعمال وتضاعف فيه الأجور، وقال بعض: منحرها عند البيت العتيق، وتاولوا خبرا عن النبي ﷺ في ذلك، والقلب لايحلوا له هذا القول، لأن البيت مطهر من الأنجاس، رجعنا الى ذكر الشعار .

أما الشعاير ، فقد مضت صفته، وأما الشعار بفتح المعجمة الأولى هو الشجر، يقال: أرض كثيرة الشعار، وأظن أن شعار الحج كذلك، وهو رفع الصوت بالتلبية، وبكسر الشين اللبس الذي يلي الجسد لأنه يلي شعر الجسد، يقال في المثل لمن يوصف بالقرب والمودة : «أن الشعار دون الدثار». وفي الحديث عن النبي ﷺ: «أنتم شعار والناس دثار»(٣٦)، أنتم في أدمي(٣٧). وصفة الدثار ساذكر بعضه بعد هذه ، وجمع شعار شعر وأشعر، قال الحريري في قصة العجوزة بعدما سالوا عن شعرها: لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم أشعاري. الأول : ثوبها، والثاني: شعرها. والشعار علامة ينادى بها القوم في الحرب، ليعرف بعضهم بعضا، والشعير معروف، وهو بارد يابس في الدرجة الأولى، والشعير الحبة، والشعيرة المسمار يجعل في مسمار نصاب(٣٨) السكين، وقائم السيف، والشعر كوكب، بكسر الشين، وهو يطلع في أول الخريف صباحا، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾(٣٩)، أي : كوكب خلف الجوزاء، وكان خزاعة تعبدها في الجاهلية، وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم، يقال له : أبو كبشة، عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضا، والشعرى تقطعها طولا، فهي مخالفة للكواكب، فعبدتها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين، سموه أبا كبشة لخلافه اياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعرى، وهما الشعرتان، أحدهما: الغيور، والأخرى : القميصا. والمراد ها هنا الغيور لأنها أكثر ضياء، كما قال المعري أحمد بن سليمان ممثلا بين سهيل والشعرتين :

وسهيل كوجنة الحب في اللون ... وقلب المحب في خفقان
مستبدا كانه الفارس المعلم ... يبدو معارض الفرسان
يسرع في احمرار كما يسرع ... في اللمح مقلة العميان

---

(٣٦) أورده ابن الأثير : البداية والنهاية ٤/٣٥٧.
(٣٧) كذا في الأصل.
(٣٨) كذا في الأصل، لعله : نصل .
(٣٩) سورة النجم : ٤٩ .

ضرحتـه دما سيوف الأعـادي فبكت رحمة له الشعرتان

تفسير الآبيـات : الحب بكسر الحـاء الحـبـيب ، والخـفـقان الاضطراب وقلعـه خـفق بفـتح فـاء الماضي وضـمـه من المسـتقبل خفقانا وخفوقا، أي: اضطرابا، قال أبو الطيب :

جهد الصبابة أن يكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق

الجـهـد بضم الجـيم الطاقـة، قـال الله عـز وجل : ﴿وَالَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّا جُهدَهُم﴾(٤٠)، وبالفـتح المشقة، والصبابة شدة الشوق، يقول: جهد الصبابة وغـايتـهـا أن تكون كما أرى. وعين مـسهدة، أي : مؤرقة. وقلب يخفق، أي : يـضطرب. رجـعنا الى ذكـر بيت أبي العـلا المعـري ، وصف سـهـيـلا هنا في احمراره كانه ضرحـتـه دمـاء سيوف الأعادي، ومعنى ضرحته، أي: لطخته، وضرحـتـه بـفـتـح الـراء من الماضي تضرحـه بكسرهما وهو مخفف بمـعنى ضرحـته بالتشديد، وكثيرا مثل هذا تركته خوف الاطالة، وأما الأفعال، يقال: شـعـر بالشيء شـعورا اذا فطن له فطنته هو بفتح مهملة الماضي وضمها من المسـتـقـبل، وكذلك الشاعر لأنه يفطن لمعاني الشعر. وحكى بعضهم شعرت الـشيء اذا عـملتـه(٤١)، وكـذلـك الـشـعـر، قـال الله عـز وجـل: ﴿ وَهُم لَايَشعُرُونَ﴾(٤٢)، أي: لا يعلمون ولا يفطنون، وكذلك قال حبيب أبو تمام بن أوس الطائي :

وفي الخدور مها لو أنها شعرت اذا طغت فرحا أو آيست أسفا

الخـدور جمع خـدر وهو مـعروف، خدر المرأة بكسر الخاء، وخدر بضم الخـاء حي من الأنصـار، منهم أبو سعيد الخدري. والخدر بفتح الخاء والدال مـعـروف. خـدرت رجله تخدر وهو بكسر مهملة الماضي وفتحه من المستقبل خـدرا وهو دم يصـيبها فيجمد دمها ساعة ولا تتحرك، وخدرت عظامه، أي : فترت، قال طرفة :

حازت البيد الى أرحلنا آخر الليل ليعفور خدر

وهو الخـسف ، يعني بذلك اللزوقـة بالأرض، البـيـد جمع بيـداء وهي المفـازة، وخـدر، أي: فـاتر، كانه ناعس سكون طرفـه وضـعـفـه. شبه المرأة

(٤٠) سورة التوبة : ٧٩ .
(٤١) الصواب : علمته.
(٤٢) سورة الأعراف : ٩٥، سـورة يوسف : ١٥، ١٠٧، سورة الشعراء : ٢٠٢، سورة النمل: ١٨، ٥٠، سورة القصص: ٩، ١١، سـورة العنكبوت: ٥٣، سـورة الزخرف: ٦٦.

باليعفور الخدر المتحير، وكثير مثل هذا تركته خوف الاطالة.

وأما المها بضم الميم جمع مهاه بالهاء وهي البقرة الوحشية، والمها جمع مهاة بالهاء وهي البلورة أيضا ويقال: الدرة، ويقال: مهاة بالتاء، ويقال للمرأة اذا كانت بيضاء: كانها مهاة، وشعرت ، أي: فطنت، وطفت فرحا، أي: عظمت في نفسها بنظرها الى حسنها وجمالها فتفرح وتضحك، أو «أيست أسفا» لم أعرف معنى البيت، أن كان بمعنى رجل اسوار، أي: حزين ، وقيل: أسيان ومثله(٤٣)، والله أعلم. لا أدري به(٤٤)، ومعنى هذا البيت: هذه المرأة اذا فطنت في نفسها وفكرت بكت وضحكت، بكت من حيث رأت الناس موتى عليها كانها أعجاز نخل خاوية شغفاً بها ومودة وعشقا لجمالها، أو ضحكت من أجل أنها أحسن النساء، لا لها نظير في الدنيا، والله أعلم، ويقال: أشعره بالشيء اذا أدراه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَايُشعِرُكُم أَنَّهَا إِذَا جَاءَت لَا يُؤمِنُونَ﴾(٤٥)، أي : مايدريكم استفهام انكار قالها راجعة الى الآية، وقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر وعاصم ﴿أَنَّهَا﴾ بكسر الهمزة على الابتداء، وقالوا تم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يُشعِرُكُم﴾، والخطاب للمؤمنين، لأنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم ، وقيل: للمشركين، وقيل: غير ذلك، وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿لَاتُؤمِنُونَ﴾ بالتاء، واختلفوا في قوله : ﴿لَا يُؤمِنُونَ﴾، فقال الكسائي: ﴿لَا﴾ صلة، ومعنى الآية ومايشعركم أيها المؤمنون أن الآيات اذا جاءت المشركين يؤمنون، كقوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَريَةٍ أَهلَكنَاهَا أَنَّهُم لَا يَرجِعُونَ﴾(٤٦)، وقيل: «أنها» بمعنى لعلها، وكذلك هو في قراءة أن تقول العرب : اذهب الى السوق انك تشتري أشياء، أي: لعلك، وقال عدي بن زيد:

أعاذل ما يدريك أن منيتي الى ساعة في اليوم أو في ضحى غده

رجعنا الى ذكر الحج :

قال الله عز وجل : ﴿أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾(٤٧)، أي: وقت الحج أشهر معلومات ، وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ أي: فمن أوجب على نفسه الاحرام والتلبية ، وفيه دليل على من أحرم في غير أشهر الحج لاينعقد احرامه بالحج، وينعقد احرامه بالعمرة، لأن الله

(٤٣) كذا في الأصل، والمعنى غير بين .
(٤٤) لعل الصواب : لا أدري المراد به .
(٤٥) سورة الأنعام : ١٠٩ .
(٤٦) سورة الأنبياء : ٩٥ .
(٤٧) سورة البقرة : ١٩٧ .

عـز وجل خص هذه الأشـهـر بفـرض الحج فيها، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التـخـصيص فائدة كما أنه علق الصلوات بالمواقيت، ثم من أحرم بفرض الصـلاة قـبل دخول وقتها لا ينعقد احرامه عن الفرض، والله أعلم، وقيل: غير ذلك، وكـذلك من اسـتطاع في هذه الأشـهـر لزمه الحج، واستطاعته أن تكون عنده دراهم تكفيه وعياله الى قدومه من حجه، من غير حجة غير تحمل(٤٨) دين ولا بيع أصل، والله أعلم، وأمـا قـوله عـز وجل: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(٤٩)، قـرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتنوين رفعا، وقرأ الآخـرون بلا تنوين نصـبـا، والله أعلم، وأما الرفث فهو الجماع والكلام الذي يعـرض للمـرأة من طريق الفـحش، وأمـا فـعله رفث اليـها بفتح فاء الماضي وضمه من المستقبل رفوثا معناه اذا جامعها، قال الشاعر :

فباتوا يرفثون وبات منا رجال في سلاحهم ركوبا

وفي الحديث عن النبي ﷺ : «اذا اعتكف الرجل فلا يرفث ولا يقاتل»(٥٠)، لعله ولا يقـتل(٥١). وأفـرث (٥٢)، أي: أتى في كـلامـه بافـحش القـول، وأما الفـسوق فهو جميع المعاصي من ركوب الحرام وغيره، لأن كل ماخرج من حد الحـلال فـهـو فـسق، لأن الفـسق هو الخروج من الطاعة، قال الله عز وجل: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾(٥٣)، والمعنى في اللعين ابليس، خـرج عن طاعـة ربه بترك السـجود لآدم عليه السلام، وفيه دليل أن الملك لايعصي أبداً وانما عصي ابليس ـ لعنه الله ـ لأنه كـان جنيـا في أصله، تركت روايتـه خـوف الاطالة. وأمـا فـعله فـسق بفـتح سين الماضي وضـمـه من المستقبل، وقيل: بكسره في المسـتـقـبل والضم أفـصح، وقرأ الأعمش: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٥٤)، بكسر السين، والله أعلم. وأمـا الجـدال المنهي عنه فهو المراء والخصومة بغير الحق، لأن الله عـز وجل نهى عن ذلك، فـقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٥٥)، وأمـر بالمجـادلة في الحق، قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة

---

(٤٨) لعل الصواب : من غير حاجة الى تحمل دين.
(٤٩) سورة البقرة : ١٩٧ .
(٥٠) ورد بمعناه دون لفظه في كنز العمال ٢٤٠٠٧ ، ٢٤٠١٧ .
(٥١) التصويب من الناسخ .
(٥٢) الصـواب : أرف ورفث. (٥٣) سورة الكهف : ٥٠ .
(٥٤) سورة البقرة : ٥٩، سورة الأنعام : ٤٩، سورة الأعراف : ١٦٣، ١٦٥، سورة العنكبوت : ٣٤ .
(٥٥) سـورة العنكبوت : ٤٦ .

والسلام: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٥٦)، وأصل الجدال بالباطل ليس بجائز في الحج وغير الحج، والله أعلم.

وأما قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾(٥٧)، عرفات جمع عرفة، جمعت ماحولها، وان كان بقعة واحدة، كقولهم ثوب أخلاق. و ﴿أَفَضْتُم﴾ دفعتم، والافاضة دفع بكثرة ، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماء، أي: صبه، وأصله أفضتم من أنفسكم، فحذف المفعول من ذلك، واختلفوا في المعنى الذي من أجله سمي الوقف(٥٨) عرفات، واليوم عرفة، قيل: أن آدم عليه السلام لما هبط الى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة وهي بلد غربي مكة على ساحل البحر، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فتعارفا، فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقيل في الحديث : (لما أذن ابراهيم في الناس وأجابوه بالتلبية حتى أتاه من أتاه، فأمره الله أن يخرج الى عرفات ووصفها له فخرج، فلما بلغ الشجرة عند العقبة استقبله الشيطان، يرده فرماه بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة فطار، فوقع على الجمرة الثانية فرماه فكبر، فطار، فوقع على الجمرة الثالثة، فرماه، فطار. فلما رأى الشيطان ذلك فر على وجهه فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى أتى عرفات، فعرفها بالوصف فسمي الوقت عرفة، والموضع عرفات، حتى وقف بها الى غروب الشمس حتى أمسي ازدلف الى جمع فسمي المزدلفة). ويروي ـ والله أعلم ـ أن ابراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه، فلما أصبح روى يومه أجمع، أي: فكر من الله هذه الرؤيا أم من الشيطان، فسمي اليوم يوم التروية، ثم رأي ذلك ليلة عرفة ثانية، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل، وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون بذنوبهم.

وأما منى سميت بذلك لأنه يمنى فيها الدم، أي: يصب، فتكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا، ويقال: أمنى الرجل، أي: دخل منى. قال الحريري في مقاماته، قال : وهل يجب الغسل على من أمنى، قال: لا ولو ثنى، أي: لايجب الغسل على من أمنى مرة بعد مرة اذا كان معنى دخوله منى، وأما اذا أمنى من المني فواجب عليه الغسل اذا خرج منه المني، قال الله

---

(٥٦) سورة النحل : ١٢٥ .
(٥٧) سورة البقرة : ١٩٨ .
(٥٨) لعله : الموقف .

عـز وجل: ﴿أَلَم يَكُ نُطفَةً مِّن مَّنِيٍ يُمنَى﴾(٥٩)، وقـريء بالياء والتاء ردا على النطفـة، لأنه واجب الغـسل على من خرجت منه الجنابة من احتلام أو جماع أو عـبث أو غير ذلك لقـوله عـز وجل : ﴿وَإِن كُنتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾(٦٠)، والله أعلم بالصواب .

وأمـا المشـعـر الحرام، فهو جبل بين المزدلفة ووادي محسر، وفي الحديث عنه عليـه الصـلاة والسلام : أنه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس، وهي التي يلقط منهـا حـصى الجمار، ركب ناقـتـه حـتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ، ولم يزل واقـفـا حـتى أسفر. ولا يقف الرجل عند المشعر الحرام الى طلوع الشـمس، ويدخل منى قـبل طلوعها لئلا يلزمه دم، ومن خرج منها قـاصـدا عـرفـة، يوم الحج قبل طلوع الشمس، لزمه دم، وهنالك علمان عند الدخـول والخـروج، والله أعلم. وانما سمي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة، ووصف بالحـرام لحـرمـته، والمعنى عند المشعر الحرام وما يليه، وتقرن(٦١) منه، فانه أفضل الذكر فيه، والله أعلم.

وقـوله تبـارك وتعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ﴾(٦٢)، الصفا جمع صـفـاة، وهي الصـخـرة الصلبـة الملساء، يقال: صفاة وصفا، وحصاة وحـصا، ونواة ونوى، والمروة الحجر الرخو، وجمعها مروات، وجمعها الكثير مـرو، مـثل تمر وتمرات وتمر، وانما عنى الله بهما الجـبلين المعـروفين بمكة، وهي صـغـار من جـبـال الكعـبـة الى الشرق، وشـعـائر الله أعلام وفيه(٦٣). وذكـرت شرح الشعائر من قبل، وانما ذكرت هنا لأجل الصفا والمروة.

وقـوله تبـارك وتعـالى : ﴿فَـمَن حَجَّ البَـيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(٦٤)، فـالحج في اللغـة القـصد والعمرة الزيارة، المعنى : ﴿فَمَن حَجَّ البَـيتَ أَوَ اعـتَـمَـرَ فَـلَا جُنَاحَ عَلَيـهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾،أي: لا اثم عليه أن يـطـوف بهما، أصـلـه يتطوف فادغـمت التـاء في الطاء، والتطوف بهما المسير برفق، الى هذه والى هذه سـبـعة أشواط، ويهرول بين العلمين، وسأذكر الدعاء فيه بعد هذا، وليس هو كتطوف الكعبة يدور بها، والله أعلم.

(٥٩) سورة القيامة : ٣٧.
(٦٠) سورة المائدة : ٦ .
(٦١) لعله : يقرب .
(٦٢) سورة البقرة : ١٥٨ .
(٦٣) الصواب فيه : باسقاط الواو .
(٦٤) سورة البقرة : ١٥٨ .

فصـــل

وسـبب نزول هذه الآية انه كـان في الجـاهليـة صنمان، أسـاف ونايلة، وكـان أسـافـا على الصـفا ونايلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصـفا والمروة تعظيما للصنمين، يتمسحون بهما، فلما جاء الاسلام، وكسرت الأصناع، كـان المسلمـون يتـحـرجـون عن السـعي بين الصـفا والمروة لأجل الصنمين، فانزل الله فيه، وأخبر أنه من شعائر الله.

اخـتلف العلماء في السـعي بين الصـفـا والمروة بعـضهم قال: أنه فرض واجب السـعي بينهما، وقـال بعض: سنة، وأمـا الدعـاء فـيـهما فـمـستحب وفـضـيلة، والله أعلم. ويبـدأ بالصـفـا ويختم بالمروة في السعي، لما روي عن النبي ﷺ حين خـرج من المسـجد، وهو الكعبة، ويريد الصفا، قال: «نبدأ بما بدأ الله(٦٥)» . كـان اذا وقـف يكبر ثلاثا ويدعـو بالدعـاء الذي يدعى به على الصفا والمروة.

وأمـا قـولـه : ﴿فَـاذْكُرُواْ اسمَ اللهِ عَلَيهَا صَوَافَّ﴾(٦٦)، قـائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، ومـعناه قـيـامـا على ثلاث قـوائم، وقيل: الطواف اذا عقلت رجلهـا اليسرى وصـفـفت، وقـامت على ثلاث قـوائم. وقريء غير ذلك تركته خوف الاطالة، والله أعلم.

فصـــل

قـال الله عز وجل : ﴿فَإِذَا وَجَبَت جُنُوبُهَا﴾(٦٧)، أي : سـقطت على وجه الأرض. وأصل الوجوب الوقوع، يقال وجبت الشمس اذا سقطت للمغيب، أمر اباحـة ﴿وَأَطعِمُواْ القَانِعَ وَالمُعتَرَّ﴾(٦٨)، القـانع الراضي بما عنده، وبما يعطى من غيره، مـثله ﴿وَالمُعتَرَّ﴾ المعترض بالسـؤال، والفـعل منه قنع يقنع بفـتح المعـجـمـتين من الماضي والمسـتـقـبل قنوعا اذا سال، وقنع بكسر نون الماضي وفـتـحـها من المستقبل قناعة، أي: قنع بما أعطاه الله عز وجل ورضي به فهو قنع، وفي الحـديث يقـول الله عز وجل : «يابن آدم لا بالقليل تقنع ولا بالكثير تشبع»، والله أعلم بالصواب.

---

(٦٥) بدأ به الله ، أو مابدأ الله به .
(٦٦) سورة الحج : ٣٦ .
(٦٧) سورة الحج : ٣٦ .
(٦٨) سورة الحج : ٣٦ .

فصل

وأما في الذباح، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾(٦٩)، قيل : الآية في تحريم الذبائح التي يذبحونها على اسم الأصنام، وقيل: الآية في تحريم الميتة لقوله تبارك وتعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾(٧٠)، أي : ماذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى : ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس (رضي الله عنه) كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي المقتولة بالخشب، وقيل: كانوا يضربونها بالعصي، فاذا ماتت أكلوها، و ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي ترددت من علو أو بئر فماتت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى، والتاء للنقل، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، أي: ما أكل منه السبع فمات، وهو يدل على أن جوارح الصيد اذا أكلتها التي اصطادته مثل كلاب الصيد لم يحل، وأما قوله تبارك وتعالى : ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، أي : الا ما أدركتم ذكاية، وفيه حياة مستقرة، والا فالحرمة واقعة به في الاستثناء، والذكاة قطع الحلقوم والاتمام من قطع الأوداج وانهار الدم، قال النبي ﷺ : «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فيؤكل الا السن والظفر». ويجوز الذبح بكل محدود يقطع من حديد وغيره مثل حجر أو زجاج أو أشباه ذلك الا السن والظفر لنهي النبي ﷺ عن النهي(٧١)، وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها، ويعدون ذلك قربة، وقيل: هي الأصنام و﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام، أو على أصلها بتقدير وما ذبح سمي على الأصنام، وقيل: النصب جمع وواحد نصاب، قوله تبارك وتعالى : ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾، أي : وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح، وذلك أنهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح، مكتوب على أحدها أمرني ربي، والثاني نهاني ربي، والثالث غفل ليس عليه شيء، فان خرج الأمر مضوا على ذلك ، وان خرج النهي تجنبوا عنه، وان خرج الغفل أحالوا(٧٢) ثانية، ومعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم، دون مالم يقسم بالأزلام، وقيل:

---

(٦٩) سورة الأنعام : ١٢١ .
(٧٠) سورة المائدة : ٣ .
(٧١) الصواب : الذبح .
(٧٢) الصواب : أعادوا .

الاستقسام الجزء(٧٣) بالأقداح على الأنصباء المعلومة، وواحد الأزلام زلم بفتح الزاي واللام وقيل: زلم بضمهما، والله أعلم. ومعنى قوله : ﴿ذَلِكُم فِسقٌ﴾ اشارة الى الاستقسام، وكونه فسقا لأنه دخول في علم الغيب، وضلال في اعتقاد أن ذلك طريق اليه، وافتراء على الله أن أريد يرني الله(٧٤)، والله أعلم بالصواب، ثم أنزل الله عز وجل العذر لمن اضطر الى هؤلاء المذكورات قوله تبارك وتعالى : ﴿فَمَنِ اضطُرَّ فِي مَخمَصَةٍ﴾(٧٥)، والمعنى ﴿فَمَنِ اضطُرَّ﴾، الى تناول شيء من هذه المحرمات، ﴿فِي مَخمَصَةٍ﴾ مجاعة، ﴿غَيرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثمٍ﴾ غير مائل اليه أو متعمد على أن ياكلها متلذذا، أو متجاوزا حد الرخصة لقوله تبارك وتعالى : ﴿فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٧٦)، لما أكل في حال الاضطرار، غير التعمد لأكل هذه المحرمات، والله أعلم.

فصل

وأما الأفعال لهذه الأسماء المذكورات، أما قوله: ﴿وَالمُنخَنِقَةُ﴾ قد مضى ذكرها، وأما المنخنق بتشديد النون هو موسع الخناق، بكسر الخاء المعجمة مخفف النون هو الحبل الذي يخنق به، وأما فعله خنق بفتح نون الماضي وضمه من المستقبل خنقا، والله أعلم. وأما ﴿وَالمَوقُوذَةُ﴾ المضروبة لأن أصل الوقد شدة الضرب، يقال: وقدته العلة، أي: أضعفته. وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) في أبيها وقد النفاق، أي: أضعفه، وهو بفتح قاف الماضي وكسره من المستقبل، والله أعلم وأما التردية أصل التردي التهور والسقوط في مهواة أو بئر، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يُغنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾(٧٧)، أي: سقط في حفرة القبر، قيل: هلك، قيل: تردى في قعر جهنم، والله أعلم باعدل الأقاويل، وتردى بالرداء اذا التحق به، والله أعلم، وبه التوفيق. أما النطيحة المنطوحة فعيلة بمعنى مفعولة، لأن النطح معروف عند العرب، يقال: نطحه ينطحه نطحا وهو بفتح طاء الماضي وفتحه من المستقبل. والنطح أيضا منزل من منازل القمر وبرج الحمل، وليس في هذا جيم، والله أعلم.

(٧٣) كذا في الأصل، ولعل في الكلام سقطا .
(٧٤) كذا في الأصل، والمعنى غير بين .
(٧٥) سورة المائدة : ٣ .
(٧٦) سورة البقرة : ١٧٣ .
(٧٧) سورة الليل : ١١ .

رجعنا الى ذكر الآية التي أتينا بها من قبل، وهو قول الله عز وجل: ﴿مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ﴾(٧٨)، الفسق الذي أهل لغير الله مثل رفع الصوت في ذكر الأصنام أو غيرها، وكذلك لاتؤكل ذبيحة مسلم ولا غيره الا أن يكون يذكر اسم الله عليها.

وصفة الذبح أن يحد الشفرة لئلا يعذب خلق الله ثم يستقبل القبلة، ويذكر اسم الله بالتسمية والتهليل والتكبير، ولا يحرك الشفرة على المنحر، كقطع الأشياء، ولكن يجذب الشفرة ويرفعها، ثم كذلك الى أن يكمل، والله أعلم، ولا يذبح غيرها حتى يغسلها بالماء أو يتيممها بالتراب فهو أحسن اذا عدم الماء والله أعلم.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ﴾(٧٩)، هو عطف على ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾، وهي الذبائح التي ذبحت على الشرع، أو جميع الطيبات الحلال، والجوارح الكواسر من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، وغير ذلك من الطير كالبازي والصقر ونحوها مما تقبل التعليم، فيحل صيد جميعها بعد الذكر لله، ومعنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلمين اياه الصيد، والكلب مؤدب الجوارح ومضر بها بالصيد، مشتق من الكلب لأن التاديب يكون أكثر فيه وأثر، ولأن كل سبع يسمى كلبا، لقوله عليه السلام : «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك»(٨٠)، وانتصابه على الحال من ﴿عَلَّمتُم﴾ وفائدتها المبالغة في التعليم. وأما قوله تبارك وتعالى : ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾، من الحيل وطرق التاديب، فان العلم بها الهام من الله سبحانه وتعالى، أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى ، أو ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه ينزجرن بزجره، وينصرف بدعائه، ويمسك عليه الصيد، ولا ياكل منها ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم﴾، أراد أن الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها، وأخذت الصيد وقتلته، كان حلال اذا لم يتوار عن الراسل، وذكر اسم الله عند ارساله الجارحة لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعدي بن حاتم قال: «اذا أرسلت كلبك، وذكرت اسم الله عليه وأمسك، وقتل فكل، وان كان أكل فلا تاكل فانما أمسك لنفسه، وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها، ولم تكن مكلبات فلا تاكل، فان صدن شيئا فلا

(٧٨) سورة الأنعام : ١٢١ .
(٧٩) سورة المائدة : ٤ .
(٨٠) متفق عليه ، انظر نيل الأوطار ٨/ ١٥٢ .

تاكل من ذلك، فانك لاتدري أكلبك قتل أم غيره»(٨١)، وهذا كله اذا لم يتوار الكلب بالصيد، وأما اذا توارى فوجد الصيد معه مقتولا فلا يجوز أكله، والله أعلم.

فصل

واذا رمى رام طائرا فوجده في الماء مقتولا فلا ياكله لقول النبي ﷺ: «لا تدري سهمك قتله أم لا»(٨٢). وعندي، والله أعلم لأنني كثير الجهل، لأنه اذا رمى رام فتوارى عنه فوجده من بعد ميتا في غير الماء فلا ياكل لأنه لايدري أسقط على وجه الأرض حيا أم ميتا، والله أعلم. والكلب اذا قطع الصيد جزءين جاز أكله فيما قيل، وان قطع عضوا منه لم يجز أكل ذلك العضو، ذلك في الكلب المكلب، لقول النبي ﷺ : «ماقطع من البهيمة وهي حية فهو ميت»(٨٣)، واذا أرسل رجلان كلبيهما، وذكر اسم الله عليهما، فقتلا الصيد كان لهما جميعا، واذا أرسل الجارحة وذكر اسم الله عليها، أكل ما اصطادت من قليل أو كثير، هذا اذا كان ارساله عاما على الصيد، وذكره كذلك، وأما اذا خص بالذكر والارسال صيدا معينا فاتى الكلب غيره لم ياكل اذا قتله الكلب واذا كان غير مقتول يذكيه فهو حلال، والله أعلم.

فصل

ووجدت في جامع الشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي (رحمه الله) قال: وروي عن النبي ﷺ من طريق ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: «من حج من مكة ماشيا الى أن يرجع اليها كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»(٨٤). فمن قدر على المشي من منزله الى أن يفرغ من حجه كان ذلك جائزا، وكان أفضل له، ومن ركب من منزله ومشى من مكة حتى ينقضي حجه كان ذلك جائزا له، ومن ركب من أول حجه الى آخره كان جائزا له. ولاينبغي لمن يخاف البحر أن يمشي ويتكلف لما روي عن ابن عباس أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله ان أختي نذرت أن تحج ماشية»، فقال: «ان الله لايحب شقاءها تكفر عن يمينها وتحج

(٨١) متفق عليه ، انظر نيل الأوطار ٨/ ١٥٣ .
(٨٢) أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٩٥ .
(٨٣) لم أعثر على الحديث بنفس اللفظ ، ورواياته المتقاربة كثيرة، انظر موسوعة أطراف الحديث ١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠ .
(٨٤) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٦٢ .

راكبة»(٨٥). فاذا منع ﷺ من المشي من نذر به للاشفاق عليه لأجل الألم الذي يلحق به، كان من لم ينذر أحرى أن يدعه، وانما اخترنا المشي لمن اختار وقدر لتضعيف الثواب له، وقال أصحابنا: كفارة من نذر أن يمشي الى الحج ولم يقدر، أن يحج معه راكبا.

والمستحب لمن خرج أن يستصحب رجلا عفيفا ذا دين وحفاظ لحق الصحبة، ومكروه أن يسير أحد وحده للخبر الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يعلم أحدكم مافي الوحدة ماسار أحد بليل وحده»(٨٦)، فالواجب على من أراد الحج أن يتواضع بكلية جهده وأن يخلص لله في علانيته وسريرته وأن يصرف همته الى ماعند الله ويتجنب الرياء والسمعة والشحناء والعجب والحسد والبغض والمنازعة والمجادلة، وجميع المعاصي المحجورات والمكروهات، وأن يتاهب له وينفق ماقدر من ماله فرق وزلفى(٨٧) عند ربه.

فصل

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «المنفق في الحج كالمنفق في سبيل الله الدرهم بسبعمائة». ولا يفتر من الدعاء والذكر، وليكن همه في أداء فرائض الحج وسننه ومستحبه، ولا يخرج للتجارة ولا غيرها من الحوائج. ولقد وجدت أكثر أهل زماننا يسافر أحدهم من الحج فيحمل من التجارات مالايطيق، وقد أسهر ليله وقطع نهاره بوجود أحوال ربحه وغنمه من التجارات، ولم ينظر الى الفضل الذي أعده للحاجين والزائرين، فليعتبر العاقل ويترك التجارة الزائدة عند خروجه الى الحج الا ماكان يكفيه لزاده وكرائه وما يحتاج اليه، وليفهم شرح كتابي هذا، ولاينبذه وراء ظهره حسدا من نفسه، من بعد ماتبين له الحق، وليصلح خلله وغلطه لأن صاحبه قليل العلم، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): في رجل خرج من عمان مسافرا الى اليمن، ثم بدا له أن يحج فحج، أيكون هذا الحج مجزئا عنه اذا كان الحج

---

(٨٥) السياق يوحي بسقط في الكلام .

(٨٦) أخرجه أحمد بن حنبل: المسند ٢/ ١١٢ .

(٨٧) كذا في الأصل.

عليه فرضا أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان هذا يعجبني أن يجزيه ولكن يحسب كراءه من بلده الى اليمن ويشتري به غنما ليذبح في مكة ويفرق على الفقراء، والله أعلم.

قلت له: وفي الحاج بالأجرة أيجوز له أن يسير من بلده أم من بلد المحجوج عنه أم لا؟

قال : اذا كانت بلده في المسير الى مكة أبعد من بلد المحجوج عنه فجائز ذلك على بعض القول، وان كان بلده أقرب فعليه أن يرجع يخرج من بلد الموصي، وقد قيل: يخرج من بيته، ويستحب له أن يصلي ركعتين في منزل الموصي، والله أعلم.

قلت له : وان كان المحجوج عنه متخذا بلدين وطنا؟ من أي يكون سير الحاج بحجته؟

قال : يعجبني أن يخرج من بلده الذي مات فيه، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفي امرأة مرضت وأعطت زوجها مائتي لارية فقالت: لتحج عني اذا مت وهذه الدراهم أجرة لك، فقبلها الزوج ، ووعدها بذلك، ما القول اذا أراد أن يؤجر أجيرا ليحج عنها؟

قال : ان كانت أوصته ليحج عنها بنفسه، وعلى ذلك قبل لها، لم يكن له غنى أن يحجج غيره الا من عذر بين، لايقدر منه على الخروج، الى الحج.

قلت له: والحجة الوديعة كيف الحيلة ليتسحق الحاج دراهم الحجة اذا استأجره الوصي ليحج بها، واستأجر الأجير رجلا بدون الدراهم التي استأجره بها الوصي، أيكون له فضل الدراهم اذا أعانه من الزاد وغيره مما يتقوى به على أداء تلك الحجة أم كيف ذلك؟ وكيف لفظ الاجارة؟

قال : اذا استأجر الوصي رجلا أن يحج بها فليس له أن يستأجر غيره فيما عندي، وان استأجره على تاديته هذا الحجة عن الهالك فلان بن فلان الفلاني من المكان الى عرفة، وعلى أني فعل في هذه الحجة مايفعل الحاجون من لدن احرامها الى تمام مناسكها ووداعها بكذا وكذا، فاستأجر غيره باقل من ذلك، ففي ذلك اختلاف، قول: الفضل له، وقول: الفضل لورثة الهالك، وقيل: ان أعان الحاج بشيء من زاد أو نعال وما أشبه ذلك ان الفضل له، وهو أكثر

القول، والله أعلم.

قلت له: وما تفسير قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثنَا عَشَرَ شَهراً فِي كِتَابِ اللهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ مِنهَا أَربَعَةٌ حُرُمٌ﴾(٨٨)، ما هذه الأربعة الأشهر؟

قال : ماسمعته من الأثر أن الأربعة الحرم، قول : أنها رجب وشوال وذو القعدة والمحرم، وقول: أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ويعجبني هذا القول الأخير ، والله أعلم.

قلت له: وفيمن لزمه حج الى بيت الله الحرام، في شهر شوال، ثم أنفذ(٨٩) ماعليه في أول شهر الحج، أيكون الحج قد لزمه، ويكون عليه بمنزلة الدين أم لا؟

قال : على ماسمعته من آثار المسلمين في هذه المسألة، ربما هي مشهورة عند أكثر الناس، أن المسلم الحر البالغ العاقل الصحيح اذا ملك مالا يبلغه(٩٠) الى حج بيت الله الحرام من غلة ماله أو ذهب أو فضة أو عروض مستغن عنها، أو بيع لايضره بيعه، وذلك اذا بقي معه ما يكفيه وعياله من غلة مابقي ولا يضيع، لزمه الحج، وعندي أنه لو ملك في أول يوم من شوال ثم أذهبه في غير الحج لزمه الحج وصار عليه دينا، والله أعلم.

ومن جوابه (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي صالح بن سعيد المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): وفي من أخذ حجين عنوتين(٩١)، فحج بهما جميعا، فلما أراد الوفاء من الدين(٩٢) استأجره، أنكر(٩٣) عليه أخذه من الحجتين العنوتين، أله حجة في ذلك أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق الى طريق الحق والصواب: كانا(٩٤) استأجراه على علم منهما أن يسير بهذه(٩٥) الحجتين، ويقف بهما وقفة واحدة عن فلان وفلان، ويطوف بهما طوافا واحدا، ويفعل في تلك (٩٦) الحجتين ما يفعله

---

(٨٨) سورة التوبة : ٣٦ .
(٨٩) لعله : نفذ أو انفق ، هلك .
(٩٠) الصواب : مايبلغه .
(٩١) عنوتين : المراد هنا عن شخصين مختلفين .
(٩٢) الصواب : من الذي.
(٩٣) الصواب : اللذين استأجراه أنكرا.
(٩٤) الصواب : ان كانا.
(٩٥) الصواب : بهاتين .
(٩٦) الأفصح : تينك.

الحاجون(٩٧) عنهما، فلا تبطل عندي أجرته على هذه الصفة، وان كان اتجر هذا المؤتجر أن يعني بحجته وحدها، وعلم أنه أخذ حجة غيرها فظن أنه يسير بها سنة ثانية، فسار هذا بالحجتين جميعا، وحج بهما حجة واحدة في سنة واحدة، لم يكن له عندي على هذه الصفة أجرة لأنه خالف ما استؤجر عليه، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان السمدي النزوي (رحمه الله)، الى الوالي الموالي عامر بن محمد بن مسعود المعمري السعالي (رحمه الله): في الحاج اذا وقف بعرفات وهو سكران أيتم حجه أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : ان في هذه المسالة اختلافا، فقال من قال من المسلمين: أن حجه غير تام، وقال من قال: تام، وساشرح هذه المسالة من آثار المسلمين، وهي هذه بعينها ، من الأثر.

فصل

قال أبو المؤثر : اذا وقف واقف بعرفات وهو سكران لايعقل، فان لم يصح من سكره، فيعلم مايقول حتى تغيب الشمس فلا حج له، وعليه الحج من قابل، ويقضي من قابل مابقي عليه من مناسك الحج، وليحج من قابل ومن غيره، قال: وقد قيل: ان حجه تام لأنه لايجيز طلاقه وعتاقه وتثبت عليه الحدود، فهذا ماحفظته من أثر المسلمين (رحمهم الله).

قلت له : ومن استؤجر عن هالك فلما خرج الى بعض الطريق، نسي اسم من استؤجر أن يحج عنه، فاحرم بحجة عن ما استؤجر عنه، أيجب له عناء أم لا؟

قال : لايجب له عناء، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، الى الشيخ سعيد بن عامر بن بلحسن المعمري السعالي النزوي (رحمه الله): ومن ملك مالا في غير أشهر الحج وهو غير متزوج، فان تزوج به ترك الحجة، وان حج قعد غير متزوج، مايبدأ بالتزويج أم بالحج؟

الجواب: جاء الأثر من ملك مالا في أشهر الحج بقدر مايلزمه الحج لزمه

(٩٧) لعل الصواب : المحجوج عنهما .

الحج، الا أني حفظت مسألة من جامع ابن جعفر يرفع عن الربيع أنه اذا خاف على نفسه العنت أن له أن يتزوج، وأنا يعجبني أن يوصي بالحجة، والله أعلم.

فصل

ومن جوابه (رحمه الله)، وسألته عن لفظ عقد الحجة، فكان جوابه (رحمه الله): أما ماسالتني عن لفظ عقد الحجة، فإنه يقول الوصي أو غيره للأجير: بسم الله الرحمن الرحيم نشهد عليك يافلان بن فلان بانك قد أجرت نفسك أن تحج عن الهالك فلان بن فلان حجة الاسلام الى بيت الله الحرام، على أن تحرم من الميقات، وتقف بعرفات، وترمي الجمار، وتطوف بالبيت، وتسعى بين الصفا والمروة، وتزور البيت يوم النحر، وتفعل في هذه الحجة مايفعله الحاجون من فريضة وسنة من لدن احرامها الى تمام مناسكها ووداعها، وأن تزور قبر النبي محمد ﷺ الذي بمدينة يثرب، وتسلم على صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وأن تفعل في هذه الزيارةمايفعله الزائرون بكذا وكذا لارية فضة، فاذا قال: نعم. ثبت ذلك، فهذا، والله أعلم.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه قاضي المسلمين خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي (رحمه الله)، الى الشيخ الوالي الموالي أبي محمد عبدالله بن محمد بن علي المحمودي المنحي (رحمه الله): وفي من خرج حاجا الى بيت الله الحرام، ودخل مكة الشريفة معتمرا، في شهر رمضان، أو غيره، وأحل من احرامه، وسار الى مدينة يثرب زائرا قبر نبيه محمد ﷺ، فقعد في المدينة ماقعد، فوصف له في وادي الشريف رخص السعر، فأراد أن يخرج الى وادي الشريف في أول شهر شوال أو آخره، أو في شهر ذي القعدة، الا أنه بعد في فسحةعن الحج، هل يجوز أن يجاوز الميقات بغير احرام، لأن قصده أن يمكث في وادي الشريف، وهو مسير يوم عن مكة، فقعد الى يوم سادس أو سابع من شهر ذي الحجة، أيحرم من وادي الشريف أو من العمرة، أم لايجاوز الميقات الا محرما بحجة أو عمرة؟

الجواب وبالله التوفيق : ان كل من خرج من الحرم وجاوز شيئا من المواقيت، وأراد الرجوع الى مكة بحج أو عمرة، وقد جاوز فرسخين من مكة

فلا يجاوز المواقيت الامحرما، وان جاوز المواقيت بلا احرام فان كان يريد الاحرام، ويمكنه الرجوع الى المواقيت فانه يرجع الى موضع من المواقيت، أو مايحاذيها من المواضع، ويحرم من هناك، فان خاف فوت الحج أحرم من موضعه الذي هو فيه بالحج وحجه تام، وعليه دم. وكل من أحرم بعمرة أو حج وعمرة أو حج في غير أشهر الحج فان كان أحرم بعمرة ودخل مكة وطاف بالبيت وركع وسعى بين الصفا والمروة قبل دخول أشهر الحج فلا هدي عليه، ويحرم للحج ان أقام بمكة، اذا كان يوم ثامن من شهر الحج. فان خرج من مكة وجاوز الحرم، فاذا أراد دخول مكة حاجاً أو معتمرا، أحرم من الميقات، ولايجاوز المواقيت الا محرما. وان أحرم بحجة في غير أشهر الحج فله أن يحولها عمرة ويطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويحل من احرامه. وان أحرم بحجة في أشهر الحج، وأراد أن يحل من احرامه ويتمتع فله ذلك، وعليه هدي المتعة، ويحرم بالحج عند خروج أهل مكة للحج. وان قرن حجا وعمرة، في أشهر الحج، قضى عمرته، وأقام على احرامه بالحج، ولاشيء عليه، وان أراد أن يتمتع ويحل من احرامه، فعليه الهدي، وله ذلك، والله أعلم.

فصل

ومنه اليه (رحمهما الله): وفيمن أهل بعمرة في أشهر الحج، ودخل مكة وطاف وسعى وأحل من احرامه، ثم خرج زائرا قبر النبي ﷺ، ثم خرج من المدينة راجعا فأهل بعمرة، ودخل مكة وطاف وسعى وأحل من احرامه، هل تلزمه عمرتان، ويجب عليه دمان على هذه الصفة أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق : انه اذا أهل بعمرة من المواقيت ولم يهل بالحج، في أشهر الحج، فيكره له ذلك، ولكن اذا خرج الى أهله بعد قضاء عمرته، ورجع، حج من سنته فلا دم عليه، وان أقام بمكة الى أن يحج فعليه هدي المتعة، فعلى هذا المعنى، اذا اعتمر مرتين في أشهر الحج فارجو أن عليه لكل احلال من عمرة دما، هذا اذا إعتمر في أشهر الحج. وان اعتمر في غير أشهر الحج فارجو أن ليس عليه الا تمام عمرته، والله أعلم. ولايجب على المعتمر هدي المتعة الا اذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج، ويحل من احرامه في أشهر الحج، أو أحرم بالحج في عامة ذلك، ولم يرجع الى بلده أو مثله في البعد قبل الحج، ويكون من غير أهل حاضري المسجد الحرام، والله أعلم.

فصـــل

ومن جـواب الشـيخ الفـقيه العالم النزيه سعيد بن أحمد بن مبارك بن سليمان الكندي السمدي النزوي (رحمه الله)، وسالته (رحمه الله): عن الحاج اذا وقف بعـرفـة مع الواقفين، ثم صح أن تلك(٩٨) اليـوم غير عرفة. أيجزيه وقـوفـه في ذلك اليوم مع الناس أم لا؟ وعرفني في الصحة(٩٩) التي عليه أن يقبلها بعد وقوفه؟

الجـواب وبالله التـوفـيق: اذا كـان وقوفه هذا بعد صحة الشهر التي لا يـرتـاب فـيـهـا ويجب العـمل بها في حكم المسلمين، وعـمل بها، ووقف بعـد صـحـتـها، ولم يصح في تلك البلدة مما ينقضها، فحجه تام له، ولو صح من بعـد في غير تلك البلد أن يوم الحج معهم غير ذلك اليوم لأن لكل قوم هلالهم. وأمـا ان كـان وقـوفـه هذا بقـول أحـد الجـبـابرة المعـروفين بتـقديم الأهلة وتاخيرها، ولم يصح مـعـه بالشـهـرة من المخبرين، ولابشـهـادتي عـدل ولا بمـعـاينتـه بنفسه، فلايجوز الأخذ بقوله، والوقوف بعرفة بقوله، وعليه أن يقف بعـدمـا صح الهلال مـعـه، ولو خاف على نفسه منه التقية، فان لم يقف بعد الصحة فلا حج له، والله أعلم.

فصـــل

قلت له : ومـا يقول سيدي في ذبيحة السارق والغاصب، حرام كلاهما أو أحـدهما ويـكـونان حـرامـا على الغـاصب والسـارق ورب الدابة وغيرهما أم عليهما وحدهما؟

الجـواب وبالله التـوفـيق : نحن نعـمل بقول من قال ان ذبيحة السارق والغـاصب حـرام عليهما وغيرهما، والله أعلم. وأما قولك انك وجدت في كتاب أن الشـاة اذا ذبحت بسكين مـغـصـوبة أن الذبيـحة تحرم، أهو كذلك أم لا؟ فنحن نعمل بقول من قال: لاتحرم.

قلت له: وفي ذبائح اليهود والنصارى أيجوز أكل ذبائحهم أم لا؟

قـال: اذا كانوا سلما للمسلمين، وذكروا الله عند ذبحهم الدابة، على ماجاء في كـتـاب الله عـز وجل، فـيـجوز أكل ذبائحهم والله أعلم. وأما سائر طعامهم فـمختلف فيه، فبعض نجسه اذا كان من الرطوبات، وبعض أمر بالتنزه عنه لأمر الصلاة ولم ينجسه للأكل، والله أعلم.

---

(٩٨) الأنصح : ذلك .

(٩٩) لعله : بالصحة، أي : البينة .

قال المؤلف: هذا اذا كانوا يذبحونه من ا لمحللات، وأما غير ذلك فلا، لأنه بلغنا يذبحون الخنازير والكلاب وغير ذلك من المحرمات للأكل، فلا يجوز أكل الخنازير بنص الكتاب، والله أعلم.

فصل

من تاليف الشيخ الفقيه العالم النزيه الزاهد درويش بن جمعة الأدمي (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١٠٠) ، وفرائض الحج التي لايتم الا بها بالاجماع عليها من المسلمين، بلا اختلاف فيها، مع مادلت عليه السنة وناطق الكتاب، أولها الاحرام والوقوف بعرفات وزيارة البيت الحرام يوم النحر، بعد الذبح، فهذه فرائض متفق عليها ، فمن فاته خصلة منها فلا حج له، وان أفسدها بما يفسد به الحج فسد حجه، وهي قواعد الحج التي يخرج بها مسائل الحج، في كل مايلزم من الاحرام من أحدث فيه. وأما العمرة فقد قال من قال: انها فريضة. وقال من قال : هي من شروط الحج، وهي في أشهر الحج متعة، من اعتمر في أشهر الحج كان متمتعا، وان كانت في غير أشهر الحج كانت تامة. والاحرام فيها واجب كالاحرام في الحج، والطواف بالبيت والسعي، والاحلال والحلق، والتلبية في الاحرام سنة، والنية فرض من الأعمال كلها من فرائض الحج. فالنية واجبة، والطواف للزيارة بالبيت فرض، والتسبيح والتكبير الذي يقال في الطواف سنة، والدعاء مستحب، والوقوف بعرفات الى الليل فرض، والدعاء فيه سنة واجماع، وهو شيء غير محدود، والافاضة من عرفات بعد غروب الشمس سنة، فمن أفاض قبل الغروب لم يتم حجه، لأن الوقوف الى الليل فرض، والافاضة سنة. والوقوف عند المشعر الحرام سنة، والذكر عند المشعر الحرام سنة. وقال قوم : فرض. والافاضة قبل طلوع الشمس عند المشعر الحرام سنة ومن تخلف حتى تطلع الشمس لزمه الجزاء دما. ورمي الجمار سنة، ومن لم يرم جمرة العقبة يوم النحر لزمه دم، والذبح سنة، والحلق سنة، ومن حلق قبل الذبح لزمه دم، ومن حلق قبل أن يرمي جمرة العقبة لزمه دم، لأن كل من حلق قبل أن يحل من احرامه لزمه دم لحلقه حتى يرمي جمرة العقبة ثم يذبح ويحلق ثم يحل ثم يزدار ،يؤمر بتعجيل الزيارة يوم

(١٠٠) سورة آل عمران : ٩٧ .

النحر للفريضة، وان أخر ذلك لم يلزمه شيء اذا ازدار. فاذا ذبح وحلق فقد أحل من احرامه، وحل له الحلال الا النساء والصيد حتى يزور البيت، ومن جامع في الحج وهو محرم فسد حجه، واذا ازدار وطاف بالبيت وركع خرج وسعى بين الصفا والمروة. والسعي بين الصفا والمروة سنة، والدعاء على الصفا والمروة يستحب. ومن ترك السعي لزمه دم. ومن لم يزر ووطيء النساء فسد حجه ولا حج له، والدعاء سنة، والوداع سنة، فمن لم يودع لزمه الجزاء دم، ومن بات بمكة ليالي منى بعد الزيارة لزمه دم، في كل ليلة دم. اذا بات ليلة فعليه الجزاء. و﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾(١٠١)، فمن أحرم فيهن بالحج ﴿فَلاَ رَفَثَ﴾ وهو الجماع، فان جامع فسد حجه. ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾ والفسوق معصية الله. فمن عصا الله في الحج بما يلزمه الجزاء لزمه. ومن عصاه وفسق بشيء يلزم فيه فساد الحج مثل الجماع فسد حجه. ﴿وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ وهو الخصام، فمن خاصم وجادل بالباطل فعليه الجزاء طعم(١٠٢) مسكين وكل مايلزم فيه الجزاء ، فما كان في فرض الاحرام لانه فرض يجب فيه الاحرام الحج(١٠٣). والمحرم لايمس الطيب ولا يتطيب بدهن ولا غيره مما فيه عرف طيب، وان فعل لزمه الجزاء في ذلك دم، ولايلبس قميصا ولا عمامة ولا كمة ولايغطي رأسه، ولايعقد على نفسه عقد الخيط ولا بثوب، فان فعل شيئا من ذلك لزمه الجزاء دم، ومن لم يحرم من الميقات حتى يجاوزه، أحرم من حيث ذكر أو من الحرم، ولزمه لترك الاحرام من الميقات دم، وان غطى المحرم رأسه لزمه دم، وان حلق دم، وان قص دم وان قطع يوما ظفرا لزمه اطعام مسكين، وفي الظفرين مسكينان، وفي ثلاثة أظفار دم. وان اصطاد أو أكل لحم صيد أو قتل صيدا في الحرم، لزمه لكل شيء من ذلك جزاء اذا فعل. وان غطى رأسه خطأ، أو لبس خطأ، خلع ذلك وبنى، وان دام لزمه دم، على الخطاء دم، وان جاء المحرم عدو ولبس آلة الحرب وفدي بدم، وان لبس القبا لزمه دم، وفي لبس الحريردم، وفي لبس الحلي دم الا الخاتم، وان قطع نفسه لزمه دم، وان قطع فادمى لزمه دم، وان قطع فادمي ففي الدم دم، وان نتف شعرة فمسكين، وفي اثنتين فمسكينان، وفي ثلاثة شعرات الى ما أكثر دم،

---

(١٠١) سورة البقرة : ١٩٧ .
(١٠٢) لعله : طعام أو اطعام .
(١٠٣) كذا العبارة في الاصل .

وان ترك الهرولة بين الصفا والمروة لزمه دم، وان قطع شيئا من شجر الحرم لزمه الجزاء بما يحكم به الحكمان من ذلك جزاء مثل ذلك، وبما يحكمان عليه قيمة من ذلك. وان قتل شيئا من الصيد حكم عليه ذوا عدل جزاء مثل ماقتل من النعم، يحكم عليه بقيمة مثله، قل أو أكثر مايرى الحكمان، وأكثره بدنه، وأقله اطعام مسكين، هذا في الشجر والصيد، وكل من قتل شيئا في الحرم فعليه الجزاء الا الفارة والحداة والغراب والكلب العقور والحية والعقرب ، فان هؤلاء لا جزاء على من قتلهن في الحرم، ويقتل كل مؤذ لأنها مضرات، وفي الجرادة حكومة، وقيل تمرة، وفي الذرة لقمة أو قبضة من طعام، وفي القملة حبة أو تمرة، ومن أطعم عنها فهو خير منها، وفي الرخمة دانقان، وفي الضب صاع، وفي الضبع كبش، وفي الأرنب سخلة، وفي الظبي شاة، وفي الحمامة شاة، وفي البقرة بقرة، وفي الحمار جزور، وفي النعامة بقرة أو جزور، وفي بيضة النعامة نصف درهم، وفي ولد النعامة ولد جزور مثله، وفي ولد الحمار ولد جزور مثله، وفي بيضة الحمامة نصف درهم، وذلك كله يرجع الى الحكومة، وفي الجزلة من الشجر شاة، وفي الدوحة جزور، وفي العود درعه، وفي القضيب الصغير نصف درهم، وفي الورقة طعم مسكين، وهذا في الشجر حكومة، وانما هذا الى حكومة العدلين، وجائز للمحرم أن يحرم بهميان دراهمه في حقويه ويحرز ماله لا يضيع. والمتمتع اذا لم يجد هديا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع تلك عشرة كاملة، ثلاثا في السفر وسبعة بعد رجوعه. والأيام المعدودات هن أيام التشريق، والأيام المعلومات هن أيضا في العشر: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق، لأن ذلك مطلوب أن ﴿وَيَذْكُرُواْ اسمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَارَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾(١٠٤) فهي على الذبح، والمعدودات أيام الجمار في منى، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَومَينِ فَلَا إِثمَ عَلَيهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثمَ عَلَيهِ لِمُنِ اتَّقَى﴾(١٠٥). والحائض والجنب هما على احرامهما ولاينتقض. ويلبس (١٠٦) المحرم ثوب الدنس، وتستبدل بثياب غيرها. والحائض تفعل كما يفعل الحاج الا الطواف بالبيت حتى تطهر، ثم تطوف طوافا واحدا لحجها وعمرتها، يجزيها ذلك، وفي بعض الحديث أنه من طاف بالبيت من المحرمين فقط أحل من احرامه. والمحصور

(١٠٤) سورة الحج : ٢٨ .
(١٠٥) سورة البقرة : ٢٠٣ .
(١٠٦) لعله : لا يلبس .

اذا لم يصل الحج، بعث بالهدي، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾(١٠٧)، وينحر عنه، ثم يحل هو من احرامه ويحج من قابل، ومن كان ﴿بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ فحلق ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ والصيام: الى ثلاثة أيام أو ستة أيام، والصدقة: طعم ستة الى عشرة، والنسك: شاة . ومن كان به هوام يؤذيه في رأسه، فحلق وفدى ذلك كما قلنا، ومسائل الحج أكثر من هذا، فاختصرنا هذا.

ما الدلالة في الحج

الحمد لله الذي فرض الفرائض، وعظم فريضة الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١٠٨)، فاذا أردت الحج فكفر أيمانك، وأوف بنذرك، واقض دينك، وتخلص من تبايعك، وصل أرحامك، واعتب على من وجد عليك من جيرانك واخوانك، ووسع من زادك ليتسع خلقك، فاذ أوقفت راحلتك وأردت الخروج فصل ركعتين في منزلك، وقل: اللهم افترضت الحج وأمرت به فاجعلني ممن استجاب لك واجعلني من وفدك الذين رضين وارتضيت وكننت وسميت، فاذا أردت أن تركب راحلتك فسلم على أهلك وودعهم وأظهر لهم الشفقة، فاذا ركبت فقل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد، اللهم أصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا بحسن صنعك، وقل: اللهم أنت معي في سفري، وأنت معي في أهلي، وأنت مع خلقك أينما كانوا، فاحفظني في سفري، واخلفني في أهلي. فاذا سرت فقل: الحمد لله الذي هدنا للاسلام وعلمنا القرآن ومن علينا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فاذا ركبت فقل: الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(١٠٩)، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١١٠). فاذا صعدت شرفا فكبر، واذا هبطت فسبح، وقال قوم: فاذا هبطت فاحمد الله، واذا نزلت منزلا فقل: الحمد لله الذي بلغنا سالمين، ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(١١١)، اللهم ارزقنا بركة منزلنا هذا

---

(١٠٧) سورة البقرة : ١٩٦ (١٠٨) سورة آل عمران : ٩٧ .
(١٠٩) سورة الزخرف : ١٣ ـ ١٤ .
(١١٠) سورة الأنعام : ٤٥ ، سورة الصافات : ١٨٢ .
(١١١) سورة المؤمنون : ٢٩ .

واصرف عنا شره وبأسه ووباءه، فاذا أقدمتنا من منزل الى منزل فابدلنا ما هو خير منه، ولتحسن خلقك من(١١٢) رفيقك، ووسع من زادك ماقدرت عليه ليتسع خلقك، وان أنت استطعت أن تودع المنزل بركعتين فافعل، فاذا أتيت المواقيت التي وقتها رسول الله ﷺ وهي : الحليفة لأهل المدينة. وملم(١١٣) لأهل اليمن. والجحفة لأهل الشام، وقرن لأهل نجد، وذات عرق لأهل العراق. فاذا بلغت الى أحد هذه المواقيت وأردت أن تحرم فادهن بدهن لا طيب فيه من حل أو زيت وما أشبهه ثم اغتسل بسدر أو خطمي، ان أمكن ذلك والا أجزاك الوضوء، ثم تلبس ثوبي احرامك ثوبين جديدين لم يكونا لبسا أو غسيلين، مذ غسلا لم يلبسا مستحب ذلك والا أجزاك الاحرام بثيابك التي عليك، ثم تصلي ركعتين ان لم تكن حضرت صلاة مكتوبة، فاذا سلمت وأردت الاحرام، ان أردت أن تحرم بعمرة فقل بعد أن تسلم من صلاتك وتعقد النية على ماتريد أن تعقد عليه الاحرام، فتقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، لبيك بعمرة تمامها وبلاغها عليك، تقول ذلك في مقامك ثلاث مرات، ثم تقوم فتركب راحلتك وأنت تلبي، فاذا سارت بك راحلتك فقل كما وصفت لك في أول مرة من التحميد والتكبير والثناء على الله تعالى، وتقول: ﴿سُبحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَاكُنَّا لَهُ مُقرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، وأنت مع ذلك تلبي، وتلبي بالأسحار، وتلبي اذا طلع الفجر، وتلبي وأنت على غير وضوء، وقيل: تلبي وأنت جنب، واجتنب في احرامك غشيان النساء والحلي ولبس الحرير ولبس الثياب المصبوغة بالورس والزعفران، والمشبع بالشوران(١١٤) غير الملون، واجتنب الطيب، ولا تلبس في احرامك سراويل، ولا قميصا، ولا عمامة، ولا كمة، ولا الخفين، ولابأس بالنعلين، ولا يلبس شيئا ينزع عنه اذا مات، ويكره لبس الخاتم، وبعض لم ير بالخاتم باسا، وان لبست شيئا من ذلك لزمك الجزاء، واجتنب الصيد ولا تصطد وأنت محرم، فان ذلك حرام على المحرمين، ولا تاكل لحم صيد، ولا تقطع شيئا من شجر الحرم، ولا تقطع التلبية حتى تقدم مكة، فاذا قدمت مكة، ووقفت على باب المسجد، ونظرت الى باب الكعبة أمسكت عن التلبية بعد أن تنظر لنفسك موضعا تنزل فيه، فاذا نزلت منزلك وأردت

(١١٢) لعل الصواب : مع .
(١١٣) الصواب : يلملم.
(١١٤) الشوران : العصفر وهو صبغ ونبت يهريء اللحم الغليظ.

البيت فاغتسل ان أمكنك ذلك والا أجزاك الوضوء، فاذا أتيت بالبيت، ونظرت الى الكعبة، فقل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم زد بيتك هذا شرفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من عظمه وشرفه وكرمه ممن حجه واعتمره تكريما وايمانا وبرا من عبادك الصالحين. فاذا وقفت على الباب وأردت الدخول، فقل: اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام فحينا بالسلام وأدخلنا دار السلام . فاذا قصدت ماضيا الى البيت، وأنت تمشي، فقل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم ان البلد بلدك، والبيت بيتك، حيث أطلب رضاك، واتمام طاعتك، متبعا لأمرك راضيا بقدرك، أسالك مسالة البائس الفقير، وأدعوك دعاء الخائف المستجير، المضطر اليك، المستسلم لأمرك، الخائف من عذابك، المشفق من عقوبتك، أن تستقبلني بعظيم عفوك، وأن تجود لي بمغفرتك، وأن تعينني على أداء فرائضك، ثم تحمد الله وتهلله وتسبحه وتكبره وتسلم على محمد ﷺ، وتستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، فاذا أتيت الحجر فقل: اللهم كثرت ذنوبي، وضعف عملي، فاغفر لي ذنوبي، وتقبل توتبي، وأقلني عثرتي، وتجاوز عن خطيئتي، وحط من أزري، فاذا أتيت الحجر لتستلمه فقل: اللهم اليك بسطت يدي، وفيما عندك عظمت رغبتي، فاجعل جائزتي فكاك رقبتي، وأسعدني في دنياي وآخرتي، ثم قف حيال الحجر، ثم تحمد الله وتهلله وتسبحه وتكثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله عليه وسلم، وتستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. ثم تأخذ في الطواف، فاذا أردت الطواف فبدء بركن الحجر واجعله على يسارك قليلا بقدر مالا ترى الباب، ثم تأخذ في الطواف جاعلاً البيت عن يسارك ثم تقول عند ركن الحجر: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم اني أسالك ايمانا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك، واقرارا بربوبيتك، واتباعاً لسنتك، وسنة نبيك محمد ﷺ. ثم تمشي في الطواف وأنت تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله أكبر، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما، فاذا قصدت الباب فقل : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وقنا شح أنفسنا واجعلنا من المفلحين، ثم تمشي وأنت تقول: سبحان الله ، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله أكبر، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم. ولاتدخل الحجر في شيء من طوافك. فاذا قاصدت (١١٥) الميزاب فقل: الله أكبر ،

(١١٥) الصواب : قصدت .

الله أكبر، الله أكبر، اللهم اني أسالك الراحة عند الموت، والعفو والتيسير عند الحساب، والجواز على الصراط، والنجاة من العذاب، ثم تمشي وأنت تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، رب اغفر لي ذنوبي وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب، فاذا أتيت الى الركن اليماني فقل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر، وموقف الخزي في الدنيا والآخرة، اللهم ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١١٦)، واستسلم الركن اليماني ان قدرت على ذلك، والا فكبر حياله، ولا تؤذ أحدا. ثم تمشي وأنت تقول: سبحان الله، والحمد الله، ولا اله الا الله، ولله الحمد، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم. فاذا وصلت الى ركن الحجر فاستسلم، والا فكبر حياله ولا تؤذ أحدا، ثم تقول عند ركن الحجر: الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر، اللهم اني أسالك ايمانا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك، واقرارا بربوبيتك، واتباعا لسنتك، وسنة نبيك محمد ﷺ. فافعل ذلك سبع تطويفات، فاذا أتممت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر خرجت من الطواف، فات زمزم واشرب من مائها وصب على رأسك وقل: اللهم اني أسالك ايمانا تاما، ويقينا ثابتا، ودينا قيما، وقلبا خاشعا، وعملا صالحا، وعلما نافعا، ورزقا واسعا حلالا، وشفاء من كل داء. ثم صل ركعتين خلف مقام ابراهيم عليه السلام، أو حيث ما أمكنك من المسجد. فاذا قضيت ركعتين فات ركن الحجر وقم حياله واحمد الله وهلله وكبره واثن عليه وصلي على محمد ﷺ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، وتسأله حوائجك لدنياك وآخرتك ولا تطل وقل: هذا مقام العائذين بك من النار، فحرم لحمي على النار، وامض من باب الصفا وهو من بين الأسطوانتين المذهبتين، وقل: اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، فاذا أتيت الصفا فاصعد عليها بقدر ماتقابل الكعبة ولا تعل عليها، وقال قوم: مقدار خمس درجات، ثم قل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا اله الا الله، والله أكبر كبيرا، لا اله الا الله، والله أكبر تكبيرا، والحمد لله حمدا كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا اله الا الله، والله أكبر، والحمد لله على ماهدانا وأولانا، والحمد لله على ما أعطانا، لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت ، وهو حي لايموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، لا اله الا الله،

(١١٦) سورة البقرة : ٢٠١.

ولانعبد الا اياه، لا اله الا الله الها واحدا ونحن له مسلمون، لا اله الا الله الها واحدا ونحن له عابدون، لا اله الا الله الها واحد ونحن له مخلصون، لا اله الا الله الها واحدا فردا صمدا أبديا مبدعا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، لا اله الا الله أهل التهليل والتكبير والتحميد والثناء الحسن المجيد، لا اله الا الله ربنا ورب آبائنا الأولين، لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون، لا اله الا الله وحده صدق وعده، ووفى عهده، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده. ثم تصلي على محمد النبي وآله وتسلم وتستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم تقول: اللهم استعملنا بسنة نبينا محمدا، وتوفنا على ملته، وأعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. تقول ذلك ثلاثة مرات، ثم تنحدر من الصفا منحدرا الى المروة، تمشي وأنت تقول: اللهم أجعل هذا المشي كفارة لكل مشي كرهته مني، فاذا أتيت العلم هرولت بين العلمين وأنت تقول: رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، واهدني الصراط الأقوم، انك أنت الأعز والأكرم، وأنت الرب وأنت الحكم، اللهم نجنا من النار سراعا سالمين، ولاتخزنا يوم الدين، فاذا أتيت العلم الذي يلي المروة وأمسكت عن الهرولة، ومشيت الى المروة ، فاصعد عليها بقدر مايقابل الكعبة، تدعو بدعائك على الصفا والمروة ثلاث مرات في كل شوط وتقول على الصفا ثلاثة مرات ذلك الدعاء. فاذا أتممت سبعة أشواط من الصفا الى المروة، وتبدأ بالصفا وتختم بالمروة، فاذا انحدرت من المروة وحلقت رأسك فقد أحللت من عمرتك، وحل لك الحلال كله الا الصيد في الحرم فانه حرام على المحلين والمحرمين. فاذا كان يوم التروية وأردت الاحرام بالحج فادهن رأسك بدهن لا طيب فيه ثم اغتسل ان أمكنك ذلك والا أجزاك الوضوء ثم ألبس ثوبي احرامك ثم ائت البيت فطف به سبعة أشواط، فاذا أتممت سبعة أشواط فصل ركعتين لطوافك، فاذا أردت الخروج من المسجد للحج فصل ركعتين لاحرامك، وأكثر الفقهاء يقولون: أحرم من المسجد الذي يقال له مسجد الجن، ويقال له: مسجد الحرس، فصل ركعتين، أيما فعلت فجائز، ثم تقول بعدما تسلم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لك وحدك، لا شريك لك لبيك، لبيك بحجة تمامها وبلاغها عليك، تقول ذلك ثلاثة مرات، ثم تقوم من مجلسك متجاوزا الى منى، وأنت تقول: اللهم اليك قصدت ، واياك أردت،

فاعطني سؤلي، ويسر لي أمري، فاذا أتيت الى منى فقل: اللهم هذه منى وهي مما دللت عليه من المناسك، فامنن علي فيها وفي غيرها بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك، وصل فيها خمس صلوات، صلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء الآخرة، وصلاة الغداة، ثم امض الى عرفات، فاذا بلغت الى محسر فقف حتى تطلع الشمس، ولا تجاوز من منى الا بعد طلوع الشمس. فاذا طلعت الشمس فامض الى عرفات وأنت مع ذلك تلبي ولا تقطع التلبية. اذا أتيت الى عرفات فانزل بها وقل: اللهم هذه عرفات فاجمع لي فيها جوامع الخير كله، واصرف عني فيها جوامع الشر كله، وعرفني فيها ماعرفت أولياءك وأهل طاعتك، وتقعد فيها وتنزل بها، فاذا زالت الشمس فاغتسل بالماء، ان أمكنك ذلك فانه يستحب، والا أجزاك الوضوء. ثم تصلي صلاة الظهر والعصر مع الامام ان أمكن ذلك، تضم خلف الامام أو عن يمينه، فاذا قضيت الصلاة فقف مع الناس فادع بما فتح الله لك، واجتهد في الدعاء والمسألة، وادع مثل دعائك على الصفا والمروة، وأكثر من قول: لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، وتسأله حوائجك كلها، وأكثر من المسألة والدعاء حتى تغرب الشمس، ويجب الافطار، ثم امض من عرفات الى المشعر الحرام وأنت تقول: اللهم اليك أفضت، واياك قصدت، وفيما عندك أردت(١١٧)، ومن عذابك أشفقت، فاغفر لي ذنوبي، وتقبل توبتي، انك أنت التواب الرحيم، فاذا أتيت جمع، فقل: اللهم هذه جمع فاجمع جوامع الخير كله، واصرف عني فيها جوامع الشر كله، وعرفني فيها ماعرفت أوليائك وأهل طاعتك، وأنزل بها وبت مع الناس وهيىء منها سبعين حصاة مثل حصى الحذف وتغسله، فاذا طلع الفجر فصل ركعتين بغلس، ثم قف عند المشعر الحرام وادع مثل دعائك على الصفا والمروة، واحمد الله واثن عليه، وصل على محمد النبي وآله وسلم، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. ثم أفض من جمع قبل طلوع الشمس الى منى، وأنت في ذلك تلبي، ولا تقطع التلبية حتى تاتي جمرة العقبة، فاذا أتيت جمرة العقبة أمسكت عن التلبية، وائت الجمرة من بطن الوادي وقل: اللهم اهدني للهدى ووفقني للتقوى وعافني في الآخرة والاولى، وتايتها من بطن الوادي ثم ترميها بسبع

(١١٧) الصواب : رغبت .

حصيات، تكبر مع كل حصاة تكبيرة، وتقول مع كل حصاة: الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر، وفي آخر حصاة تقول: ولله الحمد، فاذا فرغت من رميها فقل: اللهم هذه حصياتي، وأنت أحصى لي لها مني، فتقبلهن عني، واجعلهن في الآخرة ذخرا لي، وائتني عليهن غفرانك ورضوانك، ثم انصرف عنها من حيث جئت، ولا تقف عندها اذا رميتها ، ولا ترم يومئذ من الجمار غيرها، ثم ائت منزلك فاذبح ذبيحتك، وان أنت صليت ركعتين فذلك يستحب ، وليس بواجب صلاة العيد بمنى، فاذا فرغت من ذبيحتك وفرقت منها ما أمكنك وحلقت رأسك وأخذت شعرك وأخذ من شاربك وعفا لحيتك(١١٨) وقلمت أظفارك، وان شئت حلقت عانتك، فقد حل لك الحلال كله الا النساء والصيد حتى تزور البيت ، وأفضل ذلك أعجله، واغتسل ان أمكنك ذلك، وامض الى البيت للزيارة، فاذا أتيت البيت فقف على باب بني شيبة فقل: اللهم قد أعنتني على نسكي فتقبله مني وسلمه لي، فاذا أردت الطواف بالبيت فقل كما قلت في عمرتك على ماوصفت لك في العمرة من التكبير والدعاء، ثم مررت الى الصفا من باب الصفا، وفعلت كما وصفت لك في العمرة. فاذا فرغت من السعي فقد حل لك الحلال كله من النساء وغيره من اللباس والطيب الا صيد الحرم، فانه حرام على المحلين والمحرمين، فاذا أردت الخروج الى منى بعد الزيارة أخذت مايحتاج اليه من منزلك مثل طعام أو ثياب، واخرج الى منى ولا تبت بمكة، واقعد بمنى أيام التشريق، فقد حل لك الحلال كله، فاقم بها ثلاثة أيام بعد يوم النحر أيام التشريق وترمي الجمار بعدما تزول الشمس، ولا ترم الجمار الا وأنت على وضوء، يستحب ذلك، وابدأ بالجمرة التي تلي المشرق فارمها بسبع حصيات، وتكبر مع كل حصاة تكبيرة، فاذا فرغت من رميها فتقدمها واستقبل القبلة، وادع مثل دعائك على الصفا والمروة، تفعل ذلك ثلاث مرات، ثم امض الى الجمرة الوسطى، واجعلها على يمينك، وارمها بسبع حصيات، وتكبر مع كل حصاة تكبيرة، فاذا فرغت منها فتقدمها على يسارك عند المسيل وادع كما وصفت لك عند الأول، ثم ائت جمرة العقبة فارمها من بطن الوادي، وتكبر مع كل حصاة تكبيرة فاذا فرغت من رميها فانصرف من حيث جئت، ولا تقف عندها اذا رميتها، تفعل ذلك أيام التشريق، فاذا فرغت من رميك يوم الثالث أو يوم الثاني، ان أردت أن تتعجل في يومين، رح مع الناس الى مكة فاقم فيها مابدا لك، وأكثر من الطواف، فاذا أردت أن ترجع الى

(١١٨) الأنصح : .... وأخذت من شاربك وعفوت لحيتك .

بلدك فطف بالبيت سبعة أشواط، ثم صل ركعتين، ثم ائت زمزم فاشرب من مائها وصب على رأسك، وقل كما وصفت لك عند العمرة، وكذلك تفعل عند الزيارة من الدعاء، ثم ارجع فقم بين الصفا وبين الحجر الأسود فاعتمده بيدك اليمنى على أسفكة (١١٩) الباب حيث تبلغ يدك، ويدك اليسرى قابضة أستار الكعبة، ثم ألزق بطنك بجدار الكعبة والا فقم حياله وادع بما فتح الله لك من الدعاء، وقل عند ذلك: اللهم لك حججنا ، وبك آمنا، ولك أسلمنا، وعليك توكلنا، وبك وثقنا، واياك دعونا، فتقبل نسكنا، واغفر ذنوبنا ، واستعملنا بطاعتك، اللهم انا نستودعك ديننا وايماننا وسرائرنا وخواتم أعمالنا، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، اللهم أقلبنا منقلب المدركين رجاءهم، المحطوط خطاهم، الممحاة اساءتهم، المطهرة قلوبهم، منقلب من لايعصي لك بعدها أمرا، ولا يحمل وزرا، منقلب من عمرت بذكرك لسانه، وزكيت بزكاتك نفسه، وأدمعت من مخافتك عينه. اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، حملتني على دابتك، وسيرتني في بلادك حتى أقدمتني حرمك وأمنك، وقد رجوت بحسن ظني أن تكون قد غفرت لي، فان كنت قد غفرت لي فاردد عني رضى، وقربني اليك زلفى، وان كنت لم تغفر لي فامنن الآن علي قبل أن أبتعد عن بيتك الحرام، فهذا أوان انصرافي غير راغب عنك، ولا عن بيتك، ولا مستبدل بك، ولا ببيتك. اللهم لاتجعل هذا آخر العهد مني ببيتك الحرام، فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين ولا تنزع رحمتك عني. اللهم فاذا أقدمتني الى أهلي فأكفني مؤونتي ومؤونة عيالي ومؤونة خلقك، فانك أنت أولى بخلقك مني. اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد، ونحن الى الله تائبون آيبون عابدون له حامدون، وانا الى ربنا راغبون، وانا الى ربنا لمنقلبون. واخرج اذا ودعت ولا تبع ولا تشتر بعد الوداع، وتمر وأنت محزون على فراق البيت، والله أعلم بالصواب.

باب أيضا في مسائل الحج

والفريضة في الحج: الاحرام، والوقوف بعرفات، وزيارة البيت الحرام، قال : والعمرة. قال قوم : هي فريضة. وقال آخرون: هي سنة، ومنهم من قال: من أسباب الحج، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الحَجَّ وَالعُمرَةَ لِلّهِ﴾(١٢٠)، قال : والسعي بين الصفا والمروة يستحب. وحلق الرأس عند الاحلال، منهم من

(١١٩) الصواب : أسكفة ، وهي خشبة الباب التي يوطأ عليها.
(١٢٠) سورة البقرة : ١٩٦.

قال: فريضة، وأكثر القول: أنه سنة. والدعاء عند الصفا والمروة يستحب، وحلق الرأس عند الاحلال من العمرة سنة، ويبدأ الحالق بشق رأسه الأيمن، ثم الأيسر، وهو مستقبل القبلة. والدعاء الذي يدعى به عند الأركان في الطواف يستحب، والتسبيح والتكبير في الطواف سنة. والجمار سنة، وحلق الرأس عند الاحلال من الحج سنة، واضحية واجبة على المتمتع ﴿فَمَن لَّم يَجِد فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبعَةٍ إِذَا رَجَعتُم﴾ إِلَى أهليكم. والدعاء بعرفات ليس هو شيئا محدودا الا مافتح الله. وكلما ألح العبد في الطلب الى الله كان أقرب. والوقوف عند المشعر الحرام سنة. وذلك في قول أكثر الفقهاء، والذكر لله سنة، ومنهم من قال: الوقوف والذكر لله عند المشعر الحرام فريضة، واجتناب قتل الصيد على المحرم واجب، وان قتل شيئا من الصيد وهو محرم أو في الحرم فعليه الجزاء ويحكم به ذوا عدل منكم رجلان مسلمان حران، هديا بالغ الكعبة. وأقل الهدي اطعام مسكين. فيما يجب فيه الحكم ونصف درهم. وقيل: في الرخمة دانقان وأكثره جزور أو بدنة أو بقرة على مايحكم به الحكمان، والأوسط من ذلك شاة، وانما هو ﴿فَجَزَاءٌ مِّثلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾(١٢١)، وقطع شجر الحرم يجب فيه الجزاء أيضا. وقتل الصيد حكم ذوي عدل فيما قل أو أكثر مثل قيمة ذلك على ماوصفت لك عند الدلالة في صدر الكتاب مايجتنب من الصيد والطيب ولبس الحلي والحرير والثياب المصبوغة واجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحج. ولا يلبس المحرم القميص ولا السراويل ولا العمامة ولا الكمة. وعلى الحاج اذا أراد الانصراف أن يودع البيت ولا يعرج على فعل شيء بعد الوداع، فان ترك الوداع فعليه دم، فان بات الحاج ليالي منى بمكة فعليه دم. وان لم يحرم من الميقات فعليه أن يرجع يحرم من الميقات، فان لم يفعل وحان فوت الوقت أحرم من الحرم وعليه دم. وان ترك رمي الجمار أيام التشريق فعليه لكل جمرة تركها دم. في كل يوم دم. وان لم يفض من عند المشعر الحرام قبل طلوع الشمس فعليه دم. وما كان من الهوام الذي ليس من الصيد، فمن قتله فليس فيه حكومة، وجزاؤه مختلف فيه. ففي الذرة والقملة مايطعم عنها خير منها. في الجرادة حكومة وقيل : تمرة . واذا لبس المحرم الحلي فعليه دم. وان لبس الحرير فعليه دم. وان تطيب بالطيب فعليه دم. وان لبس العمامة متعمدا فعليه دم. وان قنع رأسه خطا كشف القناع ولبى وان قنعه متعمدا فعليه دم،

(١٢١) سورة المائدة : ٩٥ .

ومنهم من قال: حتى يغطيه بالقناع يوماً، ثم عليه دم. وان لبس المحرم القميص متعمدا فعليه دم، وان كان خطا شقها وأطرحها من أسفل ولبى، وان لبسها خطأ يوما الى الليل كان عليه دم. واحرام الرجل في رأسه واحرام المرأة في وجهها وليس للرجل أن يغطي رأسه ولا للمرأة أن يغطها(١٢٢) وجهها، فان فعلا ذلك فعليهما الجزاء . واذا حلق المحرم رأسه فعليه دم. وان نتف ثلاث شعرات فعليه دم. وفي الشعرتين اطعام مسكينين. وفي الشعرة الواحدة اطعام مسكين. وفي الظفر مسكين، ومن قطع ثلاثة أظفار فعليه دم. ومن ترك الهرولة والسعي كله فعليه دم. ومن ترك أكثر من النصف عليه دم، والمرأة تجتنب الطيب في الثياب المصبوغة بالورس والزعفران والزينة والحلي، ولا تغطي وجهها وتلبس الخفين والنعلين، وليس عليها هرولة ولكن تسرع في المشي بين الصفا والمروة. والمرأة الحائض اذا بلغت الميقات فانها تغسل ثوبها وقاية لثوب احرامها ثم تهل بالحج والعمرة، وتحرم وتصنع كما يصنع الحاج في كل شيء الا الطواف بالبيت، فانها لاتطوف حتى تطهر، فاذا طهرت اغتسلت وطافت بالبيت لحجتها وعمرتها. ومنها من قال: طواف واحد يجزيها عن حجتها وعمرتها. ومنهم من قال: طوافان، طواف للعمرة، وطواف للحج. قلت: وتقف مع الناس بعرفات؟ قال: نعم، تقف مع الناس ترمي الجمار وتفعل كما يفعل الحاج من الذبح وأخذ الشعر والوقوف عند المشعر الحرام، وكل مايفعل الحاج الا الطواف والزيارة، حتى تطهر، وليس عليها هرولة بين الصفا والمروة ولكن تسرع في المشي. فان أراد أصحابها الخروج فانها لاتخرج حتى تطوف وتودع وليحبس عليها جمالها حتى تطوف، فان كانت قد قضت الحج ثم حاضت قبل الوداع فانه يلزمها لتركها الوداع دم. وأما المستحاضة فانها تفعل كما يفعل الحاج من الاحرام والطواف ورمي الجمار، وكلما يلزم الحاج وهي بمنزلة الطاهر وليس هي مثل الحائض. قال الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُواْ اسمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾(١٢٣)، وهي عن(١٢٤) قول بعض المسلمين: يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقت مايكون الذبح. والأيام المعدودات هي أيام التشريق ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَومَينِ فَلَا إِثمَ عَلَيهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثمَ عَلَيهِ﴾(١٢٥)، نفر في اليومين قبل اليوم

(١٢٢) الصواب : أن تغطي .
(١٢٣) سورة الحج : ٢٨ .
(١٢٤) الأنصح : على .
(١٢٥) سورة البقرة : ٢٠٣ .

الثالث ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وإنما ينفر بعدما يرمي الجمار بعد الزوال، فان قعد الى الليل لزمه القعود حتى يرمي في اليوم الثالث بعد الزوال. ومن مرض ولم يرم الجمار رمى عنه وليه. ومن كان معه نسك المتعة ذبح والا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع، يوم التلبية ويوم عرفة، وقال من قال: يصومهن في الطريق. ومنهم من قال: حتى يرجع الى منزله، ثم يصوم. ومن لزمه دم ولم يجد بمكة، فانه يبعث به اذا وصل الى منزله ينحر عنه بمكة أو منى. ومن وجد الهدي الا أنه لزمه الجزاء في الحكم فلم يجد من يحكم عليه من العدول بعث به الى مكة تنحر عنه. ومن لزمه الجزاء من قتل صيد أو شجر لم يجز له الأكل من ذلك الجزاء، فان أكل منه لزمه بدله. وقال آخرون: يلزمه ما أكله . ومن خرج بحجة لانسان بالأجرة ثم رجع من الطريق قبل أن يؤدي الحجة فعليه رد الدراهم كلها، وليس له عناء، وان هو رجع حج من قابل وكان للحجة مدة فقط أدى ما استؤجر له. وان كان أخذ الحجة على وجه التطوع فانه مافضل منه بعد قضاء الحج يرده الى أربابه الا أن يتمو له ذلك، ويتركوه بطيبة أنفسهم، وان كان أخذ الحجة على وجه الضمان ثم رجع من الطريق قبل القضاء، فعليه أن يخرج حتى يقضي الحجة، ومن أخذ حجة ثم خرج ثم رجع فقال: قد أديت فانه يكون أمينا مصدقا، هذا في بعض القول. ومنهم من قال: يشهد بذلك في مواضع الحج والمواقيت بعرفات وعند الاحرام وعند الزيارة أنه قد خرج بحجة فلان، وأنه واقف بحجة فلان، كذلك عند الزيارة يشهد أنه قد طاف بحجة فلان، وقد قضي حجة فلان، ولايجوز أن تعطى الحجة عن الميت ألا أمينا مصدقا، وقيل: ليس لأحد أن يحج عن أحد حتى يحج عن نفسه. وقيل: ان كان ذلك من ضرورة فجائز أن يحج بالأجرة، ولو لم يحج عن نفسه. وقالوا: لا يحج أحد الا عن من يتولاه. وقيل: جائز عمن يتولاه ولا يدعو له، وقال آخرون: من حج عن من لايتولاه أنه يشترط على أوليائه أنه لايدعوا لمتهم. وقد قيل: أنه لايجوز له أن يشترط ذلك. وقد قيل: أن الحجة أجرها للحاج بها، وللموصي أجر المؤونة والمعونة بالدراهم. وقال آخرون: الحجة كلها للمحجوج عنه، وانما للأجير عوض عنائه بالدراهم التي ياخذها، وبالله التوفيق .

باب في دعاء عشية عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم ان هذه عشية من عشيات رحمتك،

وساعة من ساعات مغفرتك، وقد ترحم فيها التضرع والبكاء، وتجيب فيها الدعوة والنداء، أتتك وفود الحجاج، وجاءتك من كل مسلك ومنهاج، قطعوا الأودية والعجاج، وركبوا اللجج والأمواج، ابتغاء رضوانك، ورجاء غفرانك، يسالونك الصفح عنهم، ويدعون ويأملون القبول منهم ويرجون، ياسميع الدعاء، يامجيب النداء، ياجزيل العطاء، ياجميل البلاء، ياعزيز ، ياذا الجلال، يامنيل النوال، ياكريم الفعال، ياعظيم الملك والسلطان، ياجسيم المن والاحسان، يامن لايزيده كثرة عطائه، ولا يضيق عن جواره رحيب فنائه، ولايطرد عن بابه طلاب رجائه، ولا يرجع بالخيبة من عنده أهل رجائه، ولا يشقى بدعائه أهل دعائه، وأن غايتنا التي اليها المنتهى، ونطلب حاجاتنا التي ليس لنا عنك غنى، فاجعل آمالنا صادقة، وأعمالنا اليك صاعدة، وأكداحنا اليك نافعة، وحاجاتنا بالحجج من عندك راجعة، وحلاوة ذكرك بقلوبنا واقعة، ياكريم انا عبادك لائذون، ولرحمتك منتظرون، لاغنى لنا عن وفدك، ولا عوض لنا عن قصدك، فان منعت فالى من غيرك نفزع، وبمن نشفع، وبمن نطمع ويسمع؟ وأين نذهب والى من نرجع؟ من ذا الذي يفتح بابه ولا يرفع حجابه، ويحرك ثوابه؟ من ذا الذي ينادي في ظلمة الليل؟ من ذا الذي يسأل فيعطيه؟ فيعطي السائل مايعجز عنه أمنيته، أنت ذلك ياجواد، وأنت ذاك يارب العباد، الهنا لايزيد في ملكك انتقامك منا، ولا يوهن سلطانك عفوك عنا، وهانحن عبادك بين يديك، قد هربنا منك اليك، ودلتنا العواطف منك عليك، فنحن في الذنوب نسبح، ونعوم بأثقالها فيها ونكدح، وقد أذلت الرقاب فاذلتها وختمت على الصدور فأثقلتها، وخالطت الآمال فطولتها، فنحن خائفون أن تذهب الأعمار، وينزل بأس الأقدار، ونحن في الغد آمر، وأطول ماكنا عليه، فاعقل إذ المنية بنا واقعة، ولأيامنا قاطعة، ولحدودنا صارعة، وهذا يوم النوال، في الوقت الذي كنا نمد اليه الآمال، وقد حضرنا بين يديك وبسطنا أيدينا الخاطئة اليك، نسألك أن تعفو عنا وتصفح، وتجود لنا وتسمح، وتأذن لأبواب أن تفتح، ثم لاننصرف من مجالسنا الا وقد غفرت لنا الذنب العظيم. وتجاوز عنا ياكريم، اللهم انا قد وجدنا مناهل الرجاء لديك مشرعة، وأبواب السماء لمن دعاك دعاك مفتحة، والاستغاثة لمن استغاث مباحة، وحوائج(١٢٦) لمن قصدك منجحة(١٢٧)، وألفينا لدعائك مواضع

(١٢٦) لعله : الحوائج، بالتعريف .
(١٢٧) كذا في الأصل .

الاجابة، وللمستجيرين بك ولي اغاثة، وللمتوجه اليك قريب الاجابة، ياكريم انا عليك نعتمد ونتوكل، وبكرمك نثق ونعول، وفي منجح سبلك نتطرق، وبجدواك نتصدق، ومنك اليك نهرب، وباسمائك ندعو ونخطب، واحسانك نبغي ونطلب، وفي سبب انعامك نكرع، وفي الملمات اليك نرجع، وباب رحمتك نستفتح ونقرع، وجودك نروم ونقصد، واليك نسعى ونحفد، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا مانحن أهله، انا أهل الحيرة والجريرة ، وأنت أهل التقوى والمغفرة.

دعاء آخر نفع الله به

ومما كتبه أبو العباس لأخ له ليدعو به يوم(١٢٨) في الحج: ياأفضل مرجو، وأقرب مدعو، ياخير مقصود اليه، وأبر منزول عليه، ياأجود مطلوب ماعنده، وأكرم مسؤول ما لديه، ياأحلم قادر، وأوسع عاذر يامن لايرمه كثرة السؤال، ولا ينقص ماعنده كثرة النوال، ارحم الضعيف الذي وهنت قوته، والمسكين الذي قلت حيلته، والخاطيء الذي عظمت خطيئته، والمحزون الذي اشتدت بليته، والمكروب الذي حلت مصيبته، وهرب منك اليك، وتشفع بك عليك، لم يجد لمصيبته مجيرا غيرك، ولا لفاقته سادا سواك، ولا لحاجته قاضيا دونك، أتاك من شقة بعيدة، وفجاج عميقة، وبلاد نازحة، وأرض شاحطة، يقوده معهود كرمك، ويسوقه مامول فضلك، راغبا راهبا يؤم فناءك، ويرجو حباءك، باوزار ثقيلة، وأخطار جليلة، راجيا لفواضلك، طالبا لنوافلك، متجعا لنائلك، ملتحجا(١٢٩) في غمرات الخطايا، متسكفا(١٣٠) في سكرات البلايا، مشرفا على خطرات الرزايا، معترفا بذنوبه، متكشفا بعيوبه، قد انتهك للمحارم(١٣١)، وارتكب العظائم، جمت سيئاته، وكثرت تبعاته، أكرمته فلم يقبل الكرامة، ودعوته فابطا الاجابة، خالف ما أمرت وتعدى ماحرمت، أعطى الهوى زمامه، وجعل الجهل امامه، ونصب الأمل قدماه، أشعرته نور معرفتك، فاطفا بركوب معصيتك وألبسته ثوب كرامتك، فخلعه بترك طاعتك. تانيته اذا عصاك، وتالفته اذا جفاك. قربته فتباعد، وعلمته وأملاك له عاد يأسه طمعا، وقنوطه ثقة، ووحشته أنسا ورهبة ورغبة، اللهم

---

(١٢٨) لعله : يوم عرفه.
(١٢٩) كذا في الأصل ، وفي اللغة : اللحج هو اللخص في العين أو الغمص.
(١٣٠) كذا في الأصل. وفي اللغة : أسكف العينين ، مناب أهدابها أو جفنها الأسفل.
(١٣١) لعله : المحارم.

فاشفع بمغفرتك ما مننت به عليه من معرفتك، وأتمم بكرمك ما اسبغت عليه من نعمك، وكما أبدأته بالكرامة فاختم له بالسعادة، بفضلك على جهله، وبحلمك على جرمه، فاجعل له من كل ماتقتسمه في هذه العشية بين وفادك ومتنابيك(١٣٢)، والواردين عليك، والوافدين اليك، النازلين بساحتك، المؤملين معروفك، الشعث الغبر، الشاحبة ألوانهم، الناحلة جلودهم، قد كابدوا مشقة السفر، وذاقوا مرارة السهر، ومن كرامة العاجل، وسعادة الآجل، نصيبا وافرا، وحظا وافيا، لايحرمنه حسن نظرك، بسوء نظره لنفسه، تغمده بغفرانك، ومن عليه باحسانك، وأتمم ذلك كله برضوانك، اللهم أني أعلم أن ذنوبي لو قسمت على الخلائق كلها لاستوجبوا جميعا عقوبتك وعذابك، فانك لو خلدتني في النار، باصغر ذنب منها، ولا صغير من الذنوب، كان ذلك عدلا منك، وكنت لذلك أهلا، وأنها لو حملت الجبال الشواهق، والأطواد الحوالق، كادت أن لاتحملها ولتضعضت لنقلها، وأنت العظيم الذي لايتعظم على يسير أن يشكره، ورجائي اليوم محتكم أن تهب ماكان بيني وبينك أن لم أعهد منك الا تكرما، لكني أخاف عذابك، كما أرجو فضلك، وانك علي عدل لاتجور، ومقسط لاتحيف، فكيف بمن يحاكمني اليك اذا برزت لفصل القضاء، وجمعت الخلائق للجزاء، تنصف للمظلوم من الظالم، وتاخذ من الضعيف للقوي، لكني أعوذ بفضلك من عذابك، واستشفع بنعمتك الى كرمك، فاسالك أن توسعني رحمتك، وترضى عني خليقتك، فانك واسع، واحد لكل شيء. اللهم هذا مقام العبد الذليل المسرف على نفسه، الآبق من مولاه، المتبع هواه، القادم النادم، الملهف(١٣٣) على ماصنع، المتاسف على مافرط، قائم بين يديك يتضرع اليك، يطلب ماليك، فلا يمنعك ياذا البر الرحيم، ياجواد ياكريم، غناؤك عن طاعته، وكثرة من يعبدك دونه، وقلة رغبته فيما رغبته، ورهبته مما جوزته أن تتفضل عليه بلطفك وتوفقه لطاعتك، وتستطيعه(١٣٤) لخدمتك، وتشغله لعبادتك، وتفتح له أبواب رحمتك، اللهم ارزقني لذة مناجاتك، وبهجة معافاتك، ولطف أمانك، وكيف لا أرجو وأنت المنعم المحسن المفضل(١٣٥) المكرم الذي تنعم على عبدك من غير استحقاق منه، مايلهمه الشكر على نعمتك

---

(١٣٢) كذا في الأصل .
(١٣٣) لعله : المتلهف .
(١٣٤) لعل الأفصح : تقويه على خدمتك .
(١٣٥) الأفصح : المتفضل .

بعدما تعرفه أنها من عندك، ليزيد الشكر نعمة، ثم ان قضى حقك فيما أوليته بتوفيقك اياه، ومعونتك له، شكرته بحمدك على ماآتيته، ومننت به عليه، ثم نحيه(١٣٦) على معرفة حقك بتعريفك اياه، قضى شكرك بتوفيقك له، ألست أنت الذي ابتدأتني بنعمة الاسلام، أليس ذلك غاية الاكرام، ثم جعلتني من أمة مرحومة من أنواع مرشومة(١٣٧)، ثم جعلت جوفي لكلامك ودعاء، وصدري لمعرفتك حواء، ثم سقتني الى أفضل البقاع وأعظمها حرمة، وأرفعها درجة، وأقربها وسيلة، وأشرفها فضيلة، أزرتني قبر نبيك، وأكرمتني بالسلام عليه، وعلى صحبيه وأقدمتني مهاجره، وأريتني آثاره، وأدخلتني مسجده، ثم جعلت لي الى بيتك الحرام سبيلا، وكنت الى زيارته دليلا، ففي دون هذا مايمنيني عفوك عني، ونظرك لي، وقد اجتمعت أصحاب الحوائج في هذه العشية المباركة الفاضلة لرفعوها(١٣٨) اليك، يرجون قضاءها، ولي حوائج لا أحصيها فيما ذكرت منها وما نسيت ، فقد أحصيتها فاقضها لي عن آخرها الا ماعلمت أنه لايعود علي بصلاح في دنياي ودينى، وان من أهم حوائجي يامنتهى الحاجات ومعطي الرغبات، أن تملأ قلبي يقينا ونورا، وحكمة وخشوعا، وانابة واخباتا وحياء منك، وحبا لك، وشوق اليك، ورغبة فيما لديك، وأن تهب لي من خشيتك مايحجرني عن معصيتك، ومن مغفرتك مايعظم في صدري من هيبتك، ومن محبتك مايحبب الي طاعتك، ويثبت ظني الى عبادتك، وأن ترزقني الرحمة لجميع خلقك والرأفة والنصيحة، وبارك لي في لقائك وفي فضائلك، وتغسلني من الذنوب، وتطهرني من العيوب، ولا تكلني الى مسألتي اياك حتى تردني من عندك بما علمت أنه خير لي في عاجلتي وآجلتي، وأعني على طلب مرضاتك، وتغفر لي الماضي من ذنوبي، وتعصمني من الباقي من عمري، وتحولني مما تكره وتسخط الى ماتحب وترضى، وتصنع ذلك لكل مؤمن ومؤمنة من عيالي وأولادي وجيراني واخواني، وأن تصلي على محمد عبدك ورسولك، الذي اصطفيته برسالاتك، وأكرمته بنبوتك، وأتمنته على وحيك، وانتخبته من جميع خلقك، أفضل ماصلي على نبي من أنبيائك، ورسول من رسلك، وملك من ملائكتك، وتعطيه الدرجة والوسيلة في الجنة، وتلحق به من ذريته وعترته وأمته ماتقر به

---

(١٣٦) كذا في الأصل .

(١٣٧) لعله : موسومه ، أي : ذات سمة وعلامة تميزها .

(١٣٨) الصواب : لرفعها .

عينه، وابعثه في المقام الشريف الذي وعدته، وأن تغفر لي ولوالدي وما ولد من أولادي، ومن أحبني وأحببته فيك، ومن يرجو دعائي، ومن علمني وأدبني خاصة، ولجميع المؤمنين والمؤمنات عامة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٩).

دعـــاء آخر

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم ارزقني سلامة القلب، وسلامة الصدر، وسخاوة النفس، والرحمة للمساكين، والمحبة لرب العالمين. اللهم اجعلني من الباكين على ذنوبهم، والمشتاقين الى ربهم، النواحين على أنفسهم، القرارين بذنوبهم، الأوابين بقلوبهم، الحامدين لله على كل حال. اللهم ارزقني تمام النعمة ودوام العافية، والشكر على ذلك. اللهم هب لي يقين من أخلص عمله، واخلاص من عرف ربه، هب لي فراغا للعبادة وانشاطا عليها. اللهم اني ضعيف ان لم تقوني، ذليل ان لم تعزني، فقير ان لم تغنني، جاهل ان لم تعلمني، عاجز ان لم تبلغني وتوفقني ، مخطيء ان لم ترشدني، هالك ان لم تداركني، غريق ان لم تنقذني، مخذول ان لم تنصرني، محروم ان لم ترزقني، ضال ان لم تهدني، فاسد ان لم تصلحني، خائف ان لم تؤمنني، معذب ان لم ترحمني، اللهم فارحمني وقوني على طاعتك، وخذ بناصيتي الى مافيه رضاك. اللهم كما سترت علي ما أعلم، فاغفر لي ماتعلم، وكما وسعني حلمك فليسعني عفوك، وكما ابتدأتني منك بالاحسان فاتمم نعمتك بالغفران، وكما أمرتني بمغفرتك فاشفعني بمغفرتها، وكما عرفتني وحدانيتك فاكرمني طاعتك، وكما عصمتني مما لم أكن أعتصم منه الا بعصمتك، فاغفر لي ماشئت لو عصمتني منه ، تحمل عني حقوق خلقك قبلي، فاني أعجز عن قضائها الا بك، وتحمل عني حقوقهم قبلهم، فاني قد وهبتها لهم فيك، واغنني عنهم فانهم لايسعون حوائجي دونك، اللهم اجعلني مجدا في طلبي اياك، محقا في دعواي محبتك الا بك، اللهم عجل لي ما أسره مصدقا بما أعلنه، موافقا لما تحبه حتى يكون عملي عمل المخلصين، وعبادتي عبادة المتقين، وخشوعي خشوع المخبتين، وشكري شكر المطيعين، وطاعتي طاعة الموقنين، ويقيني نور العارفين. اللهم ارزقني حسن الخلق، وسعة الرزق ولزوم الصدق، والغنى عن الخلق، والسلامة قبل الموت، والشهادة عند الفوت، والسعادة بعد الموت. اللهم انفعني بحكمتك حتى اعتبر بقدرتك، وبصرني بقدرتك

(١٣٩) سورة الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢ .

مايعرفني عظمتك، وارزقني من تعظيمك ماينور لي معرفتك، ومن نور معرفتك مايعظم في صدري هيبتك، ومن هيبتك مايشعر قلبي خشيتك، ومن خشيتك ما يعينني على طاعتك، ومن طاعتك مايكسبني محبتك، ومن محبتك مايوجب لي رحمتك، ومن رحمتك مايؤويني جنتك، اللهم حبب لي ماتحب حتى لا يشق علي طلابه، وكره لي ماتكره حتى لايشق علي اجتنابه. اللهم اجعل النور في أبصارنا، واليقين في قلوبنا، والصحة في أبداننا، والنصيحة في صدورنا، وذكرك في الليل والنهار على ألسنتنا، وبما ترزقنا فقنعنا، ومن جميع البلايا فقنا، وبك عن سواك فاغننا، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ويقين أبصارنا، وجلاء لأحزاننا، وكاشفا لكروبنا، ومذهبا لهمومنا وغمومنا، ومغفرة لذنوبنا، ودليلنا وسائقنا اليك، والى جناتك جنات النعيم، برحمتك ياأرحم الراحمين. اللهم لاتدع لنا ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته، ولا دينا الا قضيته، ولاغائبا الا رددته، ولا مريضا الا شفيته، ولا عيبا الا أصلحته، ولا ضالا إلا هديته، ولاحاجة من حوائج الدنيا والآخرة الا قضيتها ويسرتها، ان اليك راغبون. اللهم احطط ثقل الأوزار، وهب لنا حسن سمة الأبرار، واقف بنا من قام لك في آناء الليل وأطراف النهار. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واجعل في السابقين مودته، وفي المتقدمين منزلته، وفي أعلى عليين درجته. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد في الليل اذا يغشى، وصل على محمد في الآخرة والأولى، اللهم صل على محمد وعلى ملائكتك المقربين، وأنبيائك وجميع المرسلين، من أهل السماوات والأراضين، واخصص محمدا بأفضل الصلاة والتسليم. اللهم لا تصرفنا من هذا المقام الا بذنب مغفور، وسعي مشكور، وعمل مبرور، وتجارة لن تبور. اللهم اشرق قلوبنا بنور محبتك، ودلنا أقرب الطرق اليك. اللهم بنورك اهتدينا، وبفضلك استغنينا، وفي كنفك أصبحنا وأمسينا، انك الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر لاشيء بعدك، نعوذ بك من الفشل والكسل، ومن عذاب القبر، وفتنة الغنى والفقر، اللهم اصرف عنا شر الأشرار، ووساوس الأفكار، واجعلنا من المصطفين الأخيار. اللهم نبهنا لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملنا بطاعتك في أيام المهلة، وانهج لنا الى محبتك طريقا سهلة. اللهم اجعلنا ممن آمن بك فهديته، وتوكل عليك فكفيته، وسألك فاعطيته، وتضرع اليك فرحمته، اللهم هب لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك مايبلغنا

رحمتك، ومن اليقين بك ماتهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة، ومتعنا باسماعنا وأبصارنا ما أبقيتنا، واجعله للوارث منا. اللهم اجعلنا من أفضل عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير تقسمه في هذا اليوم ومابعده من الليالي والأيام، من نور تهدي به، ورحمة تنشرها، أو رزق تبسطه، أو ضر تكشفه، أو ذنب تغفره أو شدة تدفعها، أو فتنة تصرفها، أو معافاة تمن بها، انك على كل شيء قدير. اللهم اني أسالك الرضا بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت. اللهم اني أسالك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنية من كل بر، والسلامة من كل اثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. اللهم أعنا على الموت وسكرته، وعلى القبر ووحشته، وعلى يوم القيامة وروعته، وعلى الصراط وزلته. يارباه ياسيداه أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضياء النهار، ونور القمر، وشعشاع الشمس، وهفيف الأشجار، ودوي الماء والبحار، نسالك أن لاتنسينا ذكرك، ولاتصرف عنا رحمتك، ولا تكشف عنا سترك، يامن أظهر الجميل، وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك السريرة، ياعظيم العفو، باحسن التجاوز ، ياواسع المغفرة، ياباسط اليدين بالرحمة، يامبتدءا بالنعم قبل استحقاقها، يامحسن، يامنعم لا تصرفنا خائبين من رحمتك، ولا محرومين من اجابتك، انك على كل شيء قدير. اللهم انا نسالك جزيل عطائك، والسعادة بلقائك، والفوز بجوارك، والمزيد من آلائك، وأن تجعل لنا نورا في حياتنا، ونورا في مماتنا، ونورا في قبورنا، ونورا في محشرنا، ونورا نتوصل به اليك، ونورا نفوز به لديك، فانا ببابك سائلون، ولنواليك متضرعون، ولأفضالك راجون، يامن يرى ولا يرى، وهو بالمنظر الأعلى، نسالك أن تجعل لنا نور معرفتك الى رضوانك هاديا، وتوفيقك الى طاعتك جاذبا، ولطفك لنا متتابعا وافيا، ولا تجعل الهوى بنا على الرشد عادلا، ولا الشك بنا عن اليقين مائلا. اللهم اجعل شغل قلوبنا بذكر عظمتك، وفرغ أبداننا في شكر نعمتك، واطلق ألسنتنا بوصف منتك، وقنا نوائب الزمان، وصولة السلطان، واكفنا مؤنة الاكتساب، وارزقنا اللهم بغير حساب. اللهم اختم بالخير آجالنا، وحقق بالرجاء أمالنا، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا، واجعل خوفنا منك ورغبتنا اليك. اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، اللهم اجعل رغبتنا فيما يزيد ويبقى، وزهدنا فيما يبيد ويفنى. اللهم اقسم لنا من الدنيا ماتعصمنا به من

فتنتها، وتغنينا به عن أهلها، واجعل في قلوبنا السلو عنها، والمقت لها، والزهد فيها، والبصر بعيوبها، مثل ماجعلته في قلوب من فارقها زهدا ورغبة عنها. اللهم نق قلوبنا من الخطايا، واكفنا جميع البلايا والرزايا، واعطنا فواتح الخير وخواتمه وظاهره وباطنه. اللهم لاتدع لنا في هذا المقام ذنبا الا غفرته، ولا غما الا فرجته، ولا دينا الا قضيته، ولا عدوا الا كفيته، ولا عيبا الا أصلحته، ولا مريضا الا عافيته. ولاغائبا الا أبلغته، ولا خلة الا سددتها، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة الا قضيتها. اللهم انا ندعوك باسمائك الحسنى، وأمثالك العلى، ونسالك رحمتك التي لاتنال منها الا بالرضى، وباسمائك التي تسبح لك بها السماوات باكنافها، والأرضون باطرافها، والبحار بامواجها، والحيتان في لججها، أن ترزقنا عمل الصالحين، ويقين العارفين، وانابة المخبتين، فانك تهدي السبيل، وتجبر الكسير، وتغني الفقير، نسالك سؤال من عرف رحمتك، وأيقن بعذابك، والخروج من جميع معاصيك، والدخول فيما يرضيك، والنجاة من كل هلكة ، والعفو عن كل سيئة، والمغفرة والبشرى عند انقطاع الدنيا. اللهم ان لنا اليك حاجة، وبنا اليك فاقة، فما كان من تقصير فاجبره بسعة عفوك، وتجاوز عنا بفضلك ورحمتك، وتقبل منا ماكان صالحاً، وأصلح منا ماكان فاسدا، فانه لامانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا مضل لمن هديت، ولا مذل لمن واليت، ولا ناصر لمن عاديت، ولا ملجا ولا منجى منك الا اليك، أعذنا اللهم من وجوب سخطك، ونزول نقمتك، وزوال نعمتك، فانه لاطاقة لنا على الجهد، ولا صبر لنا على البلاء والكبد. اللهم ان الذي سالناك يسير في مجدك، وغير كثير في رفدك، فلا تردنا خائبين من رحمتك، ولا محرومين من اجابتك، ياخير مامول، وأكرم مسؤول. اللهم يامفرج الغم، ويامنفس الهم، ويامذهب الأحزان، ويامجيب دعوة المضطرين، ويارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت رحماني ورحيم كل شيء، أسالك أن تصلي على محمد، وأن تطهرني من الرياء والنفاق، والكفر والشقاق، والعجب والكبر، والبغي والحسد، والغل والحقد، والمكر والخديعة، وحب الثناء والمحمدة، وحب الجاه والرفعة، وسوء الخلق وكلام الزور، وأسالك اللهم أن ترزقني العلم والهدى، والصلاح والتقوى، والتوفيق والرشاد، والتاييد والسداد، والحلم والصبر، والصمت والفكر، والنعمة والشكر، والغناء والسخاء، والعافية والرخاء، والتوبة والخلاص، والورع

والاخلاص، والتواضع والخشوع، والتذلل والخضوع، والتوكل واليقين، والتخلق باخلاق المتقين، وصل على محمد وعلى آل محمد، واستجب لنا انك قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين، اللهم وأسالك لبلدي عُمان، وغيرها من الأمصار والبلدان، أن تظهر فيها دعوة المسلمين وسنة نبيك الأمين، وأقم فيها أحكام العدل، وقو فيها أهل الورع والفضل، وطهرها من الجهل والفساد، وأظهر فيها كلمة أهل الصدق، والداعين الى الحق، واختر لها اماما مرضيا، عدلا صالحا تقيا، نزيها عن الطمع وليا، يعمل بقول المسلمين، ويعادي المردة المجرمين، وانصر اللهم جيوش أنصارك، الداعين الى طاعتك، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر. ياالله، يا الله، يا الله، استجب دعائي، واسمع ندائي، وارحم تضرعي اليك وبكائي، اللهم اجعل لي عينين هاطلين، يبكيان من خشيتك، واغفر لي وارحمني، انك خير الراحمين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد.

هذا ويستحب أن يقال على اثر الدعاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾(١٤٠)، اللهم قد علمت فاغفر، وقد سمعت فاستجب، وما أنت له أهل فافعل، آمين يارب العالمين.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام :

اللهم اني أعوذ بك من حياة في غفلة، وموتة على غرة، ومن مرد الى حسرة، اللهم لاتكلني الى نفسي فاهلك، ولا الى عملي فاندم، ولا الى الناس فاضيع.

ودعاء آخر :

اللهم اني أسالك عملا بارا، ورزقا دارا، وعيشا قارا. اللهم عافني في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

باب ذكر سنن الحج

وهي ثلاثون خصلة من مختصر الخصال، قال أبو اسحق: وسنن الحج ثلاثون خصلة : أحدها: الاحرام من الميقات. والثاني: الغسل لاحرامه، والوضوء والغسل أفضل. والثالث: أن يكون خلف صلاة فريضة أو نافلة. والرابع: أن يحرم في ازار ورداء طاهرين. والخامس: أن يدهن بدهن لا طيب فيه قبل الغسل. والسادس: دوام التلبية اذا علا شرفا أو هبط واديا في كل

(١٤٠) سورة الزمر : ٤٦ .

حـال مع رفع الصـوت بذلك حتى يرمي جمرة العقبة. والسابع: السعي بين الصـفـا والمروة، من بعد كل طواف لازم على قول من جعل ذلك سنة. والثامن: أن لايـطـوف الا طـاهرا بسترة طاهرة. التـاسع: أن لا يتطيب مـادام محرمـا. والعـاشرة: أن يسـتـقـيم حـاسرا مادام كذلك. والحادي عشرة: أن لايلبس اذا كـان رجـلا ثوبا مخيطا مـادام كذلك. والثاني عشرة: أن لايجني على بدنه ولا بشره وأظفـاره مـادام كـذلك ولا من غيره. والثـالث عشرة: المبـيت بمنى ليلة عـرفـة. والرابع عشرة: أن لايغـدو الى عرفة الا بعد طلوع الشمس. والخامس عشر: أن لايفـيض من عـرفـات إلا بعد غروب الشمس . والسادس عشر: أن يبـيت بمـزدلفـة ليلة النحر الى طلوع الصبح، وقد قيل: ذلك واجب. والسابع عشر: أن يفـيض من مـزدلفـة الى منى قـبل طلوع الشمس. والثامن عشر: أن يرمي جمرة العـقـبة يوم النحر. والتاسع عشر: أن يذبح الهدي بمنى بعد أن يرمي جمرة العـقـبة، ان كان متمتعا أو قارنا. والعشرون: أن يحلق أو يقصر بعـد أن يذبح، والحلق أفـضل. والحـادي والعشرون : أن يرمي الجمار كلهـا يـوم الـثـالـث عشر بعـد الزوال. والثـاني والعشرون: أن يبـيت بمنى ليـالي التشريق ويوم أن يطوف يوم النحـر بعـد أن يحلق وهو أفضل، وهذا طواف الزيارة. والثـالث والعشرون: أن يقف الى الليل فـلا ينفـر حـتى يرمي الجمار كـلهـا، يوم الثـالث عشر بعـد الزوال. والرابع والعشرون: أن يصلي ركـعـتين خلف كل طواف قـبل السـعي. والخـامس والعشرون: الذكـر لله والدعـاء اليه لـلـديـن والدنيـا في الطواف والسـعي وعند رمي الجمار وفي الموقف بعـرفـة والمزدلفـة في كل حـال الا أنه لايقطع التلبيـة حـتى يرمي جمرة العقبة، وقد قـيل: الذكـر لله واجب عند المشـعـر الحرام. والسادس والعشرون: ترك المراء والمـعـاصي فـيـه. والـسـابع والعشرون: طواف الوداع. والثـامن والعشرون: الهرولة في السـعي بين الصـفـا والمروة. التـاسع والعشرون: تقـبـيل الحجر الأسـود في الطواف. والثلاثون: أن لايتعرض للصيد ولا لشجر الحرم.

ومن غيره. مـسـألة: قال أبو الموثر: من طاف بالبيت طواف الفريضة فلا يتكلم الا بذكـر الله أو حـاجة تعينه في طوافه عددا يعد به في طوافه أو يسأله عن احـصـاء طوافـه. قـال: وكـذلك من سـعى بين الصفا والمروة لفريضة فلا يتكلم الا بذكـر الله أو حـاجـة تـعـينه في أمـر سـعيه. قال: واذا طاف بالبيت ورجع لفريضة فلا أحب أن ينام حتى يسعى بين الصفا والمروة.

ومن كتاب مختصر الخصال :

قال أبو اسحق: خمس وعشرون خصلة من ترك منها خصلة واحدة لزمه دم: احداها: إن تعدى الميقات بعد احرام ثم لايرجع اليه حتى يقف بعرفة. والثاني: ترك التلبية . والثالث: أن يلبس مخيطا أو يغطي رأسه عامدا. والرابع: أن يلبس مخيطا الى الليل عامدا أو خطأ. والخامس: أن يتطيب بورس وخلوف أو بدهن طيب عمدا. والسادس: قوله قياسا أن يقيم متطيبا الى الليل عمدا. والسابع: من عرفات(١٤١) قبل غروب الشمس ثم لايرجع اليه فان عليه دما على قول، وقيل: ان حجه يفسد، وفي هذه المسالة اختلاف. والثامن: ان ترك السعي بين الصفا والمروة ناسيا أو عامدا حتى تمضي أيام التشريق. والتاسع: ان ترك الطواف والزيارة في ايام التشريق، والعاشر: ان يترك رمي جمرة العقبة يوم النحر الى الليل. والحادي عشر: أن يذبح قبل أن يرمي جمرة العقبة. والثاني عشر: أن يحلق قبل أن يذبح. والثالث عشر: أن يترك المبيت بمزدلفة ليلة النحر. والرابع عشر: أن يفيض من مزدلفة الى منى بعد طلوع الشمس. والخامس عشر: أن يترك المبيت بمنى ليالي منى، ففي كل ليلة دم. والسادس عشر: أن يترك رمي الجمار في الثلاثة الأيام على ماوصفت لكل يوم دم. والسابع عشر: أن يقلم ثلاثة أظفار فصاعدا، وفي الظفر الواحد اطعام مسكين، وفي الظفرين اطعام مسكينين. والثامن عشر: أن يقطع من شعره ثلاث شعرات فصاعدا، وفي الشعرة اطعام مسكين، وفي الشعرتين اطعام مسكينين، كما وصفتها في الظفر. والتاسع عشر: أن يدمي نفسه أو غيره على قول. والعشرون: أن يقبل أو يباشر لشهوة. الحادي والعشرون: أن يترك الحلق ويحلق بغير منى. الثاني والعشرون أن يذبح بغير منى. والثالث والعشرون: أن يطوف للزيارة وبه نجاسة أو بثوب نجس، فلم يطف بعده حتى مضت أيام منى. الرابع والعشرون: أن يترك ركعتي الطواف ولم يعدهما. والخامس والعشرون: أن يقتل صيدا أو نحوه، أو يقطع شجرة من شجر الحرم أو نحوها.

وفي رمي الجمار من جامع ابن جعفر:

ولا تقطعن التلبية حتى ترمي جمرة العقبة من وجهك الذي أفضت فيه، فارم الجمرة بسبع حصيات من حصى الحرم، مثل حصى الحذف، وكبر على اثر كل حصاة تكبيرة، وارمها في بطن الوادي، ولا ترمها من فوق العقبة، ولا

(١٤١) الصواب : الافاضة من عرفات .

تقف عندها اذا رميتها، ولا ترم يوم الجمار يومئذ غيرها، فاذا انصرفت الى منى فانزل من وراء العقبة مما يلي منى وأقم أيام التشريق، ولا ترم الجمار حتى تزول الشمس، أول ماترمي من الجمار التي تلي المشرق وترميها من بطن الوادي وهي عن يساره، ترميها بسبع حصيات، وتكبر مع كل حصاة تكبيرة، ثم تجاوزها وجهة الكعبة، فيدعو مثل دعائه على الصفا والمروة ان شاء الله وخفض(١٤٢)، ثم ياتي الجمرة الوسطى من بطن الوادي فيرميها مثل الأولى وهي يمينه(١٤٣)، ويقف أطول من ذلك فيذكر الله ويثني علَيه ويصلي على محمد ﷺ، وتدعو لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم تقدمها الى جمرة العقبة وترميها من بطن الوادي، ولا تقف عندها، تصنع كل يوم من أيام التشريق في يومين أو ثلاث.

﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾(١٤٤)، شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة. وان حج المرء عن غيره، قال: لبيك عن فلان بحجة تمامها وبلاغها عليك. وان احرم عن غيره بعمرة، قال: لبيك عن فلان بعمرة تمامها وبلاغها عليك. ومن كان دون المواقيت ودخل مكة بغير احرام الا الحج(١٤٥)والعمرة فلا يتجاوز منزله الا محرما.

فصل

وان دخل مكة محرما بعمرة فاقام على احرامه، ولم يطف بعمرة حتى أهل بالحج يوم التروية، وخرج الى عرفات فقد أساء، ولا شيء عليه الا دم المتعة، ويجزيه طواف الزيارة لحجته وعمرته، والحجة لاتجزي عن الحجة والعمرة، والعمرة لاتجزي عن الحجة.

فصل

في المعتمر يمضي على احرامه ولا يحرم. قال: له نيته، النية لطواف البيت: اللهم نيتي واعتقادي أطوف بالبيت سبعة أشواط طواف الفريضة، أداء الفرض طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ. وان كان للعمرة قال: طوال العمرة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ. وان كان طاعة: قال: تقربا لله ولرسوله محمد ﷺ.

---

(١٤٢) الصواب : وأخنض .
(١٤٣) الصواب : وهي على يمينه .
(١٤٤) سورة البقرة : ١٩٧ .
(١٤٥) لعل الصواب : وهو يريد الحج . . .

باب في النية عن من وجبت عليه فريضة الحج

اللهم نيتي واعتقادي في خروجي هذا الى بيتك الحرام طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ.

في النية لزيارة قبر النبي محمد ﷺ: اللهم نيتي واعتقادي في خروجي هذا الى زيارة قبر نبيك محمد ﷺ. على حكم زيارته، ومستشفعا به الى ربه أن يمن علي بمغفرته ورحمته. طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ. ومن حج عن حميمه فاذا أحرم فليقل: لبيك عن فلان مرة واحدة فانها تجزيه، وفي سائر المواقيت يقول: اللهم تقبل من فلان اذا علمت به من الصالحين.

باب الذبح

ثم آت منزلك واذبح ذبيحتك وقل: بسم الله منك واليك فتقبلها مني. وان شئت فامسحه، وقل: اللهم هذا نسكي فتقبله مني وأتني عليه غفرانك ، وأطعم منه مابدا لك، وكل منه مابدا لك.

فصل

ومن جواب الشيخ عمر بن سعيد بن عبدالله بن معد ـ حفظه الله ـ وفيمن أقبل من المدينة وجاوز الميقات من غير احرام ثم دخل مكة من وراء الميقات وأحرم من قرن. أيلزمه أن يرجع الى الميقات الذي تعداه أم يجزيه احرامه من قرن، وان كان لايجزيه وخرج الى بلده أيلزمه دم أم لا؟

فمعي أنه يجزيه لأنه أحرم من أحد المواقيت، والله أعلم.

وفيمن أخذ ماء من السيل في طريق اليمن، .....(١٤٦) يجعلون في الطريق أوعية للشرب، وأخذ هذا الرجل ليتوضا، أيجوز له ذلك أم لا؟

فاذا كان مجعولا للشرب فلا يجوز أن يؤخذ منه للوضوء، والله أعلم.

ومن قدم من المدينة يريد شيئا من القرى فاراد أن يقيم بها الى الحج حتى يدخل مكة، عليه احرام أم لا؟ أم يكون عليه الاحرام الا من حيث هو من القرى؟

فاعلم أنه لايجاوز الميقات الا محرما اذا أراد الحج. وأما اذا كان لايريد الحج، وأراد دخول مكة ففيه اختلاف. قول: لايجوز يجاوز الميقات الا محرما. وقول: لا احرام عليه. ويحرم من موضعه الذي هو فيه اذا أراد الحج، والله أعلم.

---

(١٤٦) كلمة غير مقروءة .

باب النية للاحرام

وفيمن أحرم بحجة ثم حولها عمرة ولم يدر بما أحرم، أو أراد أن يحرم بالحج فاحرم بخلافه، أو أحرم بما أحرم أصحابه فيمر عليه، وما أشبه ذلك. ومن كان ينوي أن يلبي بعمرة فجهل فلبى بحج وعمرة جميعا فله نيته في ذلك.

فصل

ومن دخل في غير أشهر الحج بعمرة، ثم رجع الى المدينة، ثم رجع في أشهر الحج محرما بعمرة فعليه هدي المتعة، فان أحرم ولم يتم بعمرة ولا بحجة، فهو محرم بحجة الا أن يكون نوى العمرة فاحرم بحجة أو أراد أحدهما فقرنهما فهو على نيته، ولا يضره ما أخطأ به من ذلك. وقال أبو مودود: النية مع التلبية تجزي عن التسمية.

فصل

ولو أن محرما أحرم فلم يدر بما أحرم، بحجة أو بعمرة، فيجب أن يدخل ويطوف ويسعى، ولا يحل حتى يوم التروية(١٤٧) بالحج ثم يقضي حجه، الا أن يكون قبل احلال احرامه قد تقدمت له نية أنه يحرم بايهما فهو على نيته، وان كان له أصحاب وأحرم مثل ماأحرموا فهو مثلهم. ومن ساق هديا وهو يؤم البيت وقلده، فان كان نوى حجة فقد وجب عليه الاحرام، وان نوى عمرة فقد وجبت عليه، وان لم تكن نيته في أحدهما فهو بالخيار يوجب على نفسه أيهما شاء، وليمسك عما يمسك عنه المحرم حتى ينحر الهدي. وليس كذلك ان حللها. ومن أراد أن يلبي بعمرة فنسى فلبى بحجة فلا شيء عليه. ومن لبى فنسى أن يقول بعمرة فهو على نيته التي خرج عليها. فان كان خرج وهو يريد أن يصنع مثل مايصنع أصحابه فاعتمروا فهو مثلهم.

فصل

وفي المعتمر يمضي على احرامه ولا يحرم قال له : بنته.

باب في زيارة قبر النبي ﷺ

فاذا أتيت المدينة وقابلت البنيان تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾(١٤٨) إلى تمام الآية، فاذا دخلت سكك المدينة

(١٤٧) الصواب : حتى يحرم يوم التروية .
(١٤٨) سورة التوبة : ١٢٠ .

تقول : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ...﴾، إلى قوله : ﴿.... وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١٤٩)، فاذا دخلت البلد توضات وضوء الصلاة، ومررت قاصدا نحو المسجد. فاذا وقفت على باب المسجد أعلنت تلاوة هذه الآيات، وأنت قاصدا نحو القبر. ويكون وجهك تلقاء القبر لا تشتغل بشيء غير ذلك من تسليم على أحد، فاذا انتهيت الى القبر تلقاء وجه رسول الله ﷺ، وأنت مقبل اليه، مدبر بالقبلة فابدأ فاستلم الركن وقبله(١٥٠)، ثم تتاخر قليلا وتشير بيدك اليمنى وأنت تقول: السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يأمين الله، السلام عليك ياصفوة الله، السلام عليك يامحمد عَبد الله ورسوله، السلام عليك ياأبا القاسم، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأنك رسول الله، وأنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل ربك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، صلى الله عليك حيا وميتا، وجزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن أمته، وذكرك باحسن ما يذكر به المذكور، ثم تتقدم فتجعل وجهك مع الحائط تلقاء وجهه، ثم تقول: يارسول الله، أنا فلان بن فلان، من أرض كذا وكذا، جئتك زائرا مسلما عليك، مستشفعا بك الى الله عز وجل أن يحط عني أوزاري، ويغفر لي ذنوبي، ويستر عيوبي، ويعصمني في بقية عمري، ولايكلني الى نفسي ولا الى أحد من خلقه طرفة عين، ولا أقل من ذلك ولا أكثر، فكن شفيعي، صلى الله عليك وسلم تسليما. ثم تتاخر قليلا عن يمينك مما يلي المشرق، ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك وعلى وزيريك وناصريك وصاحبيك ومؤنسيك وضجيعيك، ثم تتاخر قليلا عن يمينك ثم تقول: السلام عليك يارسول الله، السلام عليك ياخليفة رسول الله، السلام عليك ياأمير المؤمنين، السلام عليك ياأبا بكر الصديق، السلام عليك ياعبدالله بن عثمان، السلام عليك ياعتيق بن أبي قحافة، السلام عليك ياشيخ الافتخار، ومعدن الوقار، والصاحب في الغار، السلام عليك أيها الشيخ ورحمة الله وبركاته، ثم تتاخر قليلا ثم تقول: السلام عليك ياأبا حفص، السلام عليك ياعمر بن الخطاب، السلام عليك أيها الفاروق ورحمة الله وبركاته، جزاك الله عنا وعن نبيكما وعن الاسلام

---

(١٤٩) سورة التوبة : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(١٥٠) لم يثبت في هذا شيء من السنة، الا ما اعتاده الناس وابتدعوه، فالتقبيل خاص بالحجر الأسود .

خيرا(١٥١).

فصـــل

قـال الشـيخ أبو الحـسن (رحمه الله): اذا قـدمت المدينة فقل: اللهم أنت السـلام، ومنك السـلام، واليك يرجع السـلام، فـحـينا بالسلام، وأدخلنا دار السـلام، ياذا الجـلال والاكرام، وتغتسل بالماء ان قدرت، وائت المسجد، واذكر الله، ثم ابتديء بقبر النبي رسول الله ﷺ، وسلم على النبي، ويكون مقامك عند زاوية القبر، وأنت تسـتـقـبل اليه، مدبر بالقبلة، ومنكبك الأيسر بالأسطوانة التي عند رأس رسـول الله ﷺ، وتقـول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، وأشـهـد أن محمد بن عبدالله عبده ورسوله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصـحت لأمتك، وجاهدت في سبيل ربك، وصدعت بأمر الله، وعبدت الله حـتى أتاك اليـقين، وأديت الذي عليك من الحق، فـجـزاك الله خير الجـزاء، ثم تثني على الله مـااسـتطعت من الدعـاء وتقـول: اللهم صل على محمـد عـبـدك ورسـولك وصـفـيك وأمـينك على وحـيك وخيرتك من خلقك، كافـضل وأكـمل وأحـسن مـاصليت على أحد من أنبيائك ورسلك وأهل الكرامة عليك، انك حميد مجيد، وسلم على محمد وآل محمد، كما سلمت على نوح في العالمين، وبارك على محمـد وعلى آل محمـد، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميـد مجيد.. واجـتـهـد في الصـلاة على محمـد ثم تخير لنفسك من الدعاء والمسألة وتقول: اللهم كل حـاجة سألتكها أو لم أسألكها، علمتها أو لم أعلمها، أسالك أن تتولى نجـاح قـضاء جميع حوائجي صغيرها وكبيرها، ثم تتقدم الى مقام النبي ﷺ، فتصلي بما فتح الله لك، وهو خلف الاسطوانة المحلقة التي هي أكثرهن حلوقاً، واجعلها بين يديك وقم قدام التي تليها من خلفها، ويكون بين كعبيك، ويكون مجلسك حـيث تسجد في الصلاة وليكن أسلفها(١٥٢) بين كتفيك ويكون منكب الأيسر خـارجـا منهـا، مما يلي قبر رسول الله ﷺ. فاذا فرغت من مقامك، مقام الرسـول ﷺ، فـقم الى المنبر فالزق منكبك الأيمن بالمنبر واسـتقبل القبلة، وخذ الرمـانة الداخلة بيـدك اليـمنى، ثم اثن على ربك واجتهد واسأل حاجتك، فاذا أردت أن تخرج فـسلم على النبي ﷺ، فان وافقت في المدينة الأربعاء والخميس

---

(١٥١) كل مـاورد في هذا الفـصل والذي يليـه لم يثبت فـيه شيء عن رسول الله ﷺ، وانما هو مما تـعـارف عـلـيـه الـنـاس وابتـدعـوه، والمطلوب في ذلك الموقف مجرد السـلام على النبي ﷺ وصـاحبيه سلاما ينم عن تعظيم الرسول الكريم واحترام الخليفتين .

(١٥٢) الصواب : أسفلها .

والجمعة، فصمهن وصل كل يوم عند الاسطوانة المحلقة التي بينها وبين القبر أسطوانة، واليوم الثاني التي يليها مما يلي القبر، واليوم الثالث خلف الاسطوانة التي خلف المقام، مقام النبي ﷺ، وأكثر من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فاذا أردت(١٥٣) من المدينة فاغتسل ان أمكنك، ثم آت القبر فسلم على الرسول ﷺ، وسلم على أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) واصنع كما صنعت حين دخلت، وقد روي عن النبي ﷺ انه قال: «من رآني ميتا كمن رآني حيا»(١٥٤)، وعنه ﷺ أنه قال: «من رآني بعد وفاتي فكانما رآني في حياتي»(١٥٥). وفي خبر، من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، والصلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا مافضل الله البيت الحرام(١٥٦). والصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة صلاة في مسجد رسول الله ﷺ.

فصل

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من حج ولم يزرني فقد جفاني»(١٥٧). وفي رواية عنه ﷺ: «ترد علي روحي لأرد السلام على من يسلم علي». ﷺ. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة»(١٥٨). «ومابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»(١٥٩). قال ابن قتيبة: لم يرد بقوله ﷺ: «مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» أن ذلك بعينه روضة، وانما أراد الصلاة في هذا الموضع والذكر فيه يؤدي الى الجنة، فهو قطعة منها، ومنبري هذا على ترعة من ترع الجنة. والترعة باب المشرعة الى مايريد وهو باب الجنة، وقيل ان ذلك الموضع في السماء روضة من سعف له(١٦٠) وبينهما روضة من رياض الجنة.

فصل

وجدت مكتوبا، روي عن النبي ﷺ أنه قال : «من زار قبري فقد وجبت

---

(١٥٣) الصوا ب: أردت الخروج . . .
(١٥٤) اخرجه بلفظ «زارني» الدارقطني في السنن ٢/ ٢٧٨ .
(١٥٥) المصدر السابق
(١٥٦) أخرجه الزبيدي في اتحاف الساد المتقين ٤/ ٤١٦ .
(١٥٧) ورد في كنز العمال ١٢٣٦٩ .
(١٥٨) أخرجه أحمد بن حنبل ٢/ ٣٦٠، كنز العمال ٣٤٨٢٥ .
(١٥٩) أخرجه البخاري ٣/ ٢٩، ابن حنبل ٣/ ٦٤.
(١٦٠) كذا في الأصل .

له شفاعتي»(١٦١). وعنه ﷺ: «من زارني بالمدينة كنت له محتسبا، وكنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة»(١٦٢). وفي الخبر من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلِّمُواْ تَسلِيماً﴾(١٦٣)، صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يافلان، لم تسقط لك حاجة يافلان، قال وهب: أن كعب الأحبار قال : ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي حتى اذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم يصنعون ذلك، حتى اذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه.

فصل

عن سليمان بن سحيم قال : رأيت النبي ﷺ في النوم قلت: يارسول الله، هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك، أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم. وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استانس به، ورد عليه حتى يقوم»(١٦٤).

فصل

قال : سمعت أعرابيا عند قبر النبي ﷺ وهو يقول: بأبي أنت وأمي يارسول الله، قد كان فيما حفظنا عنك وقلنا عنك(١٦٥) ماحكيت لنا عن ربك أنه يقول ـ وقوله الحق ـ : ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُواْ اللهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾(١٦٦)، ولقد أتيناك مقرين بذنوبنا، ظالمين لأنفسنا، فاستغفر الله لنا، نسالك أن تستغفر لنا.

فصل

ومن كتاب أصحابنا من أهل المغرب (رحمهم الله) من الاباضية، وأفضل البلاد بعد مكة المدينة بلا خلاف، فكيف لا وفيها النسمة الطيبة، والغرة المباركة، والطلعة الميمونة، والنفس النفيسة، والروح المقدسة، والقبر والمنبر، وأبو بكر وعمر، وناهيك بهذا فضلا وشرفا ونيلا. وعن علي قال: قال رسول

(١٦١) أخرجه الدارقطني في السنن ٢/ ٢٧٨، انظر مجمع الزوائد ٤/ ٢ .
(١٦٢) أخرجه صاحب الدر المنثور ١/ ٢٣٧، انظر أيضا كنز العمال ٤٢٥٨٤ .
(١٦٣) سورة الأحزاب : ٥٦.
(١٦٤) أخرجه الزبيدي : اتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٦٥.
(١٦٥) الصواب : ونقلنا .
(١٦٦) سورة النساء : ٦٤ .

الله ﷺ: «ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة، وأنا حرمت المدينة، وهي مابين عير الى ثور، فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(١٦٧). وقال عليه السلام : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بألف»(١٦٨). وعن ابن عباس (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة»(١٦٩).

فصل

وعن الشيخ أبي محمد (رحمه الله) أنه قال: سبحان الله، والحمد لله ، ولا اله الا الله، والله أكبر، ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. ان هذا كاف لمن حج أن يتكلم به في كل المواضع المواقف(١٧٠)، عند الحجر ، والأركان كلها، وعلى الصفا والمروة، وفي عرفات، ورمي الجمار.

فصل

ومن جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الزاملي الخراسيني النزوي (رحمه الله): أن الضحية لا تلزم الغرباء الا أن يكون لزمتهم من دم متعة أو غيرها، والله أعلم.

فصل

ومنه: أن العمرة فيها اختلاف، قول: انها وسيلة، وقول : انها فريضة، فعلى قول من انها(١٧١) وسيلة، فالحاج مخير، ان شاء دخل في أشهر الحج، وان شاء تمتع بعمرة، وان شاء قرن العمرة بالحج، وان شاء أحرم بحجة.

فصل

وأما تقليد الهدي فهو علامة تجعل فيه ليعرف أنه هدي. وطواف الصدر اذا دخل الحاج في أشهر الحج، وتمتع بعمرة، فاذا كان يوم ثامن(١٧٢) من شهر الحج أمر أن يغتسل ويطوف بالبيت هذا هو طواف الصدر. ولايجزيء

(١٦٧) أخرجه أحمد بن حنبل ٣/ ٣٩٣ .
(١٦٨) أخرجه البخاري ٢/ ٧٦، مسلم، الحج ٥٠٥ .
(١٦٩) أخرجه الزبيدي : أتحاف السادة ٤/ ٢٨٤.
(١٧٠) لعله : والمواقف .
(١٧١) الصواب : فعلى من يقول انها .
(١٧٢) الأنصح : اليوم الثامن .

الوقوف عند المشعر الحرام الا بعد صلاة الفجر على القول الذي نعمل عليه، وأما أخذ الحاج من عفا(١٧٣) لحيته يوم يحل من احرامه، فلا عمل عليه. والمحرم يحلقه أو يقصر له المحل. ومعنى المقصرين فهو أن يأخذ الحاج من مقدم رأسه شيئا قليلا من ثلاث شعرات فصاعدا بمقراض أو موس ليحل من احرامه، لأنه بمنزلة التسليم في الصلاة. والذي يحلق رأسه هو الذي يحلق(١٧٤) رأسه، والله أعلم. والذبح الذي من قبل المتعة، ومن قبل الاقران، أرجو أن له أن يأكل منه، والله أعلم. ولا يأكل أكثر من الثلث.

فصل

ومنه (رحمه الله): والحاج يجزيه اذا طاف للزيارة، ومضى للسعي، فلما أتى الصفا قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١٧٥)، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١٧٦)، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ربنا أغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولم يقل غير هذا انه يجزيه ذلك والله أعلم.

فصل

ومنه (رحمه الله): وأما ماتقدم(١٧٧) زيارة قبر النبي محمد ﷺ قبل الحج لمن لم يحج فمكروه، ولايبلغ به الى حرج.

فصل

ومنه (رحمه الله): وأما نية الخارج بحجة عن هالك فهو أن يقول: اللهم نيتي واعتقادي أني خارج حاجا عن الهالك فلان بن فلان الفلاني، من بلده المسمى كذا الى بيت الله الحرام، وزائرا عنه قبر نبيه محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، ومسلما عليه وعلى صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وعلى أن أفعل في هذه الحجة والزيارة مايفعله الحاجون والزائرون من واجب وسنة طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ. فاذا وصل الميقات قال: اللهم واعتقادي(١٧٨)، اني محرم بحجة الهالك فلان بن

(١٧٣) كذا في الأصل .
(١٧٤) الأفصح : حلق .
(١٧٥) سورة الشورى : ١١ .
(١٧٦) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(١٧٧) الصواب: وأما من قدم زيارة .
(١٧٨) اللهم نيتي واعتقادي .

فلان الفلاني، فاذا عزم على التلبية ، قال: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، ان الحمد والملك لك، لبيك بحجة عن فلان بن فلان الفلاني تمامها وبلاغها عليك. ونيته في الطواف والزيارة عن الهالك، اللهم واعتقادي أني أطوف بيتك الحرام هذا سبعة أشواط من الحجر الى الحجر طواف الزيارة الفريضة عن الهالك فلان بن فلان الفلاني، ويقول عند السعي: اللهم نيتي واعتقادي أني أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، من الصفا الى المرة، ومن المروة الى الصفا، وأن أختم بالمروة في السابع عن الهالك فلان بن فلان الفلاني، وفي الوقوف بعرفات يقول: اللهم نيتي واعتقادي أني أقف بعرفات الى غروب الشمس عن الهالك فلان بن فلان الفلاني أداء عما لزمه من فرض الحج، وفي رمي الجمار يقول: اللهم نيتي واعتقادي أن أرمي هذه المرة سبع حصيات أداء عما لزم الهالك فلان بن فلان الفلاني من رميها، واذا أراد الخروج الى زيارة قبر النبي ﷺ، عن الهالك فلان بن فلان الفلاني، واذا أراد أن يدخل الى قبر النبي محمد ﷺ من باب السلام يقول: اللهم نيتي واعتقادي أني أحرم احرام الزيارة لقبر النبي ﷺ، عن الهالك فلان بن فلان الفلاني أن أزور قبر نبيه محمد ﷺ، وأسلم له عليه وعلى صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وعلي أن أفعل في هذه الزيارة عنه مايفعله الزائرون.

فصل

وعنه (رضي الله عنه): ولا أعلم شيئا من الأدعية يفسد بتركه الحج. وأما ركعتا الطواف في طواف الفريضة فنقول : أنهما سنة، وأرجو قولا: أنهما فرض. والنية فيها، يقول: أصلي لله تعالى ركعتي الفجر طواف الزيارة الواجبتين على آداء لما لزمني طاعة لله ولرسوله محمد ﷺ، ولايصليهما بعد صلاة العصر ولا بعد صلاة الفجر حتى تغرب الشمس وتطلع، ولا عند استواء الشمس في كبد السماء في منتهى الحر، في الوقت الذي لاتجوز فيه الصلاة، والله أعلم.

فصل

ومنه (رحمه الله): ومن خاف فوت الحج وأهل بحجة ولما قضى الحجة اعتمر أنه يجزيه ذلك ولو على قول من جعلها فريضة، أعني العمرة، والله أعلم. وأما يوم التروية فهو يوم سابع من شهر الحج ويوم التلبية يوم

ثامن. وسمي التلبية من أن الذي تمتع بالعمرة الى الحج يلبي بالاحرام بالحج في ذلك اليوم ويوم عرفة يوم التاسع، وهي الثلاثة الأيام التي يصومهن المتمتع اذا لم يجد الهدي، وهذا المعنى كله من جواب الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الخراسيني النزوي (رضي الله عنه) ـ ليس اللفظ بعينه ـ .

وعنه (رحمه الله) : وأما سن الدم الذي يجزي فهو من الثنية فصاعدا من المعز وهي فيما عندي قد أكملت السنتين ودخلت في الثالثة، والله أعلم. لعله انقضى جواب الشيخ الفقيه العالم النزيه صالح بن سعيد الخراسيني (رحمه الله). ومن غيره: والمحرم على أثر صلاة مكتوبة أو نافلة ولكن لايصلي نافلة في الوقت الذي تجوز فيه الصلاة، هكذا عندي لا اللفظ بعينه. وجائز للمحرم أن يضع على ظهره ومنكبيه شامية صوف، غير (١٧٩) أن يدخل يديه في كمي الشامية، لأنها مثل القبا، ويجوز للمحرم أن يلبس على ثوبي احرامه ماشاء من الثياب، ويضعف عليهما ماشاء من الثياب مخيطة أو غير مخيطة مثل الرداء الأبيض من القطن المخيط بين العتقتين(١٨٠)، أو يلبس فتقة(١٨١) واحدة، غير مخيطة، وكل ذلك سواء وجائز ذلك، والله أعلم. واذا كسر عودا يابسا من شجر الحرم فلايلزمه، وان طلع منه دم من غير رأيه فلا يلزمه اذا لم يتعرض لما يدميه، وشجر المدينة فيه الجزاء، والله أعلم. وينظر فيما كتبت ولايؤخذ الا ماوافق الحق والصواب، فاني أتيت المعنى مما وجدت، والله أعلم. والمحرم لايصطاد من الأودية مادام محرما هكذا وجدته، وقيل: ان الواقف يبدأ يسبح مائة مرة ويحمد مائة مرة، ويقول: ماشاء الله، لاحول ولا قوة الا بالله، مائة مرة، ويقول: لا اله الا الله، وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ثم يقرأ عشر آيات من آخر سورة البقرة، ان كان يحسنها، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، ويوحد مائة مرة، ويقرأ آية الكرسي، وآخر سورة الحشر من قوله، ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾(١٨٢)، إِلَى آخر السورة، ويقرأ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهَارَ يَطلُبُهُ حَثِيثاً

(١٧٩) الصواب من غير .

(١٨٠) العتقة : موضع الرداء من المنكب أو مابين المنكب والعنق .

(١٨١) الفتقة : لم أجد معناها في كتب اللغة ، ولعل المراد : ثوب من نوع القميص مشقوق غير مخيط .

(١٨٢) سورة الحشر : ٢٢ .

وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾(١٨٣)، و﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(١٨٤)، و ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾(١٨٥)، ويقول: لك الحمد على نعمك التي لاتحصى بعدد، ولاتكافي بعمل، وتصلي على النبي ﷺ، مائة مرة، وقل: الله أني أطلب اليك حاجتي التي ان أعطيتها على حال(١٨٦).

الجواب وبالله التوفيق: أنه ليس على المكي متعة، ولايلزمه هدي المتعة على ماحفظته من آثار المسلمين، والله أعلم.

قلت له: والمحرم اذا عرض له ريح طيب في احرامه بريح حملته له أو غير ذلك عليه أن يمتنع منه ويسد خياشيمه أم لا؟

قال : مالم يستنشق الطيب عمدا فلا بأس عليه، وان تعمد فعليه دم.

قلت له : والرياحين والفواعي(١٨٧) من الأشجار يجوز للمحرم فيحال احرامه أم لا؟ أم مرخص في شيء فيها(١٨٨) دون شيء؟

قال : وجدت في آثار المسلمين أن الريحان ليس بطيب، والورد والياسمين طيب كهيئة الأفواه، والله أعلم.

قلت له: وهل للمحرم أن يخرج الحطب اليابس من الحرم اذا كان مباحا أم لا؟

قال : حفظت من آثار المسلمين أنه لابأس فيما أخرج المحرم من الحطب اليابس الميت من الحرم، ولابأس فيما سقط من الشجر ومن الورق والثمر، والله أعلم.

قلت له: وهل تجب الأضحية يوم النحر بمنى اذا لم تلزمه دم المتعة أم لا؟

قال: لايلزمه شيء مالم يكن لزمه شيء الا أن يتطوع هو بذلك، والله أعلم.

قلت له: ويوجد في الأثر أن المتمتع يأكل من دم متعته ويطعم الفقراء ويهدي منها ماهذه الهدية؟ ولمن تكون؟

قال : انها تكون لمن أراد المهدي من الفقراء ولايخص بها أحدا دون أحد

---

(١٨٣) سورة الأعراف : ٥٤ .
(١٨٤) سورة الناس : ١ .
(١٨٥) سورة الفلق : ١ .
(١٨٦) السياق يوحي بكلام ساقط .
(١٨٧) لعله : الفواهي .
(١٨٨) لعله : منها .

من الفقراء، والله أعلم.

قلت له: والمحرم اذا أمعن النظر في زوجته حتى عرض له انتشار وودي لاغير، أيلزمه شيء أم لا؟ وهل يكون منه ذلك توسيخا لصومه أم لا؟

قال : لايلزمه شيء على صفتك هذه، وأما توسيخ الصوم فانه قد وسخ صومه ولا ينتقض والله أعلم.

قلت له: وطير الدجاج يكون شراؤه للمحرم وأكله اذا غلب أحواله الملك أو لا؟

قال : الذي حفظته من آثار المسلمين في المحرم اذا ذبح الدجاج فلا باس بذلك، ولا باس على المحرم أن يأكل بيض الدجاج، ويوجد أيضا في آثار المسلمين، والذي نستحبه للمحرم لايذبح ديكا ولا دجاجة حتى يعلم أن الدجاج أهلي، وليس هو من الصيد، قال: وأرى على المحرم اذا ذبح دجاجة وكانت من الصيد فعليه شاة ويحكم عليه بها ذوا عدل، وكذلك لاياكل بيض الدجاج حتى يعلم أن الدجاج أهلي، والله أعلم.

قلت له: والمحرم اذا مسح رأسه ولحيته وخرج بيده شيء من الشعر من غير أن يحس له حسا عند خروجه أيلزمه شيء من الجزاء أم لا؟

قال : في ذلك اختلاف بين المسلمين، قال من قال: عليه الجزاء، وقال من قال: لاجزاء عليه، وهو أكثر ماحفظنا، والله أعلم.

قلت له: وهل تجوز أن تحج المرأة عن الرجل حجة الفريضة أم لا؟ واذا لم تجز المرأة أيجوز أن تحج المرأتان عنه أم لا؟

قال: وجدت في آثار المسلمين أن المرأة لاتحج عن الرجل، والمرأة عن المرأة جائز، والمرأة لاتحج عن الرجال، الا أن تحج عنه امرأتان، ولكن يجوز أن تحج المرأة عن الرجل في المشي، اذا حلف بالمشي الى البيت الحرام، في شيء حنث فيه، فيجوز أن تحج(١٨٩) في هذه أن تحج المرأة عنه، وجوزوا أن تحج المرأة عن المرأة، والرجل يحج عن المرأة، أحب الى المسلمين، وهذا ماحفظه من آثار المسلمين (رحمهم الله)، والله أعلم.

قلت له: والمحرم اذا وسم غيره بالنار، لعلة أو غير علة، كان الموسوم محلا أو محرما، أيلزم أحد منهما دم أم لا؟

قال: وجدت في آثار المسلمين، عن أبي سعيد (رحمه الله) أن المحرم لايضره فعله في الحلال اذا فعل في بدنه مايجوز له من المباحات من حلق أو

(١٨٩) زائدة في الأصل .

قص أو غيره، وأرجو أنه لايخرج من الاختلاف، وان كان الموسوم محرما من غير علة باق، فعلى الموسوم الفداء، وان كان من علة فلايخرج من أقوال المسلمين (رحمهم الله).

قلت له: والمحرم اذا أحرم بعمرة في غير أشهر الحج ودخل مكةوطاف وسعى وحل من احرامه ثم سار الى المدينة أو غيرها ورجع الى مكة في أشهر الحج بعمرة، عليه دم المتعة على القول الذي يقول: أن ليس في السنة الا عمرة واحدة بين لنا ذلك؟

قال : ان عليه هدي المتعة على ماحفظته من آثار المسلمين، والله أعلم.

قلت له: والمحرم اذا أدمى غيره عمدا وخطا أعليه في ذلك جزاء أم عليه الا الاثم؟

قال : أما على الخطا فلا يلزمه شيء على مايعجبنا في ذلك، وأما على العمد فعليه دم، والله أعلم.

قلت له: وفي مباكة الناس بعضهم بعضا في الطواف أفيه ضمان أم لا؟

قال : اذا لم يعلم أنه أثر في أحد شيئا ولا آلم أحدا فلا يلزمه شيء،

قلت له: والمرأة الحائض اذا جاءها الدم قبل خروجها الى منى، أعليها أن تغتسل وتحتشي وتحرم أم ليس عليها احرام، أم تحرم كما هي وتقضي جميع تفثها الا زيارة البيت فقط؟

قال : نعم ، جاز للمرأة الحائض أن تقضي جميع تفثها الا زيارة البيت فلا يجوز الا بعد أن تتطهر من الحيض، والله أعلم.

قلت له: وشجر حرم مكة اذا أصاب أحد منه شيئا خطا أعليه الجزاء في الخطا أم ليس عليه الا في العمد، أم يكون حكمه حكم الصيد في الجزاء في الخطا والعمد أم لا؟

قال : ان شجر الحرم اذا أخذ منه أحد شيئا أو قطعه ففيه الجزاء كان عمدا أو خطا ولايحل قطع شجر الحرم ولا أخذ صيده لمحل ولا محرم، والله أعلم.

قلت له: والبيت العتيق اذا خرب وهدم أيكون بناؤه فريضة على كل من قدر عليه على الكفارة أم على أهل مكة خاصة؟

قال: لم أحفظ وجوب ذلك، وانما حفظت من آثار المسلمين، أن المسلمين اذا ظفروا بمكة، شرفها الله، بما يكسون البيت،قال: من الصوافي، فهذا

ماحفظته ، والله أعلم.

قلت له: وهل تجوز الصلاة بصلاة الامام في المسجد الحرام اذا كان الامام شرقي الكعبة والمأموم غربي الكعبة مقابلا للامام أم لاتجوز الا وراء الامام على حال؟

قال : وجدت في آثار المسلمين في الامام يؤم الناس في المسجد الحرام فانه يجعل مقام ابراهيم بينه وبين الكعبة ثم يصف .....



تم الجزء الأول من كتاب
«فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم»،
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني
ويبدأ بالمنثورة الرابعة عشر،
وهي في الأحكام والدعاوي
وغير ذلك مما يجوز وما لايجوز.

فهرس الجزء الأول
من كتاب
«فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم»

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
تقريظ كتاب «فواكه العلوم» للشيخ خلف بن سنان الغافري	٣٣
* **المنثورة الأولى** في خلق آدم (عليه السلام)	٣٥
* **المنثورة الثانية** في طلب العلم وشيء من كلام العرب، وتفسير القرآن.....	٧١
* **المنثورة الثالثة** في التوحيد ومايجوز من ذلك وما لايجوز	١٠١
* **المنثورة الرابعة** في الولاية والبراءة وغير ذلك	١٧١
* **المنثورة الخامسة** في الزهد وشيء من الأخبار العربية ، والحجج الذكية ..	٢٧٧
* **المنثورة السادسة** في الطهارة والغسل من الجنابة، وفي الوضوء، ومايجوز من ذلك	٣٦٣
* **المنثورة السابعة** في الصلاة وأحكامها، وتفسير آيات من القرآن، والكلام العربي والأخبار، وغير ذلك	٣٩٣

تابع فهرس الجزء الأول
من كتاب
«فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم»

الموضوع	الصفحة
* **المنثورة الثامنة**	
في صلاة الموتى وتكفينهم ومواراتهم	٥٠٥
* **المنثورة التاسعة**	
في الآذان والخطب وغيره من الأخبار والتفاسير القرآنية	٥١٩
* **المنثورة العاشرة**	
في الزكاة وغيرها ومايجوز من ذلك ولا يجوز	٥٧٧
* **المنثورة الحادية عشرة**	
في الصوم، ومايجوز من ذلك وما لايجوز	٦٥٩
* **المنثورة الثانية عشرة**	
في الحج وغيره وما لايجوز من ذلك	٧٠١

رقم الإيداع ٩٥/١٧٣

المطبعة الوطنية ش.م.م
ص . ب ١١٢/٤٢٢ روي ، تليفون : ٧٠١٧٥٥/٧٠٧١٩٢